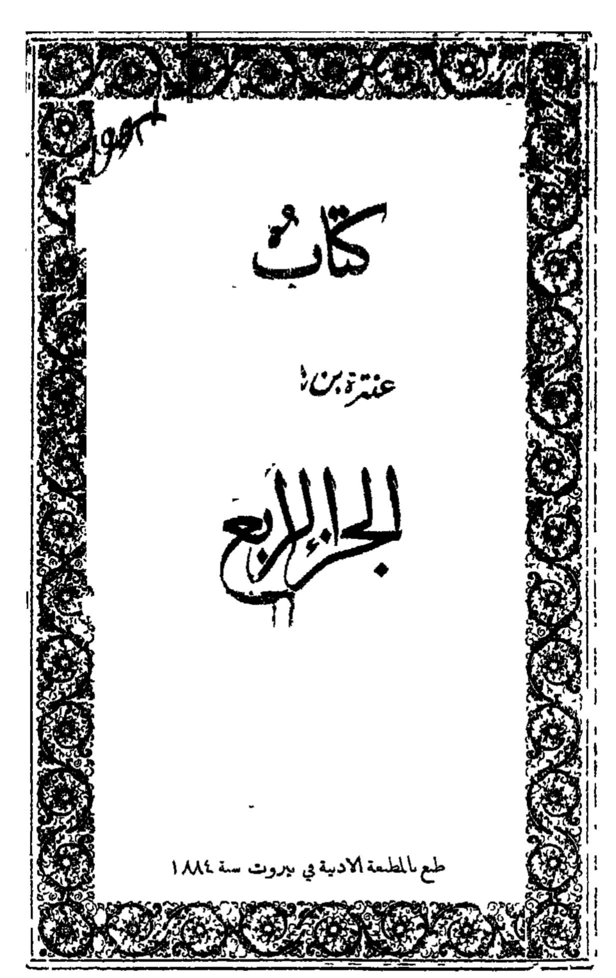


كتاب

عنترة بن

الجزء الرابع

طبع بالمطبعة الادبية في بيروت سنة ١٨٨٤

ولم يزالوا هاربين والى النجاة طالبين الى ان وصلوا الى مكان يقال له ابو خرقين ولو عرفت العرب الطريق لما كان رجع من الفرس لا رفيع ولا وضيع قال الاصمعي وابو عبيدة ان هذه الواقعة التي ذكرها النبي كانت اول معجزاته لانها كانت نصرة العرب فيها على العجم عاد النار وهي يوم ذي قار هذا وقد رجعت فرسان بني شيبان من خلف الاعجام بعد ان ملأت من قتلاهم القيعان وقد استغنوا بعد الفقر من كثرة الاسلاب والاموال والخيل والخال التي تحير عقول الرجال وشيء كثير من النوق والجمال ثم عاد الملك النعمان وفيه جراحات شتى كانت من عدد الموتى وعند عودته التقاه الملك قيس بن زهير وعمرو بن معدي كرب ودريد بن الصمة وسادات القبائل التي اتت لنصرته وعتبوا عليه كيف لم ينفذ اليهم احداً ولا يطلب منهم نجدة وقالوا ياملك لاسيء شي ما اعلمتنا بما جرى لك مع كسرى انو شروان لاننا ما سمعنا مسير الفرس اليك الا لما قاربنا ارض ذي قار ولاجل ذلك اتينا ايها الملك المختار

قال نجد بن هشام فشكرهم النعمان على هذا الكلام وقال لهم اعلموا ياسادة العربان اني لما خرجت من المداين ونزلت في هذا المكان عند هاني سيد بني شيبان وفارس الفرسان ونتيجة الدهر والاوان ما احوجني الى بشر من عرب البر الاقفر فقال دريد لقد صدقت ايها السيد المفتخر ولكن العرضيات لاتنجي الانسان من غدرات الزمان ومن الصواب والامر الذي لا يعاب ان ترحل معنا الى جبال غربية الشامخة العلية ونحميك بعون الله من هذه البلية لان كسرى بهذه النوبة لا ياتي الى هذا المكان الا بسائر عساكر خراسان اياخذ بثار ولده شيراسان فقال قيس بن زهير لدريد بن الصمة ياابا النظر اذا كان الامر كما ذكرت فاهل الميت اولى بالبكا ونحن على كل حال احق بصهرنا ومن الصواب انه يرحل معنا الى ارضنا ونبذل المجهود قدامه وقدام اخننا ونقاتل قتال الفنا

قال نجد بن هشام فلما سمع النعمان ذلك الكلام قال والله ياوجوه العرب ان هذا الكلام لايكون ابداً ولا اسلم روحي الى اصدقاء ولا اعداء ولا استجير غير الامير هاني لاني به بلغت غاية الاماني وبسيفه انصرت على القاصي والداني والعاقل اللبيب اذا وجد من يبلغه مناه لا يبتغي احداً سواه

قال الاصمعي فلما سمعت امراء القبائل كلام النعمان علموا انه لا ينتقل منصورتهم فتركوه وقد اثر كلامه في قلوبهم فبينما هم في تلك الحال واذا بهاني قد اتى لخدمتهم وشكرهم على فعالهم فقال عمرو بن معدي كرب والله ياوجوه العرب نحن ما كشفنا عنكم شدة ولا اتيناكم وانتم محتاجون الى نجدة بل انت ياهاني فرقت بسيفك الجيوش والعساكر وفعلت فعلاً

يبقى ذكره للاوائل وللاواخر فانشرح صدر هاني لهذا المقال واثنى على من حضر من الابطال ثم انهم ساروا طالبين الحريم والعيال وسيف هاني يقطر من الدماء ومن شدة فرحه بالنصر على الاعداء اخرج يده من جلباب درعه وتقدم الى قدام سادات العرب وهو يتذكر هذه الواقعة وما لقي فيها من التعب فانشد وقال

من لا يرى باسنا والطعن مختلفُ في يوم ذي قار حقًا فاته الشرفُ
وطعننا خلفنا تجري مدامعهُ حزنًا وخوفًا على الوجنات تنذرفُ
والجوُّ اسودُ والاقطار مظلمةٌ مثل الدجى وغبار الحرب منعكفُ
والخيلُ تركضُ من تحت العجاج بنا على طول الاعادي انها عرفُ
يا ارض ذي قار كم من حامل وضعت مولودها راسهُ بالشيب متصفُ
يا يوم ذي قار لو ارخت ما كتبت من بعد هولك اهوالٌ لمن سلفوا
انت مرازبة الاعجام تقصدني كلامهم كهدير الجن مختلفُ
وهم منهم بجنان لو صدمت بهِ صرفَ الزمان لامسى وهو منصرفُ
وشيرسان تركتُ الطيرَ عاكفةً عليه وهو سليب الدرعِ منكشفُ
وكم قتيل ثوى من طعنتي وله على القنا اسف لم ينفع الاسفُ
لاتيتهم ورددتُ الخيل عائدةً على جماجمهم اذ كلها جيفُ
فاستعمل الخيرَ يا نعمانُ ترزقهُ ما دام سيفي صقيلاً ما به كلفُ
فان رحلتُ تعذري انت تعرفهُ وان اقمتُ فما في معهدي خلفُ

قال الراوي فلما فرغ هاني من كلامهِ تعجبت الفرسان من شعره ونظامهِ ثم ساروا طالبين الخيام وهم في حديث الفرس والاعجام وكان قد جرى لقيس بن زهير مع عنترة امور سوف نذكرها في موضعها اذ اطلع الملك النعمان عليها الام قيسًا على ما فعل بعنترة البطل واذا بدريد قد اقبل وقال والله ما مداراة جبابرة الفرسان الا امر عظيم الشان لاني انا ايضًا طردت صهرني سبع الغاب بذي الخمار ما كنت اقاسي من شره والاضرار واقول انه في دفع الكرة لا يفارق كسرى انوشروان لانه محتاج هذا الوقت الى مثلهِ من الفرسان ولا بد ان يسير اليك يا ملك العربان لا سيما اذا سمع بفعال هاني بن مسعود وشجاعتهِ وهو لا يشتهي ان يكون له في الدنيا مثال وقد سمعت يا ملك ما جرى له مع عنترة والى الان في قلبهِ منه بلابل وعتاب فقال النعمان والله يا دريد اني قد اتخذت هاني حامية لي وللنساء وعلى الله وعليه اتكالي في الصباح والمساء ورضيت بهِ حاميًا وحارسًا ولا التفت الى الزمان احسن او اسا

قال نجد بن هشام فلما سمعت سادات القبائل هذا الكلام اسروه في نفوسهم واضمروا ذلك في قلوبهم وقد وجدوه اشد من ضرب الحسام وما فيهم الا من ندم على قدومه اليه وهانت نفسه عليه وساروا معهُ على مضض حتى وصلوا عند النسوان واللاتي كانت بحريه فعند ذلك تقدم الملك قيس بن زهير الى اخته المتجردة وعانقها وبكى وكذلك فعل جميع اخوته وكانوا قد فرحوا بخلاصها ثم عادوا طالبين ارض ذي قار وهي تحدث اخوتها بما لاقت وجرى عليها وقالت في اخر الكلام يا اخي اقسم عليك بتربة ابيك الملك زهير لا ترجع الى حي بني عبس حتى تاخذني معك لان بعلي يا اخي قد احب المقام في هذا المكان وجعل اتكالهُ على هاني و بني شيبان واعلم يا اخي ان الملك كسرى انوشروان لا يتركهُ بعد كسر عساكره وقتل ولده شيرسان ولا بد ان يدوس ارض الحجاز بجميع ابطال خراسان و يقتل كل من فيها من الشجعان فقال الملك قيس لقد صدقت في ما نطقت واني قد اشرت عليه بالمسير معنا الى ديارنا وارضنا . ووعدتهُ

الكتاب الحادي والسبعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

بانني ابذل روحي دونهُ فابى واخاف ان اطلبك منهُ والح عليه فيقول لي انا لا افارق زوجتي التي من اجلها زادت محنتي ولا اترك للعرب ان تقول عني اني عجزت عن حماية زوجتي والصواب يا اختاه انك تقيمين عند زوجك واذا سمعت اخبارًا غير مرضية انفذي الينا بعض عبيدك حتى ندبر على قدر ما نرى وما زالوا كذلك حتى وصلوا الى المضارب والخيام فنزلوا وهم فرحين بالنصر على الاعداء اللئام وعمل النعمان الولائم والدعوات واكرم الفرسان والسادات وهم دريد وقيس وعمرو بن معدي كرب سيد بني زبيد واشبع القريب والبعيد واكثر الطعام والمدام مدة ثلاثة ايام وبعد ذلك طلبوا الاذن من النعمان بالمسير فخلع عليهم الخلع السنية واعطاهم عطايا بهية ورحلوا طالبين الاوطان وهم يتذكرون كلام النعمان ويتعجبون من قلة خبرته في حوادث الايام فقال عمرو بن معدي كرب والله يا وجوه العرب انني في غاية العجب كيف كان النعمان يسوس مملكة العربان من قبائل الحجاز الى اليمن وهذا الراي رايهُ عند حلول صروف الزمن فقال دريد يا عمرو اعلم ان الله تعالى وتبارك اذا اراد ان يخلع عبده من السعادة ياخذ منهُ اسباب الارادة ويرزقهُ عدم التوفيق

عند الافادة ويلقي على قلبهِ الغشاوة حتى يجلب لنفسهِ القساوة وهذا كلهُ من عدم التوفيق وقد ختم الله على قلبهِ حتى لا يهتدي الى طريق فلا يزال النعمان متمسكًا بهاني سيد بني شيبان حتى يرمي نفسهُ في ابحر الهلاك والتلعان وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى مفرق الطريق فودعوا بعضهم البعض وافترقوا من تلك الارض وقصد كلٌّ ارضهُ وامصاره وعاد ايضًا الملك قيس طالبًا ارض بني عبس وعدنان وهو متعجب مما جرى على صهره الملك النعمان ولم يزل سائرًا الى ان وصل دياره وقرَّ بها قراره فسال الربيع بن زياد عمَّا تجدد من اخبار عنترة بن شداد وكان قيس قد اراد ان ينفذ الى عنترة ويصالحهُ لما يئس من صهره الملك النعمان فعند ذلك قال لهُ الربيع اعلم ياملك الزمان ان عنترة عمرك ما بقيت تراه بعد ما ظفرت بهِ اعداه وقد اصبح ماسورًا في بلاد الشام مع اناس ترك نساءهم ارامل واولادهم ايتام وقد اسر معهُ ابوهُ شداد وتمام الار بعمائة فارس الاجواد واسر معهُ اخوهُ مازن وولده ميسرة ولا اعلم كيف كان سبب اسرهم ولا صح عندي خبرهم ولكن من مدة ايام وصلت عبلة وسائر النسوان وما لهم من النوق والفصلان مع خمسين فارسًا ونزل الجميع على بني غطفان فما ارادوا ان ينزلوا علينا ولا كسروا انفسهم الينا ولكن وصل الينا منهم فارس كان مجروحًا واخبرنا ان عنترة واصحابهُ واعمامهُ وولده وابطالهُ ماسورون آسفون

قال الراوي فلما سمع الملك قيس هذا الخبر زادت بهِ الهموم والفكر وعلم بان ركن عزه انهدم واندثر وندم على ما فعل في حق ابي الفوارس عنتر وقال في نفسهِ هذا حامينا قد اسر وصهرنا النعمان عادى كسرى واصبح مطرودًا في الصحرا

قال سعيد بن مالك وكان السبب في ذلك خبر عجيب وامر مطرب غريب احب ان اسوقهُ على الترتيب وذلك كلهُ من لجاج قيس ومشورة الربيع بن زياد شيخ الضلال والفساد وهو انهُ كان للملك قيس عبد ارسلهُ في حاجة يقضيها فبلغهُ الخبر انهُ افسد في جارية من جوار ابنته فغضب غضبًا شديدًا ما عليه من مزيد وعول على قتل العبد فعلم العبد بذلك فهرب وخاف على روحهِ من المهالك والعطب ومن شدة خوفه مضى الى بيوت اخوة الملك وهم الحارث ونوفل وكثيّر وجندل وطلب منهم الذمام فما اجاروه وقالوا لهُ نحن ما نجير على اخينا ولكن اهرب واطلب لنفسك النجاة فعند ذلك عاد العبد وقد فزع وتحير وايقن بانقطاع اجلهِ فخرج من ابيات بني زهير الامجاد وطلب ابيات بني زياد ودخل على الربيع واخوته وشرح لهم قصته وطلب منهم الذمام فقال لهُ الربيع والله ياولدي لو كان ذنبك دون هذا الذنب وكان مولاك غير قيس اجرناك وبذلنا ارواحنا فداك ولكن ذنبك

يا فتى عظيم وامرك جسيم وغريمك لا يقاومة غريم ومن الصواب والامر الذي لا يعاب ان نترك هذا الوطن ونقصد بلاد اليمن فلما سمع العبد من الربيع هذا الكلام الشنيع خرج من عنده هارب وقد استدت في وجهه سائر الطرق والمذاهب

قال الراوي وكان الملك قيس قد بلغهُ خبر ما جرى للعبد من الذل والعار وكيف استجاروا وما اجاروه ولا اعطوه ذمامهم ولا قربوه فارسل وراه جماعة من العبيد وامرهم ان يلحقوه والى بين يديه يحضروه وقال لهم احضروه قبل ان يبعد ويستجير ببعض امراء العرب فتتعب معهُ غاية التعب فعند ذلك تجارت العبيد مثل العفاريت الطيارة واخذوا يركضون وراء العبد بالعصي والحجارة فلما ابصرهم العبد طلب منازل بني قراد واسرع بالجري قدام اولئك العبيد الاوغاد حتى بلغ ابيات الامير عنترة بن شداد ومن سعادة العبد وشقاء اولئك اللئام كان عنترة حاضرًا ذلك الوقت بالخيام فعند ذلك دخل عليهِ والقى نفسهُ بين يديهِ وقص قصتهُ عليهِ وقال اجرني يا ابا الفوارس لانك ما سُمّيت حامية بني عبس الا وانت على الحقيقة حاميها وحافظ حريمها وراعيها وانت كاشف عنها الضر والبلا وناصر من ليس لهُ ناصر وملجا وانا يا ابا الفوارس عبد قليل المعين بلا الف ولا قرين ولي من يحكم فيَّ بما يشا ويستكد في في الخدمة صباحًا ومسا وقد فرط مني امر قد اباح مولاي قيس لاجلهِ دمي وطلب هلاكي وعدمي وما وجدت لي مجيرًا الا انت يا سيد العشيرة وحامي القبيلة واريد منك ان تجيرني وتجبرني على عوائدك القديمة ثم ان العبد شرح لهُ قصتهُ وطلب منهُ امانهُ فتعجب عنترة من كلامهِ واعطاه عهده وذمامهُ وقال لهُ ابشر يا ابن الخالة بالامان من غير الزمان ونوائب الحدثان واعلم يا ابن الخالة انك قد نزلت في بيت يامن فيهِ الخائف من كل من دب ودرج والجم واسرج فوحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب والرب الذي اذا طلب كل العباد غلب لو طلبك كسرى انوشروان لهدمت على راسهِ الايوان وخربت معابدهم وبيوت النيران وشتتت الفرس الى اقصى بلاد خراسان وان طلبك قيصر قصرت باعهُ وقحمتهُ الى وراء النهرين واهلكت عبيده وجنوده ومن يلوذ بهِ ويتبعهُ من انس او جان فلا تخشَ من كل من ركب الحصان وحمل السنان ولو كان خصمك الحارث ملك بني غسان . قال الراوي فبينما هما في مثل هذا الكلام واذا ببعض العبيد الوقاح قد تقدم الى باب الخبا وصاح وقال هيا يا ابا الفوارس لا تجير هذا الولد الزنا ولا تبلغهُ منك المنى فقد قال مولاي قيس الهمام انهُ لا يقبل لاحد فيهِ ذمام ولا بد ان يصلبهُ على بعض العمد لانهُ خان وافسد فلما سمع عنترة ذلك الكلام صار الضياء في عينيهِ ظلام ثم انهُ نهض قائمًا على الاقدام

وخرج من باب الخبا وهو يتوكأ على حسامه وكان قد عمل معهُ كلام العبد واشتد به الغضب فصاح اذهبوا اياكم يا اولاد الزنا فوحق من جعل البيت الحرام للخائف حمى وانزل القطر من السما وعلم آدم الاسما لو طلب هذا العبد كسرى ملك العجم لانزلت به البؤس والنقم وان طلبه قيصر انزلت به العبر وجعلته موعظة بين البشر وكان اخوة عنترة قد خرجوا على صياح العبيد وايضًا ابنة ميسرة الفارس الصنديد فلما راوهم شتموهم وطردوهم فرجعوا على الاعقاب واخبروا قيسًا بهذه الاسباب وقالوا لهُ اعلم يا ملك وحق مالك الاملاك لولا هربنا لما سلمنا من الهلاك لان عنترة بن شداد وسائر بني قراد قد خرجوا الينا وشتمونا وامروا عبيدهم ان يضربونا وقال لنا عنترة ان هذا العبد قد اعطيته ذمامي وصار في اماني وتحت ظال حسامي فاخبروا ملككم قيسًا ان يكف طلبهُ لئلا يخرق ناموسهُ ويضيع منصبهُ لانهُ ما بقي يقدر عليه لا هو ولا سائر ملوك العرب من بعدهما ومن اقترب فان شاء يرضى وان شاء يغضب

قال محمد بن هشام فلما سمع قيس ذلك الكلام صار الضياء في عينيهِ كالظلام وتغيرت حواسهُ ومن شدة غيظهِ حنى الى الارض براسه وقد استحى من اهلهِ وجلاسهِ وتكلم بهذا الشان كل من كان حاضرًا في ذلك المكان فمنهم من استحسن هذه الفعال ومنهم من وبخهُ على هذه الاعمال فقال الربيع بن زياد اما كان لابن شداد ان يسوي بي وباخوتي وباخوة الملك قيس حتى يجيره ولا حسن عنده ان يطرده كما طرده غيره ولكن كل هذا حتى يظهر عزه وذلنا ويفتخر علينا كلنا فقبح الله يومًا شاركناه فيه بانسابنا ولا وفى دهرًا فيه دخل احسابنا فوالله ان اخذنا اسرى الف مرة وعذبتنا الاعداء مائة كرة كان اهون علينا من نصرة هذا العبد وحماه لنا فقال عمارة يا ابن عمي وحق ذمة العرب وشهر رجب انني كلما سمعت احدًا يصيح به يا حامية عبس يتفتت كبدي ويذوب جسدي واقول في نفسي لعن الله كل قبيلة تريد من اولاد الامة حمى كل هذا جرى وقيس مطرق الى الارض لا يرد جوابًا ولا يبدي خطابًا بل كان مفتكرًا في هذه الاسباب ولما اشتهر الامر وسمع كلام زيد وعمرو رفع راسه وهو ينشد ويقول

الى كم اذلُّ وكم اصبرُ	واكتم غير الذي اظهرُ
واحتمل الذلَّ من اسودٍ	هجين بلا نسب يذكرُ
هجينٌ بنينا لهُ رتبةً	يدُ البدر من دونها تقصرُ
يقابلنا بقبيح الفعالِ	وهذا من العبد لا يكثرُ
ايا ابن زبيبة خلِّ اللجاج	فذنب الخصومة لا يغفر

انا موت عندي يا قيس [illegible]

ومني الذي مكة بيتة　　واياك الخمش [illegible] المصرُ

افلم تدع عنك هذا اللجاج　　وتستر ما مثله يستُرُ

والا اتيتك في عزمةٍ　　بذلٌ طبيبها قيصرُ

قال الراوي فلما فرغ الملك قيس من هذه الابيات استشار عمومته ومن كان حوله فيما يفعل فقال الربيع الصواب يا قيس انك ترسل الى عنترة وتطلب منه عبدك فان اعطاك وانفذه اليك والا فاقبض عليه وعليه وانفوه من ارضك وابعده ونحن غلف كلنا بني ارحى شوامخ الجبال لا نرجع عن طلبه ولو مالت علينا الجبال في صور الرجال فعند ذلك التفت قيس الى ابن عمه قرواش بن هاني وقال له امض يا ابن العم الى هذا العبد الولد الزنا واخبره بما قد جرى على قلبي من فعاله وقل له هوذا الربيع وسادات العشيرة لم يجيروا هذا العبد الولد الحرام فكيف ينفرد وحده بالذمام فتعلم قبائل العربان اني عنده ذليل مهان فلا تعود يا قرواش الا والعبد معك والا وحق من سطح المهاد ورفع السبع الشداد وضعت السيف في كل بني قراد وتركتهم شماتة للاعادي والحساد فعندها سار قرواش بن هاني الى ابيات عنترة وكان هذا رجلاً عاقلاً لبيباً فحدث عنترة بجميع ما جرى وكان وقال في اخر الكلام والان يا ابا الفوارس لا تقدر تقطع هذه الفتنة الا بتسليم هذا العبد لان ذنبه عظيم وايضاً اخبرك ان عند ابن عمي قيس من لا يخفي نارهُ تخمد والصواب ان تخرجه من ابياتك الحالة والفدفد ونقطع هذه الفتنة فلا تجدد ولا تشمت بنا كل احد . ثم ان قرواش انشده الشعر الذي انشده الملك قيس حتى يعلم عنترة بما في قلب قيس من الغيظ والغضب وكان قرواش من محبته لعنترة جعل في كلامه له تقريباً وتبعيد وظن انه يبلغ بلين كلامه ما يشتهي ويريد فقال عنترة والله يا قرواش ان هذا الامر لا يكون ابدا ولو شربت كاسات الردى ولا اترك بني زياد يشمتون بي مع جملة الاعدا وانا لا اعطي لرجل خائف ذمامي واملا جوفه من طعامي ثم اسلمه الى من يقتله امامي وها انتم قد سميتموني بحامية عبس ومزيل التعس والنكس فان لم احم خائفكم واضرب بالسيف من يخالفكم فاية حماية تكون حمايتي لكم مع ان اشعاري قد شاعت في سائر العرب من بعد منها ومن اقترب وقد ذكرت فيها بان جاري يبيت في غاية الامان وجار غيري لا يبرح فزعان وقد انشدت حينما كنت في بني غطفان هذه الابيات

ملاتُ الارض خوفًا من حسامي　　فضل الناس في قال وقيلِ

وجاري لا يزال قرير عين　　بجمع في الورى جار الذليلِ

والان فمن قد شاهدت عنه مثل هذه الابيات والنظام وقد بقي لنفسه مجد امرئ سكن واعوام مهدمة بتهديد قيس وهذر الكلام ويسطو عيبًا قد اجاره واعطاه الذمام لاسيما وابن عمه وابيه قد عيرني في شعره والنظام بالعبودية التي خلقني فيها الملك العلام وقد ذكر شيئًا قد مضى عليه الزمان وعبر وقال ايضًا الله يأتيني بعزمة يذل لها قيصر ترى أما يستحي ان يتكلم بمثل هذا الكلام فضلاً عاليه في هلمته من الاعوام ولكن وحق من اوسع البر وورق الذر وتعالى عن المكان المستقر لاحفظت ذمامي ولو رايت شخص الموت يلوح امامي والان يافرواش المراد منك ان تسير الى عند ابن عمك قيس وتنقل عني جواب شعره حتى لا يظن ان لساني قد انعجم من التهديد او ان جناني خاف من الوعد والوعيد وانشد

ايا قيس لا تشمت الحاسدين ... وتجعلنا مثلاً يذكرُ
ولا تصدع الشمل يا ابن الكرام ... فصدع الزجاجة لا يجبرُ
ولا تسمع القول من حاسدٍ ... فاني على الذل لا اصبرُ
حلفت وديني حفظ الذمام ... وفي القبر امسي ولا اكفرُ
وكيف التذّ بطعم الكرى ... وجارسيه له مقلةٌ تسهرُ
ايا قيس لا تنس ما قد مضى ... ولا ينقض الاول الاخرُ
لقد فاق فضلي جميع الملا ... وعندي شهودٌ لمن ينكرُ
بنيت لكم سيف العلى معزلاً ... يقصر من دونه قيصرُ
وكم نار حربٍ لكم اوقدت ... وباتت بسمر القنا تسعرُ
فلما دنا منكمُ حرها ... طفاها واخمدها عنترُ
فعدوا فعالي وافعالكم ... ولا تجحدوا من له الاكثرُ
على ان عتبي لكم ضائعٌ ... ومن ضيع العتب لا يشكرُ

قال الراوي ثم غلب الغم على فؤاده وانقطع بعد هذا الشعر كلامه واقتصر في الرسالة وضجر من الاطالة وبلغ فرواش هذا الجواب بعد اذ قال له يافرواش لا يضيق صدرك فوحق ذمة العرب وشهر رجب لو ان نفسي تطاوعني على فسخ الذمام لما عاد العبد الامعك من هذا المقام ولكن والله لا فعلت ذلك ابدا ولو سقيت كاسات الردى ولا تركت العرب تقول عني عبد مفسوخ الذمام فلما سمع فرواش من عنترة هذا الكلام عذره وعاد الى قيس بالجواب ولم يزل سائرًا الى ان وصل الى قيس فوجده بين ضياء النهار وظلام الغسق مما ملأ قلبه الربيع من الحسد والحنق

[illegible] الاصمعي ولما [illegible] يا ابن [illegible] الكلام والله يا ابن العم ما الرجل الا شديد الجنان صبراً على حفظ الذمام [illegible] ولا يلتفت الى الزمان ولا يبالي به اذا جار فقال الربيع يا قرواش اذا كان هو بهذه [illegible] لا يغفلون عن عبيدهم واموالهم ولا يسمعون مقالة ويتركون مقالهم فما اتم الربيع [illegible] وثب قيس وثبة الاسد الضرغام وخرج الى اذيال الخيام وكانت جواده واقفة بايدي العبيد بين الخيام فركب صهوتة وسل بيده الحسام وركض بين [illegible] ابيات عنترة الاسد المهابه وقد عصفت في راسه نخوة الاعراب فلما راى اعمامه واخوته فعاله خافوا عليه من عنترة واقامة الفتنة بينهم ونزول المحن عليهم فتواثبوا الى خيولهم ولحقوه ودخلوا على افعاله لامره وقال له عمه اسيد ما تريد ان تفعل ياقيس اتريد ان تشمت بنا الاعدا ولا تبقي من القبيلة احدا اما تعلم ان لعنترة من المحبين اكثر مما له من المبغضين فقال لا اريد الا ان اشفي فوادي منه بهذا السيف ولا ابالي به ولا بمن معه فقال اسيد يا ابن اخي اذا اردت ذلك فانا ابلغك اياه بوجه لايعقبنا في ندم ولا يسيل من العشيرة محجم دم وانا اشرح لك ذلك متى خمدت نارك وقر قرارك

ثم ان اسيداً انفرد بقيس على ناحية من الخيام وقال له ياقيس ان هذا الجهل الذي قد صوره لك الغيظ لايسعك لانك ان وصلت الى ابيات عنترة وانت على هذه الحالة تمك كل من في الحلة خيالة ورجالة وليعنفك محبو عنترة بالملام وربما مانع عنترة عن نفسه وجرد في وجهك الحسام وساواك وقت الفتنة في الخصام فيخرق ناموس الملك الذي تعيش به بين الانام لاسيما وله اليوم مثل اخيه مازن وولده ميسرة الذين تعرفهم في الحرب مثل النار المسعرة والصواب انك ترجع بناموسك وتدع انا نحن ندبر امرك لانني استصوب ان نصبر الى ان يقبل الظلام وتخمد نيران الحي وتنغل الناس في المنام فاسير بنفسي ومعي بعض اخوتي وحولنا جماعة من العبيد الذي نعتمد عليهم في كل صعب شديد ونسير رجالة بلا حس ولا جلبه ونهجم عليه في مضربه ونقبض عليه وهو نائم ونسوقه بين ايدينا البايك سوق البهائم وتبلغ المراد منه فاما ان نقتله واما ان تعتقه فقال قيس انا لا اريد الا قتله لانني نفيته الف مرة وطردته الف كرة ويرجع الدهر يحوجني اليه وفي هذه النوبة اذا اهلكته واصابني بعده مصيبة لا يبقى يراني ولا يشمت بي فقال اسيد يا ابن اخي اي المصيبة تحل بك ونحن انصارك واعوانك ثم ان اسيداً طيب قلبه بالميعاد واخمد نار غيظه وعاد وهو لا يبصر ما بين يديه

قال الراوي وكان اسيد من بني عبس وما فعل هذا الفعل الا من اجله لانه كان يحب شعره وفروسيته و يناظر الشعراء بالمفاخرة فلما رأى اسيد ان قيسًا عاد الى المضرب وقد صرف من كان قد اجتمع من الفرسان وسادات العرب انفذ الى عنترة بعض عبيده يخبره بجميع ما قد جرى وهو يقول له يا ابن العم اوسع في الصحراء لان ابن اخي قد زاد في الجهل حده وايضًا عنده من يزيده منك نفارًا وقد عولنا يا ابا الفوارس ان نكبسك هذه الليلة في الخيام اذا هجم الظلام وتثير الفتنة وتفسخ الذمام وانا اعلم يا ابا الفوارس انك لا تغلب ولكن يتشتت شمل العشيرة بهذا السبب والصواب انك ترحل وانت كريم وتترك الذل في حاسدك يقيم فالكل وحقك يحتاجونك اذا نزلت بهم المصائب و ينادون باسمك اذا المت بهم النوائب . قال الراوي وكان عنترة بعد ما مضى قرواش من عنده بجواب الرسالة احضر اباه واعمامه واخاه وولده وعروة وخواص رجاله وقال لهم يا بني عمي انا اعلم ان قيسًا ما بقي يجاورني ولا بد له ان يطلب قتلي او يطردني وانا قد رأيت ان ارحل عنه قبل الطرد واحلف انني لا اعود اجاوره ابدا ولو نهبتني سيوف العدا فقالوا كلهم يا ابا الفوارس والله هذا الحساب الذي حسبته نحن حسبناه وكلما قد ذكرته نحن عرفناه وقد عرفنا ان من اقام بعد رحيلك عاش ذليلاً كئيبًا وقضى حزينًا غريبًا فقل لنا الى اي الجهات تريد الرحيل وعول بنا ما دمنا قادرين على التحويل فقال عنترة والله يا بني الاعمام قد عولت ان امضي من ارض الحجاز واقارب بلاد الشام واتخذ لي في رتبائه مقام واجعل غاراتي على تلك الديار والاكام واقيم منفردًا في تلك القفار ولا اجاور جارًا الا انني قد ضجرت من عمل جميل يضيع واصلح حالي مع قومي ويفسده الربيع وفيما هو يتكلم واذا بالعبد الذي ارسله اسيد عم قيس قد وصل واخبره بما ذكر مولاه وعرفه بالحديث الذي ذكرناه فشكروا العبد واعادوه الى مولاه بالمدح والثناء الجميل بعد ما انفذوا الى عبيدهم التي في المراعي ان يسوقوا اماهم الى جهة بلاد الشام هذا وعنترة امر بشد الهوادج للعيال واخذت الرجال في التاهب للارتحال

قال الراوي وما امسى المسا الا والقوم على ظهور الجمال وساروا بالجياد تحت اذيال الدجى ولم يعلم بهم احد لان فرق بني عبس كانت متباعدة عن بعضها البعض لاجل سعة المرعى وكان الذين رحلوا مع عنترة خمسمائة بيت وهم فريق آل قراد وصعاليك عنترة وعروة ورجالة الامجاد

قال الراوي وكنا ذكرنا في ما تقدم ان فريق آل قراد كانوا ثلاثمائة فارس ورجال عروة مائة فارس وانضم الى عنترة من محبيه وصعاليك الحي الذي يعيشون من افضاله مائة

فارس هذا وقد ساروا وتبطنوا البر وقد غاص بهم شيبوب في فلوات القفر وكان الملك قيس قد صرف باقي النهار بالهم والافتكار وما صدق بقدوم الليل والاعتكار فلما هجم الدجى وخمدت النيران ونام كل يقظان استدعى قيس بعمه وطالبه بما وعده من كبس عنترة وقبضه فقال اسيد والله يا ابن اخي ما امسى للرجل في الديار اثار بل اخذ كلما يتعلق به وسار لانه قد حسب هذا الحساب الذي حسبناه وقرأ الكتاب الذي كتبناه وقد اخبرني الذي عرفني بمسيره انه قدم الظعن والمال بين يديه وقد سير الجميع مع شيبوب ومائة فارس وتاخر هو وابوه شداد وعروة بن الورد واخوه مازن وولده ميسرة وتمام الاربعمائة فارس الذين يعتمد عليهم وقال لهم اعلموا يا بني الاعمام انني قد عولت على ان اهجر بني عبس ولا ارجع اجاورهم ما دامت القمر والشمس وقد عولت في هذه الليلة على ان اترك كل من تبعنا منهم طريح الثرى لان الظلام يستر الهارب في الفلاه ويساوي بين العبد ومولاه ولا يقع علينا عتب ولا لوم والمراد يا بني عمي انكم تبذلون ايديكم بطعن القنا وابلوا العدى بالذل والعنا واول من يذل سيفه فيهم انا واعلم يا قيس انني كنت عولت على اتباعه بفرسان العشيرة الى ان سمعت هذا الحديث فرأيت القعود عنه غاية الصواب وقلت هذا ليل وغريمنا عبد لا نسيما انه عاشق ومحبوبته بين يديه مع جملة النسا فوالله لا يلحقه الا من يكون اجله قد دنا وعمره قد وقع فيه الفنا فدعه يمضي الى حيث لا يرجع ولا يبصر ولا يسمع

قال الراوي واما الربيع بن زياد فلما سمع برحيل عنترة وبني قراد انفذ عبيده في اثرهم وقال لهم اذهبوا وانظروا على من ينزلون من العرب وعودوا واخبروني بذلك السبب حتى اعمل على تكدير عيشهم وقلع اثرهم فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من الامير عنترة فانه ظل سائرًا وهو عن هذه الامور غافل لان قلبه كان من شدة الغبن مكسورًا وقد سار ونبطان البراري والقفار واوصل سير الليل بسير النهار حتى وصل الى ارض تيماء وتلك الاقطار فاشار عليه شيبوب ان ينزل في ارض بني خويلد وهي براري مقفرة وبوادي دارسة الاثار لا يعرف الدليل فيها مذهب ولا يسلكها احد من جاهلية العرب الا ان يكون فزعًا خائف او جاهلاً غير عارف فنزل القوم فيها وجعلوها لهم مقامًا وضربوا المضارب والخيام وسرحوا جمالهم والانعام وكان الوحش من حولهم امنًا فروّعوه وقصدوه بالصيد فافنوه وصارت تعبر عليهم قوافل التجار من ارض الشام وهم يشترون منهم المدام بالنوق والاغنام ويصرفون الاوقات باللهو والمسرات حتى سلوا الاوطان وطاب لهم المكان وراهم عنترة وقد اسرفوا في شرب الخمر لاجل كثرته فخاف عليهم من عدوّ يدخل عليهم في ذلك البر الخراب اوناتيهم

الاسباب بما لم يكن في الحساب فصار عنترة يفرض للحرس منهم جماعة ينتخبهم من اهل الشجاعة ويمنعهم ليلة نوبتهم من الشراب ويكلفهم حفظ العشيرة مع ما لها من الاسباب واذا كانت نوبته يتولى الحرس وحده احترازاً من نوائب الدنيا انما اذا نزل القضاء من السما ترك البصير اعمى . قال الاصمعي وفي بعض الليالي اتفق نوبة اخيه مازن وولده ميسرة في الحرس فتوليا ذلك من اول الليل واخذا في الدوران على ظهور الخيل حتى مضى بعض الظلام ولعبت بالقوم نشوة المدام واستولى عليهم سلطان المنام وكان مازن قد اكثر من رشف المدام فغلب عليه السهر فنام وهو على ظهر جواده وغرق في بحر الكرى ثم افاق فوجد ان ابن اخيه ميسرة قد خلا بنفسه واوسع في البر والآكام وهو ينظر الى المضارب والخيام ويتاوه من فواد مقروح من الوجد والغرام فكان يرفع راسه الى السما وينظر الى الكواكب وهو يبكي بدموع سواكب وينشد ويقول

نم هنيئاً يامن سلبتَ رقادي	قد بلغتَ المنى فطال سهادي
ذي جفوني مقرّحاتٌ وقلبي	تائهٌ لا يرى طريقَ الرشادِ
حادثاتُ الزمانِ قد عاندتني	وابي كان اصل هذا العناد
وتعدى عليّ في اخذ اسما	حبها بغيتي واقصى مرادي
عشقها مذهبي وقد ذلّ قلبي	مذهبُ العشقِ سيرتي واعتمادي
ياعذولي دعني اهيم بوجدي	وغرامي في كل شعبٍ ووادِ
واذا نسال الحواسد عنى	فاخف امري عن مسمع الحساد

قال الراوي فلما سمع مازن شعر ابن اخيه طار من عينيه المنام وحرك جواده نحوه وكان يحبه محبة عظيمة لاجل ادبه وعقله وكرمه وشجاعته فتقدم اليه وقال له ويلك ياميسرة وهل لا تزال نيران الجوى في قلبك من هوى اسما مسعرة فوالله لقد انكرت تقصيرك عند الطعام والشراب واطراقك الى الارض بين الشباب فوحق ذمة العرب لقد اتعبت خاطرك واسهرت ناظرك في امر فات وانقضى ونفذ فيه الامر ومضى والراي عندي انك تسلو اسما وتنظر لنفسك غيرها ولا تطمع فيما لا تقدر عليه وتمدّ يدك الى البدر ولا تصل اليه فقال ميسرة والله ياعماه لولا خوفي من ابي عنترة لكنت خلصتها ولو انها في قلب الحجر او في حوزة الملك قيصر وقاتلت البدو والحضر واما قولك اسلوها فهذا شيء ما هو بيدي ولا انا مالك قلبي وكيف اسلو من ربيت انا واياها في مكان واحد وقاسيت من اجلها الاهوال والشدائد ومن اجلي هرب ابوها الى هذه الارض ومعانيها وانصرها مجيد وهويها وساعده ابي عليها

حتى ملكها له قهرا بعد ما جرى له معها ما جرى والان فما انت الا ميت بين الاحياء لاني تارة اقول اعود الى وطني لعلي اذا بعدت عنها تخمد ناري وتارة اقول اني اهيم على وجهي في الصحرا كما فعل المتيمون اهل الهوى والان اقول اذا زاد بي الهوى والغرام اقتل مجيد واخذ اسما واسير في البر والاكام واقصد بلادي وتلك الخيام

قال الراوي ثم ان ميسرة بكى واشتكى وتساقطت دموعه وباح بالجوى فاشار يقول

أيحظى بوصل الحبّ غيري عنوةً ... ويصبح جذلانًا من الهمّ خاليا
وامسي انا فوق الجواد مسهّدًا ... كئيبًا سمير النجم أحيي اللياليا
فلولا اني قصّرتُ بالسيف عمرهُ ... واعملتُ فيه الذابلاتِ العواليا

قال الراوي فلما سمع مازن جابلة مقاله رثى لحاله وتالم لبلواه ورق له وبكى لبكاه وعصفت في راسه نخوة الجاهلية لانه كان يقارب ميسرة في العمر وكان قد ذاق ايضا مرارة العشق والغرام فقال له يا ابن اخي طب نفسا وقر عينا فوحق ذمة العرب لاخذلن اياك واعينك على هواك حتى تبلغ مناك ولكن اسالك اذا اتيتك باسما الى اين تذهب بها فقال ميسرة أسير الى بعض احياء العرب فقال مازن انا اعلم ان اباك لا يتركك اذا عينا بل انه يتبعك وياخذها قهرا ولو كنت في حجر كسرى ويقلع اثار القوم الذي تنزل عليهم ويبددهم على الثرى ولكن الراي عندي ان اتي بها اليك ونسير الى ارض الشام ونتخذ لنا هناك منزلاً ومقامًا ولا نرجع الى عند ابيك حتى يحلف لنا انه لا يعود فيعارضك فيها فقال ميسرة ياعماه انا سمعت ان لابي اعداء في بلاد الشام يقال لهم بنو فزارة ولهم عليه دماء كثيرة فكيف يكون حالنا معهم فقال مازن هذا امر لا نبالي به من وجهين احدهما ان القوم لا يعرفوننا والثاني اننا لما نحضر قدام الحارث ملك الشام في ميدان الحرب والطعان ونقهر فرسان بني غسان يعرف منزلتنا عند الفرسان فيترك لنا كافة واقطاعات ومجالس في الديوان

قال محمد بن هشام فلما سمع ميسرة من عمه ذلك الكلام زاد به الطمع واخذت عينه من شدة المحبة تدمع فقال له ياعم بعد هذا الكلام لا ياخذني منام وان لم اجتمع باسما قبل طلوع الفجر هلكت من الغرام فقال مازن وحق ذمة العرب عند الصباح تكون عندك ولا يمضي الظلام الا وهي في حكمك ولكن هيا بنا الى مضارب مجيد حتى اريك ما افعل من المعالي فقم بنا نغتنم الفرصة لان اباك واهل الحي سكارى من المدام ونحن على كل حال ما لنا عندهم مال ولا عيال ثم انهما سارا طالبين ابيات مجيد بن مالك وكانت على رابية عالية فلما بلغوها نزلوا عن ظهور الخيول وتقدم مازن وقطع اطناب الخيمة ودخل فوجد مجيدًا غارقا في بحر

المنام واسما نائمة بجانبه فوضع مازن يده الواحدة تحتها والثانية على فمها واخذها وخرج فتلقاه ميسرة واخذها منه وجعل يقبل خدودها ويهرول الى ان وصل الى جواده فركب واردفها وراءه واركض جواده في تلك الفلاه وهو لا يصدق بما راه وقد تبعه مازن ركضاً في الظلام على طريق بلاد الشام وما اصبحوا الا في مكان بعيد

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من مجيد فانه انتبه من منامه وطلب اسما فما وجدها فجاء الى باب المضرب وسال عنها المولدات فقلنَ والله يامولاي ماعندنا منها خبر فقال لهنّ اذهبنَ الى ابيها وامها وانظرن في امرها فذهبت العبيد واتوا وقالوا له اعلم ان اهلها من مدة ثلاثة ايام ما راوها فحار مجيد في قصته وتعجب من امر زوجته ثم اتى ابوها واخوها وسالاه عنها فقال لها لا اعلم ولا ادري ما جرى عليها ثم انهم ساروا الى عنترة واطلعوه على هذا الخبر الذي جرى وتدبر فتعجب عنتر واخذه من ذلك الفكر وقال احضروا لي ولدي ميسرة واخي مازن حتى نسالهم عن هذا الامر المهول الذي يحير العقول لانهما كانا البارحة حارسين الظعن والمال في هذه الطاول فساروا في طلب الاثنين فما وقعوا لهما على خبر ولا راوا لهما جلية اثر فعادوا واعلموا ابا الفوارس عنتر فلما سمع عنترة هذا الخبر زاد قلقه وتحير وغاب عن الوجود وكثر بين الناس القيل والقال واختلفت بينهم الاقوال فقال شيبوب يا ابن الام لاتسمع لاحد مقال واعلم ان الجارية ما اخذها الا ولدك ميسرة لانك تعلم ما في قلبه منها وما قاسى من اجلها ولولا حياؤه منك وهيبتك لما كان صبر الى الان عنها وانا اقول انه البارحة شكا حاله الى اخيك مازن وساله في معونته فرحمه وساعده فدخل واخذ له اسما من الخبا وسارا بها الى بلاد الشام قال شداد والله ياشيبوب لقد صدقت في هذا الكلام وحذرت حذر ارباب الافهام فقال عنترة اذا كان الامر على ذلك فنحن نركب الخيل ونجد خلفهم النهار والليل ثم التفت الى عروة وقال له هيا يا ابن العم اركب في رجالك حتى نبادر الفرصة قبل الفوات فقال شداد الى اي مكان تسير ياولدي بالرجال ونترك الحريم والعيال فوالله ما هذا الا بئس التدبير وعدم خبرة في الامور لاسيما اذا احتجبت في طلبهم وطالت القضية فتكون قد طلبت الاقل وضيعت الاكثر وخاطرت باموالنا والحريم غاية الخطر فلما سمع عنترة ذلك الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام وقال فكيف اترك اخي وولدي يخرجان من تحت يدي قال شداد لا يابني نحن لانتركهم يخرجون من تحت يدك بل نشير عليك ان ترسل الحريم الى بني غطفان مع مائة فارس اعيان ونسير نحن في باقي الفرسان ولا نعود الا ببلوغ المرام فاستصوبوا رايه وسيروا النسا والعيال الى بني غطفان وساروا يطلبون بلاد الشام

باربعمائة وخمسين فارساً همام ولم يزالوا سائرين يقطعون القفار حتى وصلوا الى الرصيف وكان هذا الرصيف بين جبلين في وادٍ ضيق حرج وفيهِ كهوف ومغائر تذهل النواظر فدخلوا الوادي وقد اخذهم الحر والهجير

قال الراوي فبينما هم على تلك الحال واذا بالصيحات اخذتهم من اعلى الجبال ونزلت عليهم الصخور والاحجار مثل الغيث المطال وطلع عليهم الف فارس ابطال وهم ينادون يا لعيسى ومريم والصليب المعظم فانذهل بنو قراد من ذلك الحال هذا وقد اشتد عليهم وقع الصخور والاحجار مثل السيل اذا سال فوقع فيهم الارتباك وبعضهم وقع من على الخيول الجياد ثم هزوا الرماح المداد وكثر عليهم الصياح وصاروا يطلبون الاستتار بالمغاير والكهوف فراوا على ابوابها رجالاً وقوف وفي ايديهم الرماح والسيوف فلما قاربوهم صاحوا في وجوههم وضربوهم وعن الاستتار بالمغائر منعوهم وانهالت عليهم الاحجار والصخور الكبار من كل جانب فايقنوا بالهلاك والمعاطب وعميت عيونهم من رش التراب وذاقوا مرارات العذاب وكثر عليهم الغبار والضباب فبينما كان عنترة يمانع عن حاله وقد قتل من القوم نحو خمسين فارساً وهو يدافع عن نفسهِ ويمانع واذا بحجر قد اتاه بين اكتافهِ مثل حجر المنجنيق فسقط على وجههِ وكذلك ابوه واعمامهُ وعروة ورجالهُ وما امسى المسا وفي القوم من يدرك الصباح من المسا

قال الاصمعي وبينما هم على تلك الحال واذا برجل شيخ من اعلى الجبال ينادي يا عباد المسيح شدوا السالمين كتافاً وكان المنادي سنان ابن ابي حارثة وكان السبب في ذلك انهُ لما رحل عنترة انفذ الربيع بن زياد عبيده خلفهُ حتى يعلموه اية طريق يسلكها فسار العبيد وعادوا واخبروه ان عنترة سار على طريق الشام فعند ذلك انفذ الربيع الى سنان واخبره بذلك ثم بعث يقول لهُ الآن قد صح عذركم عندنا من ان رحيلكم لارض الشام كان من اجل عنترة فهوذا قد طرده الملك قيس واراق دمهُ وقد امر بهلاكهِ

قال الراوي فلما وصلت هذه الرسالة الى سنان دخل على الحارث الوهاب واخبره بالقصة التي جرت في بني عبس الانجاب فلما سمع هذا الخطاب فرح بتلك الاسباب وقال لسنان خذ من العرب الفي فارس ومن الافرنج مثلهم ودبر برايك السديد على قتل عنترة بن شداد وبني عبس الاوغاد فتجهز سنان وسار وجد المسير في الليل والنهار حتى توسط القفار وقارب المضيق ونزل بالقوم للراحة في ذلك المكان واذا بمازن وميسره قد اقبلا في تلك الفلاه فقال لفرسان بني غسان اتوني بهذين الفارسين لاسالهما عن حالهما واخذ اخبار عنترة منهما فعندها تجردت الابطال رجالة وفرسان وداروا بهما من كل مكان ثم قالا لهما اجيبا

شيخ الشام وصاحب الراي والاحكام وابشرا بالخلع والانعام فسار ميسرة ومازن وقد طابت قلوبهما بذلك الكلام فلما حضرا قدام سنان استعظما امره وترجلا له وسلما عليه فرد عليهما السلام وقال لهما ياوجوه العرب من اي الناس انتما والى اين قصدكما ومن اين اتيتما فقال مازن ايها الامير نحن من ارض اليمن قد غضبنا على قومنا واتينا الان نطلب منكم المقام في بلاد الشام فقال سنان وهذه الجارية ما بالها باكية متحسرة لانني ارى انكما سبيتماها وكانت اسما من حين فارقت مجيداً اما نشفت لها دمعة وقد ألمها السفر وكثرة البكاء والانين والاشتكاء فرآها سنان على تلك الحالة وعلم انها مسبية الا ان مازناً رد سواله وقال ايها الامير هذه بنت عم هذا الغلام واشار الى ميسرة واما اسما فلما سمعت ذلك الكلام ظنت انها تنال الفرج بمساعدة اولئك الفرسان فصاحت يا سيد العرب لاتصدق كلام هذا الرجل لانه كذب ومحال وانا مسبية مظلومة اخذوني من مضربي وافقدوني امي وابي واعلم ياسيدي ان هذين الفارسين من بني عبس وعدنان واحدهما اخو عنترة والثاني ولده واعلم يامولاي اني انا زوجة مجيد بن مالك اخي الملك قيس ثم انها حدثت سنان بجميع ما جرى لها من الاول الى الاخر فلما سمع سنان هذا الكلام اخذه الفرح والابتسام ثم نادى باللعرب فوحق المسيح لقد بلغنا المنى والارب وزال عنا العنا والتعب ثم انه صاح بالرجال الذين حوله وقال اقبضوا على هذين وشدوهما كتافاً واما اسما فانه طيب قلبها ووعدها ان يجمع شملها باهلها وبعلها ثم رحل من وقته وساعته والبر لا يسعه من شدة الفرح هذا وقد سارت بنو فزارة وهم يقولون لسنان يامولاي متى ظفرنا بعنترة بن شداد ونهبناه باسنة الرماح المداد وشددناه مع اخيه وولده علمنا اننا بلغنا المقصود والمراد ونكد الاعادي والحساد فقال سنان يابني عمي انا قد بلغني ان عنترة قدم هذه الارض ومعه خمسمائة فارس وانتم تعرفون انهم جمرة العرب واخاف اذا لقيته وطلبت حربه ان يفنينا حتى اننا لو ظفرنا به فلا بد ان يهلك منا من يعزّ فقده على قلب سيد بني غسان ويقع من اجل ذلك لوم وعتاب وانا قد رايت من الصواب اننا نكمن في الرصيف الذي قدامنا ونقيم على روءوس الجبال في انتظاره لانني اعلم انه ما يقعد عن هذه الجارية لان زوجها مجيداً ابن مالك اعزّ الناس عليه ولا بد له من اتباع اخيه وولده ولو اتى وحده فان تم ذلك امهلناه حتى يتوسط المضيق ونرميه بحجارة كالمجنيق ثم نعفر وجهه في التراب وننال منه ما نريد من غير حرب ولا ضراب والاسرنا اليه ودبرنا على محو اثره واعفاء رسمه . قال الاصمعي ولما سمعت فرسان بني فزارة وغسان هذا الكلام نزل في قلوبهم ابرد من الماء الزلال على كبد العطشان لانهم كانوا خائفين من عنترة لما وقع في قلوبهم من اخباره ثم

قالوا لسنان وحق ذمة العرب لقد دبرت تدبيراً لم يسبقك اليه احد من اهل الرتب ولقد نجم جيش تكون انت عليه مقدماً

قال الراوي ثم انهم ساروا الى ان وصلوا الى المضيق المقدم ذكره فانقسموا الى فرقتين وطلعوا الى روس الجبال وقد تركوا خيولهم مع طائفة منهم ومن عظم مكرسنان رتب الافرنج في اسفل الوادي بالدرق والسيوف واوقفهم على باب المغائر والكهوف حتى لا يختفي عنترة ورجالة فيها ووافق القضاء والقدر هذا التدبير وتمت الامور والمقادير وجرى من القصة ما جرى وتم على عنترة واصحابه ما قد تم وطرا وصاح سنان من روءوس الجبال على الافرنج وامرهم بشد السالمين بعد ان منع الرجال من رمي الحجارة والتراب لانهم كانوا قد عولوا ان يطموهم بالحجارة في ذلك المكان ويذيقوهم العذاب الوانا وكان قد هلك من رجال عروة خمسون فارساً ومن فرسان بني قراد عشرة

قال الراوي وكان السالمون كلهم مشرفين على الهلاك واما عنترة فانه غاب عن الوجود من صخرة عظيمة سقطت على كتفيه فاخذه الافرنج فرحين بعد ان اوثقوه ونزل سنان بن ابي حارثة وحوله جمع كثير من بني فزارة وغسان فشدوا الجميع على خيولهم عرضا وخرجوا من المضيق وقد بلغوا ماموهم بالتوفيق وعادوا طالبين بلاد الشام وهم يتعللون بالخلع والانعام

قال الراوي وكان قد سلم من اصحاب عنترة فارسان لانهما كانا في الاخير فلما دخلا المضيق وعلما بهذه الحال وسمعا الصياح من روس الجبال عادا على الاعقاب وجدا في المسير وطلبا بني عبس ولم يزالا سائرين الى ان وصلا اليهم وكانت النسوان قد وصلت الى حي بني غطفان ونزلت على المطال ابن اخت عنترة الهمام كما امرهم الامير شداد فما نزلوا وقر بهم القرار حتى وصل الفارسان بتلك الاخبار اما النساء فاقمن المأتم والنواح في كل مساء وصباح وبلغ الخبر الربيع ابن زياد واخوته الاوغاد ففرحوا غاية الفرح وعملوا الدعوات والافراح ودارت عليهم اقداح الراح وما زالوا كذلك حتى عاد الملك قيس من ارض ذي قار من عند صهره الملك النعمان وهو كثير الهم والافتكار عاتبا على زمانه الغدار لانه يئس من صهره الملك النعمان ولما استقر بقيس القرار واخبره الربيع بهذه الاخبار زادت همومه وقال والله لقد زالت عنا السعادة ورمينا بسهم الارادة لان صهرنا الملك النعمان قد اصبح مشتتاً في البر والصحرا وجرى له مع كسرى ما جرى والان ما هو الا على خطر عظيم لان خصمه كسرى ملك العجم وانا اعلم ان كسرى لا يقر له قرار ولا يسكت عن ثار ولده شيرسان حتى يقطع من النعمان الاثار وهذا حامينا عنترة قد لا يسلم بعد اذ وقع في قبضة ملك الشام

لان في قلبهِ منهُ اعظم مصيبة واكبر حقدٍ وبلية وكذلك في قلب صاحبهِ الملك قيصر ملك الملة المسيحية وانا اعلم ان هذه القبيلة قد حان اوان تشتيتها وتفريقها فقال اسيد ياقيس حيث علمت ان عنترة حامية العشيرة فلمَ خنت ذمامهُ لما اجار عبدك ولاي شي طردتهُ فقال قيس ياعماه ما فعلت تلك الفعال الا لاني كنت متشدداً بصهري الملك النعمان فلو كنت علمت ان ملكهُ قد زال لما كنت فعلت بعنترة هذه الفعال وانا منذ الان اشهدك على نفسي ياعماه على اني ما بقيت اعمل مع عنترة شيئاً من هذه الاعمال وحبًا بك ياعماه لا التذ بمقام ولا بطعام حتى يلتئم شمل العشيرة على التمام ثم ان قيساً حرم على نفسهِ شراب الراح واللذات والافراح وصار يقضي نهاره بالحسرات ويتنسم الاخبار من سائر الجهات الى ان كان ذات يوم وهو جالس وعنده اخوتهُ واعمامهُ وسائر عشيرتهِ يتحدثون بحديث الامير عنترة واذا برجل اعرابي قد اقبل من صدر البر وهو راكبٌ على ناقة مهرية اسبق من الرياح الغربية قاصداً اياهم فطلب مقدمهم فدلوه عليهِ فدخل بين الخيام والمضارب حتى اقترب اليهِ

قال الراوي ثم ان ذلك الاعرابي ترجل عن الناقة وتقدم الى امام الحاضرين وشق اثوابهُ وابدى بكاه وانتحابه ونادى الثار الثار يابني عبس وعدنان وحذار حذار من غدرات الزمان البدار البدار الى عباد النار الاشرار واستيقظوا يابني عبس من سنة الرقاد واهجروا الحريم والاولاد وحرموا المواسم والاعياد وداوموا الحزن ولبس السواد فقد غابت شمس سعادتكم من دون العباد من البدو والحضر ومال علم عزكم وانكسر وهلك من كنتم تلتجئون اليهِ من دون البشر فاطلبوا ثاركم من ابناء الاعجام وتاهبوا لطعن القنا وضرب الصوارم ولا تسمعوا عتب عاتب ولا لوم لائم ثم ان الاعرابي بكى وأنَّ واشتكى واشار يقول

يابني عبسَ جارَ صرفُ الزمانِ وبغى واعتدى على النعمانِ
ورماه القضا بسهم حمامٍ نافذ في النفوس والابدانِ
كسفوا بالمحال شمس بني عبس وجاروا على بني عدنانِ
فاسعفوني على العدى بدموعٍ هاميات تجري من الاجفانِ
يا بني عبس لو نظرتم اليهِ وهو يهوي من ارفع الجدرانِ
كسف البدر حين كان تماماً واختفى بعد رمقهِ بالعيانِ
يابن ماء السماء قد هجر الغيث ديارًا فارقتها ذات انِ
كنت مثل الربيع تزهو بك الارض جميعًا ما بين قاصٍ ودانِ

كنتَ تاجَ العلا وبدرَ خراسان وشمسَ العراق والقيروان
اين ذاك السدادُ والامر والنهيُ على ملوكٍ هذا الزمان
يا سقى الله ارضَ ذي قارٍ غيثًا غادقِ القطرِ هاملِ الجريان
فهي كانت على الاعاجمِ نارًا اضرمت كونها بني شيبان
يا ابن ماء السماء ان غبتَ في الارض فذكراك دائمًا في اللسان
قاتلَ اللهُ من رماكَ قتيلاً وغدا في اظافرِ الغربان

قال الراوي فلما فرغ الاعرابي من شعره اخذ الملك قيس في البكاء والانتحاب وكذلك كل من كان حاضرًا من الاهل والاصحاب وارخوا العمائم في الرقاب وشقوا ما عليهم من الثياب وصار الملك قيس ينادي واصهراه واحسرتاه قد انقطعت شجرة الكرم وغابت شمس العرب والعجم وغاض بحر العطاء والكرم ثم انهُ قال للاعرابي لما تبينهُ وعرفهُ لانهُ كان عزيز الشان باوجه العرب وكيف قدر عليهِ كسرى عابد النيران و باي شيء خدعه وهل هاني بن مسعود سالم ام اهلكهُ معهُ فقال الاعرابي ما هاني الا سالم وقد تركتهُ خلفي قادمًا مع الحريم والعيال ومعهُ الامير حجار والملك الاسود وعمرو بن هند واختك المجردة واكابر بني كندة وبني لخم وجذام فاركب لملاقاة القوم واشكرهم على ما فعلوا باختك وحريم النعمان لانهم خلصوهنَّ من السبي والهوان

قال الراوي فركب الملك قيس واخوته وعشيرته والكل مشققون الثياب يضربون صدورهم كما تفعل النسوان ويضجون من كل ناحية ومكان وخرجت النساء والبنات الى لقاء المجردة حافيات منهتكات نادبات هذا وقد اقبل الامير هاني بن مسعود وحجار بن عامر واخوة النعمان ومن معهم من الفرسان فترجلوا وسلموا على بعضهم البعض وعلا منهم الصياح حتى اقلبوا جنبات الارض وشكر قيس هاني وحجار وسالهم عما صار فقصوا عليهِ جميع الاخبار واخذ بزمام اختهِ الى الابيات وهو يقول لها لقد رجعتِ بئس الرجعة وفجعتِ اية فجعة ليتكِ هلكتِ وسلم صهرنا النعمان ولكن هذا طبع الزمان وعاقبة النسوان

قال الاصمعي وكان السبب في قتل النعمان ذو الخمار لان الفرس لما انكسرت في ذي قار وتفرقوا في الاقطار بعد سماعهم باسم محمد المختار صاحب المعجزات والانوار وكان اشدهم حزنًا الوزير بزرجمهر وزير كسرى الاكبر لانهُ سار مع شيرسان حتى ياتي بالنعمان وما حسب نوائب الزمان فالتقوا بذي الخمار لاننا ذكرنا ان دريدًا طرده لاجل تجبره لانهُ كان اجهل العرب واعظمها شرًا ولما فارق دريد الاوطان سار يطلب النعمان يريد ان يدخل عليهِ

ويقيم بين يديه وسار على هذه النية حتى التقى بالفرس في تلك البلية وقد ضاقت بهم البيدا وكان معهُ سبعة فوارس من بني غز يه يقاربونهُ في الفروسية معودين على سبي الحريم ولقاء الغريم فقال لهم ابن يا ترى كانت هذه الخلايق التي ملأت المغارب والمشارق فلا بد لذلك من امر عجيب الشان ثم انهُ اعترض بعض العربان وقال لهُ يا وجه العرب من اين هذه العساكر واردة وما بالها شاردة هل انتم مع النعمان فقال لهُ المسؤول وابن النعمان لا انعم الله لهُ بال ولا كفاه شر المصائب والاهوال لان شومهُ قد عم العرب والعجم وجرى لنا معهُ وقعة ما جرى مثلها لمن تقدم من الامم واعاد عليهِ قصة ذي قار وان هاني بن مسعود بدون الثمانية الاف كسر العساكر والجنود ثم وصف لهُ شجاعتهُ وكيف قتل ابن كسرى بقوتهِ وبراعتهِ فلما سمع هذه الاخبار اخذه الحسد وغاب عن الوجود وبقي ساعة متكئًا على رمحهِ ثم افاق وقال لمن حوله من الرفاق يا بني الاعمام ماذا تقولون في هذا الكلام والله اني لا اصدقهُ ولا في المنام ايلقى فارس واحد بثمانية الاف كل هذا الجمع المتزايد اسالوا غيره ودعونا من هذره فتقدم واحد من اصحابهِ وسال فارسًا اخر مكشوف الراس مثخنًا بالجراح خاليًا من العدة والسلاح وقال تهنيك السلامة يا وجوه العرب فوالله لقد كانت نوبتكم عجب واما ان ثمانية الاف فعلت بكم هذه الفعال فهذا حديث لا يصدقهُ احد فقال الرجل والله ما الذى اخبركم الا كذب بحالنا حتى لا تزدروا باحوالنا وما كسرنا الا هاني وحده بعد ما قتل ابن كسرى وافنى جنده واخذ عمامتي من على راسي وعدتي وهربت وهذه الحالة حالتي اما ذو الخمار فزادت حسرته وذابت مهجته وانقلبت عيناه في ام راسهِ وخمدت جميع حواسهِ فلامهُ رجالهُ على ما راوا من حالهِ وقالوا لهُ اتريد يا ذا الخمار ان تعاند خالق الليل والنهار فارض بما اعطيت من الفروسية ولا تكن على غير نية لان الحسود يموت مكمود ولا يرتفع ولا يسود فقال والله لا رضيت الا ارفع المنازل والرتب ولا بد ان اسير الى هذا الفارس المنتخب واركب معهُ مركب الخطر واقاتلهُ حتى اعدم السمع والبصر فاما ان اظفر بهِ واسوقهُ الى كسرى واما ان يظفر بي مرة اخرى او يتركني ممدودًا في الصحراء لاني ان ظفرت بهذا الفارس الضرغام صرت فارس العرب والاعجام وابلغ اعلى الرتب وان قهرني فلا اكون مغبونًا بهذا السبب

قال الراوي ثم ان ذا الخمار سار طالبًا ارض ذي قار وقد اسكره الحسد اشد من سكر العقار وكنا ذكرنا غدره الكثير مع عنترة حتى لقبوه بالغدار وهنا يتضح غدره لانهُ فيما كان قاصدًا الملك النعمان يستامن بهِ نوائب الزمان غدر طالبًا قتل من خلصهُ من الهلاك والهوان

حتى لا يبقى له في زمانه نظير ولا محارب ولا يكون له بين الفرسان مجاوب فاخذته هزة الطرب وانطلق لسانه بالادب وانشد

طلبت العلا حتى حظيت بها وحدي ... ودست باقدامي على قلل المجد
ولولا صروف الدهر تبدي عجائبا ... وتخفي من الايام اكثر ما تبدي
لكنت ملكت الارض شرقًا ومغربًا ... وخليت لي ذكرًا يؤرخ من بعدي
ولكن ارى الايام تنكر همتي ... ونطلب ما لا نستحق لها عندي
وتظهر لي منها رجالاً جحاجحا ... يرون كؤوس الموت احلى من الشهد
لقيت ابن شداد ومارست حربه ... فكان كشيطان على صورة القرد
شجاع له سيف اذا هز نصله ... سمعت له صوتًا اشد من الرعد
ولا بد لي من ان اخلي عظامه ... تسير بها الركبان نحو ربى نجد
فوالله لا خليت في الارض فارسًا ... يدير رحات الحرب الا انا وحدي
وعما قليل يحكم السيف بيننا ... وتشهد سمر الخط للرجل الجلد
وفي ارض ذي قار هام حديثه ... عجيب به قد زدت وجدًا على وجد
دعوني بني عمي اجد الى العلى ... ولا تعذلوني عن صلاح وعن رشد
فقد اخبر الكهان عني بانني ... اقاتل اهل الارض بالصارم المندي
واني الى ان يلتقيني محمد ... وفارسه الكرار ليث بني سعد
علي امير المومنين الذي حوى ... جميع الورى منه على القرب والبعد

قال الراوي ثم ان ذا الخمار واصحابه لم يزالوا سائرين حتى اشرفوا على ارض يقال لها الخرساء وهي ارض واسعة المذاهب خالية الجوانب تخاف منها السباع وتفزع منها الجن وترتاع واذ قد ظهر لهم عشرة فوارس شداد ومعهم ثلاثة عبيد يسوقون ناقتين لاجل حمل الماء والزاد فلما راهم ذو الخمار قال لاصحابه احملوا لنقتل هولاء ان كانوا اعداء ام اصدقاء فناخذ اسلابهم ونتقوى بزادهم ثم انهم اطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وقاربوا الخيل السائرة فراوا عزائمهم فاترة وانفسهم كانها شامة الاكاسرة وصاح عليهم ذو الخمار وقال اخبرونا ايها العرب الاقيال من انتم من الابطال قبل وقوع الحرب والقتال فتقدم اليه فارس وناداه ويلك ما اجهلك وعن طريق الحق ما اعدلك نحن اصحاب ذي قار وفرسان الهيبة والوقار ومعنا الفارس الكرار والبطل المغوار الذي كسر في يوم واحد مائة واربعة وعشرين الفا من العرب والعجم وفرقهم في جنبات البر والاكم

الكتاب الثاني والسبعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

وقتل ابن الملك كسرى شيرمان وفعل افعالاً ما سبقهُ اليها احد من فرسان الزمان وهو الكريم الاباء والجدود اميرذي قار هاني بن مسعود

قال الراوي فلما سمع ذو الخمار هذه الاخبار اخذه الفرح والاستبشار وطعن الفارس فرماه وعاد الى اصحابهِ ورفقاه وقال يابني عمي ابشروا بالغنى ونيل الامل هوذا هاني في هذا المكان ولعلي اظفر بهِ فاتي بهِ الى كسرى انوشروان واتمنى عليهِ مملكة العربان فاذا تم ذلك اسير لمحاربة عنتر واقلع منهُ الاثر وما تم هذا المقال حتى صارت الفرسان حواليهِ وحملت من كل جانب عليهِ لانهُ كان قد صعب على هاني قتل صاحبه وكبر لديهِ وقال لمن معهُ والله اني قد عففت عن دم هولاء الانذال فغرهم فينا الطمع وساقهم الينا سوء المصرع والان ما لهم من جواب غير ضرب الرقاب ثم هم على الحملة فقالوا لهُ اننا لا نمكنك من هذا العمل ثم حملوا على ذي الخمار ومن معهُ فالتقاهم بشجاعتهِ وفي دون ساعة قتل منهم خمسة ابطال وسقاهم كاس الوبال فلما راى هاني سوء فعالهِ وزادت نيران اشتعالهِ فخطف الرمح من الارض وطلب ذا الخمار وهو يدمدم مثل الاسد الهدار وقال لهُ ممن تكون من الفرسان حتى تحرَّشت بالاسد الغضبان فقال ذو الخمار انا من اليمن وانت قتلت لي ابن عم في ذي قار وكان قد انكر حسبهُ كي لا يحترز من حربهِ ثم حملا على بعضهما بعض وتجاولا طولاً وعرض حتى تثلمت الرماح فجردا الصفاح وتضاربا حتى اثخنا بالجراح وكان هاني خاليًا من السلاح لانهُ كان سائرًا ليأتي بحريم خالهِ وما حسب حساب ذي الخمار وعظم قتالهِ واختلفت بينهما ضربتان قاتلتان وطعنتان فاصلتان فوقعت ضربة ذي الخمار على كتف هاني الايسر فهدلهُ واما ضربة هاني فقطعت الطارقة والخوذة والدثار ونزلت على جمجمة ذي الخمار فشقتها نصفين فوقع فوق الثرى لا يسمع ولا يرى وهمَّ هاني ان ينزل اليهِ عن ظهر الجواد فما قدر وقد غاب عن الصواب ووقع الى المهاد ولما رات اصحابهُ ما صار ولوا الادبار وركنوا الى الهزيمة والفرار وترجل اصحاب ذي الخمار وقلبوهما فوجدوهما في حالة العدم فشدوا جراحاتهما وقمطوها ووضعوا لهما ضمادات من اعشاب يعرفونها وقالوا ان سلم صاحبنا يفعل بخصمهِ ما يختار وان مات نحمل هاني الى كسرى عابد النار ونطلب منهُ الغنى ونبلغ غاية المنى

قال الراوي ثم نحروا لهما النوق واطعموها اللحم المسلوق وساروا بهما طالبين العراق

و بعد ثلاثة ايام صحا هاني على نفسهِ وافاق فقال لاصحاب ذي الخمار ابن انا ياوجوه العرب ومن يكون هذا الفارس المنتخب والى اين انتم سائرون في هذا السبسب فقالوا والله ياهاني هذا هو الفارس الكرار سبيع المقلب بذي الخمار واعادوا عليهِ القصة من اولها الى الاخر الى ان قالوا وسنمضي بك الان الى كسرى وديارهِ حتى ياخذ منك بثاره وتبرد لظى ناره فلما سمع هاني ذلك المقال اخذه التحير والاسف وعلم انهُ سائر الى الهلاك والتلف فقال ياوجوه العرب هل لكم ان تردوني الى دياري والاوطان فاعطيكم كثيرًا من الذهب جزاء المنة والاحسان فقالوا لسنا نطمع في مال او نبيع دم صاحبنا كالانذال ويقال عنا ان بني غزية باعوا شم صاحبهم بيع الفصلان وهب اننا فعلنا هذا فيهلكنا الملك النعمان جزاء ما فعلنا معهُ من الشنان ثم ساروا وهاني يتقدم الى العافية الا ان يده الشمال كانت تؤلمهُ اذا كلفها شيئًا من الاعمال واما ذو الخمار فوصل ورم راسهُ الى رجليهِ وكانوا يرحلون ويقفون وهو لا يعي ولا يفتح عينيهِ الى ان وصلوا الى الحيرة ودخلوا على اياس وقدموا هاني الى بين يديهِ واخبروهُ بتلك القضية ففرح وانشرح وخلع على بني غزية واوقف لذي الخمار جرّاحين وقال كل من قدمهُ الى الشفاء جعلتهُ طبيب الدولة الفارسية واعطيتهُ الف دينار كسروية . واخرج الصدقات واطلق كل من في السجون وذلك لوقوع هاني في الاسر عنده فاحضره الى بين يديهِ وقال لهُ وقعت يا ابن اللئام اما تعلم ان الدهر خوان فاذا حملتك الى كسرى انوشروان وطلب منك ولده شيرسان فما يكون جوابك يا ابن الالف القرنان فقال لهُ هاني اسكت لعن الله ظهرًا رماك وبطنًا حواك ويومًا نزلت بهِ الى دنياك ويلك يا اياس ان كان العمر مديد لا تقطع فيهِ صوارم الحديد وانا يا ابن الانذال لو اخاف من الهلاك وسوء الارتباك لما نصبت لنفسي الاشراك ولا اهلكت العرب والعجم والاتراك و بعد ما سميت بصاحب ذي قار ما بقيت افزع من الموت ولا اريد منهُ الفرار

قال محمد بن هشام فلما سمع اياس بن قبيصة هذا الكلام عول على ان يضرب رقبتهُ ولكن امل انهُ بهِ ينال ما يريد عند كسرى من المرام ولما طلع الفجر ومد على الارض رواقهُ حمل على جوادهِ بالعرض وسار بهِ من تلك الاوطان طالبًا مدائن كسرى انوشروان هذا ما كان من هولاء واما ما كان من العساكر التي انهزمت من ذي قار مع بزرجمهر فوصلت المدائن في غاية الهم والضرر ودخل الوزير من الابواب وهو منطوع الظهر ومشقوق الثياب وحولهُ جماعة من المرازبة والحجاب وقد فعلوا كفعالهِ من البكاء والصياح وكان دخولهم على الملك كسرى عند الصباح وكان جالسًا في المقام وحولهُ الحكماء والوزراء قد اتوا لاجل السلام

فلما دخل الوزير بزرجمهر ومن معه من العساكر والانصار سالوه عن الاخبار فبكى بدمع مدرار وحدثهم بما تم له في ذي قار ونعى الى كسرى مصرع ولده ومن قتل من عسكره وجنده فلما سمع كسرى هذا الكلام ارتجفت اعضاه وزاد وجده وهواه ورمى التاج من على راسه الى وسط الايوان وجعل يلطم وينادي بلغة الفرس واسفاه ياشيرسان وشقق ما عليه من الحرير والديباج فزاد في الحاضرين الانزعاج ونهضوا من الايوان عند الحكيم حسان ودخلوا اليه وهو في المعبد واخبروه بما جرى على الملك من النكد وقالوا له ان لم تلحقه قتل نفسه على الولد وكان هذا الحكيم لايخرج ابداً من بيت النيران الا لامر مهم من امور الزمان فطلع ذلك الوقت قدامهم حافي الاقدام الى ان وصل الى الديوان فوجد الملك على ذلك الشان فقال ايها الملك يسلم راسك وعظّمت النار اجرك اين من كان قبلك من ملوك السالفات اين من قادوا العساكر والسادات اين من عقدت على روسهم الاعلام والرايات اين من سكنوا القلاع المانعة وبنوا القصور العالية فقد باتوا في النازعات وبليت عظامهم في التراب وصارت رفات اعلمك ايها الملك انك سيرت ولدك مع العساكر في يوم بوس واوقات مذمومة على شيعة المجوس وقد رايت ما جرى علينا من غضب النار واقول في غضبها كسرت الفرس في ذي قار وقتل ولدك وانتقلت روحه الى النار وظهر الرجل الذي كان حكماء العرب له في الانتظار قال الراوي ثم انه التفت الى الوزير بزرجمهر وقال له في اي وقت كسركم الملك النعمان وفي كم كان من الفرسان فقال والله يامولاي ما كان الا في دون الثمانية الاف من العربان ولكن ما كسرنا الا فارس امرد نادى في وجوهنا يالمحمد فصار انهار في اعيننا ظلاماً اسود وارتعدت الدنيا في المدد ولم نعرف من اصحابنا احد بل خيل لنا ان البر كله رماح وقواضب امتدت الينا وكان السماء امطرت سحائب المصائب علينا وفي تلك الساعة قتل هاني شيرسان والقاه الى التراب وعدنا نحن هاربين على الاعقاب لانعرف الخطا من الصواب فقال له الحكيم ما انت ياوزير الا معذور في هذه الامور وكل هذا من فعل النار والنور لاننا نحن كنا في هذا المكان ولاح لنا البرهان ورأينا ما كنا في انتظاره من زمان

قال الراوي وكانت المجوس قبل تلك الايام قد جاءتهم زلزلة عظيمة تدل على معجزات النبي المفضال لانهم يوم انكسرت الفرس في ذي قار وقتل هاني شيرسان انشق الايوان وخمدت بيوت النيران سبعة ايام تمام وطلع لها غبار كالدخان وانقلبت الدنيا فلم يعرف الليل من النهار ولا الكسوف من الاسفار ووقع الهيكل واندثر على معبدهم الاكبر وكشفت مشايخ الفرس روسها وقد ايقنت بهلاك نفوسها وهجروا الطعام وحرموا شرب المدام

وخرج الملك الى ظاهر المدينة وضربت له الخيام وايقنوا بالبلا وظنوا ان القيامة قد قامت من السما وما سكّن الجاش الا حسان ابن معبد راس الحكماء فانقذ الناس من رعبهم وشدد قلوبهم وقال للملك كسرى انوشروان لا ياخذك من هذا الامر هم ولا احزان واعلم ان الدهر لا يبقى على حال ولا بد ان يحدث بوسًا ونقم ومسرة ونعم وهذا الذي جرى وصار ما هو من غضب النار وانما هذه اشارة وشان تعرفها حكماء الزمان وهكذا دلت العجائب اذ قد اجتمعت في برج واحد خمسة كواكب وهذا يدل على رجل سعيد يكون له نصر وتأييد من رب السماء العلي المجيد وهذا الدليل انه يظهر في هذه الايام وتكون ولادته في البيت الحرام ومنشأه زمزم والمقام والمشاعر العظام يملك الممالك و يغير الشرائع و يخفي البدائع و يظهر الاسلام و يدعو الناس الى عبادة الملك العلام وهذا امر لا يجب ان تحمل منه هم ولا غم ايها الملك الكبير لان بيوت النيران بعد السبعة ايام تنير وتتفرق هذه الكواكب وتسير وما زال يلاطفه حتى رضي كسرى على ذلك الشان ثم اتاه بعد مدة بخبر شيرسان وجرى ما ذكرنا من الاحوال ولما قال الحكيم حسان ذلك المقال البس كسرى التاج واجلسه بين الحجاب والوزراء وقال له ايها الملك العظيم الشان اما ما اخبرتك قبل الان بان الذي جرى على ولدك كان من بعض معجزات هذا الرجل المسعود بين الانام ولاجل ذلك نصر الملك النعمان فقال كسرى وحق الليالي الدجية والابراج العلية والانوار الشعشعانية لا سار في هذه النوبة الا انا بسائر عباد النار فساخرب ارض ذي قار واقتل الملك النعمان عوضًا عن ولدي شيرسان واهدم البيت الحرام واقتل المولود الذي ظهر في هذه الايام واشق بطون الحبالى من النسوان واربح البنات والصبيان وافعل كما فعل النمرود من كنعان في ابراهيم خليل الرحمن فقال الحكيم حسان ولما فعل النمرود ما فعل نال بغيته والامل أم هلك لما انتهى الاجل فما نفعه الحرص والامل فاطرق كسرى حياء وخجل ولم يرد عليه جواب ثم انه زاد في الانتحاب ولبس على ولده ثياب السواد ومشى حافيًا على الرماد وكذلك فعل جميع الوزراء والاجناد ولم يزالوا كذلك اربعين يومًا و بعد ذلك اخذ اهبة الاستعداد وانفذ الكتب الى سائر البلاد وفي ذلك اليوم وقع الصياح في الايوان ودخل على كسرى وزيره الموبذان و بشره بوقوع هاني فارس بني شيبان الذي قتل ابنه شيرسان

قال الراوي فلما سمع كسرى قام وقعد وارغى وازبد وابرق وارعد وقال لم عليّ به الان حتى اطفي بقتله نار فوادي فقال له الحكيم حسان ابن معبد أبهذا العقل والامور الخاسرة تريد ان تدبر ملك الاكاسرة فقال الملك وقد ذكت ناره ماذا اذا أنطلقه فيرجع

الى دياره بعد ما اذاق ولدي كاس بواره فقال له الحكيم ان اردت ان تبلغ ما تختار تان في امورك من غير انكار ولا تعجل في شغلك فاذا حضر هذا الرجل الى الايوان اوصل اليه الاحسان واخلع عليه وفوض الامر اليه وتلطف به واخدعه ومره ان يحضر الملك النعمان الى موضعه واقول له ياهاني لا يصلح ان يكون ملكاً على العربان الا النعمان وانا اشهدك عليَّ انني عفوت عنه بالامتنان فانه ياملك الزمان اذا رأى هذه الاحسان والخلع والانعام ما يشك في ذالك الكلام ويسوق اليك الملك النعمان سوق النصلان واذا صارا عندك فافعل بهما ما تريد من الشان وتكون قد اخذت بثارك وكشفت عارك وارحت عساكرك وانصارك وانت مقيم في ديارك

قال الراوي فعند ذلك راى كسرى الصواب وقال هذا هو الراي الذي لا يعاب ولما كان في الغد وصل اياس ابن قبيصة ومعهُ هاني ابن مسعود في الاغلال والقيود فتسابقت الخدام الى كسرى انو شروان واستاذنوا له بالدخول الى الابواب ودخلوا بهاني وحوله جماعة من المرازبة والحجاب واياس بن قبيصة ماسك في يديه والسيوف مجردة من حواليه الى ان وصلوا به الى سرير كسرى فسكع وخدم ودعا له بدوام العز والنعم وقال ابشر ياملك فقد اظفرتك النار باعدائك وهذا قاتل ولدك قد اتاك وانا اسال النار ان تطيل بقائك هذا الذي فرق عساكرك والجنود هذا هاني بن مسعود هذا الذي نصر الملك النعمان وشتت عساكر خراسان فنريد منك الاذن حتى نعذبهُ اشد عذاب وننهب جسده بالسيوف والحراب . فتبسم عند ذلك الملك كسرى لما سمع ذلك وقال يا اياس ان هذا المقال لا يصدقهُ احد ان فارساً واحد ومعهُ جماعة من الاعراب واكثرهم عبيد وخدام يقاتلون ماية واربعة وعشرين الفًا من العجم الا ان يكون ذلك عطاءً من باري النسم جل وعلا او يكون سحر يستخدم جن الارض السفلى على انهُ بلغني انهم كانوا ينادون في وجوهكم باسم رجل مسعود وانهُ قد ظهر الى الوجود ومن تكون عنايتهُ من رب الارض والسما وجب ان يكرم ويحمى والصواب ان نوالي هذا الرجل بالاحسان وندخره الى نوائب الزمان مع انني عرفت ان الخطا مني كان حيث ارسلت اطلب حريم النعمان وسمعت فيه كلام الزور والبهتان وغيرت سنة العدل التي سنها اباتي واجدادي من قديم الزمان فقابلني بذلك مكون الاكوان في عساكري والفرسان وانا من اليوم اريد ان اتلافى قصتي واتوب عن ذلتي واعدل في رعيتي لعل ربي يصفح خطيتي ويقبل توبتي ثم انهُ امرهم ان يفرجوا عن ابن مسعود الاغلال والقيود ويخلعوا عليه خلعة من ملابسه الغوال ويخلوا له داراً من دوره العوال

فنعلوا ذلك في الحال وعاشت روح هاني بعد الهلاك والاياس فبات تلك الليلة في نعيم عند حسان بن معبد الحكيم وهو يبشره و يهنيه بما غدا يلقاه من العز العظيم وهاني كلما يسمع ذلك الكلام يظن انه في منام لانه كان الساقي الى شرب كاس الحمام

قال الراوي وعند الصباح احضره الملك كسرى على الطعام وضحك في وجهه وابدى الابتسام واخبره الوزير بما جرى من الكلام من اخماد النيران وهاني يقول في نفسه هذا كله لسعادتي كان وقربه كسرى وادناه وصار يلقمه الطعام من يديه ولما فرغوا من الطعام قدموا انية المدام فسال الملك كسرى هانئًا وهو الى جانبه عن سبب خروجه عن اهله واقربائه فحكى له عن سبب مسيره الى احضار النسوان من ارض ذي قار وقص عليه ما جرى له مع ذي الخمار فطرب كسرى ومن حوله من السادات وساله ان ينشد له من فصاحة العرب والسادات فلم يخطر في بال هاني شيء من الاشعار الا الابيات الذي قالها في حق ذي قار ومن شدة السكر الذي اخذه من المدام لعلع بصوته قدام الاعجام وقال

يا ارضَ ذي قار كم من حامل وضعت	مولودها راسهُ بالشيب منتصفُ
فاضت بحارُ خرسان مرازبةً	كلامهم كهدير الجن مختلفُ
صدمتهم بجنان لو صدمتُ بهِ	صرفَ الزمانِ لامسى وهو منصرفُ
وشيرسانُ تركتُ الطيرَ منعكفًا	عليه وهو سليبُ الدرعِ منكشفُ

قال الراوي ولما انتهى هاني من كلامه اظهر ملك العجم الفرح ومرارته كادت تنفطر من شدة الغيظ والترح لاسيما لما سمع بذكر ولده لكنه اظهر الصبر والجلد واخفى الوجد والكمد وقال والله ياهاني لقد سادت العرب على العجم بهذا النثر والنظام ولا سيما انت فريد عصرك ونتيجة دهرك ودام الامر على ذلك الحال عشرين يومًا على التمام الى ان طاب هاني من جراحه وبدا امر صلاحه وصار يركب مع كسرى في موكبه ويحضر معه الميدان و يتفرج على الضرب والطعان الى ان كان في بعض الايام احضر الملك كسرى جماعة من ارباب دولته واسكروا هانيًا فوق طاقته فقال كسرى بعد ما باسطه ولاعبه ياهاني اعلم ان ملك الروم قيصر بلغه ما جرى على عساكري من الهزيمة والانكسار وسمع بقتل ولدي في حرب ذي قار فزاد به الطمع في ملك الاعجام فقطع الجزية التي كان يحملها لي في كل عام واخذ يجمع الروم من خاص وعام وسمعت من الجواسيس انه نادى في عسكره بالرحيل الينا والقدوم علينا ولكن ياهاني ما اظن النعمان الا قد ندم على ما معنا فعل على ان الانسان مركب من الخطا والزلل والذنب على من كان السبب ولولا الخطا ما عرف الصواب

وانا كان اقصى رغبتي ان انفذ اليه معتمدا يطلعه على فكرتي بهذا الصدد ولكن خفت ان يخرق بالرسول واذا فعل ذلك كانه اخرق بي ولا ابلغ مطلبي على ان فرسان العرب كلها طلبت مكانة واخذ امارته واخر من كانني دريد بن الصمة وقال لي اعطني ولاية العرب وانا اركب على النصرانية وبني غسان في بني غزية وجشم ودهمان واسوق اليك الملك النعمان ذليلاً مهان واسوق هانيا وبني شيبان وامهد لك بسيفي وسيف صهري ذي الخمار جميع الاقطار وكنت انا ملت الى ذلك المقال فاتيت انت فما خطر لي على بال واقول ان سبيع ما قصدك الا بامر دريد الشيخ الكبير ولكن الرب القدير دبر هذا التدبير فقال هاني وحق نعمتك ما قدر علي هذا الغدار الا لقلة معرفتي به وقلة تاهبي في الزرد والدنار ولكن لابد ان ابارزه بين يديك وترى مني ما تقر به عيناك ويكون ذلك بعد مجي النعمان الى هذا المكان فقال الملك كسرى افعل طبقاً لبغيتك ومابقي الا العودة الى اهلك وعشيرتك لانهم قلقو البال لاجل غيبتك فقال هاني والله ما حضرت عندك ايها الملك الكبير الا لاستاذن بالمسير لاني اعلم ان الاحزان قائمة في بني شيبان ولا سيما الملك النعمان لانه اخذني له ترساً من نوائب الزمان فقال كسرى وحق النار ذات الضرام ما انت الا نعم الذخيرة والسلام . ثم ان هانئا بات عند كسرى الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فركب وركب كسرى ومن له من الابطال والجنود واعطاه سرادقاً كبيراً من الديباج والحرير وقدم له عشرة جمال يحمل الاثقال وصناديق المال واعطاه الخلع لفرسان عشيرته والابطال وخمسين من الجنائب الغوال تصلح للكر والجولان وارسل معه مائتي فارس من عرب وعجم واعاده الى اهله مكرماً في زي الامراء الكبار ودقت من وراءه الطبول والكوسات ونعرت البوقات وارسل معه الموبذان شيخ المعبد وخرج معه خارج البلد وسار ذلك الجيش الجرار هو وهاني طالبين ارض ذي قار .

قال الاصمعي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الثلاثة فوارس الذين سلموا من بعد هاني اخبروا بني شيبان فانقطع ظهر النعمان وخاف على الحريم والنسوان وقال الملك قيس بن مسعود والله لا ابقت الفرس منا انساناً وارسل النعمان عشرة فرسان وسير معهم الرجال الذين اتوه بالخبر واوصاهم بكشف الاثر فغابوا مدة ثلاثة ايام وعادوا وقالوا للنعمان والله ياملك الزمان ما راينا الا القتلى مطروحين في تلك الفلا فلما سمع النعمان اطمان قلبه وعلم انه سالم وقد حمل الى بعض المعالم ففرق العبيد الى القبائل في اثره وكشف حقيقة خبره وبعد مدة ارسل عبدين الى العراق وقال لهما اذا رايتما الاعجام تحركوا علينا ارجعا انتما الينا

قال الراوي واغرب ما وقع ان العبدين بعشقا ن امة واحدة فلما انفذهما النعمان ذكرا الاحقاد فملا الخناجر وتضاربا بعضها البعض ووقعا على وجه الارض وماتا وانقطعت عن النعمان الاخبار حتى وصل هاني الى ذي قار ونظر النعمان الى الغبار فايقن بفنا الاعمار وصاحت بنو شيبان خوفًا على النسوان وظنوا انهم اعجام فركبت الفرسان وتجاروا نحو بني لخم وجزام وقدامهم النعمان

قال الراوي واما هاني فلما ابصر احوالهم علم انهم يخشون من الهوان فساق الحصان وطلب الملك النعمان وكان الى جانبه الموبذان ولم يزالوا الى ان قاربوا الاعلام فترجل هاني ومشى على الاقدام فعرفه الملك النعمان لطول قامته وعظم شهامته فنادى باللعرب هذا والله هاني بن مسعود بالله عليكم هنئوني بهذا اليوم المشهود الذي نلت فيه غاية المقصود ثم ترجل الى الارض وقبل بعضهما البعض واراد ان يسأله عن حاله وما جرى له واذا بالموبذان ومشايخ الفرس وعباد النيران فانكر ذلك غاية الانكار فعاد اليهم وقبل ايديهم وقال لهم ياموالي ما هذا القدوم الينا بعد تجنبكم علينا فتبسم الموبذان من مقاله واظهر خبثه ومحاله وقال يانعمان ان سبب مجيئنا اليك احوال كانت من بعدك وامور جرت لاجل سعدك لان نجم سعادتك في اقبال ورب السماء لك مساعد في كل حال ثم امره بان يعود الى ظهر جواده وكذلك هاني بن مسعود وساروا تحت الرايات والبنود هذا وهاني الى جانب النعمان وقص عليه ما جرى له من البلاء والهوان وكيف وقع عند كسرى انوشروان وما جرى له وما ناله عنده من الاكرام وكيف افاض عليه النعم واجزل له العطاء والكرم هذا والنعمان يفرح بتلك الاقوال وكذلك حجار بن عامر وقيس بن مسعود وجميع الرجال يتعجبون من شرح قصته وما جرى على ناصيته وفرحوا بقدومه وسلامته فقال له النعمان والله يا هاني لقد غمرتني بالاحسان اولاً واخرًا وباطنًا وظاهرًا وانا اعلم ان ليس من يصلح حالي مع مولاي الا انت وان كان كسرى بغى بما قال ولا يسمع من كلام الجهال لاني انا عبد نعمته وغرس منته فقال الموبذان يانعمان لاتشك في كلام كسرى انوشروان ولا تنكر الفضل والاحسان فانه ما عرف قدرك حتى عاداك وهذا الذي ادبه عن ذاك فلا يسمع فيك مقال لانه بعد فقد ولده طرقته الزلازل في بلده ووقع الهيكل على معبده فعلم ان كل ما جرى عليه كان لجوره عليك لانه طلب منك ما لا يسوغ طلبه حتى اساء اليك وان الملوك لا يستعملون الجور والظلم لانهم يعلمون انه يكون سببًا لهلاكهم وخرابًا لديارهم وقلعًا لاثارهم وقد اعترف بذنبه وقلة الرشاد وعاد الى عدل ابائه والاجداد ويريد ان يعدل بين العباد كما كان

الاكاسرة خوفًا من مالك الدنيا والاخرة والذي قتل ولده وقع في يده وساقته المقادير الى عنده فتذكر ما جرى عليه من الاحكام وما ناله من جور الايام وعتقه وعفا عنه وانظر ما فعل معه من الاعمال وما اعطاه من الغنى والاموال ولولا وقوع هاني في يده لكان سلم ملك العرب الى دريد بن الصمة صاحب العزة والهمة لانه كان انفذ الى كسرى وطلب منه مكانك وضمن احضارك وما ارسل ذا الخمار الى هاني الا ليعرفه انه قادر عليك وعلى كل من حواليك والان فقد جرت الاقدار بسعادتك فعد الى مملكتك واخلص للملك نيتك واشكر الرب العظيم رب موسى وابرهيم الذي نادى باسعادك وردك الى بلادك واعلم ان قيصر ملك الروم قد بلغه ما جرى فقطع المال وعول على حرب الاكاسرة في من عنده من الرجال ولولا ان يكون الملك مشغلاً بذلك الحال لكان سار اليك من غير قيل ولا قال فلما سمع الملك النعمان هذا الكلام سر وانشرح وتوهم ان امره قد اصطلح فانعم واجاب لانه كان حاكماً على جميع العربان وامره نافذ في كل مكان فاصبح غريبًا في البلدان بعيدًا عن الاوطان ومتكلاً على من يحرسه من نوائب الزمان ويمسي ويصبح خائفًا فزعان فما كان له بد من انه انعم واجاب هذا وهاني قد اخرج له الخلع الحسان وخلع على من معه من الفرسان وانعم على بني شيبان وفرق الاموال على الشجعان وعادوا جميعًا الى الخيام وعملوا الدعوات وطابت لهم الاوقات الى تمام عشرة الايام

قال الاصمعي ثم انهم اخذوا في الرحيل من بني شيبان وطابت قلوبهم بمصاحبة الملك النعمان الى ان وصلوا الى ارض العراق ولاقى اياس النعمان وقدم له خزائنه وسلم الملك اليه وعادت اليه العرب مثل ما كان وامن من غير الزمان وانفذ النجابة الى القبائل يعلمهم بعودته حتى ياتوا الى خدمته وان يكونوا في طاعته وكان عول اذا قدمت اليه العساكر ان يسير فيهم الى ملك العجم كسرى ويجدد معه العهود بين الورى واما اياس بن قبيصة والموبذان فانهما سارا الى المدائن واعلما كسرى بالخبر ففرح واستبشر وتقدم ذو الخمار الى قدام كسرى انوشروان وقبل الارض وخدم وحدثه بما فيه من الاكدار وما لقي من الوحوش والاضرار فاخلع اليه وطيب قلبه وانزله في مكان عظيم الشان واستدعى باياس والحكيم الموبذان واستشارهما في هلاك النعمان فقال الموبذان اصبر ايها الملك عليه مدة من الزمان لان الملك النعمان في هذا الوقت حذر وصيد الحذر عسر وهو لا بد ان يزورك في بعض الاعياد ففي تلك الساعه تبلغ المراد لان له عندك محبين واصحاب واذا علموا ما في ضميرك يحذرونه من سطوتك فقال كسرى ومن هم هولاء اعلمني بهم حتى اضرب منهم الرقاب فقال الحكيم حسان

لا يامالك الزمان انا أتحفهم بأيا تبلغ به الارب واترك الملك النعمان يضرب رقابهم بيديه ويأتي الى خدمتك برجليه وتفعل به ما تريد ثم قال للموبذان اذكر لي اسماء اصحاب النعمان فذكرهم الموبذان وكتبهم الحكيم حسان في كتاب عن لسان كسرى الى النعمان يقول فيه اما بعد ايها الملك انني قد جمعت ارباب دولتي ورؤساء مملكتي واستشرتهم في امرك فاشاروا عليّ بالصلح معك الا عشرة من اصدقائك وهم سلجمافك زاهوشراكين وبرويشان وكلبهار وكوشبان ومرتبان وكردوان ومهرجان وسرخاك وهرخاك فانهم اشاروا عليّ بالفساد وذكروني ما بيننا من الاحقاد وافتوني في دين النار وقالوا ان الغدر لي افتخار واما قد ارسلت خطوطهم اليك وعن قريب ارسلهم عندك تقتلهم بيدك لانهم هم الذين قسوا قلبي من الاول وهذه خطوطهم واصلة اليك والسلام ثم كتب في اخر الكتاب اسماء العشرة بخط يشبه خطهم ويقول على السنتهم وانا فلان ابن فلان قد استشارني الملك العادل فاشرت عليه بهلاك النعمان وهذا جزاء من تعدى وخان وقتل ابن كسري شيرمسان ثم ان الحكيم اطلع الملك على ما فعل وقال له ارسل هذا الكتاب الى النعمان وبعد مدة اظهر للناس انه اتاك ولد وارسل هدية معهم الى النعمان فيقتلهم ويأتيك انه يهنيك فافعل فيه تلك الساعة ما يرضيك وتنال الهنا وتبلغ اعظم المنى

قال محمد بن هشام فلما سمع هذا الكلام عرف المقصود وشكر الحكيم حسان على هذا التدبير المورود ومن يومه ارسل الكتاب الى النعمان مع نجاب وفيه جميع ما ذكرنا من الخطاب وبعد ايام قلائل ارسل الى جميع البلاد والى سائر الاجناد وامرهم بضرب البوقات ودق الكوسات ونادى المنادون في المدينة بالفرح والزينة واخبروا جميع البشر بان الملك العادل قد رزقه الله ولد ذكر مثل القمر فماجت الخلائق والاجناد وزينوا البلاد وامر اهل الدولة ان تخلع عنها ثياب السواد وان يزينوا بالزينة الفاخرة من كبير وصغير وصاحب وامير وغني وفقير وضرب له الملك سرادق من الحرير والديباج وخلع على الامراء والسادات ودامت الافراح والمسرات سبعة ايام متوالية وبعد ذلك استدعى كسرى بالعشرة الرجال المتقدم ذكرهم انهم محبو الملك النعمان واعطاهم تحفًا وهدايا يكل عن وصفها اللسان وقال لهم اريد منكم ان تسيروا الى الملك النعمان وتعلموه بما نحن فيه من الفرح والسرور وتصفوا له الولد الذي رزقته ببركة النار والنور واحترصوا به حتى انه يأتي عندي فاجدد له عهدي وان رأيتموه مشتغلاً في جميع العرب فاترك فعل ما وجب لان العساكر في هذه الوقعة انسب فقبل العشرة كلامه بالسمع والطاعة وساروا من وقتهم والساعة طالبين الحيرة وارض النجف

وارجلهم تسعى بهم الى الهلاك والتلف وكان النعمان لما وصل اليه الكتاب فرح به غاية الفرح واتسع صدره وانشرح فعرضه على وزيره عمرو بن نفيلة وعلى اخوته وهاني وسائر رفقته فقالوا ياملك الزمان ليس عليك خوف ولا تجزع من كسرى انوشروان بعد ما اختارك على ارباب دولته واطلعك على سريرته وماجرى له في حال خلوته وما فعل معك هذه الفعال الا كي لا يبقى عنده احداً من الرجال واما الوزير عمرو فانه اظهر العجب من هذا الامر وقال والله ما هذا الا فضل وكرامة ان لم تكن عاقبته الندامة فقال النعمان لا ياوزير ما بقي بعد هذا الكلام ملام لاني انا اخبر بعدل الاكاسرة من سائر الانام وكان الملك العادل المفضل قد ندم على ما فعل ثم انه اقام ينتظر الرجال الذين اتت اسماؤهم اليه الى ان حضروا بين يديه فاظهر لهم الكرامة واللقاء فقدموا اليه التحف والهدايا واخبروه بان الملك رزق ولد ذكر كانه القمر وان المداين انقلبت بالافراح وان الملك مغموس في المسرات والانشراح مساء صباح وقد اتت اليه الخلق من سائر النواح وغمر الناس بالهدايا والافضال والعطايا فعند ذلك سرّ النعمان غاية السرور وقضى يومه معهم بالغبطة والحبور وكاسات المدام بينهم تدور حتى اظلم الظلام وتفرق الناس للمنام ولما قاموا من حضرته امر حجابه بقبضهم وان يصلبوهم على باب قلعته فاستمعوا قوله وانفذوا الامر فيهم وما اصبح الصباح الا والعشرة مصلوبون وعلى باب البلد معلقون والناس يتفرجون عليهم ولا يعلمون ما ذنبهم وبعد ذلك صفا خاطر النعمان وقال والله يا هاني لقد غمرنا الملك كسرى بالاحسان ولا بد ان نسير اليه ونهنئه بالولد الذي اتاه والزم معه الادب واعلمه باني قد كاتبت العرب وابصر ما يتجدد من الامور والسبب فقال هاني نعم ما رايت من الامر والشان ياملك الزمان لاننا ان لم نزره في ايام سروره وحبوره يعتب علينا عند فروغ حظه ثم انهم تجهزوا للسفر في الف فارس خطير ولما جدّ عزمهم على المسير قال الملك قيس بن مسعود الى ابن اخته هاني والله ياولدي انا قلبي خائف عليك وعلى النعمان من كسرى والاعجام لانهم قوم لا يعرفون الذمام والراي عندي انك تقيم انت وفرسان بني شيبان على حصون بني نفيلة وقنطرة خراسان وتترك النعمان يعبر في مائة من الفرسان وتنتظر ما يلقى من الشان فان كان خيراً يخبرك مع بعض الغلمان والا فان كان يقبض عليه تكون انت سالماً من الهوان واجتهد في خلاصه بكل ما تقدر يافارس البدو والحضر لانك ان وقعت انت واياه يندرس رسم بني شيبان ويحل بها الهلاك والقلعان ثم ان الملك قيساً بعد هذا الكلام بكى بدمع سجام فعلم هاني ان خاله نظر موضع النظر ثم انه سار وفي قلبه من كلام خاله هاجس ولم يزالوا سائرين بكل الفوارس الى نصف الطريق

وقاربوا ارض المدائن فاعلم هاني النعمان بذلك الشان فراه صوابًا وتركا عند حصون بني نفيلة وقنطرة خراسان وسار النعمان في مائة فارس من بني لخم وجذام وانفذ بين يديه حجار بن عامر يخبر كسرى انوشروان بالقدوم عليه ولما وصل حجار الى كسرى واخبره بما تم فرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وامر ارباب دولته ان يلاقوا النعمان و يعظموا قدره والشان وامر ان يسكوا من اصحابه جماعة عند كل باب من الابواب وان لا يمكنوه ان يدخل عنده الا وحده ففعلوا المراد والتقوا الملك النعمان بذلك الملتقى ودعوا له بدوام العز والبقا ودقوا بين يديه الكوسات ونعرت البوقات وهم سائرون به الى التصور ومن هناك التقته الحجاب والمرازبة والنواب وساروا به طالبين الابواب والقضاء يسوقهم الى اخذ روح النعمان ومن كان معه من الفرسان وما نفعه الحذر ولا التدبر لان الانسان يجري الى ما لا يدري وصار النعمان كلما عبر دهليزًا يمسكون من معه من اصحابه الى ان صار قدام كسرى في الايوان فاحس في البلا وندم واطرق براسه الى الارض وخدم ودعا لكسرى بدوام العز والنعم ووقف ينتظر الجواب فرفع كسرى راسه وقال اهلاً بملك العرب يا نعمان ابن وادي شيرسان فبكى النعمان وقبل الارض ثانيًا واراد ان يقوم فما قدر من شدة الفزع فقال له كسرى يا نعمان ما فعلت بولدي شيرسان قال ما فعلت بولدك شيئًا فما الانسان الا الدوائر تصاريف الزمان والذي قتل ولدك اوقعته المقادر في يدك واطلقت سبيله كرمًا وها انا في قبضة كفك فافعل بي ما تحب وتختار واما ولدك فقد قبلت روحه النار فعند ذلك قال كسرى لاصحابه احضروا لي الفيل المجنون وعذبوه بعذاب ما رأته العيون فما كانت الا ساعة حتى احضروا الفيل قدام كسرى وكان فيل عظيم الخلقة هايل الصورة فاقبل يمشي ويتخطر بتلك الهيبة والمنظر الى ان صار امام الايوان واوقفوه قدام النعمان فلما راه النعمان طار عقله وعاوده الندم على مجيئه وما نفعه الحذر ولم يستطع ان يرد القضا والقدر هذا والفيالة داروا بالملك النعمان وكتفوه والقوه قدام الفيل فاسرع وكان الفيل يعلم بتلك الاقاريل فتقدم منه اليه ولف خرطومه عليه ونفضه فعلا الى السما وعاد يهوي نازلاً الى الثرى وما وصل الى الارض الا وعظامه منفصلة من بعضها البعض وبعد ساعة غشي عليه وتقدم الفيل ثانية اليه ووضع يده على راسه وكبس عليه فطير نخاعه من بين عينيه ولما راى كسرى ما حل به بردت نار كبده على ولده والتفت الى من عنده من عساكره وجنده وقال لهم افعلوا بهاني مثله واصلوا جميع رجاله حوله وعلقوهم على قلة الايوان حتى يعتبر كل انسان فقال اياس بن قبيصة يا ملك الزمان ان هاني ما وصل معه الى هذا المكان وقد سالت عنه بعض الفرسان فقالوا انه حسب

ونوائب الزمان واقام عند حصون بني نفيلة وقنطرة خراسان في الف فارس من الشجعان فلما سمع كسرى ذلك الكلام ندم على هلاك النعمان وقال وحق النار لو كنت علمت بهذا الشان لكنت صبرت على النعمان ووالية الاحسان حتى اقبض على الاثنين واجعلها عبرة للناظرين ولكن لا يفوته ذلك الشان فاخرجوا جثة النعمان واصلبوها على قلة الايوان واطلبوا من كان معه من الفرسان وركب في الحال اياس بن قبيصة بمن عنده من العربان وسار طالباً حصون بني نفيلة وقنطرة خراسان في طلب هاني بن مسعود وقد فرح بهلاك النعمان ونال المقصود هذا وقد تبادرت الاقران وتسابقت الخيل بالفرسان وجدوا في المسير على هذه الوسيلة حتى اشرفوا على حصون بني نفيلة وطلبوا هانئاً فما وجدوا له خبر ولا وقفوا له على جلية اثر بل راوا اثار الخيل راجعة نحو الحيرة فتبعوها على تلك الوتيرة واخذوا في المسير وسرعة الجد والتشمير وهم متعجبون كيف نجا هاني وعرف بتلك المعاني وكان الذي اخبره بما جرى من الامور والكبائر حجار بن عامر لانه لما وصل الى المدائن واخبروا الملك كسرى بوصول النعمان واشتغل عنه اهل القصر بما جرى وكان . كمن حتى رأى الاعجام احاطوا به من كل جانب ومكان وسحبوا حوله السيوف والقواضب فلما نظرهم الامير حجار على ذلك الحال ما خفي عليه انهم يريدون ان ينزلوا به النكال فقال في نفسه ما بقى يسلم النعمان بعد هذا الامر والشان ثم انه ابعد عنهم وخلع اثوابه ولبس ثياب مصارع الاعجام وبقي واقفاً الى ان طلعت الخدام ورموا جثة النعمان وعلقوها على قلة الايوان وصلبوا الصحابة حوله في يوم عظيم الشان ولما بان للامير حجار تلك الامور عاد طالباً هانئاً بالويل والثبور وعظائم الامور وهو ينشد ويقول

الطير ينفر احياناً ويرتفعُ	حتى تقوم به الاقدار والطمعُ
والعبد يبتلى والايام ترشقهُ	باسهم صائبات ما لها رجعُ
فاصبر على نوب الايام ما عظمت	ان القضاء لحكم ليس يندفعُ
وانظر الى قتلة النعمان كيف جرت	محزمةً ما وقاه الخوف والفزعُ
اولاد فارس ما قرّت جفونهمُ	عن الاساءة ولا ناموا ولا هجعوا
قوم اذا عاهدوا امست عهودهمُ	منقوضة واذا واصلتهم قطعوا
كم من يمين عهودٍ اقسموا فطغوا	يا ليتهم في قرار النار قد وقعوا
والله لا بد نسقيهم كؤوس ردى	يوم اللقاء ونجزيهم بما صنعوا
ونترك الطير يوم الحرب عاكفة	على دماهم وان جاشوا وان جمعوا

قال الراوي ثم ان حجاراً لم يزل سائراً ليل نهار وهو يصيح بالبكاء والنحيب حتى وصل الى هاني ومن معهُ من الفرسان ونعى لهم الملك النعمان واخبرهم بكل ما جرى وكان فارتفع منهم البكاء والعويل والحزن الطويل وما منهم الا من ضرب صدره وبل نحره وقال لعن الله كسرى واذل سبالة ومن الافات لا اقالهُ فوالله لقد بالغ في التدبير وبلغ بالحيل ما يريد وحلف ايماناً كاذبة كافرة وسوف يعلم من تكون نوبتهُ خاسرة وتصبح بلاده خراباً دائرة بعد ما كانت عامرة وبعد ما وقع بالكفر والعصيان وخالف العهود والايمان لابد ان يقع في الخسران ثم انهُ التفت اليه الامير حجار وقال لهُ دعنا من التاسف على ما فات وجد بنا حتى ناخذ النساء والبنين والبنات ونرحل بهم في الفلوات قبل ان تلحقنا الخيل وتحول بيننا وبين اهلنا لاني اعلم ان العساكر الينا سائرة مثل البحار الزاخرة فعندها ركبت الرجال وعادت على الطريق التي اتت منها وجدت في قطع البراري والتلال الى ان وصلوا الى الاطلال وابصر الملك قيس بن مسعود الى هاني فراه غائباً عن الوجود وهو في سنة مفقود ونظر الى الخيل من خلفهِ وهي تتتابع في الصحرا فما خفي عليهِ ذلك الشان وقال لقومهِ يا بني عمي قد قتل الملك النعمان وقد اتى هاني هارباً فزعان ولما وصل الامير هاني اعاد عليهم القصة التي جرت فتاسفوا على الملك النعمان والتفت الملك قيس الى هاني وقال لهُ والله يا ابن اختي لقد حسبت هذا الحساب وخفت عليهِ من هذه الاسباب فلما سمع اخوة النعمان بذلك الشان مرقوا العمائم في الرقاب وشقوا الثياب وبكوا بضجة وانتحاب وارادت المتجردة زوجة الملك النعمان ان تقيم المآتم والاحزان فما مكنها هاني من ذلك الشان وخاف عليهم من عساكر العجم وخراسان وقال ان لحقونا يسبوا عيالنا والنسوان فخلوا عنكم البكاء والنحيب وعجلوا بالمسير عن قريب لاننا على خطر شديد وهول اكيد وما كان غير ساعة حتى شاع الخبر في الحيرة وما امسى المساء الا والظعن سائر في البراري والتلال وقد قدموا بين ايديهم المال والعيال وجدوا في الارتحال وسوق النوق والجمال هذا والملك قيس بن مسعود في اوائل الابطال ثم جدوا في المسير ليلاً ونهاراً حتى ابعدوا عن ارض العراق وامنوا من اللحاق وبعد ذلك ساروا سير الرفق لاجل الحريم والعيال والبنات والاطفال وصار هاني يرد بهم المناهل والغدران الى ان وصلوا الى بني عبس وعدنان والتقاهم الملك قيس كما ذكرنا وسال هانئاً عن الخبر فحدثهُ بما قدمنا ثم ان قيساً انزل اخوة النعمان في ارض بني عبس وعدنان واقاموا عنده مدة في اطمئنان ولازموا البكاء والاحزان مقدار اربعين نهاراً وبعد ذلك سال هاني الملك قيس عن عنترة بن شداد فاخذ قيس يخبره بما جرى

على عنترة من الاحكام واخبره انهُ أسير في بلاد الشام فلامهُ هاني على هذه الفعال وارسل خلف الهطال ورجاله وطمن قلب عبلة واهلها ووعدها بخلاص ابن عمها وبعد ذلك ترك لهُ عيونًا وارصاد تحرس ارضهُ والبلاد وانفذ الملك قيس جواسيس الى نحو بلاد الشام وقال هذه مصيبة دهمتنا من ارض الشام ومصيبة دهمتنا من ارض العراق لان صهرنا الملك النعمان هالك وحامينا ماسور في الشد والوثاق هذا والمجردة ملازمة البكاء والاحزان هي وجميع النسوان

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من امر عساكر الاعجام فان اياس بن قبيضة وصل الى الحيرة بعد رواح هاني بثلاثة ايام وسال عنهُ وعن بني شيبان الى اين ساروا في البراري والقيعان فقالوا لهم ساروا الى برية الحجاز وتلك الاراضي والمفاز وان اردت ان ترحل خلفهم فافعل ما تحب وتختار لانهم سائرون سير الرفق لاجل الحريم والعيال فقال اياس هذا شيء لا افعلهُ ولا اخاطر بعساكر الملك من غير اذنهِ ولا اسير خلف فارس اذل في يوم واحد مائة واربعة وعشرين الفًا من الفرسان ولا اعمل شيئًا الا بامر الملك كسرى انوشروان حتى لا يبقى عليّ عتب ولا ملام ثم انهُ في ساعة الحال استولى على خزائن الملك النعمان والذي عجزت عنهُ بنو شيبان وانفذ الى كسرى يعلمهُ بما تم وجرى و يقول لهُ ايها الملك اما هاني بن مسعود فانه اخذ حريم النعمان ودخل بهم الى برية الحجاز وقطعوا في البر والمفاز فان كنت تاذن لي ان ادخل خلفهم من اجل هاني بن مسعود فامدني بالعساكر والجنود

قال الراوي و بعد قليل من الايام اتى الى اياس الجواب يقول لهُ دعنا من هاني فقد اتانا شيء اشغلنا عن تلك المعاني لان قيصر ملك الروم قد ارسل يطالبنا بالخراج والانعام التي كان ينفذها لنا في كل عام و يامرني ان اهدم بيوت النيران وابنيها كنائس للرهبان ولا نرفع ازدهارًا ولا علم الا وعليهِ اسم المسيح ابن مريم والا يوجه الينا باقوام يكون اولها عندنا واخرها ما تجهز من ارض الشام لانهُ قد اتاه من البحر مراكب في عدد النجوم والكواكب لا يحصى لها عدد ولا يفنى لها مدد وهم جرد مرد محلوقو اللحى والشوارب لا يخشون من الموت والنوائب فلما سمعت هذه الرسالة امرت للرسول بالضرب والهوان ورددتهُ مقطوع الانف والاذان لاجل ما قد جرى لنا في هذا العام وانهُ لا بد ان يرسل الينا غزاة الافرنج ومعهم متنصرة الشام والصواب انك تجمع كل ما تقدر عليهِ من العربان وتاتي بهم الى هذا المكان حتى تعونك على عباد الصلبان قبل ان تدوس بحوافر خيلها ارض المدائن وخراسان لان طوائف العجم دنا وقت خروجها الى هذا المكان فلما سمع اياس هذا المقال تعجب وارسل الى

صعاليك العرب وجمع خمسة عشر الف عنان ووصل بهم الى كسرى انوشروان فشكره
على هذه الفعال وما اقام الا قليل من الايام حتى اقبلت اليه الجواسيس من بلاد الشام
واخبروه بان الحارث الغساني قد برز في مائتي الف على التمام عرب وافرنج وعول على
المسير الى العراق وفي نيته ان يفتح بهم سائر الافاق ويعيد دولة الروم كما كانت في زمان
الاسكندر ولا يترك على وجه الارض الا من يحمل الصليب المكرم فلما سمع كسرى ذلك
صعب عليه وجهز اياس بن قبيصة العرب الذين جمعهم اليه واردفه بمائة وعشرين الف
من طوائف العجم والترك والديلم مع حاجب جبار ومقدم لا يفزع من الموت ولا يخشى من
حلول النقم يقال له رستم بن بهلك وقال له الملك كسرى اعلم ان دولتي تضعضعت والاعداء
فينا قد طمعت فما اريد منك الا صدق النية ولا تعد حتى تخرب صوامع الملة النصرانية
وتهدم جرن ماء المعمودية وان سمعت ان ملك الروم تحرك بنفسه فانفذ اعلمني في ذلك
الشان حتى امدك في اهل خراسان ولا تعد الا بعد نهب الاموال وخراب البلدان لان
الملك يريد هيبة وناموس والا عاد صاحبه مقهوراً معكوس فقال رستم ياملك الزمان انا
لا احتاج الى وصية وحق النيران الحمية والانوار الشعشعانية لا اعود اليك من الشام وفيها
من يذكر دين النصرانية وانت قد رايت فعالي في الميدان وعرفت سطوتي مع الفرسان

قال الراوي ثم انه سار بجيش جرار من الاعجام وقد طلب بلاد الشام وقدم اياس بن
قبيصة بين يديه في طائفة العرب وماج بهم البر وانقلب وخفقت الرايات واعمت الجنائب
والصافنات وما زالوا حتى انهم ابعدوا عن الاوطان ووقعوا في البر والقيعان وكانت
عساكر الروم قد خرجت طمعاً في العجم لان سنان بن ابي حارثة لما دبر على عنتر ما دبر
وظفر به في الرصيف الاكبر وعاد به وباصحابه حتى قاربوا دمشق وتلك الاعلام امامه بين
يديه بشيراً بخبر الحارث ملك الشام ففرح وزال عنه النكد وامر بزينة البلد وركبت ابطاله
وهم بالدروع والزرد ودقوا الطبول والبوقات وبين ايديهم الجنائب المختلفات وكان لهم
يوم احسن من الاعياد لاننا قد ذكرنا ما كان في قلوب اهل الشام من عنترة بن شداد
لاسيما يوم لقاء ملك الروم وهو عائد من بلاد العراق وقتل ملك البحر وكيف سقاه مر المذاق بعد
ما فتح الشام ونهب الاموال وذبح القسوس والرهبان وان الحارث التقاه وهو منذود بين
رفقاه ضربة بالسوط الذي بيده حتى الهب جميع جسده وصار يذكره بافعاله وبمن قتل
له من رجاله وما زال يلج بالكلام حتى زعق فيه عنترة قائلاً ويلك ياابن الفواجر ياجبان
لو كنت ضربتني في الميدان لنظرت بعينيك الذل والهوان ولكن بذلك ربي امر واسري

كان بالقضاء والقدر كما قال الشاعر

الكتاب الثالث والسبعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

يا شامتًا لما رأى　　هجر الحبيب وصدهْ
لا تشمتنَّ فانهُ　　مولًى يؤدبُ عبدهُ

فتعجب الحارث من فصاحتهِ ووقاحتهِ بعد اسره وذلتهِ ثم انهُ ادخل الجميع من باب الجابية في يوم فرح ونصر وحبسهم عنده في القصر بعد ما زاد في قيودهم والاغلال وانفذ كتابًا الى الملك قيصر يبشره بذلك الحال وفي اخر الكتاب قال اعرف الملك العظيم اننا قد ظفرنا بالعبد الحجازي اللئيم المسمى بعنترة بن شداد واخذنا من فرسانهِ اربعمائة فارس اجواد وقد عولت على صلب الجميع لاستريح واشفي قلوب عباد المسيح وانا منتظر الجواب فيما تامرني ايها الملك المهاب ثم انهُ انفذ الكتاب

قال الراوي وكان ملك الروم قد سمع بما تمَّ على كسرى في ارض ذي قار وكيف انكسرت عباد النار فلاح لهُ وجه الطمع وقطع حمل المال وقد حدثتهُ نفسهُ باخذ البلاد وبلوغ المراد ومن شدة توسوسهِ راي منامًا كانَّ مركوكيس يقول لهُ شد نفسك واخلص نيتك حتى انفذ لك من البحر انصارًا تفتح بهم بلاد عباد النار وتحكم بشريعتي في سائر الاقطار لان نزولي يكون عن قريب ورجوعي الى الدنيا في عيد الصليب ومن عرب الحجاز تاخذ لك انصارًا واعوانًا فيهم تملك ارض فارس وخراسان واذل السيف في اهل البدع ومر البطرك والرهبان ان يسمحوا في القربان فاني ابارك لكم في النبيذ والخبز السميذ واخترت لكم العيش اللذيذ فلما رأى قيصر هذا المنام انتبه فزعان وجمع اليهِ القسوس والرهبان واخبرهم بهذا الشان فقالوا لهُ ايها الملك بعد هذا المنام اما الانتظار واما الغزو الى عباد النار وفي تلك الايام قدمت عليهِ من البحر مراكب واجناد طالبين الغزو والجهاد فالتقاهم بالاكرام والاعظام وقويت نفسهُ بما رأى من الاحلام وفتح خزاين الاموال والسلاح والعدد وخلع على المقدمين الصدور والزرد واضاف اليهم من عنده من البطارقة واولاد العمالقة وامر الجميع بطاعة ملك البحر وكان يقال لهُ منطنطار واهل الجزاير تسميهِ فارس التابوت لانهُ كان مهول عظيم العرض والطول لا يهاب الموت ولا يفزع من الاسنة والنصول فوعده

الملك بزواج ابنتهِ اذا فتح البلاد وعاد من الجهاد واخبره بما رأى في المنام وما قال في حقهِ الهاتف من الاكرام . فزاد طيع ملك البحر وقال ايها الملك وحق الذي بشرك بقدومي الى هذه الاطلال اني ما خرجت من بلادي طمعاً في مال ولا نوال بل انا طالب للجهاد والقتال واريدك ان ترسلني الى بعض اقاليم المخالفين وترسلني على اعداء الدين حتى افني خيلها ورجالها وافتح وعرها وجبالها واذا ملكت الارض والاقطار وانتشر الدين الحقيقي عند الكبار والصغار فعند ذلك اكون بالاختيار فاما ان اقيم في هذه الديار او اعود الى جزاير البحار فقال له الملك قيصر افعل ما تختار حتى انفذ رسولاً الى عباد النيران وامرهم بالخضوع للقسوس والرهبان وان يحملوا المال الينا في كل عام وان لم يفعلوا ذلك والا نقضنا الذمام وسيرتك اليهم مع نائبي سيد بني غسان ومددتك بعساكر تفتح فيها العراق وخراسان . قال محمد بن هشام ثم ان قيصر بعد ذلك الكلام انفذ الرسول الذي قدمنا ذكره وصبر حتى عاد بذلك الخبر فصعب على الملك قيصر هذا الامر ولكن كتم حقيقة حالهِ حتى لا تنقص منزلتهُ عند ملك الافرنج ورجالهِ وفي تلك الايام وصل كتاب الحارث يبشره في وقوع عنترة بن شداد فايقن ببلوغ المراد رجمع اكابر دولتهِ وحجاب مملكتهِ وشاورهم في هلاك عنترة فقالوا ما هذا بصواب لان مركوكيس قد ذكر في المنام انك تتخذ من الجبار انصار وتفتح بهم بلاد عباد النار وما ذكر لك هذا السبب الا وله فيهم ارب والصواب ان تنتظر الوعد فتبلغ اربك فيما بعد فقال لهم صدقتم فيما قلتم ثم انهُ سير الجيوش من كل فج بعد ما اوصى ملك الافرنج انهُ يخبر الحارث بالمنام ويبقي على عنترة ومن معهُ حتى يدوخ بلاد الاعجام فقبل منهُ الوصية وسار في الطائفة الافرنجية وعساكر النصرانية الى ان قارب الشام فلاقاه الحارث الوهاب في سائر مواكبه والاعلام والمتنصرة من بني فزارة اللئام واكرم ملك الافرنج غاية الاكرام وانفذ اليهِ والى خواصهِ الوان الطعام ونزلت العساكر في البساتين والمروج وكثر في ابواب البلد الدخول والخروج ونظرت فرسان الافرنج دمشق واشتباك اشجارها وانهارها وطيبة فواكهها واثمارها فعجبوا من ذلك المرام وتمنوا المقام في بلاد الشام وقالوا لملكهم لم لا تطلب هذا البلد لنا ونقيم فيها بقية الاعمار ونستريح من المخاطرة في سكن الجزاير والابحار فقال لهم اصبروا حتى ادوخ البلاد والامصار واين شجاعتي لاهل هذه الديار وبعد ذلك اطلب لكم ما تريدونهُ من الاقاليم فان لم احصل على ما اريد بذات السيف في الاحرار والعبيد

قال ثم انهُ حدث الحارث بمنام قيصر واوصاه في الاسارى وعنتر فصعب عليهِ ذلك

وقال وحق المسيح لو علمت ان الملك لا ياذن لي في هلاك هولاء الاشرار لما كنت استاذنته فيهم باخبار بل كنت صلبت الكل على الاشجار وارحت امة عيسى من هذا العبد الجبار ثم وصف عنترة وقتالة وشجاعته وفعاله فتعجب ملك البحر وقال له ياحارث هذا الحال يدل على ان بلدك خالية من الشجعان والا ما كنت وصفت عبداً بهذا الشان فقال الحارث ايها السيد وحق الرب المتعال لا يوجد مثل هذا العبد في سائر الرجال ولولا بنو عمو يحتالون عليه لما كنا وصلنا اليوم ثم انه حدثه في بني فزارة اللئام وكيف تنصروا وتجردوا الاصنام وهداهم الله الى طاعته وصاروا سيف مملكته فلما سمع ملك الافرنج قال هذا صدق المنام الذي رآه الملك العظيم والا ما كان وقع ذلك العبد اللئيم واريد عند الصباح ان ابصره واسمع كلامه واتركه يجول مع خيالتي في الميدان واجرب شجاعته عند طعان الفرسان فقال الحارث اما نظره فلا ابخل به عليك واما حله من الوثاق فما هذا اليك لانه غليظ الطبع شرير واخاف ان يهلك من اصحابك خلقاً كثيراً حتى نقدر عليه كلنا ونحن في غنى عن هذا التعب والعنا ثم قضوا بقية يومهم في شرب المدام ولما كان الصباح ركبوا بين المضارب والخيام وعند رجوع ملك البحر من الفرجة والنظر طلب من الحارث ان يرى عنتر فاجابه الى ذلك المراد ودخل به الى الحجرة التي فيها عنترة بن شداد ومن عنده من بني عمو في الاسر والشداد فوقف الحارث وملك البحر على راس عنتر واحدقوا فيه النظر وقال له الحارث كيف ترى حالك يا ابن الاوغاد او ما علمت ان المسيح ابن مريم كان لك بالمرصاد وانه قابلك على ما فعلت من البغي والفساد فقال عنتر ويلك ياحارث ان كان في قلبك مني شيء فافعله من غير قال ولا قيل ودع عنك عيسى والانجيل فان الرجل اذا اتكل على غير مولاه كان ذليل وانا اقسم ان كان لي خلاص من هذا المقام الكئيب اريك ضرباً يشيب الطفل الرضيع فلما سمع الحارث كلامه صلب على وجهه وقال له ويلك دع الكفر والتجبر وارجع الى المسيح من قريب لان هذا ملك الافرنج قد خرج طالباً الغزو في عباد النار وقد وعده المسيح ان يفتح بين يديه جميع الاقطار وهو الذي شفع فيك من الدمار وقد اشتهى ان اطلق لك السبيل من القيود والغضب حتى يرى طرفاً من شجاعتك فاحسن بين يديه الادب ودع عنك جهل جاهلية العرب وادخل في دينه حتى يجعلك من خواص محبيه فان شريعته في هذا العالم تعلو وترفع وتخرب بيوت النيران وتقع ولا يبقى في الاقطار الا من يعبد الاله الديان فاطلب البدار قبل الندم ورد امورك الى المسيح ابن مريم قبل ان تنظر بنفسك الهوان وتصلب انت ومن معك من الفرسان فقال عنترة دع عنك الهذيان

فوالله لا دخلت قط تحت حكم بشر ولا خليت مذهب العرب واتبعت مذهب الحضر وان كنت ارضاه لشهوة هذا القرنان تخرجني الى الميدان فانا اريك ما افعل بهولاء المحلوقي اللحى والشوارب والخالفي الديانة وابلغ المنى واموت موت الكرام بين شفار السيوف واطراف القنا واما قولك فانه شفع فيّ من الهلاك والوبال فهذا محال لان القضاء اذا كان قد وقع فلا تنفع شفاعة من شفع

قال نجد بن هشام فلما سمع هذا الكلام زاد به الغيظ والغرام وعلم انه اذا اطلق عنترة بن شداد يندم فتركه وخرج وقال للملك الافرنج اول ما رآك ذل وخاف من سطوتك واستشهد على نفسه انه عاجز عن براز خيالتك وسالته الدخول الى ديننا فاجاب من غير انكار ووعدني بذلك اذا رجعنا عن عباد النار وهذه عناية لانه لما راك ذل ولان ولاحت الشجاعة من بين عينيك فتكلم بكلام الجبان فلما سمع ملك الافرنج قوله كبرت نفسه عنده ووعد عنترة في الجميل عند بلوغ قصده

قال سعيد بن مالك ثم انه بعد ذلك رحل الحارث ملك الشام في مائتي الف على الشام ورحلت جيوش كسرى على هذا القبيل وكان ملتقاهم في اراضي ذيل والجبل الطويل وارتفع لهم ضجات مختلفات لانهم طوائف شتى فزعزعوا اقطار الفلوات وصهلت الخيول الصافنات وحملوا من غير اطالة ولا مراسلات وامتدت اطراف القناة الخطيات فطارت الجماجم على هياكل القامات وساحت الدما كالسواقي الجاريات واستغاثت بالنار جبابرة العجم وزعقت العرب بالهبل الاكبر من كل صنم وصاحت النصرانية بالاله المعظم وقام الحرب على ساق وقدم واظلمت الافاق وقطعت الارزاق وودعت الاجساد الارواح وداع الفراق ودام بينهم السيف يومين وليلتين على الاتلاق وسطا ملك الافرنج على الفرس والعرب بخطاف الارواح ونهب وابصر رستم فعاله فصدمه صدمة الشجاع الهمام وجرى بينهما عجائب اهوال تشيب روُوس الاطفال قبل الفطام ولم يفرق بين الفريقين الا الظلام وبعدها افترقت الطوائف عن بعضها وعادت الى الخيام وقد ربحت طوائف النصرانية على عبدة النار واستظهرت عليها غاية الاستظهار ولولا خوف الفرس من الملك كسرى لطالبت الفرار ونهبت الافرنج بعض مضاربهم وخيامهم وعادت وهي تشكر مقدمها ملك الافرنج وتثني عليه

قال الراوي واما اياس فاجتمع بنائب كسرى وتشاور فيما يفعلان وقد خافا من الانكسار على بعد الديار فقال رستم ما في الامر الا اننا نصبر على كثرة الاعادي ونقاتل قتال من كره البقا واحب الردى والا التجانا الى هذا الجبل الطويل وحمينا انفسنا من عباد

الانجيل وانفذ كتاباً الى كسرى واعلمه بما قد جرى وصف له هذه الخلائق الذي بلينا بها في القتال واطلب منه المعونة والابطال ونطاول القوم بالبراز حتى تدركنا العساكر من العراق وتفرج عنا ضيق الخناق فقال اياس بن قبيصة ما هذه الامور الا بعيدة المدى ولكن ما لنا اصوب منها ابدا . قال الراوي ثم انهما بنيا الامر على هذا الحال الذي اتفق واقاموا بشجعان الابطال حتى طلع النهار واشرق واضا بنوره وابرق فنادت العساكر النصرانية وركبت الابطال الافرنجية وتقدمت تطلب الكفاح وبان لها وجه النصر ولاح وركبت فرسان النور والنار وقد خافت على انفسها من العار فلما اعتدلت الصفوف ولمعت بوارق السيوف خرج من العرب فارس طويل القامة عريض الهامة عليه درع وثيق شديد اللمعان والبريق ضيق العيون ما للقضا عليه طريق وفي يده رمح دقيق وتحته جواد ادهم كانه البرق اذا اعتم فلما صار في وسط الميدان زعق زعقة ابهت بها الفرسان وحمل على الميمنة وكان فيها فرسان الافرنج فقتل منهم سبعة وطلب القلب نقتل من تحت العلم ثلاثة ابطال وعاد الى الميسرة فدهدك الفرسان وطلب الميدان فابهت الاعيان ووقف حتى اراح الحصان ثم تقدم الى قدام الصلبان ونادى ويلك يا عماه يا اقرنان يا من لا يراعي حق القرابة والاخوان اوليس بخلت عليّ بابنتك حليمة ورميتني بالهوان وحبستني من اجلها اعوام ابشر الان بخراب الديار والهرب والانكسار وهلاك من تعتمد عليه من اصحاب الصليب ولا بد لي من تفريقهم في الاقطار واترك اموالكم نهباً لعباد النار وان كنت في شك من هذا المقال فاخرج خيالة الافرنج وبطارقة الروم وفرسان بني غسان ثم انظر ما افعل بهم في الميدان فلما انتهى من افعاله تعجبت فرسان الطائفتين من احواله وعاشت ارواح عساكر الاعجام وقال اياس بن قبيصة لمن حوله من الفرسان القيام يا بني عمي ما اعجب قصة هذا الغلام وحق ذمة العرب الكرام ان هو اخلص .عما نيته يجينا بشجاعته فاحضروه حتى اسال عن حاله ونستخبره عن قصته ونعينه على كشف ظلامته لاني اعلم ان قومه ظلموه ومن بينهم ابعدوه والا ما كان فعل في حقهم هذه الفعال وقتل من صفوفهم هذه الابطال وما اظنه الا من اقارب صاحب دمشق الشام لاني اراه ينادي كما ينادي بالاعمام وان صدقني حذري فانه البارحة اختلط بنا في الظلام وبات عندنا في الخيام

قال مجد بن وكان السبب في قصة هذا الغلام ان الحارث كان عمه ومات ابوه وامه فتولاه عمه ورباه على احسن حال حتى اشتدت قواه وصار يركب معه الى الميدان ويحضر طعان الفرسان واذا برز معهم يجتهدون في تعليمه ويهذبونه لاجل هيبة عمه والجميل الذي

اوصابه ابوه وما زالوا كذلك حتى بلغ من الفروسية هذه المنزلة العلية وصار الذين كانوا يعلمونه الحرب يتعلمون منه خدايع الطعن والضرب ويحدثون عنه في كل امر صعب وكان اسمه ابا الدوح . قال الراوي وكان لعمه الحارث الوهاب بنت يقال لها حليمة ليس لها نظير في حسنها وجمالها وقدها وكالها يضرب فيها المثل في القبائل ويتجم عنها لسان كل قائل وكان ابو الدوح ربي معها من عهد الصغر الى ان بلغ مبالغ الكبر فافرد له عمه دارًا وحده الا انه لما بعد عن بنة عمه اخذه الوجد والغرام وما عاد ابدًا نظرها وصار يبكي اذا ذكرها وزاد به الامر حتى انهُ انفذ اليها يطلب منها نظرة او انها تكلمهُ كلمة ولا تفعل ذلك بل ترد رسول ابن عمها وتشتمهُ وحلفت انها مدى الزمان لا ترحمهُ لانها كانت متعبدة وفي النصرانية مجتهدة والنصارى لا يزوجون بني الاعمام لان ذلك في دينهم حرام فبغضتهُ من هذا الوجه ولم تسمع له كلام وقالت هذا قليل الدين فاسد اليقين والا ما كان يراسلني بهذه الرسالة ويقابلني بهذه المقابلة وما زال يراسلها حتى ضجرت وعن رد الجواب عجزت وقالت الى ابيها يا ابتاه قد فضحني ابن اخيك مما يراسلني صباحًا ومسا ويطلب مني ما تطلب الرجال من النسا وما كان ينتهي عن ذلك الحال ولولا فزعي منك ما اطلعتك على هذا المقال وانما خفت ان يبلغك هذا الحديث عني فتقتلني ظلمًا وعدوان وتقول لي لمَ ما اعلمتني بفعاله قبل الاشتهار وهذا باختيارك كان فلما سمع ابوها مقالها انجرح فواده واشتد غضبهُ على ابن اخيه لاجل فساده وفي الحال امر غلمانهُ فقبضوا عليه وقيدوه وفي بعض الحبوس تركوه واستمر على ذلك الشان مدة من الزمان يقاسي الذل والهوان فعلمت ارباب دولته بقصته فسالوه فيه واخرجوه بعد ما وبخوه على فعاله ولاموه الا انهُ ما ازداد الا هيامًا وعشقًا واحزانًا وبلغنا انهُ حبس وضرب من اجل حليمة مرارًا عده وزاد امره وخرج عن حده وارادت القسوس ان تحرمه وتخرجه من دين النصرانية فاظهر الجنون وصار يحدث بما لا يكون وخلع لباس الجندية ولبس لباس الرهبانية وصار يدور بالاديرة والصوامع ويقضي النهار والليل في البكا وفيض المدامع وهو يتمنى ان يظهر لعمه عدو يطلب عناده حتى يسير الى معاونته ويشفي فواده وما زال كذلك حتى وصلت عساكر الافرنج من البحر وسارت عساكر انطاكية الى قتال الملك كسرى انوشروان وسار عمهُ في بني غسان فراى ابو الدوح هذه الامور فطار قلبهُ من شدة الفرح والسرور وقد حدثتهُ نفسهُ بكل الامور وهان عليه الموت في هوى حليمة وقال وحق مركوكيس لا اخاطر بهذه النفس الكريمة ثم انهُ طلب من بعض اصدقائه عدة حرب وجلاد وسار في اثر العساكر حتى لحقها في ارض ذبل وكان وصولهُ اليهم في الليل فاختلط بعساكر

الملك كسرى . قال الاصمعي ولما اصبح الله الصباح واضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على روؤس الربى والبطاح جرى ما جرى من الشان و برز ابو الدوح الى الميدان وقتل الفرسان ورأى اياس بن قبيضة فعاله فشكره ودعا له واحضره بين يديه وقال ابشر يافتى بحسن الخير والهنا وزوال الضير والعنا فاخبرني بحالك حتى نجازيك على افعالك فان كنت مظلوماً اعناك وان كنت فقيراً اغنيناك وان كان عليك دم اجرناك و بذلنا ارواحنا دونك وفديناك فقال ابو الدوح لا شيء من ذلك ولا غرض مال ولا غنى ولا اشتكي الا حرّ النيران الجوى وجور سلطان الهوى وظلم عمي لي وجور ابنته وقص عليه جميع قصته وامور العظيمة وما جرى عليه من الحبس والقيود والغرام في هوى حليمة وقال عند انتهاه من شكواه وما التجات اليكم الا لاكسر عساكر النصرانية واملكم الشام بالكلية واني اذا كسرت عساكر عمي الذميمة وسلمت اليكم دمشق وهي اكبر غنيمة لا اريد منكم الا حليمة و بعد ذلك اكون خادم الدولة الكسروية والملة المجوسية فقال اياس اعلم ياغلام وحق من اعشب البيدا وهو يعلم ما يكون غدا ان تم هذا الحال لا ناخذ من الشام ولا عقال ولم نترك لاحد فيها حكماً ولا مقال بل نسلم الجميع اليك ونمدك بالعساكر والابطال والا صالحناهم على طاعتك بعد طاعة الملك كسرى وتركنا ملكهم يحمل الينا الخراج قهراً ثم انه غيّر عدته بعدة كسروية واركبه جنيباً من الجنائب السلطانية واستشاره في الحملة على الطوائف النصرانية فقال ابو الدوح هذا قدامكم ولكن امهلوا عليّ حتى اشفي غليلي وهي من فرسان عمي واعرفه قدره واريحكم من الحرب الى العشية وان رأيتموه قد غدر وحمل بالعساكر يريد لي شرب المنيه فاحملوا انتم وابشروا بالنصر وبلوغ الامال لانهم روم وعرب وافرنج واما وحيات عيون حليمة سيدة الامال التي منهم طائفة في القتال ولو كانوا في عدد الحصى والرمال ثم انه عاد الى الميدان وطلب البراز والطعان هذا وعمه من فعاله سكران وعلى سلامته ندمان يتمنى ان ياكل من لحمه قطعة و يشرب من دمه جرعة وكلما اشتد به الغضب يقول وحق ذمة العرب لقد ضاعت التربية في هذا النذل الغدار وتماتة عاد النار فينا اشد من العار ثم بدأ يلوم ارباب دولته ويعاتبهم على سعيهم بسلامته فقالوا له لا تضيق صدرك ياسيد بني غسان فنحن نعيده اليك كما كان وهمت خيالة العرب المتصرة ان تحمل عليه فسبقها فارس من خيالة الجر وخرج اليه من تحت الصلبان والبيارق وانقض على ابي الدوح انقضاض الباشق وكان هذا افطس الانف كبير العينين قبيح الوجه غليظ الشفتين واسمه سوبرة فلما صار مع ابي الدوح في الميدان واخذ معه في معاناة الطعان ارسل اليه صاحب دمشق الشام يقول له اعلم ان هذا العربي

الذي حملت عليه هو ابن اخي واساء معاملتي بعد ان بذلت بتربيتو كل اجتهادي واريدك ان ظفرت به لا تقتله بل ايتني به اسيرًا حتى اشفي به غليل فوادي فاجاب واخذ مع ابي الدوح في الطعان والضراب حتى تحيرت منهما الفرسان وبهتت الشجعان واخذا في ضرب السيوف وايقنا بالحتوف وهزّا الرمحين وطعنا طعنتين فكان السابق ابو الدوح فوقعت الطعنة في صدر الافرنجي نفذ السنان من الناحية الاخرى فخرج اليه فارس ثان فقتله والثالث جندله والرابع عجّل من الدنيا مرتحله ولم يزل كذلك حتى قتل من الافرنج خمسة عشر فارسًا ولما اقبل الظلام رجع الناس الى الخيام وعاد ابو الدوح وفرسان العراق قدامهُ تشكر فعالهُ وصدامهُ وامر لهُ اياس بن قبيصة بسرادق كبير وانفذ لهُ كل ما يحتاج من ديباج وحرير وخيل ومال غزير فنزل ابو الدوح وهو يقول لاياس ابشر يامولاي بكسر جيش اعدائك وبلوغ مناك وفي هذين اليومين افني الابطال المعول عليهم في القتال وافرقهم في كل برّ وفدفد واذا هربوا الى دمشق الشام ترى كيف ابلغ منهم المرام

قال الراوي ثم ان ابا الدوح صبر الى ان ذهب الليل وعادت الابطال الى ظهور الخيل وعلت الشمس على الخافقين فخرج الى بين الصفين واشهر بين الفريقين وقد تزيى بزي اهل العراق ولبس من آلة الحرب ما يبهر نواظر الاحداق وركب على جواد من الخيل العتاق يسبق في جريه البرق عند الابراق وكان قصده في ذلك اليوم ان يكشف عساكر عباد الصليب عن عباد النار واللهيب.

قال محمد بن هشام وقد ذكرنا ما كان في قلوب اهل الشام من نعاله فما برحت تبرز الى قتاله فارس بعد فارس وهو يرمي رؤوسهم ويفني نفوسهم وما زال على مثل ذلك حتى انتصف النهار وقد قصرت عن برازه الاخيار وكان قد اهلك من خيالة الافرنج خمسين ومن عساكر الشام ثمانية ومن الروم البطريقين معروفين وهمّ ان يرجع لغير جواده ويبلغ مراده واذ قد غدره بنو فزارة بالمكاثرة حتى تقرب باسره الى قلب عمه فحملت عليه بانها من الميسرة وتبعتها جماعة من العرب المتنصرة وزعق الجميع زعقة منكرة وعلا فوقهم الغبار وطلبوه من سائر الاقطار وضاقت من ذلك صدور عباد النار وزعق اياس بن قبيصة في عرب بني طي الاطائب فحملت من كل جانب وزعقت العجم وجبابرة الفرس والديلم وكان ملك الافرنج قد تاهب في ذلك الوقت والساعة وطلب ان يبارز ابا الدوح ويظهر ما عنده من القوة والشجاعة واذا بالعساكر قد حملت على بعضها البعض وطابت الحرب وزاد البلاء والكرب واشتد الضرب وهان كل امر صعب وصاحت الافرنج وحملت ولنار الحرب

اضرمت والصوارم في الرقاب قد عملت وتحيرت النواظر وانذهلت العقول وتبدلت
والوجوه الحسان تغيرت وجارت احكام الحمام وما عدلت ووقع الطعن في صدور الخيل
فجفلت وفارقت الارواح الاجساد فانفصلت واهتزت الارض وتقلقلت ودام السيف يعمل
حتى استرخت ستور الظلام ونزلت وطلعت النجوم وازهرت ودمع النظار ممن حضر ورثى
الضرب على النحور والصدور كوقع البرد على اصم الصخور وطلب الجبان الهرب والمفر
واستبشر الشجاع بالنصر والظفر وذهبت ارواح الجميع الى سقر وما بقي احد من الطائفتين
يقدر على مفرّ من القضاء والقدر ولما اطبق سواد الليل واعتكر عادت الجيوش الى سقايها
والدماء تسيل من اجسامها ولما استقرت الطوائف في خيامها وكان اياس بن قبيصة ونائب
الملك كسرى قد نزلوا في السرادقات وابو الدوح في جملة السادات فقال اياس للعرب
والاعجام والله لولا هذا الرجل الذي التجأ الينا في هذه الايام لما قدرنا على المقام مع عساكر
الشام لان بلادها قريبة وعساكرها عجيبة وفرسانها نجيبة وكل يوم يأتيهم فرسان وابطال
غريبة من كل جانب ولم يأتِ الى تفريقها وقت مناسب فقال ابو الدوح لا تضيق صدرك
ولا تشغل فكرك فانا افرق لك هذه العساكر والابطال واعمل على ديار عمي بالاحتيال لانهم
بغوا علينا وعدلوا عن الانصاف الى المحال فقال له اياس وماذا تريد ان تفعل يا بطل
فقال ابو الدوح قل للحجاب والنقباء وكل مقدّم ان يختاروا لي الف فارس من العجم والعرب
الفرس والديلم حتى اسير بها الى دمشق الشام واحتال على نائب عمي الذي هو فيها واقتله
واسلب نعمته واملك تلك الديار وتبصر ما يجري على هذه الطوائف من الانكسار اذا
وصلت اليهم الاخبار واخاطر بنفسي لعل يتم لي ما اريد من الغنيمة ولا تشمت بي الاعادي
وحايمة وقد قاسيت في هواها كل بلية عظيمة فلما سمع اياس كلامه زال عنه همه وغمه
وطاب الاستظهار والامان باي وجه كان ومن ليلته امر النقباء فانتخبوا له الف فارس
عرب وعجم وترك وديلم بعد ان امرها بطاعة ابي الدوح وشاور رستم في ذلك الخطاب
فراه عين الصواب وتاهبت الابطال قبل نصف الليل وتسالمت على جياد الخيل وقادها
ابو الدوح واخذ في عرض البر حتى ابعد عن عساكر عمه في ذلك الظلام واخذ على
طريق دمشق الشام وهو مثل المجنون لان الهوى هون عليه نفسه واختار ان يسكن رمسه
وما اصبح الصباح حتى غاب في البطاح وكان اكثر العدد الذي على اصحابه رايات وبنوارق
وصلبان و بيارق و بذلك امرهم حتى تنثني احوالهم عند اشرافهم على البلد واخذ ابو الدوح
على الطريق يعلل نفسه بزوال الهم والضيق وانشد يقول

يادهر ويحك ان بلغتني أملا ممن احب وامسى الحبل متصلا
شكرت فضل اياديك التي سلفت حتى اموت وتلقى نفسي الاجلا
قالت حليمة اني فيك زاهدة فاذهب وخلي بنات السادة الفضلا
وعذبتني بجفاها مهجتي عبثا ولم تراع ولم تصغ لمن عذلا
وعن قليل أجازيها بما فعلت اذا رأت دارها قد أصبحت طللا
انا الذي سيفه ان سل سال دما من شفرتيه وان حكمته فعلا
وذا بلي كلما التفت عليه يدي رايت فيه سنانا يسبق الاجلا
به أنال المنى من وصل غانية قد صيرتني لاربابي الهوى مثلا
جهلت ديني وخليت الصليب لها وظلمها قد تركني اعبد الهبلا

قال الراوي . ثم انه لما فرغ من شعره سار بمن معه من القوم حتى تبقى بينه وبين البلد يوم او دون يوم فقال للرجال الذين في صحبته اعلموا انني قد عولت على امر وبه نأمن الانكار وننال به ما نحب ونختار ان انتم اجبتموني اليه وطاوعتموني عليه وهو اننا ناخذ الديلم والعجم الذين معنا في هذا المكان ونشدهم على خيولهم كالاسارى بالهوان وندور نحن الالف بهم في البيارق والصلبان ونشرف على البلدان حتى اذا ركب نائب عمي الى ملتقانا ونقدم الينا حتى يسالنا عن حالنا وعساكرنا واخبارنا فاحدثه انا بما يسر قلبه واطول معه الحديث حتى يصل منكم خمسون فارساً الى الباب فتهون الامور الصعاب واضرب بعد ذلك نائب عمي اطير رقبته ونبلغ المراد ثم نقضي غرضنا من اهل هذه البلاد فقالوا له والله يا ابا الدوح لقد اشرت بالصواب لان عمك اذا بلغه هذا الخبر انهزم وانكسر ولو كان معه عساكر بعدد اوراق الشجر ونحن نعلم انهم بعد قليل يتفرقون وانهم على الحرب عازمون وان عاد عمك في طلب البلد تطمع فيه اصحابنا وكل احد ونملك الشام من بعده ونهلك عساكره وسائر جنده ثم ان القوم بنوا امرهم على هذا الترتيب وشدوا منهم الف فارس من الاعجام بعد ما اخبروهم بحالهم وما خطر على بالهم ولما قاربوا دمشق ووصلت اخبارهم الى حامد بن حنيظ الذي كان خليفة الحارث في ذلك المكان وعنده ثلاثمائة فارس من الفرسان فركب وخرج يكشف الاخبار فراهم يتحاذرون من سائر الاقطار الا انهم ما ابعدوا عن الاسوار حتى لاحت البيارق والصلبان والاسارى تساق بينهم شبه النسوان فقال حامد يا العرب وحق المسيح انكسرت عساكر العراق واتتنا فرسانهم تساق وهم في الشد والوثاق ثم انه اخذ ينظر الى مقدم الجيش واذا به ابو الدوح فلما رآه صاح ونادى لله درك يا ابا الدوح اخبرني

بالخبر وطيب قلبي فقال له ابشر يا حامد بالنصر والغنى وبلوغ المنى فقد كسر عمي عساكر الملك كسرى واهلك منهم خلقاً كثيراً واتبع اثارهم ليملك ديارهم وما عدت انا على هذه الحالة الاّ حتى اعرض هذه الاسارى عليك واسلمها اليك لانهم من خواص العجم وابطال الديلم وقد امرني ان اجمع له كل رجّالة الشام والحقة بها الى بلاد العراق حتى يفتح قلاع عباد النار لان الراجل انفع من الفارس وقت الحصار ومازال معهُ في الحديث والكلام والخطاب حتى صار اصحابهُ في الباب فسل حسامهُ وضرب بهِ حامداً اطير راسهُ قدامهُ فعندها حملت بنو علي على الرجال الذين كانوا معهُ فشالوهم على الرماح شيلاً واي شيل وانزلوا بهم الويل وما نجا من الثلاثمائة من يبشر ولا من يخبر. قال الراوي وكان ابو الدوح قد دخل دمشق الشام ضحى النهار وما صارت الشمس في قبة الفلك حتى لاح له النصر وملك البلد وقال لمن معهُ مكنوا السيوف من الخاص والعام والقوا الهيبة في قلوب هولاء اللئام حتى تتم لنا الامور ونزداد في السرور فعندها حملت الفرسان من كل مكان ووضعوا السيوف في اهل البلد وعلا الصياح وانعقد وجرت الدماء في الاسواق وقامت الحرب على قدم وساق وكانت النصرة لاهل العراق لان اكثر اهل البلد هربوا في الدروب وتركوا الاموال بين ناهب ومنهوب ومنهم من لبس السلاح وطلب الحرب والكفاح ودام القتال واشتدت الاهوال وتصايحت الفرسان والابطال وكانت بوقات القوم قد ضربت على اسوار القصر فرحاً بوصول الاسارى والنصر ثم اختفت خوفاً من الاعجام وعملت الصوارم وبذل ابو الدوح سيفهُ في العوالم لانهُ كان صاحب البطش والباس وقد حدثتهُ نفسهُ بان ياخذ محبوبته ولو اهلك سائر الناس فسطا سطوة الجبار وصاح في الخاص والعام ويلكم ارجعوا لدياركم والمنازل واخلصوا من البلاء النازل لانني قد سلمت البلد الى نائب كسرى ملك العرب والعجم لاجل ما فعل عمي في حقي وظلم وغداً تصبح عساكره متتابعة ورايات الفرس مقبلة وطالعة وتجازون على هذه الفعال افارموا سلاحكم واطلبوا سلامة ارواحكم والا سبيت نساءكم واولادكم وفعلت بكم كما فعلت باجنادكم لان عمي قد انكسر والجيش الذي معهُ هلك واندثر والسالمون طلبوا انطاكية وتلك البلدان وانتم اليوم رعية الملك كسرى صاحب التاج والايوان فتلافوا اموركم قبل الندم ولا تقاتلوا فتسبى نساؤكم والحرم

قال الراوي وما زال ابو الدوح يتفوه بمثل هذا الكلام وهو يضرب بالحسام حتى رموا من ايديهم العدد وما تبقى لهم صبر ولا جلد وطلبوا الامان وقد اغلقوا الابواب واجتمعوا خلف الجدران وكان قد امسى المساء فوكل ابو الدوح في روءس الطرق والمضائق الف

فارس ودار هو حول القصر بالف فارس وكانت حليمة قد بلغها من اول النهار ما جرى فلطمت على خدها وزاد بكاوها ووجدها وعلمت ان ابن عمها ما فعل هذه الفعال الا من اجلها فانقطع ظهرها وحارت في امرها ونشرت شعرها ودقت على صدرها وصارت تصيح من الفزع وترجف من الخوف والهلع وظنت ان اباها هلك على الحقيقة وسالت دماؤها مما لطمت على خدودها وشقت اثوابها واشتد مصابها وتنكرت فيما تفعل وقالت لامها ومن حولها من بني عمها وحق المسيح لابد ان اقتل نفسي بيدي ولا اترك ابن عمي يشمت بي ثم انها سلت سيفاً من سيوف ابيها ومكنته من بين ثدييها وعولت ان تخرجه من بين كتفيها فلطمتها امها خوفاً عليها واخذت السيف منها وقالت لها يا ابنتي اذا عرض عليك الزواج فقولي انا لا اريد رجالاً بل اريد استمر على حالتي بكراً كما تركني المسيح بن مريم طاهرة فقالت لها يا اماه ما هذا المقال وهل يقبل مني هذا الحال ولا سيما انه فاسد اليقين فقالت لها امها عندي راي اخر وهو صواب وبه تبلغين ما تشتهين من الاراب فقالت وقد زاد بكاها وكثرت شكواها هات ما عندك من الراي السديد لعلي ادفع شر هذا العنيد والا قتلت نفسي واسكنتها رمسي فقالت لها امها الصواب اننا نجمع كل من في القصر من السيدات والجواري والمولدات وننشر شعورنا وندخل كلنا على هولاء العرب ونستجير بهم ونمسك كل واحدة منا منديل الذمام ونعيد عليهم ما جرى علينا من المصائب والاحكام ونضمن لهم خلاص انفسهم اجمعين وعودتهم الى اهلهم سالمين غانمين ونسالهم المعونة على هذا الشيطان ابن اللئام والذي قد اتى الينا بهولاء الاعجام ونومنهم بالعهود والميثاق ونسعى لهم بالاطلاق ونمكنهم من السلاح والخيل العتاق وان هلكوا قتلنا ارواحنا ونكون قد بذلنا المجهود ولا نسلم نفوسنا حتى نبلغ المقصود على انني سمعت اباك مراراً كثيرة يقول ان هولاء المحبوسين ما لهم في الشجاعة نظير ولا لهم مثال في الحرب والقتال ونحن واياهم اشرفنا على الهلاك والوبال واطلاقهم لنا على كل حال خيرٌ مما يكونون في الاسر والاعتقال فلما سمعت حليمة هذا المقال تعلق قلبها بزوال الاضامة وركنت الى كلام امها خوفاً من العقوبة والندامة ثم انها جمعت كل من في القصر من البنات والسيدات والجوار الروميات ونشرنَ الشعور وكلهنَّ احسنُ من البدور وسارت بهنَّ حليمة طالبة الحجرة التي فيها عنترة بن شداد واصحابة الاجواد وجميعهنَّ كاشفات الوجوه ناشرات الشعور حيارى ودخلنَ على الاسارى

قال الراوي وكان الاسارى قد سمعوا الصياح وضرب البوقات وقد قويت في البلد الزعقات وراوا الذين كانوا بهم موكلين قد دخلوا من كل مكان ووراءهم البنات

والنسوان وهم يزعقون الامان الامان ياسادات العربان

قال الراوي وكان عنترة شديد الغيرة على الحريم فنكس راسهُ لما نظر ذلك الامر العظيم وقال استرنَ وجوهكنَّ ياحرائر وارجعنَ الى الرب القادر الذي لايراه الناظر عند نزول الكبائر واقللنَ من البكاء والانتحاب وحدثنني بما جرى على الحارث الوهاب وكيف طرقتكم هذه الامور والاسباب فاخبرتهُ حليمة بقصة ابن عمها ابي الدوح الكافر واطلعتهُ على ما جرى لها معهُ من الاول الى الاخر وانهُ احتال على البلد وملكها في الحسام وسلمها الى الاعجام وهتك الحرائر واهلك العساكر وما فعل ذلك الا من اجلي حتى يتملكني وانا لااحل لهُ لاني بنت عمهِ ومراده ان يسن سنة ردية في دين النصرانية ثم ضمنت لهُ الاطلاق من الوثاق والعودة الى اهلهِ بالهدايا والتحف والخيول العتاق فقال عنترة والله ياحرائر السادات ان دخولكن عليَّ وانتن على هذه الحالة والاسباب انساني ما انا فيهِ من الاسر والعذاب وقد بغضت نفسي الحياة لعظم هذا المصاب وانا اكشف عنكم هذه الشدة ان شاء الملك الخلاق وارجع الى ما انا فيهِ من الشد والوثاق حتى لانكون عملنا معكم مكرمة وطلبنا مقابلتها الخلاص والاطلاق لان الكرام لايطلبون جزاء اذا جادوا بالعطا ولا يذمون الدهر اذا جار او سطا ويحملون النوازل التي تاتي من السما لان لنا ربًّا كريمًا يفعل في خلقهِ ما يشا وانا مسلم الامر اليهِ ومتكل في جميع اموري عليهِ

قال الراوي ثم ان عنترة طيب قلبها ووعدها بزوال كربها وامرها باحضار عددهم وسيوفهم وزردهم ففككتهم من الوثاق وسعين الى الجميع بالاطلاق ومافيهم الا من وعد حليمة ان يتلف قدامها مهجتهُ ويضرب ابن عمها ويطير رقبتهُ فقل منهن البكا والخوف والاشتكا وباتوا طول الليل ينقلون الى عنترة واصحابهِ السلاح من السيوف والرماح حتى صار وقت الصباح واسفر عن وجههِ الوضاح وفي ذلك الوقت زحف ابو الدوح الى القصر في العرب والعجم وجبابرة الديلم وصاروا يضربون الباب بالعمد وعلا الصياح وانعقد

قال الراوي وكان عنترة واصحابهُ قد لبسوا صدور الزرد وتدرعوا بالحديد المنضد ووقفوا بالسيوف والدرق وقالوا لاهل القصر لايكن فيكم من يصيح و يزعق واتركوهم حتى يدخلوا الابواب ويبصروا ما ينزل بهم من العذاب وكان الخدام والغلمان قد شدوا لهم الخيول والجنائب فلم يركبوها وقالوا لهم اتركوها حتى نقتل هولاء الانذال ومن خرج منهم الى خارج البلد نركب الخيول ونتبعهُ ويكون قد اتسع علينا المجال

قال الراوي . وما فرغوا من ذلك الخطاب . حتى كسرت الفرس الابواب ونما قمت

الى نهب الاموال وسبي الكواعب الاتراب وازدحمت الرجال وقد ارتفع لهم صياح يذهل العقول وابو الدوح في مقدمتهم كانه شيطان في صورة انسان وهو ينادي ابشري يا حليمة بالسبي والهوان هذا وعنترة يهلهم ويكف اصحابه عنهم حتى صار في حوش القصر اكثر من ثلثمائة منهم وفي ذلك الوقت زعق عنترة وولده ميسرة واخوه مازن وعروة فارس الطراد وابن عمه عمرو وابوه شداد وبقية الرجال الاجواد وهزوا في ايديهم الصوارم الصقال وتلقوا الاعاجم بضربات اشد من وقوع الصواعق على الجبال فكان اول من قتل ابو الدوح الذي احتال بهذا الاحتيال لانه لما دخل من الباب الى الداخل صاح انا عاشق حليمة وقتيل عينها وسقيم جفنيها فحمل ميسرة عليه وضربه على وريديه طير راسه من بين كتفيه واما عنترة فحمل على العجم وطير منها الجماجم والقمم وكذلك مازن المقدم وعروة ورجاله محوا الديلم وطلبوا الفرج من ذلك الضيق والحرج هذا وكلما دخل قوم صارت روؤسهم كوم هذا وصياح النسوان بالافراح قد ارتفع وعلمن ان البلاء قد اندفع وعلمت حليمة بقتل ابن عمها فزاد فرحها وزال غمها وما زالت الفرس والعرب تدخل و بنو عبس تحصدها بالبتار حتى ارتفع النهار وانقطع مددها وضعف جلدها فعادت على الاعقاب تطلب الابواب وهي هاربة وصياح الناس عليها من كل جانب انعقد وما بقي فيهم احد يعتدي على احد لان الخدام الذين في القصر نادوا من اعلاه وبشروا اهل دمشق بالذي ذكرناه واعلموهم بفك الاسرى فتبادرت الناس على اصحاب الملك كسرى وزجوا اليهم الحراب والاحجار من اعلى الجدار وما خرج من البلد الا كل ضامر مهزول وقد كان لهم يوم مهول وعنترة واصحابه تدركوا اعناق الخيول وخرجوا خارج البلد وما عاد عنترة حتى اهلك البائين وتركهم في اقطار البر مطروحين ورجعوا يطلبون البلد وعروة بن الورد يقول لعنترة يا ابا الفوارس دعنا ناخذ الراحة ونتباعد عن ديار الاعداء فقال عنترة لا وحق من يعلم ما يكون غدا وهو الملك المتعال لا نغدر بالنسوان اللواتي اطلقننا من الاغلال ولا ندع حليمة تعير العرب بنقض العهود بل الى البلد نعود فان راينا الابواب على حالها وهي مفتوحة دخلنا ورجع لما كنا فيه من الاسر والعذاب وان كانت حليمة غلقت الابواب عنا وخافت منا طلبنا اسماء وجة مجيد ونتوجه الى ارض الحجاز . وعذرنا عند الناس واضح وميزاننا راجح . قال وكان الحارث انزل اسما في القصر عند اهله وابنته وامرهن باكرامها لاجل ما راى من حسنها وكمالها وكان عنترة قد عاتب ولده ميسرة واخاه مازنًا من اجلها مرارًا وهم في الاسر والاضرار فاعتذروا له مما عملوا وندموا على ما فعلوا وشكا اليه ميسرة حبها وما

جرى له من هواها فعذره ورحمة لانه كان على العاشق شفيقًا وبالمتيمين رفيقًا هذا وعروة قد وافقه على الرجوع الى البلد لما سمع منه هذا الكلام وتبعه في الصدق والذمام وكذلك فعلت بنو عبس الكرام لانهم علموا ان الطريق بعيد واما ميسرة فانه قال لعمه مازن اطلب بنا يا عماه البر ودع العرب يعبر وننا بنكث العهود والغدر فقال مازن انا والله لا اتبع لك رايًا ولا امرًا لاني ما رايت على متابعتك خيرًا لاننا في هذه النوبة كادت تضرب رقابنا وجهلنا القانا في اسرنا وعذابنا ولولا ان نعتذر الى اخي ويقبل عذرنا لكنا هلكنا كلنا وان رجعنا الى ما يكدره فلا يسمع لنا مقالاً ولا يقبل لنا عذرًا ولا سوالاً هذا وعنترة يطلب البلد وهو ينظر الى ناحية الحجاز منشدًا

يا عبلَ لولا مجال البعد اقصاكِ ... ما بات قلبي بجرحٍ في الهوى شاكِ
ارمحُ قدك قد افتى بسفك دمي ... ام سيف ناظرك الفتاك افتـاكِ
جفني وجفنك في تجنيس فعلهما ... توافقا بين سفاحٍ وسفاكِ
سفينة الصبر في بحر الدموع رست ... فقال جفني بسم الله مجراكِ
بلغت رشدي وما ادركت منك منى ... واحيرني في بلوغي قبل ادراكِ
يا روضة الحسن جفني فيكِ منهملٌ ... بسقيك من فيضهِ والعين ترعاكِ
عزيز حبك في قلبي له سكنٌ ... ماذا يضرك لو اكرمت مثواكِ
من ذا يقيسكِ بالبدر المنير وهل ... لطلعةِ البدر جزء من محياكِ
قبلت كاسَ الطلا مذ لاحَ مبتسماً ... فلذَّ حتى كاني لاثمٌ فاكِ
فتنتِ الحافظ كل العاشقينَ به ... كني القتالَ وفكي قيد اسراكِ
كم ذا تجورين في اهل الغرام أما ... كفاكِ ما فعلت في القلبِ عيناكِ
كيفَ الوصولُ لثغرٍ عزَّ جانبهُ ... لم يدنُ منهُ سوى كاسٍ ومسواكِ
ان كانَ شاهدَ طرفي منظرًا حسنًا ... سواكِ لا فرحَتْ عيني بلقياكِ
فهلْ افوز بقربٍ منكِ يا املي ... ليلاً ويجتمعُ المشكوُّ بالشاكي
بني فزارة لا زالتْ منازلكم ... قفرًا وفيها يصيح الظلم والباكِ
كما سعيتم ببعدي والقيود الى ... يدي وعنقي وتصفيدي واشراكي

قال الراوي ولما فرغ عنترة من مقالهِ تعجبت جميع الرجال من فعالهِ وحسن يقينهِ وخصالهِ ووصلوا الى البلد فرأوا ابوابها مفتحة على حالها والناس يدعون لهم ورجالها والقسوس والرهبان هرعوا اليهم ومشوا بين ايديهم حتى وصلوا الى القصر والاسوار فالتقتهم حليمة وحولها

الخدام والجوار وقد لبست ثياب الملك والافتخار ونثرت عليهم النثار واستقبلتهم بالفرح والاستبشار وقالت لعنترة لولاكم لكانت بيوتنا خربت ونساؤنا سبيت والاعادي لناملكت وانا اسالكم ان تنزلوا في هذه الدار التي اخليتها لكم وتتمموا نحونا احسانكم الى ان يقدم ابي ان كان سالمًا من الوبال ويجازيكم بالاموال ويعتذر اليكم مما جنى واجترم ويكون لكم عنده اسمى مقام فقال عنترة والله يابنت الكمال وربة الجلال ما رجعنا لاجل المجازاة ولا المال لان مال الارض كلها في ايدينا ما دامت انفسنا باقية لنا ولم نرجع اليكم الا لاجل الصدق عليكم لاننا اسرى ايديكم فافعلوا بنا ماتشتهون ودبروا ما تريدون لاننا قد علمنا ان العبد لا يقدر ان يمد يده الى مولاه ولو قتله كل يوم واحياه فتعجبت حليمة من هذا المقال وعلمت ان اعتقاده صحيح ما فيه محال

قال الراوي وكان لحليمة دار كبيرة في القصر فانزلتهم فيها ذلك النهار واوصت بهم الخدام والجوار وانفذت من ساعتها الى ابيها نجابًا تعلمه بجميع الاسباب وان القوم باتوا في نعيم لانهم كانوا في ذلك الاسر ينتظرون الهلاك فاصبحوا يحكمون في اعدائهم كما تحكم الاملاك في الافلاك ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح اتى الى حليمة جماعة من الذين على الاسوار وقالوا ايتها السيدة قد لاح لنا غبار يدل على عسكر جرار ونقول ان اباك قد سمع بما جرى فرجع عن قتال عساكر كسرى فزعًا على البلد من ابن اخيه وخوفًا عليك من دواهيه

قال نجد بن هشام فلما سمعت حليمة من الخدام هذا الكلام فرحت بسلامة ابيها وركبت الى ملتقاه بالحشم والخدم الا انها ما بعدت عن البلد حتى اقبل من عند ابيها بعض الغلمان ولاحت الاعلام والصلبان وكان السبب في عودته الى الاطلال بعد فراق ابي الدوح وتلك الاحوال ان طائفة العجم باكرت في القتال وحملت عساكر الافرنج ورجال الشام ونصحت في القتال بنو فزارة الشام وكان للقوم وقعة ضاق فيها الخناق وتقطعت الاعمار والارزاق وعملت السيوف الرقاق والرماح الدقاق واستظهرت عساكر الشام على الديلم والاعجام وصار اياس بن قبيصة يخفي الابطال ويصبرها على المصائب والاهوال وكذلك رستم مقدم الديلم وما صبرهم على الصدام الا رواح ابي الدوح الى الشام وعند المساء التجاوا الى الجبل الطويل واخذوا في الانتظار وقد ايقنوا بالهلاك والدمار لما هم فيه من بعد الديار ودارت بهم خيالة الافرنج وفرسان العرب واخذوا عليهم كل طريق ومذهب وكان الحارث الغساني قد استولى على كثير من خيام الاعجام وعباد النار واخذ منهم اسرى لا تقدر ولما استقر به

القرار افتكر بابي الدوح ابن اخيهِ وقال اليوم ما برز الى الميدان وما غاب الا لسبب من الاسباب وقد اكثر عنهُ السوال فلم يوقفهُ احد على حقيقة الحال فانكر ذلك وقلق قلقاً عظيماً واحضر بعض الاسارى الذي خلصهم وسالهم عن حديثهِ وقصتهِ فاخبروهُ انهُ توجه الى دمشق يحتال على فتحها لما في قلبهِ من حليمة لانهُ وعدا باساً بذلك المرام وانهُ في هذه الايام يملكهُ دمشق الشام فلما سمع الحارث هذا الكلام صعب عليهِ وعض على كفيهِ قد دخل على ملك الافرنج وحكى لهُ القصة وقال ها انا عائد الى الشام تبقى انت ها هنا تجاه هذه الطائفة التي التجات الى الجبل واني ارجع على عجل فقال لهُ ملك الافرنج افعل ما تريد وغداً ان شاء الاله القادر افرق هذه العساكر

قال محمد بن هشام فلما سمع الحارث هذا الكلام طاب قلبهُ ورحل طالباً الشام وهو يكاد يختنق من شدة الغيظ على ابن اخيهِ وما زال مجداً في المسير وسرعة التشمير حتى قرب من دمشق فالتقى بابنتهِ وحدثتهُ بامر ابي الدوح وقصتهِ وخبر عنترة ورفقتهِ فتعجب الحارث من عنترة ونخوتهِ بعد اسرهِ وذلتهِ وانزل العساكر في ظاهر البلد ودخل على عنترة ومن معهُ وقال لهم ابشروا ياسادات العرب ببلوغ الارب لانكم صنتم الحريم وفعلتم فعل الرجل الكريم ثم انهُ تقدم الى عنترة وبكى بين يديه واعتذر فقال عنترة والله ياملك نحن ما جرى علينا ذلك الا بامر مالك المالك فاخبرني الان بما جرى عليك من عباد النيران فحكى لهم قصتهُ على التمام قال لهم اعلموا ايها السادة الكرام انني مقصر عن مجازاتكم في هذه الايام لاني تركت عساكر النصرانية قدام عباد النار واللهب وانا وحق الاله الذي اذا طلب غلب خائف على عساكرنا من الانكسار والهرب والفرار واريد منكم الان ان تتمموا المعروف والاحسان وتسيروا معي غداً الى قتال الاعداء واذا فرغنا من القتال جازيناكم على هذه الفعال لان مصاحبتكم عز وفخر ومعاداتكم جهل وشر فقال عنترة والله ما نحن اليوم الا اسراك فان اردت ان تطلقنا من الفكاك ابشر بكسر اعداك لان ملكهم قد تعدى على صهرنا الملك النعمان فقال لهُ الحارث اعلم ان قد قتلهُ كسرى عباد النيران واخذه في المكر والخداع والغدر بعد ما صار لهم وقعة عظيمة في ارض ذي قار والذي اتى الينا هو اياس بن قبيصة بعد ما اخذ مملكة العربان ونحن كنا قد كسرناه لولا ابن اخي

قال الراوي فلما سمع عنترة بقتلة النعمان اشتعلت بقلبهِ النيران وتراكمت عليهِ الهموم والاحزان وعلم انهُ قد انهدم ركن بني عبس وعدنان وبكى بكاء شديداً وقال واسفاه عليك يا نعمان ويا ذل عباد النيران من شر العربان ثم انهُ التفت على الحارث سيد بني غسان وقال

وقال هيا بنا يامولاي حتى اريك ما افعل بهذه الفرقة العراقية فاني ساعحوها بالكلية فقال الحارث وقد فرح بقول ابي الفوارس هذا يكون غداً لان النهار قد انقضى ثم نقلهم الى الدار الكبيرة وامر الخدام فاحضروا الطعام والمدام وحضرت الاغاني والكاسات والقناني فاندهش عنتر وحار مما ابصر وقضى الحارث تلك الليلة معهم في سرور وانشراح الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فعولوا على الرواح واذا بالغبار قد علا وثار وبان من تحتو خيل واردة وفرسان شاردة فقال الحارث الوهاب هذا ملك الافرنج قد عاد وهو مكسور مهان ومعهُ بنو غسان وانا اقول انهُ بعد عودتي عنهم وقعت بهم الخسارة والتلعان ثم ان الحارث ركب ونادى في عرب الشام فنفرت من المضارب والخيام وتبادرت تطلب الغبار

قال سعيد بن مالك وكان السبب في ذلك ان اياس بعد رواح الحارث استقل عرب الشام وقال لرستم مقدم الاعجام اعلم ان الحارث قد رحل وان لم نكسر هذا الجيش الذي بقي من هولاء الانذال والا هلك ابو الدوح ومن معهُ من الابطال واذا بملك الافرنج قد برز الى الميدان ومحل الضرب والطعان وعليهِ درع مذهب وعلى راسهِ بيضة تتوقد كانها كوكب وبها من كل صليب مركب ومتقلد بسيف مجوهر عتيق مطلوق الحد دقيق وفي يده قنطارية اسرع من المنية وهو مستتر بطارقة ترد مضارب السيوف الهندية وبين يديهِ اكثر من خمسمائة من رجالهِ تعظم شانهُ الا انهُ لما صار بين الصفين ردهم الى وراه وجال بين الفريقين حتى حير كل من رآه فقفزت الى قتالهِ بنو طي فارس بعد فارس وهو يختلف ارواحها ويرمي على الارض جثثها واشباحها وقتل خمسة وعشرين فارساً وارادت ان تبرز لهُ فرسان العجم فردها رستم ان يهلك المقدم وقفز يطلب معهُ الطراد وهو على جواد يحاكي الليل في السواد وعليهِ درع مصون ضيق العيون لايخشى لاسنة المنون وعلى راسهِ تاج كسروي مشروق بالذهب وفي يده عمود من الحديد ان ضرب بهِ حائطاً هدهُ او اوما الى جيش رده فتلقاه ملك الافرنج وحمل عليهِ وطعنهُ في القنطارية بين يديهِ فضرب رستم القنطارية في العمد طيرها اربع قطع وثنى عليهِ بالعمد بضربةٍ صادقة فاخذها ملك البحر على الطارقة فردتها ونزلت على البيضة فخسفها والى راسه فهرستهُ ونزلت الى صدره هرست عظام رقبتهِ وحمل على طوائف النصرانية وهجم واشار في يده الى طوائف العجم وانصر اياس فعالهُ ففرح وحمل في العرب والديلم ولعب السيف في الجماجم والقمم ورأت الافرنج ان ملكها قتل والحارث فرّ فدارت خيلها الى نحو انطاكية وطلبت الهرب ووقعت بنو فزارة بالنبا والسلب واخذت منها جابرة الاعجام اوفى من الف اسير وطلب الباقي ارض الشام وغنائمت في رجوعهم

المذاهب ودارت بهم عساكر العراق من كل جانب وقصر الجواد في سنان فاخذوه اسيرًا
وطعن حصن فوقع في ايديهم حقيرًا ودام الطعن يعمل في ظهورهم من العرب والاعجام حتى اشرفوا
على الشام وركب الحارث من وقته والامير عنترة وجماعته الابطال الشداد وطلبوا الغبار
والسواد وبنو فزارة هاجعة وعلى وجوهها راجعة وهي لاتسمع خطابًا حتى وصلت قدام الحارث
الوهاب ورفعت اصواتها في البكاء والانتحاب وحكوا له ما جرى عليهم من الامور الصعاب
فعندها زاد قلقه واشتد حرقة ودار على الابطال ورتبهم يمينًا وشمالًا هذا وعنترة ينظر الى بني
فزارة وقد اشتفى بما هم فيه من الخسارة فقال ميسرة لابيه دعنا ناخذ بالثار من هولاء فقال له
عنترة كفاهم ياولدي ما هم فيه لان الله سبحانه وتعالى الذي ساداتهم في اسر عباد النار ونحن
قد تعهدنا الى الحارث بكل من في هذه الاوطان والصواب ان نعينه على اعدائه باي وجه
كان ونعود الى اهلنا والاوطان ونجتهد في اخذ ثار النعمان
قال الراوي ومافرغ عنترة من هذا المقال حتى اقبلت عساكر العراق فكدّر غبارها الآفاق
وصاحوا صياح الطمع وبرق حديدهم ولمع وابصر اياس خيام الحارث خارج البلد فظن
ان ابا الدوح ملكها فزال عنه النكد فصاح في بني طي ونقدم وحمل رستم في جبابرة العجم
فاستقبلتهم اهل الشام بصلبانها ونادت قسوسها ورهبانها فابصر عنترة كثرة العدد وتزايد
المدد وغبار عباد النار قد طار واعتقد فخاف على جيش الحارث من الانكسار في تلك الديار
فصاح عنترة وحمل وكذلك ولده ميسرة واخوه مازن فخاضوا في القسطل وضربوا
الرقاب وبروا القلل وطعنوا بالاسل وقاتلوا قتال الجبابرة الاول وسطا ابو الفوارس سطوة
الشجاع البطل ولله در اخيه مازن وما فعل وولده ميسرة وما عمل في ذلك اليوم الشديد
الغير وكم قتل من الميمنة والميسرة هذا والرؤوس طائرة والوحوش من هول الصياح نافرة
والغبائر ثايرة وكؤوس الموت على الطائفتين دايرة والصوارم للاعمار باترة والخيل بالجماجم
عاثرة والدماء من القتل فايرة والسيوف في احكامها جائرة الى ان اقبل الظلام وولى النهار
بالابتسام فافترقت الطوائف عن ضرب الحسام وعادت الى الخيام فلما اضرمت النار وجن
الظلام اجتمعت الفرس والعجم حول رستم مقدم الديلم وشكوا اليه ما لقوا من عنترة بن شداد
ومن معه من العرب وكذلك بنو طي شكت الى اياس ذلك السبب فقال انا والله عاذركم
في هذا الشان ومتحير من امر هذا الشيطان ومن حضوره الى هذا المكان واظن ان ابا الدوح
هلك على يده بعد ما كان للبلد قد ملك ثم اشتهى ان يعرف السبب فاحضر سنان بن ابي
حارثة وسأله عن ذلك فقال له يامولاي انا اتيت به الى هذا المقام ومعه خمسمائة فارس على

الشام ثم حدثه بما فعل في وصيف الرمل من الفعال وقال له في الاخير وما سرنا الى قتالكم الا وهو في القيود والاغلال ولا ادري بعدها ما جرى

قال الاصمعي فقال له اياس يا ابن الانذال واخس من كفر بالملك المتعال ابقيت سجنا لا يستحق البقا وايست الى الشام بمن لا يدارى ولا يلتقى وسيف راسك وراس بني فزارة نقع الخسارة لاننا نحن اذا عجزنا عن اخذ الشام ورايتا الامر صعب المرام صلبناكم في هذه الافاق وعدنا الى ارض العراق ثم بات الى ان طلع الصباح واضاء بنوره ولاح فثارت العساكر من كل ناحية فتقدم اياس الى رستم واخبره بعنتر وقال له بعد ما اعلمه بالخبر ما بقينا ننال منى ما دام حاضرًا هذا الشيطان والراي اننا نبذل المجهود فان لاح لنا لائح النصر والا صلبنا الاسرى وعدنا الى الملك كسرى فقال رستم لا وحق شمس النهار وما فيها من الانوار انا لا اعود من هذه الديار حتى افني كل من عبد الصليب والزنار واجعل كنايسها معابد للنار وان كان خوفك من عنترة وجماعته فانا اقلع منهم الاثار وافعل بهم كما فعلت بملك البحار وان كنت في وجل فتمهل حتى اريك ما افعل لاني ما نمت البارحة مما شكا اصحابي ولا اخذني نوم مما حدثوني عن هذا العبد ومن معه من القوم ثم انه نفر من ساعته وهو متسربل بالحديد وبالزرد النضيد وعلى راسه بيضة تتوقد وقد رسم فوقها صورة المعبد وتحت فخذه حربة مسقية باسنة اقطع من المنية وفي يده عمود اذا ضرب به الجبال صدعها واذا هزه في وجوه الابطال اجزعها فجال بهذا الزي العجيب وطلب البراز من عباد الصليب فبرزت من بني غسان ابطالها ولكن خابت امالها لانه في ساعة واحدة رمى عشرة من رجالها في صدامه فعدل من مقامه ولما ابصر تقصيرهم زاد به الطمع وعلم ان الابطال دخل في قلوبهم منه فزع فهز في يده العمود وهجم على الصفوف هجمات الاسد وطلب الصلبان والبنود وحدثته نفسه ان يميل الصليب الاكبر ويكسر وحده العسكر الا انه ما قتل ثلاثة فرسان حتى اعترضه ميسرة بن عنترة وقاربه وطعنه فانكسر الرمح في يده ولم يقطع ولكنه من شدة الطعنة تضعضع وسقط العمود من يده ووقع فعندها استلب حربة من تحت فخذه وعاد الى ميسرة عودة الاسد وكان ميسرة قد حار في انكسار رمحه وبطلان طعنته وعول ان يسل حسامه ويقابل خصمه فرأى العمود قد وقع وصاحبه انجزع فانقض ميسرة عليه واخذه بيده واستقبل رستم وقد رجع اليه وهو يهدر كانه البعير وهز حربة في يمينه ولما راه ملك العمود انقلبت عيونه فزج الحربة الى صدره فمال ميسرة لما راها ورأى رستم قد اقبل وراها وهو يخب بجواده كانه القضاء المبرم ويبربر بلغة الديلم فهز ميسرة العمود وضربه

على صدره خلطه مع عظام ظهره وقد قلبه الى الارض ومزجه في بعضه البعض فلما ابصرت العساكر طلبت من الشمس انصار وحملت بعد ما استنجدت بالنار وحمل اياس في بني طي من سائر الاقطار وحمل عنترة بن شداد وقد خاف على ولده ميسرة من النفاد ووراءه اخوه مازن وصحبته وعروة ورفقته وصاح الحارث الغساني في عرب الشام فخرجت من تحت الصلبان والاعلام واختلطت بالفرس والاعجام وارتفع عليهم الغبار والقتام وعمل الصارم الصمصام واشتد بين القوم الصدام وكانوا فرقاً شتى مختلفي الاديان والكلام ونادت الفرس والعجم بالنار والنور فاجابوهم بالصليب والزنار وزعقت العربان بالاصنام زعقات تحير الاوهام وعبست الوجوه بعد الابتسام وتقطعت الاجساد بالحسام وسكرت الابطال من غير مدام وعمل القتال ودام وقل من الطائفتين الكلام حتى قرب المساء ودنا وقت الظلام وفي تلك الساعة انهزمت عساكر الاعجام وصار اياس بن قبيصة ينادي فيها وهي لاترجع عن الانهزام لانها خافت على انفسها واشتد بها الفزع ورات من بني عبس وعنترة بن شداد جبلاً لايندفع فولت على الجنائب السبق واستترت باذيال الغسق فلحق مازن باياس بن قبيصة ملك العرب وقد طلب الهرب فقتل من رجاله اربعة وضربه ضربة مشبعة فقطع الحديد الذي كان عليه وجرحه جرحاً بالغاً بين كتفيه فاخذها وولى الهرب وقد دارت به جماعة من بني عمه والاصحاب وتبعت عساكر العراق بعضها بعض وابتلعتهم فلوات الارض وكان قدوم الليل لهم من جملة السعادة لانه سترهم باجنحة سواده هذا وقد عاد عنترة بن شداد من اتباع اثرهم هو ورجاله الاجواد بعد ان ملاوا بالقتلى وجه الارض ومددوهم طولاً في عرض وكان ميسرة بن عنترة قد شفى في ذلك اليوم الغليل وفعل فعل الجبابرة من اصحاب الفيل وعاد الى ابيه والدماء من منكبيه ورمحه تسيل وهو يهمهم مثل النار المسعرة وينشد ويقول

ان لم اخلِّ الدماء سايلة على حسامي والدرع واليلبِ
فما بنوا عبس لي بهم نسبٌ ولا ابن شداد في الفخار ابي
عشقتُ سمر القنا وهمت بها وعشق سمر القنا من العجبِ
والسيف في المهد كان يونسني وفي يميني لما رُبيتُ ربي

قال الراوي وكان ابوه قد راى فعاله وسمع شعره فانشرح صدره وقوي به ظهره وكان الحارث لما انكسرت العساكر وانهزمت دقت كوساته ونعرت بوقاته وتقدم بالصليب والعلم الى مضارب عباد النار والى مضارب العجم فراى نعماً وابة نعم من الاموال

والاثقال وخيلاً وجمال ففرح بذلك واستبشر وزاد سروره بالنصر والظفر وقد ذكرنا ان سنان بن ابي حارثة وحصن بن حذيفة وجمع كثير من بني فزارة مع عساكر الملك كسرى اساري فخلص الحارث الجميع واحضرهم قدامه بعد ما هناهم بالسلامة واعلمهم ان بني عبس وعنترة هم الذين صانوا حريمة وقتلوا غريمة وردوا عنه البلا فذابت من بني فزارة الاكباد وعظم حسدهم وزاد ولكنهم ما قدروا ان يظهروا بغضة عنترة بن شداد لما راوا الحارث قد صفا له الوداد وجعل اعتماده عليه من دون كل العباد فاخفوا الحسد والاحقاد واظهروا الجلد والوداد وقال سنان بن ابي حارثة بمكره ودهائه وخبثه وقلة حيائه ما قصر والله ابن عمنا فلله دره ودر قبيلته والصواب اننا نمشي رجالة الى خدمته وتطلب منه الاعتذار مما فعلنا في حقه من الاضرار لانه قد احسن الينا مرار وخلصنا من انواع النوائب ونحن نلح عليه ونرميه في انياب المصائب ثم انه اخذ معه حصن بن حذيفة وجماعة من بني فزارة اللئام وامرهم فالتقوا عنترة بظاهر الخيام وهو عائد من خلف الاعجام فرفعوا له الاصوات بالشكر والثنا ودعوا له بالنصر والهنا ولما راه سنان قال له اهلاً وسهلاً بفارس العرب ومفرج الكرب وصاحب الحسب والنسب الذي لا يعمل معه الغضب ولا يعرف الفرار والهرب ولكن يا ابن العم قد اتيناك نطلب منك الاعتذار ونعترف بالقبيح الذي فعلناه معك مرار فان عفوت عنا ووهبت لنا خطايانا والا فامزج هذه الدماء الذي على رمحك بدمانا لاننا قد اشتقنا الى الاوطان ومللنا من الغربة والتجاج في البلدان ومالت منا جماعة الى عبادة الصلبان ونسوا الاصنام والاوثان وحرمة البيت الحرام وزمزم والمقام وما بقينا نعرف عهداً ولا ذمام ولا شافع لدى الملك قيس سواك ولا نعود الى ديارنا الا ان نكون بذمامك لاننا تحت ظل حسامك الفتاك ثم انهم بكوا في حرقة وتمداد فرقّ لهم عنترة بن شداد لانه كان قريب الرجوع صافي النية طيب الفروع فترجل الى سنان وعانق الفرسان وقال لهم يعزّ عليّ ان ارى احداً منكم يضام ويهجر اوطانه و يطلب في غيرها مقام ولكن هذا كله من حوادث الليالي والايام ثم قال لهم لا تعرفون عودتكم الى دياركم في هذا العام الا مني والسلام وانا اذا عدت الى بني عبس جعلت الملك قيساً يكتب لكم كتاباً يترضاكم و يزيل ما به من الحقد ويتلافاكم وتعودون الى دياركم كما كنتم لنا جيراناً وخلان ونتجرد بعد ذلك الى الاخذ بثار الملك النعمان ولا نزال حتى نقلع اثار الملك كسرى انوشروان ونخرب على راسه الايوان ثم اركبهم على الخيل التي عادت معه من عباد النار وعاد الى جواده مع جملة الاعراب وقدموا الغنيمة والاسلاب قدام الحارث الوهاب ففرح لهم بالصلح والوداد وترك البغي والفساد

وشكر عنترة وقد اعجبته مروّته وحلمه وقال له يا ابا الفوارس صلح بني الاعمام انعام على انعام على ان بني عمك قد اعترفوا فيما اوصلوا من القبيح اليك وما بقي لهم من اليوم اعتماد الا عليك فقال صدقت ياملك . صلح الاعمام انعام اذا صفا ولكن الباغي لا بد ان يلقى مصرعه في بعض الايام ثم انهم نزلوا في مضارب وخيام الاعادي وتناولوا الطعام واقاموا لهم حرساً خارج الخيام وغرقوا في بحر المنام ولما اصبح الصباح اتاهم من البلد ما عمَّ صغارهم وكبارهم من المال والانعام ومدوا بعد ذلك سفرة المدام في الاواني التي صنعها لنفسهِ ملك الشام من الفضة والذهب الاحمر وقد رُصّعت بالدر والجوهر وتناولوا الاقداح ودارت على السادات كؤوس الراح

هذا والحارث الوهاب قد اتخذ عنترة جليسهُ ونديمهُ وانيسهُ واخذ يسقيه من يده ويحييه على اصوات الاغاني ويبشره ببلوغ الاماني فلما دبت الخمرة في الاحشاء وكل منهم قد انتشا وقاربت اوقات العشا قال الحارث اعلم ياابا الفوارس انني قد اقمت على خزائن ملك العجم والفرس والديلم واياس الذي كان على العرب والعجم مقدماً وكلاء وخدم وقد جعلتها هبة مني اليك والى ولدك ميسرة واخيك مازن واصحابك الذين حواليك وجميع ما ترك الرجال من الخيول والبغال والاحمال ولا فضل لنا عليك لانك ملكتهُ بقائم سيفك النصال في الحرب والقتال ولا نقدر ان نكافيك بشيء من الافضال لانك صنت حريمنا والعيال وحفظت علينا البلاد والاطلال فنحن نكون لك عدة عند كل نائبة وشدة على العرب والعجم وملجا ناوي اليهِ اذا جاء الزمان وحكم الان ونعتذر إليك من التقصير ايها الامير فلما سمع عنترة ذلك المقال خدم له وشكر وقال والله ياملك الشام لو كسرنا قدامك الملك كسرى ملك الاعجام وملكناك خراسان وسائر الافاق وتركنا امرك نافذاً في سائر الافاق لما جازينا السيدة حليمة على اطلاقها لنا من الشد والوثاق ثم انهم داموا على ما هم عليهِ من المسرات وتناول الاقداح والكاسات والسرور والنعيم والملك المقيم الى ان اصبح الصباح فانتقلوا الى مكان كانهُ جنة من الجنان يزهو بالزهر والنبات وقد فاحت عليهم روائح العطريات وكان يقال له مرج الفضة والروابي البيضا وهي ارض خضرة ورياض نضرة نقية الازهار ملتفة الاشجار طيورها ناطقة والامياه في جنباتها متدافقة هذا وعنترة واصحابهُ متعجبون من عظم ما عاينوا غاية العجب وقد اخذهم الفرح والطرب

قال الراوي وما زال الحارث ينقل بني عبس وعنترة من مكان الى مكان ويخلع عليهم من سائر الالوان حتى مرت عليهم سبعة ايام وهم في غاية الاكرام ولما طال عليهم المطال شكا عنترة الى الملك شدة شوقهِ الى ارضهِ والاطلال وانهُ يريد الارتحال فاجابهُ الى ذلك

الامر وامر الخدام فقدموا الى بين يديهِ سبعين جنيباً من الخيل المنسوبة الحسان المختلفة الالوان وكلها بالعدد المرصعة يتبعها سبعون غلاماً مرداً من اولاد الروم كانهم القمر بين النجوم وتسعة بغال لا تقدر ان ترفع رؤوسها مما عليها من التحف الغوال وثلاث جوار روميات احسن من الاقمار الكاملات تعجز عن وصف حسنهن السن الواصفات وخلف كل واحدة منهن ثلاث بغلات حسان وعلى كل بغلة منهن صندوقان فيها الجارية ثياب مفتخرة من طيب واموال وجوهر وعقود زائدة الاثمان ومعها من النعم ما تعيش به على طول الزمان وما فيهن الا من لها جوار حسان ولما سارت هذه الجواري قدام عنترة قال له الملك الحارث انظر الى ما بين يديك قد حضر لاني قد سمعت انك على ولدك ميسرة غضبان من اجل اسها لانه اخذها وفعل في حقك ما فعل من العصيان واتى الى بلادنا والاوطان فلحقته انت واصحابك وجرى عليكم ما جرى وهذه الثلث الجواري جعلتها لهذا المرض دواء الان كل جارية منهن اذا وقفت قدام اسها تركتها ارضاً وهي لها سما نخير ولدك ميسرة بواحدة منهن لتكون له اهلاً والثانية لاخيك مازن يجمع بها شملاً والثالثة في حوزتك تعطيها لمن يستحقها من جندك او عشيرتك فقال عروة والله يا مولاي ما في بني عبس احق بها مني لانني في طول عمري مهاجر اطلالي ونافق اموالي والان وقع لي مثل هذه الفرصة اباخذها غيري وابقى انا في غصة فهذا شيء ما بقيت اصبر عليه ابداً

قال نجد بن هشام فتبسم عنترة عند استماعه هذا الكلام وقال له يا ابا الابيض ان الامر لا يحتاج الى هذا الكلام فهي لك وحق من انشا الانام فقال عروة اعلم ايها البطل الاوحد انه لا يعرف احد ما في قلب احد وما انا خائف الا ان اموت وما رزقت ولداً يكون لي عضداً وسنداً وتقول فرسان العرب والحضر ان عروة كان في زمانه مطيخر فضحك عنترة الهمام من ذلك الكلام وزاد في الابتسام واعطاه الثالثة بما معها من الاموال والانعام ونته بعد ذلك الى الارتحال هذا والعبيد قد حملت الاحمال وساقت بين يديه تلك الاموال والنعم الغوال وكانت شيئاً كثيراً يكل عن وصفه اللسان ثم ركبت الفرسان فقال الملك الحارث يا ابا الفوارس اما تاخذ عسكراً من هذا البلد يسير معك الى ارضك وان احتجت اليه عند قتال الملك كسرى يساعدك على قتال الاعداء فقال عنترة ايها الملك الكبير ان العبد لا يحتاج الى ذلك لاني انا ومن معي نلتقي باذن الله جمعاً غفيراً واما كسرى وسائر رجاله فعرب الحجاز غير عاجزة عن قتاله وان كنا نحتاج اليك انفذنا وفيك استنجدنا ثم انه سار وسنان بن ابي حارثة سائر في ركابه يبكي لوداعه هو وسائر اصحابه ويسأله في اصلاح احوالهم

مع قيس بن زهير وعنترة يعدهم بكل خير ثم جد عنترة بعد ذلك في السير الى ان قطع ارض الاعناك واتسع البر في عينيهِ من هناك وتذكر عبلة وقد ارتاح لما فارق ارض الشام وهبت عليهِ ارياح الشيح والخزام وصار يسلم عليها كما يسلم على الانسان لفرحهِ بقريب عبلة ومن لهُ من الخلان وتنفس الصعدا وابدى لوعة وكمدا ورفع صوته وانشد يقول

ريحَ الحجازِ بحقِ من انشاكِ ... رديّ السلامَ وحيي من حيّاكِ
هبي عسى وجدي يخف وتنطفي ... نيرانُ اشواقي ببردِ هواكِ
يا ريحُ لولا انَّ فيكِ بقيــةً ... من طيبِ عبلةَ متُّ قبلَ لقاكِ
كيف السلوُّ وما سمعت حمائماً ... يندبنَ الا كنت اولَ باكِ
بعُدَ المزارُ فعادَ طيفُ خيالها ... عني فقار مهامهِ الاعناكِ
يا عبلَ لايحزنكِ بعدي وابشري ... بسلامتي واستبشري بفكاكي
ذلَّ الأُولى آحنالوا عليَّ واصبحوا ... يتشفعون بسيفيَ الفتــاك
هلاَّ سالتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكِ ... ان كانَ بعضُ عداكِ قد اغراكِ
يخبركِ مَنْ حضر الشامَ بانني ... صافيت ودي من اراد هلاكي
وعفوت عن اموالهم وحريمهم ... وحميت ربعَ القوم مثل حماكِ
ونصرتهم لما اتوا في ذلّةٍ ... بسنان رمحٍ للدمــا سفّاك
ولقد حملتُ على الاعاجمِ حملةً ... ضجّت لها الاملاكُ في الافلاكِ
ونثرتهم بالسيف نثراً وافيــاً ... ضرباً يقدُّ الدرعَ بالاحاكِ
يا عبلَ لااخشى الحمامَ وانما ... اخشى على عينيكِ وقت بكاكِ
لولم تكن احكامهُ حتماً لمــا ... وقعت طيورُ الجوّ بالاشراكِ

قال الراوي فطربت الفرسان لنظمهِ ونثره وشكروه على شعره وما زالوا سائرين يقطعون القيعان وعنترة قدامهم كانهُ الاسد الغضبان حتى قاربوا الارض التي أُخذوا منها وهي الرصيف فنزلوا فيها وقد بقي لهم دون اليومين فاكلوا وشربوا ولذوا وطربوا واستراحوا في ذلك المكان ومن شدة شوق عنترة الى بني عبس قال لعروة يا ابن العم اما تعجبت من قصتنا وكيف اننا وقعنا في هذه الشدة وطالت علينا المدة ولم يسال عنا قومنا فقال عروة يا ابا الفوارس اما تعلم ان فرسان العرب كلها تحسدك لما انت عليهِ من الهيبة وعلو المرتبة واقرب الناس اليك هم الذين يتمنون لك العثرات والمصائب الهائلات وان كنت تعني بذلك قيساً وبني عبس وعدنان

الكتاب الرابع والسبعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

فانا اعلم انهم مشتغلون عنك بهلاك صهرهم الملك النعمان وخوفهم من كسرى انوشروان فقال شداد والله يا ابن الاجواد ان قيساً والربيع بن زياد يبغضان ولدي ولو قدرا على قتله لقتلاه لكن الرب سبحانه وتعالى ما بلغهما الذي املاه فقال عنترة كل هذا يجوز فاخي شيبوب مات او اصابته بعض الافات لاني ما عرفت منه هذا الانقطاع ولا وقعت قط في نائبة الا وساق نفسه خلفي ولو كنت في اقصى البقاع فقال شداد وهذا امر اخر ما عرفنا له خبر ولكن الغائب معه حجته ولا بد ان تنكشف لنا قصته

قال الراوي ثم ساروا على ذلك الحال بعد الشد والارتحال وجدوا في قطع البراري والتلال واذ قد لاح لهم راجل يسعى ويقطع الارض قطعا كانه النمر النافر والطير الطائر فشخصت اليه الابطال الكرام واكثروا فيه الكلام فقال عروة لما راه هذا شيبوب وحق علام الغيوب فامعن عنترة نظره اليه فعرفه لما راه وصاحت فرسان بني عبس فرحاً عند ملتقاه وتقدم الى اخيه عنترة وضمه الى صدره وقال هذا صحيح وانت سالم وانا في بحر الكرى نائم فقال عنترة انا بحمد الله سالم غانم وعدوي مفقود نائم ولكن انت يا ابن السودا كيف طاوعتك نفسك ان تنساني كل هذه المدة الطويلة فما الذي اعاقك عني فقال شيبوب انا والله ما ظننت انك في الحياة الى هذه الايام ولا قلت الا شربت كاس الحمام وضرب رقبتك مالك الشام لاني لما ايئست منك منعت نفسي الزاد وحرمت عيوني طيب الرقاد واكثر ما زاد على الذي امرض مني الفواد كلام الاعداء والحساد وانهد مني الحيل والقوى ووقعت في مرض لم اعرف له دوا وما زلت على ذلك وانا اداري الشمات واتمنى الممات حتى كان في بعض الايام اتتنا الاخبار من احد التجار انك سالم انت وجميع الاصحاب عند الحارث الوهاب في الاسر والعذاب فلما عرفت ذلك وصحت الاسباب ذهبت عني الهموم والاوصاب واتتني العافية من كل باب فجعلت افكر كيف تكون الحال في خلاصكم من الاعتقال فلم اجد لي سبيلاً الى ذلك لان بلاد الحضر كثيرة الاسوار صعبة المسالك وعليها الحراس والرقبا والمهالك ونحن قد الفنا خديعة عرب البيدا والهجوم على المضارب في الفلاة قليلة الردى وزاد بقلبي الافتكار وما بقي ياخذني بعد ظهور خبرك اصطبار ورايت الملك قيساً مشتغلاً مع هاني من

اجل الملك كسرى ونومها قليل وحزنها على النعمان طويل فضاقت عليَّ المذاهب وما وجدت لي على ما اريد معيناً الا دريد بن الصمة فسرت اليهِ وقصصت قصتك عليهِ فتناثرت الدموع من عينيهِ وسب الملك قيساً وشتمهُ على فعالهِ ووبخهُ على اعمالهِ وقال والله لقد ضيع قيس من حنظلة طول الدهر وحفظ عياله فلاجل هذا قابلهُ الله بمكره وافجعهُ بهلاك صهره ثم قال والله لابد لي ان ابذل روحي لاجل نصرتهِ واسير الى الشام واخلصهُ من شدتهِ ولا اشمت فيهِ حساده لان لهُ علينا ايادي لم نجد لها مكافاة طول الدهر من فعلهِ ووداده

قال سعيد بن مالك ثم ان دريداً بعد ذلك جمع مقدمي قومهِ وسادات عشيرتهِ واطلعهم على هذا السبب فاجابوهُ الى ما طلب واجتمع عشرة الاف فارس وسار بهم الى ديار بني عبس ونزل في ساحة الفضاء وركبت اخوة النعمان وقيس الى ملتقاه وترحلوا بهِ واكرموهُ وقال لهُ قيس ياابا النظر اظنك قد عرفت ما جرى علينا في هذا الاوان وهلاك صهرنا النعمان وفقد حامينا عنترة الذي فعلت معهُ فعلاً قبيحاً من اجل عبدي وتعديت عليهِ كل التعدي فوالله لقد ندمت على ما فعلت وعرفت قدره ولولا الامير هاني بن مسعود الكريم الاباء والجدود والا كنت رحلت الى ديارك ونزلت في جوارك لانك لنا عدة عند كل نائبة وشدة

قال الراوي وكان اخوة النعمان قد طلبوا من دريد معاونين وانصار . بعد ما كان حكمهم نافذاً في سائر الاقطار فوعدهم دريد باخذ الثار وكشف العار وطيب قلوبهم وخفف كروبهم وتاسف على اخيهم النعمان وقال لهم ياسادات العرب اعلموا اني لا اقدر على هذا الشان الا بعد ان اخلص عنترة ومن معهُ من بني غسان وبعد ذلك نعود الى اخذ ثاركم وكشف عاركم واكون خالي البال من الاكدار واكاتب الحلل والقبائل وكل من سكن القفار ونقابل كسرى انوشروان على ما فعل ونزيل من رؤوس الفرس هذا الطمع فقال هاني ياابا النظر اذا كان الامر على هذا الشان فارحل بنا غداً حتى نسير معك في بني شيبان ونفني كل من في الشام من سائر الانام وافعل بهم مثل ما فعلت بابن كسرى شيراسان وعساكر الاعجام ونخلص عنترة ومن معهُ من الفرسان ونعود بعدها الى اخذ ثار النعمان

قال الراوي فلما سمع دريد هذا الخطاب قال ليس هذا بصواب لانك اليوم انت حامية عبس الكرام فلا ينبغي ان تفارقهم في هذه الايام واما انا فما قدامي امر يوجب وبهذا الجيش اسير الى بلاد الشام واخلص عنترة ولو انهُ على ظهر الغمام ثم انهُ اقام ثلاثة ايام وبعد ذلك رحل يقطع البر الاقفر الى ان وصل الى الرصيف الاكبر وهو المضيق الذي اخذتم

فيهِ اسري وجري لكم من القصة ما جرى واردنا يا ابن الام ان نجوزه واذ ظهر من مروجه الف من الخيل وهي ترعى في البيد وعندها عشرون فارسًا صناديد غارقين في الحديد والزرد النضيد وعندهم جماعة من العبيد فلما راى دريد هذا الشان قال لاشك بان هولاء نازلون هاهنا وانهم الى مكان سائرون او تجار الحجاز عابرون او لهم اصحاب وراهم كامنون في هذه الاودية يرعون خيلهم هنا وعلى كل حال اخذهم اولى من تركهم لنا لاننا نحن ما قصدنا اقاليم الشام الا لنخربها ونخلص عنترة ومن في صحبتهِ ثم انهُ ساق في سائر الابطال وامرهم بسوق الخيل والرجال فتجارت الفرسان حول القوم من كل جانب ومكان وقبضوا على الجميع واتوا بهم الى قدام دريد فتهددهم بالقتل والهوان وسالهم عن سبب نزولهم في هذا المكان فقالوا يا وجه العرب اعطنا على ارواحنا الذمام حتى نعرفك في جميع الكلام لاننا قد علمنا انكم من الارض الحجازية والامر الذي نحن فيهِ لا يعجبكم بالكلية

قال مجد بن هشام فلما سمع دريد هذا الكلام اشتغل قلبهُ واعطاهم الذمام فعند ذلك قالوا اعلموا اننا نحن الف فارس في هذا المضيق وقد ارسلنا سنان بن ابي حارثة شيخ بني فزارة حتى نقطع على عنترة الطريق ونهلكهُ هو ومن معهُ من كل صاحب وصديق ونأخذ ما معهُ من الاموال والانعام التي اعطاه اياها ملك الشام واصحابنا قد كمنوا في هذه الجبال والشعاب وامرونا بحفظ الخيل والدواب ولنا هاهنا يومان في هذا البر الاقفر وما سمعنا لعنترة خبر قال شيبوب يا اخي فلما سمع دريد هذا الكلام اخذه العجب واحترق فوأده من اللهب وقال لهم ويلكم وكيف سلم عنترة من سطوة الحارث الوهاب ومن خلصهُ من الاسر والعذاب فقالوا لهُ يا مولاي لهُ اسباب تحير العقول والالباب وذلك ان الحارث تركهُ بالسجن في دمشق وسار الى قتال كسرى وعسكر العراق ثم حدثوه بالقصة من اولها الى اخرها واطلعوه على باطنها وظاهرها وقالوا لهُ في اخر الكلام ان سنانًا لما رأى عنترة نجا من فم الاسد زاد في الحسد واظهر لهُ المحبة واخفى الكمد ثم انهُ صار يرق لهُ في المقال ويطلب منهُ العودة الى الديار والاطلال فوعده عنترة بكل جميل وان يصلح بينهُ وبين قيس ويرده الى الديار ويبلغهُ ما يحب ويختار ولما عول عنترة على الرحيل انفذ سنان لمقدم العرب المتنصرة اسد بن رسلان الذي كان صديقهُ منذ زمان وقال لهُ يا اسد ان عاد هذا العبد سالمًا ومعهُ هذه الغنائم انفطرت مرارتي ومت من وقتي وساعتي فقال لهُ مقدمها ماذا تريد ان تفعل حتى نساعدك على عملك فقال سنان انا لا اقصد سوى قتلهِ لا غير فان فعلت ذلك اعطيك ما معهُ من النعم والخير وليس غرضي الا نقطة من دمهِ ودم اصحابهِ وبني عمهِ لانهم هم الذين قتلوا سادات بني فزارة وبنت جفر

الهيا وتركونا نعيش في الذل غربا ومن الراي والصواب ان تاخذ من خيالتك الفًا وتسقهم
الى الرصيف الاكبر ثم تكمنون فيهِ وتصبرون عليهم حتى يتوسطوا الوادي وبعد ذلك
اخرجوا اليهم بالتراب والحجارة وافعلوا بهم ما فعلت انا في اول مرة ولا تدعوا احدًا يخلص
منكم فقال اسد ياسنان واي لذة تدخل في قلبك اذا كنت لا تعلم ما جرى من الخبر ولا
تنظر بعينك هلاك عنتر فقال سنان انا لا اقعد عن هذا الامر ولكن اسير بعدك بالف
فارس تمام اذا خرج من بلاد الشام واقفو خلفهُ الاثر حتى يتوسط الرصيف الاكبر واملك
عليهِ روس الوادي واشفي بعدايهِ فوادي واذا سلم احد من اصحابهِ وانهزم اجرعهُ انا كاس
النقم فلما سمع صاحبنا هذا المقال اجابهُ في الحال طمعًا في نهب الاموال وسار بنا قبل عنترة
بيومين حتى وصلنا الى هذا المكان ورتبنا الرجال على رؤُوس الجبال والان مقدمنا في
الانتظار وهذا ما معي من الاخبار

قال شيبوب فلما سمع دريد هذا الكلام زاد غيظهُ عليهم ولو لم يعطهم الذمام لكان
اعدمهم الحياة ثم انهُ فرق جيشه حول الجبل وامرهم ان يطلعوا اليهم بالعجل ففعلوا كما امرهم
وما احس الكمناء الا والسيف في اجسادهم قد عمل وتدحرجت رؤُوسهم من اعالي القلل
وجرت دماؤُهم من راس الوادي الى اسفل ومن شدة خوف دريد عليك من ان يتبعك
سنان رحل باصحابهِ من بعد ما عبر المضيق ولما كان عند الصباح قال لي ياشيبوب ارى من
الصواب انك تتقدم بين ايدينا وتلتقي اخاك ونحن سائرون من وراك لاني اخاف ان يتبعهُ سنان
وهو غافل ويبلغ منهُ ما هو آمل فلما سمعت مقالهُ سبقتهُ لاجلك وها انا قد لقيتك وعلى ما
جرى اطلعتك فلما سمع عنترة كلامه ذم الزمان وتعجب من غدر بني فزارة وخداع سنان
وشكر دريدًا على هذا الاحسان وظل سائرًا طالبًا استقبالهُ وقد اضمر لبني فزارة الشر
والضرر الا انهُ ما تعالى النهار وارتفع حتى ظهر غبار بني جشم وطلع ونظر عنترة الى دريد وهو
في اول الخيل فترجل عنترة وسعى اليهِ واراد ان يقبل في الركاب قدميهِ فمنعه من ذلك
وترجل اليهِ واعتنقه وقبله بين عينيهِ هذا وعنترة يدعو لهُ ويثني عليهِ وقال لهُ لقد اتعبت
قلبك في خدمة من لا يسوى نعلك وانا كنت بهذا الامر اولى لاني على كل حال انا العبد
وانت المولى فتبسم دريد من حسن ادبه وعقله واقراره بالعبودية وذله فقال له يا ابا الفوارس
ما السعي لخدمتك الا فرض عليَّ وعلى سائر بني هوازن وجشم وما المشي لمعاونتك الا مثل
المشي للبيت وكل صنم

قال نجد بن هشام ولما انتهى بينهم الكلام ساله عما جرى له في بلاد الشام فاخبره

عنترة بكسر عساكر كسرى وكيف خلص بني فزارة وسنان لما وقعوا مع العجم اسرى ثم قال له يامولاي وبعد فعالي معهم هذه الفعال سبقوني حتى يجازوني بهذه الاعمال فقال دريد ياابا الفوارس لقد تاه مسعاهم وخاب رجاهم ومن الراي ان نقسم قسمين ونقف في الطريق من الجانبين ومتى صاروا بيننا نطبق عليهم انطباق موج البحر اذا زخر ولا نخلي منهم من يخبر بخبر فقال عنترة وحق خالق الاصباح ومنشي الرياح ومركب الارواح في الاشباح ان وقع في يدي حصن وسنان لا تركهما بلا اذان اذ قد شاب راسي مما احمل معهما من الجميل مرة بعد مرة واخلصهما من كل ضيقة مرة وهما يسعيان في عثراتي و يطلبون مماتي وانا واثقا بهما المولى الكبير لولا خاطر قيس واخوته المغاوير لما ابقيت منهم لا كبيرًا ولا صغير فلما سمع دريد كلام عنترة علم انه قادر على ما يقول فعندها قال ياابا الفوارس انا اعلم انك قادر في كل وقت وان الله ينصرك لاجل ما يبغون عليك هم وغيرهم ولكن بالصبر والاحتمال ينال الشجاع غاية الامال

قال الراوي ثم انهم بعد هذا المقال عادوا الى الوادي والجبال وكان عنترة قد قدم ما معه من الاموال والغنائم قدامه مع جماعة من اقوامه ونفرت الخيل مع دريد في جانب وعنترة وولده في جانب واقاموا لبني فزارة في الانتظار وما تنصف النهار حتى ظهر غبار فاحدقوا اليه بالابصار واذا بنو فزارة قد ظهرت من تحت ذلك الغبار وحصن وسنان في المقدمة وهم طالبون الرصيف الاكبر لهلاك عنتر ولم يزالوا سائرين على مثل تلك الحال حتى صاروا بين الجبال . قال الراوي فانطبقت الرجال من كل جانب ومكان وعنترة يصيح في اوائلهم ابشروا بالخيبة الامال يا انسل الانذال وسلموا انفسكم من غير قتال والا وحق منسم الرياح نهبنا اجسادكم باسنة الرماح لان الكمين الذي لكم في المضيق هلك بالسيوف الحداد ونجا الصيد ووقع الصياد . ثم اطبقوا عليهم من كل مكان وحمل عنترة على الجحفل الذي فيه سنان وصار يطعن الفرسان بكعب السنان وكلما طعن واحد رماه وشيبوب يكتفه من وراه ويتركه ملقىً في الفلاه هذا وبنو فزارة قد حارت من ذلك البلا والنكد وما بقي احد يدافع عن احد لان العدد كثير ففي دون ساعة اخذوا الكل اسارى بعد ان اهلكوا منهم جماعة واسر عنترة حصنًا واسر ميسرة سنانًا ولما بردت نار الحرب والطعان تقدم عنترة الى سنان وضربه ونهره واوثقه على فعاله وغدره وقال له ويلك ياشيخ الضلاله ومعدن المكر والجهاله اهذا كان بجزائي منك بعد ان خلصتك من الاسر ولكن انتم يابني فزارة طبعكم الغدر وهو الذي اهلك جميع بني بدر وانت قد تشبهت باعمامهم فلا بد ان ينالك ما نالهم فقال سنان لا تفعل

يا ابن العم وازل عن قلبك الهم والغم ولا يخطر ببالك اننا تبعناك نريد لك سوءا وانما نحن خرجنا وراك فزعًا عليك من العدوان لاننا سمعنا بعد رحيلك ان الجهال من النصرانية استعظموا ما معك من الاموال وقد سبقوك الى الرصيف الاكبر في الف فارس يقطعون عليك الطريق فسرنا نحن على اثرك لاجل هذا الحال لنمنع عن ابن عمنا من يريد به النكال ونعينه على حفظ ما معهُ من الاموال الى ان يدخل الجبال وان كان ابن عمنا وقع وفات فيه الحال نبذل نفوسنا دونهُ ونخلصهُ من الاعتقال فعجلت انت في الامور الى ان انتهى بنا الحال الى هذه الاحوال فلما سمع عنترة هذا المقال تعجب من خبث سنان ومكره وعلم ان كلامهُ محال فقال لهُ قاتلك الله وقتلك ما اكثر خداعك وحيلك ولكن انا اعلم كيف اخلع من قلبك هذا الريا والنفاق واقابلك بالجور والاخراق فوالله لاجعلكم كلكم مقطعي الاذان وانزل بكم الذل والهوان وان وصلنا الى ارضنا سلمتكم الى الملك قيس واخوة النعمان لانكم تعلمون ما فعلتم بهم من الهوان ثم قال لعروة قل لشيبوب ان ياخذ من رجالك بعض الابطال يساعدونهُ على قطع اذانهم ونسوقهم بين ايدينا حفاة مشاة فقال ميسرة يا ابي انا اعاون عمي وما يحتاج الى احد معي وان كانوا عشرة الاف قطعنا اذانهم ثم سل خنجره ودار مع عمه شيبوب على بني فزارة فقطعوا اذانهم وخضبوا اثوابهم بدماهم وتركوهم عبرة لمن راهم فلما فرغوا منهم ارادوا ان يسوقوهم فنادى سنان الى عنترة وبكى وقال لا تفعل يا ابن الاعمام ولا تفضحنا بين عرب الحجاز والشام ولا تشمتهم بنا يا ابن الكرام لانك قد تركت فينا علامة لا تمحى ابدًا وقد بلغت منا المنى وبرد غليلك واشتفى فخلنا نعود الى الشام ونعيش باقي اعمارنا غرباء واحسب انك قتلتنا يا ابن شداد وقابلتنا على الحسد والعناد فدعنا نعيش بالذل والنعاد فقال عنترة لا انطل يا شيخ اللئام فوالله لا تركت لكم في الشام مقام ولا خليت لكم عند العرب لا قدرًا ولا ذمام ولا بد لي ان اترككم ترعون الجمال والاغنام وتتمنون ان تشبعوا من الطعام حتى لا يعيرني منكم احد برعي الاغنام ولا يغدر في بني الاعمام

قال الراوي ثم ان عنترة من وقته وساعته امر عروة ان يكتب كتابًا عن لسانه الى الحارث الوهاب وسيره مع نجاب وشرح لهُ في الكتاب حالهُ وما تم لهُ مع بني فزارة وما جرى له ويسالهُ نفيهم من ارض حوران وطرد من بقي منهم في الشام والسلام فلما راى دريد فعل عنترة العجيبة وقال له والله يا ابا الفوارس لقد فعلت احسن فعال لان هولاء اذا انتفوا من الشام صاروا لك اطوع من العبيد والخدام لانهم الى ارض العراق لا يسيرون وفي ارض الحجاز ما تركوا لهم صديقًا عليه ينزلون هذا ان سلموا من اخوة النعمان والملك قيس واقرباه

لانهم يفعلون بهم كما فعلوا باولاد بدر على جفر الهباة فقال عنترة ان كانت لهم سلامة ونجاة فما تكون الا من تدبير الربيع ودهاه لانه ربما سال فيهم فيسًا حتى يعينوه على اذيتي و يبلغ الربيع مناه ثم ان القوم ساروا يقطعون القفار بالحديث والاشعار هذا وعنترة يسال شيبوب عن عبلة وما قاست بعده من الذبلة وهو يقول والله يا اخي ما نشفت لها دمعة ولا بردت لها لوعة ولم يزالوا سائرين حتى قاربوا ارض الشربة والعلم السعدي ولاحت لهم المراعي والخيم فسبق شيبوب الى الاحياء يبشرهم بقدوم اخيه ومن معهُ من الرجال ودريد وفرسان القبائل فعند ذلك تبادرت اليهِ الفرسان وسالوه عن الحال فاخبرهم ان اخاه عنترة قد وصل هو ومن معهُ من الابطال ففرحوا بذلك الشان وتباشرت النسوان والشجعان وفي دون ساعة ارتج الحي ومن فيهِ من السكان وانجلت عن بني عبس الاحزان وزال الهم والغم عن قلب عبلة ومن لها من الجيران وفي الحال ركب الملك قيس واخوتهُ الشجعان وركب حمار بن عامر واخوة النعمان وركب هاني بن مسعود في بني شيبان وركب سائر بني عبس وعدنان وخرج الجميع الى عنترة وكان وصولهُ في يوم عظيم وارتفع الصياح عند ملتقاه وترجل لهُ المحبون وما فيهم الا من قبلهُ وبالسلامة هناه وبعد ذلك ترجل عنترة الى الملك قيس ولاخوة النعمان وجرت دموعهُ من الاجفان وانشد وقال

خليليَّ دمعي دائمًا ابدًا يجري ... على الملك النعمان حتى الى الحشرِ
لقد فجعتنا الفرس فيهِ وهكذا ... صروف القضا تجري على العبد والحرِ
لقد كان بدرًا في ذرى سعد برجه ... هوى فحوتهُ الارض في المهمه القفرِ
فان كان كسرى ساقهُ بخداعهِ ... الى غمرات الموت بالزور والغدرِ
فعما قليلٍ سوف نطلب ثاره ... على صهوات الخيل بالبيض والسمرِ
وتبصرُ منا الفرس يومًا عرمرمًا ... بوادره طعن احرّ من الجمرِ
وحرب عليهم كالسحاب عقابهُ ... صواعقهُ ندب المهندة البترِ
لانهم من امكر الخلق معشرًا ... فلا نامهم يومًا نوائب ذا الدهرِ
لقد جرعوا النعمان كاس حتوفهِ ... ونالوا مناهم بالخداع وبالمكرِ
سقى الله تربًا ضم اعضاه هاطلاً ... تسح عليهِ كل بادية تسري
سابكي عليهِ كلما غسق الدجى ... بدمعٍ كفيض البحر منهمرًا يجري
لقد داخل الاحشاء حزنًا مؤبدًا ... فمصرعه لا ينقضي أبد الدهرِ
سالت اله العرش بالركن والصفا ... بزمزم بالبطحاء بالبيت بالحجرِ

يمنّ عليهِ من رضاه برحمةٍ   ويصفح عنهُ في الخطيئة والوزرِ
ولا تمتُ والخلّاق عن اخذ ثاره   ولا بت الا في المهامه والقفرِ
الى ان ارى كسرى قتيلاً على الثرى   يجرع كاسات امرّ من الصبرِ
انا عنتر المعروف بالباس والندى   علوت على اعلى السماكين والنسرِ

قال الراوي ولما فرغ عنترة من انشاده بكي من فواد ملآن وقد بكت المقدمون والفرسان وقيس يقول ياابن العم كلنا نحمد الرب العظيم على عودتك الينا سالمًا وقال الاسود اخو النعمان ياحامية عبس وعدنان سمعنا من اخيك شيبوب انك ظفرت في بني فزارة وشفيت منهم القلوب واتيت بهم منقادين مثل الابل وانت تعلم ما فعلوا معنا في النوبة الاولى التي خرج فيها صاحب دمشق الى الحجاز وغدروا بنا ورمونا بالذل بعد الاعتزاز ولولا همتك مع دريد سيد العربان لكنا اليوم في الاسر والهوان والان اريد ان اضرب رقاب الجميع واهلك منهم الرفيع والوضيع فقال عنترة دبر ما تريد ياملك الاعراب لاني ما سقتهم الى هنا الا وحسبت هذا الحساب وقد ذقتهم في الطريق عذابًا اشد من نار الحريق .وعما قليل تاتيك نساؤهم واموالهم فجازهم على قبح اعمالهم وبعد ذلك نجد في طلب ثار النعمان من كسرى انوشروان ونخرب بلاد خراسان ونهدم معابد النيران ولا نخلي من الفرس والديلم من يمشي على قدم فقالوا لهُ هذا يكون لنا بسعادتك يافارس البيدا ولا يكون دم اخينا قد ذهب سدى ولا بد ان نجمع قبائل العربان من كل مكان الى هذا الشان فقال عنترة ما دام هاني بن مسعود في هذا المكان موجود لانحتاج الى احد من عرب البر والفدفد لاننا وحدنا نلقى عساكر خراسان ولو كانت من عفاريت السيد سليمان فشكره هاني على رقة هذه المعاني وقال والله ياابو الفوارس وزين المجالس انك انت عين هذا الزمان وسيد الفرسان فالسيوف لكفك طبعت ولو ضرب بها غيرك ما قطعت فتعجب الحاضرون من ثنائهم على بعضهم البعض وعلموا انهما فارسا الارض بالطول والعرض وبعد ذلك امر عنترة اخاه مازنًا وولده ميسرة وجماعة من رجال عروة ان يقدموا الاسارى من بني فزارة فصفوهم خمس صفوف ووقفوا حولهم بالسيوف وابصر قيس اذانهم مقطعة وثيابهم بالدماء مبقعة فاشفى كبده وخف ما عنده وتقدم الى سنان وضربهُ بالصوط على راسهِ وقال لهُ ويلك ما اردأ طبعك .لعن الله اصلك وفرعك اما نهاك المشيب عن الجهل والغدر وما اعتبرت بما جرى على اولاد بدر ثم ان قيسًا اوقفهُ على فعالهِ وذكره بمن قتل من اخوتهِ بغدره واحتيالهِ

وعول على ضرب رقبتو فقال لهُ الربيع لاتعجل يا ابن العم وانظر في العواقب قبل الندم لان العجل لا يامن زلة القدم واعلم انك اليوم صرت عدو ملك الفرس والعجم وانت قليل الاعوان وتريد ان تهلك بني عمك والاقران والصواب عندي انك تتركهم عندك في الاطلال في ذلة الاسر والاعتقال الى ان يصل اليك من بقي في ارض النساء والرجال وتشهد عليهم شيخ العشيرة دريدًا ومن اجتمع هاهنا من الابطال انهم متى عادوا لغدر ولا تكون دماهم لك حلالًا ولا ترجع تقبل فيهم سوال على انني لا افعل ذلك في حقهم محبة ولا انا معهم عصبة لانهم بغدرهم اهلكوا جماعة من اخوتي اولاد والدي ووالدتي ولكن يا ملك ان احتمال بني الاعمام عز وغنىً ومعاداتهم ذل وعنا

قال مجد بن هشام فما اتم الربيع هذا الكلام حتى اقبلت نساء الملك النعمان ومن كان معهن في بكاء وهوان وهن ينادين بالله عليكم يا بني الاعمام لاتجددوا علينا ثياب الاحزان وارحموا نسوانًا انحل الحزن منهن الابدان ثم انهن اسرعن الى ناحية الاسارى وفي اوائلهن زوجة الملك الاسود وهي اخت حذيفة سيد بني فزارة وكان هذا الذي حصل بسببها لانها كانت فصيحة اللسان قد احبتها جميع النسوان وهي التي كانت تنبههن كل يوم الى البكاء قبل الفجر وتنوح على اخوتها اولاد بدر وتندب وتعدد بالنظم والنثر وعندها المتجردة زوجة النعمان وعبلة ومسيكة ونساء الماسورين مع عنترة في الشام

قال الراوي وانها لما سمعت ما جرى على قومها من العذاب صاحت في المتجردة وعبلة ومسيكة والله يا بنات العم ان لم تعاونني على خلاص ابن اخي ومن معهُ من الاهل والا هججت على وجهي في هذا السهل ثم انفذت الاماء الحاضرات وجمعت من كانت متزوجة في بني عبس من الفزاريات وامرتهن ان يكشفن روؤسهن ففعلن هذه الفعال وقد اقلبن الدنيا بالنواح

قال الراوي وابصر قيس وعنترة انهاك النسوان فخافوا من عاقبة البغي والعدوان والووا الوجوه وابطلوا ما كان مرادهم ان يفعلوا واما عنترة فانهُ لما راى عبلة على ذلك الحال وكف طرفهُ ودمع وكاد قلبهُ ان ينقطع فاخذها بيده وضمها الى صدره وقبلها في خدها وقال لها وانت ما رايت من بني فزارة حتى تساعديهم فقالت عبلة والله يا ابن العم ما ساعدتهم الا فزعًا عليك من الدعاء لانك سقت قومهم من بلاد الشام الى هذه الرحاب وما اتيت بهم الا لضرب الرقاب وزوجة الملك الاسود اخي النعمان قد سالتني في خلاص ابن اخيها حصن ومن معهُ وقالت لي والله يا عبلة لا يقدر ان يخلص الجميع غيرك من الغم فاستحييت وقمت يا ابن

العم والآن ما بقي في الامر الا اطلاق بني بدر حتى لاتحط منزلتي عند نساء الملوك ولا اعير بسوادك ويقال ان عبلة وقت قدوم بعلها سالته في حاجة وما قضاها لها فقال عنترة يا نور العين والروح التي بين الجنبين ان حاجتك تقضى وشفاعتك لاترد ابدا وانا وحق الملك الفتاح الكل في مامن على ارواحهم ومن اجلك ارد عليهم خيلهم وسلاحهم يا زينة الملاح وشمس الصباح ارجعي مع اخيك وابيك واقلي من بكاك لا عاش من يرد شفاعتك واقلعي عنك اثواب الاحزان وكفكفي دمعك من الاجفان ثم انه امر عبيده مالكا بسوق الاموال التي اتت معه من بلاد الشام وعاد هو وولده ميسرة واخوه مازن الى المواطن وانزل دريداً في مكان واسع كثير المياه والمنابع وامر شيبوباً والخدام فنقلوا له الطعام والمدام وقال لولده ميسرة اطلق يا ولدي بني فزارة اللئام واعف عن ارواحهم ورد اليهم خيلهم وسلاحهم وانزلهم عند دريد الى ان تعود اهلهم واظعانهم وننظر ما يامر الملك قيس بهم ولما فرغ عنترة من هذه الامور الى ابياته ومضاربه فتلقته امة زبيبة وهي تصيح مثل الناقة التي ضل عنها فصيلها واقلبت الدنيا بعويلها فقال لها عنترة عجبت لانك لم تكوني مع النسوان في بيوت الاحزان فقالت والله يا ولدي ما هن الا فاجرات خائنات لاني كلما يجتمعن احضر عندهن وهن يبكين واذا انا بكيت يرجعن يضحكن فقال لها وقد تبسم صدقت المقال لان لك تعديداً مثل رغي الجمال عند الشد والارتحال ثم انه دخل الى سرادقه الكبير وهو من الديباج الرومي والحرير ودخلت النساء العربيات الى عبلة مهنئات وهي تخلع عليهن الخلع المعلمات بالذهب مطرزات وما زالت على ذلك حتى امسى المسا وتفرقت عنه النسا وخلا بعبلة وما زال يقبلها ونقبله حتى كاد ان يغشى عليه ويقضي اجله وحدثها بما جرى له في سفرته وبعده سالها عما جرى لها فقالت والله يا ابن العم ما لاقى احد ما لقيت من فرح الاعداء . وبنو زياد فيما شمتت وضاقت علي الارض بما رحبت لاجل بعدك عني وانقطاعك مني ثم انها انشدت له تقول

فوالله ما للعيش بعدك لذة ولا لدياري بعد بعدك نورُ
ولاطاب لي عيش ولاالذ لي كرى ولا كان لي بعد الفراق سرورُ

ثم قالت يا ابن العم ولما انقطعت عني اخبارك وتحدث الشمات بهلاكك ودمارك واعتلى اخوك شيبوب زماناً طويلاً ولازمت انا بيوت الاحزان مع من رايت من النسوان انفذ عمارة الى امي يخطبني ومنها يطلبني ويقول لها ان ابنتك هلك بعلها وقتل ابوها ومن كان معه من اهلها وبقيت وحدها قاعدة مثل البضاعة الكاسدة وانا محب لها كما تعهدين لانها

على كل حال بنت عمي ودمها مخلوط بدمي ولا اشتهي كسر قلبها ولا اشمات الاعداء بها فشاوريها في امري حتى اعيد ما كانت عليه عند ابن زبيبه واريدها والا ما دامت على ما هي عليه عند بنات العرب ينحط قدرها وانا اسلبها واداريها واتركها في بيتي حاكمة واميرة فلما سمعت امي هذه الرسالة بعثت تقول ياعمارة ان ابنتي ما لها سنة ولا سنتين عزباء ولا هي من بنات الغرباء ولا تبدل اسد غاب في كلب من الكلاب ثم قالت عبلة والله ياابن العم لولم تصل الينا بسلامتك الاخبار والا كنت هججت في البر والقفار فقال عنترة يا روح الارواح اذا كنت انت قد جرى لك هذا المجرى من فرد حاسد فكيف حال من بلي بفراقك وقاسى اشد العذاب والقيود والشدائد واما بنو زياد فسوف ترين ما اصنع بهم اذا خلا قلبي من الهم والبوس واقابلهم على خصالهم بيوم عبوس

قال مجد بن هشام ثم انهما اعتنقا بعد هذا الكلام وخف عنهما اكثر الغرام فلما كان عند الصباح ركب عنترة واخوه مازن وولده ميسرة وساروا الى خدمة الملك قيس سيد بني عدنان وركب دريد واقبل بمن عنده من الفرسان وهاني بن مسعود سيد بني شيبان واخذوا في المشورة لاخذ ثار الملك النعمان فقال دريد الصواب اننا ننفذ جاسوساً الى بلاد العراق يكشف اخبار الفرس والاعجام وما دبروا بعد عودة اناس من بلاد الشام فان كان كسرى قد عول ان يجمع عساكر العجم والفرس والديلم واهل خراسان ويسير الى عبدة الصلبان صبرنا حتى يرحل ونسير نحن من هاهنا الى المدائن وتلك الديار ونجعلها خالية خاوية وان راى الجاسوس انه قد جعل طريقه علينا يعود على عجل الينا ويخبرنا حتى نكاتب القبائل ونجمع العرب من الغدران والمناهل ونبذل في قتاله المجهود ولو كان معه عساكر عاد وثمود

قال الراوي فاستصوبوا رايه وقال عنترة ما لهذه النوبة غير اخي شيبوب لانه يشفي رايه القلوب ثم انه اخبر اخاه في تلك الساعة فقال السمع والطاعة انا آتي باخبار كسرى واقول لكم عند عودتي كيف يكون قتالكم ثم ان شيبوباً من وقته سار يقطع البراري والقفار وكان دريد قد سال في بني فزارة وضمنهم من قيس واخوة النعمان وقال لهم ان عادوا يوماً الى غدرهم واحوالهم جازيناهم على فعالهم وكان هذا المقال من تدبير عنترة لاجل سوال عبلة وقيس رضي عنهم بعد الضمان وصار يحضرهم على الشراب والطعام ويجبر قلب حصن وياخذه الى جانبه في اكثر الاوقات وما مضت على ذلك ايام حتى عاد شيبوب وهو مثل ذكر النعام ثم عبر على اخيه عنتر وهو في دعوة الملك قيس وسادات القبائل فلما راوه فرحوا

بقدومهِ وسالوهُ عما جرى وما الذي راى في بلاد كسرى فقال لهم ياوجوه العرب ان الرجل قد عول على غزونا وجد في الطلب لان اياس بن قبيصة عاد اليهِ من بلاد الشام مكسور فسالهُ عما جرى لهُ من الامور وقال ياملك لولا عنترة بن شداد لكنا ملكنا سائر البلاد فلما سمع كسرى هذا الكلام اقسم بالنار ذات الاضرام لا سار الا هو بنفسهِ الى العربان واهل الحجاز والمقام ولا يرجع حتى يخرب البيت الحرام و يرجع يملك بلاد الشام و يكسر الصلبان بعد الاصنام ولا يترك على وجه الارض ديار ولا من ينفخ النار ثم بعث مشايخ النار الى خراسان لابسين السواد وهم يضجون في البكاء والتعداد حتى اقبلوا بلاد العجم واحضروا ما فيها من الامم واقاموها على ساق وقدم واجتمعت خلايق تسد الافاق وما رجعت من العراق الا وهي الف الف سوى ما جمع اياس بن قبيصة من عرب تلك الاطلال فدبروا انفسكم واعتصموا في الجبال قبل ان تدهمكم هذه الخلائق وتعيقكم عن طلب النجاة العوائق فصاح بهِ عنترة وقال و يلك ياابن الملعونة لما تصف لنا طناجير العجم وتعظم علينا شيئًا لا يعظم فوحق من اوجد الخلق من العدم وفرق بين النور والظلم لافرقنَّ جيوشهم بفرسان العرب ولا اتركنَّ الوحوش تخطف من لحومهم وتنهب فقال دريد لشيبوب ومع هذا كلهِ ما سمعت لذي الخمار خبر لان هاني حدثني بما جرى لهُ معهُ من العبر وقال لي انهُ عند كسرى انو شروان ومن الجرح الذي في راسهِ مشرف على الهوان فقال شيبوب يامولاي لقد ذكرتني بما نسيت ان اشرحهُ لك وذلك ان سبعًا برئ من جراحهِ الشنيعة ونزل عند الملك كسرى في المنزلة الرفيعة وصار يركب وعلى راسهِ علم ويحكم في طائفة من العرب والعجم وهو الذي اشار على كسرى ان يقصد هذه الديار وضمن لهُ هلاك كل من فيها من الكبار والصغار بعد قتل هاني وعنتر واراد ان يكون وحدهُ في هذه الديار يذكر فقال دريد خزي شيطانهُ وخرس لسانهُ وحق ذمة العرب لئن رجعنا الزمان والقاهُ في يدي لاعذبنهُ العذاب الشديد ولا تركنهُ يموت في القيود والحديد لان دماه مباحة والقتل لهُ راحة فقال عنترة لعن الله بطنًا حملهُ وظهرًا نسلهُ فما اغدره وانذلهُ فوالله ان نزلت انا واياه الى الميدان لاجعلهُ قضيةً الى اخر الزمان فقال الاسود اخو النعمان دعونا ياوجوه العرب من حديث ذي الخمار وخذوا بنا في تدبير هذه العساكر التي اجتمعت لغزونا من سائر الاقطار فقال قيس ايها الملك لم يبقَ الان من التدبير الا مكاتبة القبائل واخذ الاهبة للقاء الموت وقدوم الاجل النازل ثم انهُ شاور دريدًا في تلك الفعايل فقال والله ياقيس لا يقدر احد ان يجمع عساكر تلقى هذه الخلائق والامم الا الشيخ عبد المطلب سيد الحرم ولا نحن ان كاتبنا القبائل لا

تلتقي بها بطائل لاجل ما يعنا من الدماء والوقائع والحسد والمواضع والصواب انا نرحل بالاولاد والحريم ونسير الى مكة والحرم ونخبر السيد عبد المطلب بما جمع كسرى من العجم والعرب والفرس والديلم ونعرفه انه على نية المسير الى مكة والمقام وقد حلف انه يخرب البيت الحرام في هذا العام قبل مسيره الى بلاد الشام ونجعله يكاتب عرب البر العامر منها والخراب ويحثهم على نصرة الاصنام والا رباب والا لا نبلغ ما نريد ولا نقدر ان نرد هذا الجحفل الشديد فقال هاني بن مسعود ايها السيد لقد قلت مقال من نظر في العواقب وما تركت عليك لوم لائم ولا عتب عاتب لاننا اذا التجانا الى ذلك المكان الشريف عادت الينا بركته وانقادت اليه العرب لاجل تعظيمه وهيبته وحرمته ثم انهم بنوا امرهم على ذلك المرام واقاموا ينتظرون باقي بني فزارة من ارض الشام

قال نجد بن هشام وفي تلك الايام وصل عامر بن الطفيل يهنئ عنترة بسلامته وخلاصه من الاسر فاستقبله عنترة الهمام وانزله عنده في الخيام وسلم عليه وجمع بينه وبين دريد على الطعام وحدثه بما جرى له في بلاد الشام فتالم عامر لذلك الكلام وقال وحق ذمة العرب الكرام يا ابا الفوارس لقد حرمت على نفسي من حين سمعت باسرك المدام واكثر الليالي اذا تذكرتك لا يدخل جفوني المنام لان قومي ما فيهم من الانصار والاعوان من اقدر التقي بهم منتصرة الشام وقومك مشغولون بالاحزان على الملك النعمان وانا لا اقدر على غير ذلك لاسيما اعداك اكثر من اصدقاك فشكره عنترة بن شداد على صدق الوداد وعلم ان عذره واضح فقال له يا امير عامر ما دام ربي يحفظك لي انت ومولاي الشيخ دريد بن الصمة لا ابالي بنازلة ولا بلية ثم انه حدثه بما هم فيه من الخوف والفزع واخبره بما قد حشد كسرى وجمع وقال له في اخر الكلام قد عولنا على ان نرحل الى البيت الحرام واذا جاءت الاعداء التقيناها في هذا العام فقال عامر وحق ذمة العرب لقد سمعنا هذه الاخبار ولكن ما حسبنا انهم يقصدون هذه الديار واذا كان كذلك فانا اعود الى قومي وارحلهم الى زمزم والحطيم ثم انهم قضوا يومهم بالتدبير وشرب المدام وفي ثاني الايام عاد عامر وقد عول على ما ذكرنا وبعد رحيله وصل ظعن بني فزارة فركب حصن وسنان وتمام الالف فارس الذي ساقهم عنترة وتلقوا اهلهم وفرحوا باجتماع شملهم وسمع بذلك الربيع بن زياد فوافق حصناً في مبتغاه لا ارضاء لعنترة بن شداد . ولقد خجل قيس من دريد فاركب اخاه الحارث في خمسين فارساً ومعهم ابن اخيه مجيد وامره ان يلقيهم بالشرط الذي جرى ويخبرهم بالضمان من دريد الى حمائهم حتى سلمت نفوسهم وساداتهم

قال الراوي وكان معهم ثلاثة الاف يحفظون النسوان من بني غسان ذلك كله خدمة لعنتر حتى لا يهرب منهم بشر لان الحارث الوهاب لما وصلة من عنترة ذلك الكتاب وفيه ما ذكرنا من الاسباب وما ابدت نحو بني فزارة من الغدر والضيق وكيف كمنوا له سيف المضيق فلما وقف على الكتاب تحير واخذته الفكر وقال وحق المسيح والدين الصحيح ما بنو فزارة الا طائفة غدارة لاقول لهم ولا ذمام ولا يصلحون لنا خدام وقد فعل معهم الجميل عنترة بن شداد وهم يجازونه بالغدر والفساد والبغضة والعناد . ثم انه امر بنفيهم من ارض حوران وقال لاتدعوا في ارضنا منهم انسانًا من الرجال ولا من النسوان وكل من نبقي بعد ثلاثة ايام ضربت رقبتهُ ويعت اولاده وزوجته وما سمعت الاسماع وما نظرت الاحداق اشد ما جرى على بني فزارة من الاخراق لانهم في ثلاثة ايام جمعوا المضارب والخيام وسيقوا كما تساق الاغنام وعلا ضجيجهم من كثرة الاطفال والنسوان وحل بهم الخوف بعد الامان ونضررت اموالهم وساءت احوالهم وبعد ذلك جرد لهم الحارث الوهاب ثلاثة الاف فارس نجاب وامرهم ان يوصلوهم الى عنترة وارسل له مع رجاله هدية عظيمة لها قدر وقيمة وقال لهم اخدموه عني وخذوا اخباره وما جرى له مع كسرى انو شروان وان احتاج الى احد من الفرسان فانا انفذ له ابطال بني غسان وكل من في حوران وساروا حول بني فزارة واخذوا منهم العدد وهم يقطعون البر والفدفد والظعن جميعة يضج في البكاء من الرجال والنساء يقاسون في الطريق الهم والعذاب لانهم ايقنوا انهم سائرون الى ضرب الرقاب ولم يزالوا على تلك الحال ليل نهار الى ان اشرفوا على بني عبس وتلك الديار فلما راوا الفرسان صاحوا الامان لانهم ايقنوا بالموت والهوان فعند ذلك التقاهم سنان وحصن الخوان و بكيا على ما اصابهم من الهم والتعب وبشراهم بزوال الكرب وقال لهم سنان قد سامحنا بنو عمنا وضمنا دريد والربيع ولولاها لهلك الجميع ثم التقى كل واحد منهم بعيا له وقد نسي كل ما جرى له واختاروا لهم منزلاً نزلوا فيه هذا وعنترة قد سمع بالهدية التي قد اتت اليه هو ودريد ورجاله من حواليه فساروا حتى التقوا بالقوم فرحب بهم عنترة وزادت مسراته ونزل الجميع حول ابياته ونحر لهم النوق والجمال وعمل لهم الولائم والطعام وصف لهم كؤوس المدام وزاد لهم بالاكرام ثم انه بعد ذلك فرق الهدية على سادات بني عبس وعدنان واخذ منها قسماً الى ابياته واهدى قسماً الى الربيع فلما راى عمارة ان عنترة قد ارتفعت عند صاحب الشام منزلته وقد ارسل الى اخيه الربيع من هديته ذابت مهجته واضطربت مرارته وعظمت حسرته ونتف غرته ومحا لحلته وقلع رايته وقال وحق ذمة العرب العرباء والسادة النجباء لو صفعنا بجلود الجمال والاغنام

وشربنا كاس الحمام لكان اهون علينا من انفاذ عنترة لنا من هدية ملك الشام وهو ما فعل هذه الفعال محبة فينا ولا اكراماً لنا بل ليعلمنا ان الملوك تهاديه والاكاسرة تحمل اليه وتعطيه فقبح الله وجهة الاسود وجلده ولا رحم اللات والعزى اباه ولا جده

قال الراوي واما ما كان من عنترة فانه اكرم بني غسان ثم اخبروه بما قال ملكهم في ذلك الشان وقالوا له يا ابا الفوارس الملك يسلم عليك ويقول لك ان كنت تحتاج الى عساكر وفرسان فاعلمه ليرسل اليك رجالاً اولهم في العراق واخرهم في الشام وتلك الافاق وان اردت سار هو بنفسه اليك و بذل مهجته بين يديك لانه لا يقدر على مكافاتك اذ صنت عرضه وحميت ارضه فلما سمع عنترة هذا المقال المحتشم دعا للملك بدوام العز والنعم وقال لهم اعلموا ايها السادات الاخيار اننا على غاية الاستظهار ولو ان اعداءنا بعدد موجات البحار ورمل القفار لان عندنا فارساً واحداً اقد كسر من عسكر كسرى جيشاً متزائداً عددهُ مائة واربعة وعشرون الف فارس وكان معهُ دون الثمانية الاف فارس من الابطال الاشاوس وهو الامير هاني بن مسعود الكريم الاباء والجدود فلما سمع هاني مدح عنترة الهمام وثب قائماً على الاقدام وقبلهُ بين الاعيان وشكره واثنى عليهِ وقال لهُ والله يا ابا الفوارس و يا زين المجالس لو ملكت بسيفي الكواكب السيارة وقهرت الجن الطيارة لما لحقت غبارك ولا شرارة من نارك

قال الراوي وكان هاني يحب عنتر ويثني عليهِ غاب او حضر وكانا يكثران من فصاحة الكلام اذا حضرا على المدام واما دريد فانه قال لبني غسان طيبوا قلوبكم واذا عدتم الى صاحبكم من ههنا فعدوه عنا بالاماني وبلوغ المنى واعلموه اننا اذا كسرنا كسرى وابدنا طوائف الفرس وشتتناها في الصحراء لا يعود احد يخرج من تحت حكمهِ ما دام يصبح ويمسي لما فعل في حق حامينا عنترة العبسي فدعوا له بسمو الشان وشكروهم على ذلك الاحسان ثم اقاموا بعد ذلك اياماً قلائل واستاذنوا في الرحيل فاخلع عنترة عليهم الخلع السنية وقدم لهم الخيل العربية وانفذ معهم لملك الشام النوق العصافيرية فسار القوم عائدين ولفعل عنترة شاكرين وبعد مسيرهم بيومين جهز بنو عبس امرهم للرحيل فرحلوا بالظعن والمال طالبين مكة وتلك الاطلال بعد ان احسن عنترة الى بني فزارة الاوغاد واعطاهم الخيل الجياد ووعدهم بان يرجع اليهم مالهم ونوقهم وجمالهم

قال الراوي فلما ساروا وتوسطوا الطريق انفذ دريد الفي بطل الى دياره وقال ائتوا بسائر الرجال والعبيد والخدم والحقونا الى مكة والحرم فاجابوه بالسمع والطاعة وساروا من تلك الساعة هذا وعنترة سائر في مقدمة الفرسان والى جانبهِ دريد

وهاني سيد بني شيبان وهو ينشد ويقول

قف بالمنازل ان شجتك ربوعها فلعلّ عينك تستهل دموعها
واسال عن الاظعان اين سرت بها اباؤها ومتى يكون رجوعها
دارٌ لعبلة شط عنك مزارهــا وناتْ ففارق مقلتيك هجوعها
فسقتك ياارض الشربة مزنةٌ منهلةٌ يروي ثراك هموعهــا
وكسا الرّبيع رباكِ من ازهاره حللاً اذا ما الارض فاح ربيعها
كم ليلةٍ عانقت فيها غادةً يحيي بها عند المنام ضجيعهــا
شمسٌ اذا طلعت سجدت جلالة لجمالها وجلا الظلام طلوعهـا
ياعبلَ لا تخشي عليَّ من العدى يوماً اذا اجتمعت عليَّ جموعها
ان المنية ياعبيلة دوحة وانا ورمحي اصلها وفروعهـا
وغداً ايدور على الاعاجم من يدي كاسٌ امرٌ من السموم نقيعهـا
واذيقها طعناً تذلُ لوقعهِ سادانها ويشيب منها رضيعهــا
واذا جيوش الكسروي تبادرت نحوي وابدت ما تكن ضلوعها
قاتلتها حتى تمل ويشتكي كرب الغبار رفيعها ووضيعهـا
وتركت للاسد الضراغم لحمها ولمن اصاحب خيلها ودروعهـا
ياعبل لو ان المنية صُوِّرتْ لغدا اليَّ سجودها وركوعها
وسطت بسيفي في النفوس مبيدة من لايجيب مقالها ويطيعها

قال الراوي ثم انهم ساروا ليلاً ونهاراً حتى قاربوا مكة وتلك الديار فلما راى اهل مكة ذلك الغبار انكروه غاية الانكار واعلموا بذلك السيد عبد المطلب فتعجب وركب في جماعة من سادات العرب وحوله سادات مكة الاخيار حتى قاربوا الغبار فتبادرت اليه جماعة من سادات بني عبس وعدنان وبني شيبان واخوة الملك النعمان ونقدموا الى السيد عبد المطلب ومشايخ البيت الحرام وترجلوا عن خيولهم وفي اوائلهم دريد شيخ العربان وحجار وهاني سيد بني شيبان وسلموا عليه فرد عليهم السلام وقال لهم خير ياسادات العربان الكرام ما سبب هذا الانزعاج في هذه الايام وما جاء اوان الشهر الحرام فقال له دريد ايها السيد سبب هذا جور كسرى انوشروان لانه بعد قتل الملك النعمان جاء يطلبنا بعساكر خراسان الى هذا المكان وقد حلف انه يهدم البيت الحرام ويخرب الكعبة والاركان ونحن قد اتينا الى نصرة الارباب والاصنام لنطلعك على ما انت به حوادث الليالي والايام حتى

تكاتب لنا العربان وتتاهب للقاء الفرس والعجم والترك والديلم قبل ان تدهمك وانت لا تعلم ثم انه حدثه بحديث كسرى وانه قاصد البيت الحرام ومراده محو اثر العربان وان لا يترك منهم انسان فقال عبد المطلب يا ابا النظر ماهذا الا عجب وحديث يجب ان يورخ ويكتب على اننا قد سمعنا ان كسرى انوشروان بعد ما دبر على خديعة الملك النعمان ارسل عساكره الى بلاد الشام وعباد الصلبان وقد اشتغل بعساكر النصرانية فما الذي غيره عن تلك النية فقال دريد يامولاي اعلم ان سرية كسرى كانت كسرت العساكر الغسانية واتى رجل يقال له ابو الدوح فاحتال على البلاد الشامية وملكها بطائفة من عباد النار وكان عنترة في البلد ماسور . ومعه ولده واخوه واربعمائة بطل مذكور فلما احتال على دمشق ذلك الشيطان دخل على عنترة جميع النسوان واستجرن به من الهوان فاجارهن من الذل والنكد وسلمن اليه والى اصحابه العدد والخيل والزرد فقتل ابا الدوح ورجع الى البلد واستقام حتى اتى الحارث فاخذ منه الذمام وصار بينهما وداد واكرام وركب معه على عساكر كسرى فكسرهم وقتل اكثرهم ودمرهم فلما عاد اياس بن قبيصة مقدم العساكر الى الملك كسرى مجروحاً مكسور . يدعو بالويل والثبور وعظيم الامور سأله كسرى عن حاله وما قد جرى له فقال يا ملك الزمان لولا عنترة وفرسان البيت الحرام لكنا ملكنا دمشق الشام وما حولها من الخاص والعام فاشتد غيظ الملك كسرى وشاور ارباب دولته والوزراء فقالوا له ايها السيد ما بقيت هذه الدولة تدوم لك ان لم تتولّ امرها بنفسك فمن الصواب أن تنهض الى هذا الشان وتجمع كل من في خراسان من أولاد فارس وتركب وتسير انت الى بلاد الحجاز بالراجل والفارس وتقتل عنترة وقومه قتل الاناس وتضع السيف في الحلل والقبائل وتذبح الرجال وتدع النساء ارامل وتهدم ذلك

الكتاب الخامس والسبعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

البيت الذي يحجون اليه ويعتمدون عليه وتكسر الاصنام والاوثان ولا تترك من اعدائك انسان فاذا فعلت ذلك هابك اهل الشام ودخلوا في طاعتك عبيداً وخدام فلما سمع كسرى ذلك الكلام والتكرار انفذ عباد النار ومعهم شيخهم الموكل في اللهيب والشرر فرادوا البلاد وهم لابسون السواد ونادوا في كل من ارض العجم وبلاد الفرس والديلم فاجتمعت على

كسرى خلائق تسد المغارب والمشارق فلما وقفنا على حقيقة الاخبار وعلمنا ان الاعداء قاصدون هذه الديار اتينا اليك ايها السيد المغوار فلما سمع السيد عبد المطلب هذا المقال تغيرت منه الاحوال وهزته الحمية والنخوة الهاشمية وقال لقد ساء فاله وكذب مقاله وخابت اماله وانا والله لاخمدن ناره ولاقلعن اثاره ولا جمعن عليه سائر جبابرة العرب من بعد منها ومن اقترب من الداني والقاصي ولاسوقن جبابرة العجم بالنواصي

قال الراوي ثم ان الشيخ عبد المطلب ترحب بعنترة وسلم عليه وسلم على اخوة النعمان وشكر دريدًا على ما فعل وترحب بمجار وهاني ومن معهُ من امراء بني شيبان وورد الجميع الى ظهور الخيل وسار معهم الى وادي الحرب حيث نزلت تلك الام وقال الشيخ دريد ياسيد هوازن وجشم اركب اذا شئت غدًا عند الصباح انت وعنترة فارس الكفاح ومعك قيس وهاني واخوة النعمان وجميع الفرسان الى دكة القضا لنكتب الرسائل الى امراء العرب والقبائل ونستدعي جبابرة العيون والمناهل فاجابهُ دريد الى تلك الفعائل

قال الراوي ولما كان عند طلوع النهار ركبت السادات والفرسان الاخيار وساروا الى الكعبة اعزها الله وعظمها ورزقنا زيارتها والصلاة في حرمها وداروا حولها تعظيماً لها وكشفوا روٌوسهم قدام الاصنام وطلبوا بذلك التقرب الى زمزم والمقام وعادوا الى دكة القضا فوجدوا عبد المطلب جالسًا في ذلك المقام المعظم وحولهُ سادات الحرم وقدامهُ صفوف من العبيد والخدم فسلموا وخدموا ولقدره عظموا وبقوا قيامًا حتى نهض اليهم ورد السلام وامرهم بالجلوس فجلس الملوك حواليه والباقي بين يديه وطلبوا ان يكتب للقبائل والحلل فاجاب وامتثل ثم احضروا الاوراق فقال دريد ياشيخ العرب اذكر لي القبائل حتى انفذ الى كل قبيلة كتابًا مع نجاب فاخذ دريد يذكر لهُ عشيرة بعد عشيرة وقبيلة بعد قبيلة وهو يكتب بفصاحة لسانهِ وجودة بنانهِ حتى كتب خمسين كتاب الى خمسين قبيلة من قبائل الاعراب وكانت صورة الكتب التي كتبها السيد عبد المطلب هكذا باسمك اللهم رب زمزم ومنى المستحق الحمد والثنا المنان على الابا والابنا الذي لهُ الاسماء الحسنى يامن جعلت الليل سكنا والنهار حركة وعنا وتفردت بالدوام والبقا وحكمت على عبادك بالموت والفنا اما بعد فاخبركم ايها السادة الكرام الحامون عن البيت الحرام وزمزم والمقام والتابعون الارباب والاصنام ان عباد النار والشعاع واصحاب الحصون والقلاع قد اهلكوا الملك النعمان بالخداع وجمعوا جموعهم من اقصى البقاع وعولوا على قلع اثارنا وخرب ديارنا وحلفوا انهم لابد ان يسبوا النسوان ويجعلوا البيت الحرام معابد للنيران فاسالكم ان تصفوا

البنات والوداد ولا تذكروا ما بينكم من الدما والاحقاد وان تكونوا يدًا واحدة لعلنا نبلغ المراد والا داستنا الفرس بحوافر خيولها وقلعت فروع العرب واصولها فيضيع الذمام ويكسرون الاصنام ويهتك البنات طناجير الاعجام وبعد ان تكون سادات تصبح خدام فالعجل العجل يا اصحاب الفلوات البدار البدار يا ارباب المروات السرعة يا اهل العزيمات فقد تغيرت الاوقات واقترب اوان ظهور سيد السادات صاحب البراهين والمعجزات الذي تقاتلون عن منازله الشريفات فحاموا عن منى وعرفات واسرعوا في قطع القفار والبيد واجعلوا اجتماعكم قريبًا غير بعيد ولا تاتوا الا بالمال والاهل والعيال حتى تقاتلوا عن الحريم وتدفعوا عن البيت الحرام الجور والضيم والسلام على من حفظ الذمام وسارع الى الخصام وما انتصف النهار حتى تفرقت النجب بالكتب الى سائر الاقطار وبعد مدة عادوا بالفرح والاستبشار واعلموا السيد عبد المطلب ان العرب اجابوه بالسمع والطاعة وامتثلوا امره بالساعة واخذوا في التاهب والمسير وسرعة الجد والتشمير .

قال سعيد بن مالك وداموا على مثل ذلك حتى اقبل ظعن دريد بن الصمة وقبائله التي تحت امرته وهم بنو جشم وهوازن وسليم قد اتوا بالاموال والاولاد والعيال وكان معهم حماتهم المعروفون بالشجاعة وشدة الباس منهم الامير دثار بن روق وخفاف بن ندبة والعباس بن مرداس فلما اقبلوا استقبلهم الامير دريد وشكرهم على سرعة الاجابة واعلمهم بما فعل السيد عبد المطلب وكيف ارسل الى القبائل والحلل الكتب مع النجابة ثم انزلهم في الاودية والشعاب وبعد يومين وصلت بنو عامر وغني وكلاب ومعهم ملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل البطل القسور ومقدمهم الاحوص بن جعفر فتلقاهم الملك قيس وعنترة واخوة الملك النعمان وانزلوهم عند هاني وبني شيبان وتتابعت بعدهم القبائل من سائر البلدان وكان اول من وصل الامير عمرو بن معدي كرب في ابطال بني زبيد وفرسان بني مراد وخولان وبني سعد وبني مذحج وبني مرة وبني الانمار وبني ضمرة وبني غزية وبني كنانة وبني الحارث وبني جلهمة وبني شهيه وبني خويلد وبني بشر وبني خثعم وبني يربوع ومعهم فارسهم الامير عتيبة بن شهاب وتقاطرت اهل الحلل والقبائل من كل فارس وراجل ودام الامر على ذلك الشان مدة شهر من الزمان فامتلات السهول من القبائل والفرسان وضاقت الفلوات من كثرة الشجعان وامتلات الارض من ضجيج النسا والاولاد والرجال والنوق والجمال فلما نظر السيد عبد المطلب كثرة الامم سكن ما به من الخوف والالم وصبر حتى انقطع المدد وعلم ان الفلوات خلت ولم يبقَ فيها احد

قال الراوي ثم ان عبد المطلب امر عبيده بان تنادي في القبائل بان تجتمع في الغد في دكة القضاء وكان هذا النداء قبل المساء فسمع بذلك الادنى والاقصى ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح طلب المقدمون دكة القضاء وقد امتلا الحرم والفضاء وقدم عبد المطلب واولاده حواليه ونصب الكرسي الذي يعظ الناس عليه فصعد اليه وحمد الله تعالى واثنى عليه وما زال على مثل تلك الحال حتى امتلا البر بالرجال وازدحمت الخلائق على رؤوس الجبال فخطب خطبة بليغة ذات شان بما اعطاه الله من فصاحة اللسان وذكر فضل الله وفضل البيت الحرام وعظم قدر زمزم والمقام وحث فرسان العرب على قتال الاعجام ثم ذكر هول يوم الميعاد ونزع من قلوب القوم الاحقاد وما نزل من على الكرسي حتى قدمت اليه السادات وكشفوا رؤوسهم واستوهبوا ما كان عليهم من الدماء والمطالبات ولما صفت نياتهم وثارت نخواتهم قال الامراء والابطال لعبد المطلب سر بنا ايها السيد الى عباد النار ودعنا نمحو منهم الاثار ونخرب ما عمروه من الديار فقال لهم عبد المطلب خذوا اهبتكم في هذا اليوم وفي اليوم الثاني ودعوا اولادكم ونساكم وفي اليوم الثالث سيروا الى اعداكم فعادت الابطال الى الخيام واخذوا اهبتهم للحرب والصدام وتركوا اموالهم وعيالهم في ذلك المقام الامين وخلفوا في كل قبيلة خمسين واوصوا السيد عبد المطلب سيد الحرم بحفظ الاموال والحريم فسلم الى كل مقدم علما بعد ما طاف به حول البيت سبع مرات وامر الكل بطاعة دريد لكبر سنه ومعرفته وتدبيره وشجاعته وسارت الجيوش والجموع وهم غائصون في الزرد والدروع وفي مقدمتهم دريد بن الصمة الاسد الضيغم كانه النسر القشعم ومعه بنو غزية وهوازن وجشم وقبائل وجيوش مثل البحر اذا التطم وهو يتذكر ايام الصبا وما مضى عليه من الاعوام والليالي والايام وانشد وقال

ياهندُ لاتنكري شيبي ولا كبري	فهمتي مثلُ حد الصارم الذكرِ
ولي جنانٌ شديدٌ لو لقيت به	حوادثَ الدهر ما جارت على بشرِ
لاتحسبي ان وخط الشيب غيرني	عن اللقاء ولا تاهت به فكري
ولا توهمت اني خضتُ معركةً	الا تركت الدما تنهلُّ كالمطرِ
كم قد عركت مع الايام نائبة	حتى عرفت القضا الجاري مع القدرِ
عمري مع الدهر موصول باخره	وانما وصلة بالشمس والقمرِ
ويل لكسرى اذا جالت فوارسنا	في ارضه بالقنا الخطية السمرِ
اولاد فارس ما للعهد عندهمُ	حفظ ولا فيهمُ فخرٌ لمفتخرِ

يمشون في حلل الديباج ناعمة ... مشي البنات اذا مالت في الحفر
ويوم طعن رماح الخط تحسبهم ... غابات وحش دماها صوت سند عي
طعانهم قط ما تدمي مضاربة ... ووقعها مثل نخس الفخر بالابر
غدًا يرون رجالاً من فوارسنا ... ان قاتلوا الموت ما كانوا على حذر
خلقت للحرب احميها اذا بردت ... واجتني من جناها يانع الثمر
بهمة قد حمت في كل معركة ... لو قابلت قمر الافلاك لم يدر
يا آل عدنان سيروا واطلبوا رجالاً ... فرسانهم مثل صوب العارض المطر
قد جد في هدم بيت الله مجتهداً ... بهمة مثل وقع الصارم الذكر
وعن قليل يلاقي بغية ويرى ... حرباً اشد عليه من لظى سقر
ويبتلي برجال في الحروب لهم ... باس شديد وفيهم عزم مقتدر
الموت عندهم تحلو مشاربة ... وعند غيرهم كالحنظل الكدر
والناس صنفان هذا قلبه خزف ... عند اللقاء وهذا قدٌّ من حجر

قال الراوي فلما فرغ دريد بن الصمة من شعره طربت الشجعان وازدادوا همة وكان اكثرهم طرباً واوفرهم تعجباً الامير هاني بن مسعود الكريم الاباء والجدود ومن شدة نخوته وتوقد ذهنه وفرط بحته جاش الشعر في خاطره فعندها تذكر وقعة ذي قار وانشد يقول

ارى لوعتي نيرانها ليس تخمد ... وقلبي على غير الذي كنت اعهد
يذكرني عصر الشباب الذي مضى ... وولى حميداً والشبيبة تحمد
زمان نهبنا فيه عمراً كانه ... خيال تراه في المنام مسهد
نسيت نشاوي تمزج الراح بيننا ... فتاة لها قد يحلو ويعقد
اذا ملأت كاساتها من رضابها ... سقتها مداماً فيه شهد مبرد
وان اسفرت ضاء الضيا من جبينها ... وبان لها خد اسيل مورد
فيا قلب عش في حب هند وزينب ... وليلى عسى بعد الضلالة ترشد
ودعني اجد السعي في طلب العلا ... لعلي اباهي او اموت فاحمد
الا يا بني شيبان ما العز هين ... فجدوا اليه بالصوارم واجهدوا
ففي يوم ذي قار ونحن جميعنا ... لتينا جميع الفرس والخلق تشهد
اتونا بجيش ليس يحصى عديده ... ظنناه بحراً قد طمى وهو مزبد
حملنا عليهم بالصوارم والقنا ... وساعدنا لما حملنا محمد

تركنا سراة القوم في البر جثما | وفيهم لوحش البر والطير موردُ
فويل لكسرى اذ يوافيه قومنا | غداة يلاقي جمعة يتبددُ
فمهلاً بني الاعجام مهلاً فانه | لكم عندنا او في نصيب واسعدُ
فانا اليكم قاصدون بمعشر | اذا ابصروا برق الصوارم ارعدوا
وها قايم السيف الذي تعهدونه | بذي فار سيف كفي صقيل مجردُ
وكاس سقيناكم بها من رماحنا | على حالها ملآنة لا تبددُ
تدور عليكم بالمنون سقاتها | على نغمات البيض والجو اسودُ
ونغنيكمُ بالبيض والسمر والقنا | وفرسانكم فوق التراب تمددُ
ونحمي لبيت الله من كل جاحدٍ | وعباد نار بعدها حين توقدُ
ونهزمكم في كل قفرٍ وسبسب | بعون الهٍ دينه ليس يجحدُ

قال الراوي ولما فرغ هاني من شعره طربت الابطال لنظمه ونثره وتعجبت من حسن الفاظه جميع العرب وكان اكثرهم طربًا الامير عمرو بن معدي كرب فانشد وجعل يقول

قامت لميس وسيف اللحظ مسلولُ | وطرفها ببديع السحر مكحولُ
تهزُّ تحتَ سيوف الناظرينَ قنا | سمر لهن كيُّ القوم مقتولُ
وارسلت من سهام اللحظ نافذةً | كالغصن لا قصرٌ فيها ولا طولُ
كمثل دعص على بانٍ وفوقها | ليلٌ وصبحٌ ومجدولٌ ومسبولُ
ولاح منها وقد مرَّ النسيم بها | خدٌّ اسيلٌ وخصرٌ فيه تخبيلُ
ترنو بمكحولةٍ ما قط خالطها | كحل ولا جال في اجفانها ميلُ
لها جبين كبدر التم يكنفهُ | جنح من الليل معقودٌ ومحلولُ
بانت تقلبهُ كفيَّ عابثةً | والليل منسدل والنطق مغلولُ
وبتُّ ارشف من ارياقها نطفًا | ممزوجة برحيق المسك مقبولُ
فكم لنا ضمة يشفي الغرام بها | وشمة بعدها رشف وتقبيلُ
بحكمٍ لم يفك الخصم صحبتها | لولا العفاف وتقوى الله مبذولُ
فيالها ليلة باللهو قصرها | وصل الحبيب ولم يعرف لها طولُ
تقول والصبح قد لاحت عساكره | منصورةً ثم جيش الليل مفلولُ
مالي ارى الناس قد شدوا ركائبهم | والحي يغشاهُ تقويض وتحميلُ
فقلت والنفس يوم البين قد علمت | انَّ الفراق دنا ما فيه تاجيلُ

هذا فراقك بالميسا فهل لغد ٍ وعد ٌ فللنفس امال ولعليل ُ
فاستشعرت ثم قالت وهي شارقة ٌ بالريق والدمع يوم البين مهطول ُ
احفظ فديتك ماذا انت مالكة ٌ واسال اله السما فالرب مسئول
لما سمعت الندا منها فقلت لها ان قدر الله امراً فهو مفعول ُ
اشرت بالصوت توديعًا فجاوبني منها بنان وطرف فيه تكحيل ُ
ثم انثيت الى عبس غطارفة لها على الحرب اركان وتنقيل ُ
افني لها حندس الظلماء منصرفًا في قاع دهما بها السرحان والغول ُ
امسا ترى الجوّ مسودّا غياهبة من وقع خيل لها في الجوّ اكليل ُ
جدوا بنا يابني الاعمام وابتدروا الى الوغى بقلوب كلها غيل ُ
ويل لكسرى اذا جالت فوارسنا هم سادة في الورى شم بهاليل ُ
لم يوقعوا الطعن الا في نحورهم وما لهم عن مجال الطعن تحويل ُ
ساترك السيف في الاعجام مختضبًا من الدماء ويمسي وهو مفلول ُ
واترك الخيل تجري في المجال بنا حتى يرى من فيافي الارض تسهيل ُ
نحن ُ قوم ٌ اذا جالت فوارسنا على الاعادي ينادي القرن متبول ُ
ونهزم الجيش في الاقطار منجفلاً كمان وحش دهتها الاسد والغول ُ
ونقتلن ّ رجال الفرس اجمعهم فلا برى لاهالي النار تطويل ُ
نحن الليوث فمن يجسر يبارزنا يلقّ الحتوف وحربًا فيه تنكيل ُ

قال الراوي ولما فرغ عمرو من هذه الابيات طربت لها الابطال والسادات ودقت الطبول والكوسات وصاحت الفرسان باعلى الاصوات وهزت في ايديها السيوف المشرفيات والرماح السمهريات وخفقت الرايات وكثر في الفرسان والسادات الشوق رطرب دثار بن روق فانشد وجعل يقول

لو كان جرحي بسيف كنت اقطبه واستريح من الامراض والعلل ِ
لكن بنظرة خود وهي بارزة ٌ بالقد والخد والاحداق والمقل ِ
اني طعنت بها والطعن الّمني والجرح عذبني يا قوم ما عملي
فقلت سيفي وترسي ليس ينفعني يوم اللقاء ووقع القوس يشهد لي
فكم قهرت شجاعًا مال يعبث من لهيب سيف صقيل ساطع الشعل ِ
القى الفوارس والابطال جائلة يوم الطعان ويوم الضرب بالاسل

واطعن القرن في وسط العجاج اذا غنت ظبا البيض والخطية الذبل
واضرب الهام بالصمصام اقسمهُ بكف اشوس لايخشى من الوجل
ينوشهُ الوحش والاطيار تنهبهُ والارض تلقى دماً احلى من العسل
والشوس في النقع ارديها واقتلها والجنُّ تخشى قتالي خيفة الاجل
ويلٌ لكسرى اذا جالت فوارسنا عليهِ في الصارم الهنديّ والاسل
فسوف القى رجال الفرس اجمعهم واطلق السيف في الهامات والقلل

قال فلما فرغ دثار من شعره زادت العرب لهُ محبة وطرب لشعره خفاف بن ندبة وانشد وقال

انا العاشق المضنى بحسن جمالكم وان تلفت روحي فحالي بكم حالي
وان مت تحت النقع من اجل حبكم فيبقى على حبي لكم عظمي البالي
فان كان حظي في هواكم مذلتي فانّ رضى الاحباب تخفيف اثقالي
واني انا الطعّان في حومة الوغى مبيد الاعادي في الحروب بصقال
واطعن بالاعجام طعناً يذلهم واطلق فيهم كل ابيض فصال
فويلٌ لكسرى ان تجارت رجالنا ومدت اليهِ كل اسمر عسال

قال الراوي فلما فرغ خفاف من شعره طرب عنتر لنظمه وتفكر في ابنة عمه عبلة وما قاسى من اجلها من كل نائبة ودبلة وهاجت ارياح الاشواق واضرمت في قلبهِ نيران الاحتراق فمال على ظهر جواده وذكر محبيه واهل وداده فقوي جنانهُ وانطلق لسانهُ وانشد وجعل يقول

اشاقك من عبلَ الخيال المبرّجُ فقلبك فيهِ لاعجٌ يتوهجُ
فقدتُ التي بانت فبتُّ معذباً وتلك احتواها عنك للبين هودج
كانّ فؤادي يوم قمتُ مودعاً عبيلةَ مني هارب يتمعجُ
خليليّ ما انساكما بل فداكما ابي وابوها اين اين المعرّج
ألمّا بماء الدحرضين فكلما ديار التي في حبها بتُّ الهجُ
ديارٌ لذات الخدر عبلة اصبحت بها الاربع الهوج العواصف ترهجُ
الا هل ترى ان شط عني مزارها وازعجها عن اهلها الان مزعجُ
فهل تبلغني دارها شدنيةٌ هملعةٌ بين القفار تهملجُ
تريك اذا ولت سناماً وكاهلا وان اقبلت صدراً لها يترجرجُ
عبيلة هذا درُّ نظمٍ نظمتهُ رانتِ لهُ سلكٌ وحسنٌ ومنهجُ
وقد سرتُ يا بنت الكرام مبادراً وتحتي مهرٌ يسبق البرق اهوجُ

بارض تجاري الماء من هضباتها   فاصبح فيها نبتها يتوهج
واورق فيها الآس والضال والغضا   ونبق ونسرين وورد وعوسج
لئن اصبحت الاطلال منها خواليًا   كأنْ لم يكن فيها من العيش مبهج
فياطالما داعبت فيها عبيلة   وداعبني فيها الغزال المغنج
اغن مليح الدل احور اكحل   ازج نقي الخد ابلج ادعج
لها حاجب كالنون فوق جفونها   وثغر كزهر الاقحوان مفلج
وردف له ثقل وقد مهفهف   وخد به ورد وساق خدلج
وبطن كطي السابرية لين   اقب لطيف ضامر الكشح ادمج
لهوت بها والليل ارخى سدوله   الى ان بدا ضوء الصباح المبلج
اراعي نجوم الليل وهي كانها   قوارير فيها زئبق يترجرج
وتحتي منها ساعد فيه دملج   مضيء وفوقي آخر فيه دملج
واخوان صدق صادقين صحبتهم   على غارة من مثلها الخيل تسرج
يطوف علينا خندريس مدامة   ترى حبَبًا من فوقها حين تمزج
الا انها نعم الدواء لشارب   الا فاسقنيها قبلما انت تخرج
فنضحي سكارى والمدام مصفق   يدار علينا والطعام المطبج
وما راعني يوم الطعان دهاقة   الى مثل من بالزعفران مضرج
فاقبل منقضًا علي بحلقه   يقرب احيانًا وحينًا يهملج
فلما دنا مني قطعت وتينه   بحد حسام صارم يتفلج
كان دماء الفرس حين تحادرت   خلوق العذارى او قبالا مدبج
فويل لكسرى ان حللت بارضه   وويل لجيش الفرس حين اعجعج
واحمل فيهم حملة عنترية   ارد بها الابطال في القفر تنبج
واصدم كبش القوم ثم اذيقه   مرارة كاس الموت صبرًا يمجمج
واخذ ثار الندب سيد قومه   واضرمها في الحرب نارًا تؤجج
واني لحمال لكل ملمة   تخر لها شم الجبال وتزعج
واني لاحمي الجار في كل ذلة   وافرح بالضيف المقيم وابهج
واحمي حمى قومي على طول مدتي   الى ان يروني في اللفائف ادرج
فدونكم يا آل عبس قصيدة   يلوح لها ضوء من الصبح ابلج

الا انها خير القصائد كلهـا ينصل منها كل ثوب وينسجُ

قال الراوي فلما فرغ عنترة من شعره تعجبت الابطال من نظمهِ وثارت في رؤوسهم النخوة وتذكروا مالهم من الوقعات هذا ولم يزالوا سائرين يقطعون القيعان طالبين كسرى انوشروان وكانوا نحو مائتين وسبعين الف عنان من ابطال الجاهلية لا يخافون شرًّا ولا منية هذا ما كان من هولاء الفرسان واما ما كان من الملك كسرى انوشروان فانها اجتمعت اليهِ العساكر من بلاد خراسان ومن وراء جيحون وديلمان والري واصفهان وقم وقاشان وبخارى وماوراء النهرين حتى ملأوا القيعان والبر الواسع والصحصحان وعرضوا عليهِ وهو على كرسيهِ جالس فوجدهم الف الف فارس وعشر كرات ما بين مدرع ولابس وهم كاملو العدد بالخود والدروع والزرد والنبال والعمد والقطاريات والحراب والقسي والنشاب

قال الراوي فلما نظر الملك كسرى الى هذا الجمع الكثير اعجبهُ ذلك ثم امرهم بالمسير واوصى بالملك من بعده الى ولده الكبير واوصاه بالعدل في من عنده من اهلهِ وبلده ثم انهُ بعد ذلك الحال برز الى ظاهر المدينة بذلك الجمع العميم وكان لهُ يوم عظيم نعرت فيهِ البوقات وخفقت الرايات وارتفعت الاعلام والازدهارات وبعد ذلك رحل الملك في تلك الكتائب والعساكر والمواكب التي يقصر عنها حساب كل حاسب وديوان كل كاتب هذا والملك كسرى سائر وعلى راسهِ الازدهار الذي تاخذ جواهره الابصار ويظللهُ من حر شمس النهار وهو يقطع البراري والقفار حتى قارب الحيرة وعلم اياس بن قبيصة بتلك الاحوال الخطيرة فتعجب من شدة همته وكان كما ذكرنا قد جعلهُ مائنًا على العربان في مكان النعمان فخرج الى لقاه في بني طي ولخم وجذام وجميع العساكر التي جمعها من العشائر وخرجوا مشاة الى السرادق الكبير وقد اندهشوا من كثرة الخلائق التي سدت المغارب والمشارق وسدوا القيعان ونشفوا المناهل والغدران هذا واياس يبشر الذين جمعهم بالغنى ونيل المنى

قال الراوي وكان لما عاد من المدائن الى الحيرة وجمع الفرسان من البر والمفاز انفذ جواسيس الى ارض الحجاز وامرهم بالمسير ليل نهار حتى يكتشفوا لهُ الاخبار وكم يكون عدد العربان واين نزلوا من المكان قال فلم تمضِ الا ايام قلائل حتى عاد الجواسيس قبل قدوم كسرى واعلموه بما جرى وقالوا لهُ ان كل عرب الحجاز وصلت الى البيت الحرام وقدمت الى زمزم والمقام وان عبد المطلب قد قام فيهم خطيب . وجمعهم من قريب ومن بعيد وقد سيرهم في مائتين وسبعين الف عنان من الفرسان كاملي العدد ما خلا الفرسان

الذين عليهم المعتمد مثل عنترة بن شداد وهاني بن مسعود ودريد بن الصمة ومن صحبة من الابطال والجنود وعمرو بن معدي كرب وزيد الخيل وملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل وعتبة بن شهاب ودثار بن روق وخفاف بن ندبة وسائر الفرسان المعروفة والابطال الموصوفة فلما سمع اياس هذا الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام وصعب عليه ذلك الامر العظيم وقال لهم اين تركوا الاموال والحريم فقالوا حول زمزم والحطيم ومقام الخليل ابراهيم وقد تركوا لحراستهم خمسة الاف من اهل الحرم وكل فارس قشعم

قال الراوي فلما سمع اياس هذا الكلام زاد به الوجد والاضطرام وعول ان يعلم الملك كسرى بما تم وجرى عليه فسمع انه خرج من المدائن وهو سائر اليه فاستقبله هو والسادات الذين حواليه ونزلوا في الخيام واستقرّ بهم المقام ودخل على كسرى واعلمه بجميع ما جرى فلما سمع هذا المقال التفت على من عنده من الرجال وقال لهم نحن ما ازعجنا الفرسان وجمعنا الفارس والراجل والقينا الفتن في بلاد خراسان الا من اجل مائتين وسبعين الف عنان من سكان البراري والقيعان فوحق الكواكب والنيران ما قلت الا انهم يكونون اضعافنا في العدد واوفى منا في المدد والا ما كنت اخرقت بناموسي وخرجت بنفسي الى غير اعداء حتى لان هذا ما يحط قدري عند اهل خراسان وعند ملوك الروم وعباد الصلبان

قال الراوي فلما سمع وزيره بزرجمهر هذا المقال قال له ايها الملك لا تحتقر من انت سائر اليه ولا بمن انت قادم عليه واعلم ايها الملك ان الدول تمرض كما تمرض الاجساد ويدخل عليها العرض والفساد وما لها اطباء غير الملوك واصحاب البلاد وانت ايها الملك طبيب هذه الدولة الكسروية وملك عباد النار الحمية ومن الصواب ان تأثر اعداك اعظم اثر والا انهدم ركن الدولة واندثر لان هولاء العربان قد داخلهم الطمع من رهبة ذي قار لما قتل والدك بخراسان الذي قتله هاني بن مسعود وكسر العساكر والجنود وهم كانوا دون الثمانية الاف ونحن كنا في مائة واربعة وعشرين الفا بلا خلاف ولولا طمعهم لما تركوا في مكة حريمهم والعيال والمال والاطفال وجاءوا يطالبونك في ديارك والاطلال مع ما يعرفون انك مالك خراسان والعراق وحكمك نافذ في جميع الافاق ومن الصواب ان لا تهمل امرهم فيصل الينا شرهم . قال الراوي فلما سمع كسرى من وزيره هذا المقال قال له ما انت الا صادق على كل حال واما قتالهم لنا في يوم ذي قار ما كان بشجاعتهم وانما كان ببركة مولود معصوم وقد ولد في ذلك اليوم المعلوم وهو مؤيد من اله السما فهكذا قالت الحكماء واما في هذه النوبة فلا بد لي ان اترك نساءهم ارامل واولادهم ايتامًا بعد ان اخرب البيت الحرام ولا

اترك من الاصنام التي يعبدونها صنماً بل اترك اليوم ينعق في ديارهم والرخم واذبح الاطفال كرامة لهذا المولود الذي ذكره تقدم وافعل به كما فعلت اليهود بعيسى بن مريم لانهم لما خافوا على شريعتهم منه رقبوه وما زالوا حتى صلبوه فلما سمع الوزير هذه الاشارات قال ايها الملك ان كنت قد عولت على هذه الفعلات فبادر الامر قبل الفوات واترك عنك ما مضى فيما هو يت لانك في خلق كثير وجمع غفير والراي عندي انك ترسل خمسين الفًا لهذا الامر وتسير معهم ادلاء الى مكة في عرض البر وندعهم يفعلون هذه الفعال ويردون الينا بالنساء والعيال والبنين والاموال واذا عادوا الينا ووجدونا مع العرب في القتال حملوا عليهم من خلفهم وقطعوا ظهورهم بسبي نساهم واولادهم ونكون نحن قد اضعفناهم فنبيد اقصاهم وادناهم ونقتل شيخهم وفتاهم ويكون ذلك الظفر الاكبر ان انقلع منهم الاثر ولا يبقى لهم ذكر يذكر والا ان سرت اليهم ايها الملك الهمام وهم يقاتلون في البيت الحرام ويزيدون الضرب والصدام ويقاتلون قدام اربابهم والاصنام ويجتمع اليهم كل من في ارض الحجاز ومن سكن البر والمفاز وان ابصروا الغلبة في القتال هجوا في البراري والتلال واعتصموا في تلك الجبال فلا نقدر عليهم ولا نصل اليهم ومع ذلك فنحن لا نعرف المياه والمناهل وان جرى علينا هذا الامر فلا يسلم منا لا فارس ولا راجل فلما سمع الملك وارباب دولته هذا الخطاب راوهُ غاية الصواب وقالوا ما بقيَ بعد هذا الكلام جواب فعند ذلك التفت الملك الى اياس بن قبيصة وقال له ما لهذا الامر غيرك فسر في عرب بني طي وجد سيرك ويكون معك بعض حجابي في طائفة من هذه الجنود فتقضي هذا الامر وتعود فلما سمع اياس هذا الكلام قال اني اخاف من ان العرب التي معي اذا رات البيت الحرام لا تقاتل ولا تجرد الحسام وما لهذا الامر الا العجم والفرس والديلم الذين لا يعرفون وثنًا ولا صنمًا ولا يحترمون الاصنام ولا البيت الحرام وكان ذو الخمار حاضرًا في ذلك المقام لانهُ كان قد صار من خواص كسرى وندماه ومحبيه واصدقاه وممن يعتمد عليهِ في شدتهِ ورخاه فلما سمع في ذلك الوقت قول اياس وما ابداه قال وحق النار والسعير وما اعتقده واليه اشير لولا ارادتي ان افرج الملك كسرى على حربي وطعاني مع عنتر وهاني لما سار في هذا الوجه الا انا وابلي كل من في مكة بالذل والعنا لاني ما بقيت اعبد الاصنام التي نحتت من حجار واخشاب لاسيما يوم وعدني الهبل بهلاك عنترة وكان كذابًا على ان لي هناك اسبابًا لان زوجتي ابنة دريد مع جملة النسوان اللاتي حول البيت الحرام وفي قلبي منها من الوجد والغرام ما لا يخطر في الاوهام ولولا شغل قلبي بهلاك عنتر وطلبي للعلو حتى لا اقهر لما كنت صبرت عنها ولا

طلبت البعد منها

قال الراوي فلما سمع كسرى هذا المقال وذكره لزوجته فزع من غايلته لانه كان قد عرف جنونه واحواله وشؤونه فقال في نفسه متى ازداد في هذا الشيطان الشوق الى زوجته يعمل فينا شاكلته ويعود الى حلته ومالي الا ان انفذه الى هذا الوجه واكتفي بفعلة فلعله يهدم البيت بجهله ونعود بنساء العرب واموالها واكون قد بلغت الارب ولما تصور هذا الخاطر في قلبه ولبه قال وحق النار ما لهذا الامر الا انت ياذا الخمار لانك عارف بطرقات الحجاز ومنازل العرب وانت تبلغنا من هذا الامر الارب واما عنترة بن شداد فلا تحمل همه ودع قلبك يفرح بزوال نعمه لاننا ناخذه بكثرة العساكر والجيش المتكاثر ونحن ما نفرط فيه حتى نعود وتفعل فيه ما تشتهيه على انني اقول اننا لا نلقى قبائل العربان الا وانت قد عدت باموالهم والنسوان لان الخلق معنا كثير وما نقدر ان نجد في المسير وانت تمضي بجيش خال من الاثقال وتقضي الاشغال وتبلغ المنى والمآرب ويصير لك من الفخر اوفى ما انت له طالب ولاسيما اذا هدمت البيت الحرام ورميت ما عليه من الالهة والاصنام وجلت بخيلك بين زمزم والمقام فتحدث العرب بفعالك عاماً بعد عام ويقولون من هدم الكعبة الذي كنا نزورها ونعظمها وما فزع من خالقها فكيف يفزع من الابطال ويهاب صناديد الرجال وما زال كسرى يكرر عليه هذا المقال ويرغبه في تلك الفعال حتى اجابه الى ما اراد وقال سوف ابلغك المراد فارسل ايها الملك معي من تختار حتى اريك ما افعل في تلك الديار لانني علمت اننا كنا من عبادة الاصنام في محال ونحن على ضلال وما خلق الرب الكبير المتعال شيئاً يدلنا على عبادته الا عبادة النار والشمس التي تطلع بتلك الانوار

الكتاب السادس والسبعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

قال الراوي فلما سمع الملك كسرى مقالة فرح باجابته وكذلك من سيف خدمته من اكابر دولته وما مضى ذلك النهار حتى رتب قايد الجيوش خمسين الف فارس كرار من ابطال الديلم وعباد النار مع حاجب مقدم جبار هو عند الملك كسرى جليل المقدار واكبر الحجاب وكان يسمى طرخاب ولما كان من الغد سار ذو الخمار في ذلك الجحفل الجرار وقد عزت نفسه وعقله وزاد جنونه وجهله لما ارتفعت فوق راسه الرايات الكسروية والاعلام الخراسانية

وعسف الارض والفلا وما عرف انهُ سائر الى البلا وهو كلما نظر الى كثرة الخلايق التي ملات المغارب والمشارق يقول للحاجب وحق ذمة العرب والنار ذات اللهب لولا خوفي من الملك كسرى ان يعتب في ما يتم ويجرى لما كنت سرت بهذه الفرسان الى هذه القبائل التي تجمعت بل كنت القائم في الطريق واريهم من هو صاحب السعد والتوفيق

قال الراوي هذا ما كان من حديث ذي الخمار واما الملك كسرى وعباد النار فانهُ اقام بعد رحيل ذي الخمار بيومين ورحل بذلك الجيش والجحفل الذي ملا السهل والجبل وتقدم اياس ابن قبيضة في مائة الف من العرب والترك والديلم وتبعتهُ المواكب من العجم والفرس وامتلات الارض من كثرة الامم وهم كانهم البحر اذا التطم ورحل من بعدهم الملك كسرى في موكبهِ الخاص اصحاب الوقار والتعظيم وهم ملوك واصحاب اقاليم هذا وقد اشرق البر وارتج من لشراق دروعهم المذهبة وثيابهم المعلمة وعمائمهم الكوفية وشاراتهم الكسروية ودار وا بالملك كسرى من سائر الجنبات وفي ايديهم السيوف اللامعات والجحف المطليات والقنا والقنطاريات والطبول والبوقات والاعلام والرايات والشارات والازدهارات وتحتهم الخيل العربيات فركب الملك كسرى على فرسهِ المسمى شنداز جواداً يسوى خراج الاهواز ويلحق البرق بلا مهاز ولا يوجد مثلهُ في العراق ولا في الحجاز وعليهِ مركب ذهب بجواهر و يواقيت وهو فتنة العجم والعرب كما قال فيهِ بعض اهل الادب

جواد كلمع البرق عند مسيره ويطوى الفيافي حين يمشي على مهل
يطير بلا ريش يقصر دونهُ جياد خيول العرب في البعد والوصلِ
اذا ما سرى يوماً ففي فرد ساعة يجوز حبال الارض جمعاً مع السهلِ

قال الراوي هذا والملك كسرى راكب منهُ فوقهُ وهو للقاء العرب قد زاد شوقهُ فلما سار بذلك الجيش الجرار ورفرف على راسهِ الازدهار ورفع العلم الاكبر اخذ ضياه جواهره بالابصار وارتجت الارض بالزلزال لمسير ذلك العسكر الجرار وصارت الجبال من ركض الخيل تدوي والجيوش مثل السيل تهوي وكان ذلك الزمان ربيع والارض قد زهت بحسنها البديع ورصعتها الوان الازهار اي ترصيع وهذه صنعة من ارتفع في ملكهِ وعلا وامر الصباح فانجلى وجعل الايام والاعوام بين الانام دولا هو الله الواحد الاحد الهُ جل وعلا لهُ الحمد في الاخرة والاولى

قال الراوي هذا والملك كسرى سائر بتلك الجحافل وهو يقصر في السير والمراحل

ويقضي الاوقات بالصيد والقنص وانتهاز اللهو والفرص لا يظهران على قلبه من العرب هماً ولا غماً لانه صاحب المدائن والبلدان وسلطان الوقت والزمان وعساكره كل يوم تزداد وتتلاحق به من سائر البلدان هذا ما كان من امر طوائف الفرس والعجم واما ما كان من طوائف العرب ممن تقدم فانها جدت المسير حتى قطعت من الطريق شيئاً غير يسير وبعد ذلك قصرت عن الاستعجال وطلبت الراحة للخيل لاجل المجال ولم تزل على تلك الحال حتى كان بينهم وبين الفرس ثلاثة ايام وثلث ليال

قال سعيد بن مالك فعند ذلك اشرفت الطلائع على الطلائع وارتفعت الغبائر والزوابع ولمعت السيوف القواطع وعلا من الطائفتين الصياح الطالع حتى صمت منه المسامع وكان في طلائع العرب عنترة بن شداد وعامر بن الطفيل وهاني بن مسعود وتمام الالفي فارس من كل بطل ممارس وليث مداعس وكان في طليعة الفرس حاجب من حجاب الملك كسرى انو شروان يقال له برهان وكان معه عشرون الف عنان من ابطال العجم وفرسان الديلم وهذا الحاجب فارس عظيم وجبار جسيم ما له مثال في سائر الاقاليم لا يقاس بالرجال ولا يبالي بلقاء الابطال فلما تقابلوا تصايحوا اشد صياح وطلبوا الحرب والكفاح وجدوا لبعضهم بعض في الطلب الا ان الفرس ازدرت بطليعة العرب وكذلك العرب ازدرت بطليعة الفرس لاجل شدة باسها وقوة مراسها واما الامير عنترة فما كان عنده من هذه الاشياء خبر بل انه حين وقعت العين على العين حمل وتبعه هاني بن مسعود وعامر بن الطفيل وتتابعت من بعدهم الخيل وسالوا على بعضهم مثل السيل واختلط الجميع وتضاربوا الضرب الوجيع وبان في تلك الساعة الرفيع منهم والوضيع ولم يزالوا على تلك الحال حتى اسبل الظلام ولم يبلغ احد منهم الارب ولا نال ما طلب ثم انهم بعد ذلك عادوا عن قتالهم وقد هلكت جماعة من ابطالهم ونزلت كل طائفة في مكانها وهي تنتظر الصباح حتى تبرز الى اقرانها فلما كان نصف الليل اقبلت العساكر مثل السيل ووصلت الفرس والعرب وقد ملاوا البر والسبسب هذا والكوسات تدق وتخفق والمواكب تتقدم وتنزل ولم يزالوا على ذلك الى ان طلع النهار وبعد ذلك اقبل الملك كسرى ومعه جيش جرار هذا وقد انقلبت الارض والصحراء بدق الكوسات واصوات البوقات وخفق الرايات ورهج الازدهارات والملك كسرى قد نزل في السرادق الاعظم ودارت من حوله فرسان العجم والترك والديلم ومضى ذلك اليوم والقوم في ضرب المضارب وحط الرحال عن الركائب وتسيير الخيل والجنائب وكان حال العرب مثل حالهم بوصول قبائلهم وحط

رحالهم وبعد ذلك باتوا وهم لا يصدقون بالصباح من شوقهم الى الحرب والكفاح فلما طلع النهار وانجلي ظلام الاغساق قدمت الخيل العتاق وركبت ابطال الجاهلية اصحاب النخوة والحمية كانهم سباع الاجام وقد وكلهم الله بحفظ البيت الحرام الى ان يبعث محمدًا سيد الانام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العلام صلى الله عليه وعلى اله واصحابه الكرام وهذا وقد تاهبت القبائل للهمات وترتبت للحملات وتحالفت بالبيت الحرام وزمزم والمقام ان لا تفترق من ضرب الهام حتى تكسر العجم وتمحق ابطال الديلم هذا والملك كسرى قد ركب وتقدم واخذ النقباء يقولون للمقدمين الكبير منهم والصغير بان لا يعود احد الا باسير او بقتل قتيل فلما سمعت طوائف الفرس والعجم والابطال وعلمت هذا الشرط والمقال زادت في البلبال وحلفت بالنار انها لا تفترق عن القتال حتى تفني جميع العرب وتورثها الخبال ولا تدع لها اثر ولا ذكرًا يذكر هذا والطبول قد ضربت والدنيا من كثرة العساكر انقلبت وفرسان العرب هزت رماحها ووطنت على الموت ارواحها وكان دريد قد ترك عنترة في الميمنة ومعه ولده ميسرة وعامر بن الطفيل وزيد الخيل في الميسرة وباقي الفرسان في الجناحين وفي دون ساعة حان الحين ونعبت الخيل تحت الطائفتين ونعق فوقهم غراب البين وكان اول من حمل الامير هاني بن مسعود في بني شيبان لان الفرس هانت عنده وراها بعين النقصان ثم حمل من بعده عنترة بن شداد وحملت القبائل كانها الجراد . ورفعت اصواتها بالثناء واستعانت برافع السبع الشداد وهجمت بقلوب قد صفت من الانكاد وصاحت الفرس بالنار والنور وتدفقت مثل الامطار وحمل اياس بن قبيصة في مائة الف من عرب بني طي وغيرهم من كل قبيلة وحي واهتزت الاطلال والدمن وعظمت المصائب والمحن وفارق الراس البدن وتكردست الطوائف على بعضها البعض وارتجت من تحتهم الارض

قال الراوي وقد حضرت هذه الوقعة وشاهدتها ورايت ما جرى على فرسان العساكر وساداتها فالسماء غبرت والجهات اظلمت والغبار خيمت والرجال تصادمت والجماجم نثرت والرماح تحطمت والسيوف تثلمت والدماء انسكبت والارواح انسلبت واصحاب الانساب افتخرت والانذال ولت وتاخرت والشجعان تقدمت والصوارم في اكف الابطال هزت والحياة عزت والرؤوس تطايرت والخيل تنافرت والمواكب من جميع الجهات تقاطرت والقتلى صارت اكداس وضاقت في ذلك اليوم الانفاس وجل الامر عن القياس وكثر الخطب والياس وعاد النهار من كثرة الغبار مثل الاغلاس ولمع السيف في العجاج كنه باس

وعظمت نار الحرب وزاد البلاء والكرب وكثر في ذلك اليوم الطعن والضرب وغنى السيف في الرقاب وقطعت الاعصاب ونزل على الطائفتين العذاب وسكروا من غير شراب وما ولى النهار واقبل الغلس وفي احد منهم نفس لب الفي رسم الشجاع واندرس وطلع ملك الموت في وجوههم وعبس وهب عليهم نسيم الهلاك وتنفس وكانت كل طائفة قد حلفت بانها لا تفارق الاخرى الا بالانفصال ولم تتوقع الاهوال في ذلك اليوم الكثير الزلزال لان الفرس ابصرت العرب ابطالاً تبطل عندهم الحيل هذا والعرب قد الهبها ضرب النبال وجرح منها خلق كثير عند القتال واما عنترة بن شداد والامير هاني بن مسعود فانهما نكسا الاعلام والبنود واحوجا قبائل العرب ان يثبتوا في ذلك اليوم المشهود وكذلك ملاعب الاسنة وعامر الاسود واما عمرو بن معدي كرب فانه اظهر في ذلك اليوم العجب وعنة عمرو بن شهاب سيد بني يربوع فانه التقى بصدره تلك الجموع واما دريد فكان ينادي يا فارس قوموا دثار بن روق وبسوق المواكب بين يديه اي سوق ولولا هولاء الفرسان لما كانت ثبتت مواكب العرب قدام جيوش خراسان فلما دهمهم الظلام زاد بهم الغيظ والحنق وداموا على ما كانوا فيه من طعن الرماح ورمي الحراب وضرب السيف القرضاب وما فيهم من طلب الفراق الا ليغير جواده او يخفف عدة حلاده هذا والملك كسرى امر خدامه بايقاد النار وقال لنقبائه دوروا على طوائف العجم والفرس والديلم وعدوهم عني بالاموال والنعم لعلهم يجزون امر هذه الطائفة ففعلوا ما امرهم به ودام ضرب الحسام الذكر حتى صارت الجماجم مثل الاكر وزاد الظلام واعتكر وشكت الارض ثقلاً مما عليها من العسكر وانطوى علم المنايا وانتشر من حوافر الخيل الشرر وضاق على القوم الميدان وكلٌ يقول انه في ذلك الموضع يقبر . وان الخلائق واقفة في الحساب والحشر وكانت ليلة القوم اطول من الف شهر واكثر وانتقل زحل الاجال فما طال وخسف قمر العمر باسنة السمر فحال وفارقت الزهرة وجوه الابطال وتربع المشتري لانقضاء مدة الاجال وانتقل عطارد العطارد بين الاقال وسل سيف مريخ الفلك فاهلك الرجال ونزلت منازل القمر على الفئتين في الحال وطلع السرطان فاهلكهم برؤس الرماح الطوال ولاح النطين بصفائح المشرفيات الصقال في نواعم الاجساد فما طال وكانوا في ثريا اجتماعهم فتفرقوا بين احاقف الرمال وامتد ذراع الاسد فاغمد النصال وبشر طائر القتال فاصاب بها الجبهة فلم يبق احتمال وتصرفت تصرف الفلك على حلول الاجال وجلت البلايا على تلك الجثث المطروحة بين السهول والجبال وسما سماك الموت فصبرت الابطال ومال كوكب العفر مع زبانات الرزايا على

الفارس قتال وقاد بجيش الاكليل لمن قصر عمره فما طال وقلب قالب القلب فباح بما اخفى من الحال وشالت النعائم فانت بحسرة البلد فخرجت الاطلال و بحس الذابح ذبح الحلوق والاوصال وسعد سعود التقدير فدكدك اجبية الاجال ومقدم تقدم الخيل قد غرق في الجبال وتاخر موخر الجبان وغاب كما يغيب الهلال وكسرت جوزة القرو شابت سنبلة عطارد للانتقال وزان ميزان الزهرة بلمع اللوامع وساجع قوس المشتري فلم يكن جامع وزعق جدي الشجعان من كرب المعمعة فلم يجد له ساطع وغرق دلو الاجل بالسيوف القواطع وطلب حوت الموت ادراك الفوت وقد ضاقت عليهم المشارع وفرقت بنات نعش الاعداء وقد ضاقت عليها المواضع ونزلت نوازل انتشار نحوس النجوم على تلك الرسوم والمواضع وزاد من العرب والعجم الصياح وعلا حتى اقلقوا سكان الارض السفلى ولم يفرق بينهم الا غمامة سوداء قد دمدمت فيهم الغرب والشرق ولمع من حافاتها صوارم البرق فسبحان من انشاها وما زالت تململ من ثقل السحاب وتشكو ما بها الى رب الارباب حتى امرها بسقط حملها ونزول وبلها فانهلت بحنق وغضب وهملت منها امطار كافواه القرب وسال سيلها وانسكب وكانت ريحها عاصفة جنوب انشاها علام الغيوب فزادت الظلام ظلاماً وقلعت مضارب وخياماً ودارت الخيل لها اكفالها واكثرها قد وقعت الى الارض من شدة ما نالها وسال السيل في اقطار الفلا وجرت سبولة جماجم القتلى وكانت ليلة غضب ونقم شاءها باري الامم فانزل غيظه على من بغى وظلم ودام ذلك على عاد النار وقبائل العرب حتى نسوا ما كانوا فيه من الويل والحرب وعاد كل واحد منهم الى وراه وابصر شخص الموت حذاه ومنهم من طلب النجاة وتاه في الفلاة ولم يعرف الاخ اخاهُ ولا الولد اباهُ ودام الامر كذلك حتى طلعت غرة الصباح وصرف الله عنهم الغمة واطلع عليهم شمس الرحمة واذل الله منهم الجبابرة وعرفهم قدرهم في الدنيا قبل الاخرة فاصبحوا كلهم يسالونه الرحمة و يطلبون العفو والمنة فسبحانه من قديم لا يعرف له قدم ولا يحصى ما له على خلائقه من النعم ولما عاد بعضهم عن بعض وتجمعوا من اقطار الارض اشتغلوا برفع الخيام والمضارب وجمع ما شرد من الخيل والجنائب وقال الشيخ دريد لفرسان العرب يا بني عمي البغي له عواقب مرة والجهل لا يامن صاحبه من المضرة لاننا حلفنا ان لا نفارق اعداءنا حتى نقبض نفوسها وما كانت قد حضرت اجالها وعكوسها فدفعنا عنهم من لا يدفع قضاه فصدق الحاضرون على ما نهاه وقال له عنترة صدقت يا ابا النظر وما نحن حاملون هماً لاننا سالمون وعاجزون عن دفع القضا والراي ان تصبر عنترة ايام على القتال حتى تنشف الارض وتمكن الخيل من الجبال فقال هاني يا ابا الفوارس الامر لله

رب العالمين الذي انفذ فينا حكمة وفي الخلق اجمعين واقاموا تمام عشرة الايام و بعد ذلك اخذوا اهبة الحرب والصدام وكان كسرى قد امر مشايخ النار والنور ان ينذروا لها النذور و يسالوها النصر على الاعدا وفي تلك الايام وصل الى الملك كسرى رجل ديلمي وقال له ايها الملك ابشر بالنصر و بلوغ المنى لان حاجبك طرخاب وصل من عند سيف النار ذي الخمار ومعة ثمانون امرأة من نساء هذه القبائل الاحرار وامرني ان اخذ رايك فيما افعل فان امرت احضرهن الى بين يديك وها انا قد قصصت القصة عليك فلما سمع كسرى ذلك الكلام فرح واخذه الابتسام وقال للديلمي وما فعل ذو الخمار اما خرب البيت الحرام وكيف لم يظفر الا بهولاء النسوان فقال يا مولاي اخذنا اموالاً كثيرة وما انساقت لانا طلبنا العجلة واما مكة فنقول ان سيف النار ذا الخمار قد خربها وسبى بقية القبائل وحاز الاموال وبلغ بعدها غاية الامال لانه لما سار من عندك جد في المسير حتى وصل الى البيت الحرام وكان القوم امنين واموالهم سايبة ونساؤهم على المروج والغدران يطلبون الفرجة فاخذنا منهم اولئك النسوان وسقنا من الاموال شيئاً كثيراً و بعد ذلك وقع فيهم النفير وركبت العرب لما رات هذا الشان فكسرهم ذو الخمار ودار بالبيت من سائر الاقطار ولما اصبح الصباح قال لنا اعلموا ان الملك اليوم التقى بقبايل العرب الغرر وهو منتظرنا الخبر والراي عندي ان نسير هولاء السبايا اليه حتى تقر بذلك مقل عينيه ثم امر الحاجب طرخاب بالمسير ومعة الف فارس خطير وسير معنا للاخير . وها انا وصلنا ايها الملك الكبير فعندها زاد سرور كسرى بهذا المقال وقال للديلمي عد الى طرخاب وقل له ان يعدل الينا بالنسوان و ياخذهن في عرض قبايل العربان حتى يسمع الرجال صياح حريمهم وعيالهم فيهون علينا حربهم وقتالهم لاننا قد لاقينا منهم قتالاً شديداً وابصرنا منهم رجالاً اقوى من الحديد

قال الراوي فعاد الديلمي الى طرخاب واعلمه بهذا الخطاب وامر الملك عساكره بالركوب ودق الكوسات وقال للنقباء دوروا على جميع المواكب واعلموهم بهذا الحال وقولوا لهم ان يتاهبوا للقتال لاني اعلم ان العرب اذا ابصرت حريمها تنساق ارمت نفسها الى الهلاك و يصعب عليهم اشتهار نسائهم والانهتاك ثم ركب من وقته وساعته وقد دارت به ارباب دولته وسائر اصحابه وخاصته وفي دون ساعة من النهار انقلبت الدنيا وجميع الاقطار من ضجيج عباد النار ودقت الطبول والكوسات وجالت الخيل على نقر البوقات ونشرت الاعلام والرايات وركبت قبائل العرب وقد ظنت ان الفرس تريد القتال والحرب والنزال لانها غير عالمة بما جرى على حريمها والعيال وما اعتدلت الصفوف والمواكب وترتبت الفرسان التي قد

تعودت لملاقاة النوائب حتى اقبلت الاعجام تسوق النسوان والبنات وهن على ظهور الجمال مشهورات ولهن عويل وصياح اقلب البر والبطاح ولما قربهن من رجالهن رمين عن وجوهن البراقع واجرين على الخدود المدامع وصرن يشرن الى رجالهن بالاصابع ولما حققت فرسان العرب هذا الامر غابت عن الوجود وعرفت المقصود وصاح عنترة بن شداد واحرباه هتكنا عباد النار في النساء الاحرار والبسونا العار ونحن غافلون ثم عض يديه وقد سال الدم من عينيه وجرى على الابطال مثل ما جرى عليه ولكنهم كانوا قد ترتبوا للحرب في جنبات الارض فما امكنهم الاجتماع الى بعضهم البعض فزعاً من حملة الاعجام عند اشتغالهم واغتنام الفرصة عند اختلاف اقوالهم فثبتوا لهم قلوبهم والنيران فيها تستعر وداووا من امراضهم ما كان الا خطر وما فيهم الا من بكى وهمهم وظن ان حريمه في جملة الحرم ولما زاد الامر بهم كشفوا رؤوسهم وحدثوا بالهلاك نفوسهم وصاح عنترة بولده ميسرة واخيه مازن من شدة لهيب النار ونبه عروة بن الورد ورجاله المعودة خوض الغبائر ونادى هاني بن مسعود في بني شيبان وذكرهم يوم ذي قار وكذلك عمرو بن معدي كرب وعتبة بن شهاب الفارس الجبار وزعق دريد في بني هوازن فاجابه خفاف والعباس ودثار وحملت قبائل العرب وهم ينادون الثار الثار وتتابعت العساكر مثل قطع الغمام السيار والتقتها الفرس بذلك العدد الذي لا يقع عليه عيار وطلبت النصر من النور والنار وسجدت لحرارة شمس النهار وكان للقوم وقعة تشيب الاطفال الرضع .ماسمع بمثلها ولا يسمع وفي دون ساعة ضرب عليهم الغبار رواقاً ممدود وصاحت الابطال والجنود وساحت الدماء على الخدود وخاضت الاسنة في الكبود وتعثرت على الرمال نواعم الاجساد بعد الوجود وعادت وجوه الابطال سود وشمت بهم المعاند والحسود وكانوا بين فاقد ومفقود ومن شدة ما جرى عليهم من البلاء والويل افترقوا قبل الليل وقد هلكت الرجال وذهب منهم الخيل الا انهم ما رجعوا وفي يد واحد منهم رمح ينفع ولا سيف يقطع وكانت العرب قد قتلت من الفرس اكثر من سبعين الف قتيل واشفت ما في قلوبها من الغليل ولولا السبي والسهام لكانوا كسروا الملك كسرى ونكسوا الاعلام وانما الرماة منعتهم من ذلك المرام وقتلت منهم جماعة كرام ومافيهم من عاد الا وهو مثخن بالجراح ووقع في جسد عنترة من النبل ما لا يحصى بالعدد ولكن ردها عنه كثرة الزرد وقتل من تحته ثلاثة رؤوس من الخيل وشيبوب يانيه بسواها من خيول القتلى فرجع مثل شقيقة الارجوان مما سال على جسده من دماء الفرسان وفي ذلك اليوم ذهبت عين ولده ميسرة الشمال وقتل من رجال عروة جماعة من الابطال ونزلت

القبائل في الخيام يطلبون الراحة وكل واحد منهم يداوي جراحه ودخل الملك كسرى سرادقه وكاد الغيظ ان يخنقه لانه ابصر بعينه الاهوال ورأى من العرب رجالاً اشد من اسد الدحال فقال لوزرائه والحجاب ما كان وصول هؤلاء النسوان الينا الا عذاب وما كان اشهارهن قدام رجالهن صواب لانهم لما راوهن مسبيات رموا ارواحهم الى الممات وقاتلوا قتال من استقتل حتى قتلوا الحجاب والنواب والصواب اننا نسيرهن الى المداين ونوصيه بهن ولدي ازدشير ونقول له ان كان عنده عساكر ينفذهم الينا لاني لا ارى لوبة هذه العرب الا عسرة وما اقول اننا نكسرهم في يوم ولا عشرة الا اذا كان يأتينا ذو الخمار بباقي نسوانهم والعيال ويكون من ورائهم ونحن من بين ايديهم فنهلكهم بالحال فقالت فرسان العجم لا تستهيرنا ايها الملك فيا فعلنا فانا وحق النار والاضرام ما تركنا علينا ملام وان كانوا قتلوا اكثر ما قتلنا فقد جرحنا اكثرهم وما تركنا فيهم من ينفع في قتال وفي غد نهلك باقي فرسانهم في المجال ولا ننال غرضاً من فرسان الحجاز الا في البراز ونذلهم بعد الاعزاز فقال الملك كسرى هذا محال وحق الرب المتعال ما نحن الا خاسرون اذا لم تاتنا جيوش معاونون لانهم جبابرة لا يغلبون الا في المكاثرة

قال الراوي ثم انه سيّر النساء الى ولده ازدشير واقام بحكم التدبير واما ابطال العرب فلما عادت الى الخيام واجتمع عند دريد منهم عدد عظيم شكوا اليه ما هم فيه من فقد الحريم فقال لهم والله يا وجوه العرب ما انا الا في فكر عظيم واقول ان الملك كسرى قد سيّر من المدائن جحفلاً جراراً وقال لهم اخربوا البيت الحرام وانهبوا النساء الاحرار وعودوا الينا بالاموال والعيال وقد كسرناهم وبلغنا الآمال . وان صدق حذري فما قدم في هذه القضية الا ذا الخمار لانه لو كان حاضراً لما قعد عن براز الفرسان لما فيه من الجنون ثم احضر بعض الاسارى وسالهم فحدثوه بذي الخمار وما جرى وانه ارسل النساء وهو محاصر البيت الحرام بخمسين الفاً من الاعجام فلما سمعت عند فرسان العرب هذه الاخبار اخذهم الحقد على ذي الخمار وتوقدت في قلوبهم النار فقال هاني لعن الله ذا الخمار فلقد خرج من مذهب العرب وتخلق باخلاق الجبابرة فوالله لا بد لي وله من يوم مشهود تتفتت له الكبود والصواب اني اسير اليه في الف فارس من الابطال واقابله على هذه الفعال وان التقيته في الطريق ومعه السبايا والاموال خلصتهم منه بضرب النصال وان لم يتم هذا المرام اسير الى البيت الحرام واعين عليه فرسان زمزم والمقام فبينما هم في الكلام واذا بجانب العساكر قد اضطرب وتنادرت فرسان العرب فسال دريد عن الخبر فقيل له يا ابا المنظر قد وصل نجاب من

عند عبد المطلب من الحرم وتنافرت الناس اليه يسالونهٔ عن اولادهم ومن لهم من الحرم فقال دريد خيراً يكون ثم صبر الى ان وصل اليه النجاب فسالهٔ عما جرى من الاسباب ودارت حواليه الفرسان الانجاب فقال لهم يا وجوه العرب ابشروا ببلوغ مناكم وهلاك اعداكم لان الرب العظيم اظهر في الفرس قدرتهٔ وانزل عليهم بليتهٔ واصبح ذو الخمار في قبضة عبد المطلب اسيراً ولم يبقِ من الفرس الذين كانوا معهٔ لا كبيراً ولا صغيراً فقال دريد انزل يا وجه العرب عن النجب وطيب قلوبنا بالعل يز ول ما فيها من اللهب فنزل النجاب واخذ يقص عليهم الخطاب فقال قد جرى في مكة حديث عجيب وامر مطرب غريب ومعجزة من معجزات النبي الحبيب صاحب البردة والقضيب والناقة والنجيب صلى الله عليه وعلى اله واصحابه ما حنّ الى الاوطان غريب وذلك ان ذا الخمار سار بعباد النار وقطع بهم البراري والقفار حتى اشرف على مكة المشرفة ضحى النهار وامر الفرس بالغارة على الاموال والعيال وكان على الغدران والمروج جمع كثير من البنات العربيات والنساء الحجازيات يتفرجن على زهر الاغصان ومعهنّ جماعة من النساء المكيات لاننا قد ذكرنا انهم قبائل شتى وقد نزلت بارض غريبة فالفت النسوان للنسوان عند غيبة الرجال والفرسان وصار اكثرهنّ يصنعنَ لبعضهنّ الولائم والدعوات ويخرجن الجواري والسيدات ويتقربن الى النساء المكيات والى قلوب الحرائر الحجازيات بالاكرام والضيافات ويستمع بعضهنّ من البعض غرائب اللغات ويتناشدن اشعار المتيمين بالخلوات فاشرف عليهنّ ذو الخمار وهنّ على هذه الحالات والصفات وكنّ اكثر اوقاتهن يبتنَ على التلال والربوات فامر الفرسان التي معهٔ بالغارة على تلك الاموال السارحات فحملوا على النساء والبنات وفي دون ساعة ساقوا شيئاً كثيراً وسبوا الثمانين امرأة اللواتي كنّ امنات وطلب البقيةُ الجدرانَ صارخات مناديات وقد خفن من السبي والشتات وكانت النساء المسبيات نسوانَ الابطال والسادات منهنّ عبلة بنت مالك بن قراد زوجة عنترة بن شداد والمجردة اخت قيس زوجة الملك النعمان والدباب ابنته والحريقة اخته والمتدللة زوجة الملك قيس وكبشة وريحانة اختا عمرو بن معدي كرب الكثير الشوق وسعاد زوجة دثار بن روق والباقيات من نساء دريد وبني عامر ونساء السادات من فرسان العشائر واما النسوان اللواتي هربنَ من الفرسان فانهنّ عدنَ الى مكة هاربات وهنّ نادبات صارخات باكيات وقد ارتفع الصياح من سائر الجنبات فعند ذلك ركب اهل الحرم وفرسان الحطيم وزمزم وكذلك الخيل المتخلفة لحفظ الحريم والاموال وهزت الذوابل وجردت النصال ولما نظروا الى الاعجام صاحوا وحملوا ولا عنــــة خيلهم ارسلوا

وقد علموا انها من جملة العساكر الكسروية وعباد النار الحمية وحملت الخيل وهمهمت فهنالك زعق ذو الخمار في الفرس الاشرار وقد ذكرنا انهم خمسون الف فارس اسود عوابس من فرسان العجم وجبابرة الديلم فاطبقوا على فرسان الحرم واشتد بينهم القتال وعملت النصال وسطا عليهم ذو الخمار واستطال وقتل فيهم قتال الجبابرة الابطال وما اقبل الظلام حتى هلك خلق كثير من اهل زمزم والمقام وكان اكثرهم قد هلكوا بالحراب والسهام ودارت بهم الفرسان من كل مكان وجانب واخذوا عليهم الطرقات والمذاهب فعند ذلك اقبل ذو الخمار على طرخاب الحاجب وقال له اما اعلم ان الملك كسرى قلبه معلق باخبارنا ومراده ان يعلم ماجرى لنا ولقد رأيت من الصواب ان ارسل هولاء النساء اليه واعلمه بالنصر الذي اشرفنا عليه حتى يقوى قلبه على قتال العرب وينال منهم غاية الارب وبعد ذلك نضيق نحن على هولاء الذين احتموا بالجدران ولا نرجع عنهم حتى نقودهم بالذل والهوان ونهدم البيت الحرام وما عليه من الالهة والاصنام ونمحو اثر هذا المكان ونحمل الاصنام الى قدام كسرى انوشروان فلما سمع الحاجب هذا الخطاب راهُ عين الصواب ومن ليلته انفذ الحريم مع طرخاب الى كسرى وجرى ماجرى واقام ذو الخمار يحاصر البيت الحرام ويضيق على اهل الركن والمقام حتى منعهم من التصرف والحراك واشرفوا منه على الهلاك وضاق بهم الامر والمذهب من ذلك الهوان المتعب شكوا حالهم الى السيد عبد المطلب

قال الراوي فلما سمع ذلك ضاقت عليه المسالك وقد ضاق صدره وحار في امره وقال لم يبق لنا ملجا ولا نجاة الا بالتضرع الى الله سبحانه وتعالى لانه صاحب هذا المكان وهو قادر على حمايته من كل انسان ثم ان السيد عبد المطلب جمع تلك الخلائق ودار بالبيت وقت المساء ومن حوله الاطفال والنسا ثم انه قال للنساء من كان لها طفل صغير تحمله على عاتقها وتكشف راسها قدام ربها وخالقها وتساله بحرمة الانوار وبحرمة المولود المختار الذي اخبرت به الكهان والاخبار وشهدت بفضله الرواة والاخيار وتتضرع الى الملك الجبار العزيز القهار انه يكشف عنا ما نزل بنا من الاضرار ففعلت النسوان ما امرهنّ به السيد عبد المطلب رضي الله عنه ودرنَ حول البيت وما فيهنّ الا من حسرت راسها وكرهت عمرها وحملت ولدها على يديها والصقته الى صدرها وضجت بالدعاء الى ربها عالم امرها

قال نجد بن هشام فلما سمع الاطفال بكاء النسوان داخلهم الخوف والاحزان واخذوا في البكاء والنواح وارتفع للقوم صياح ثم ان السيد عبد المطلب صعد الى كرسيه الذي كان يخطب عليه وذكر الله تعالى واثنى عليه ورفع الى السماء يديه والنساء من قدامه ووراه

ومن يؤمن على دعاه وهو يقول اللهم يا قديم يا واحد يا عليم يا ارحم الراحمين انت قادر على حفظ بيتك العظيم الذي جدده الخليل ابراهيم احرسه من الاعداء واقبل منا هذا الدعاء بحرمة المنتظر من مضر صاحب السيف المشهور والشفيع في المحشر وقد وعدته بذلك يارب العباد انت الذي لاتخلف الميعاد ولم يزل عبد المطلب يدعو والنساء يقلن امين حتى تنفست الرياح في السماوات من جنوب الغرب وهبت حتى زعزعت جنبات الارض وزاد بها القلق حتى صار النهار مثل الغسق وعصفت في جبال مكة والشعاب واثارت الحصى والرمال وطلع اثرها غيم احمر اللون مكحول الجوانب ودار حول البيت من كل جانب ودمدم مثل الرعد وكانت تلك العواصف مبرقة ففرقت شهباً من نيران محرقة فاصابت عساكر الفرس والديلم ورشقت المضارب والخيم وعظم الامر على عساكر العجم ونزل البلاء عليهم وخيم فضجوا من شدة العذاب وهجوا يطلبون الروابي والشعاب ودام غضب الرب عليهم طول النهار والليل فاصبحوا مطروحين في اقطار الفلا وانجلى النهار وخلت الدنيا من عباد النار وكانت تلك الليلة في مكة تعد في ليال كثيرة وتحدث بها الرواة في كل سيرة واما عبد المطلب واهل مكة فانهم فرحوا بما جرى على اعدائهم وزادوا تعظيماً للبيت الحرام وركبوا الخيل حين طلع النهار وتفرقوا في الاقطار فما كنت ترى الا اسلاب عباد النار تلتهب وهي كوم رماد من مال وعيال وجمال

قال جهينة اليماني واما ذو الخمار فسلم تلك الليلة من الهلاك ومعه قليل من بني عمه لانهم ربوا على تعظيم البيت الحرام وزمزم والمقام ولكن طمعوا في ذي الخمار وتبعوه املاً في اموال كسرى ولما لاح لهم لوائح البرهان وابصروا العذاب الوان وهو ياتيهم من كل مكان ندموا على ما فعلوا وعلموا ان بيت الرب محفوظ وخافوا ان يلحقهم غضبه وبلاه فهربوا على وجوههم في اقطار الفلاه وهرب معهم ذو الخمار وهو يصيح ويستغيث بالرب القديم الجبار ويطلب منه العفو مما عاينه من العذاب ولما ركبت فرسان مكة ولحقتهم في البر والوهاد وقع به الربيع بن زياد لانه كان من جملة المتخلفين لحفظ الحريم هو واخوته فلما عرفه قال لاخوته هذا والله كان سبب البلاء والضرر وهو الذي اثار هذه النار لهدم البيت الحرام فنزلوا اليه فراوا انفاسه تتردد في جسده الا انه مثل السكران الطافح من كؤوس المدام مما راى من الاهوال والعذاب لا من كؤوس الخمر والشراب وكذلك كل من معه من الاحلاف فشدوا الجميع بالكتاف وعادوا الى مكة وسلموهم الى عبد المطلب بن مناف فوضعهم في بعض المغائر ووكل بهم بعض العبيد الكواسر وقال الصواب اننا ننفذ لقبائل العرب ونخبرهم

بهذا الامر والسبب حتى تقوى قلوبهم على قتال عباد النار لانني اعلم ان نسوانهم المسبيات ان وصلن اليهم ورأوهن على تلك الحالات اشتغلت قلوبهم ثم ان عبد المطلب ارسل ذلك النجاب الذي ذكرناه وبادرت به الفوارس واخبرهم بحقيقة الحال واعاد عليهم ما جرى على اعدائهم من الوبال وان الخمسين الف التي سارت لهدم البيت الحرام ما سلم منهم احد فلما انتهى النجاب من الخطاب رفعوا رؤوسهم الى السماء وضجوا بالصلاة الى الله تعالى وزاد عجب القوم من هذه الايات وقويت عزائمهم على قتال الفرس واخلصوا النيات وكان اشدهم حنقاً واكثرهم قلقاً عنترة بن شداد فانه لما سمع بسبي عبلة زادت به البلية والدبلة ونادى واشوقاه الى الاهل والعيال فوالله لنرمي انفسنا على اعلام كسرى ونقاتل قتال من سبيت حريمه واخذت زوجته

قال الراوي وكذلك قالت ازواج النساء المسبيات مثل مقاله وسمع دريد هذا الكلام فخاف عليه من شرب كاس الحمام وقال لهم يا اولاد الاعمام انا خائف عليكم من قسي الفرس والنبال والصواب انكم تطلبون منهم البراز لعلهم يفعلون ويبصرون شجعانكم فيصير لكم في قلوبهم هيبة ووقار ويعلمون ان كل فارس منكم يلقى عصبة منهم في الميدان فبادروهم بالطعان وبعد ذلك احملوا الاعلام فقال قيس يا ابا النظر هذا امل بعيد وتنقضي علينا الايام بشيء لا يفيد وانا اشير عليكم بشيء يبطل عنكم نبال العجم فقالوا الجميع لم سماك العرب قيس الراي فعند ذلك قال الملك قيس لا تدعون الصباح يصبح وعندكم ناقة ولا جمل بل تنفذون الجميع في بطون البيد ويكون معكم جماعة من الفرسان الصناديد وسيروا بهم الى المراعي ولا يعودون الا وعدالهم ملآنة من العشب والكلال ورمل البيد وهي على هذه الحالة قدموها بين ايديكم في القتال فهي ترد عنكم سهام الاعداء لانكم تقفوا اكنافها بالاسنة وتحملون معها الى ان تختلطوا بالاعجام وتطلبوا الاعلام واجعلوها وقعة الانفصال وقد بلغتم الامال

قال الراوي فلما سمعت الابطال كلام قيس قالوا هذا هو الصواب وسار القوم وما تركوا لا ناقة ولا جمل وكان السبب في ترك عساكر الفرس القتال سبباً عجيباً يا له من سبب وذلك ان اياس بن قبيصة تولى تلك الليلة الحرس بنفسه فسمع صياح العرب عند قدوم النجاب ورآهم يموجون من كل جانب وبعد ذلك جمع مقدمي الفرس وارسل جاسوساً فاخبره بما جرى بمكة في عباد النار وما تم على ذي الخمار والعذاب الذي نزل على طائفة الفرس فما ترك منهم دياراً ثم اخبرهم ايضاً بالنوق والجمال فلما سمع كسرى قال والله هلك

ذو الخمار وهلك معه ثلاثون الف من العجم والفرس ولو لم يكن دين العرب صحيحًا لما ظهر لهم هذا البرهان ورب السماء له فيهم ارادة وهو يخصهم بالنصر والسعادة حتى اظهر لهم هذه الاية ثم ان كسرى شاور الحضار فيما يفعله بعد انزعاجه وغضبه فقال له الوزير بزرجمهر ايها الملك العادل قد قلت لك مرارًا عديدة ان هذه دولة جديدة دارها كما دارى اجدادك دولة اليهود والنصارى في اول اقبالها حتى وهت واندرست وعادوا اذلوهم واخذوا منهم الجزية فما فعلت ومني ما قبلت واردت انك تقاومهم في كثرة المواكب فجرى على عسكرك هذه المصائب لان الدولة الجديدة ان سادت يجب ان تدارى حتى تنتهي زمان سعادتها واقبالها فلما سمع كسرى هذا الكلام قال ياوزير وهذه المداراة كيف تكون أنحمل الى انذال العرب الجزية ونردهم عنا بالمال ونحن اصحاب الاقاليم والبلاد وهم سكان الفلوات والوهاد فقال الوزير ايها الملك الامر ياتي بدون هذا وهو ان تامر اياسًا ان ينفذ الى مكة من يكشف لنا الاخبار عن الجيش المفقود لذي الخمار فان كان الجميع هلكوا انفذنا الى هذه القبائل والحلل ورحلنا بالتي هي احسن لانني ابعث اليهم واقول لهم انه الملك ما كان يعرف قدركم ولا قدر البيت الحرام الذي انتم تطيعونه وتحجون اليه وتكرمونه حتى بان له البرهان وندم على ما فعل في هذا الزمان وقد ارسلني اليكم لاعتذر عنه وانه يرد لكم نساءكم السبايا ويتخذكم عونًا على الاعداء ولا يقاتل اقوامًا قد اعتنى بهم رب السماوات كنتم تطالبوننا بقتل النعمان فانتم قد قتلتم ولده شيرسان عدا ماقتلتم من العربان وافنيتم كثيرًا من عرب خراسان . ثم اني احذرهم من عواقب البغي والعدوان واقول لهم انه في هذه الايام يصل الى الملك مواكب وكتائب في عدد الحصى والكواكب ثم اخلع على المقدمين منهم الف خلعة واعطي راية اخرى الى الابطال والشجعان الذين في البيت الحرام واعدهم بتقدمة الاسود اخي النعمان هذا اذا كان الخبر صحيحًا عن ذي الخمار وان لم يكن له صحة وفعلوا هذه الفعال حتى تنكسر عزائمنا اتعبناهم ليلاً ونهارًا الى ان نفرقهم في الاقطار قال كسرى وقد طاب قلبه ياوزير وما نفعل ان زحفوا الينا بهذه الجمال وطلبوا منا القتال قبل ان تاتينا الاخبار من ناحية ذي الخمار فقال له الوزير اعلم ياملك الزمان انهم اذا فعلوا ذلك صرفنا الجميع بالنفط والنار وما تركنا لهم اثار . لانك ماسرت من المداين الا وفي نيتك ان تكسر هولاء العربان وتاخذ بلاد الشام فلما سمع كسرى ذلك رآه صوابًا فانفذ نجابًا الى مكة وكانت العربان محتاجة الى الراحة فاستراحت ذلك اليوم والثاني والثالث وفي اليوم الرابع وصلت الجمال وهي محملة اعدا الآمن الرجال فاقلبت البر والجبال وضجت العرب لقدومها وفي ساعة صارت الرجال

على ظهور الخيل وصار النهار مثل الليل فعلم كسرى بذلك وركب وصارت النقباء تصيح في طوائف العجم فتقلقلت الدنيا من وقع حوافر الخيل والقوم وفتح الوزير خزائن النفط وفرقها على رجال الديلم وقال لهم كونوا انتم قدام الخيل فاذا رايتم الجمال اضربوها بقوارير النفط واقصدوا الابطال . قال الاصمعي فعند ذلك تقدمت عباد النار الحمية تحمل بهذه النية وفي دون ساعة اعلموا بعضهم بعضاً واصطفت الصفوف واقبلت فرسان العرب والابطال وليوثها والاقيال وقدامها النوق والجمال ودارت بها الشجعان ووخذوها باسنة الرماح فدت اعناقها ولعبت باخناقها وترادف الظلام من شدة القتام وضجت عساكر الاعجام ووقعت السهام والازحام وكثر الصدام وطلع الغبار وصار من فوقهم مثل الغمام وخرست الالسن من كثرة الكلام وفرت اللئام وثبتت الكرام واشتهر كل فارس همام وظهرت ذلك اليوم شجاعة كل ضرغام وتقاربت الاعنة وزاد هيجان الجمال من وخز الاسنة وعولت ان تهجم على صفوف الفرس ورجال الديلم فضربتها بما في ايديها من النفط التيار فعملت في الاعدال ولعبت فيها ريح الشمال فاشتعلت غاية الاشتعال وفي دون ساعة احست الجمال بوهج النار الاليم وطلبت الخلاص من بني آدم وفي دون ساعة احاط بالفرس النقم وحاقهم العذاب وهجت الجمال الى طوائف العجم وقصدت المضارب والخيم فنفرت منها الرجال والخيل وحل برجال الديلم البلاء والويل وبعضها عادت على الاعقاب الى عسكر الاعراب واذاقتهم ما اذاقوها من العذاب فهجت في القفار من كل جانب وكانت مثل الاشجار اليابسة اذا اعمت بها النار هذا والرجال قد انكفأت عن القتال لاجل ما عاينت من الاهوال الا الرجال الذي سبيت حريمهم والعيال فانها طلبت عساكر الملك كسرى وكان كسرى في ذلك الوقت طالع باعلامه على رابية عالية والرايات على راسه منعكفة وحوله الحجاب الذين عليهم المعتمد والجميع بالزرد والعدد فطلبتهم فرسان العرب وكانوا ثمانين فارساً منتخبة منهم عروة وهاني بن مسعود وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنة وعمرو بن معديكرب ودثار بن روق وخفاف بن ندبة والعباس بن مرداس وعتبة بن شهاب اليربوعي وجماعة من الابطال ففرقوا جموع العجم ونثروا الجماجم والقمم وما تنصف النهار حتى دار الفرسان بالراية من سائر الاقطار بعد اهلكوا من الفرس والعجم خلقاً لايقع عليها عيار ولما نظر ارباب دولة الملك كسرى فعالهم هالهم امرهم ورفعوا اصواتهم بالصياح وطلبوا الحرب والكفاح فسمعت طوائف العجم صياحهم قد علا فمالوا اليهم من اقطار الفلا وحامت قبائل العرب ايضاً وقد انزعجت على حماتها واخلصت في الحرب نياتها واسودت الارض من جنباتها وركضت

صافنايها وحامت طيور المنايا على اجساد ساداتها وملك الموت ادار عليهم من المنايا كاساتها وما جرى لمن تقدم ولا لمن تاخر اشد قتال من تلك الساعة لان الشجاع اظهر ما عنده من الشجاعة والجبان خاف من الهلاك والشناعة وفي ذلك الوقت رأيت السيوف بارقة والرماح خارقة والخيل بالدما غارقة والرجال متلاحقة والغربان ناعقة وحداة الموت سائقة والارواح للابدان مفارقة والابصار شاخصة ورامقة والنفوس في سوق الحرب نافقة والالسن صارت غير ناطقة والصوارم بنقص الاجال واثقة والخصوم بخصومها عالقة والنبال مارقة والسهام خارقة والليوث لرؤوس الرجال ماحقة وحلفت رجال العرب في ذلك اليوم ان من فرّ منهم تكون امرأته طالقة هذا وقد ارتفع لهم ضجيج وصياح اقلبا الجبال الشاهقة وفرسان العرب الباقون قد حملوا وتركوا خلقاً من القتلى وبحرًا من الدما وصاح عنترة فيهم وقال لهم ويلكم يابني عمي ترجلوا عن خيولكم واتركوا واحدًا منا يحفظها لكم واطلعوا الى ملك العجم فلعلنا ناخذه ونخلص به الحريم ثم ان عنترة ثنى رجله ونزل عن الجواد وفعل ابنه ميسرة مثلما فعل وكذلك اخوه مازن وعروة والاربعون ترجلوا عن خيلهم ورموا من ايديهم الرماح واعتمدوا على قوايم الصفاح وطلعوا الى جنبات الراية بالدروق والصوارم وكان قد طلع منهم اربعون وبقي عند الخيل اربعون وفي دون ساعة صاروا عند كسرى وضجت عليهم جبابرة العجم وفراعنة الديلم وطلبوهم بالنتوت والعمد وعلا عليهم الصياح وانعقد وقد جرى فوق الراية موج البحر الزاخر اذا ازبد وثار عليهم الغبار وانعقد حتى عاد منهم الابيض اسود وبرقت بروق الصفائح وقطعت الرقاب والمذابح وحامت فوقهم الجوارح وكان في مقدمة القوم الامير عنترة والامير هاني بن مسعود كانهما الاسود او فرسا رهان ومافيهم من يفزع من الاجال ويقول ان قدامه رجال بل يقد بحسامه الدرع ويهدر كما يهدر الاسد وينادي فيمن خلفه يابني الاعمام دونكم والملك كسرى ولا تحوجونا بعد الى قتال مرة اخرى هذا والملك كسرى قد فزع على نفسه وقد خرج من تحت الازدهارات وحرس من كان حوله من الفرسان بالصولجان والعمود وقال بلغة الفرس دونكم والاسود فعندها تراعقت الفرسان والابطال والحجاب واطلقت من ايديها الحراقات والحراب وكان في اوايلها مرزبان يسمى شقروان كانه فيل من افيال خراسان وبيده عمود وقارب عنترَ والزبد على اشداقه قد ظهر وعنترة مشتغل بقتال من قدامه فهز شقروان العمود واطلقه بعد ما زعق يا للشمس والقمر من يد المعبد الاكبر اناقاتل اليوم عنتر فخرج العمود من يده كانه حجر المنجنيق فادرك عنترة وهو غافل في وسط المضيق فوقع العمود في ساقيه عرضاً فرماه على قفاه وكاد يعدمه الحياه فلما صار

على وجه الارض تصايحت الفرسان وتناخت الشجعان ثم صاحت الفرس وطلبته ودارت به وقاربته وحاولت ان تاخذه اسيرًا واذ قد اقبل اليه ولده ميسرة وصاح في القوم وفرقهم من حواليه وصدمتهم مواكب العرب فولوا يطلبون النجاة خوفًا من موت النجاة وخففت ملبوسها وطلبت النجاة لنفوسها وكان خلفها مواكب في عدد قوم ياجوج وماجوج هذا والارض تموج ولم يقدروا على الخروج وبقي هاني ورفقاه وقوف . وكل واحد منهم قلبه ملهوف وهم على الرابية يقاتلون وعن انفسهم يمانعون حتى كثر عليهم العدد وزاد المدد ووقع بعضهم بالحداقات والعمد وصار على التراب ممدد وهدت منهم المناكب ولاح لهم لائح العطب وما فيهم الا من حدث نفسه بالهرب وخافوا من معرة العرب بل قاتلوا حتى سترهم الليل وصدمتهم الفرسان بصدور الخيل وزحفت عليهم مرازبة الفرس واهل خراسان وداروا بهم من كل جانب ومكان وهجموا عليهم كما تهجم الرجال على الاسوار ورموها بقوارير النفط الطيار والهبوهم بكثرة النار فلما رأى فرسان العرب هذه الافات ايقنوا بالهلاك والممات وزاد بهم الباس واشتد عليهم المراس فوقعوا على الارض بعد الاياس واخذوا من تحت حجف الاتراس وشدوا الكل بالكتاف وشالوا عنترة وهو مشرف على التلاف ونزل الملك كسرى في الصيوان وهو لا يعي على احد من الفرسان فقال لحجابه ووزرائه قدموا لي اسرى الاعراب حتى اضرب منهم الرقاب فقال الوزير بزرجمهر يا ملك الزمان ما هذا صواب وانما الراي ان ترسلهم الى المدائن وتوصي عليهم ولدك ازدشير حتى تنظر هذا الامر كيف يصير فقال كسرى افعل ما بدا لك ثم قيدوهم واوثقوهم وسيروهم مع جماعة من الديلم فما زالوا سائرين مدة ثلاثة ايام فافاق عنترة وسال عن اصحابه فقال له رجل من الديلم ربما ضرب الملك اليوم رقابكم ورمى جماجكم للعقبان لانكم ما اخذتم من على التل الا والملك كسرى قد اسر من اصحابكم اكثر من ثلاثمائة بطل

قال الراوي فزاد غيظ عنترة لما سمع من الديلمي هذا الخبر وهان عليه الموت والمهالك وما تاسف الا على اخيه مازن وولده ميسرة لانهما فتيان وما شبعا من الدنيا ثم ذكر عبلة محبوبته فبكى وعلم انها من بعده لا تنجو من الاعداء فنظر الى الاغلال والسلاسل في اعناق ساداتهم وشجعان القبائل والقيود الثقال في ارجل الابطال فانشد وقال

فخرُ الرجال سلاسلٌ وقيودُ　　　وكذا النساء بخانقٌ وعقودُ

واذا غبار الخيل مدّ رواقهُ　　　سكري به لا ما جنى العنقودُ

يادهر لاتبقِ عليّ فقد دنا　　　ما كنت اطلب قبل ذا واريدُ

فالقتل لي من بعد عبلة راحة والعيش بعد فراقها منكود
ياعبلَ قد دنت المنية فاندبي ان كان جفنك بالدموع يجودُ
ياعبلَ ان تبكي عليَّ فقد بكى صرف الزمان عليَّ وهو حسودُ
ياعبلَ ان سفكوا دمي ففعائلي في كل يوم ذكرهن جديدُ
لهفي عليكِ ان بقيتِ سبية تدعين عنتر وهو عنك بعيدُ
ولقد لقيت الفرس يا ابنة مالك وجيوشها قد ضاق عنها البيدُ
وتموج موج البحر الا انها لاقت اسودًا فوقهن حديدُ
واذقت فرسان الوغى من صارمي ضربًا يلين لوقعه الجلمودُ
ياعبلَ كم من جحفلٍ فرّقته والجوُّ اسود والجبال تميدُ
جاروا فحكّمنا الصوارمَ بيننا فقضت واطراف الرماح شهودُ
وسطا عليَّ الدهرُ سطوةَ غادرٍ والدهر يبخل تارةً ويجودُ

قال الراوي فلما فرغ عنترة من شعره تحركت في قلوب العربان النخوات وتمايلت السادات طربًا لهذه الابيات وتمنوا شرب كاس الممات وفيهم من وافق الامير عنترة بالاشعار ومنهم من تمنى ان ينظر ابنة عمه قبل الهلاك والبوار

قال جهينة اليماني هذا ما جرى لهولاء الفرسان واما ما كان من حديث النسوان فانهم لما وصلن الى المدائن وعرضوهن على ازدشير بن الملك كسرى فرح لابيه بالنصر والظفر على العرب وامر ان يخلي للنساء دار كبيرة في القصور ووكل بهنّ جماعة من الخدم ورتب لهنّ الجرايا والرواتب واتفق انه اشرف عليهنّ من منظرة كانت لابيه من جانب الايوان وكان تحت بستان يرمي قوس نظره فاشرف على الدار التي فيها النسوان ووقعت عينه على عبلة وهي كاشفة راسها وبرقعها مبدية تخجعها وقد نثرت دموعها وهي كانها البدر اذا بدر والصبح اذا انفجر ولحظاتها امرُّ من الصارم المشهر ولها اجفان وعيون تترك الخليّ مفتون كما قال فيها الشاعر

بيضاء سوداء الذوائب هيفاء ناعمة الترائب
فكانَّ ضوءَ جبينها قمرٌ تلالأَ في الغياهب
سبحانَ مبدع حسنها رب المشارق والمغارب

قال الاصمعي وما وقع نظره عليها وابصر جمالها الذي خصها المولى به من دون البشر حتى احترق فواده والتهب واصفر لونه حتى صار مثل الذهب وارتجفت اعضاؤه وتكبكب

واسترخت مفاصله والركب وقعد على الارض من شدة ما ناله من الهيمان وهمّ ان يرمي نفسه الى الدار التي فيها النسوان وكان حوله جماعة من الغلمان فقالوا له ايها الملك ما الذي حل بك من الهلاك حتى ارتجفت اعضاك وقعدت على الارض ولم تعد تستطيع الحراك فقال ما ادري ادركوني بالعجوز التي ربتني ولا يرجع احد منكم معها لا ابيض ولا اسود قال فعندها اسرع الغلمان اليها واعلموها بحالته فطلعت اليه وقد فزعت عليه فلما قاربته رأته في حالة العدم من غير وجع ولا الم فقالت له ياولدي اسم الله ارحواليك وشررها يصل اليك ما الذي غير احوالك فقال لها هذه البدوية المنفردة في الرواق التي صفا لونها وراق وكساها الله الجمال والاشراق وجعل لواحظها امضى من السيوف الرقاق. قد رمت قلبي بسهام جفونها وجرح قلبي فتور عيونها فان لم تجمعي بيني و بينها في هذه الليلة تحت ستور الظلام من قبل قدوم النهار والا هلكت فقالت العجوز ياولدي طب نفساً وقر عيناً فالجارية جاريتك والارض كلها في قبضتك والليلة اتيك بها واجمع بينك و بينها ثم رجعت من عنده وتوجهت عند عبلة وقصت عليها ما قاله ابن الملك بالجملة وقالت لها انه قد عول ان يجعلك من خواص سرايره ويحكمك في الملك الذي هو فيه وقد انفذني اليك ابشرك بهذه المحبة والاكرام وامرك باخذ الاهبة للقدوم عليه قبل الظلام فاشكري الان البشير واسمعي كلام المشير واخدمي الملك ازدشير

قال الاصمعي فلما سمعت عبلة هذا الكلام اخافت من عاقبته وزاد بها الوجد والغرام وتوردت خدودها من الحياء والخجل وهان عليها الموت والاجل وقالت لها ياعجوزان هذا الامر ما لي اليه سبيل ولا اقدر ان افعله ولا انا متصرفة في نفسي ولا مالكة روحي لان لي بعلاً الجن تفزع منه ومن باسه حتى الفراعنة تعجز عن مداراته ومراسه ولو سمع عني حديثاً رديئاً قتلني وضرب رقبة الذي يعرض لي ويخرب دياره ويقطع اثاره ويفني عساكره

الكتاب السابع والسبعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

ولو انها بعدد المطر واوراق الشجر ويتبعه ولو طلع الى السماء فانصحي له ان ينهي نفسه عن مثلي فلنا من يخلصنا من يده وكما يفعل بنا يفعل معه ويجازيه على ما يصنعه فلما سمعت العجوز هذا الكلام صعب عليها واغتاظت كيف لم تقض حاجتها لان الملك على يدها ولو لم يوصها بها لكانت لطمتها على وجهها وشفت قلبها منها ولكن ما امكنها ان تفعل شيئاً الا باذنه فقامت

من عندها وهي تدمدم بلغة الفرس وتشتم العرب حتى وصلت عند ازدشير وقصت عليه القصة وما سمعت من عبلة وزادت عليه اضعافه حتى تقسي قلبه عليها و ياخذها غصبًا هذا وازدشير قد زاد بلاؤهُ ووقع كلامها على قلبه احلى من الجلاب وتمنى ان يسمع من شفتيها هذا الكلام لان امتناع الحبيب بروق الاحباب ولا يعرف طيبة المحبة الا بعد العذاب. ثم قال للعجوز يااماه اياك ان تكوني قد عاتبتها على مقالها فقالت لا ياولدي ما رددت عليها جوابًا فقال نعم ما فعلتِ دعيها الليلة حتى تعود الى عقلها لعلها تندم وتعلم انه لم يبق لها خلاص من بلاد العجم فتجيبني الى ما اريد بلا خوف ولا تهديد ثم بات تلك الليلة ساهرًا ليلاً لا يرى له اخر فلما اصبح الصباح احضر العجوز وقال لها اعلمي انني افتكرت في كلام هذه الجارية الليل كله وقد صح عندي انها من اكرم النساء والا ما عرضت عني مع ما هي فيه من الشقاء فاريد منك اليوم ان تحملي لها هدية سنية ما نظرت مثلها بدويه ولا حضرية حتى ارى ما يكون جوابها بعد هذا الاكرام ثم اخرج لها ثلاثة عقود من الجوهر وثلث حلل حسان من الخز صنعة خراسان وسيرها عند عبلة وكانت عبلة بعد ان مضت العجوز من عندها قامت عند المتجردة اخت الملك قيس وشرحت لها قصتها التي سمعتها من العجوز ثم بكت بين يديها وقالت لها يامولاتي لقد حرت في امري لانني ان طاوعته على ما يريد افتضحت بين الاحرار والعبيد وبقتلني ابن عمي وان امتنعت عنه ربما اخذني غصبًا او قتلني فقالت المتجردة وقد صعب عليها هذا المقال والله ان راى منك المطاوعة ساعة واحدة طمع فينا كلنا وربما طالب كل ليلة منا واحدة فنفتضح في بلاد العجم و يصل حديثنا الى سائر الامم وما بقي في الامر الا المداراة لهذا الرجل الظالم وانتظار الفرج من الرب الكريم الدائم فقالت عبلة ياسيدتي وهذه المداراة كيف تكون والله لا اريد الا سكينًا حتى اذا غصبت اقتل روحي فقالت لها المتجردة أالى مثل هذا انتهت امورنا ولكن الراي عندي اذا عادت العجوز اليك وعاتبتك على ما فعلت تظهرين لها الخضوع وتشتكين لها وتقولين في اخر الكلام والله ياسيدتي لقد ندمت على ما قابلتك به وافتكرت اني بعد مضيك عني علمت انني على كل حال جاريته وملك يده واشتهي ان تبسطي عذري عنده وتساليه ان لا يواخذني بما قلت ويمهل علي بقية يومي و ينفذ لي ولبنات عمي شيئًا من الطعام والفاكهة ما يسد جوعنا و يرد علينا رمقنا فلعل هذا المقال يطلي عليه وقد هان الامر

قال الاصمعي فاهتزت عبلة طربًا وقامت تنظر ما يتجدد من الاخبار واذا بالعجوز قد اتتها واعادت اليها حديث ازدشير وما في قلبه من المحبة والالتهاب فخاطبتها عبلة بذلك

الخطاب ودعت لازدشير بالبقاء والدوام واظهرت الفرح والابتسام ثم شكت اليها الحاجة الى الطعام وقالت لها قولي لازدشير ان يكثر لنا من الطعام والشراب فقالت لها العجوز وقد انطلى عليها المحال ابشري ببلوغ المامول وكثرة الماكول ثم عادت واعلمت ازدشير بما جرى فخفت عنه الاحزان وهدأ ما بقلبه من الخفقان فقال للعجوز أما قلت لك الاكرام لا يضيع عند الكرام فها نحن قد بلغنا المرام بلا لجاج ولا عناد ثم ان ازدشير انفذ الى الخدام وامرهم بتكثير الطعام ففعلوا ما امرهم يوما حتى انتصف النهار حتى راج الطعام وقطعت الفاكهة ووضعت الاثمار في صواني الذهب التي صنعها عجب وجعل في كل صينية سكينا وكانت السكين الغاس في الصينية المخصوصة وهي في الجملة الا انها كانت برسم عبلة ثم حمل الطعام والاثمار على رؤوس الغلمان والجوار وكان اكثره دجاجا وخرفانا فلما وضع امام العربيات أكلن وايقن بالممات الا ان المتجردة اعلمتهن بما جرى من ازدشير فاخذت كل واحدة منهن سكينا وتاهبن للهلاك خوفا من الفضيحة والعار فغسلن ايديهن واخفين كل واحدة منهن سكينا وبعد ذلك رفعت الصواني والاطباق وقضي الامر الذي وقع عليه الاتفاق

قال ابو عبيدة فعند ذلك افتقد الخدام السكاكين فتنبهوا الى انها عند النساء العربيات فقالوا امرنا ابن الملك ان لا نسالهن عن شيء اكراما لمحبوبته ولما كان اليوم الثاني زاد ازدشير للنساء في الاكرام واكثر لهن من الفاكهة والطعام هذا وهو على مقالي النار من جهة الانتظار الى ان انقضى الاجل المقدم ذكره فلما كان اليوم الرابع انفذ العجوز الى عبلة تصف لها شوقه ووجده وتامرها بالمجيء عنده فمضت العجوز بالرسالة وبلغت عبلة تلك المقالة فلما سمعت عبلة ذلك المقال قالت لها يا عجوز ما اطيب صاحبك المحال فوالله ان قطعوا لحمي ولحمة وجدي ودنوها لما احتمعا فقولي له ان بالغ في عذابي بكاها يقدر عليه وان اراد قتلي فانا اسبق واقتل روحي ولا يظن ان طلبنا الاكل كان لحاجة وانما غرضنا في هذه السكاكين حتى اذا غصب واحدة منا على نفسها قتلت روحها بيدها

قال الراوي فلما سمعت العجوز صار الضياء في عينيها ظلام وقالت لها يا بنت اللئام نكرت ذلك الزمان فابشري بالذل والهوان ثم قامت من عندها ومضت الى ازدشير وحدثته بما جرى من التدبير فلما سمع هذا المقال حل به الخبال وكادت روحه تخرج من بين جنبيه وعض اسفا على راحتيه وقال وحق النار والنور وتربة جدي سابور ما راينا مثل هذا المكر والخداع والحيل في بلاد العجم ونحن قد مكر بنا هولاء النساء ومن رعايا الجمال بالغم فعند ذلك قالت العجوز ايها الملك المحترم والسيد المعظم قد اتهن على ما فعلته من

المكر والنفاق بالمتيكة والاخراق واحلق شعورهن واشهرهن بين الافاق فلما سمع ازدشير من العجوز هذا المقال قال وحق النور والنار ذات الاشتعال اخاف ان افعل بهن هذه الفعال وابي مع اهلهن في القتال لانه انفذ الي نجابا وهو مسرع برد الجواب وهو يقول ان كان قد وصل اليك عسكر خراسان فانفذه الينا في الحال حتى يسعفنا بالقتال فلو لم يكن ابي خاسرا مع العرب على كل حال لما كان ارسل بقول هذا المقال وانا اخاف ان فرطت في هولاء العربيات بامر من الامور وانكسر ابي نطالب بالثار ويحل بنا الدمار ثم يعود علي الملام وربما يعزلني من الملك واكون قد ضيعت ملك الاعجام بشهوتي وتركته لاخوتي ثم ان ازدشير اقام بقية ذلك اليوم وتلك الليلة وهو في فكرة طويلة وصار يفرك كفيه من شدة ما جرى عليه وكلما هم ان يغصب عبلة على نفسها يفكر في العاقبة ويمسك روحهُ عنها ويخاف من غضب ابيه وان هو فعل شيئا لا يرضيه يعزله من الملك الذي هو فيه فصبر حتى يتجدد له الخبر فلما كان عند الصباح واذا بالبشير وصل وبشره بوصول الابطال وان اباه قد انتصر على الاعداء وعن قليل لا يترك منهم احداً فلما سمع هذا المقال انصرف عن قلبه الهم والخبال وقال بلغت وحق النار ما احب واختار ثم انه في ساعة الحال امر بتزيين المدينة فلم تكن الا ساعة حتى زينت واشعلت النار ودقت الكوسات ونعرت البوقات ثم ان ازدشير التفت الى من حوله من القوم والسادات وامرهم ان يطلعوا النسوان العربيات الى الاسطحة العاليات حتى ينظرنَ الى رجالهن في الاسر والاذلال وهم ينقادون فوق الجمال في السلاسل والاغلال . قال الاصمعي فعند ذلك فعلت الحجاب ما امرهم الملك واطلعوا النسوان فوق الاسطحة فارتجت الدنيا بالضجيج وكثر الصياح والعجيج وطلعت النساء الى الاسطحة وهم باكيات لاطمات صارخات وقد اخبروهن بما جرى من النكبات وان رجالهن منقادون فوق الجمال السارحات فاخذهنَّ الفزع والخوف والهلع وتقطعت منهن الظهور وايقن بالثبور وعظائم الامور بعد الفرح والسرور ولم تكن الا ساعة حتى اقبلت الاسارى على الجمال وهم في الاسر والاذلال فلما رأتهم نسوانهم على تلك الحال اخذهن الانذهال وكشفن البراقع وارخين المدامع وابدين الفجائع ونشرن الذوائب وتقلب كل واحدة منهن قد ذاب وايقنَّ بحلول المصائب . قال ابو عبيدة هذا وعنترة قد نظر من الاعوان الذل والهوان وابصر ما لم يكن يعهد من كثرة ازدحام الخلق للفرجة عليهم وهم الذين اجتمعوا فوق الجمال فلما راى ذلك رمى روحهُ عن ظهر الجمل الى الارض فكادت عظامهُ ترتض وصاح في اصحابه يا ويلكم ما بالكم مع هولاء الطناجير وهي تسوقكم سوق الجمال أتحمل الجور

والاخراق من العجم وسكان العراق هذا يا ويلكم أفزعاً من الموت المورود وطمعاً في السلامة والخلود فارموا بنفوسكم واطلبوا الراحة من هذه السلاسل والقيود ويلكم يا وجوه العرب ان الموت اهون علينا من هذا العذاب ننستتر من نظر بنات عمنا ونحن فوق ظهور الجمال والسلاسل والاغلال

قال جهينة اليماني فلما سمعوا كلام عنترة رموا ارواحهم عن ظهور الجمال وقالوا والله يا ابا الفوارس لقد اصبت بهذا المقال ثم صاح الامير هاني بن مسعود ويلكم يا طناجير العجم ونسل المجوس مثلنا من يصلح له هذا الاخراق تقدموا ارموا رقابنا فذلك اولى بنا والموت اهون علينا لاننا قتلنا منكم خلقاً لا يعد واهلكنا من رجالكم واجنادكم ما لا يقع عليه عيار ولا احد ويلكم انا صاحب يوم ذي قار المشهور وذكري في كل البلاد منشور واما قاتل ابن ملككم شيراسان ومفني عساكر خراسان فخذوا مني بالثار ان كنتم من الرجال الاخيار

قال الاصمعي فلما سمع ازدشير كلام هاني بن مسعود زاد عنده الحنق والحنود وقال وحق النار والنور لقد صدق هذا البدوي فيما قال من الامور ولو كان لابي راي الملوك والسلاطين لما كان ابقى احداً من هولاء الشياطين الذين اخرقوا الدولة الكسروية واهانوا عباد النار الحمية ومع ذلك قد انفذ الي هولاء الشياطين وامرني بحبسهم والاحتراز بهم حتى كانني قد صرت له سجاناً وبعد ذلك فوحق بيوت النيران لافعل بهم كما فعل ابي بالملك النعمان وادعهم قدام الفيل يكسر عظامهم ويشق منهم البطون ثم انه من ساعة الحال امر من حوله من الرجال ان ياتوه بالفيل وباقي الافيال وقابل من عنده من السادات وقال لهم اعلموا اني عزمت ان ارمي هولاء اللئام قدام الفيل العظيم حتى يفنيهم ويذيقهم كاس الحمام وانا اتيم عذركم عند ابي ان بدا منه عتاب وملام اذ ما اتي لي صبر على هذه الفعال بعد ما اسمعني هذا الشيطان من غليظ المقال وفي دون ساعة احضروا الفيل حتى يقبض ارواح هولاء الملاعين وعند ذلك دعا ازدشير بالعجوز الى بين يديه واعلمها بما هو معول عليه وقال لها اريدك ان تمضي الى عبلة وتعلميها بهذه الفعلة واني قد عولت على قتل ابن عمها واطيل عليها بلاها وهمها فان ارادت سلامته من القتل والتنكيد تسلم روحها الى ان افعل بها ما اريد فلما سمعت العجوز من ازدشير هذا المقال بادرت باستعجال وقالت السمع والطاعة ها انا ماضية اليها في هذه الساعة ثم انها مضت عند النسوان وعبلة بينهم كانها غزال عطشان وهي منتظرة اخبار ابن عمها وقد كثر بلاوءها وهمها واخذت تدق بيدها على صدرها وزاد حسنها وفخرها فعند ذلك اقبلت العجوز عليها واعلمتها بما قد عزم

عليه ازدشير وكلتها كلام الناصح المشير وقالت لها دعي هذا اللجاج واعلمي انه ما بقي لك من يديه فرج فاطيعي مالك رقك والا انقطع منك رزقك واخذك غصباً وسحبت الى بين يديه سحباً بعد ان تنظري بعينيك الهوان وتعضي على كفيك عضة الندمان وتجازي بالقبيح بعد الاحسان فلما سمعت عبلة هذا المقال زاد بها الهم والخبال واقبلت على العجوز وقالت لها ويلك يا عابدة النيران والخس النسوان الى كم يكن هذا العصيان والهذيان فوحق مكون الاكوان ومظهر النبات للحيوان الذي يعلم ما يكون وما كان لو انه اهلك جميع بني عبس وغطفان وفزارة وذبيان ما رأني له ضجيعة ولا لقوله سامعة ومطيعة فدعيه يفعل ما اراد واشتهى وانا اعلم ان اجلي قد انتهى فلما سمعت العجوز مقالها شتمتها ولعنتها وارادت ان تلطمها على صورتها فخافت من عاقبتها وتركتها وعادت الى ازدشير واعلمته بما جاوبتها فلما سمع مقالها قال ابعد الله العرب وعجل بلاءها فما اشر رجالها ونساءها ثم انه زعق على من عنده وحوله من الخدم وقد حل به الغيظ ودمدم وقال لهم ويلكم قدموا هذا الشيطان قدام الفيل حتى يعجل تنكيده وتحطمه وبيده ثم كلموه بكلام الهند وحرضوه بلسان السند

قال محمد بن هشام فعند ذلك تمشى الفيل وخطر وتقدم نحو عنترة ودنا اليه وقد عرف ما يريد منه ثم ضربه بخرطومه وهدر فجاوبه عنترة بصوت منكر وصرخ فيه صرخة تشاق الحجر وانقلب على صحن قفاه فارعب قلب كل من راه ثم رفع قدميه ودق الارض بكعبيه ونادى يا لعبس لا شفيت انا حبيب عبلة ما بقيت ثم تمطى في كتافه فقطع السلاسل والاغلال واقشعرت من فعاله قلوب الرجال فخاف الفيل من صرخته ورجع فزعقت عليه الفيالة فعاد مثل القضاء الذي لا يندفع ومد خرطومه الى عنتر وضربه لغاية ان يعجل عطبه ففتح عنترة خرطومه ثم قبض عليه بقوته وذراعه وصار الفيل كلما اراد ان يرفعه من الارض يشد عنترة عليه ويثبت في الارض قدميه وبقي من شدة حيله مثل الجبل الذي لا يحول وقوته مثل الصخر الذي لا يزول ولم يزل على ذلك الحال حتى ضاقت نفس الفيل وبقي يطلب الخلاص فلم يجد اليه من سبيل فعند ذلك جذب خرطومه من شدة ما جرى عليه فانقطع . قال ابو عبيدة وقد ذكرت الحكماء من اخبار القدماء ان الفيل متى انقطعت زلعومته ولو شيء يسير كفى لهلاكه . ثم اخبط الفيل ومات فلما نظرت العجم وجبابرة الفرس والديلم الى فعل عنتر صاحت كلها بصوت منكر واستعاذت بالنار من حيل هذا البطل الجبار وقالت احسنت يا شيراسان اعني يا اسد وتعوذت بالنار والمعبد واما ازدشير فكاد ان يغشى عليه وبقي على قلبه دبلة من فعل عنترة وما جرى له مع عبلة وعلم انها قد ازدادت فيه رغبة ومحبة

الا انه من شدة ما جرى عليه من المصائب صاح على الخدام والحجاب وقال لهم شدوا هولاء العرب بالرقاب وانزلوا بهم الهوان والعذاب وشدوهم بالحبال على جانب الايوان فوحق النار والنور لا ابقيت منهم احداً وعند ذلك تقدم اليه الوزراء ومعهم جماعة من الامراء وقالوا يا ملك لا تعجل وتأنَّ في امرك وتمهل واعلم ان قتل هولاء لا يرضي اباك لانه لو اراد قتلهم لكان قتلهم هناك وهو ما انفذهم الى هذا المكان الا خوفاً من تغيير الزمان والصواب انك تمهل عليهم وتكتفي الشر حتى نبصر على اي حال ينتهي الامر . قال الراوي فلما سمع ازدشير مقالهم وما اشاروا عليه قال ان هذا الاسود لا ابقي عليه ولا بد لي ان اسقيه شراب الويل واقتله كما قتل الفيل وفعل هذه الفعال واهلك من الفرس الابطال واما رفقاؤه فاتركوهم في القيود والحديد حتى ياتي ابي ويفعل بهم ما يريد ثم انه بعد ذلك امر بصلب عنترة على الايوان وان يرشقوه بالحراب والسهام قال فعند ذلك دارت به رجال الفرس والاعجام من كل جانب ومكان وبهمت في وجهه جبابرة الديلم فايقن بالهلاك والعدم وكانت عبلة لما رأت ابن عمها وقد رموه قدام الفيل حتى ينزل به التنكيل اظهرت الصبر والجلد وظنت ان فعال ابن الملك لما تخويف وتهديد حتى تجيبه الى ما يريد فلما نظرت ان ابن عمها قد اهلك الفيل وتركه على وجه الارض قتيل . وابصرت ازدشير قد امر بصلبه وهو مشرف على الهلاك ولم يبقَ له من الموت فكاك خمد من الخوف حدها وهامت عليها نفسها ثم انها اقبلت على المتجردة اخت الملك قيس وقالت لها يا مولاتي قد عولت أن ابذل نفسي فداء ابن عمي واشتري دمه بدمي لانه طالما خلصني من النوائب ووقى نفسه لاجلي المصائب قال فلما سمعت المتجردة ذلك قالت لها وكيف عولت ان تفعلي يا ست مالك قالت قد عولت ان انفذ لابن الملك من غير تفنيد واقول له قد اجبتك الى ما تريد فتمهل على ابن عمي واتركه من هذه الفعال الوبيلة حتى ازورك هذه الليلة واذا خلوت معه في الليل اشهرت نفسي للهلاك وقتلته وان لم اقدر على ذلك يكون قتلني وقد انقضى الامر بذلك ولا ارى في عيني الهتيكة والهوان وبعد ذلك لا اريد منك الا ان تبلغي سلامي لابن عمي وتخبريه باني فديته بروحي وما خنته بنفسي

قال الراوي فلما سمعت المتجردة هذا الكلام جرت دموعها على خديها سجام وقالت والله يا عبلة ان تم هذا الامر عليك وكان قتل ابن الملك على يديك وسقيته كؤوس الردى فلا يبقي الفرس منا احداً فاستتارنا تحت التراب افضل لنا من الهتيكة بين الاعاجم والاعراب فافعلي ما بدا لك يا فلك الله امالك فعند ذلك دعت عبلة العجوز اليها فحضرت

بين يديها فقالت لها اعلمي ان قلبي قد اوجعني وحل بي الكرب من اجل هولاء الاسارى فرسان العرب لما بيني و بينهم من النسب والقرابة والحسب وهم على كل حال بنو عمي ومن لحمي ودمي فاشتهي منك ان تمضي الى ابن الملك وتساليه فيهم وانا ابيت عنده في هذه الليلة واكون له خاضعة ولقوله سامعة لاني حرصت على الخلاص لنفسي من الاخطار وانا قد علمت انه لم يبق لي براح من هذه الديار على انني صنعت بالاول ما صنعت والان ندمت على ما فعلت وذلك ما كان مني الا لاجل عذر قد لحقني من كثرة الاساءة مثلما تعتذر النساء فاشتهي منك ان تعودي الى ابن الملك وتعلميه بهذا الكلام واني اجبته الى قصده والمرام

قال الراوي فلما سمعت العجوز من عبلة هذا الكلام حل بها الفرح والابتسام واملت بان ابن الملك يبلغ على يدها المرام وتحظى بالخلع والانعام ثم انها مضت من ساعتها الى ازدشير واعلمته بما جرى من التدبير وبشرته ببلوغ الارب وان عبلة اجابته الى ما طلب فلما سمع هذا الكلام اخذه الفرح وابدى الابتسام وامر ان ياخذوا الاسارى وعنترة معهم الى حبس القصر وصار في قلبه من حب عبلة لهيب الجمر وبقي لوعدها في الانتظار قال فلما مضت تلك الايام اخذت العجوز عبلة ومضت بها الحمام واوقفت على راسها الجواري فغسلن شعرها وازلن عنه الاوساخ وبعد ذلك اخرجتها ونشفتها بمناشف الحرير فجهزت لها العجوز حلة فاخرة ملبوس بنات الاكاسرة وكان في تلك الحلة ثوب يدعى نقش البيعة وفيه صنعة الطيور مصنوعة ومناقيرها من حجارة الياقوت الاحمر واجنحتها من الزمرد الاخضر فعند ذلك افرغت العجوز هذه البدلة على جسد عبلة وعصبتها بعصائب الجوهر وقلدتها بقلائد العنبر وجللتها بحلل ما حوت مثلها بنات قيصر ولا ملوك بني الاصفر لانها كلها مخرمة ومحشاة بالمسك الاذفر ثم علقت من فوق العقود مرسلة من حجارة الياقوت الاصفر ووشحت جبينها باللؤلؤ المدور فصارت احسن من الشمس والقمر واضوأ من الفجر اذا فجر وما خرجت من الحمام حتى دخل الليل واسود الظلام وقد اتى الى خدمتها جماعة من الخدام وفي ايديهم الشمع المعنبر وفوانيس في ظلام الليل تزهر هذا وعبلة مع ما هي فيه من هذا الاكرام الذي ما له حد محدود غائبة عن الوجود حاضرة في زي مفقود

قال الراوي وسارت عبلة ونور وجهها يضيء في الليل وقد ابهر من حولها من ضياء وجهها وما عليها من اللؤلؤ والجوهر وما زالت تمشي وتتانى بغير استعجال حتى دخلت على ازدشير وهي كانها القمر المنير هذا وقد سبقتها روائح العنبر والمسك والكافور من ثيابها فلما رآها ازدشير اصابته الدهشة وتحير وقد انبهر من جمالها وارتجفت اعضاؤه من حسن قوامها

ودلالها ثم نهض اليها قائماً واثنى الى الارض لاثماً وقال اهلاً بروح الارواح وسيدة الملاح فلما سمعت عبلة كلامه لم تعلم ما يقول ولا عرفت ان ترد له جواباً ولا تخاطبه خطاباً بل خدمته وقعدت الى جانبه وكان ازدشير جالساً فوق كرسي كان من الذهب الاحمر وقوائمه من الفضة البيضا وقد لبس لقدوم محبوبته ثياب الافراح والرضا الا انه لما راها معه على السرير اخذه القلق والتحير وصار يعاتبها على ما فعلت في حقه وكيف قابلته اولاً بما لا يستحقه وصار يباسطها في الكلام ويكثر الضحك والابتسام وهي منكسة الراس زائدة الوسواس تتبسم متكلفة فعند ذلك قدمت لها العجوز مائدة مليحة وعليها طعام يصلح للملوك ثم صفت آنية الفضة البيضاء والبلور الذي من بياضه اضاء المكان وفي تلك الانية شراب ارق من النسيم والذ للقلوب من النعيم واصفى من دموع العشاق اذا انحدر من الاماق في ليالي الفراق

قال الراوي فشرع ابن الملك في تناول الطعام وصار يلقم عبلة من صدور الدجاج السمان ويزيد في اكرامها ويضاحكها ويلاعبها ولم يزل يبادرها بالاكرام حتى اكتفيا من الطعام فعند ذلك رفعت العجوز المائدة وقد اكرمت عبلة الكرامة الزائدة ثم قدمت آنية المدام التي تذهب الاسقام فملأ ازدشير قدحاً من الراح وشرب على وجه سيدة الملاح ثلثة اقداح وملأ الرابع وناوله الى عبلة فاخذته من يده وقبلته وشربته فلما نظرت العجوز الى عبلة وقد شربت القدح من ازدشير فرحت فرحاً عظيماً وقامت من عندهما وخرجت وتركتهما وهي تقول من مثلك يا عربية ان ابن الملك ازدشير يشرب معك ويسقيك وبروحه يفديك ثم اغلقت باب الحجرة وجلست وراءها وعبلة مع ابن الملك وهو يشرب ويسقيها حتى احمر خداها وتكاثفت شفتاها وصارت فتنة لمن يراها الان المنية قد هانت عليها حين طلعت الخمرة الى راسها واعمت في عطفيها وباتت حائرة في امرها لا تدري ماذا تصنع وكيف الخلاص والتدبير وباية حيلة تحتال وتقتل ابن الملك ازدشير

قال الراوي فعند ذلك نظرت الى الفاكهة التي قدامها فاذا في وسطها سكين وهي اتقطيع الفاكهة فحدثتها نفسها بان تاخذها وتقتله واردت ان تشاغله وتاخذها من بين يديه وتنح بها عليه هذا وابن الملك قد اقلقه حسنها وجمالها وغرق في بحر ملاحتها ودلالها وضمها الى صدره وغلب الشوق على عقله وبصره ثم قبلها في خدها وصار يقول لها اشربي يا منية القلب ومالكة الروح واللب وحياتك لاملكك على العرب والعجم وجميع الفرس والديلم لانك نزلت في قلبي في اعلى المنازل وتملك حسنك جميع اعضائي والمفاصل

قال الاصمعي فلما سمعت عبلة من ازدشير ذلك المقال ورأته قد قبلها وفعل تلك الفعال

ثارت فيها النخوة وحركتها المروّة وانجذبت منهُ وتاخرت عنهُ وقالت لهُ ايها الملك الكبير ما هذا التدبير اليس لك مكان استر من هذا المكان حتى تخلي فيهِ وتحتجب عن اعين الغلمان فلما سمع ابن الملك من عبلة ذلك المقال داخلهُ الغضب وحل بهِ الانذهال وقامت عيناه في ام راسهِ وحرّق من شدة الغضب على اضراسهِ وقال لها ماذا تعنين في هذا الحديث يا بديعة الحسن والجمال ومن يقدر ان يتطلع علينا ونحن في هذا الحال فقالت بلى والله ايها الملك الجليل الشان انني من حين دخلت الى هذا المكان ما رفعت راسي الا والجواري يطلعن عليّ من سماء الدار ويتفرجون عليّ بما تفعل في هذه النوبة وهذا يدل على انك قليل الهيبة فعند ذلك رفع ازدشير راسهُ الى فوق وهو بهم بلغة الفرس ويذكر النار فلما راتهُ عبلة قد اشتغل بالنظر خطفت السكين اسرع من لمح البصر وهجمت عليهِ وضربتهُ فيها في لبتهِ اطلعتها من نقرتهِ ثم زودتهُ بضربة اخرى في صدره وارادت ان تضربهُ الثالثة في نحره واذا بهِ قد صرخ ومال ونبع دمهُ وسال وجعل يئن قليلاً وبعد ذلك خمد حسهُ وقد صار قتيلاً ٠

قال الراوي فلما سمعت العجوز صرختهُ قالت والله ان هذا امر عجيب وحال غريب كيف ان ابن الملك صرخ هذه الصرخة القوية وانقطع حس البدوية فوحق النار والنور ما هذا الا امر من الامور وربما يكون قتلها وعجل من الدنيا مرتحلها لانها مانعتهُ وتعاصت عليهِ وما سلمت نفسها اليهِ ثم ان العجوز في ساعة الحال فتحت باب المقصورة ودخلت فرات عبلة وقد عبست كانها لبوة والسكين في يدها تقطر دماً وقد ايقنت بالفناء والعدم وقالت لها الى ابن تدخلين يا عجوز السوء ومعدن الشر فوحياة راس ابن عمي عنترة واخي عمرو ان تقدمتِ اليّ لاعدمنك الحياة واعجل لك الوفاة ثم انها صاحت فيها ووثبت عليها فعادت العجوز على عقبها وقد زاد رعبها ثم صاحت في الليل الهادي يا آل فارس يا آل فارس قد حلت بكم الرزية ويلكم يا عباد النار الحمية ان ملككم قد قتل وشرب كاس المنية ثم انها دامت على حالها وقد زاد نداؤها الى ان وصلت الى اخيهِ وهي تصيح بصوتها حتى انزعج من في القصر وكان للملك كسرى ولد آخر اسمهُ قباد غير ازدشير وهو الكبير وكان في العقل والراي افهم وكان يحب العدل والانصاف ويكره الجور والاسراف حتى وقعت في قلوب العجم محبتهُ وكان ابوه يبغضهُ لانهُ يمنعهُ عن المظالم حتى ان العجوز دخلت عليهِ واخبرتهُ بقتل اخيهِ فلما سمع قباد هذا المقال قال لها وكيف ان امراة تمكنت من قتلهِ واتلفت مهجتهُ وكيف قوت عليهِ الاعداء الا ان يكون ظلم واعتدى فلما سمعت العجوز من قباد هذا الكلام والاخبار قالت صدقت يا مولاي وحق النار ثم انها بعد ذلك قصت عليهِ قصتهُ مع عبلة بنت مالك وكيف انهُ عشقها وعلى

نفسها غصبها حتى اخذت روحها من بين جنبيه .

قال الاصمعي فلما سمع كلام العجوز ووقف على باطن القول وصحته قال لها اينها العجوز اما علمتِ ان الزنا هو غاية الخنا وهتك الحرائر والنسوان يورث الفنا والقلعان . ثم من بعد وثب قائمًا على قدميه واخذ سيفه في يده وسار وغلمانه حواليه والعجوز من وراءه تشعة وخرج من باب داره وقد زاد افتكاره وهو يقول يامن خلق نور القمر وضياء وشعاع الشمس يدل على معناه ان ملكت ملك العجم لاحيي عدل الاكاسرة وانصف الامم ثم انه صار طالبًا اخاه ازدشير فرأى اهل القصر قد تبادروا بالنفير وشهروا العدد منهم الصغير والكبير وهم طالبون نسوان العرب وتلك الدار حتى ياخذوا منهن بالثار فلما نظر قباد ذلك الحال صاح فيهم وردهم عن تلك الفعال وقال لهم ويلكم لقد بادرتم الى ما تجهلون معناه اتريدون ان تقلعوا دولتنا ونحن بالحياة ارجعوا الى بيوتكم ودعوا عنكم الفضول والا لايصبح احد منكم الا مقتول فلما سمع اهل القصر من الملك ذلك المقال عادوا الى بيوتهم في عاجل الحال فسار قباد طالبًا اخاه ومن حوله اصحابه ومحمود الى ان بلغ الحجرة التي قتل فيها اخوه وهم ان يدخل اليها واذا بجداء واقفة في بابها وهي مثل اللبوة اذا فقدت اشبالها شادة وسطها والسكين مشهورة في يدها والرجال والنسوان يصيحون عليها وما فيهم من يجسر ان يدنو اليها فعند ذلك تقدم اليها قباد وقد كثر منها العجب وزاد وهي قد تاهبت للموت فناداها لاثما في احرق العرب فيما فعلتِ فعلاً تستوجبين عليه العطب وما فعلتِ الا فعال النساء الحرائر ربات الستائر فسيري الان الى اصحابك العربيات ولا تخافي من احد من اولاد العجميات فانتِ في ذمامي وان كنتِ لاتثقين بكلامي فهذا خاتم اماني ثم انه رمى لها خاتمه ودار اليها ظهره وقال لها اتبعيني فتبعته وقد هدأ قلبها وسكن رعبها وقالت في نفسها ان صدق ابن الملك في كلامه فقد سلمت وصحت لي السلامه وان غدر بي وخان فيكون قد اخذ ثاري من ازدشير الخوان وما زال قباد سائرًا وهي تسير من ورائه وتبعه من رفقائه حتى وصلت عند السماء فدخلت ولونها قد انخطف وهي في حالة الانكاد والتلف فلما راينها على تلك الحال وقد اعتراها النزع والخبال سالنها عن حالها وما تم عليها ونالها فقالت لهن قد قتلت ازدشير واوقعت فيه التدمير فلما سمعن منها ذلك المقال ايقن بالفنا والوبال هذا وقباد قد وكل في باب الحجرة جماعة من الغلمان يحفظونها من كل انسان وقال لهم اضربوا رقبة من رايتموه داخلاً على هولاء النساء وانزلوا به المساءه ثم انه بعد ذلك عاد طالبًا الحجرة التي فيها اخوه ازدشير فدخل عليه فوجده ملقى وقد شرب كاس حمامه ومضت لذة لياليه وايامه فعند ذلك امر بعض مشايخ

النار ان يكفنوه ويضعوه في ناووس من النواويس الكبار ففعلوا كما امر قباد الذي ابعد
فرحة وزاد وايقن باخذ المملكة ونيل المراد وطار النوم من عينيه وجلس على سرير ابيه
واوقد الشموع بين يديه

قال الراوي وكان له شيخ قد رباه وهو يالف اليه من دون اصحابه واقرباه فاجلسه
في تلك الليلة الى جانبه واقبل اليه وقال له يا ابتاه ما كنت اشتهي الا ان يصل ملك الفرس
الي وانظر ارباب المملكة من حوالي حتى املا الارض من العدل والنعم واخلص اهلها من الظلم والنقم
فلما سمع ذلك الشيخ كلامه وعرف مقصوده ومرامه اقبل عليه وقال له هذا الامر والله يا ولدي
في يديك ولو اردته لما صعب عليك لانك الساعة حاكم عليه وهو طوع يديك فلما سمع
قباد كلام الشيخ وما ابداه قال له كيف يكون الامر يا ابي فاشر عليّ بما ترى من الصواب
فعساك تربح الاجر والثواب فقال اعلم يا ابن الملك ان اردت هذا السبب فاحسن الى من
عندك في السجن من فرسان العرب وقل لهم ان اهل القصر قد عمدوا الى قتلكم فمنعتهم
عنكم وانا الضامن لكم عتقكم ورد عليهم سلاحهم واعطهم خيلهم وسلاحهم وسيرهم نحو ابيك في
زي العجم وخذ عليهم العهد بان يضربوا رقبته ويحكموك مكانه فلما سمع قباد من الشيخ هذا
الكلام ظهر له الحق من المحال وعلم الغرض والمقصود وقام من ساعته الى عنترة واصحابه
وفكهم من القيود واحضرهم بين يديه واطلعهم على قصته وما عزم عليه واخبرهم انهم كانوا
مشرفين على الهلاك والبوار واعلمهم بان عبلة قتلت اخاه وانزلت به الدمار ثم انه بعد ذلك الى ان
طلب منهم المساعدة على بلوغ الامال فلما سمع عنترة مقالة قال له يا فتى اما القتل فلا تهددنا
به لانا لا نفزع منه واما الجميل فنحن لانه يعنه بل نضمن لك قتل ابيك هو ومن معه وكل
الجموع الذين حوله ومن يتبعه ونوليك مرتبة ومن خالفك ضربنا رقبته فلما سمع قباد كلام
عنتر فرح واستبشر وقال له ان فعلتم هذه الفعال فانتم محكمون في خزائن الاموال ثم خلع عليهم
الخلع الفاخرة التي لا يوجد منها الا عند الملوك الاكاسرة وكانت احسنها خلعة عنترة وبعد
ذلك اخرجهم من دهليز القصر فطابت انفسهم وعولوا على السفر فالبسهم على رؤوسهم
الطرابيش المزينة باللولو والجواهر الثمينة وكان احسنها طربوش عنتر لانه كان من الاطلس
الاصفر مرسوم على مقدمته صورة تحاكي صورة الباز وهي من الذهب الاحمر فصار على هيئة العجم
والترك والديلم ثم ساروا يقطعون البر والفدفد ولما اصبح عليهم الصباح بعدوا عن البلاد واوسعوا
في القيعان ونجوا من فم الاسد وكانت عبلة الى جانب عنتر وهم سائرون في ذلك البر الاقفر
يتحادثون فيما جرى وعبلة تقص عليهم ما فعلت مع ازدشير وكيف احتالت عليه حتى قتلته

ودبرت هذا التدبير فقال لها عنتر نعم ما فعلت وما خاطرت الا موضع الخطر لان ساع الموت لا يردها حذر ولا تتقدم ولا تتاخر ولا لاحد منها مفر والعاقل لا يامن الرزايا ولا يستطيع دفع المحن والبلايا ثم اشار عليها بهذه الابيات

عبيلـــة بالحوادث لاتبالي   ولاتحزنك طارقـــة الليالي
ولا تخشي مماتًا فهو حتمٌ   باذن مهيمن ماضي الفعال
وحقك لو رايت رجال كسرى   تجول عليَّ يا ذات الجمال
وهاج الهم تحتي وهو يجري   تدوس سنابكه هام الرجال
اذا الدغته اطراف العوالي   يقاتل باليمين وبالشمال
اتانا جيشهم في كل ليث   يهزُّ بكفه سمر العوالي
وداروا حولنا يبغون قتلي   ونار الحرب زائدة اشتعال
فخضت جموعهم وبذلت فيهم   حسامًا ماضيًا حسن الصقال
وفرقت الرجال بضرب سيف   يقدُّ بحده صمَّ الجبال
ولو لم تنفذ الاقدار فينـــا   وترمينـــا الاعادي بالنبال
لغادرنا مليكهمُ قتيلاً   صريع البين مقطوع السبال

قال الراوي فلما فرغ عنتر من شعره قال لعبلة انتم قد امنتم من الخداع واما تركتم نتبع اعلام كسرى من التلى ما يكفي الطير والسباع هذا وبينما هم سائرون اذ قد اعترضهم نجاب نجاة نجيب مثل العقاب وهو يمر مر السحاب بين الروابي والهضاب فقال عنترة هذا والله نجاب طالب المداين على عجل فاحضروه حتى نسأله عن ذلك . فاقت الفرسان الخيل بجانبه رقدوا وامثال السيل تحوه وكان اكثر ملوه . ذار ية فيطالع النجاب . مثل الدار الحديدة فلما راى ذلك النجاب تلك الخيل وقد قصدته من الربى والاكام خاف على نفسه وظنهم اللئام لا يتركون منه كلام فرمى نفسه عن ظهر النجيب وطلب الرمل دكر النعام فساقوا الخيل خلفه فقطعها سربًا فلما نظر عنتر الى هذا الهارب تعجب من شدة ركض النجاب واقبل على عروة وولده ميسرة وقال لهم وحق علام الغيوب ان صدقني حذ ربي ما هذا النجاب الا اخي شيبوب واقول انه لما نظر الينا وراءنا بزي الفرس هرب . ولا يقدر غيره على هذه الفعال من الرجال ثم طلبه على جواده الابجر وصاح عليه ويلك لا تخف يا ابن السودا فانا اخوك عنتر ويلك لا تراك الابجر

قال الراوي وكان هذا النجاب شيبوبًا اخا عنتر وقد اتى حتى يكشف عنهم الخبر ويبصر

ما جرى عليهم من العبر فلما سمع شيبوب كلام اخيه عنتر قصده وصار ينظر اليه وقد اشتكل عليه امره وتغير وما زال واقفًا حتى قاربهُ وعرفهُ من جواده الابجر فنادى شيبوب يا للعرب فجر والله اخي عنتر ويلك من غير لباسك وزين بهذا الطربوش المصوغ راسك فارم به عن قمتك لعن الله لحيتك فضحك عنترة من كلامه وقال له ويلك ياشيبوب لبسنا زي العجم رغبة ان نتوصل الى قتل كسرى ونسقيه كاس العطب ثم قال له اخبرنا عن قومنا وعن قبائل العرب فقال والله يااخي ما قبائل العرب الا قد تضعضعت وعساكر الفرس فينا طمعت وانا سالت عنكم بين العرب فسمعت اخبارًا مختلفة وانهم ارسلوكم الى المدائن حتى يقتلوكم فسرقت هذا النجيب من ليلتي وقلت اني اسير الى ابن كسرى واقول له ان اباك قد ارسلني اليك حتى اوصيك بحفظ هولاء العرب الذين عندك وان كان وصل اليك عسكر من خراسان فانفذه اليه لان القبائل قد تكاثرت عليه وانت يا ابن الام اخبرني كيف نجوتم من البلا وفزتم بالمنى فاخبره عنتر بالامر الذي جرى وكيف عبلة قتلت اردشير وما تم لها من الحال والتدبير وما اتفق لهم مع الملك قباد من الامور السداد وكيف عاهدوه على قتل ابيه وفرسانه وان يولوهُ في مكانه فتعجب من هذا وقال فاذًا انتم كلكم عتقاء عبلة ولكن من تكون انت هامها فلا بد ان يرفع مقامها

قال الراوي وقد دارت الفرسان كلها حول شيبوب وشكروهُ على مداركة الخطوب فاخذ يهنيهم ويشجعهم ويقويهم وساروا وهم يقصون عليه الاخبار بما لاقوا من الامور الكبار وما زالوا في الحديث والشكوى ما راوا من المصايب والبلوى حتى دخلوا الحجاز وانسعوا في تلك الروابي والمفاز فقال عنترة ما في الامر الا انا نسير النسا مع شيبوب وبعض الفرسان الابطال ونتركهم ان ياخذوا بهم في عرض البر والجبال ويسبقوا الى قومنا ويعلموهم بامرنا ويوصوا الملك قيس واخوة النعمان ودريد بن الصمة بان يكونوا على مزيد الهمة ومتى سمعوا صياحنا يحملون حملة صادقة ويبذلون في الفرس السيوف البارقة والرماح الخارقة ويصحون سيف القتال فتستقيم الاحوال وتقضي الاشغال فقال هاني وجماعة من الاصحاب هذا هو الصواب ثم سيروا الحريم مع مازن وميسرة وعروة بن الورد وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنة واوصوهم بما يفعلون واما هم فلعساكر كسرى اخذوا يطلبون

قال الراوي هذا ما جرى لهولاء واما عشايرهم واصحابهم ومن تقدم من اخوانهم واحبابهم فانهم قاتلوا الفرس بعدهم قتال الابطال وصبروا على البلاء والاهوال واظهروا الجلد وثبتوا ثبوت الجلمد وما زال كسرى مجدًّا في قتالهم ويامر جبابرة العجم والديلم في هلاكهم ووبالهم

حتى قدم عليهم النجاب الذي انفذه الى مكة واخبره بما تم على سريته من العذاب فلما سمع ذلك زاد به الغضب واحترق فؤاده والتهب وفي ليلته جمع ارباب دولته وشاورهم في مصالحة القبائل مع اطلاق نسائهم والرجال الذين كان قد انفذهم الى المدائن في الاعتقال وخاف ان يجري عليه مثلما جرى على اصحابه في الحرم وندم على مسيره غاية الندم فقال ارباب دولته في هذا السبب انك تخسر في صلح العرب واقسموا بالنار والنيران ولولا العرب البر والفدفد لا يبقون من الفرس احد لانهم يطمعون في الدولة الكسروية ونسطو عليها فرسان الجاهلية والصواب انك تفتح عند الصباح خزاين الاموال وتخلع على مقدمي العساكر والابطال وتسعى باهلاك هذه الطائفة الجبارة والامة الغدارة وتظهر انت بعد ذلك فيهم العدل وتوليهم الاحسان والا يكرهك اهل خراسان ويطمع بدولتنا بطارقة الروم وعباد الصلبان فقال كسرى هذا ما خطر لي وعليه الاعتماد وانما خفت ان يأول امرنا الى النفاد اذا كان دعا الاعداء علينا مستجاب فيحل بنا ما حل قبلاً باصحابنا من العذاب فقال الموبذان وهو الوزير الاكبر والقطب الموقر لاتخف ايها الملك العظيم من ارجاع القديم فلا يستجاب الدعا في كل الاوقات ولا يجرى في الكون الا ما قدره رب الارض والسماوات وربما ذهب اصحابنا فريسة الوبال لسوء الحال لا لدعاء الاوغاد والانذال ولربما ساروا في يوم مذموم وان مشئوم او نزلوا بارض قد غضب الله عليها وانزل البلاء فيها او يكون ذو الخمار قد جار على النساء الاحرار فقابله على فعاله خالق الليل والنهار او تكون النار قد قل من اصحابنا قربان ويقلبهم الى اسمى مكان فاصبر انت على القضا ولا تبال بالعدى لاننا اكثر عدداً واوفى مدداً فسلم الامر لصاحب التدبير ولا تخش التقادير فما يرد القدر حذر وليس للعبد من احكام السما مفر فلما سمع كسرى هذا المقال خامره الخوف والبلبال واخذ بالافتكار الى ان طلع النهار فامر بفتح الخزائن والاموال واخرج الخلع الغوال ونادى المنادي في طوائف الفرس واخبروا المقدمين بما جرى فتحمست لدولة كسرى وهانت عندها نفوسها وغاصت في زردها وملبوسها وركبت جنائبها وتعدلت مواكبها وهزت حرابها وهب هبابها وفي دون ساعة تبدل الضيا واهتزت الربى وهاج البر وانقلب وبرقت الامصار ولمعت الاقطار وثار الغبار وركبت قبائل العرب وهزت رماحها وجردت صفاحها فالتقى الجيشان وطاب الموت وهان فرمت الفرس بالنبال فاذاقت العدو مر الوبال وطعنت بالصدور وضربت النحور وارتفع الصياح فادهش العقول الصحاح فكان ضجيج ولغات مختلفات واصوات ملات الفلوات فساعدتها مواقع الصوارم المرهفات وهبوب الرياح العاصفات فاقلعت الروابي

العاليات والجبال الشامخات وطارت الجماجم بمضارب المشرفيات وكان على القوم يوم بطل فيه العتاب من عظم الرزايا وهول البلايا على ان الفرس تاخرت في اخر النهار فعظمت النور والنار وتقدم كسرى وعلى راسه التنين والازدهارات فلما راته الفرس جادت بالقتال فالقت ما بيدها من الحراب والنبال وضربت بالعمد الثقال وسقطت العرب في ذلك النهار وآلت الى الدمار ولولا الملك قيس ودريد بن الصمة وبعض القبائل لما سلم منهم فارس ولا راجل لان الفرس فعلت ما لا يفعله احد وقد تسلحت بالصبر والجلد فان الجبان اذا ابصر الموت قاتل واستقتل وان الشجاع البطل يتساوى عنده السهل والجبل وما ارخى الليل استاره وسلم احد من العرب فهذا مجروح وهذا على الارض مطروح وهذا من شدة التعب والوصب بلا روح واكثرهم قتلت خيولهم وتكسرت نصولهم وتمنوا اقبال الليل عساهم ينجون من البلا والويل ولكن حين انسدلت اذيال الغياهب دارت بهم الفرس من كل جانب فبادرت فرسان العرب الى دريد بن الصمة واخوة النعمان وطلبوا المشورة لينجوا من الهلاك والقلعان فقال دريد يا بني الكرام لا بد من شراب كاس الحمام فراعوا انفسكم الى الصباح ويبعوا الارواح بيع السماح لان الطرق في وجوهكم قد سدت وطمعت الفرس واستبدت فموتوا موت السادات الكرام ولا تفعلوا فعل اللئام فللابطال عادات لا تنبذوها وكنوز للفخر فاكنزوها . قال فلما سمعت فرسان العرب ذلك هاست عليهم المهالك وباتت تتاهب للقتال وتتوق الى النزال واما كسرى فانه ايقن ببلوغ الامال وبات ينفذ للمقدمين الحلل والاموال ويقول اصحوا في غد على ما نصحتم امس في القتال فقد طلب اعداوكم الهرب وذلت فرسان العرب فقال الجميع وحق النور والنيران لا نبقين احدًا من العربان فلا بد لنا ان نفنيهم جميعًا بهذا المكان فلا يعصى انذال العرب لمولانا امرًا بل يكون له ولنا مقام وشان

قال الاصمعي وما زالوا على ذلك حتى طلع الصباح واضاء بنوره ولاح فاخذ العرب اذ ذاك يطلبون الحرب بالصارم المنتضى فقضوا يومًا اشد من اليوم الذي مضى وما زالت ابطالهم تدافع عن نفوسها وتمانع وتتعلق باذيال المطامع حتى قتلت خيولها وتكسرت نصولها وكثر عدد القتلى ووفرت الجرحى وليس من يحصى الاسرى ولكن لم يوسر الا من اعياه القتال وضاق به المجال

قال الراوي ولما ضاقت بهم الاحوال وازدادت الاهوال صاح اكثرهم الامان والقوا السلاح في الميدان وكان ذلك عند الصباح فطمعت الفرس وطاب الراح فبادرت لنهب الاسلاب وضرب الرقاب والقوا ما كان بايديهم من الحراب وايقنت العرب بالهلاك وليس

هنالك خلاص ولا فكاك فرجعت الى العدد واظهرت ما تبقى فيها من الجلد وقاتلت حتى انتصف النهار واجتمعت الى واحد وكادت تلج الى القفار واذا بصياح قد ملا البطاح وارتفع من وراء عسكر العجم وقد مال عن كسرى الازدهار والعلم ونادى المنادي ابشروا ياسادات العرب بالفرج والامان فقد قتل صاحب الايوان فرجعت عساكر الفرس على اعقابها طالبة الاعلام الكسروية والبيارق الخراسانية فراوا هناك طعنًا يقرب الاجال وابطالاً اقوى من الجبال وابصرت ملكها كسرى ممدودًا على التراب وقد تخلت عنهُ المرازبة والحجاب فولت على الاعقاب وتفرقت في الاودية والشعاب وبلغت فرسان العرب غاية الارب وذهب عنها ما كان من العطب فطلبت مواكب الاعجام وقد رفعت اصواتها وحييت ارواحها من بعد مماتها وتاقت ان تعرف من اين اتاها الفرج من الكروب وكيف زالت الخطوب فمالت الى ناحية الصياح فرات لمعان الرماح وسمعت عنترة بن شداد وهاني بن مسعود يهمهمان همهمة الاسود ورات الابطال الذين معهما يطعنون في الفرس طعنًا يفتت الجلمود ويشيب المولود

قال الراوي وكان الذي قتل كسرى هاني بن مسعود لان عنترة حين انفذ اخاه شيبوب مع الحريم وسار مع الرجال الذين ذكرهم تقدم وطلب عساكر العجم فاقبل عليها وانزل البلا فيها وكان النمر بالصياح قد انقلب وعساكر الفرس قد طلبت العرب وتسابقت الى الاموال والسلب ونظر كسرى واقفًا تحت الاعلام وحوله موكب من الحجاب والخدام فقال لاصحابهِ وحق الاله القديم وزمزم والحطيم لولا وصولنا في اخر النهار لما تمنى لقومنا اثار فسيروا بنا الى اعلام كسرى حتى اذا قتلناه تبددت الجحافل وانفرجت القبائل ثم وثبوا وهم في زي العجم حتى اذا قاربوا الازدهار والعلم فقتلوا ثلاثة من الحجاب اسرع من لمع السحاب وصاح هاني في كسرى صيحة ارعبتهُ وطعنهُ طعنة اقلبتهُ نعاين اصحابهُ ما جرى عليهِ فضجوا الى النار ذات اللهب وطلبوا الهرب وولت فرسان الاعجام واخذت بالانهزام والقت الرايات والاعلام فوثبت عليهم فرسان البيت الحرام فطعنوهم طعنًا امر من القضا وضربًا اعظم من نار الغضا وكانت الفرس قد علمت ما حل بكسرى فهجت في الاقطار وطلبت الامصار فتاثرتهم العرب وقد عادوا يطلبون بعضهم البعض وملأوا بالقتلى جنبات الارض حتى اذا اجتمع شملهم تعانقوا معانقة الاحباب وقد راق العيش وطاب فشكا الملك قيس وبكى فقال عنترة لا تشك ايها الملك ولا تحسر فلا تدوم الدنيا لبشر وما كانت لتصفو من الكدر ثم شرح لهُ ما لقيهُ بالمدائن من النوائب وما ذاق من الذل والمصائب وذكر عنترة

كيف قتل الفيل وكيف قتلت عبلة ازدشير وكيف ضمن لقباد قتل ابيه حتى اطلقهم فسلموا من الهلاك والتدمير ثم سال عنترة عن شيبوب والنسا فقالوا لم يصل الينا احد ممن ذكرت وعنهم خبرت فصاح عنترة واحرباه لقد تبدلت افراحنا بالاتراح وتعكر انسنا بالنواح وقد خاف على عبلة بل على الحريم بالجملة وضاق صدر دريد فقال اين فارقتم النسا ومن خلفتم عليهن حارسا قال عنترة فارقناهم وقد دسنا ارض الحجاز وانفذت معهم ولدي ميسرة واخي مازن وعروة بن الورد وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنة واوصيتهن بهذه الفرسان المشهورة والابطال المذكورة وقلت اذا وصلتم الى الشيخ دريد والملك قيس والسادات والاصحاب فبشروهم بخلاصنا من الاسر والمصاب واذا سمعتم الصياح حول الاعلام اظهروا الجلد لعلنا نفرق جيوش العدا

قال فلما سمع دريد ذلك تعجب من تقلبات الاوقات وغدرات الزمان وقال والله ما دبرتم الا تدبير الفرسان ولكن لم يكن في الحساب قطع العنان فعند الصباح يركب كل فريق منا ويسير في طريق ولا نرجع الا بهم ونغم العدو ونفرح الصديق ولو كان في خيلنا رمق لكنا سرنا تحت جنح الغسق ولكن انتم تعلمون ما لاقينا في هذا اليوم نحن والخيل من التعب والويل ثم انهم اكلوا شيئًا من الزاد وانطرحوا مثل السكارى وغاصوا في بحر الرقاد لانه مرت عليهم ليال لم يذوقوا المنام من مداومة الحرب والقتال الا عنترة فانه بقي ساهرًا قلق الفواد حتى انجابت غياهب الظلام وخلع الليل حلل القتام فتواثبت الفرسان الى ظهور الخيل وعولوا ان يعرفوا الطرق واذا شيبوب مقبل مثل البرق وهو ينادي ياسادات العرب ادركوا حريمكم قبل ان يحول بينكم وبينهم البعاد ويتفرقن ما بين شعب وواد

قال فلما سمعت الابطال ذلك المقال تبادروا الى شيبوب على الخيل واندفقوا عليه مثل السيل وفي اوائلهم عنتر الاسد الغضنفر فلما قاربوه راوه مخضبًا بالدما وفي جسده جراحات كثيرة فقال له عنترة ويلك يا اخي اخبرنا ما حالكم فقد قطعت ظهورنا فقال شيبوب انك لما انفذت معي الحريم والنسوان وقلت لي اطلب اصحابنا واخبرهم بخلاصنا من الاسر والهوان سرت كما امرتني وخضت البر خوفًا من عساكر كسرى ولم ازل اجد السير يومين وفي اليوم الثالث اعترضنا في قاع الصحراء سبعون فارسًا من اهل اليمن وفي اوائلهم فارس اسود اشد من الصخر الجلمد ولما راوا الفرسان والنسوان بزي العجم مالوا الينا وهم يصيحون الى اين ياطناجير الديلم ثم ترجلوا عن الخيول وقالوا لنا اخلعوا ما عليكم من اللباس قبل ان تروا طعنًا يخمد الانفاس فقال ملاعب الاسنة لعامر بن الطفيل تقدم الى هذا الجاهل

المهين واصرفة ومن معهُ بالتي هي احسن كي لا يحوجنا الى قتاله فتعاق عن المسير بنزاله فهرول عامر الى ذلك العبد وصاح فيه ان يرتد وقال له خلِّ الطريق ولا تكن سبباً في التعوق ولا تطمع بهذه الخيل التي تراها لانها كلها من بني طي من اصحاب اياس بن قبيصة الحاكم على كل قبيلة وحي وقد كنا في عساكر كسرى ومعاونته على عرب الحجاز وابطالها ولما انكسرت العرب خلع كسرى على اصحابنا واعادهم الى ديارهم واطلالهم وان كنتم قد خرجتم في طلب المعاش فاطلبوا موضع الوقعة لعلكم تظفرون بشيء فتعودون به الى حريكم وتحمدون الله الرحمة فوالله ما اخي لما سمع كلام عامر اطبق عليه مثل البحر الزاخر وصاح فيه صيحة تعمي البصر وتفلق الحجر وقال له ويلك ما هذا القول أأترك ما وقع بيدي من هذه النعم والخيول وادور في طلب الفضول ثم طلب النسوان وهو يظن انهنّ فرسان فلما قاربهنّ اعترضه عروة بن الورد فحمل عليه وقد اقلب سنان رمحه الى وراه وطعنه بعقبه فرماه وعن ظهر الجواد القاه فلما عاين اخوك مازن فعله وثب اليه وطلب معهُ الجولان فانقض عليه انقضاض كواسر العقبان ورمى الرمح من يده وقبض على مناكبه وجذبه واقتلعه من ظهر الجواد واقام به فلما رأى والدك ميسرة فعاله اشتد غيظهُ وزاد همهُ وغمهُ ورنده كالغزال وابتدر بالقتال فاخذه العبد اسير وابصر عامر هذه الاهوال واحكام المقادير فقال لملاعب الاسنة وقعنا والله في امر كبير واعاقنا هولاء الشياطين عن المسير ثم ان عامرًا طلب العبد واخذ معهُ في القتال وكذلك ملاعب الاسنة ومن معهُ من الرجال وبقيت انا وحدي واقفًا احرس العيال وقد انتشر بين الجميع القتال فاظهر ذلك العبد الاهوال فوالله يا ابن الام لقد رأيت له هجمات تشبه هجماتك وطعنات كطعناتك وسمعت له دمدمة مثل الرعد في الغمام وزعقات تحير الخواطر والاوهام وهو ينادي يا آل غالب انا الليث المرهوب وابن الحروب وفارج الكروب انا المسمى بغضوب ثم عاد وخطف الرمح الذي رماه على الارض وحاذى في الحرب والتقاه مقلوبًا وطعن عامرًا بعقبه فانقلب وقد اشرف على الهلاك والعطب وصاح على احد اصحابه فترجل وشده كتافًا اسرع من لمح البصر وكان ملاعب الاسنة قد قتل من اصحابه خمسة فوارس وجرح اثني عشر فعاد غضوب اليه وكان قد علم بهلاك اصحابه فشق ذلك عليه وجد في طلب ملاعب الاسنة واخذ معهُ في الحرب فلما راه اصحابه ترجل معهُ طلوا الجواد الذي تحته بالرماح فقتلوه واخذوا ملاعب الاسنة اسيرًا وكتفوه وعاد الجميع نحونا وقد حدثتهم نفسهم بالنصر واخذوا المال والسلاب فلما رأت السادة ذلك ايقنَّ بالمصائب ومن شدة فزعهن ترجلن على الارض وطلبن الامان فلما سمع غضوب

اصواتهن علم انهن نسوان فصاح من شدة الفرح وقال لاصحابه دونكم وهذا السبي فهذه الطائفة كلها نسوان وحرم واقول ان الذين كانوا قد سبوهن من بلاد العجم او ان لهن قصة عجيبة سوف نطلع عليها وتظهر لنا فسوقوا انتم الجميع وابشروا بالنصر الرفيع ثم انهم داروا بنا من كل جانب وحين ابصرت انا هذه المصائب ابعدت في البر وكان الليل قد ارخى ستوره بالظلام فصرت ارميهم بالسهام واطلب خيولهم بالنبال حتى رميت منهم خمسة ابطال ولما ابصر غصوب فعالي ترجل ونزع عنه الحديد واخذ قوساً وكنانة من بعض العبيد وجد في طلبي اشد من الجواد العربي وصار يرميني من باع طويل وساعد نبيل وانا صابر له حتى جرحني هذه الجراحات فاشرفت منها على الهلاك والممات ونجوت في هذه الفلوات وقد علمت ان لم يبق للنساء خلاص من قبضة العبد . وها قد اتيت في هذه الحالة فاطلبوا خلاص الحريم ودعوا الاطالة

قال الراوي فلما سمعت الابطال هذا المقال خافت على العيال وتعجبت من العبد الذي فعل هذه الفعال فقال عنترة ويلك يا شيبوب عد بنا الى هذا العبد المسمى غصوب حتى اخضب دمه بسنان الكعوب فقال هاني يا ابا الفوارس أتنقض العهد الذي بيننا وبين عباد وتسن اقبح السنن في العباد ونسير على هذه الحال خلف عبد من العبيد الانذال فقال عنترة اذاً كيف العمل يا هاني وما يكون التدبير في هذه المعاني فقال هاني انت تعلم ان قباد اطلق سراحنا ومن علينا بنسائنا وارواحنا ورد علينا سيوفنا ورماحنا حتى نجلسه مكان ابيه ونشيد اركان دولته ونرد العرب والعجم الى طاعته والان قد قتلنا اباه وكسرنا عسكره والصواب اننا نتبع اثار المنهزمين لارض العراق ونجد في قطع الفلاه ونبصر ما جرى لقباد وان كانت جيوش الفرس ترضاه ولا نبارحه حتى تطيعه عساكر خراسان وتسجد له ملوك البلاد قدام الايوان ونرد الملك الى اخوة النعمان ثم نرجع الى الاوطان ونكون قد وفينا العهود والايمان ولا نعير بفسخ الذمام بين العربان قال عنترة وكيف ذلك أنترك حريمنا في بلاد الاعداء تقاسي المهالك فوالله انا هذا الامر لا ارضى فيه ابدا ولو سقيت كاس الردى ولا اترك عبلة مع هولاء العبيد اللئام ولو عيرت بفسخ الذمام لاسيما ولدي واخي وعروة وملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل قد وقعوا في الاسر والعذاب والويل ولو لم يكن هذا العبد جباراً عنيداً لما اسر مثل هولاء الصناديد فقال هاني ولاجل هذا البطل اشرت عليك بالمسير الى ارض العراق خلف العساكر في الاول فقال عنترة انا اسير اليه وحدي واطلبه بلا رفاق وسيروا انتم كلكم خلف عساكر العراق ثم اخذ معه مائة فارس من بني عبس

السادات ومنهم جماعة من رجال النساء المسبيات وطائفة من بني عامر خوفاً على ملاعب الاسنة وعامر وعاد بهم شيبوب يعدو قدام الخيل فساروا ذلك النهار وطول الليل والفرسان تغير الجنائب وتخب خب الفرسان الهارب فطلبوا من شيبوب الراحة فما قبل بل طلب اليهم ان يسيروا دون مهل لكي يدركوا الاعداء على عجل فجدوا المسير في ذلك اليوم الى ان اشرفوا على القوم فعاينت عرب اليمن الغبار مثل الليل فقالت والله يا غصوب لقد ادركتنا الخيل فقال لهم ابشروا يابني الاعمام بالنصر وبلوغ المرام فان كانت هذه العساكر الف فارس فانا اردها بالسيف والسنان فاحتفظوا انتم على من معكم من النسوان ولا يتبعني منكم الا اليسير حتى اريكم ما افعل بهذا الجيش الكثير ثم عاد عودة الليث الغضنفر وصاح بصوت يفلق الحجر وتلقى بوادر الخيل بطعن يسبق النظر وفي دون ساعة رمى ثلاثة فوارس من بني عامر واورثهم المهالك وابصر عنترة فعالة فهاله ذلك وطلبه ومد اليه السنان واختلف بينهما الضرب والطعان ودام الحرب بينهم تحت القتام وعرف كل واحد منهم خصمه لما راى طعانه وكان الليل منهم قد دنا وطلبا الانجاز وبلوغ المنى فرميا من ايديهما الرماح واستلا النصال التي هي اقرب الى دنو الاجال وتلاطما بالصوارم الرقاق فاظلم البر في عيون الاثنين وضاق حتى ايقنت الارواح بالفراق وقامت الحرب بينهما على قدم وساق الى ان ارخى الدجى اذياله على الافاق

قال الراوي وكان الجيش الذي وصل مع عنترة قد اشتغل بغير هذا الامر لان بعضهم طلبوا قتال اصحاب غصوب والبعض الاخر طلب الاسارى من الاسر والذي كان له اقارب او نسوان بادر اليها واجتمع باحبابه والخلان ولما انقضت هذه الاشغال وتخلصت الاسارى من الاعتقال عادوا الى عنتر فوجدوه يحاول خصمه بالصارم الذكر فصاحوا كلهم على غصوب وطلبوه لما في قلوبهم منه من الكروب ولما ابصر ان القوم جدوا في طلبه ابقن بهلاكه وعطبه ثم صار يدافع عن نفسه ويمانع وقد اندهل من السيوف اللوامع ثم انه اوسع في البر ونجا بنفسه من الشر قال فعند ذلك ذهل عنترة واخذته على غصوب الشفقة ودمعت عيناه لانه عجب من فروسيته وحنت عليه جوارحه وقال والله ان هذا الغلام لا يستحق القتل لانه غريب ووحيد قليل المعين والناصر وقد طلبته الفرسان بالرماح والسيوف البواتر والصواب انني ابارزه واخذه اسيراً قبل الهلاك والتدمير ثم اساله عن احواله وان كان يستحق الاطلاق اطلقه والا شفيت قلوب اصحابي بقتله ثم ان عنترة جد في الجواد تحت الظلام واقتحم الغبار والقتام فرأى عسكره قد افترق في سائر الطرقات وسار كل

فريق منهم في طريق فزاد تعجب عنتر ووقف يسال عن الخبر قال وكان سبب تفريق الجيش غصوب لانهُ حين راى الخيل قد دنت منهُ ودارت بهِ من كل جانب ايقن انهُ مغلوب وعاين الفرسان قد دارت حواليه باطراف الرماح فدافع عن نفسهِ ومانع حتى اثخن بالجراح وبعد ذلك حمل على الفرقة التي سدت دونهُ الطريق وضرب سيفهُ ابطالها بالحسام حتى تفرقت بين يديه اي تفريق وصاح بالجواد وكان اسمهُ سابق فنجا بهِ بالظلام الغاسق ولما رات الاقوام عظيم فعلهِ وانهُ نجا بنفسهِ قرعت من الندم اسنانها وطلبتهُ في ظلام الليل ابطالها وفرسانها وافترقت سبع فرق كل فرقة في طريق فلما نظر عنترة الى احوالهم قلق قلقًا عظيماً ولما وصل الى عبلة هناها بالسلامة ونوال المنى والنصر على الاعداء وزوال العنا وكذلك هنا كل من معها من النساء فقال شيبوب ماذا كان منك ومن خصمك حين امسى المساء أما قتلتهُ فقال عنترة لا والله يا شيبوب ولا وصلت اليه بل رايت منهُ ما لم أرهُ من غيره وما زلت معهُ في القتال حتى كثر عليهِ الجمع فايقن بالهلاك والوبال فاطلق عنان جواده ولما رات الفرسان فعالهُ جدت في طلبهِ خائضة كل بر وسبسب اما انا فزال عني الحقد والغضب لاني رايتهُ فريداً وحيداً قليل الناصر وقد طلب العلى ولا يذل نفسهُ لاجل المفاخر فرحمتهُ وعدلت عن طلبهِ ولو اني ادركتهُ وقدرت ان ارميه لكنت منعت نفسي ومنعت الخيل عن ان تدنو اليهِ واما والله الى الان قلبي متعلق بهِ واشتهي ان يقع مرة اخرى نظري عليهِ ثم لبثوا على ذلك الى ان انقضى بعض الليل وقد رجعت الخيل فسالهم عنترة عن غصوب فما منهم من قال انا رايتهُ ولا وقفت لهُ على خبر ولا على اثر ففرح عنترة واستبشر وقال والله ان نجاتهُ من العطب انما هي غاية في العجب على ان اجل الرجل اذا كان غير حاضر عميت عنهُ النواظر فقال عامر بن الطفيل لقد صدقت وذمة العرب ولكن وان نجا لا يسلم من العطب لانهُ مثخن بالكلوم ولولا عزة نفسهِ ونجابتهِ وشجاعتهِ لما ثبت على ظهر الجواد وهو في ذلك الحال المشئوم

قال الراوي ثم باتوا تلك الليلة في ذلك المكان وعند الصباح رحلوا طالبين البيت الحرام لاجل زيارة الالهة والاصنام هذا ما كان من هولاء واما ما كان من فرسان العرب والقبائل الذين رحلوا طالبين المدائن فانهم ما زالوا سائرين الى ان قاربوا المدائن وتلك الافاق فقسمهم دريد قسماً ومواكب وكتائب ورفعت على رؤوسها الاعلام ملوك الاعارب تتقدمها الفرسان الاطائب واشهرت الصفائح حتى اشرفت كالبحر الطافح وما زالت الى ان وصلت الى المدائن واقبلت على تلك الاطلال والاماكن ثم علا بينهم الصياح واشتهوا ان يعرفوا ما تم لقباد عند تسليم البلد هل اطاعهُ

الكتاب الثامن والسبعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

عساكر ابيهِ ام خالفت مقالتهُ وما يشتهيهِ فبينما هو كذلك واذا بالبوقات ضربت وبعد ساعة خمدت لانها لما رجعت عساكر الدولة الكسروية خائبة خاسرة اختلفوا فيمن يولونهُ على ملك الاكاسرة فقال لهم اياس بن قبيصة دونكم وقباد اقتلوهُ واقتلوا كل من معهُ من الغلمان وسلموا الملك الى اخيهِ انوشروان لان هذا مخامر علينا واطلق شياطين الحجاز وسيرهم الينا ثم ان اياسًا زحف نحو القصر بعرب بلاد اليمن وساعدهُ على ذلك أكابر العجم وابطال الديلم واما اهل العقل والمعرفة فارادوا ان تكون الدولة لقباد فوقع الخلف بينهم وانتشب القتال والحرب والنزال فلما نظر قباد الى تلك الحال قبض على اخيهِ انوشروان واغلق باب القصر واجلس اخاه بين النسوان ودام القتال يومًا وليلة بين عرب بني طي وبين عساكر خراسان وفي اليوم الثاني اشرفت قبائل العربان كما رتبها دريد بخبرتهِ فلما نظر قباد الى قبايل العرب واصلة وهي وراء بعضها متتابعة ففي الحال دقت كوساتهُ ونعرت بوقاتهُ وركب من وقتهِ وساعتهِ في حجابهِ واكابر دولتهِ وخرج من باب السر في حاشية الى ملاقاة الشيخ دريد ورفقتهِ وعلم انهُ قد ارسلهم عنترة الى نصرتهِ ولما اقترب من العرب عرفوهُ فترجل منهم كل راكب وتقدمت اليهِ سادات المواكب وسلموا عليهِ بعد ان بالغوا في الكرامة اليهِ وسالوهُ عن حالتهِ فشرح لهم تمام قصتهِ واخبرهم ان عرب بني طي واياس بن قبيصة نبذ واطاعتهُ فوعدوهُ بالنصر وطيبوا قلبهُ ومهجتهُ فقام في ساعة الحال وخلع على الفرسان منهم والرجال وتقدم الملك الاسود اليهِ وقبل الارض بين يديهِ وقدم لهُ فرس ابيهِ واركبهُ عليهِ وكان يوم قتلة ابيهِ قد اخذه من تحتهِ فقدمهُ ذلك اليوم الى قباد فركبهُ ونشر على راسهِ علمهُ وقصد بني طي والديلم وكان اياس مع فرسان العجم فلما راى اولئك الفرسان نظر البلا وقد نزل عليهِ من كل مكان نادى الامان الامان وكذلك صاحت عساكر خراسان واطاعوا كلهم لقباد ومشت قدامهُ الامراء والحجاب واقبل الامير هاني والملك الاسود وسائر رفقائهم والاصحاب والاكابر كلها في ركابهِ والكوسات تدق على راسهِ والبلد بالصياح انقلب ولما كان عند الصباح نادى المنادي من قبل قباد بازالة الظلم عن العباد وفتح خزائن المال وفرقها على المقدمين والابطال وقضى حقوق ذوي المناصب والرواتب واخرج الخلع الحسان الى قبائل العرب وقدم لهم من الطعام ما غمر بهِ الخاص والعام واقاموا ثلاثة ايام وطلبوا

العودة الى بيت الله الحرام وذلك بعد ما حدثوا قباد بحديث عنترة الاسد الريبال ومسيره خلف الحريم والعيال فعند ذلك اذن بالارتحال بعد ان حلفهم ان يكونوا لدولته من الانصار ولاعدائه قهار فقالوا ايها الملك نحن لك من الطائعين ما دام اخوة النعمان علينا وعلى العرب حاكمين ومتى عزلتهم لا تطمع منا بالطاعة فرضي بذلك هو ومن عنده من الجماعة وفي ذلك الوقت والساعة عاد الملك الاسود الى حكم العربان كما كان اخوه الملك النعمان ورحل دريد والعربان طالبين البيت الحرام وساروا يقطعون البراري والاكام

قال الراوي وكان شهر رجب قد اقترب وهو الشهر الذي كانت تحج فيه العرب وتقصد البيت الحرام وتسجد للالهة والاصنام وعند وصول القبائل الى تلك الاطلال والمنازل وجدوا عنترة قد سبقهم الى هنالك في جماعة من فرسان المعارك فسلموا على بعضهم البعض ونزلوا في جوانب تلك الارض وكانوا يصرفون اوقاتهم بشرب العقار ومناشدة الاشعار ويطوفون حول البيت مع الحجاج والزوار ويقراون القصائد المعلقة ويسمعون ما فيها من الفصاحة الرائقة والمعاني البديعة الفائقة ثم يؤمون لها بالسجود دون الملك المعبود وكان عنترة يفعل مثلهم ويعود وقلبه يحدثه بامر عظيم وفعل جسيم لا يناله احد من الرجال الا من خدمته السعادة والاقبال وقد اشتهى ان تكون له قصيدة من جملة الاشعار ليتباهى بها على اهل البلاغة والافتخار وكان كلما عول على ذلك الشان يمنعه الحياء من الابطال والفرسان وسادات العصر وعظماء الزمان

قال محمد بن هشام واتفق في بعض الايام ان الملك قيساً صنع وليمة عظيمة لها قدر وقيمة واستدعى اليها السادات والابطال والقادات ونحر فيها النوق والفصلان والماعز والضان ولما نظر الربيع فعله فعل مثله لانه كان يبغضه ويتمنى له الموت الاحمر لاجل حبه لعنتر وكان عروة بن الورد من جملة المدعوين وكثيرون من الفرسان والمقدمين فلما حضروا الى ذلك المقام اكرمهم الربيع غاية الاكرام واكثر لهم من الطعام والمدام واجلس عروة الى جانبه دون اهله واقاربه وسقاه من صافي الشراب وآنسه موانسة الاحباب فبينما هم في غاية الفرح والسرور والاقداح عليهم تدور تذكر عروة الامير عنتر فارس البدو والحضر فانشد شعراً من شعره المفتخر واخذ يذكر لمن حضر من سادات ربيعة ومضر ما شاهد من وقائعه المشهورة وغاراته المذكورة وما فعل في قتال الفرس من العجائب وما لاقى من الاهوال والنوائب التي تعجز عنها فراعنة الرجال وتشيب من هولها الاطفال

قال سعيد بن مالك وما زال كذلك حتى اغتاظ عمارة وذاب واختنق باقداح الشراب

ولكنهُ من شدة الحياء والخجل من سادات القبائل وفرسان الحلل اخفى ما عنده من الكمد
واظهر الصبر والجلد وقال والله ياسادات العرب واهل المناصب والرتب ما ذكر عروة
عنترة الا ببعض ما فيهِ وان اكثر العرب لم تبلغ بعض مساعيهِ لانهُ عمامة بني عبس وتاجها
وليثها الكاسر اذا ثار عجاجها ولكن وذمة العرب الكرام ما بلغ منتهى العز والشرف بين
الانام الا اصحاب القصائد المعلقة على البيت الحرام لانهُ من جملة سعادتهم وافتخارهم لتسجد
الناس الى قصائدهم واشعارهم وهذه درجة رفيعة ما نالها غيرهم من فصحاء مضر وربيعة فلو
كان يصل اليها الامير عنتر لساد على اقرانهِ وافتخر ونال من الشرف الرفيع الحظ الاوفر
ووقعت هيبتهُ في قلوب جميع البشر فلما انتهى عمارة من كلامهِ اغتاظ عروة والقى من يده
كاس مدامهِ والتفت الى عمارة وقال وحق الاله المتعال ان عنترة قادر على هذا الامر وهو
اسهل عليهِ من شرب كاس الخمر ولو اراد ذلك الشان لفعلهُ اي وقت كان وطاوعتهُ عليهِ
قبائل العربان فاشتد بالربيع الغيظ والحنق والتهب فوءاده واحترق وقال لهُ بالله عليك
يا ابا الابيض دع عنك كلام عمارة ولا تسمعهُ ولا تذكره لعنترة اذا اجتمعت معهُ لانهُ يورث
القلاقل والحروب وحدثنا عن عنترة بشيء ترتاح اليهِ القلوب لانهُ عندنا في هذه الايام
بمنزلة قيس الملك الهمام . واعلم يا ابن الكرام ان الحديث والكلام اذا تداولتهُ الرجال على المدام
يطوى ولا ينشر وينسى ولا يذكر ثم انهُ التفت الى اخيهِ عمارة بين الرجال وشتمهُ بالمقال
وقال لهُ ويلك مثلك من يذكر عنترة بالعجز والاذلال في مجالس السادات والابطال فوحق
ذمة العرب وشهر رجب لو اراد عنترة هذه المنزلة لنالها وبلغ نفسهُ غاية امالها لانهُ فارس
الزمان وقاهر الابطال والفرسان

قال الراوي وكان هذا الحديث من الربيع الخبيث تحريضًا لعروة صاحب المروءة
والنخوة كي يحدث عنترة بذلك الشان ويحثهُ على تعليق القصيدة على الركن اليمان حتى
تضرب رقبته وتسلب مهجته

قال مجد بن هشام فلما سمع الحاضرون من الربيع ذلك الكلام مالوا اليهِ وما منهم الا
من وبخ عمارة وعتب عليهِ هذا وعروة يقول في نفسهِ وحق رب الانام لاحوجن عنترة ان
يعلق لهُ قصيدة على البيت الحرام حتى تسجد العرب لشعره في كل عام

قال الناقل ولما راجت وليمة بني زياد وتفرقت الرجال الاجواد عاد عروة الى الخيام
وفي قلبه من ذلك الكلام نار الاضطرام ودخل على عنترة بغير استئذان فوجده جالسًا
في صدر الايوان فسلم عليهِ وجلس بين يديه وحدثهُ بواقعة الحال وما دار بينهُ وبين

القوم من المقال

قال لجد بن هشام فلما سمع عنترة منه ذلك الكلام استشاط غضباً واضطرم فؤاده لهباً وقال له وحق رب الممالك انني قد كنت شرعت في ذلك وعولت على تعليق القصيد لانال ما اشتهي واريد غير اني بانتظار العرب الكرام ومجيئها الى البيت الحرام وما دام الامر على هذا الحال فاني اقسم بالاله المتعال اني لا اضاجع عبلة في ليل او نهار حتى ابلغ مـا احب واختار واترك هذه المعلقات سبعا وبسجد لها كل من زار هذه البقعه ثم انه استدعى باسيد بن جذيمة صاحب الاخلاق الكريمة وهو الذي كان يكتب شعر عنترة ويرويه عنه ان غاب او حضر وقال له اريد منك ايها الامير والسيد الخطير ان تعرض على الشعر الذي رويته عني وتقرأه علي كما سمعته مني فقال له اسيد وقد تعجب ولم يعلم ما السبب هل اعترضك احد في شعرك او عابك في نظمك ونثرك فعند ذلك حدثه بحديث عمارة بن زياد وما تكلم به بين الفرسان الاجواد وقال له اني اقسمت يمينا برب العباد اني لا اضاجع عبلة بنت مالك بن قراد حتى انال غاية القصد والمراد واعلق لي قصيدة على البيت الحرام تسجد لها العرب في كل عام فلما سمع اسيد منه ذلك الكلام قال له ايها البطل الهمام والاسد الضرغام هذا امر عظيم لا تقدر عليه ملوك الاقاليم اتريد ان تعادي قبائل العرب من بعد منها ومن اقترب فقال عنترة وحق رب الممالك لابد لي من ذلك فلا تعذلني على هذا الامر والشان لان هذا الخاطر قد خطر لي منذ زمان ثم ان الامير اسيدًا انفذ الى مضربه بعض العبيد فاتاه بمختارات عنتر وكانت تنوف على خمسمائة قصيدة من الشعر المفتخر وقال له ايها السيد الماجد اية قصيدة تختار من هذه القصائد فقال القصيدة التي تختارها عبلة وتفضلها على غيرها بالجملة فاخذ اسيد يقرا على عبلة قصائد عنترة وهي تتامل في معانيها حتى وصل الى القصيدة التي يقول فيها

هل غادر الشعراء من متردم	ام هل عرفت الدار بعد توهم
اعيـاك رسم الدار لم يتكلم	حتى تكلمك الاصمُّ الاعجمي
يادار عبلة بالجواء تكلمي	وعمي صباحًا دار عبلة واسلمي

فلما سمعت عبلة هذه القصيدة البديعة وما فيها من المعاني الدقيقة الرفيعة التي تعجز عن مثلها بلغاء الزمان وفصحاء قحطان ورأت ما فيها من التعرض بذكرها دون غيرها من الاشعار الحسان اختارتها وقالت هذه هي التي اريد تعليقها على الركن اليمان ولكن بشرط ان تامر عروة بن الورد ان يكتب سطورها بالذهب والفضة واللازورد فقال سمعًا وطاعة

واعطاها الى عروة وامره ان يكتبها من تلك الساعة لانه كان كاتم اسراره ومدون وقائعه واخباره فامتثل ما امر وفعل كما ذكر وكتبها بالفضة والذهب فجاءت من العجب العجب ثم خلّقها بالمسك والعنبر ولفها في ثوب من الديباج الاحمر واعطاها الى الامير عنتر فاخذها عنترة وقد شكره على ذلك وسلمها الى عبلة بنت مالك فاستحسنتها غاية الاستحسان وزالت عنها الهموم والاحزان وقالت للامير عروة خذها يا صاحب المروة والنخوة واحفظها عندك الى وقت التعليق واحترز عليها من الغبار والتمزيق فاخذها عروة وحفظها عنده لوقت الطلب واقام عنترة ينتظر قدوم شهر رجب واجتماع قبائل العرب قال وشاع هذا الخبر في بني عبس وعدنان فخافت من جموع بني قحطان ودخلت على الملك قيس وحدثته بالخبر وما عزم عليه الامير عنتر وحذروه من وقوع الفتن واتصال الخطوب والمحن فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام وفهم القصد والمرام صعب عليه وكبر لديه وقال وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر ما هذا الامر الا غاية الجهل والخطر ولا بد لي ان انهي عنترة الفرسان عن هذا الشان لانه يؤدي الى الهلاك والقلعان واثارة الفتن بين العربان فقال له اسيد لا تفعل ايها السيد المبجل لان عنترة لا يرتد عن هذا العمل فلا تكسر قلبه بالكلام ولا تثني عزمه عن ذلك المرام واني ارى من الواجب ان نعينه على بلوغ المآرب فان بلغ الامال كان شرفه عائداً الينا على كل حال ونثبت هيبتنا في قلوب صناديد الرجال

قال الراوي وكان دريد سمع بذلك الخبر فاجتمع بالامير عنترة وقوى قلبه على تعليق القصيدة وقال له افعل ما تشتهي وتريد ولا تتاخر عن ذلك الامر ولا تحيد لاني قد صممت النية مع من يلوذ بي من فرسان الجاهلية ان نعينك على هذا الطلب حتى تنال القصد والارب ومثل ذلك قال البطل الهمام والاسد الضرغام الامير بسطام ثم هاني بن مسعود وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنة وزيد الخيل وعمرو بن معدي كرب وحجار بن عامر وروضة بن منيع الاسد الكاسر وغيرهم من فرسان العشائر

قال مجد بن هشام وبعد ذلك بايام اقبلت العرب الى مكة من كل فج عميق وكانت تتواصل فريقاً بعد فريق حتى ازدحمت على بعضها القبائل وامتلات بها تلك الربى والمنازل ولما قضوا حجهم من البيت الحرام وفرغوا من تقبيل زمزم والمقام اجتمع عنترة بدريد بن الصمة صاحب العزيمة والهمة واستشاره فيما يفعل وكيف يكون العمل لبلوغ القصد والامل فقال له الراي عندي يا فارس البطاح ان تقصد عبد المطلب عند الصباح وتسلم عليه وتمثل بين يديه وتشرح له هذا الحديث والايراد وتطلب منه المساعدة والامداد لانه

حاكم الحكام والمتولي على البيت الحرام فاجابة الى ذلك المرام ولما كان الغد ركب عنترة في جميع ابطاله وفرسانه واقياله ومن يلوذ به من اهله ورجاله وقد لبسوا الدروع الثقال وهزوا في ايديهم الرماح الطوال وساروا بهمة ورضا حتى وصلوا الى دكة القضا فرأوا عبد المطلب جالساً في ذلك المكان ومن حوله السادات والاعيان فلما راهم اقبلوا اليه وقدموا عليه نهض لهم قائماً على الاقدام واظهر الضحك والابتسام واستقبلهم احسن استقبال واحتفل بهم غاية الاحتفال وقال لهم مالي اراكم على هذا الحال ايها السادات والابطال وانتم لابسون السلاح معتقلون بالة الحرب والكفاح فقال دريد ايها السيد الكريم وشيخ زمزم والحطيم ادام الله ايامك ونشر في الخافقين اعلامك انَّا اتيناك في امر قد تجدد وخبر قد تاكد فيه الشرف الرفيع وعلو الشان لبني عبس وعدنان الى انقضاء الزمان ونريد منك المساعدة والامداد لبلوغ القصد والمراد فقال عبد المطلب وقد انذهل وتحير وما هو يا ابا النظر حدثني به ولا تخفه واكشف لي معانيه فقال له اعلم ايها السيد الاعظم والشيخ المكرم ان شجاع بني عبس الادهم وطرازها المعلم واسدها الضيغم الذي طابت مآثره وكثرت مفاخره وساد على الاقران واشتهر ذكره في كل مكان فارس الحرب والجلاد الامير عنترة بن شداد مراده الان مماثلة شعراء الزمان وبلغاء قحطان ليبلغ ما بلغته سادات العرب واهل المعالي والرتب بان يعلق له قصيدة على البيت الحرام ليكون له الذكر الجميل بين الانام على مدى الاعصار والاعوام فينبغي ان تنظر اليه بعين العناية وتعاونه بالرفق والرعاية على بلوغ هذه الغاية فانهُ اهل لذلك وزيادة لاسيما وقد اصطفاه الله الارادة وخصهُ بالفروسية والسعادة

قال مجد بن هشام فلما سمع عبد المطلب من دريد ذلك الكلام تعجب غاية العجب وقد صعب عليه ذلك الطلب وقال له اعلم ايها السيد المنتخب والليث الاغلب ما هذا الا امر عظيم وخطب جسيم فيه تثور الفتن وتسفك دماء اهل الحجاز واليمن

فقال عنترة لابد لي من ذلك الامر ولا ابالي بزيد او عمرو واريد منك ايها الشيخ الكامل والسيد الفاضل ان تامر عبيدك الان ان تنادي في عشائر العربان وتعلمها بذلك الشان قبل رحيلها الى الاوطان وتامرها بالاجتماع الى هذا المكان حتى تشاهدني وتراني وتسمع فصاحة لساني ومن طلب منها عنادي وعصاني فانا ارده الى طاعتي بسيفي وسناني فقال عبد المطلب اذا كان لابد لك من ذلك يا فارس المعارك فانا ابذل غاية المجهود حتى ابلغك المقصود لاجل ما بيننا من المحبة والمودة القديمة والصحبة ولكن اصبر قليلاً حتى تنقضي هذه الايام التي قد بقيت من الشهر الحرام لئلا اسنُ سنةً قبيحة بين الانام ولا اترك لاحد علينا

عنّا ولا ملام فامتثل عنترة لكلامهِ وهانت عليهِ المنية عند بلوغ مرامهِ ولما قضت العرب حجها في ذلك المكان وعولت على الرحيل الى الديار والاوطان امر عبد المطلب العبيد والغلمان بان تنادي في قبائل العربان بالمهلة والمقام مدة ثلاثة ايام وتعلمهم بذلك المرام فامتثلوا ما حكم وفعلوا كما رسم وصاحوا على تلك الخلائق والامم وقالوا معاشر العرب والسادة الاشراف ان الشيخ عبد المطلب بن مناف يامركم بالحضور الى دكة القضا بلا اخلاف حتى ينشدكم قصيدة من غرر القصائد الحسان يعد كل بيت فيها بديوان وتسحب كل كلمة منها من البلاغة اذيال النسيان على سحبان وتعجز عن مثلها فصحاء قحطان منسوبة الى سيد من سادات بني عدنان وقد عول ان يعلقها على الركن اليمان حتى يسجد لها كل قاصٍ ودانٍ من السادات والفرسان على توالي الزمان فلما سمع العرب هذا المقال اعتراهم الانذهال واقاموا في تلك الاطلال بعد ما كانوا قد عولوا على الارتحال ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح ركب عنترة مع باقي الفرسان ومن يلوذ بهِ من الاصدقاء والخلان وطلب عبد المطلب وهو في عدد كثير وجمٍ غفير فرآه جالسًا في هيبة ووقار ووجهه يتلالا بالانوار فدارت العرب حواليهِ ونزل عنترة اليهِ وقبل يديهِ من بعد ما سلم عليهِ وجلس الى جانبه وجعل سيفه على ركبتيهِ ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى اقبلت قبائل العربان وملوك قحطان مثل الجمم بن حنظلة ويزيد بن عبد المدان وغيرهم من العظماء والسادات ومن جملتهم اصحاب المعلقات وهم امرء القيس بن حجر الكندي والاعشى الاسدي وعمرو بن كلثوم التغلبي وزهير بن ابي سلمى المازني وطرفة بن العبد البكري ولبيد بن ربيعة العامري

قال الراوي ولما ازدحمت الخلائق وكثر الوارد والطارق نهض عبد المطلب قائمًا على قدميهِ وصعد على منبره الذي يعظ الناس عليهِ واستفتح خطابه امام تلك الزمرة بكلمات ارق من نسيم السحر واندى من وابل المطر قائلاً الحمد لله الذي ابدع الموجودات وبسط الارض ورفع السموات واظهر لنا من بديع حكمتهِ ما دلنا على سموّ معرفتهِ العالم بخبايا الضمائر والصدور القادر على كل امرٍ مقدور العادل في حكمهِ واليهِ ترجع الامور فهو الواحد الاحد والفرد الصمد الذي اذل كل جبار عنيد وتصرف في ملكهِ كيفما يشاء ويريد احمده حمد من اعترف بنعمهِ واذكره شكر من وثق باحسانهِ وكرمهِ ثم انهُ قال في اخر الكلام معاشر العرب الكرام والملوك العظام احمدوا رب الانام رب زمزم والمقام الذي خصكم بالفصاحة والاقدام والثبات على ضرب الحسام والصدق في الذمام وجددوا اقوالكم القديمة البديعة وزينوها بدرر ومعانٍ نفيسة رفيعة تعجز عنها حكماء العجم وفصحاء الامم واصغوا اليها فترحموا ولا تخالفوا فتندموا

ولما انتهى من هذا الخطاب وعول على انشاد القصيدة امام سادات الاعراب ومن حضر من الاحلاف والاحزاب تصايحت السادات والفرسان والعظماء والاعيان عن فرد لسان اعلمنا ياسيد السادات بصاحب هذه الكلمات ومن يكون من سادات العرب اصحاب المناصب والرتب فقال لهم اعلموا ياوجوه العربان ان النسب لاينفع الجبان ولا يقيه من السيف وطعن السنان واعلموا ان العبودية لاتشين بصاحب المروّة والفروسية واما الذي نطق بهذه الابيات الحسان التي هي ابهج من نيل الامان واسحر للعقول من فترات مراض الاجفان فهو فصيح بني عبس وعدنان وقاهر الشجعان في ساحة الميدان صاحب الوقائع المشهورة والغارات المذكورة الذي افتخر وساد وشاع ذكره في جميع البلاد حية بطن الواد القادح النار من غير زناد ابو الفوارس الامير عنترة بن شداد

قال نجد بن هشام فلما سمعت العرب من عبد المطلب ذلك الكلام لطمت صدورها بايديها وقالت عن بكرة ابيها لا كرامة ياشيخ ربيعة ومضر لذلك العبد الاقشر الذي هو اذل واحقر من ان يذكر بين البشر فوحق ذمة العرب وشهر رجب ان علق عنترة شعره على البيت هدمناه ورمينا الهبل الاكبر وكسرناه ثم افترقت بنو قحطان عن بني عدنان واوسعت في البراري والقيعان فلما شاهد عنترة ما جرى وكان وما تكلمت به سادات العربان امتطى صهوة الحصان وطلب الحرب والطعان وتقدم هاني في بني شيبان وصاح دريد في بني هوازن وهمذان وزعق الملك قيس في بني عبس وعدنان وصاحت الموالي والعبيد وارتجت الاقطار من وقع الحديد هذا وعنترة قد برز الى بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى اولئك الاحزاب والاحلاف وقال ايها السادات الاشراف ان كنتم تطلبون العدل والانصاف فاتركوا الجور والاسراف ولا تلزمونا الى الحرب والقتال وسفك دماء الابطال لانه لابد لي من تعليق القصيدة فان كنتم تخالفون مقالي ولا تجيبوني الى سوالي فلتبرز لي ابطالكم المشهورة وفرسانكم المذكورة حتى اريهم قوة الحرب ومواقع الطعن والضرب والا فاقرّوا لي بالعجز المبين وخرّوا لشعري ساجدين وقد اقسمت بالاله المتعال الذي قدر الارزاق والاجال ان رحلتم من هذه الاطلال من غير انفصال على حال مزّقت قصائد فصحائكم لا محال ثم انه بعد هذا المقال صال وجال وترنح على سرجه ومال وانشد وقال

دعني اجدُّ الى العلياء في الطلبِ	وابلغ الغايةَ القصوى من الرتبِ
لعل عبلةَ تضحي وهي راضيـــةً	على سوادي وتمحو سورة الغضبِ
اذا راتْ سائر الساداتِ سايرةً	تزورُ شعري بركن البيتِ في رجبِ

ما تحمل قومي النظري فعلي ولا تسلي … عني الحسود الذي يبليك بالكذب
إذ اقبلت حدق الفرسان ترمقني … وكلّ مقدام حربٍ مال للهرب
فما تركتُ لهم وجهاً لمنهزمٍ … ولا طريقاً ينجيهم من العطب
فبادري وانظري طعناً اذا نظرت … عينُ الوليد اليه شاب وهو صبي
خلقتُ للحرب احميها اذا بردت … واصطلي نارها في شدة اللهب
بصارمٍ حيثما جردته سجدت … له جبابرة الاعجام والعرب
وقد طلبتُ من العلياء منزلةً … بصارمي لا بامي لا ولا بابي
فمن اجاب نجا مما يحاذرهُ … ومن ابى ذاق طعم الحرب والحرب

قال مجد بن هشام ثم انه بعد هذا الشعر والنظام جال في ساحة الميدان وطلب براز الابطال والفرسان فبرز اليه فارس من الصناديد يقال له مالك بن رشيد فلما قاربه ودانا صاح عليه وناداه وقال له ويلك يا ابن الاما اما كفاك ما اهرقت من الدما حتى تريد ان نشهد لهذيانك ونسمع شقشقة لسانك فلا بد لي في هذا النهار ان اخذ منك بالثار واكشف بقتلك العار واكسب الشرف والفخار فقال له عنترة قاتل ودع عنك الاطالة فما بقي لك بعد هذا اقالة ثم بادره بطعنة في صدره خرج الرمح يلمع من ظهره فوقع صريعاً يخبط عاقاً ونجيعاً فلما ابصرت الابطال تلك الحال اعتراها الانذهال وخرجت عن دائرة الاعتدال واقتحت لنفوسها وطلبت البراز حتى لا تعير بقلة الانصاف عند عرب الحجاز فبرز اليه ضرمة بن مالك وكان من اشد فرسان المعارك وقال له ويلك يا اسود يا حجام لقد اكثرت الكلام واطلت المقال فدونك وضرب الحسام فلما سمع عنترة كلامه وراى الشجاعة تلوح امامه علم انه فارس شديد وبطل صنديد فقال له يا قليل الادب من تكون من فرسان العرب. قال انا ضرمة بن مالك القيني. وقد برزت اليك لاستوفي منك ديني ونفر بقتلك عيني فقال له خابت آمالك وساء ظنك ومقالك وسعت بك رجلاك الى طريق الهلاك ثم ان عنترة حمل عليه ولاصقه واكربه وضايقه وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره ثم صال وجال وطلب براز الابطال وانشد وقال

لا تشتكي يا حسامي من بدي عطشا … اليوم تروى اذا ظل الغبار غشا
ويا سنان قناتي لا تصاحبني … الا وتخرق في الاعدا كلي وحشى
فتصبح الارض بالقتلى مزينةً … ووجهها بدم الابطال منتقشا
وحرمة البيت والركن الحرام ومن سعى اليه ولبى نحوه ومشى

لا تمت حتى ارى الابطال خاضعة ٭ لما اقول كما اهوى انا واشــا

قال سعيد بن مالك ثم انهُ نادى بعد ذلك يا بني قحطان احملوا عليَّ من كل جانب ومكان ولا يبرز لي من شجعانكم المشاهير وابطالكم المغاوير الا كل بطل همام واسد ضرغام فلما انتهى من هذا الكلام برز اليهِ فارس عظيم الشان يقال لهُ عابد بن حسان وهو على جواد اشهب من اجود خيول العرب فطلبهُ عنترة اشد الطلب وطعنهُ بالرمح في صدره خرج يلمع من غفارة ظهره ثم انهُ صال وجال وطلب براز الابطال وقال ابن الملوك والسادات ابن اصحاب المعلقات الذين سادوا واشتهروا وباهوا وافتخروا فليبرزوا لي في هذا المقام وليحاموا عن قصائدهم بحد الحسام قبل ان انكسها عن البيت الحرام

قال مجد بن هشام فلما سمع اصحاب المعلقات منهُ ذلك الكلام خافوا على قصائدهم ان تخرق وتدثر ويضمحل فخرهم ولا يبقى لهم ذكر يذكر فبرز منهم رجل من اهل الفخر والمجد يقال لهُ طرفة بن العبد وكان فصيحًا كريمًا عاقلاً حليمًا فلما اقترب من عنتر قال لهُ مهلاً يا فارس ربيعة ومضر فوحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر ما انت الا فارس منتخب غير انك معلول النسب بين سادات العرب ولولا ذلك لاطعناك وفي قصائدنا وفصاحتنا شاركناك واريد الان ان اجرب نفسي في قتالك وحربك ونزالك فان رايت من نفسي التقصير سلمت نفسي كالاسير وان انا انتصرت ونجحت وظفرت جدت عليك بالاطلاق وشكرتك في سائر الافاق وترجع عن هذا الراي العنيد من جهة تعليق القصيد فتعجب عنترة من رقة خطابهِ وفصاحة الفاظهِ وحسن جوابهِ ونوى في نفسهِ ان ظفر بهِ في ساحة المجال يطلقهُ من الاسر والاعتقال وكانت العرب تضرب بفصاحة طرفة الامثال وتخرس السنتها اذا جالت معهُ في ميدان الجواب والسوال لانهُ كان من اشهر فصحاء الزمان واشعر شعراء قحطان فلما التحم مع عنترة في الميدان قال لهُ اعلم يا فارس عدنان ان لي جملة قصائد حسان يعجز عن نسج مثلها شعراء الزمان وبلغاء الدوران تتناقلها الركبان وفصحاء اللسان وتستلذ بمعانيها العقول والاذهان فمن هذه القصائد الغرر والنفائس الدرر القصيدة المعلقة على البيت الحرام وهي التي يسجد لها في كل عام كل بطل همام وسيد قمقام ومن يدعي النثر والنظام

قال مجد بن هشام فلما سمع عنترة من طرفة ذلك الكلام ابدى الضحك والابتسام وقال لهُ اذا كان الامر كما تدعي فانشدني شيئًا من نظمك قبل برازك لي بشرط ان يكون من نفائس شعرك وسانشدك انا ايضًا ما لم تسمعهُ طول عمرك فاندهش طرفة من ذلك المقال واعتراه الاندهال لانهُ كان يعد نفسهُ في الشعر من اعلى طبقة فانشد عند ذلك قصيدتهُ المعلقة

لخولة اطلال ببرقة ثهمد   تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقوفا بها صحبي عليَّ مطيهم   يقولون لا تهلك اسى وتجلد
كأن حدوج المالكية غدوة   خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من سفين ابن يامن   يجور بها الملاح طورا ويهتدي
يشق حباب الماء حيزومها بها   كما قسم الترب المفايل باليد
وفي الحي احوى ينفض المرد شادن   مظاهر سمطي لؤلوء وزبرجد
خذول تراعي ربربا بخميلة   تناول اطراف البرير وترتدي
وتبسم عن الى كأن منورا   تخلل حر الرمل دعص له ندي
سقته إياة الشمس الا لثاته   أسف ولم تكتدم عليه باثمد
ووجه كأن الشمس حلت رداءها   عليه نقي الخد لم يتخدد
واني لامضي الهم عند احتضاره   بعوجاء مرقال تروح وتغتدي
أمون كالواح الاران نساتها   على لاحب كأنه ظهر برجد
تباري عتاقا ناجيات واتبعت   وظيفا وظيفا فوق مور معبد
تربعت القفين بالشول ترتعي   حدائق مولي الاسرة أغيد
تريع الى صوت المهيب وتتقي   بذي خصل روعات اكلف ملبد
كأن جناحي مضرحي تكنفا   حفافيه شكا في العسيب بمسرد
فطورا بها خلف الزميل وتارة   على حشف كالشن ذاو مجدد
لها فخذان اكمل النحض فيهما   كأنهما بابا منيف ممرد
وطي محال كالحني خلوفه   واجرنة لزت بداي منضد
كأن كناسي ضالة يكنفانها   واطر قسي تحت صلب مؤيد
لها مرفقان افتلان كأنما   تمر بسلمي دالج متشدد
كقنطرة الرومي اقسم ربها   لتكتنفن حتى تشاد بقرمد
صهابية العثنون موجدة القرا   بعيدة وخد الرجل موارة اليد
أمرت يداها فتل شزر واجنحت   لها عضداها في سقيف مسند
جنوح دفاق عندل ثم أفرعت   لها كتفاها في معالى مصعد
كأن علوب النسع في دأياتها   موارد من خلقاء في ظهر قردد
تلاقى واحيانا تبين كأنها   بنائق غر في قميص مقدد

وأتلعُ نهّاضٌ اذا صعدت بهِ   كسكّان بوصيٍّ بدجلة مصعدِ
وجمجمةٌ مثلُ العلاة كأنما   وعى الملتقى منها الى حرف مبردِ
وخدٌّ كقرطاس الشآمي ومشفرٌ   كسبت اليماني قدّهُ لم يجردِ
وعينان كالماويتين استكنتا   بكهفي حجاجي صخرةٍ قلت موردِ
طحوران عوار القذى فتراهما   كمكحولتي مذعورةٍ ام فرقدِ
وصادقتا سمع التوجس للسرى   لهجس خفي او لصوت مندّدِ
مؤلّلتان تعرف العتق فيهما   كسامعتي شاة بحومل مفردِ
وأروع نباضٌ أحذُّ مململٌ   كمرداة صخر في صفيح مصمدِ
وان شئت سامى واسط الكور راسها   وعامت بضبعيها نجاء الخفيددِ
وان شئت لم ترقل وان شئت ارقلت   مخافة ملويٍّ من القد محصدِ
واعلم مخروت من الانف مارن   عتيق متى ترجم به الارض تزددِ
على مثلها امضي اذا قال صاحبي   الا ليتني افديك منها وافتدي
وجاشت اليه النفس خوفًا وخاله   مصابًا ولو امسى على غير مرصدِ
اذا القوم قالوا من فتى خلت انني   عنيتُ فلم اكسل ولم اتبلد
احلتُ عليها بالقطيع فاجذمت   وقد خبّ آلُ الامعز المتوقد
فذالت كما ذالت وليدة مجلس   تري ربها اذيال سحل ممددِ
ولستُ بحلال التلاع مخافةً   ولكن متى يسترفد القوم ارفدِ
وان تبغني في حلقة القوم تلقني   وان تقتنصني في الحوانيت تصطدِ
متى تأتني أصبحك كاسًا روية   وان كنت عنها غانيًا فاغن وازددِ
وان يلتقي الحي الجميع تلاقني   الى ذروة البيت الرفيع المصمدِ
نداماي بيض كالنجوم وقينة   تروح علينا بين بردٍ ومجسد
رحيب قطاب الجيب منها رقيقة   بجس الندامى بضة المتجردِ
اذا نحن قلنا اسمعينا انبرت لنا   على رسلها مطروفة لم تشددِ
وما زال تشرابي الخمور ولذتي   وبيعي وانفاقي طريفي ومتلدي
الى ان تحامتني العشيرة كلها   وافردت افراد البعير المعبدِ
رايت بني غبراء لا ينكرونني   ولا اهل هذاك الطراف الممددِ
الا ايهذا اللائمي احضر الوغى   وان اشهد اللذات هل انت مخلدي

فان كنت لاتسطيع دفع منيتي فدعني ابادرها بما ملكت يدي
فلولا ثلثٌ هنّ من عيشة الفتى وجدك لم احفل متى قام عودي
فمنهنّ سبق العاذلات بشربة كميت متى ما تعلُ بالماء تزبد

الكتاب الثامن والسبعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

وكرّي اذا نادى المضاف مجنبًا كسيد الغضا نبهتهُ المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ببهكنة تحت الطراف المعمد
كان البرين والدمالج علقت على عشر او خروع لم يخضد
فذرني اروي هامتي في حياتها مخافة شربٍ في الحياة مصرد
كريم يروي نفسهُ في حياته ستعلم ان متنا غدًا أينا الصدي
أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوي في البطالة مفسد
ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح منضد
أرى الموت يعتام الكرامَ ويصطفي عقيلة مال الباخل المتشدد
أرى الدهر كنزًا ناقصًا كل ليلة وما تنقص الايامُ والدهر ينفد
لعمرك ان الموت ما اخطا الفتى لكالطول المرخى وثنياهُ باليد
فمالي اراني وابن عمي مالكًا متى ادن منهُ ينأى عني ويبعد
يلومُ وما ادري على ما يلومني كما لامني في الحي قرط بن اعبد
وايأسني من كل خير طلبتهُ كأنا وضعناهُ الى رمس ملحد
على غير ذنب قلتهُ غير انني نشدت فلم اغفل حمولة معبد
وقربت بالقربى وجدك انني متى يأتِ امرٌ للنكيثة اشهد
وان ادع في الجلّى اكن من حماتها وان ياتك الاعداء بالجهد فاجهد
وان يقذفوا بالقذع عرضك اسقهم بكاس حياض الموت قبل التهدد
بلا حدث احدثتهُ وكمحدث هجائي وقذفي بالشكاة ومطردي
فلو كان مولاي امرءًا هو غيره لفرّج كربي او لانظرني غدي
ولكن مولاي امرءٌ هو خانقي على الشكر والتسآل او انا مفتد

وظلم ذوي القربى اشد مضاضةً   على المرء من وقع الحسام المهندِ
فذرني وخلقي انني لك شاكرٌ   ولو حل بيتي نائبًا عند ضرغدِ
فلو شاء ربي كنت قيس بن خالدٍ   ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثدِ
فالفيت ذا مال كثير وعادني   بنونَ كرامٌ سادةٌ لمسودِ
انا الرجل الجعد الذي تعرفونهُ   خشاشٌ كراس الحية المتوقدِ
فآليت لا ينفك كشحي بطانةً   لعضب رقيق الشفرتين مهندِ
حسام اذا ما قمت منتصرًا بهِ   كفى العود منهُ البدء ليس بمعضدِ
اخي ثقة لا ينثني عن ضريبةٍ   اذا قيل مهلاً قال حاجزه قدِ
اذا ابتدر القوم السلاح وجدتني   منيعًا اذا بلت بقائمهِ يدي
وبركٍ هجود قد اثارت مخافتي   نواديها امشي بعضب مجردِ
فمرت كهاةٌ ذات خيف جلالةٌ   عقيلة شيخ كالوبيل يلنددِ
يقول وقد تر الوظيف وساقها   الست ترى ان قد اتيت بمويدِ
وقال الا ماذا ترون بشارب   شديد علينا بغيهُ متعمدِ
فقال ذروه انما نفعها لهُ   والا تردوا قاصي البرك يزددِ
فظل الاماء يمتللن حوارها   ويسعى علينا بالسديف المسرهدِ
فان مت فانعيني بما انا اهلهُ   وشقي عليَّ الجيب يا ابنة معبدِ
ولا تجعليني كامرءٍ ليس همهُ   كهمي ولا يغني غناءي ومشهدي
بطيءٍ عن الجلّى سريع الى الخنا   ذليل باجماع الرجال ملهدِ
فلو كنت وغلاً في الرجال لضرني   عداوة ذي الاصحاب والمتوحدِ
ولكن نفى عني الاعادي جرآتي   عليهم واقدامي وصدقي ومحتدي
لعمرك ما امري عليَّ بغمةٍ   نهاري ولا ليلي عليَّ بسرمدِ
ويوم حبست النفس عند عراكهِ   حفاظًا على عوراتهِ والتهددِ
على موطن يخشى الفتى عندهُ الردي   متى تعترك فيه الفرائص ترعدِ
واصفر مصوح نظرت حوارهُ   على النار واستودعتهُ كف مجمدِ
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً   ويأتيك بالاخبار من لم تزودِ
وياتيك بالانباء من لم تبع لهُ   بتاتًا ولم تضرب له وقت موعدِ
لعمرك ما الايام الا معارةٌ   فما اسطعت من معروفها فتزودِ

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

قال الراوي فلما فرغ طرفة من انشاد قصيدته قال له عنترة والله ما قصرت يا طرفة في هذه الابيات ولكن عند تعليق قصيدتي تحكم بيننا السادات وانت لم تنظم قصيدة مثل هذه في يوم او يومين ولا في شهر او شهرين بل فيما سلف لك من الاوقات والايام الماضيات والا فقل لنا ان استطعت على البديه بعض ابيات وبعد ذلك نتضارب بالسيوف المشرفيات حتى يقر احدنا للاخر بالعجز او يفتضح بين هذه السادات فنادى طرفة باللعرب وكاني اعجز عن ابيات اقولها على البديهة في هذه الساعة ثم اشار لعنترة يقول

ولقد سريتُ مع الظلام بعشرٍ جلدٍ من الفتيان غير مثقلِ
ممن حملن به وهنّ عواقدٌ حبك النطاق فشب غير مهبلِ
ولدوا من كل نهبة حايض وفساد مرضعةٍ وداي معولِ
ومضت به في ليلة مزوءودة كرهًا وعقد نطاقها لم يحللِ
صعب الكريهة لايرام جنابه ماضي العزيمة كالحسام المعصلِ
ما ان يمس الارض الا منكبٌ منه وحرف الساق ليس بزملِ
يحمي الصحاب وان يكونوا كثرةً واذا هم نزلوا فماوى العيلِ

قال فلما سمع عنترة كلام طرفة علم انه من اهل الفصاحة والمعرفة فقال يا طرفة ما هذا الكلام وما الذي فيه من بلاغة الشعر والنظام فانك ما ذكرت في هذه الابيات الا انك قطعت البراري والفلوات مع رفيق وصفته بهذه الصفات وما في كلامك ما تستحسنه السادات فاما انا فاني اخوض القتام تحت جنح الظلام واسامر الفرقدين وابارز الجن والغيلان ولا ابالي بحوادث الزمان ثم انه اجابه على شعره يقول

دع ما مضى لك في الزمان الاول وعلى الحقيقة ان عزمت فعولِ
ان كنت انت قطعت برًّا مقفرًا وسلكته تحت الدجى في جحفلِ
فانا سريتُ مع الثريـــا مفردًا لامؤنس لي غير حدِّ المنصلِ
ودخلت غابات الاسود فرعتهـــا والليل اسودُ مثل جفن الاكحلِ
والبدرُ من فوق السحاب بسوقهُ فيسير سير الراكب المستعجلِ
والنسر نحو الغرب يرمي نفسهُ فيكـــاد يعثر بالسماك الاعزلِ
والغول بين يديَّ يخفى تارةً ويعود يظهر مثل ضوء المشعلِ
بنواظر زرقٍ ووجهٍ اسودٍ واظافر يشبهن حدَّ المنجلِ

والجن تفرق حول غابات الفلا   بهاهم ودمـــهادم لم تغفل
واذا رأت سبلي نضج مخافة   تجيج نوق الحي حول المنزل
تلك الليالي لو يمر حديثهـــا   بوليد قوم شاب قبل المحمل
فاكفف ودع عنك الاطالة واقتصر   واذا استطعت اليوم شيئًا فافعل

قال الراوي فلما سمع طرفة من عنترة هذه الابيات اخذه الانبهات وطرب من رقة قوافيها وحسن معانيها وقال له لله درك من عبد اسود و بطل امجد فقد بلغت في الفروسية الغاية التي لاتدرك ونلت من الفصاحة الرتبة التي لاتكاد تملك فلو كانت امك حرة عربية لكنت افتخرت على سائر عرب البرية ولكن اسم العبودية حالة ردية ولولا ذلك لكنا سمحنا لك بتعليق القصيد وبلغناك ما تشتهي وتريد فلما سمع عنترة منه ذلك الكلام الذي هو اشد من ضرب الحسام حمل عليه حملة من لايخاف العواقب ولا يخشى حلول النوائب فاستقبله طرفة بقلب اقوى من الجبال وقد ايقن بالهلاك والوبال ولم تكن غير ساعة من النهار حتى استظهر عنترة على خصمه غاية الاستظهار وطعنه بعقب الرمح الاملد فاقلبه على الارض كالجذع الممدد ولو اراد هلاكه لكان قتله وعجل من الدنيا مرتحله ولكنه رغب في اسره حتى يقرن شعره مع شعره فما افاق طرفة على نفسه حتى كان شيبوب قد شد كتافه وقوى سواعده واطرافه ثم ان عنترة بعد تلك الحال صال وجال وطلب براز الابطال فلما سمع الفرسان ذلك الصياح هجموا كليوث البطاح وهزوا في اكفهم قطع الرماح فسبقهم عمرو بن كلثوم الى ساحة الميدان وكان من اشد فرسان الطعان وطلب عنترة كانه النار المحرقة وكان من جملة اصحاب القصائد المعلقة وقال له ويلك يا ابن اللئام ونسل الحرام اما كفاك ما انت فيه من المعائب حتى تمد يدك الى الكواكب وتريد ان تنال منازل السادات اهل المناصب والمراتب فلما سمع عنترة منه ذلك الخطاب غاب عن الصواب وقال له وكانك من عظماء السادات اصحاب المعلقات قال اي نعم وحق البيت الحرام فقال عنترة اسمعني قصيدتك وخذ الجواب قبل ان تاكل لحمك الوحوش والكلاب فانشد عمرو يقول

الا هبي بصحنك فاصبحينا   ولا تبقي خمور الاندرينا
مشعشعة كان الحص فيها   اذا ما الماء خالطها سخينا
تجور بذي اللبانة عن هواه   اذا ما ذاقهـــا حتى يلينا
ترى اللحز الشحيح اذا امرّت   عليه لماله فيهـــا مهينـــا
صددت الكاس عنا ام عمرو   وكان الكاس مجراها اليمينا

وما شر الثلاثة ام عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا
وانا سوف تدركنا المنايا مقدرةً لنا ومقدرينا
وان غداً وان اليوم رهنٌ وبعد غدٍ بما لا تعلمينا
قفي قبل التفرق ياظعينا نخبرك اليقين وتخبرينا
بيوم كريهةٍ ضرباً وطعناً اقرَّ به مواليك العيونا
قفي نسالك هل احدثت صرماً لوشك البين ام خنت الامينا
تريك وقد دخلت على خلاء وقد امنت عيون الكاشحينا
ذراعي عيطل ادماء بكر تربعت الاجارع والمتونا
وثدياً مثل حق العاج رخصاً حصاناً من اكف اللامسينا
ومتنى لدنة طالت ولانت روادفها تنوء بما يلينا
تذكرت الصبا واشتقت لما رايت حمولها اصلاً حدينا
واعرضت اليمامة واشمخرت كاسياف بايدي مصلتينا
فما وجدت كوجدي ام سقب اضلته فرجعت الحنينا
ولا شمطاء لم يترك شقاها لها من تسعة الا جنينا
ابا هند فلا تعجل علينا وانظرنا نخبرك اليقينا
بانا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمراً قد روينا
وان الطعن بعد الطعن ينشو عليك ويخرج الداء الدفينا
وسيد معشر قد توجوه بتاج الملك يحمي المحجرينا
تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة اعنتها صفونا
وايام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان ندينا
وقد هرت كلاب الحي منا وشذ بنا قتادة ان يلينا
متى ننقل الى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طحينا
يكون ثفالها شرقي نجد ولهوتها قضاعة اجمعينا
ورثنا المجد قد علمت معدٌّ نطاعن دونه حتى يبينا
ونحن اذا عماد الحي خرت على الاحفاظ نمنع من يلينا
ندافع عنهم الاعداء قدماً ونحمل عنهم ما حملونا
نطاعن ما تراخى الناس عنا ونضرب بالسيوف اذا غشينا

بسمر من قنا الخطيّ لدنٍ   ذوابل او ببيض يجتلينا
نشق بها رؤوس القوم شقًّا   ونختلب الرقاب فيختلينا
تخال جماجم الابطال فيها   وسوقًا بالاماعز يرتمينا
نحزّ رووسهم في غير برّ   ولا يدرون ماذا يتقونا
كأن سيوفنا منا ومنهم   مخاريق بايدي لاعبينا
كأن ثيابنا منا ومنهم   خضبن بارجوان اوطلينا
اذا ما عيّ بالاسناف حيّ   من الهول المشبه ان يكونا
نصبنا مثل رهوة ذات حبل   محافظة وكنا السابقينا
بفتيان يرون القتل مجدًا   وشيب في الحروب مجربينا
حُدَيا الناس كلهم جميعًا   مقارعة بنيهم عن بنينا
فاما يوم خشيتنا عليهم   فنصبح في الحديد مقنعينا
واما يوم لانخشى عليهم   فنمعن غادة متلببينا
براس من بني جشم بن بكر   ندق به السهولة والحزونا
باي مشية عمرو بن هند   نكون لخلفكم فيها قطينا
تهددنا وتوعدنا رويدًا   متى كنا لامك مقتوينا
فان قناتنا ياعمرو اعيت   على الاعداء قبلك ان تلينا
اذا عض الثقاف بها اشمأزت   وولته عشوزنة زبونا
عشوزنة اذا غمزت ارنت   تشج قفا المثقف والجبينا
فهل حدثت عن جشم بن بكر   بنقص في خطوب الاولينا
ورثنا مجد علقمة بن سيف   اباح لنا حصون المجد دينا
ورثت مهلهلًا والخير منه   زهيرًا نعم ذخر الذاخرينا
وعتابًا وكلثومًا جميعًا   بهم نلنا تراث الاقدمينا
وذا البرة الذي حدثت عنه   به نحمى ونحمي الملتجينا
ومنا قبله الساعي كليب   فاي المجد الا قد ولينا
متى نعقد قرينتنا بحبل   تجذ الحبل او نقص القرينا
ونوجد نحن امنعهم ذمارًا   واوفاهم اذا عقدوا يمينا
ونحن غداة اوقد في خزاز   رفدنا فوق رفد الرافدينا

ونحن الحابسون بذي اراط | تسف الجلة الخور الدرينا
ونحن الحاكمون اذا اطعنا | ونحن العازمون اذا عصينا
ونحن التاركون لما سخطنا | ونحن الآخذون لما رضينا
وكنا الايمنين اذا التقينا | وكان الايسرين بنو ابينا
فصالوا صولة فيمن يليهم | وصلنا صولة فيمن يلينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا | وأبنا بالملوك مصفدينا
اليكم يابني بكر اليكم | الما تعلموا منا اليقينا
علينا البيض واليلب اليماني | واسياف يقمن وينحنينا
علينا كل سابغة دلاص | ترى فوق النجاد لها غضونا
اذا وضعت عن الابطال يوماً | رأيت لها جلود القوم جونا
كان غضونهن متون غُدرٍ | تصفقها الرياح اذا جرينا
وتحملنا غداة الروع جردٌ | عرفن لنا نقايذ وافتلينا
ورثناهنّ عن آباء صدقٍ | ونورثها اذا متنا بنينا
وقد علم القبائل من معدٍّ | اذا قببٌ بابطحها بنينا
بأنَّا المنعمون اذا قدرنا | وانا المهلكون اذا ابتلينا
وانا الحاكمون بما اردنا | وانا النازلون بحيث شينا
وانا الشاربون الماء صفواً | ويشرب غيرنا كدرًا وطينا
وانا النازلون بكل ثغرٍ | يخاف النازلون به المنونا
الاسائل بني الطماح عنا | ودُعميًا فكيف وجدتمونا
نزلتم منزل الاضياف منا | فعجّلنا القرى ان تشتمونا
قريناكم فعجّلنا قراكم | قُبيل الصبح مرداةً طحونا
على اثارنا بيضٌ كرامٌ | نحاذر ان تفارق او تهونا
ظعاين من بني جشم بن بكرٍ | خلطن بميسمٍ حسبًا ودينا
اخذنا على بعولتهنّ عهداً | اذا لاقوا فوارس معلمينا
ليستلبن افراسًا وبيضًا | واسرى في الحديد مقرّنينا
اذا ما رحن يمشين الهُوَينا | كما اضطربت متون الشاربينا
يقدن جيادنا ويقلن لستم | بعولتنا اذا لم تمنعونا

اذا لم نحمهنّ فلا بقينا ... لخير بعدهنّ ولا حيينا
وما منع الظعاين مثل ضرب ... ترى منه السواعد كالقلينا
لنا الدنيا ومن اضحى عليها ... ونبطش حين نبطش قادرينا
اذا ما الملك سام الناس خسفًا ... أبينا ان يقرّ الخسف فينا
لسنا ظالمين وما ظلمنا ... ولكنا نبيد الظالمينا
الا لايجهلنْ احدٌ علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا
ونعدو حين لا يعدى علينا ... فنضرب بالمواضي من لقينا
الا لاتحسب الاعداء أنّا ... تضعضعنا وانّا قد فنينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا ... كذاك البحر نملأهُ سفينا
اذا بلغ الفطام لنا وليدٌ ... تخرّ له الجبابر ساجدينا

فلما سمع عنترة من عمرو بن كلثوم هذا المقال لم ينطل عليهِ ولا خطر له على بال لانه عزم معه على القتال بل قال له ياعمرو دع عنك زخاريف الاقوال والتعلل بالمحال وارجع الى شيء يقال في عاجل الحال لانك ياعمرو ما جمعت هذه القصيدة في شهر وشهرين ولا في سنة اوسنتين فقل شيئًا في هذا الوقت على البديه وخذ الجواب مما تحار فيهِ الالباب فقال له عمرو بن كلثوم ياللعرب وكاني عاجز عن شيءٍ اقوله في هذا الوقت على الفور من الفاظ الشعر والادب فاسمع في هذا الوقت من مقالي وبعد ذلك اريك حربي وقتالي وانشد عمرو يقول

وفارسٍ في غبار الموت منغمسٍ ... اذا اراد الى مكروهةٍ سبقا
غشيته وهو في دنياء مظلمةٍ ... اصبت منهُ فواق الراس فانفلقا
بضربةٍ لم تكن مني مخالسةً ... ولا تعجلتها خوفًا ولا قلقـــا

فاجابهُ عنترة على شعره يقول

لايحملُ الرمحَ غيري فهو لي خلقا ... والسيفُ لولا بناني ماجرى علقا
ان كنت لاقيتَ قرمًا اوفتكتَ بهِ ... فكم لحد حسامي في الفلاة لقا
وكم قحمتُ غبارًا كان مرتفعًا ... وصارمُ الموت في حديهِ قدبرقا
وعادي الجري يمشي فتزلقهُ ... جماجم ورسوم ما لهنّ بقـــا
يمشي على جيف القتلى بجدتهِ ... طورًا يخبُّ وطورًا يحذر الزلقا
وعدتُ عنهُ وخيلُ الموت جائلةٌ ... تبكي بحزن وترثي الاهل والرفقا
ولي معامعُ حربٍ لو تقالُ لمن ... فجعته في بنيهِ قال قد صدقا

قال فلما فرغ عنترة من هذا النظام لحق عمرو العجب وعلم انه من الفصاحة بمكان عظيم فقال له ياعبسي ما انت الا قد تعلقت بطرف من اذيال الفصاحة ولكنك زايد الوقاحة ولو كنت عرفت قدرك لكنت لزمت امرك واحسنت صبرك وعشت مثل اصحاب الرتب وما كنت افتضحت بين سادات العرب ولكن انا اقول ان اجلك قد اقترب فلما سمع عنترة ذلك الكلام اشتد به الغضب وقال له ويلك ياقليل الادب اليوم اسقيك كاس العطب لان ما لي من الحسب والنسب الا هذا السيف المشطب والرمح المكعب وان كنت في شك من هذا الكلام فنادِ اباءك واجدادك اللئام وقل لهم تعالوا حاربوا عني عنترة بن شداد في مقام الصدام ثم انه جال عليه جولة منكرة وراى مقاتلة قدامه ظاهرة فما رضي ان يقتله بل ضايقه ولاصقه وسد عليه طرايقه وامسك خناقه واخذه اسيرًا وساقه ذليلاً حقيرًا وسلمه الى شيبوب فشده بالكتاف وقوي منه السواعد والاطراف ولم يزل يبارز الابطال ويطاعن الاقيال حتى امسى المساء وما رجع من الميدان الا وهو مثل لون الارجوان مما سال عليه من دماء الفرسان فتلقته النسوان والحرائر بالدفوف والمزاهر وما فيهن الا من تحرك دفها فرحا وثنت مرحا وقالت

عاد حامينا الينا   بعد ما خاضَ الغبارا
يشبهُ الليثَ بعزمٍ   وهو قد ضمَّ الاساري
ولقد اضرمَ حقًّا   في فوادِ الضدِّ نارا

وكانت عبلة ترد عليهنَّ وتقول

زدت يا ابنَ العمِ مجدًا   وعلوًّا   واقتدارا
وسناء   وافتخارا   ومقامًا   واعتبارا
صانكَ الدهرُ لعسٍ   ما حدا الحادي وسارا

ثم ان عبلة صارت تخلق صدر الابجر بالزعفران المعجون بالمسك وماء الورد وزبيبة تضج خلف النسوان مثلما تضج النوق والفصلان وتوقع النسا بيديها وترمح برجليها وهي تصيح بالنساء قائلة ارجعنَ عنهُ فقد كفاه ماقاسى من البليات وهنَّ يضحكنَ عليهما من سائر الجنبات ومازالت النسا والبنات حوالي عنترة دائرات حتى وصل الى الابيات فعند ذلك تفرقن عنه فترجل عن فرسه وناول عبلة رمحه وسيفه واذا هما يقطران دمًا فصارت عبلة تمسحهما وتنفض عن وجهه التراب وتتبسم كلما رات سواعده المخدشة من وخز الرماح فاخذتها عليه الشفقة والحنية ثم انه دخل الى مضربه فقدمت له شيئًا من الطعام فاكل حتى اكتفى بعد ما اوصى

اخوته بالاسرى وامر عروة ابن الورد بالحفظ والحرس على القبيلة وبات تلك الليلة وعنده من السرور بقدر ما عند اعدائه من الهم والشرور لا سيما الربيع بن زياد واخيه عمارة الفواد فقد كادت تنفطر منهما الاكباد . ولما اصبح الصباح افرغ على جسده الزرد وركب جواده واعتد واستلب الرمح والحسام وخرج من اذيال الخيام فراى دريد بن الصمة وفرسانه وهاني بن مسعود وشجعانه وعامر بن الطفيل وسادات عشيرته والملك قيس واكابر قبيلته فسلم عليهم وخدمهم وساروا كلهم الى خدمة السيد عبد المطلب جد النبي المنتخب فراوا قبائل بني قحطان تضج من كل جانب ومكان وقد تبادرت فرسانها الى الحرب والطعان ولما اشرفت بنو عبس وعدنان على دكة القضا وجدوا السيد عبد المطلب جالساً وحوله جماعة الحرم وهم مجتمعون حوله وسامعون قوله يصغون الى كلامه ويصغون سمعاً لدر مقاله فلما راه عنترة ترجل اليه وتقدم الى بين يديه واستشاره فيما يفعل فقال له عبد المطلب يا عنترة ما المشورة الان وهذه القبائل اصبحت تعض على الكفوف وتطلب ان تنهب جسدك بشفار السيوف فاركب جوادك والبس الة حربك وجلادك واحترص على نفسك حتى تبلغ مرادك والا انحط قدرك وقدر البيت الحرام ولحق بك العتب والملام فقال عنترة يا مولاي وانا ما اتيت الا لاشاورك في مثل ذلك الكلام ثم انه عاد الى صهوة مهره كوكب وقد اشتد به الغضب واقتحم طالبًا بني قحطان وقبائل العرب هذا وهاني بن مسعود يقول لعنترة يا ابا الفوارس لماذا لا تمكنا من معونتك فدعنا نبارز هذه الاقوام ونحمل عليهم بكل فارس همام وبطل ضرغام لعل حماتهم تذل وتقع في ايدينا وقد هان الامر علينا لاننا اذا اسرنا اصحاب القصائد نقدمهم الى ضرب الرقاب ونطلب منهم الاطاعة فان اجابونا والاضربنا رقاب الكل اجمعين ونحمل بعد ذلك على الباقين ونبذل فيهم السيف والسنان ونقتل منهم الفرسان فقال عنترة يا مولاي ان روحي تابى ذلك الشان لاني اخاف ان يصاب سيد منكم او يتفق له بعض اسباب فاموت من شدة الغضب واما اذا قتلت انا دون ان ابلغ غرضي فما اكون مغبونًا لان العرب تقول ان عبد بني عبس طلب منازل الفخار فاعاقته الاقدار على انهم اذا كانوا يبارزوني فارسًا لفارس فاني افنيهم بحد هذا الصارم المائس وان هم حقدوا عليّ وطلبوني بجميع المواكب طلبت منكم المساعدة لهذه النوائب ثم انه حمل حتى قارب قبائل اليمن وصال وجال وطلب البراز والنزال ووبخ الرجال والابطال على قلة الانصاف والجور والاسراف وانشد وقال

اذا ما الصباحُ من الشرقِ لاحا   وغرّدَ في الايكِ طيرٌ وناحا

تمايل سيفي في غمده ... ونادى الحي بريد الكفاحا
ويهتز رمحي اذا ما راى ... كهول الرجال تهز الرماحا
ويسعدني يوم طعن القنا ... جواد اذا سار فات الرياحا
فيا عبل قري ولا تفزعي ... علي وخلي البكا والنواحا
ترى فارسًا سيدًا اينما ... راتهُ الفوارس تلقي السلاحا
اياساقي الموت حث الكؤو ... س علينا فانا نريد الرواحا
ولا تسقني غير قطر الدما ... اذا شرب القوم ماء وراحا
وخلي الجماجم تفاحنا ... وريحانة الحرب سمرًا رماحا
وغن لقلبي ذا المنتهى ... م بذكر عبلة وحيي الوشاحا
وكن صابرًا تحت ظل القنا ... بحرب اذا كنت تهوى الملاحا

قال الراوي . وما اتمَّ عنترة هذه الابيات حتى برزت اليه اصحاب الثارات لان قلوبهم كانت ملآنة حنقًا عليه فطلبته من سائر الجهات الا انهُ ما قرب اليه جماعة الا اخذ ارواحها في ساعة ولا قصدته عشرة الا وعجل حتفها واهلك نصفها ولا عشرون الا وردها الى خلفها ولا ثلاثون الا واهلكهم اجمعين وما زالت الفرسان تبرز اليهِ وهو يطعن فيها حتى اهلك ثمانين واسر خمسين ورجع الباقون منهزمين فعند ذلك ضجت عليه الفرق وزاد بهم الغيظ والحنق وماجت الفرسان واخذها القلق واتفقت كلها على الغدر وعدم الانصاف واطلقت اعنة الخيل من سائر الاطراف واقبلت اليه مثل سرب القطا وقد ساوى عندهم الصواب الخطا واختلف الاخذ والعطا وانقلبت شعاب مكة بالصياح وصمت الاسماع من وقع السلاح وخافت النساء من السبي والافتضاح وصرن يلطمن على الرؤوس والخدود ونثرن الشعور خوفًا على الاطفال الذين في المهود ولما راى عنترة ذلك الحال تلقى بوادر الابطال وطعن في صدورها مثل السيل اذا سال ولما ابصر دريد فعالهُ رق لحالهِ وقال والله هذه اوقات المساعدة لان القوم بغوا عليهِ بالكلية ولم ينصفوه بالسوية ثم حمل دريد في بني هوازن وجشم وغزية وحمل هاني والطائفة الشيبانية وكذلك عامر بن الطفيل في الفرسان العامرية وتزاعقت بنو عبس وهجمت كسباع الدحال وحملت وفي مقدمتها ميسرة ومازن وكلهم بقلوب كانها قدت من جلمود لا تختشي الاهوال

قال الراوي . ولقد كنت حاضرًا في ذلك اليوم العظيم الاهوال انظر الحرب والقتال لاني كنت في تلك السنة طلبت الحج الى البيت الحرام فحار بصري مما رايت واختل عقلي من

كثيرة ما توهمت وظننت ان ذلك اليوم يوم المعاد وان الله تعالى يريد ان يحاسب العباد ويظهر قدر المقدور وتوهمت ان اسرافيل قد نفخ في الصور وبعث من في القبور فضل عقلي من صلصلة الحديد وصياح الابطال الصناديد فلما هدأ جناني حققت الامر بعياني فرايت النهار قد عاد بالسواد ابلق والغبار يطلع والخيل تقلق والرجال تصرع والسيوف تمشق والعيون تقلع والدماء تهرق والبنود ترفع والدروع تفتق والتراب يرفع والرؤوس تفلق والرقاب تقطع والنفوس تزهق فقلت لما رايت ذلك المصاب سبحان من انزل على هولاء القوم سحاب العذاب واعدمهم حياتهم وحسر عليهم ايامهم وساعاتهم وقضى بذهاب ارواحهم وورود مماتهم فلله در عنتر وما فعل في ذلك اليوم الاغبر وكم قتل وكم اسر وكذلك اخوه مازن وولده ميسرة لانهم كانوا خلف ظهره مثل النار المسعرة واما اخوه شيبوب فكان همة جلب الحبال وتكتيف الرجال وما قصر دريد في قتاله بل قد حير الابطال من فعاله واما بنو عامر وبنو عبس فانهم تركوا الدماء تجري كالبحار الزواخر لاجل فتكاتهم بسيوفهم البواتر ولو اقتدى بهم كل ما لهم من الفرسان لكانوا فرقوا قبائل بني قحطان الا ان اعداء عنترة لما نظروا الى ذلك حسدوه على هذه المنزلة الذي هو طالبها فقصروا في القتال لاسيما بنو فزارة الانذال الا ان القوم ما اسبل عليهم الظلام اذ بالحتى طلبوا من بعضهم بعض الاقالة فلم تفعل قبائل اليمن بل ثبتت لكثرتها وطائفة عنترة وقفت لشجاعتها وبات السيف يعمل طول ذلك الليل حتى جرت الدماء مثل السيل وخاضت الخيل في الدما وصار وجودها عدما وشابت من هول تلك الوقعة الشباب وجرت الدماء في الربى والرحاب واقامت النساء المآتم وما فيهنّ من قالت ان زوجها سالم وغابت من شدة الحرب الكواكب واسودت الجوانب واستدت المذاهب في وجه الجبان الهارب وانكر القريب القرائب وهجر المحب الحبائب وما اصبح الصباح الا وهم كما قال فيهم صخر بن مراتب

فيا ربّ ليلٍ قد قطعت ظلامهُ ... بحربٍ تخافُ الاسدُ من نفاتهِ
وآخرَ قد ولى ولم يدرِ ما جرى ... ولا يستطيعُ المرءُ رد فواتهِ
وما عادَ منا سيدٌ في يمينهِ ... من الطعن الا قطعة من قناتهِ
ولامعَ الضيا والسيف يعمل بيننا ... فترتعدُ الاجسادُ من فتكاتهِ
وتسمعُ وقعَ السيفِ من كل جانبٍ ... وكلٌّ تراه خائفًا من شتاتهِ

قال الراوي . ولم يزالوا في ضرب صفاح وطعن رماح الى ان اصبح الله بالصباح وطلع الضوء وانقشع الظلام فركب السيد عبد المطلب وفرسان البيت الحرام وخرجوا الى البر والاكام

وبين ايديهم خلق كثير حاملون الاصنام فدخلوا بها بين الفرسان الكرام الى تحت الغبار والقتام وقد سكرت الرجال من الطعن والضرب فافترقوا في الشرق والغرب فصاح السيد عبد المطلب وخوفهم عواقب البغي وقال لهم يا سادات العرب ما بالكم ركبتم مطية الاسراف واخترتم لانفسكم الهلاك والتلاف وغيرتم السنن التي سنها جدنا عبد مناف اما سمعتم بما جرى لعباد النار لما اتوا مع ذي الخمار الى هذه الاراضي والامصار . اما كان لكم في ذلك اعتبار . يردكم عن اهراق الدما وغضب رب السما لانكم ازعجتم الارباب التي تقربنا الى زلفى واخرقتم حرمة المشاعر والصفا والصواب انكم اما تتناصفون في الحرب والقتال او ترحلون من هذه الارض والاطلال فقالت فرسان العرب من اهل اليمن يا ابن عبد مناف ومن يكون هذا النذل عبد بني عبس حتى نسجد لشعره وهذيانه وشقشقة لسانه فوالله هذا شيء لا نفعله ابدا حتى لا يبقي السيف منا احدًا فقال عنترة يا حاكم العرب وانا والله لا ارجع عن الحرب والقتال حتى اعلق قصيدتي على البيت الحرام ولا اعلقها الا بحد الحسام ليسجد لها الخاص والعام ان انصفوا او اسرفوا وبعد هذا يا حاكم العرب وشيخ الحطيم وزمزم اشهدك عليّ انت ومشايخ البيت الحرام ان يخرجوا لي من كل قبيلة عشرين فارسًا همام فيبارزوني في الميدان ومحل الضرب والطعان ان شاءوا منا مناصفة وان شاءوا معاندة وان شاءوا للقيت الكل مرة واحدة ودمي لهم حلال ودمهم عليّ حرام فان هم قهروني عدت وانفي مرغوم وان قهرتهم علقت قصيدتي حسبما اروم فتعجب الشيخ عبد المطلب من هذا الكلام وابدى الضحك والابتسام وقال والله هذا شيء ما فعله احد في من تقدم ولا سمعت به سائر تلك الامم وبلغ الخبر قبائل اليمن فقالوا هو اذل واحقر مما ذكر وفي غداة غد نحل به العبر وعاد عنترة عبد طالبًا الراحة من تعب القتال ومعه زهاء الف اسير من الملوك اصحاب الاقطار وقال للسيد المطلب يا مولاي ان بارزني اصحاب القصائد المعلقة هذا اليوم والا ضربت رقاب هولاء الاسرى ان هم عصوا امري ولم يسجدوا لشعري فقال دريد والى هذا الامر ينتهي حالنا والا فلا نبلغ امالنا . قال الراوي ولو كان ذو الخمار حاضرًا في هذه الفتن لما كان قعد عن اذية عنترة ونصرة اهل اليمن ولكنه كان في سجن عبد المطلب مقيد وبالحديد مصفد لاجل هجومه على البيت والحرم وسبيه للبنات والحريم لما اتى بعساكر العجم واراد هدم البيت الذي بناه ابرهيم الخليل بامر الملك الجليل وكان دريد قد فرح من ذلك فلم يترك احدًا يشفع فيه لاجل فعائله الرديـة وخصائله الموذية فلما اصبح الصباح ثارت الطوائف طالبة عنترة للحرب والكفاح فبرز الى الميدان وعليه درعان مانعان احدهما درع احيحة بن الجلاّح

الذي اعطاهُ للملك قيس فوهبهُ قيس لعنترة الفرسان متقلدًا بسيفه الضامي ومعتقلاً برمحهِ الخطي الذي لا تنقلهُ الا عشرة رجال صناديد وركب على جواده الابجر وصف رجاله قدامه وصال وجال وطلب البراز والنزال وترنح على جواده ومال وانشد وقال

عفا الديارَ وباقيَ الاطلالِ ريحُ الصبا وتقلُّب الاحوالِ
وعفت مغانيها فاخلق رسمها ترداد وكفِ العارض المطّالِ
فلئن صرمتِ الحبل يا ابنة مالكٍ وسمعتِ فيَّ مقالةَ العذّالِ
فسلي لكيما تخبري بفعائلي عند الوغى ومواقفِ الاهوالِ
والخيلُ تعثرُ بالقنا في موقفٍ نهفو به ويجلنَ كل مجالِ
وانا المجرّبُ في المواقفِ كلها من آلِ عبسٍ منصبي وفعالي
منهم ابي شدّادُ اكرم والدٍ والامُّ من حامٍ فهم اخوالي
وانا المنية حين تشتجر القنا والطعن مني سابق الآجالِ
ولربَّ قرنٍ قد تركت مجدّلاً بلبانهِ كنواضح الجريالِ
تنتابهُ طلس السباع مغادرًا في قفرةٍ متمزق الاوصالِ
ولربَّ خيلٍ قد وزعت رعيلها باقبَّ لا ضغنٍ ولا مجفالِ
ومسربلٍ حلق الحديد مدجج كالليث بين عرينة الاشبالِ
غادرتهُ للجنب غير موسدٍ متثني الاوصال عند مجالِ
ولربَّ شربٍ قد صبحت مدامةً ليسوا بانكاسٍ ولا اوغالِ
وكواعب مثل الدما اصبيتها ينظرْن في خفرٍ وحسن دلالِ
فسلي بني عكٍّ وخثعم تخبري وسلي الملوكَ وطيء الاجبالِ
وسلي عشائر ضبةٍ اذ اسلمت بكرٌ حلايلها ورهط عقالِ
وبني صباحٍ قد تركنا منهم جزرًا بذات الرمث فوق اثالِ
زيدًا وسودًا والمقطع اقصدت ارماحنا ومشاجعَ بن هلالِ
رعناهمُ بالخيل تردى بالقنا وبكل ابيض صارمٍ فصالِ
من مثل قومي حين يختلف القنا واذا تذلُّ قوائم الابطالِ
يحملنَ كل عزيز نفسٍ باسلٍ صدق اللقاء مجرَّب الاهوالِ
ففدى لقومي عند كل عظيمةٍ نفسي وراحلتي وسائر مالي
قومي الصمام لمن ارادوا ضيمهم والقاهرون لكل اغلب صالي

والمطعمون وما عليهم نعمة | والاكرمون أبا وعمد خال
نحن الحصى عددًا ونحسب قومنا | ورجالنا في الحرب غير رجال
منا المعين على الندى بفعاله | والبذل في اللزبات بالاموال
انا اذا حمي الوغى نروي القنا | ونعف عند تقاسم الانفال
ناتي الصريخ على جياد ضمر | خمص البطون كانهن سعالي
من كل شوهاء اليدين طمرة | ومقلص عبل الشوى ذيال
لا تيأسن على خليط زايلوا | بعد الاولى قتلوا بذي اغتال
كانوا يشبون الحروب اذا خبت | قدمًا بكل مهند فصال
وبكل محبوك السراة مقلص | تسمو مناسبة لذي العقال
ومعاود التكرار طال مضيه | طعنًا بكل مثقف عسال
من كل اروع للكماة منازل | ناج من الغمرات كالريبال
يعطي المئين الى المئين مرزءا | حمال مقطعة من الاثقال
واذا الامور تخوّلت الفيتهم | عصم الهوالك ساعة الزلزال
وهم الحماة اذا النساء تحسّرت | يوم الحفاظ وكان يوم نزال
يقصون ذا الانف الحمي وفيهم | حلم وليس حرامهم بحلال
والمطعمون اذا السنون تتابعت | محلًا وضن سحابها بسجال

قال الراوي ثم ان عنترة نادي بعد ذلك الشعر والنظام هل من مبارز هل من مناجز او من يطلب الافتخار في هذا المقام فبرز اليه فارس بالحديد غاطس يقال له حجر بن قطام وقال له ويلك يا اسود يا زنيم اراك تفتخر في شعرك بمن قتلت واسرت ولكن لو كانوا من الابطال الذين يفتخر بقهرهم لما قهرهم مثلك فقال عنترة ان لم تكن فستعلم اني اسدها الاسود وبطلها الامجد وسيفها المهند الذي ناره في الحرب لا تخمد وكان لحجر هذا من العمر مائتان وتسعون عامًا وما تناقص من حيله شيء ولا قلت همته وكان له حجرة اسمها الشهباء ما كان يثبت تحته غيرها وذلك لثقل جثته فحمل على عنترة ومد اليه ذابل الرمح الاسمر والتقيا في الميدان وشرعا في الضرب والطعان في ابواب حسان حتى حيرا بفعالها الفرسان واختلف بينهما طعنتان فاصلتان اسبقهما طعنة حجر فلما وصل رمحه الى عنترة مال عنه حتى اجازه ثم قبض عليه وجذبه جذبة قوية وطعنه فيه فكسر له ضلعين والقاه بعيدًا عن ظهر الجواد ابعد من رمحين فانقض عليه شيبوب وشده بالكتاف وقوى منه السواعد والاطراف ثم

ان عنترة صال وجال وطلب الحرب والنزال في مقام الاهوال وترنح على سرجه ومال وانشد وقال

قفا ياخليليَّ الغـداة وسلما ... وعوجا فان لم تفعلا اليوم تندما
على طلل لو انهُ كان قبلـه ... تكلم رسمٌ دارسٌ لتكلما
اياعزنا لاعزفي الناس مثلهُ ... على عهد ذي القرنين لن يتهدما
اذا خطرت عبس وراءي بالقنا ... علوتُ بها بيتًا من المجد معلما
تراهم يعدون العناجيج بالقنـا ... طوال الهوادي فوق وردٍ وادهما
اذاما ابتدرنا النهب من غير غارةٍ ... اثرنا غبارًا بالسنابك اقتما
الا رُبَّ يوم قد انخنا بدارهم ... اقيم بها سيفي ورمحي المقوما
وما هزَّ قوم رايةً للقاءنا ... من الناس الا دارهم ملئت دما
وانا ابدنا جمعهم برماحنا ... وانا ضربنا كبشهم فتحطما
بكل رقيق الشفرتين مهندٍ ... حسامٍ اذا لاقى الضريبة صمما
يفلقُ هامَ الدارعين ذبابهُ ... ويفري من الاعداء كفا ومعصما

قال الراوي ثم انهُ طلب البراز وسرعة الانجاز فبرز اليهِ صخر بن عمرو ملك بني كندة الدافع عنها كل بلية وشدة وكان فارسًا شديدًا وبطلاً صنديدًا فتطاعنا بالرمحين وجالا حتى حيرا نظر كل عين واختلف بينهما طعنتان فاصلتان وكان السابق بالطعنة عنترة لخبرتهِ لانهُ ادار سنان رمحهِ من خلف ظهره وطعنهُ بعقبهِ فالقاه عن مركبهِ وانقض عليهِ شيبوب وشدهُ بالكتاف وقوى منهُ السواعد والاطراف ثم انهُ صال وجال وطلب البراز والنزال فبرز اليهِ الملك قيس بن جعدي واكثر من الفشار والتعدي وحمل كل منهما على صاحبهِ واخذ يطاعنهُ ويضاربهُ وفي اقل من ساعة علم كل منهما ما لخصمهِ من الشجاعة فانتصب عنترة خصمهُ وضايقهُ وطعنهُ اقلبهُ عن مركبهِ فانقض عليهِ شيبوب واوثقهُ

ثم ان عنترة صال وجال وطلب البراز والنزال فبرز اليهِ فهر بن النمر وناداه ويلك دع عنك الافتخار فقد اتاك الفارس الكرار وحامي الجار ثم حمل عليهِ فما ثبت قدامهُ الا كنفس نافس او كشهاب قابس ودهم عنترة بدرقتهِ وكانت من الحديد الصيني وزنها مثقال بالمكي قاصدًا ان يرميهُ عن سرجه فهم عنترة ان يضربهُ بالسيف فخاف ان ينكسر فمد الاخر اليهِ درقتهُ فالتقت الدرقتان في بعضهما بعض وشد كل واحد على صاحبهِ بحيل الساعد بن سيف تلك الارض فانثنت درقة فهر ووثب عنترة عليهِ واقتلعهُ من صهوة جوادهِ ورمى بهِ الى

الارض كاد يرض عظامه فانقض عليه شيبوب وشده بالكتاف وقوى منه السواعد والاطراف وجال عنترة وصال وطلب البراز والنزال فبرز اليه زياد بن اكال الاكباد وحمل عليه فتلقاه وجاوله حتى اتعبه ثم اقتلعه من سرجه واخذه اسيرًا وقاده ذليلاً حقيرًا فناوله الى شيبوب وعاد طالبًا الحرب والقتال فبرز اليه فروة بن فهر وكان من الخطاطة لانه كان اذا ركب الجواد يخط بابهامه الارض فحمل عليهم وهجم فمد عنترة يده الى اطراف درعه وجذبه فاخذه اسيرًا وسلمه الى شيبوب فشده كتافًا ثم صال وجال وطلب الحرب والقتال فبرز اليه معاوية ابن اخي ملك الجون المعروف بقانص السباع فتلقاه عنترة بقلب غير مرتاع ومد يده الى اطواق درعه وجذبه فاخذه اسيرًا وسلمه الى شيبوب وهم ان يعود لياخذ له راحة فبرز اليه اخوه فقال له عنترة ويلك عد الى الصباح فقال ان اردت ذلك فاطلق لاخي السراح فلما راى منه ذلك انقض عليه وخطفه من سرجه وسلمه الى شيبوب فقرنه مع رفقائه فتعجب اهل مكة من فروسيته واقدامه ثم عاد الى مضربه وخيامه فاستقبلته عبلة وقبلته وبالنصر والظفر هنأته ونزعت الدرع عن جسده وكان تحت الدرع ثلاثة اثواب من الحرير فراتها قد فنيت بسبب العرق وحك الحديد فالبسته غيرها وضحكت من تخدش جسده وتخلق ثيابه وقالت له يا ابن العم قد اشتهيت غداة غد ان اركب معك واتفرج على قتالك مع الابطال والبس الة الحرب والنزال فقال لها عنترة افعلي ما تريدين يا ابنة العم ولما كان المساء دخل عليه الاصدقاء والخلان وهنأوه بالنصر على بني قحطان فقام اليهم وقبل ايديهم وشكرهم واثنى عليهم هذا ما كان من عنترة الفرسان واما ما كان من عرب قحطان فانهم اجتمعوا عند الملك الاشعث سيد بني كندة وقالوا له اما ترى ما قد جرى بيننا وبين هذا الاسود الزنيم والشيطان الرجيم لقد عجزنا عن قتاله وحربه ونزاله فقال لهم غدًا ابرز اليه واخذ روحه من بين جنبيه ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركبت القبائل واعتدلت الجحافل وطلع السيد عبد المطلب الى الميدان ومن حوله العبيد والغلمان وبرز عنترة الى تلك الامم واقام الحرب على ساق وقدم وركبت بنو عبس وفي اوائلها عنترة الغشمشم وركبت عبلة الى جانبه وهي معممة ملثمة وعلى راسها بيضة عادية وعمامة خزكوفية وقد تقلدت بصفيحة هندية واعتقلت بقناة خطية ووقفت بين ابيها واخيها وفتح عنترة باب الحرب وقفز الى محل الطعن والضرب وصال وجال وطلب براز الابطال. قال الراوي فعند ذلك برز اليه فارس يقال له المرقال بن الجدال يلقب بفاضح الابطال وكان له من العمر ثلاثمائة عام وما قهره احد في الصدام ولا كلت همته من كرور الليالي والايام فاطبق على عنترة

من غير كلام وطلع على الاثنين الغبار والقتام وجالا في ذلك المقام حتى حيرا الانام واشتد بينهما القتال ودام حتى اشرفا على شرب كاس الحمام فخاف عنترة ان تراه عبلة بعين النقصان فدمدم دمدمة الاسد الحردان وحمل على خصمه حتى حك الركاب بالركاب وانقض عليه انقضاض العقاب وصرخ فيه صرخة غاب منها عن الصواب وجذبه من اطواقه وعض عليه فكاد ان يذهب باحداقه ثم دفعه لشيبوب فشده بالكتاف وقوى منه الاطراف فبرز اليه ثان فاسره وثالث فقهره ورابع فدمره وخامس فعفره وما زال يبرز اليه فارس بعد فارس حتى اسر منهم مائة فارس وارجع اكثر من سبعين مجرحين وكان كلما اسر فارساً يسلمه الى شيبوب فيوثقه الى اخر النهار فاقبلت عليه عبلة وقبلته وقالت له يا ابن العم لقد حظيت عندي بالمرام واسرت كل فارس همام وبطل ضرغام وبعد ذلك رجعوا الى المضارب والخيام وقد اقبل الظلام وباتوا في ذلك المقام حتى اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فتواثبوا الى الحرب والكفاح ولبس عنترة السلاح وركب الجواد ودارت به بنو عبس الاجواد وترتبت الابطال الجياد في مقام الحرب والجلاد ثم ان عنترة برز الى الميدان وصال وجال وترنح ومال وانشد وقال

يا آلَ مذحجَ من مراد وخثعمٍ   هل من فتىً حامي العشيرة مقدمِ
قسماً بما في البيت والركن الذي   قد شيدوهُ من قريشَ وجرهمِ
لأعلقنَّ قصيدتي من بعد ما   اسقي الفوارس كاس مرِّ علقمِ
وابيد كل مكابرٍ ومعانـــد   ـبٍ في حد سيف مرهف لم يثلمِ
ويظل عبس ينشدون قصيدتي   متهللين بنغمـــةٍ وترنمِ
هل غادر الشعراء من متردمِ   ام هل عرفتَ الدار بعد توهمِ
لو كنتمْ في غير مكة والصفا   لأبدتكم حقاً باسمر لهذمِ

قال الراوي ولما فرغ عنترة من هذا الانشاد خرج اليه فارس يدعى وجه الغول وكان هذا الفارس من بني مراد ونادى ويلك يا عبد السوء ما منعنا من النزول اليك الا الاحتقار والخوف من العار لاننا بعد برازنا السادات الكرام لا نرضى على انفسنا ان نبارز العبيد اللئام ولكن للضرورة احكاماً فقال عنترة ويلك يا ابن الارذال اتعيرني وانت اخس من ان تذكر بين الابطال فلا بد لي ان اقهرك في حومة المجال وافضحك امام الرجال ثم انه حمل عليه ومال بكليته اليه وتطاعنا بالرماح بمقام الحرب والكفاح حتى زهقت منهما الارواح وتعجبت الابطال ما جرى بينهما من القتال ولما ابصر وجه الغول تقصيره مع عنترة اراد ان يحتال عليه فاظهر على نفسه الانهزام حتى اذا تبعه ينكفئ عليه فيهلكه واما عنترة فسل سيفه

من غمده وكرّ وراه فلما رأى وجه الغول ذلك عاد عليه وطعنه في صدره فصلصل الرمح على زرده وهزه ليقتلعه من سرجه فاتكأ عنترة عليه وكسره فجذب سيفه وهمّ ان يضربه به فادهشه عنترة بزعقة قوية وتمكن منه فاقتلعه من سرجه ونادى شيبوب فطلع مثل ريح الهبوب وشد كتافه واوثق انامله واطرافه وطلب عنترة البراز وسال الانجاز فبرز اليه فارس يقال له المقرفع بن مريخ الطاهي وكان فارسًا هجامًا وله من العمر مائتان وخمسون عامًا لا يلقى في المجال بل تخافه جميع الابطال وكان له سيف يسمى الفصال فهجم عليه وضربه بسيفه فاخذها عنترة بالدرقة فقطع قبضتها ونزلت الى البيضة والرفادة فشقتها ووصل ذباب السيف الى راس عنترة فجرحه وشق جبهته واجرى دمه فبلّ لحيته ثم نبه عنترة عزيمته ولاصقه حتى حك الركاب بالركاب والقى سيفه من يده وقبض على خناقه فكاد يذهب باحداقه وجذبه من سرجه فاخذه اسيرًا واعطاه الى شيبوب فشده بالكتاف واوثق سواعده والاطراف وعاد عنترة الى خيامه وضمد جراحه وابدل جواده وصال وجال وطلب براز الابطال وانشد يقول

كم موقف لي فيه الحرب محتكمٌ مع الصوارم والخطية الذبلِ
صدمته بجنان ما الّم به خوف ولا مسهُ نوع من الوجلِ
اني لقيتُ رجالاً لو لقوا بطلاً مثلي لافنامُ حقًا ولم ازلِ
فقلت من شك جهلاً انهُ بطل وانهُ مرغمٌ انفَ الفتى البطلِ
ما الفخر عندي الا في حدود ظبي يومَ الكريهة في الهامات والقللِ
والفخر من ضربة في الراس نافذةٍ او طعنةٍ وشمها في الوجه لم يجلِ
والفخر الحمام مُهري يوم معركة اردي الكماة بمرّانٍ من الاسلِ
بالاسمر اللاون والعضب الصقيل فما قد ناله البطل المغوار في العملِ
اقود كلّ كمي فارسٍ بطلٍ قودَ البعير به ذلٌ من الخبلِ
فاي فخر اذا ما قدتُ سادتكم مصفدينَ لكم بالذل كالابلِ

قال ولما فرغ عنترة من شعره طلب اصحاب القصائد المعلقة فبرز اليه الملك عمرو بن زيد وهو عم طرفة بن العبد وله من العمر مائتان وتسعون من الاعوام وهو بطل همام ولما قارب عنترة خاطبه وقال له ويلك يا اسود يا زنيم يا وغد يا لئيم والله انك فارس نبيل وبطل جليل ولكن اترك عنك زخاريف الاقاويل فقد فعلت ما فعلت واسرت من اسرت وقتلت من قتلت فاعرض عن تعليق القصيد والا بليت بفارس شديد واعلم اني ما خرجت اليك الا لاقضي عليك فقال له عنترة هيهات خاب والله املك وما ترجوه من شقشقة لسانك وهذيان

كلا ملك لاسيما وقد اخذت وجوه بني قحطان ولا بد لي ان ارديك في هذا المكان ثم حمل عليه فالتقاه عمرو وتطاعنا بالرماح الدقاق والسيوف الرقاق وهما على ظهور الخيل العتاق حتى ضاق بهما ضيق الخناق وازبدت الاشداق واحمرت الاحداق وقارب فراغ النهار من الاشراق واقبل الليل بالاغساق فطلب عنترة الانجاز وكره التطويل في البراز فالقى الرمح من يده ومسك عمرًا من اطواق درعه وجذبه من رجله عن مركبه ونادى شيبوب فاوثقه وهم عنترة بالعودة الى خيامه واذا بفارس قد انقض عليه وحمل عليه ومال بكليته اليه وكان اسم ذلك الفارس فهر ويلقب ببرارة النسر فعاد اليه عنترة وقال له عد الى الصباح وحينئذ دونك او الكفاح فقال ما بقي لك براح الا بقبض الارواح او تطلق لاخي السراح فقال له عنترة اما اطلاقه فبعيد واما انت فسوف اقرنك اليه ثم هجم عليه وطعنه في جنبه قلبه ورماه عن مركبه فبادره شيبوب على ما سبق من افعاله ثم عاد الى الخيام وقد اقبل الظلام وباتوا الى الصباح فركبت الفرسان الجرد القداح وقصدت مكان الكفاح واذ قد طلع عبد المطلب وبني هاشم حواليه واولاده بين يديه واصطفت القبائل وترتبت الجحافل واقتحم عنترة مقام القتال وطلب الحرب والنزال فبرز اليه ابو المقداد وكان يلقب بسيف بكر وكان له من العمر نحو ثلثمايةسنة لانه حضر نوبة البسوس مع كليب والمهلهل وقاتل كل فارس دعسوس ورجالاً تضرب بهما الامثال فحمل على عنترة واظهر له اثني عشر بابًا من الحرب وخدائع الطعن والضرب وكلما فتح احدهما بابًا سده الاخر عليه بستر وحجاب حتى كلت زنودهما ونضجت كبودهما وبذلا مجهودهما وعلا عليهما الغبار وغابا عن الابصار واختلفت بينهما ضربتان فاصلتان وكان السابق ابو المقداد فلما راى عنترة ان الرمح وصل اليه لكمه بيده فطيره اربع قطع ومسكه من موخر درعه وجذبه من رجله عن مركبه فبادره شيبوب وشده بالكتاف وقوى منه السواعد والاطراف وطلب البراز وسال الانجاز فبرز اليه فارس شديد قسور وهو اعور لان الحارث اليشكري فارس بني يشكر كان يظنه انه من بني ثعلبة فاتلف له عينه واطبق هذا على عنترة وفي ظنه انه يقلعه من سرجه فلم يقدر وكبس عليه عنترة بجبله وحيل الجواد وزعق عليه فاخذ رمحه من يده وضربه به عرضًا على اكتافه فوقع الى الارض فسلمه الى شيبوب وعاد الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه الحارث اليشكري وكان له قصيدة على البيت الحرام فحمل على عنترة والتقيا بابواب حسان حتى تحيرت من افعالهما الفرسان وكلت منهما الساعدان وملّ الجوادان فقال له الحارث هل لك في الصراع وتتركا من الحرب والقراع فقال له عنترة اي وابيك لاني في الحرب منصف وفي السلم مسعف

ثم ترجلا عن الجوادين وخلعا الدرعين واصطدما بالراسين كصدام مركبين وما زالا يتعاركان ويتعالجان حتى كلاّ وملاّ فعند ذلك دخل الحارث على عنترة وقبض عليه من وسطه وضغط على رقبته وهزه فالقاه تحته فقبض عنترة على فخذه وادخل راسه بين ساقيه ورفعه على كتفيه واراد ان يحمله كذلك الى عند بني عبس فلطم الحارث راسه حتى كاد ان يخمد انفاسه فشاله عنترة بين يديه حتى بان سواد ابطيه وجلد به الارض فكاد ان يقضي عليه وانفجر الدم من منخريه فادركه شيبوب واوثقه وعاد عنترة وطلب البراز وسرعة الانجاز فبرز اليه السميدع بن العميسع وكان سفاكا للدما هجاما يوم الوغى وكان في يده مايتا ضربة بالسيف وثمانون طعنة رمح وثلاثون نبلة وكان عمره مايتين وخمسين عاما وما هذبه الكبر بل زاده جهلاً لاجل ما عبر عليه من السنين وكانت همته مثل همة الصارم الذكر فطلع ذلك اليوم وحمل على عنترة وضربه بسيفه فالتقاه عنترة بقبة درقته فاطار سيفه من عند قبضته ومد يده الى خناقه وضغط عليه فكاد يذهب باحداقه وغشي عليه فلما افاق وجد نفسه بين يدي شيبوب موثوقا وبرز اخر يقال له الطياح ويكنى باكال الاكباد وآفة العباد لانه كان اذا نزل الى الميدان وقتل اي من قتل من الفرسان يامر عبيده ان تشق بطون القتلى وياتوه باكبادهم فيصنعونها له طعاما ويتفكه بها عند رشف المدام فخرج ذلك اليوم الى عنترة وناداه ويلك سلم نفسك والا قتلتك وشققت بطنك واكلت كبدك الا تعلم ان اسمي اكال الاكباد وآفة العباد فقال له عنترة ان كنت انت اكال الاكباد فانا عنترة بن شداد وان كنت آفة العباد فانا اليوم اكبلك في الاصفاد ثم انه حمل عليه فجرى بينهما حرب عوان تذيب منه الولدان حتى مضى ذلك النهار وثار عليهما الغبار فطعن الطياح عنترة فجرحه واجرى دمه على لحيته فلما رأى عنترة منه ذلك هجم عليه وخطفه من بحر سرجه وجلد به الارض ادخل طوله في العرض

الكتاب الثمانون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

وصال وجال وطلب الحرب والقتال فبرز اليه فارس يقال له علقمة بن سيف التغلبي وكان يلقب بقلاع الاذان وآفة الزمان لانه كان اذا غضب على الانسان يقبض على اذنيه ويجذبهما فيقلعهما وكانت خيوله بلا اذان فبرز الى عنترة وزعق فيه ويلك يا انذل السودان احترس على نفسك من قلع الاذان فانا حاوي قصب الرهان فسلم نفسك الي باامان ولك مني الذمام

فزعق عليه عنترة وقال له ويلك يااقرنان ان كنت انت قلاع الاذان فانا عنترة الفرسان واليوم افضحك في هذا المكان واتركك بلا اذان واخذ منك بالثار لكل من اخذت اذانه فيما سبق لك من سالف الزمان الى الان ثم حمل عليه بعد ذلك الكلام وتطاعنا بالرماح حتى زهقت منها الارواح وتضاربا بالصفاح حتى جرت الدما من الجراح وبعد ذلك رفع عنترة يده وضرب بها على راسه كاد ان يخمد انفاسه وغشي عليه فتقدم عنترة اليه ومسكه من اذنيه فانتزعها منه ثم سلمه الى شيبوب وطلب البراز فبرز اليه فارس يقال له عقاب بن جابر فحمل عليه من غير خطاب وطعنه بعقب الرمح فالقاه الى الارض وشده شيبوب كتافاً بعدما كان جسده قد ارتض وعاد الى الميدان فتلقاه واذا بالملك زمعه بن سكران قد هجم عليه فالتقاه وتضاربا وتطاعنا الى ان عول النهار على الارتحال فخاف عنترة ان ينقضي وما يبلغ من خصمه الامال فمال اليه والقى الرمح من يده ومسكه من جلباب درعه واقتلعه من صهوة جواده وسلمه الى شيبوب ورجع الى الخيام وكان قد اظلم الظلام ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ثارت الطوائف الى الحرب والكفاح وشهرت السلاح ولم يبق في الخيام الا من هو مثخن بالجراح وقد اعتدلت الصفوف وترتبت الالوف وضاق البر بالخلق وامتلا الغرب والشرق فعند ذلك خرج عنترة الى الميدان ونادى بصوته الجهر اين اصحاب القصائد المعلقات ليبرزوا اليّ والا وحق الملك المتعال كل من تاخر مزقت قصيدته ورميت بها من فوق البيت الحرام وفضحته بين الانام وما اتم كلامه حتى خرج اليه امرء القيس بن حجر الكندي صاحب القصيدة المعلقة الذي شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالفصاحة حيث قال. امرء القيس حامل لواء الشعراء في النار وحسان بن ثابت يقود طائفة منهم الى الجنة الا ان امرء القيس لما برز الى عنترة في ذلك اليوم قال له يافارس الزمان ونتيجة العصر والاوان قد بلغني انك فصيح اللسان ثابت الجنان موقد نار الحرب اذا بردت ومصطليها اذا تسعرت واضرمت ولو لم يكن تسبك معتلاً لما كنا خالفناك فقال له عنترة وهل انت من اصحاب القصائد المعلقات قال نعم فقال ايهم انت قال انا امرء القيس فقال له عنترة انشدني اياها فقال

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعفُ رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمأل
وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم ... يقولون لا تهلك اسىً وتجمّلِ
وانّ شفائي عبرة مهراقة ... فهل عند رسم دارس من معوّلِ
كدأبك من امّ الحويرث قبلها ... وجارتها ام الرباب بمأسلِ

اذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل
ففاضت دموع العين مني صبابة على النحر حتى بل دمعي محملي
الا رب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل
ويوم عقرت للعذارى مطيتي فيا عجبا من رحلها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات انك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معًا عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
فقلت لها سيري وارخي زمامه ولا تبعديني من جناك المعلل
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فالهيتها عن ذي تمائم محول
اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وتحتي شقها لم يحول
ويومًا على ظهر الكثيب تعذرت علي وآلت حلفة لم تحلل
أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي
اغرك مني ان حبك قاتلي وانك مهما تأمري القلب يفعل
وان تك قد ساءتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
وما ذرفت عيناك الا لتضربي بسهميك في اعشار قلب مقتل
وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل
تجاوزت احراسا اليها ومعشرًا علي حراصًا لو يسرون مقتلي
اذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض اثناء الوشاح المفصل
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر الا لبسة المتفضل
فقالت يمين الله مالك حيلة وما ان ارى عنك الغواية تنجلي
خرجت بها امشي تجر وراءنا على اثرنا اذيال مرط مرحل
فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي قفاف عقنقل
هصرت بفودي راسها فتمايلت علي هضيم الكشح ريا المخلخل
مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل
كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير محلل
تصد وتبدي عن اسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش   اذا هي نصته ولا بمعطل
وفرع يزين المتن اسود فاحم   اثيث كقنو النخلة المتعثكل
غدائره مستشزرات الى العلى   تضل العقاص في مثنى ومرسل
وكشح لطيف كالجديل مخصر   وساق كانبوب السقي المذلل
وتضحي فتيت المسك فوق فراشها   نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
وتعطو برخص غير شثن كانه   اساريع ظبي او مساويك اسحل
تضيء الظلام بالعشاء كانها   منارة ممسى راهب متبتل
الى مثلها يرنو الحليم صبابة   اذا ما اسبكرت بين درع ومجول
تسلت عمايات الرجال عن الصبا   وليس فؤادي عن هواك بمنسل
ألا رب خصم فيك الوى رددته   نصيح على تعذاله غير مؤتل
وليل كموج البحر مرخى سدوله   عليّ بانواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه   واردف اعجازا وناء بكلكل
الا ايها الليل الطويل ألا انجلي   بصبح وما الاصباح منك بامثل
فيا لك من ليل كان نجومه   بكل مغار الفتل شدت بيذبل
كان الثريا علقت في مصامها   بامراس كتان الى صم جندل
وقربة اقوام جعلت عصامها   على كاهل مني ذلول مرحل
وواد كجوف العير قفر قطعته   به الذئب يعوي كالخليع المعيل
فقلت له لما عوى ان شاننا   قليل الغنى ان كنت لما تمول
كلانا اذا ما نال شيئا افاته   ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل
وقد اغتدي والطير في وكناتها   بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا   كجلمود صخر حطه السيل من علِ
كميت يزل اللبد عن حال متنه   كما زلت الصفواء بالمتنزل
على الذبل جياش كان اهتزامه   اذا جاش فيه حميه غلي مرجل
مسح اذا ما السابحات على الونا   اثرن الغبار بالكديد المركل
يزل الغلام الخف عن صهواته   ويلوي باثواب العنيف المثقل
درير كخذروف الوليد امره   تتابع كفيه بخيط موصل
له أيطلا ظبي وساقا نعامة   وارخاء سرحان وتقريب تتفل

ضليع اذا استدبرته سد فرجه ... بضاف فويق الارض ليس باعزل

كان على المتنين منه اذا انتحى ... مداك عروس او صلاية حنظل

كان دماء الهاديات بنحره ... عصارة حناء بشيب مرجل

فعن لنا سرب كان نعاجه ... عذارى دوار في ملاء مذيل

فادبرن كالجذع المفصل بينه ... بجيد معم في العشيرة مخول

فالحقه بالهاديات ودونه ... جواحرها في صرة لم تزيل

فعادى عداء بين ثور ونعجة ... دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

فظل طهاة اللحم من بين منضج ... صفيف شواء او قدير معجل

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه ... متى ما ترق العين فيه تسهل

فبات عليه سرجه ولجامه ... وبات بعيني قائما غير مرسل

اصاح ترى برقا اريك وميضه ... كلمع اليدين في حبي مكلل

يضيء سناه او مصابيح راهب ... اهان السليط بالذبال المفتل

قعدت له وصحبتي بين ضارج ... وبين العذيب بعد ما متاملي

على قطن بالشيم ايمن صوبه ... وايسره على الستار فيذبل

فاضحى يسح الماء حول كتيفة ... يكب على الاذقان دوح الكنهبل

ومر على القنان من نفيانه ... فانزل منه العصم من كل منزل

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ... ولا اطما الا مشيدا بجندل

كان ثبيرا في عرانين وبله ... كبير اناس في بجاد مزمل

كان ذرى راس المجيمر غدوة ... من السيل والاغثاء فلكة مغزل

والقى بصحراء الغبيط بعاعه ... نزول اليماني ذي العياب المحمل

كان مكاكي الجواء غدية ... صبحن سلافا من رحيق مفلفل

كان السباع فيه غرقى عشية ... بارجائه القصوى انابيش عنصل

قال فلما سمع عنترة من امره القيس هذه الابيات تعجب من حسن معانيها ورقة قوافيها فقال له امره القيس ومع هذا كله اقراننا لسنا قطرة من تيارك ولا شرارة من نارك فوالله لولا حيائي من الرجال الحاضرين وانا من اصحاب القصائد المعلقات ما كنت حاربتك ولكن احمل علي وانا احمل عليك من غير ان توصل الاذية الي ولا اوصلها اليك واذا عقد علينا الغبار سلمت روحي اليك فقال له عنترة والله يا مولاي لو لم اكن بدأت في امر لا بد لي منه لما كنت

قاتلت سيداً مثلك ثم انه حمل عليه حتى ثار الغبار فنزل امرؤ القيس عن ظهر الجواد وترجل فكتفة شيبوب ونادى عنترة ياللعرب والله لا ابقيت على رجل من اهل الفصاحة الا السيد عبد المطلب ابن اصحاب القصائد الذين جعلوها كالاعلام حول البيت الحرام وسجد لها كل قاص ودان فوالله لابد لي ان اخذ الجميع اسارى بالذل والهوان واعلق قصيدتي على البيت الحرام ثم صاح هيا ابرزوا فارسًا لفارس عشرة لفارس مئة لفارس الفا لفارس وان اردتم قلة العدل والانصاف فاحملوا علي بجمعكم فانا كفوء لكم وما اتم الكلام حتى برز اليه فارس من فوارس الجاهلية المشهورة يقال له زهير بن ابي سلمى وكان فصيح بني غطفان فلما صار قدام عنترة الفرسان قال له ويلك ماذا تريد ان تبلغ بفعالك هل مرادك تصل الى ما وصل اليه اصحاب القصائد المعلقات الم تسمع قصيدتي التي شهد بها الجميع انها افصح القصائد فقال له عنترة وهل انت من اصحاب القصائد المعلقة قال نعم فقال له اسمعني اياها فعند ذلك انشد زهير يقول

أمن امّ اوفى دمنةٌ لم تكلمِ ... بحومانةِ الدرّاج فالمتثلمِ
ديارٌ لها بالرقمتين كانها ... مراجعُ وشم في نواشر معصمِ
بها العين والآرآم يمشين خلفةً ... واطلاؤها ينهضن من كل مجثمِ
وقفت بها من بعد عشرين حجةً ... فلأياً عرفت الدار بعد توهمِ
أثافيَّ سفعًا في معرّس مرجل ... ونؤيًا كجذم الحوض لم يتثلمِ
فلما عرفت الدار قلت لربعها ... الا انعم صباحًا ايها الربع واسلمِ
تبصر خليلي هل ترى من ظعائن ... تحملن بالعلياء من فوق جرثمِ
جعلن القنانَ عن يمين وحزنهُ ... وكم بالقنان من محلٍّ ومحرمِ
وعالينَ انماطًا عتاقًا وكلّةً ... وراد الحواشي لونها لون عندمِ
ظهرنَ من السوبان ثمّ جزعنهُ ... على كل قيني قشيب ومفامِ
ووركنَ بالسوبان يعلون متنهُ ... عليهنّ دلُّ الناعم المتنعمِ
كأنّ فتات العهن في كل منزل ... نزلنَ به حب الفنا لم يحطمِ
فلما وردنَ الماء زرقًا جمامهُ ... وضعنَ عصيّ الحاضر المتخيمِ
فاقسمت بالبيت الذي طاف حولهُ ... رجال بنوهُ من قريش وجرهمِ
يمينًا لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سحيل ومبرمِ
سعى ساعيًا غيظ ابن مرة بعد ما ... تبزل ما بين العشيرة بالدمِ

تداركتما عبسًا وذبيان بعد ما   تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما ان ندرك السلم واسعًا   بمال ومعروف من القول نسلم
فاصبحتما منها على خير موطن   بعيدين فيها من عقوق ومأثم
عظيمين في عليا معدٍّ هديتما   ومن يستبح كنزًا من المجد يعظم
تعفى الكلوم بالمئين فاصبحت   ينجمها من ليس فيها بمجرم
ينجمها قومٌ لقوم غرامة   ولم يهريقوا بينهم ملء محجم
واصبح يجري فيهم من تلادكم   مغانم شتى من افال مزنم
الا أبلغ الاحلاف عني رسالة   وذبيان هل اقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن الله ما في صدوركم   ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر   ليوم الحساب او يعجل فينقم
وما الحرب الا ما علمتم وذقتمُ   وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة   وتضرَ اذا ضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثفالها   وتلقح كشافًا ثم تنتج فتتئم
فتنتج لكم غلمان اشأم كلهم   كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم
فتغلل لكم ما لا تغل لاهلها   قرًى بالعراق من قفيز ودرهم
لعمري لنعم الحي جر عليهم   بما لا يواتيهم حصين بن ضمضم
وكان طوى كشحًا على مستكنة   فلا هو ابداها ولم يتقدم
وقال ساقضي حاجتي ثم اتقي   عدوي بالف من ورائي ملجم
فشد ولم يفزع بيوتًا كثيرةً   لدى حيث القت رحلها ام قشعم
لدى اسد شاكي السلاح مقاذف   له لبدٌ اظفاره لم تقلم
جريءٌ متى يظلم يعاقب بظلمه   سريعًا والا يبد بالظلم يظلم
رعوا ما رعوا من ظمئهم ثم اوردوا   غمارًا تفرى بالسلاح وبالدم
فقضوا منايا بينهم ثم اصدروا   الى كلاء مستوبل متوخم
لعمرك ما جرت عليهم رماحهم   دم ابن نهيك او قتيل المثلم
ولا شاركت في الموت في دم نوفل   ولا وهب فيها ولا ابن المخزم
فكلا اراهم اصبحوا يعقلونه   علالة الف بعد الف مصتم
لحيٍّ حلال يعصم الناس امرهم   اذا طرقت احدى الليالي بمعظم

كرام فلا ذو الضغن يدرك تبلهٔ ... ولا الجارم الجاني عليهم بسلم
سئمت تكاليف الحيوة ومن يعش ... ثمانين حولاً لا ابالك يسام
واعلم ما في اليوم والامس قبلهٔ ... ولكنني عن علم ما في غد عم
رايت المنايا خبط عشواء من تصب ... تمتهٔ ومن تخطي يعمر فيهرم
ومن لا يصانع في امور كثيرة ... يضرّس بانياب ويوطأ بمنسم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنهٔ ويذمم
ومن يوف لا يذمم ومن يهدَ قلبهٔ ... الى مطمئن البر لا يتجمجم
ومن هاب اسباب المنايا ينلنهٔ ... ولو رام اسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفرهُ ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يعص اطراف الزجاج فانهٔ ... مطيع العوالي ركبت كل لهذم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدّم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغترب يحسب عدوًّا صديقهٔ ... ومن لا يكرّم نفسهٔ لا يكرّم
ومهما يكن عند امرءٍ من خليقة ... ولو خالها تخفى على الناس تعلم
وكم من تراهُ صامتًا لك معجبًا ... زيادتهٔ او نقصهٔ في التكلم
لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فوادهُ ... فلم يبقَ الا صورة اللحم والدم
وان سفاه الشيخ لا حلم بعده ... وان الفتى بعد السفاهة يحلم
سالنا فاعطيتم وعدنا فعدتمُ ... ومن اكثر التسآل يومًا سيحرم

ولما سمع عنترة قصيدة زهير بن ابي سلمى قال له والله ستعلمون درجتي اذا قهرت ارباب الفصاحة ثم انهٔ حمل عليهِ وصرخ فيهِ صرخة فضعضعهٔ وتعتعهٔ ومد يده فاخذه اسيرًا ثم انهٔ صاح دعوا عنكم المطال والزلل فاني في امري على عجل واشار الى بني عامر وقال اين فصيحكم لبيد العامري مالي اراه لا يبدو ولا يتكلم فاغتاظ لبيد من كلامهِ وقفز اليهِ في الحال وصار قدامهٔ فقال لهٔ عنترة انت لبيد صاحب القصيدة المعلقة فقال نعم فقال اسمعني اياها فانشد لبيد يقول

عفت الديار محلّها فمقامها ... بمنى تأبّد غولها فرجامها
فمدافع الريان عريَ رسمها ... خلقًا كما ضمن الوحيَّ سلامها
دمنٌ تجرّم بعد عهد انيسها ... حججٌ خلون حلالها وحرامها
رُزقت مرابيع النجوم وصابها ... ودق الرواعد جودُها فرهامها

من كل ساريةٍ وغادٍ مدجنٍ   وعشيةٍ متجاوبٍ ارزامها
فعلا فروع الايهقان واطفلت   بالجلهتين ظباؤها ونعامها
والعين ساكنةٌ على اطلائها   عوذًا تاجل بالفضاء بهامها
وجلا السيول عن الطلول كانها   زُبرٌ تجدُّ متونها اقلامها
اورجع واشمةٍ أُسفَّ نؤورها   كففًا تعرّض فوقهنّ وشامها
فوقفت اسألها وكيف سؤالنا   صمًّا خوالد ما يبين كلامها
عريت وكان بها الجميع فابكروا   منها وغودر نؤيها وثمامها
شاقتك ظعن الحي حين تحملوا   فتكنسوا قطنًا تصر خيامها
من كل محفوفٍ يظلُّ عصيه   زوجٌ عليه كلّةٌ وقرامها
حفزت وزايلها السراب كانها   اجزاع بيشة اثلها ورضامها
بل ما تذكر من نوار وقد نأت   وتقطعت اسبابها ورمامها
مرّيةٌ حلت بفيدَ وجاورت   اهل الحجاز فاين منك مرامها
بمشارق الجبلين او بمحجرٍ   فتضمنتها فردةٌ فرخامها
فصوائقٌ ان ايمنت فمظنةٌ   منها وحاف القهر او طلخامها
فاقطع لبانة من تعرض وصله   ولشرُّ واصل خلة صرّامها
واحبُ المجامل بالجميل وصرمه   باقٍ اذا ضلعت وزاغ قوامها
بطليحِ اسفارٍ تركن بقيةً   منها فاحنق صلبها وسنامها
فاذا تغالى لحمها وتحسرت   وتقطعت بعد الكلال خدامها
فلها هباب في الزمام كانها   صهباء راح مع النسيم جهامها
او ملمع وسقت لاحقب لاحه   طرد الفحول وضربها وكدامها
يعلو بها حدب الاكام مسحجًا   قد رابه عصيانها ووحامها
باحزة الثلبوت يربأ فوقها   قفر المراقب خوفها آرامها
حتى اذا سلخا جمادى ستة   جزأً فطال صيامه وصيامها
رجعا بامرهما الى ذي مرة   حصد ونجح صريمة ابرامها
ورمى دوابرها السفا وتهيجت   ريح المصايف سومها وسهامها
فتنازعا سبطًا يطير ظلاله   كدخان مشعلة يشب ضرامها
مشمولةٍ غلثت بنابت عرفجٍ   كدخان نارٍ ساطعٍ اسنامها

فمضى وقدمها وكانت عادة … منه اذا هي عرّدت اقدامها
فتوسطا عرض السريّ وصدعا … مسجورة متجاورًا قلّامها
محفوفة وسط اليراع يظلها … منه مصرّع غابة وقيامها
افتلك ام وحشية مسبوعة … خذلت وهادية الصوار قوامها
خنساء ضيعت الفرير فلم يرم … عرض الشقايق طوفها وبغامها
لمعفر قهد تنازع شلوهُ … غبس كواسب ما يمنّ طعامها
صادفن منها غرّة فاصبنها … ان المنايا لا تطيش سهامها
باتت واسبل واكف من ديمة … يروي الخمايل دائمًا تسجامها
تجتاف اصلاً قالصًا متنبذًا … بعجوب انقاء يميل هيامها
يعلو طريقة متنها متواترًا … في ليلة كفر النجوم غمامها
وتضيء في وجه الظلام منيرة … كجمانة البحريّ سلّ نظامها
حتى اذا انحسر الظلام واسفرت … بكرت تزلّ عن الثرى ازلامها
علهت تبلد في نهاء صعائد … سبعًا تؤامًا كاملاً ايامها
حتى اذا يئست واسحق حالقٌ … لم يبله ارضاعها وفطامها
وتوجست رزّ الانيس فراعها … عن ظهر غيب والانيس سقامها
فغدت كلا الفرجين تحسب انه … مولى المخافة خلفها وامامها
حتى اذا يئس الرماة وارسلوا … غضفًا دواجن قافلاً اعصامها
فلحقن واعتكرت لها مدرية … كالسمهرية حدها وتمامها
لتذودهن وايقنت ان لم تذد … ان قد احمّ من الحتوف حمامها
فتقصدت منها كساب فضرّجت … بدم وغودر في المكرّ سحامها
فبتلك اذ رقص اللوامع بالضحى … واجتاب اردية السراب اكامها
اقضي اللبانة لا افرّط ريبة … او ان يلوم بحاجة لوامها
اولم تكن تدري نوارُ بانني … وصّال عقد حبايل جذّامها
ترّاك امكنة اذا لم ارضها … او يرتبط بعض النفوس حمامها
بل انتِ لا تدرين كم من ليلة … طلق لذيذ لهوها وندامها
قد بتّ سامرها وغاية تاجر … وافيت اذ رفعت وعزّ مدامها
اغلي السباء بكل ادكن عاتق … اوجونة قدحت وفضّ ختامها

بصبوح صافيةٍ وجذب كرينةٍ   بموتر تأتالــــه ابهامها
باكرت حاجتها الدجاجَ بسحرةٍ   لأُعلّ منها حين هبّ نيامها
وغداة ريح قد وزعت وقرّة   قد اصبحت بيد الشمال زمامهــا
ولقد حميت الحي تحمل شكتي   فرطٌ وشاحي اذ غدوت لجامها
فعلوت مرتقبًا على مرهوبة   حرج الى اعلامهن قتامهــا
حتى اذا القت يدًا في كافر   واجنّ عورات الثغور ظلامها
اسهلت وانتصبت كجذع منيفة   جرداء يحصر دونها جرّامهــا
رفعتها طرد النعام وفوقهُ   حتى اذا سخنت وخفّ عظامها
ترقى وتطعن في العنان وتنتحي   ورد الحمامة اذ أجدّ حمامها
قلقت رحالتها واسبل نحرها   وابتلّ من زبد الحميم حزامها
وكثيرة غرباؤها مجهولة   ترجى نوافلها ويخشى ذامها
غلب تشذر بالذحول كأنها   جنّ البديّ رواسيًا اقدامها
انكرت باطلها وبؤت بحقها   يومًا ولم يفخر عليّ كرامها
وجزور ايسارٍ دعوت لحتفها   بمغالقٍ متشابهٍ اعلامها
ادعو بهنّ لعاقر او مطفلٍ   بذلت لجيران الجميع لحامها
فالضيف والجار القريب كأنما   هبطا تبالة مخصبًا اهضامها
تأوي الى الاطناب كل رذيةٍ   مثل البلية قالصٍ اهدامها
ويكللون اذا الرياح تناوحت   خلجًا تمد شوارعًا ايتامها
انا اذا التقت المجامع لم يزل   منا لزاز عظيمةٍ جشامها
ومقسّمٌ يعطي العشيرة حقها   ومغذمرٌ لحقوقها هضامها
فضلاً وذو كرمٍ يعين على الندى   سمح كسوب رغائبٍ غنامها
من معشرٍ سنت لها آباؤهم   ولكل قومٍ سنة وامامها
ان يفزعوا تلقَ المغافر عندهم   والسنّ يلمع والكواكب لامها
لا يطبعون ولا تبور فعالهم   بل لا تميل مع الهوى احلامها
فبنوا لنا بيتًا رفيعًا سمكهُ   فسما اليه كهلها وغلامها
فاقنع بما قسم المليك فانما   قسم المعايش بيننا علامها
واذا الامانة قسمت في معشرٍ   اوفى باعظم حظنا قسامها

فهم السعاة اذا العشيرة افظعت　　وهمُ فوارسها وهم حكامها
وهم ربيعٌ للمجاور فيهم　　والمرملات اذا تطاول عامها
وهم العشيرة ان يبطئَ حاسدٌ　　اوان يلوم مع العدا لوامها

قال فلما سمع عنترة قصيدته قال له دونك والطعان وخلِّ عنك الهذيان وشقشقة اللسان فسوف تسمع قصيدتي وتبصر ما يكون بيني وبينك هولاء الفرسان ثم حمل عليهِ فلم تكن الا ساعة حتى طعنهُ فارداه وعلى وجه الارض دحاه فبادره شيبوب واوثقهُ وعاد عنترة طالباً البراز وسال الانجاز من اصحاب القصائد المعلقات واذا بصرخة ادوت منها الجبال كانها الرعد القاصف فشخصت له الحضار واحدقت الابصار واذا به الاعشى بن ميمون بن قيس قد هجم على عنترة كانهُ البرق الخاطف او الرعد القاصف فقال السيد عبد المطلب لعنترة يا ابا الفوارس هذا الذي بقي من اصحاب القصائد وهو فريد دهره ونتيجة عصره فلما سمع عنترة من عبد المطلب ذلك الكلام وراٰهُ يثني على ذلك الغلام صاح عليهِ قف ويلك وسكن جاشك فان كنت انت من اصحاب المعلقات الابطال انشدني قصيدتك في الحال فانبرى في ذلك وانشد وقال

ودع هريرة ان الركب مرتحلُ　　وهل تطيق وداعاً ايها الرجلُ
غرّاء فرعاء مصقولٌ عوارضها　　تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوجلُ
كانّ مشيتها من بيت جارتها　　مرَّ السحابة لا ريثٌ ولا عجلُ
تسمع الحلي وسواساً اذا انصرفت　　كما استعان بريح عشرق زجلُ
ليست كمن يكره الجيران طلعتها　　ولا تراها لسر الجار تختتلُ
يكاد يصرعها لولا تشددها　　اذا تقوم الى جاراتها الكسل
اذا تلاعب قرناً ساعة فترت　　وارتجّ منها ذنوب المتن والكفلُ
صفر الوشاح وملء الدرع بهكنة　　اذا تاتى يكاد الخصر ينخذلُ
نعم الضجيع غداة الدجن يصرعها　　للذة المرء لا جافٍ ولا تفلُ
هركولة فنق درم مرافقها　　كان اخمصها بالشوك منتعلُ
اذا تقوم يفوح المسك اصورة　　والزنبق الورد من اردانها شملُ
ما روضة من رياض الحزن معشبة　　خضراء جاد عليها مسبلٌ هطلُ
يضاحك الشمس منها كوكب شرقٌ　　موزرٌ بعميم النبت مكتهلُ
يوماً باطيب منها نشر رائحةٍ　　ولا باحسن منها اذ دنا الاصلُ

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً   غيري وعلق اخرى غيرها الرجلُ
وعلقته فتاة ما يحاولها   ومن بني عمها ميت بها وهلُ
وعلقتني اخرى ما تلائمني   فاجمع الحب حب كله تبلُ
فكلنا مغرم يهذي بصاحبه   ناء ودان ومخبول ومختبلُ
صدت هريرة عنا ما تكلمنا   جهلاً بام خليد حبل من تصلُ
أأن رات رجلاً اعشى اضر به   ريب المنون ودهر مفند خبلُ
قالت هريرة لما جئت زائرها   ويل عليك وويل منك يا رجلُ
اما ترينا حفاة لا نعال لنا   انا كذلك ما نحفى وننتعلُ
وقد اخالس رب البيت غفلته   وقد يحاذر مني ثم ما يئلُ
وقد اقود الصبا يوماً فيتبعني   وقد يصاحبني ذو الشرة الغزلُ
وقد غدوت الى الحانوت يتبعني   شاو مشل شلول شلشل شالُ
في فتية كسيوف الهند قد علموا   أن هالك كل من يحفى وينتعلُ
نازعتهم قضب الريحان متكئاً   وقهوة مزة راووقها خضلُ
لا يستفيقون منها وهي راهنة   الا بهات وان علوا وان نهلوا
يسعى بها ذو زجاجات له نطف   مقلص اسفل السربال معتملُ
ومستجيب تخال الصنج يسمعه   اذا ترجع فيه القينة الفضلُ
والساحبات ذيول الريط اونة   والرافلات على اعجازها العجلُ
من كل ذلك يوم قد لهوت به   وفي التجارب طول اللهو والغزلُ
وبلدة مثل ظهر الترس موحشة   للجن بالليل في حافاتها زجلُ
لا يتنمى لها بالقيظ يركبها   الا الذين لهم في ما اتوا مهلُ
جاوزتها بطليح جسرة سرح   في مرفقيها اذا استعرضتها فتلُ
بل هل ترى عارضاً قد بت ارمقه   كانما البرق في حافاته شعلُ
له رداف وجوز مفام عمل   منطق بسجال الماء متصلُ
لم يلهني اللهو عنه حين ارقبه   ولا اللذاذة من كاس ولا ثقلُ
فقلت للشرب في درنا وقد ثملوا   شيموا وكيف يشيم الشارب الثملُ
قالوا نمار فبطن الخال جادهما   فالعسجدية فالابلاء فالرجلُ
فالسفح يجري فخنزير فبرقته   حتى تدافع منه الربو فالحبلُ

حتى تحمل منه الماء تكلفة   روض القطا فكثيب الغينة السهل
يسقي ديار الها قد اصبحت غرضاً   زور التجانف عنها القود والرسل
ابلغ يزيد بني شيبان مالكة   ابا ثبيت اما تنفك تاتكل
الست منتهياً عن نحت اثلتنا   ولست ضائرها ما اطت الابل
كناطح صخرة يوماً ليفلقها   فلم يضرها واوهى قرنه الوعل
تغري بنا رهط مسعود واخوته   عند اللقاء فتردى ثم تعتزل
لا اعرفنك ان جدت عداوتنا   وراية النصر منكم عوض تحتمل
تلزم ارماح ذي الجد بن سورتنا   عند اللقاء فترديهم وتعتزل
لا تقعدن وقد آكلتها حطباً   نعوذ من شرها يوماً وتبتهل
سائل بني اسد عنا فقد علموا   ان سوف ياتيك من انبائنا شكل
واسال قشيراً وعبد الله كلهم   واسال ربيعة عنا كيف نفتعل
انا نقاتلهم حتى نقتلهم   عند اللقاء وان جاروا وان جهلوا
قد كان في آل كهف ان هم احتركوا والجاشرية ما نسعى ونتتضل
اني لعمر التي حطت مناسمها   تخدي وسيق اليه الباقر الغيل
لئن قتلتم عميداً لم يكن صدداً   لنقتلن مثله منكم فنمتثل
لئن منيت بنا عن غب معركة   لا تلفنا عن دماء القوم ننتفل
لا تنتهون ولن ينهى ذوي شطط   كالطعن يهلك فيه الزيت والفتل
حتى يظل عميد القوم مرتفقاً   بالراح يدفع عنه نسوة عجل
اصابه هندواني فاقصده   او ذابل من رماح الخط معتدل
كلا زعمتم بانا لا نقاتلكم   انا لامثالكم يا قومنا قتل
نحن الفوارس يوم الحنو ضاحية   جنبي فطيمة لا ميل ولا عزل
قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا   او تنزلون فانا معشر نزل
قد نخضب العير من مكنون فائله   وقد يشيط على ارماحنا البطل

قال الراوي ثم ان الاعشى حمل على عنترة فلم يطاوله الاخر دون ان حمل عليه وجذبه على زنده كالعصفور في يد الباشق الكسور وقد تعجبت من قتالهما الحضار وبعد ذلك انسدلت غياهب الظلام ورجع الكل الى المضارب والخيام وقدامهم السيد عبد المطلب الهمام ولما ساروا نحو الخيام اجتمع السيد عبد المطلب بعنترة وقال له يا حاوي قصب الرهان ما

بقي من اصحاب القصائد احد فاذا كان غداة غد ابرز الى الميدان فان بارزك اصحابهم كان خيرًا والا فاجتهد في ان تاسرهم وان قاتلك الفرسان اجعلها معهم وقعة الانفصال وتقدم اصحاب القصائد الى ضرب الرقاب وتطلب منهم الطاعة فان اطاعوك فيها والا فقدمهم وارم رقابهم قدام هولاء الفرسان وقد تم الامر وهان فقال لهُ ياحاكم العرب والى مثل هذا ينتهي الحال والا فلا نبلغ الامال قال ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ثارت الطوائف تطلب الحرب والكفاح وقد اشهرت العدد والسلاح ولما اعتدلت الصفوف وترتبت المئات والالوف وضاق البر بالخلق وامتلا من الغرب الى الشرق قال دريد لعنترة يا ابا الفوارس اشتهي ان اعرف ما في قلوب اعدائك لانهم كانوا قد عولوا البارحة على الهرب فقال ملاعب الاسنة انا ابين لك ذلك الحال ثم التفت الى دثار بن روق وقال لهُ اخرج انت الى الميدان واطلب براز الفرسان والسادات من اهل تلك المعاهد والدمن فعند ذلك خرج دثار ونزل الى الميدان الا انهُ ما اتم الكلام حتى خرج اليهِ من ميامن المواكب فارس وصال وجال حتى حير الابطال وبعد ذلك هدأ شغب الحصان ووقف قدام دثار بعدما اشهر نفسهُ امام الحضار فرآه زري الحال منكسر البال عليهِ زردية قد اكلها الصدأ وأكمامها مخضبة بالدما وفي يده رمح دقيق وعلى عاتقهِ سيف خلق الحمايل وللفروسية عليهِ شواهد ودلايل لحارت منهُ جميع الشجعان واذا بهِ يقول لدثار يافارس الزمان اعلم اني رجل قليل الخبرة بالبراز وماخرجت اليوم الا حتى اجرب روحي مع فرسان الحجاز لعلي اتعلم منهم طعن القنا وذلك لما سمعت انكم تركتم سفك الدما فدونك الان والمجال على سبيل الفرجة في القتال فلما سمع دثار منهُ ذلك المقال قال لهُ احترص على نفسك وقت قتالك وافعل ما بدا لك لان الاجل اذا حضر لايتقدم ولا يتاخر ثم حمل عليهِ وحدثتهُ نفسهُ انهُ صار في قبضة يديهِ فوثب عليهِ وثبة الاسد الوثوب وصاح فيهِ صيحة ترعب القلوب وقبض على حديده وجذبهُ واذا بهِ قد اخذ دثارًا اسيرًا وقاده ذليلاً حقيرًا وعاد الى الميدان وقد تحيرت من فعاله الفرسان فنزل اليهِ خذاف بن ندبة فاسره ثم خرج ميسرة بن عنترة ففعل بهِ كذلك وخرج مازن ثم حجار بن عامر ثم عمرو بن معدي كرب ثم عامر بن الطفيل فاسر الجميع ولم يزل على تلك الحال حتى اسر ثلاثين فارسًا وكان اخر من برز اليهِ هاني بن مسعود وكان قد نظر الغلام وقد حمي في قتاله واوسع في مجاله واظهر النشاط بعد الكسل وصار يطعن طعنات تبطل الحيل فقال عنترة لدريد يامولاي هذا الغلام جبار عظيم وبطل جسيم ونحن معهُ على غاية الخطر لاني اراه في الحرب اشد من فرساننا واقدر ولا ادري من اين وصل

الينا هذا الشيطان الابن الف قواد والفي قرنان بعد ما كنا وصلنا الى غرضنا ولاح لنا لائح الهنا وبلغنا المنى فقال هذا طبع الزمان بحدث الكدر مع الصفاء وقد صار مع اعدانا من ساداتنا ما يفادون به اسراهم ويبلغون منا مناهم فقال عنترة صدقت ولكن ذلك كله من سوء تدبيري حتى آل الى هذا مصيري فلو كنت سبقت وبرزت الى هذا الغلام المغتر لما تم علينا هذا الامر ولكن ما عرفت ان اهل اليمن يبارزونا بعد هذه الفتن وبعد ما ابصروا ماهالهم من قتالنا وحربنا ونزالنا وانا اقول لولم يأتهم هذا الشيطان لذلوا الى اخر الزمان ودام القتال بين الامير هاني وبين فارس اليمن حتى تصرم النهار ودخل الليل وكان هاني قد اشرف معه على الذل والويل فافترقا على سلامة وعاد كل واحد طالبًا خيامه واما عنترة فانه زاد به الحنق وتمنى لولم يخلق ومن شدة ما جرى عليه تلك الليلة ما نام ولا اكل طعام بل بات يحرس قومه الى الصباح وهو يتمنى ان الليل يجوعنه حلة السواد وعلم بذلك دريد وهاني وبقية الفرسان الجياد فعذروه وحرسوا معه وساهروه وامتدت اليه اعين الناس والفرسان حتى اصبح الصباح فثارت الرجال للحرب والكفاح واذا بذلك الفارس قد برز الى وسط الميدان كانه اسد حردان فبرز اليه عنترة بن شداد كانه طود من الاطواد وقد امتلأ قلبه عليه من الاحقاد فقال لذلك الفارس الطعان ويلك من تكون من ابطال بني قحطان ومتى وصلت الى هذا المكان فوالله لقد اتيت في اضيق الاوقات واشام الساعات فقال له الغلام ويلك اما انت فارس بني عبس وعدنان الذي مرادك ان تعلق قصيدتك على البيت الحرام والركن اليمان فما اسرع ما نسيتني انا الذي اخذت اموالكم وسبيت حريمكم وعيالكم لما كنتم عائدين من بلاد العجم ومعكم النسوان والحرم ولولم تلحقني انت بذلك الجيش لكنت فزت بالاموال والنعم فقال له عنترة هل انت غصوب فقال نعم انا غصوب انا البلاء المصبوب فدونك اليوم والبراز حتى اخذ منك بثار هاتيك الجراحات وافني ابطال الحجاز فعند ذلك تبسم عنترة من مقاله وما هان عليه قبح اعماله فقال له دعنا يا غلام من هذا الكلام واخبرني ابن داويت جراحاتك فقال له اما جراحاتي فاني لما هربت منكم في تلك البيداء وانا غريب وحيد عاجز عن ركوب الخيل دائر في ظلام الليل بين الروابي والوهاد التجأت الى عرب تلك البلاد فداويت عندهم جراحي ولبثت الى ان اتى اوان الموسم والزيارة فاتيت معهم حتى اجتمع بك في البيت الحرام وكنت حائرًا كيف افارق هذه الاقوام وما جازيتهم على ما فعلوه من الاكرام فاتفق لي معك هذا الاتفاق وسالت عنك احد الرفاق ولما علمت ما كان من امرك داخلني الفرح والطرب وقلت في هذه النوبة اغني قومي بالفضة والذهب

واما سؤالك عن قومي وعرقي وامي وابي فهذا الا يصلح في هذا المكان وانما يصلح للنسوان عند الخطبة والعرسان وهنا لا ينفع الا ثبات الجنان والصبر على مر الطعان ولو ان الانسان ينادي كل من له في القبور والتف في الاكفان لما رد احد عنه ضربة سيف ولا طعنة سنان ثم ان غصوبًا اشار الى عنترة وانشد يقول

لا يردُّ السنانَ يوم طعانٍ ذكر من قد مضى من الاخوانِ
فاترك ذكر من مضى والهجن بالسيف يوم القتال او بالسنانِ
لا تولي اذا حملت وتمسي تطلب العزّ من بني عدنانِ
ان سيفي اخي اذا ثارت الحرب ورمحي ابي وجدّي حصاني
ان فخري صبري بيوم قتالٍ عند طعن الكماة والفرسانِ
ورأيت الرجال ترعدُ خوفًا من فراق الارواح للابدانِ
فتراني ادير كاس المنايا بحسام مشطب هندواني
وانادي هل من شجاع كميّ يطفئ اليوم غلتي بالطعانِ
واخلي جماجم القوم نهبًا لسباع الفلاة والعقبانِ
ذلك اليوم اذ نسبتُ حقيقًا كان فعلي موافقًا للبيانِ

قال الراوي ثم ان غصوبًا حمل على عنترة بعد هذه الابيات وطلبهُ كما يطلب الاجل حلول الممات فقاتلهُ عنترة وفي قلبه منهُ امور مشكلات واحوال لا يعلمها الا رب الارض والسموات هذا وقد انعقد عليهما الغبار حتى غابا عن الابصار واحدقت بهما الاعين الناظرات وايقن كلٌّ منهما بشرب كاس الممات فكانت الرماح تتلوى في ايديهما كالحيات ويطلبان المقاتل بالرماح السمهريات وفعلا افعالاً تعجبت منها الابطال والسادات واصطدما اصطدام الجبال الراسيات وما في قبائل عرب الحجاز الا من هالهُ فعل غصوب حتى كادت الاكباد تذوب وفرح الذين عولوا على برازه بالقعود لما رأوا ضربات الاسد الحقود وقال هاني لدريد والله يا ابا النظر هذا الفارس اليمني ما هو الا فارس عظيم ولو لم يكن اوحد دهرهِ لما ثبت امام عنترة وما يفوتهُ باب من ابواب الحرب والطعن والضرب فقال دريد هكذا الدهر لم يزل باهلهِ يتقلب ويأتي كل يوم بعجب فبينما هما في الكلام واذا بالصياح قد علا من الفارسين وارتفع حتى ملا الخافقين . فعند ذلك خرست الالسن وحارت الاعين وطعنا طعنتين واصلتين فصلصلتا الحديد والزرد وطارت من ايديهما الرماح في تلك البطاح فجذبا السيفين اللذين هما اعجل لقبض الارواح وكان قتالهما بالسيوف اقرب لشرب الحتوف

لانهما التحما واصطدما وتهاجما ودمدما حتى مالت الشمس الى قبة الفلك واشتد بينهما الامر وطال حتى غابا عن اعين الرجال وكادت منْ حربهم تشيب الاطفال

قال الراوي وما زالا كذلك الى ان صار وقت المغيب فكلت من تحتهما الخيل واشتد بينهما الويل حتى كلاً وملاً وضعفا واضمحلاً فشاور عنتر في ذلك الوقت غصوباً في الراحة الى الصباح فقال غصوب لا وحق الملك الفتاح خالق الخلق ومنسم الرياح لايكون لنا من هنا براح حتى يبلغ كل منا ما يريد من خصمهِ ان كان فساداً او صلاح على ان هذا قبيح منك عليك وانت فارس الحجاز وتطلب الاقالة من فارس في البراز ولكن ان اردت الراحة للابدان فقد اجبتك هذا الشان على شرط ان نتبايت في الميدان ونتقوت باكل الزاد وتاخذ العين حظها من الرقاد حتى اذا كان الصباح عدنا الى الحرب والكفاح فلما سمع عنترة من غصوب ذلك الكلام صار الضياء في عينيهِ كالظلام لانهُ استحى من ذلك الحال وكيف انهُ يعود الى اصحابهِ وما بلغ من خصمهِ الامال فقال لغصوب افعل ما بدالك فكثير من الفرسان من قال مثل مقالك وقد اهلكت كثيراً من امثالك ووالله لولا وسواس خطر بقلبي لما كنت وقفت قدامي الى اخر النهار ولكن عند الصباح تنظر ما يجري عليك فاني ساخذ روحك من بين جنبيك ثم انهما تاخرا الى جانب من الميدان فاتاهما اصحابهما بما ياكلان و يشربان واوقدت الطائفتان النيران و باتتا الى الصباح تحارسان

قال الناقل وكان هذا الفارس غصوب بن عنترة وامهُ غمرة القضاعية وقد ذكرنا فيما تقدم ما تم لعنترة وغمرة من الكلام وانها لما ظهر عليها الحبل وعلم ابوها منها ذلك الحال وجرى لها ما جرى مع ذي الخمار واقامت وهي كاتمة امرها في الديار حتى دهمها الطلق فطلعت الى البر والقيعان وخافت من معيرة العربان فالتجات الى بعض الاجم ووضعت هذا المولود الادهم فسمتهُ غصوباً لان عنترة غصبها على نفسها فحنت عليه ولفتهُ في رداها وصبرت حتى زال عنها اذاها وحققت فيهِ فراتهُ هائل الجسد كانهُ الابنوس الاسود كبير الراس متزعج الحواس احمر الاماق هديل الاشداق كثير الصياح والزعاق فتوسمت فيهِ علائم السعادة والشجاعة والقوة والبراعة فقالت في نفسها انا والله بهذا الولد املك بلاد من تعدى على بلادي اذا كبر وصار في عداد الفرسان ثم انها قامت ورجعت الى حيها وهو على كتفها فنظر بنو عمها فسالوها عنهُ فقالت لهم اني قصدت غابة العفاريت فرايت هذا الصبي في فم لبوة قاصدة بهِ اشبالها فهجمت عليها وقتلتها واخذتهُ وجئت بهِ وقد خطر لي ان اربيهُ واتسلى بهِ عن الاولاد فلما سمعوا ذلك الكلام صدقوها لما يعرفونهُ من علو همتها ثم انها اعطتهُ لبعض

مولدابها تربيه وصارت في اكثر الاوقات تباشره وتراعيه حتى مضت عليه السنون وانتشى واشتدت اعضاؤه ومشى وصار يضرب في البر اقرانه ويهمهم مثلما يفعل الفارس في ميدانه وهي تتعجب منه كل العجب كلما راته عبس وقطب فصارت تركبه الخيل وتعلمه الفروسية في النهار والليل وقد ذكرنا فروسية غمرة وما قاسى معها عنترة وذو الخمار فربته على طباعها فطلع جباراً لا يصطلي له بنار حتى انه صار آفة من الافات وبلية من البليات وضربت له امه الى جانبها ابيات وكان سبب خروجه الى بر الحجاز وحضوره قدام ابيه عنترة في البراز انه عشق جارية من بنات الحي ومن شدة عشقه فيها خطبها من ابيها فقال له يا ابني انت اجل من خطب ولكنك بلا نسب ولا يعرف لك ام ولا اب فان كانت مولاتك غمرة تدخلك في حسبها ونسبها زوجتك ابنتي واشركتك في نعمتي والا فلا تطمع في بنات السادات من العرب فتعيرني القبائل بهذا السبب فلما سمع غصوب هذا الكلام ضحك وزاد به الابتسام وذهب الى مولاته غمرة وحدثها بما جرى فلما سمعت كلامه عبست وقطبت وقالت له ويلك يا هذا فاني اذا ادخلتك في نسبي واقررت انك ولدي ماذا تقول العرب عني اما يقولون ان غمرة صدامة الاقران زنت مع بعض العبيد واتاها هذا الولد فالحقته بنسبها لما طلع نجيب وما يكون عذري عند القريب والبعيد فوالله لو لم يكن لك عليّ حق التربية لقطعت راسك بالحسام وسقيتك كاس الحمام فخرج من عندها وقد كره المقام في الحلة فجمع اليه بعض ابناء عمه وقال لهم يا بني عمي انا هائم على وجهي فقالوا له ولمَ ذلك فاخبرهم بامره فقالوا له ونحن معك فقال وانا اسير عند اقوام لا يسالوني عن حسب ولا نسب واقصد الملك كسرى وابين له شجاعتي واخذ عنده الاقطاع والديوان واستريح طول الزمان فقالت له رفاقه والله لا نذهب الا كلنا معك وما زالوا سايرين حتى اجتمعوا بالحريم الذين ارسلهم عنتر فخلصهم قباض فلحقه عنترة وعارضه وانهزم وهو مجروح ونزل عند هولاء الفرسان واتى معهم الى البيت الحرام ونزل اول يوم الى الميدان واسر الفرسان ونزل اليه ابوه ثاني الايام وقد شخصت اليه بنو قحطان فعرفه بعضهم لما خلع عدته وسلموا عليه وراقت لهم محادثته واما عنترة فانه نزل وهو في هم عظيم من ظهور غصوب واعتراضه له من بعد عجز العرب فاتاه اصحابه وحدثوه وعن فعاله وعذلوه وهو لا يصغي الى كلام ولا يميل الى عذل ولا ملام وبنو عبس من اجله في وساوس الا الربيع بن زياد واخوه عمارة القواد فانهما كانا كانهما في اعياد لاجل شماتتهما بعنترة بن شداد فلما ابصر الملك قيس احوال بني عبس وهي غير صالحة انفذ الى عنترة ينهاه عن الحرب والمكافحة ويشير عليه بالمصالحة وقال له والله يا ابن العم خير لك

ان ترجع عما عزمت عليهِ من مذمة زيد وعمرو ودعنا تدبر امرنا ونرجع الى ديارنا وكان الرسول الى عنترة اخاه شيبوب واخبره عن بني عبس وما قد باتوا فيهِ من الخسارة والفنا وان الملك قيس قد تأكد العنا ويقول لا يليق بانسان ان يفتخر على ابناء جنسهِ وان يصف بالشجاعة نفسهُ لانها مادامت الايام تتوالى فالليالي من الزمان حبالى وارسل لك هذه الابيات

كل يوم يغيرُ الدهر حالا ويريك الذي لقيت محالا
عد سليماً ولا تقل ليس مثلي فالليالي من الزمان حبالى
ما ترى البدر حين يدركهُ العجب فيضحي بعد الكمال هلالا

فلما سمع عنترة هذا الكلام صار الضياء في عينيهِ ظلام وقال لمن حولهُ من الفرسان يا بني عمي ما كنت اعرف ما الذي حط الان عند الملك قيس قدري حتى يحدثني بما لا ادري وانا اقسم بمن ادار الفلك الدوار وسلخ الليل من النهار لو اردت قتل هذا الفارس الذي استهولتم امره لكنت من اول حملة قتلته لانهُ قليل الخبرة بالاستتار ولكن خطر لي امورما اظنها خطرت على بال قومي واذا كانوا استعجزوني والمذلة نسبوني فانا اقتل هذا الفارس غداً من اول النهار ولا ابالي بما تفعلهُ الاقدار ولكنني لا ادري ما جرى لي مع هذا الفارس فقد حننت عليهِ وبت اخاف عليهِ وكلما بان لي عليهِ مضرب تجنبت السبب فقال هاني بن مسعود والله يا ابا الفوارس اما قولك انك قدرت عليهِ وما سطوت عليهِ فانا اول من يصدقك فيهِ لاني لما رأيت مقاتل هذا الولد ظاهرة بين يديك وانت تلاعبهُ في القتال وتراعيهِ مثل عينيك طعنت في فروسيتك وشكرت غصوباً في فروسيتهِ ولو لم تذكر انت ذلك لما كنت انا ذكرتهُ فقال عنترة والله يا فارس بني شيبان وحاوي قصب الرهان انا ما قصدي الا ان اسره لاجل ما اخذني عليه من الشفقة واستولى على فؤادي من الرقة ولكن وحياتك لا التقيه الا وانا خال من الزرد واللباس وحق من يعلم عدد الانفاس ثم انهُ قال لشيبوب لقد زاد كدري من شعر الملك قيس فعد اليه في ساعة الحال وانشده هذه الابيات جواب مقاله فلا ينسبني الى العجز بين الرجال وانشد يقول

ويك يا قيس كم تطيلُ المقالا وبزور تستعجز الابطالا
وتقولن مقـــال نقص وحقدٍ الليالي من الزمان حبالى
غير انَّ الزمان لا ينتج الانَ نظيري ولا الليالي الحبالى
انا صرفُ الزمان عندَ برازي انا افني الاقيال والابطالا
قسماً بالذي امات واحيى ودحا الارض ثم ارسى الجبالا

لاتركتُ الفرسان غير امارسه . وحيارى لايهتدون المجالا
واخلي الملوك من آل قحطان مجوداً اذ يسمعون المقالا
وانا عنترُ الذي شاع ذكري لستُ اخشى ولو تميلُ الجبالا
وانا الليث ان حملت بحربٍ وانا الغيث ان هي هطالا

قال فلما سمع شيبوب ومن حضر من السادات ما قالة عنترة من الابيات عجبوا من شدة همتهِ واندهلوا لسليقتهِ ومضى الى قيس واعاد عليهِ ما انشد عنترة من النظام فلما سمع ذلك الكلام زادت بهِ الحسرات واظلمت في وجههِ الارض والسماوات وقال وحق زمزم والمقام ما لهذا العبد المتكبر نجاة من هذا المقام ولا بد لهُ من شرب كاس الحمام ولما اصبح الصباح قام عنترة وهو بينهم مثل الاسد الضرغام فقال الحاضرون خيرًا يا ابا الفوارس ما الذي ازعجك قال رايت منامًا ازعجني وحلماً اقلقني وهو من اعجب العجب يكتب بماء الفضة والذهب فاقول انهُ ما وقع مثلهُ للعجم ولا للعرب قالوا اخبرنا عن شانك وما الذي رايت في منامك قال يابني عمي لا اظن الا ان اجلك قد اقترب قال دريد حييت ياحامية عبس ودام عزك ما طلع القمر والشمس اخبرنا بالذي رايت حتى نحكي عنك ما حكيت قال اعلموا ياسادات العرب انني رايت روحي على هذه الحالة وانا مع خصمي في الميدان في نزال وصدام وكاني ضربتهُ ثلاث ضربات فلم يقطع الحسام بل نبا وعاد باكيًا متعبا فاخذني الحنق فمسكتهُ من طرفه واردت كسره فاجابني الحسام بلسان منطلق وفواد محترق ياصاحبي لاتكسرني فتندم واعذرني في ترك هذا الغلام الادهم لانهُ عبسي الشيم وانا عبسي لا اسفك دم فلما سمعت كلام الحسام طار من عيني المنام وانتبهت وانا حاير من هذه الاحلام فقال اصحابهُ والله يا ابا الفوارس لا يفسر هذا المنام الا كاهن من كهان العرب عاقل منتخب فقال هاني بن مسعود يا ابا الفوارس من الصواب ان تقاتلهُ عند الصباح بغير حسام حتى تامن عاقبة منامك والا من اين يكون لك عبسي في بلاد اليمن وكيف تحكم بهذا طوارق الزمن قال عنترة يابني عمي ومن بهم بزول همي وغمي انا في غداة غدٍ اقاتل خصمي قتال العجم وابرز عليهِ كما برزت للديلم لاني كنت اقاتلهم بالمزاريق والترس الواسع الصفيق ثم خلع عنهُ ثياب الزرد وبات عاري الجسد وهو كانهُ الابنوس الاسود ولبس ثوبًا قصير الاكام وقال ان عجزت عن اسره اسقيه كاس الحمام ثم امر شيبوبًا ان ياتيهُ بثلاث حراب كنار الالتهاب وما فرغ من ذلك حتى ولى الحالك واقبل الضاحك وتحركت الرجال الى الحرب والقتال ونزل عنترة الى الميدان كانهُ الاسد الغضبان ومن خلفه اخوه شيبوب فنظر غصوب الى عنترة وقال في نفسهِ والله لقد هانت

نفس هذا العبد عليهِ ولا لما كان خرج الي على هذه الحال وهو متكل على الحراب في القتال ولم يخطر في بالهِ اني اقاتل بها احسن من قتاله لاني تربية بلاد السودان وقد حاربت بها كثيرًا من الفرسان ثم ان غصوبًا رمى عنهُ الحديد واللباس وبات عاري الجسد مكشوف الراس واخذ بيده ثلاث حراب فصار مثل شعل النار ونزل الميدان وقد ارتعدت منهُ الابدان وقالت فرسان قحطان وعدنان ومن حضر من الشجعان اليوم تبين الفروسية حقًا وتشاع عنهم غربًا وشرقًا ولما تقرب عنترة من غصوب وجده يصول ويجول وقد اخذ الميدان عرضًا وطول فتعجبت الفرسان من جسارته على هذا الامر المهول وتذكر عنترة قول الملك قيس وما ارسل اليهِ من النظام فانشد عند ذلك وقال

عاتبوني قومي وزدت لجاجا ومن الدهر كم اقاسي انزعاجا
انكروا ما راوا ولو عرفوه ازعجوا قلب حاسدي ازعاجا
يالقومي وحق من طاف بالبيت ولبي لله جهرًا وناجى
لا رفعت الحسام حتى ارى الارض من الركض تشتكي ارتجاجا
وتنادي جنُّ التخوم من الخوف على ما ترى العجاج العجاجـا
واخلي جماجمًا وجسومًا يقصد الوحشُ نحوها افواجا
فدعوني اجـد في طلب المجد لالقى من المضيق انفراجا
او تكن آسقني المنية كاسا احكمتهُ يدُ الزمان مزاجا
فاقنعوا بالعلا وبالفخر مني ودعوني القى الردى كيف ماجا
واذا ما قتلتُ ياعبلَ قري بعد موتي لا تذكري ازواجا
اي قرمٍ يحميك ياعبلَ بعدي من عدو اذا رايت العجاجا
اي قرمٍ يكون سيفًا وحصنًا لبني عبس بعد قتلي وتاجا

قال مجد بن هشام فلما سمع غصوب من عنترة هذا الشعر والنظام ظن انهُ فزع من الممات وحلول الافات فقال لهُ ويلك من يكون قد شاب في الحروب ايخاف الموت او يخشى الكروب وقد رأيت انا كيف برزت فانصفتك حتى لا تقول العرب اني تعديت عليك وظلمتك لاننا لن نرى مثل هذه الجموع ونقاتل قدامها عرايا بلا دروع ولا ننفصل الا على ما نذكره من المقال فاسمع الجواب ودونك الحرب والقتال ثم ان غصوبًا صال وجال وترنح على سرجه ومال وانشد وقال

ويك يا ابن الاما فزعت المنايا بعد شيب قد لاحَ يحكي الصباحا

ان تكن قد عجزت عني قدعني　　وانصرف راجعًا وخل الكفاحا
او اخليك في الفلاة طريحًا　　لوحوش الفلا طعامًا مباحا
انا صرفُ الزمان عندَ برازي　　فارتجع لاتدع عليَّ جناحا
لي جنانٌ اذا لقيت بهِ البحرَ　　تعالى وغرق الاشباحا
وحسامٌ ما سلَّ الا وسالت　　شفرتاهُ دمًا يروّي البطاحا
قدعركت الزمان طفلاً صغيرًا　　وعركني فكنت اقوى جناحا
سل بلاد السودان عني اذا عدت　　سالمًا واستخبر النصاحا
كم ليالٍ سريتها والثريا　　خلف بدر الدجى تباري الصباحا
وبلاد طرقتها وجيوش　　جلتها عند ما أرتني السلاحا
كل حرب اغيب عنها تراها　　بعد طعني يوم البراز مزاحا
واذا ما حضرتها كان سيفي　　مالك الموت يقبض الارواحا

فلما سمع عنترة هذه الابيات تعجب وقال ويلك ياغصوب ما انت الا قد تعلقت باذيال الفصاحة من الكلام ولكن فهمك يقصر عن اتباعي في النظام ولو جعلت اواخر اباتك مثل اواخر اباتي لكانت ابلغ فصاحة فقال له غصوب والله ياابن الامة لقد قلت المحال وانا ما تركت اتباع قوافيك الا احتقارًا فيك فلا تقول ان غصوبًا ما عرف بدائع النظام لو لم افتح له الكلام واما الذي ذكرته فهو من اهون الاشياء علي وان كنت في شك من ذلك فاني اعيد الابيات بما فيها ولا اغير الا قوافيها وقد صارت افصح من مقالك وابلغ من نظامك وهذا شيء لا تقدر عليه لا انت ولا غيرك ولا اصحاب القصائد المعلقة من قبلك ولا يبلغ احد بعدي هذا المقام وذلك كله لتعلم ان المراتب العلية لا تنال بغير اهتمام ولولا ذلك لما كنت انت تواقحت هذه الوقاحة وطلبت منازل اهل الشجاعة والسماحة ثم انه عاد الى مجاله وتذكر ما كان تقدم من مقاله فانشد غصوب وقال

ويك ياابن الاما فزعت المنايا　　بعد شيبي قد لاح يحكي السراجا
ان تكن قد عجزت عني فدعني　　وانصرف راجعًا وخل اللجاجا
قبل انَّ تتركنَّ بسيفي طريحًا　　لوحوش الفلا طعامًا مراجا
انا صرف الزمان عند برازي　　فارتجع لاتدع عليَّ احتجاجا
لي جنانٌ اذا لقيت بهِ البحر تعالى　　وفرق الامواجا
وحسامٌ ما سلَّ الا وسالت　　شفرتاهُ دمًا يروي الفجاجا

قد عركت الزمان طفلاً صغيرا وعركني فكنت اقوى لجاجا
سل بلاد السردان عني اذا عدت سليماً واستخبر الحجاجا
كم ليالٍ سريتها والثريا في تكسو بدر الدُجنة تاجا
وبلاد طرقتها وجيوش طلبت عندما رأتني انفراجا
كلّ حرب اغيب عنها تراها بعد طعني يوم البراز مراجا
واذا ما حضرتها كان سيفي ملك الموت يقبض الاوداجا

قال فلما سمع عنترة هذه الابيات كاد عقله يغيب وقال والله ياغلام انك احسنت في هذا الكلام وما قصرت في هذا النظام ثم قال عنترة في باله والله ان هذا الغلام انسان عين الزمان اذا كانت هذه الفصاحة فصاحته وهذه الشجاعة شجاعته وهو ما بلغ خمس وعشرين عاماً وما كنت اريد الا ان الله تعالى يصحح منامي ويصدق كلام حسامي ويكون هذا الغلام عبسي حتى افضله على سائر ابنـاء جنسي وافتخر به على الفرسان في مقام الحرب والطعان فبينما هو في هذا الافتكار الا وصاح غصوب فيه صيحة الاسد المدار وقال له احذر على نفسك غاية الحذر ودعنا يافارس الحجاز نقضي هذه الامور ونفصل البراز لان الطوائف كلها قد طلبت الانجاز ثم زج اليه الحربة التي بيده وطلب بها اعلى جسده فسبقها عنترة على اعلى الدرقة فكسر حدها بعد ما كانت مثل الصاعقة وايقن عنترة في العطب بعد ان رآه قد جدّ له في الطلب فتراشقا بالحراب وقد تحيرا من هذه الاسباب وكانا تارة يطلبان الميمنة وتارة الميسرة وتارة تجري بهما الخيل خبباً وتارة قهقرة والحرب بينهما مثل النار المسعرة الى ان فرغت الحراب من ايديهما وخافت الطائفتان عليهما وكلاً وملاً وتعبت الجياد وكلت فعند ذلك وقف غصوب وصاح لعنترة يافارس بني عبس قد تعبنا من الكفاح وخفت منا الارواح واعلم اننا قد خلونا من العدد والسلاح ولم يبق لخيلنا قوة للجولان والقيام في الميدان فهل لك في الصراع وقوة الزند والباع فعول بنا على ذلك ان كنت تريد والا فارجع الى الحديد نكثر من حمل السلاح ونعود الى الحرب والكفاح فقال عنترة ياغلام ليس لنا براح من هذا المقام الا بالانفصال وبلوغ الامال ثم ثنى رجله ونزل ودنا من غصوب اسرع من نزول الاجل وتقابضا مقابضة الاسود وعولا على قوة السواعد والزنود وقالت الابطال الان كشف القناع فيبان الجبان من الشجاع

قال الراوي ودام الامر بينهما في اقبال وادبار حتى ولى النهار وقد تضايقت الصفوف في طلب النظر واشتهر الصارم الذكر وشاب في ذلك اليوم من حضر وملت الطوائف من

الانتظار وقد اندهشت منهم الانظار وعمارة يقول لاخيه الربيع والله يااخي لا يكون النصر الا لغصوب لانه اخبر من عنترة بمعاناة الخطوب وانا اقول انه يقتله ثم اخذ عبلة وتنفرج مني الكروب هذا وغصوب قد كلت مناكبه ولانت جوانبه وعرف عنترة بحاله وعلم ان قد تعبت اوصاله فاظهر النشاط والجلد واحتضنه كما يحتضن الوالد الولد ورفعه على يده مثل العصفور في يد الباشق الكسور واراد ان يجلد به الارض فما طاوعه قلبه وقد عصاه لبه فوضعه وضعاً خفيفاً واوثقه بالكتاف فارتفع صياح بني عبس وعدنان ورشقت بنو عبس عمائمها في الهوا وكشفت جماجمها وهزت صوارمها وكان الوقت قد ضاق عن القتال والصدام فرجع الناس يطلبون المقام وعاد عنترة وقدامه اخوه شيبوب يقود ولده غصوب وجميع اخوانه حوله يهنونه بالنصر ويفرحون له بالغلبة والقهر ولما اقترب من وادي الحرم التقته الاماء والحرم هذا وعمارة بن زياد احترق كبده وذاب من الغيظ جلده وقال في نفسه والله ما كنت اقول ان هذا الولد الزنا يخلص من هذه النوبة بل يقع في نكبة واتزوج انا بعده بعبلة

قال الراوي واما عنترة فانه لما رجع من الصدام صار فيمن معه من الرجال الكرام وما نزل في الخيام الا ورسول الملك قيس اتى اليه وقال له ياابا الفوارس ان الملك قيس يدعوك فادخل عليه فقال سمعاً وطاعة ثم انه نهض في الوقت والساعة وسار مع الرسول الى ان وصل اليه فدخل وسلم وخدم وتبسم ودعا بدوام العز والنعم فقال له ياابا الفوارس انعلم لماذا دعونك الى حضرتي فقال لا قال اعلم ان هذا الامر قد تعسر علينا فكفانا ما تحملنا من دم الفرسان واشير عليك ان نفادي الاسرى بالاسرى ونصالح القبائل ولقد رايت انه امر عنيد واظن اننا لانبلغ ما نريد فعند ذلك تبسم عنترة وقال يامولاي لو لم يحدثني قلبي اننا منصورون على الاعداء لما كنت خالفت امرك ابداً ثم اوصى شيبوب بحفظ ولده غصوب ودخلت معه ابنة عمه عبلة الى المضرب والدنيا لاتسعه من كثرة الفرح والطرب هذا وقبائل اليمن قد باتت تدبر امورها . والهم والحزن قد فاضا من صدورها وما فيهم الا من طلب الاصلاح من هذه الامور القباح وقالوا ما لنا الا نقتل هولاء الاسارى فقالت العقلاء لا تمكنهم من قتلهم وان عند عنترة اكثر قومنا اساري ومتى علم انه سفك من احد منهم دم انزل بجميع من عنده النقم ومن الصواب اننا عند الصباح نرسل الى عنترة ونقول له اختر من شئت من ابناء ساداتكم واطلق لنا غصوب وان لم يفعل ذلك تركنا له الاسرى ولكن لا نترك هذا الاسد الشديد في قبضة هذا البطل العنيد بعد ما بذل نفسه من اجلنا وقاتل معنا قال وما زالوا على ذلك الحال حتى طلع النهار وركبت الرجال وطلبت القتال واعتدلت

المواكب يميناً وشمالاً فركب عنترة وقد فرح ببلوغ الامال ودارت به فرسان بني عبس ومن ذكرنا من الابطال وعول ان يجول على طوائف اليمن ويحاصرهم في الشعاب واذ قد خرج اليه جماعة من مشايخ بني قحطان وطلبوا منهُ غصوب وقالوا خذ من شئت من اسراك فقال انا قادر على خلاصهم منكم بالسيف قالوا ياحامية بني عبس وعدنان وسيد الفرسان لاتواخذه بجهلهِ وصباه واطلقهُ لوجه الله فقال لهم طيبوا قلوبكم فانا لا اقتلهُ لاهو ولا غيره من الفرسان ولكن لايفلت احد من يدي حتى يدخل تحت امري ويسجد لقصيدتي وشعري وكذلك انتم ان لم تلقوا سلاحكم

الكتاب الحادي والثمانون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

وحول البيت تدوروا ولقصيدتي تسجدوا حملت عليكم بفرسان لايبالون بموت ولا عذاب ولا يخشون بلاء ولا مصاب فاذيقكم مر الوبال بعدما انفذ الابطال تمسك عليكم الطرقات التي توصلكم الى بلادكم وتسبي نساءكم واولادكم واقود في الحبال ساداتكم ولا ينفعكم جموعكم ولا اجنادكم فعودوا الى اصحابكم واسرعوا برد جوابكم قبل ان تبصروا اسنة تسابق القضا ورجالاً لا يرضيها الرضى.

فلما سمعت الرسل هذا الكلام عادت وهي تعوذ بالاصنام وصارت مفكرة وفي امورها متحيرة فاخبرت اهل اليمن بما سمعت من عنتر فماجت العشاير في البر الاقفر وما فيهم الا من صاح واشتد واشار على ما قدروا واختلفوا في المقالات واشاروا المشورات المختلفات وقضوا من النهار اوقات فعول عنترة ان يبذل السيف فيهم واذا بغبرة قد ارتفعت وعجاجة قد ظهرت وهي من ارض اليمن ومن صوب تلك المعاهد والدمن فمال الجميع اليها وعولوا في امورهم عليها وما زالوا يحدقون اليها بالابصار ليحققوا الاخبار اذ قد لاح من تحتها فوق المائتين فارس كلهم اسود عوابس يقدمهم فارس ضيق اللثام طويل القوام عريض الكتفين واسع المنكبين الا ان الهيبة والوقار حشو عينيه والشجاعة تشهد له ولا تشهد عليهِ وكانت هذه الخيل من بني قضاعة والمقدم عليهم غمرة ام غصوب وسبب مجيئها انها بعد مضيهِ عنها زاد بها اليهِ الاشتياق واحرقها الفراق وندمت كيف اهانتهُ لما طلب منها الحاقهُ بالنسب وكيف توانت عنهُ حتى فارقها على حال الانفراد والغضب فصارت تكتم حالها وتخفيه ولا تطلع احداً على ما

في فيه لانه ولدها على كل حال وبقية من ابقى لها الدهر من الرجال فخافت من النوائب الحادثات وصارت تندب في الخلوات وفي مدة غيبته دهمها ملك من ملوك السودان بجيش لا يعرف له عدد ولا يدرك ما معه من العدد وقد داس ارضها بعبيد لا يخافون من الهلاك ولا يفزعون من الموت اذا مد الشراك فكسروها كسرة عظيمة وقتلوا رجالها وافنوا عدد ابطالها وانحصر الباقون بين الخيام والاطناب وهاجمهم عساكر السودان بالمزاريق والحراب وانصرت غمرة عين الهلاك وكثرة الاعداء هربت وقد تبعها من قومها الف فارس على سوابق الخيل وخلوا الوطن والملك مباح ونجوا بالارواح فلما توا سطوا البر وامنوا على انفسهم واصبح عليهم الصباح قالوا لها يا غمرة والله لقد عدر بنا الزمان واتانا شيء لم يكن لنا في حساب بليا منه بالحرمان فاين عولت ان تقصدي بنا الان وعلى من تنزلين من العربان وبماذا تستعينين لنا على خلاص اموالنا والنسوان قالت والله ما ادري يا بني عمي الى اين اذهب لان اهل اليمن كلهم لنا اعداء من دون الملا لاجل ما كنت افعل فيهم في حياة ابي من البلا وما فيهم من يسمع بما جرى لي الا ويشمت بي واهل الحجاز ما لنا فيهم صديق ولا خليل والمال عدنا قليل وقد افنى الزمان رجالي وما ترك لي احد فيه ولا سند ولا عضد ومن تمام المصايب انه لا ولد لي ولا تزوجت ليكون لي ولد فقد عولت ان اسير الى بيت الله الحرام واطلب هنالك المقام وانظر ماذا تفعل بي صروف الليالي والايام فاسمعوا مني يا بني عمي هذا المقال ولا يتبعني الا خفيف الظهر من الاولاد والعيال والذي له اولاد وعيال يرجع الى ملك السودان ويطلب منه الذمام والامان فلما سمعوا مقالها شق عليهم فراقها وبكوا على ذلها بعد عزها وفراق اهلها

ثم رجع منهم جماعة من الرجال وهم اصحاب المال والعيال وبقي معها الذين ليس لهم شيء يعتاقون به وهم الذين وصلوا معها الى مكة وتلك الخلائق محتكة وكان اشرافهم على تلك المعاهد والدمن في ذلك الوقت والزمن فعرفهم اهل اليمن وفرحوا بغمرة لما نظروها وساروا نحوها وقصدوها وجعلوا يسلمون عليها وبجميع ما جرى اخبروها هذا وقد اتت المشايخ والكبراء فسألتهم عن حالهم فاخبروها عن عنترة وكيف انهم يقاتلونه ويناضلونه لانه يريد ان يعلق له قصيدة على البيت الحرام وليس هو من اهل هذا المقام لانه لا يعرف له اب كريم ويريد ان نسجد لكلامه الذميم ثم قصوا عليها ما جرى لهم من الحروب وانه قد اسر غصوب بعد ما جرى لهم ما لم يخطر على القلوب ولولا قدومك في هذه الساعة لكنا سلمنا اليه باعة الطاعة وسجدنا لمقاله خوفًا من سيفه ورجاله فلما سمعت غمرة ذلك الكلام تخايل لها من

كثرة العجب انها في منام وصار قلبها يخفق واحشاؤها تحترق وقالت في قلبها ونفسها والله ان هذا الكلام لو سمعهُ مولود لشاب قبل الفطام ولو كتب بماء الذهب لكان العجب من كل عجب اذ جرى عليَّ من عنترة في اول الزمان ما جرى ورزقت منهُ هذا الولد الذي ما رزق مثلهُ احد في جميع الورى ولما كبر وقلت انهُ يبقى لي حتى فارقهُ عني رب السما وما نالني منهُ مني وما حظيت منهُ سوى بالتعب والعنا ولكن هذا امر مقدر لا يطلع على باطنهِ احد من البشر وبعد ذلك فلي فيهِ الحظ الاوفر لاني اقيم في بني عبس عند بعلي وولدي واتسلى بهم عن وطني وبلدي ولكن هذا لا يصلح لي الا حتى اطلق الرجال الذين اسرهم ولدي من بني عبس والفرسان واشهر امري واستريح من الكتمان ثم انها بعد هذا الحال وعدت فرسان اليمن بالنصر على اعدائهم وانها تاخذ لهم بالثار وتفك اسراهم من الاسر والاضرار ثم انها سارت معهم تشق المواكب وتخترق الكتائب حتى نزلت في وسط الميدان ونظرت الى عنترة وهو واقف قدام الشجعان ينظر اليها والى نزولها في الميدان وهو متعجب بقلة اكتراثها بالفرسان هذا وعنترة واقف قدام الاقران ومتاهب للبراز والطعان فحققت فيهِ النظر فعرفتهُ فانفذت اليهِ بعض رجالها تقول لهُ امهلنا يافارس عبس وعدنان الى غداة غد حتى ناخذ الراحة ويبرز اليك حامينا الذي وصل معنا ويجول معك في الميدان ومعترك الجولان فان انت قهرتهُ واسرتهُ او قتلتهُ سجدنا لتصيدتك واهل اليمن كلها تصير تحت حكمك وارادتك وان هو انتصر عليك وقهرك نعود عما عزمت عليهِ ثم قالت للرسول ان سالك فلا تعرفهُ عن اسمي حتى لا تنقص عنده منزلتي بل قل لهُ هذا من ابطال البحر من داخل بلاد اليمن يقال لهُ جبار بن صخر صاحب سواحل البحر فقال لها سمعًا وطاعة ثم سار يطلب عنترة وكان قدام الابطال الذين يعتمد عليهم وكلهم في حديث غمرة من حيث وصلت وهم يصفون شجاعتها ومافيهم من حقق معرفتها فلما نظروها بين الصفوف استعظموا همتها ونزلت في قلوبهم هيبتها وفيما هم كذلك الا ورسولها قد وصل اليهم وطلب منهم المهلة الى الصباح فقال لهُ عنترة امهلتك ياوجه العرب ولكن من يقال لهذا الفارس الذي وصل معكم

فقال يامولاي هذا يقال لهُ جبار بن صخر صاحب سواحل البحر وقد خرج في هذا العام الحج وزيارة البيت الحرام ففاتهُ الموسم لاجل بعد الديار وقد ضمن لاهل اليمن فك اسراهم منك عند الصباح ولولا ان يقبح علي وصف صاحبي لكنت وصفتهُ وذكرت لك شجاعتهُ فقال عنترة لا يحتاج ان تصفهُ فليس المعول على المقال بل على الفعال فعد اليهِ وقل لهُ يستريح الى غد عند الصباح ويحمل عليَّ بجميع فرسانهِ حتى افنيهم قبل ان يتعالى النهار

واريهم طعناً ما شاهدوا مثله في سواحل البحار فرجع الرسول الى غمرة واخبرها بما قال عنترة فقالت ليس المعول على المقال بل المعول على الفعال ثم اقبلت على من حولها من اهل اليمن وقالت لهم احضروا لي الفرسان الذين اسرهم غصوب حتى ابصران كان فيهم احد من اصحاب الانساب فاهددهم بالقتل والعذاب واطالبهم بعبدي وكل اسيرلكم عند اصحابهم حتى اذا اسرت اسد الحجاز المسمى بعنترة لايكون عندهم من يفدونهُ به لانني اسرتهُ مرة في بلادي وهرب ولهذا قلت للرسول ان لا يعرفهُ باسمي حتى لا يتاخر عن برازي في هذه الكرة فصدقوها في مقالها لما يعرفونه من شجاعتها وقتالها فاحضروا لها الاسارى الذين قدمنا ذكرهم واحضروا معهم خيلهم وعددهم ودروعهم وزردهم وصفوا الجميع بين يديها فلما نظرت اليهم قالت لهم والله ياقوم ما في هولاء جبان ولا ذليل ولا فيهم الا كل سيد نبيل ثم قالت لاصحابها احفظوهم الى الصباح حتى اريكم ماذا افعل بهم اذا لم يفدوا انفسهم بكل اسير عددهم ولما دجا الليل بالظلام وقرت العيون بالمنام ورقد كل من في الحي ونام جمعت غمرة اليها سادات قومها واعلمتهم بامرها وما جرى لها مع عنترة وان غصوباً ولدها وعنترة ابوه وقالت لهم يابني عمي ومن بهم همي وغمي انا ما احضرتكم الا لاشاوركم بما افعل فانا مرادي ان اعود الى بعلي وولدي واتقوى بهم على من اخذ اموالي وحكم في بلدي فمن وافقني منكم على مرادي فهو لي من دون كل الخلق اعرف ومن ابى فشانهُ وما يريد ومن طعن في مقالي وفارقني وما اعترف فاهل البصاير يعلمون انهُ اعتدى عليّ وجار واسرف فقالوا لها والله ياأميرة لا نريد احسن من ابي الفوارس عنترة نكون تحت حماه فانهُ والله من يكون عنترة حاميتهُ فقد بلغ مناه ونحن معك مثلما تريدي فدبرين ما تشتهين ووالله رب المشعر الحرام ما بقينا في هذه الليلة نىام حتى نجمع بينك وبين ولدك قبل انقضاء الظلام فقالت لهم اذا كان الامر على هذا الحال فاطلقوا هولاء الرجال من الشد والاعتقال واعلموا بذاك من تنقى لكم من الرجال فقالوا سمعاً وطاعة سوف ترين ما نصنع في هذه الساعة ولا يتبعنا من الاعداء الا من دنا اجله وآن الى المقابر مرتحلهُ

ثم خرجوا من عندها واعلموا اصحابهم ففرحوا غاية الفرح واطلقوا الاسارى وسلموهم خيولهم وعددهم واعلموهم ان هذا الفارس هو غمرة وهي ام غصوب الجبار وان غصوباً هو ابن عنترة الفارس القهار ثم انها ارسلتهم يعلمون عنترة بالخبر والاحوال فلما سمع بذلك الخبر نسي ما كان عليه من الاهوال وقال عامر يالله العجب من هذه الامور والله لقد نجونا من ضرب الرقاب والهموم والاوصاب ولقد حظي عنترة بفارس تخضع لهُ الاسود وبه يذل المعاند

والمحمود والله لاسبق الى عنترة احد بهذه البشارة الا نحن من دون الانام

قال الراوي وكان عنترة في تلك الليلة على الحرس ومعهُ دريد والفرسان الذين عليهم المعتمد فتبادروا اليهم وصاحوا عليهم وطلبوهم فنادوا تأنَّ في امورك يا ابا الفوارس فنحن اصحابك ورفقاك وقد خلصنا رب السماء من اعدائك وجئناك ببشارة تستحق عليها كلما ملكت يداك فقال عنترة والله يا عامر ان خلاصكم عندي هو البشارة العظمى والمسرة الكبرى فكيف كان خلاصكم فقالوا له على يد زوجتك عمرة ام ولدك غصوب فاشكر على هذه النعمة علام الغيوب واسالهُ تمام السعادة وبلوغ الارادة ثم تقدموا الى عنترة وشرحوا له ما حدثتهم عمرة من الخبر فمال على الجواد طرباً وزعق عجباً ورفعوا الصحابة رؤوسهم الى السما وسجدوا لخالق النور والظلمة لانهُ سبب هذه الامور وحكم بما لا تهتدي اليهِ سرائر الصدور

قال الراوي وبينما هم على مثل ذلك الا وصلت عمرة ونادت بعنترة ويلك يا ابن الامة والله ما وصل الى سعادتك احد من البشر لا انثى ولا ذكر وقد لقيت منك هذا الملتقى في البداية وهذا كان اخر النهاية فقال والله لقد صدقت لان الله تعالى قد جمع الحيّ ولدي لما انكرتموه وقربهُ لما ابعدتموهُ وماذكرتموهُ ثم انهما اعتنقا حتى صارا اشباحاً بلا ارواح وبكيا لعظم السرور والافراح ثم قالت عمرة لعنترة اجمع بيني وبين ولدي قبل الصباح فقد كفاني مالقيت من بعده من الحزن والاتراح فعند ذلك قال عنتر لشيبوب امض يا ابا رياح وايتني بولدي غصوب فمضى شيبوب واخوه جرير وجماعة من فرسان القبائل والقوا البشائر في العشاير وما وصل شيبوب الى غصوب الا والحلة تضج بالافراح واتوا الى عنترة يهنئونهُ فسمعت بذلك بنو زياد ووصل الخبر الى عمارة فقال ما الخبر فقال له اخوه الربيع ويلك قد ذكروا ان غصوباً قد ظهر انهُ ابن عنترة فقال عمارة وحق ذمة العرب ان هذا شيء لا اصدقهُ وما هو الا كذب عن يقين وان كان هذا الامر صحيحاً فاعلم يا اخي ان اخاك عمارة يصير من الهالكين ويبقى طول عمره حزين هذا وقد ركب الملك قيس وسادات بني عبس لما سمعوا هذا الخبر وساروا الى عنتر حتى يهنئوهُ بهذا الولد وقد تفتتت قلوب الاعداء من الحسد هذا وشيبوب قد سار الى غصوب وحكى له ما جرى من الخبر واعلمهُ ان عمرة امهُ واباه الامير عنتر وانها الان وصلت اليه وقصت امرك عليه فقال غصوب ولماذا كانت تنكرني وتناديني باسم العبودية وما عرفتني باصل القضية فلو اني قتلت ابي او قتلني أليس كان يمضي دم احد ناهدراً بالكلية والله لاقتلنها واهدم اساسها واقطع بهذا الحسام راسها فقال له لا يا ابن اخي ليس هذا بصواب وعذرها واضح وها قد جمع الله شمل الاحباب

وهي معذورة لانها خافت عليك لما لا يليك من الاعدا في بلاد اليمن وخافت على الملك لئلا يخرج من يدها وخافت من قومها لئلا يعيروها اذا اقربت بانك ولدها فما كان لها الا ان كتمت امرها حتى اراد الرب القديم بظهور سرها . ثم قدم له جوادًا فركب وسار به شيبوب وكان الصباح قد اقترب فلما قرب من امه غمرة بادرت اليه وضمته الى صدرها وقبلته بين عينيه هذا وعنترة قد ضمه الى صدره وقبل عارضه ونحره وقال له ياولدي ما كان اشفاقي عليك الا لذلك السبب فاخذ الحاضرون يعنفونه ويهنونه ولم يزالوا كذلك الى الصباح فركبت القبائل عن بكرة ابيها وطلبت بني قحطان غمرة فما وجدوها وافتقدوا الاسارى فما وجدوهم فقال بعض القوم ما هي الا قد مضت تفدي عبدها غصوبًا منهم وما فعلت ذلك الا لعجزها عن لقاء عنترة وقال بعضهم ما كانت هذه غمرة بل كانت من صناديد بني عبس وعدنان وقد انفذوها بتلك الحال حتى احتالت علينا وخلصت اسراهم من بين ايدينا ثم انهم حاروا في امورهم وارادوا ان يعرفوا حقيقة الحال فانفذوا لهم جاسوسًا يكشف الخبر وما زالوا حتى عاد عليهم الجاسوس وشرح لهم الحديث الذي جرى فتقطعت ظهورهم وحاروا في امورهم وقالوا وحق البيت الحرام والحجر الاسود ما راينا اقوى من هذا العبد ولا اسعد ولا يطلب لقاه الا من كره الحياه ولم يزالوا يزيدون الهياج ويبدون الانزعاج حتى طلع النهار بالابتهاج وذهب الليل الداج فلما ذهب الليل صارت الفرسان كلها على ظهور الخيل فهمّ عنترة ان يبرز الى الميدان ويعرف ما في قلوب بني قحطان فعند ذلك تقدم اليه ولده غصوب وقال له وحق علام الغيوب الذي يكسر قلوبًا ويجبر قلوب ما مكنتك من الخروج الى هولاء العربان ولا يقاتل في هذا اليوم الا انا في الميدان ثم قفز الى ساحة الميدان واشتهر بين الفرسان ونادى باعلى صوته يالقحطان يالعدنان اعلموا انه قد ظهر نسبي وعرفت العرب امي وابي وانا قد اصبحت من بني عدنان الاجواد وابي فارس الطراد وحية بطن الواد الامير عنترة بن شداد واريد اليوم ان اخلف ابي في الميدان فان اردتم الحرب فدونكم ومقام الطعن والضرب وابرزوا اليّ ابطالكم وشجعانكم الصناديد وان اردتم السلامة بلا تنكيد اجيبوا ابي الى ما يريد واطيعوه في تعليق القصيد والا وحق من اوسع البيد تركتكم بهذا الحسام حصيد

قال مجد بن هشام فلما سمعت بنو قحطان من غصوب ذلك الكلام تقطعت منهم القلوب وكادت اكبادهم تذوب فنادوا من كل جانب ومكان والله ياغصوب ما بقي فينا من يجرد حسامًا ولا من يخالف لك كلامًا فدع اباك يعلق القصيد اينما يريد حتى نعفر له خدودنا

على التراب والصعيد ونصير له من اليوم خداماً وعبيد ونحن ما كنا نلقاه لما كان وحده
فكيف نعاديه وقد صرت اليوم عنده وقد اشتد فيك ساعده وزنده

قال ابن العميد فبينما هم في الكلام واذا بالشيخ عبد المطلب قد اقبل في جماعة من فرسان البيت الحرام ثم تقدم الى عنترة وهنأه بالسلامة وبولده الذي قرت به عيناه وسأله عما جرى عليه فعند ذلك حدثه عنترة بجميع قصته وان العرب قد دخلت تحت طاعته فقال له اذا كان الامر قد تقرر على هذا الحال فاحضر غداً اصحاب القصائد الذين عندك في الاعتقال وهددهم بالقتل من ساعتهم حتى يشاركوك في فصاحتهم ويدخلوك في انسابهم ويتبعون قول اصحابهم

قال نجد بن هشام فلما سمع عنترة من السيد عبد المطلب هذا الكلام قال له يا مولاي هذا القول الذي تقوله يكون من اعمال غداة غد عند اقبال النهار لاني اريد ان اصنع وليمة للفرسان واجمع فيها الابطال والاقران وافرح بولدي غصوب ويعرفني به في هذا المكان فلما سمع الشيخ عبد المطلب هذا المقال قال له لقد اصبت يا ابا الفوارس في هذا الخبر فعجل بما عزمت عليه حتى نبادر كلنا اليه فعند ذلك رجع الى المضارب والخيام وشرع في اصطناع الطعام وقد فرحت بنو عبس بذلك ووقع السرور على الرجال والنسوان هذا وقد اتت سائر الفرسان الى عنتر وهناوه بالنصر والظفر واقبل اليه دريد بن الصمة وخفاف بن ندبة ودثار بن روق والعباس بن مرداس فارس الخيل واقبل عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة ابطل القيل وعمرو بن معدي كرب الزبيدي وزيد الخيل وعتبة بن شهاب اليربوعي فارس الصدام وهاني بن مسعود وبسطام وسنان بن ابي حارثة الكثير الغدر والكياد والربيع بن زياد واخوه عمارة القواد وقد اجتمعت الفرسان من بني عبس وعدنان هذا ما كان من هولاء واما ما كان من بني قحطان فانه نزل عليهم الذل والهوان وتضاعفت همومهم والاحزان وما فيهم الا من تذكر ما جرى عليهم من غير الزمان وما اعطي عنترة من السعادة وعلو الشان هذا وسائر الفرسان الذين حضروا وليمة عنترة اخذوا في مناولة الطعام وشرب المدام وبعد ذلك دار بينهم الحديث والكلام فيما جرى للفرسان في ذلك المقام

قال ابو عبيدة ومن اعجب ما روي في هذه السيرة ان الامير هاني بن مسعود وبني شيبان تعجبوا من شجاعة عنترة وكيف اذل الفرسان وقهر سائر الاقران فاثر ذلك الكلام والمعاني في قلب الامير هاني لانه من الابطال الموصوفة والشجعان المعروفة ولم يزالوا في حديث وكلام وشرب مدام الى ان قرب المساء واظلم الظلام وبعد ذلك ابطل الساقي

دوران الكاس وتفرق شمل الناس وما فيهم الا من هو شبعان وسكران فلما وصل هاني الى ابياته وبنو شيبان من حوله وحماته اخذ الرجال يتحادثون فيما جرى وكان فجرى حديث عنترة وفضله على الفرسان فقال هاني والله يابني عمي ما هو الا فارس الزمان وبطل العصر والاوان فعند ذلك قال له رجل من بني عمه يقال له عامر فهل انت تقدر ياهاني عليه فقال هاني يابني عمي انا ما جربته في الميدان ولا جلت معه في طابق الجولان ولكنني في يوم وقعة العجم رفعته خمس مرات من الميدان لما انصرع وهو يرجع فيقع وانا اقول اني لو بارزته لما كنت عاجزًا عنه فلما سمع عامر هذه المعاني قال له والله ياهاني انك قلت المحال الذي لا يصدقك عليه احد من الرجال فلما سمع هاني هذا الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام وقال والله لولا حيائي منه لبينت لك ذلك المحال وقرنت القول بالفعال واريك من هو اثبت منا جنان . وافرس في ساحة الميدان

قال سعيد بن مالك وكان لهاني عبد اسمه نجم وكان يهوى امة وقلبه من اجلها متعب وكانت تلك الامة من جيران شيبوب فصبر ذلك العبد الى ان قام هاني وطلب الخيام وتفرقت العبيد الذين كانوا للخدمة قيام فعند ذلك سار العبد الى نحو شيبوب وقصد مضربه حتى وصل اليه واستاذن في الدخول عليه فاذن له فدخل فترحب به والى نحوه قربه وقال له ما الذي تريد يا ابن الخالة فعندها حدثه العبد بجميع ما قاله هاني وبين له جميع المعاني فلما سمع شيبوب ذلك المقال اخذ ذلك العبد معه وسار الى عند اخيه في ساعة الحال ودخل عليه وقدم العبد بين يديه فحدثه بجميع ما جرى بين هاني وبني عمه من الكلام فصار الضياء في عينيه كالظلام وقال والله ان لم التق بهاني في هذه النوبة في الميدان والا صرت معيرة بين الفرسان . قال نجد بن هشام وكان عنترة من قبل هذا الكلام يتمنى براز هاني لما سمع عنه من كسر عساكر الاعجام في نوبة ذي قار حتى ينال الافتخار فاتاه الامر كما يريد فجازى العبد خيرًا على هذا السبب ثم صرفه بعد ما وهبه شيئًا من الذهب فلما اصبح الصباح ركبت الفرسان من كل برّ وسبسب واتوا للسلام على الشيخ عبد المطلب فتقدموا اليه وسلموا عليه وكذلك عنتر وجميع من في المكان حضر فعند ذلك اشار عبد المطلب على عنترة وقال له يا ابا الفوارس احضر هذه الساعة من عندك من الفرسان الذي هم في الاسر والاعتقال وهدد اصحاب القصايد بالقتل والعذاب حتى يجيبوك الى ما تريد من تعليق القصيد ويشاركوك في فصاحتهم وانسابهم ويسمعوا مقالاتك ويسجدوا لقصيدتك فلما سمع من عبد المطلب هذا الكلام وعلم معانيه قال يامولاي قد تغيرت الاحوال وجرى في حقي كلام

ومقال ولا بد لي ان اظهره لسائر الابطال فلما سمع عبد المطلب من عنترة هذا الكلام لم يعلم معانيه ولا ما اراد بهذا الخطاب فقال له يا ابا الفوارس ابدهِ لي ولا تخفو فقال يامولاي ان الحق لا يغيظ الكرام ولا يغيظ الا اللئام واعلم ان كل احد يطلب لروحو الزيادة ويتمنى ان يكون من اهل السعادة فقال عبد المطلب هذا الكلام ما علمنا معناه ولا بد له من البيان فقال نعم يامولاي انا ما ذكرت هذا الكلام الا لاجل هذا الشان وهو انهُ جرى البارحة ذكري في بني شيبان وذكروني بالزيادة والنقصان وتحدثوا بي ببعض كلام ومعاني وقد اشتهيت ان ابديه الى اخي هاني وبعد ذلك التفت عنترة الى الامير هاني وقال له اقسمت عليك بمولى الموالي ان كنت تريد قتالي فدونك الطعن حتى تنظر الى فعالي في ميداني ويعلو قدرك ويحط شاني فلما سمعت العرب من عنترة هذا الكلام والخطاب سكتوا عن رد الجواب فقال عنترة ياهاني لاتراع جانبي فهذا مقام تلاف الارواح لا يحمل اللعب والمزاح فانا لو نازعني في تعليق القصيد اهلي واقاربي لحاربتهم وبلغت قصدي ومآربي فان كان في خاطرك شيء ابده ولا تخفه وان كان قصدك القتال فلا تتوان فيه

فعند ذلك قال عامر الشيباني هذا ماطلبت ياهاني وقد بلغت الاماني انهض الان وارنا فعالك ودع هولاء السادة تشهد على حربك وقتالك فلما سمع هاني من عامر هذا الكلام قال له ويلك ياانذل العربان الى كم تطيل عليّ الملام فلو اني طلبت هذا الشان لما كان غيري اقوى مني جنانًا ولا اثبت في الطعان وان شئت ان تنظر الى ذلك عيانًا فانا ابينهُ لك عند الامتحان ثم انهُ قفز الى الميدان وقلّ الموت عنده وهان واومأ الى عنترة براس السنان وقال له دونك يا ابن شداد الطعان حتى يبان فعلنا للفرسان ويعرف من هو اثبت جنانًا واخبر في مداراة الفرسان والشجعان فعند ذلك فرحت بنو قحطان بذلك الشان ونزل السرور على قلب الربيع الكلحان واخيه عمارة وظنوا ان عنترة يذل ويهان ولم يعلموا انهُ فارس الزمان وشجاع العصر والاوان وكان تحت هاني فرس ابلق لو سابق بهِ البرق لسبق فطلب عنترة وطلبهُ عنتر على ظهر جواده الابجر فاصطدما كانهما جبلان تصادما او بحران تلاطما وقحما على بعضهما بعض وخيم الغبار بين السماء والارض واظهرا ما في صدورهما من الحنق وخرجا من المزاح الى الجد والكفاح وعمدا الى الصفاح التي هي اعجل لقبض الارواح وجرى العرق وساح ولم يزالا في قتال ونزال حتى ولى النهار وزال فقال هاني لعنترة يا ابا الفوارس لقد هلكنا من التعب ورأيت منك ما قد اذهلني في يومي ومن الراي ان ترجع الى قومك وانا ارجع الى قومي وعند الصباح نعود الى الكفاح فقال عنترة

لا وحق منسم الرياح لا انفصال الا ببلوغ الامال وان كان لابد لك من الراحة فدعنا نبيت في الميدان فرضي هاني بذلك و باتا في الميدان الى الصباح فعند ذلك عادا الى ما كانا عليه من الكفاح الى المسا و باتا ثاني ليلة وكذلك ثالث يوم الى المسا وثالث ليلة باتا في الميدان وقد انبهر هاني من قتال عنترة وعلم انه ان اقام في قتاله عامًا لايمل من الصدام فترجل اليه وعانقه وصالحه وقال له يا ابا الفوارس لا تؤاخذني فان ابن عمي عامر هو الذي كان السبب والان علمت انك فارس منتخب فرجعا من الميدان وقد فرحت بما جرى الفرسان ولما اصطلحا بعد ذلك الحروب وعزم الاثنان على الركوب تقدم هاني ليعضد عنترة فقال عنتر لا وحق الركن والحجر انت احق بهذا واولى لاني انا العبد وانت المولى وخدمة العبيد للمولى اوجب واولى فعند ذلك ركب الاثنان على ظهري فرسيهما وتلك الخلائق تنظر اليهما فنادى هاني بن مسعود بصوت سمعهٔ القاصي والداني وقال ياسادات العرب واصحاب الحسب والنسب وارباب المعالي والرتب ويا ايها السيد عبد المطلب وكل من ضرب في البيداء طنب اشهدوا عليّ انني اقسمت بالرب العظيم رب زمزم والحطيم واله موسى وابرهيم ان عنترة اثبت مني جنان . واخبر مني بمداراة الفرسان ولقد عفا عني في الحرب والضراب كما تعفو الرجال عن النواعم الاتراب فلما سمع عنترة من الامير هاني في حقه ذلك المقال اشهر الاخرين الرجال وقال اشهدوا يافرسان البيت الحرام وجميع من حضر في هذا المقام انني عبد لهذا الغلام وانما هو من كرم اصله وطيبة مولده يقول هذا الكلام وهو فارس هام و بطل ضرغام ونتيجة الليالي والايام فلما نظر الحاضرون الى ما اتفقت عليه نية الاثنين فرحت بذلك قلوب المحبين وذابت من الغيظ قلوب المبغضين ثم بعد ان تم هذا الاتفاق وصفا الوقت وراق اقبل الشيخ عبد المطلب على عنترة وقال له ياابا الفوارس لقد نلت مبتغاك و بلغت غاية مناك وتمهدت لك الاسباب وذلت لك ابطال الاعراب فما بقي الا ان تحضر القصيد من غير مهلة ولا تفنيد فقال عنترة السمع والطاعة فانا احضرها في هذه الساعة

قال سعيد بن مالك ولما راى عنترة كثرة هذه الخلايق وطاعتها له وذلها بين يديه فرح بذلك الحال لان سعده كان في اقبال فانشد فرحًا وقال

احن الى طعن الرماح الذوابل ... و يطربني في الحرب صوت الصواهل
و ياخذني وجدي اذا الخيل اقبلت ... وجالت بها الابطال تحت القساطل
ومن قد رأى طعني وشاهد موقفي ... اذا الحرب ثارت تحت طعن العواسل
يشاهد اني واحد في زمانه ... ومالي حقًا في الورى من مماثل

فلا تسمعوا قول الحسود فانــه جبان ذليل بين كل القبائل
فان كان قد حطت زبيبة نسبتي علوت باقدامي وسيفي وذابلي

قال نجد بن هشام فلما فرغ عنترة من هذه الابيات طربت لها الابطال والسادات وقالوا والله لقد كمل بالفصاحة والشجاعة والفروسية والبراعة وبعد ذلك اقبل عنترة على السيد عبد المطلب وقال له يامولاي بماذا تشير فقال ياابا الفوارس احضر اصحاب القصائد الى هذا المقام وهددهم بالقتل وخوفهم حتى يقبلوك وفي انسابهم يدخلوك وفي فصاحتهم وادابهم يشركوك فلما سمع عنترة مقالة قبل يده ودعا له وانفذ في ساعة الحال ميسرة وغصوب ومازنا وشيبوب وامرهم ان يحضروا جميع فرسان العرب الى قدام الشيخ عبد المطلب فلم تكن الا ساعة حتى حضروا وشاهدوا تلك الخلائق فعند ذلك قال لهم عنترة اعلموا انه ما بقي يعوقني عن تعليق القصيد غيركم فاسمعوا مقالي وساووني في درج المعالي والا ضربت رقابكم وفجعت بكم احبابكم

قال نجد بن هشام فلما سمعوا من عنترة هذا الكلام بعد ما رأوا منه تلك الاهوال وذلت له الرجال والابطال قالوا له ياابا الفوارس ويازين المجالس لا نحتاج الى هذا التهديد فنحن نجيبك الى ما تريد فعند ذلك حضر اصحاب القصائد فقال لهم عنترة مثل ذلك الكلام فما منهم الا من خاف من شرب كاس الحمام واجابوه الى ما طلب من المرام فقال لهم الشيخ عبد المطلب ما تقولون ياسادات العرب هل ادخلتموه في احسابكم برضاء منكم من غير اكراه فقالوا نعم فقال لهم عبد المطلب نحن نشهد عليهم بذلك لئلا تقولوا نحن ما ادخلناه في احسابنا باختيارنا بل كرهًا عنا لاننا كنا عنده تحت السيف فما قدرنا نقول لا لم ولا كيف فلما سمع عنترة من عبد المطلب ذلك الخطاب راه غاية الصواب وقال والله يامولاي لقد فتحت نعم الباب ذلك مقال اولي العقول والالباب ولما سمع اصحاب القصائد ذلك الكلام وكان في اوائلهم امرء القيس بن حجر الكندي وعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد وزهير بن ابي سلمى ولبيد بن عامر والاعشى بن ميمون بن قيس ناداهم عنترة ياوجوه العرب اليس تعلمون اني مننت عليكم بارواحكم وخيلكم وسلاحكم فقالوا كلهم عن لسان واحد نعم ياابا الفوارس وزين المجالس فقال لهم اريد ان تشهدوا على انفسكم هذا السيد عبد المطلب وسادات مكة انكم ادخلتموني في انسابكم برضاكم والا وحق البيت الحرام رميت رقابكم وبعد ذلك اعلق قصيدتي حيث اريد على رغم الاحرار والعبيد قال فلما سمعوا من عنترة هذا الكلام بات كل منهم كانه الجم بلجام وجعلوا ينظرون الى بعضهم بعض وهم مطرقون الى الارض

قال ومن اعجب الاتفاق واظرف حديث نقلتهُ الاوراق ان الحديث كان قد جرى بين الفصحاء من الليل واتفقوا على هذا الكلام ودبروا هذا النظام فعند ذلك رفع راسهُ امرءُ القيس من دون اصحابهِ وجلسائهِ واقبل على عنترة وقال لهُ اعلم يا ابي الفوارس ان خير القول اصدقه لمن وعاه وحققه انت والله فارس هام وبطل ضرغام ولكن يا وجه العرب نحن لا نشاركك معنا في الفصاحة والنسب ما لم نمتحنك في اسماء عجيبة العجب لانك تعلم ان العرب لا تسلم في امر حتى تغلب فان كنت صاحب شعر ونظام فاجبنا على ما نقول من الكلام والا فلا نطيعك على ما تريد ولو اهرقت دماءنا على وجه الصعيد ولا تترك العرب يقولون ما ادخلوا عنترة في احسابهم الا خوفًا من التهديد فلما سمع عنترة مقاله قال يا وجوه العرب كل واحد منكم لهُ سوال الا ترضون واحدًا منكم ينوب عن الجميع في هذا المقام فقالوا يا ابا الفوارس لا نريد الا واحدًا منا ينتدب الى تلك الفعال فلما نظر عمارة واخوه الربيع الى ذلك السبب فرحوا واملوا ان عنترة يغلب فقال عنترة يا وجوه العرب اختاروا واحدًا منكم لهذا السبب وادعوه يسال عما طلب حتى اجيبه وابلغه الارب فعند ذلك اتفقت جميع الفصحاء قدام عبد المطلب وعنترة على ان يكون امرءُ القيس بن حجر الكندي يسال عنترة فقال لهُ عنترة قل ما بدا لك حتى اجيبك على سوالك وابين لك جواب مقالك والا اجعلني انا السائل وانت المسؤول حتى لا اخليك تعرف ما تقول فقال لهُ يا ابا الفوارس وزين المجالس اجبنا عن هذه السوالات ان كنت من اصحاب الفصاحة والمقالات فاخبرنا اولاً عن اسماء السيف والقابهِ فقال نعم يا امرءَ القيس هو يسمى باسماء كثيرة لا يعرفها كثير من الناس فمن اسمائهِ

السيف . والحيف . والصارم . والحاكم . والذابح . والصدي . والمردي . والندي والعدي . والجليل والخليل والصقيل . والمقيل . والوكيل والنبيل والكفيل . والقضيب . والحبيب . والمصيب والربيب . واللهيب . والمعيب والعجيب والمجيب . والصفيحة والمريحة . والمليحة . والصمصام . والحسام . والهكام . واللكام . والخدام . والمرام . والسهام . والحمام والقوام والركام . واليماني والهندواني . والمقباس والمقياس . والايناس . والمشرفي . والصفي . والوفي والخفي والجفي والبداية . والضراب والعضب . والمشطب . والندب . ومفرج الكرب والذكر والمشهر . والابتر . والاخضر . والمهز . والمعز . والمطبق . والمطلق . والمبر . والنصل . والمحرق والمشرق . والمنصل . والضريبة . والمصيبة . والهندي . والابيض . والهدار . والزار . والامر . والنصال . والعقينة . والحقيقة . والطريقة . والمرهف . والعاقر . والعقيم . والنديم

والقصيم . والقاطع . واللامع . والساطع . والرائع . والطائح . والقرين . والمعين . والرزين . والمصون . والامين . والماضي . والقاضي . والمهند . والحدد . والمجرد . والرامي . وذو النور . والمشهور . وذو الحدين . وقاضي الدين . والسفاك . والهتاك . والهلاك . والدقيق . والرقيق والرفيق . والصديق . والطريق . والمريق . وذو الحياة . وكامل الصفات . والذعر الدلوق والممشوق والمشوق

فهذه جملة اسماء السيف يا امرء القيس فلما سمع امرؤ القيس كلام عنترة وما سمى به من الاسماء والمعاني قال بخ بخ انت والله افصح من تكلم بخطابه ولكن نريدك ان تبين لنا اسماء الرمح وجميع القابه فقال عنترة نعم يا امرء القيس فاول اسمائه

الرمح . والمشهر . والرديني . والقنا . والمناه . والكعوب والانبوب . والصعدة . والزرقا . والمثقف . والسمهري . واللهب . والعود . والحكم . واللهذم . والذابل والقاتل والواصل والمايل والاجل . والاسمر . والمشهور . والملم . والوشيج والهبيج والزان . والمران . والاشطان والعوال . والمقداد . والمياده . والخطاف . والوشاح . والبادي . والخشب . والمعقل . والمفصول . والمهول . والاسل . والطويل . والقرن . والقصير . واللدن . والنفير . والقنطارية والخلنجية . والنسب . والمنيب . والمزراق . والسامي . والمصيب . والحمام . والقوام . والعسال والتمسام . فهذه جملة اسماء الرمح يا امرؤ القيس فقال له امرؤ القيس لله درك من فارس همام ما افصحك في الكلام ولكن يا فارس عدنان اريدك ان تبين لنا اسماء الدروع والقابها فقال ابشر يا امرء القيس فاول اسمائه المعروف

الدرع . والمرانية . والزردية . والامسد . والطامه والدلاص . والمانع . والساطع . والبصاص . والخاص . والمنسوج . والسابغة . والحافظ . والمبر . والمشهور . والمورد . والمبرد . والمنضد . والصلد . والجلد . والخلد . والحديد . والصفة . واللبوس . والحصن . والباس . الشديد . والنصيح . والاحجيي . والنسيج . والبهيج . والنسيم . والقرين . والاثار . وذات المواشي

فهذه جملة اسماء الدرع فقال صدقت فاذكر لنا اسماء الخيل الجياد فقال نعم اول اسمائها

الفرس . والجواد . والسابق . واللاحق . والطارق . والصادع . والغمام . والركام . والنعام . والصارف . والخاطف . والصادق . والقلة . والابجر . والاشقر . والسابح . والسحاب . والعقاب . والكوكب . والركاب . واللولب . والمنفض . والاشهب . والكميت . والادهم . والاعلم . والشيظم . والهطال . والمعلم . والصهال . والذيال . والجال . وذات النسور . والنور والبور . والجايل . والقتال . والطايل . والصائل . وداحس . والمهاز . وحابس . وشنداز .

والمطلق . والبائز . والاسبق . والورد . والطيار . والرعد . والسيار . والراكض . والناهض . والهيام . والمصادم . والرجام . والمنسوب . والمطلوب . والمقلوب . والمجنوب . والجنيب . والنهيب . والحبيب

فلما سمع امرء القيس ما نطق به الامير عنترة قال له صدقت فبين لنا اسماء النوق والقابها فقال له عنترة هذه اسماؤها

الناقة . والحرفا . والجرفا . والشملة . والمدللة . والهوجل . والجمل . والمشمعلة . والجبش . والعضبا . والقتنة . والمقنة . واليعملة . والبكرة . والقينة . والكوشة . والملشا . والمطيسة . والابل . والمهرية . والبهية . والصلية . والصفية . والنبيلة . والعلية . والعبداس . وام عباس . والمفاقة . والزياقة . واللفافة . والرابعة . والغيرانة . والحبنانة . والبقار وست الدار . والجرة والدرة . والكومة . والمرقالة . والجبرة . والغزالة . والسايبة . والحالبة . والغالبة . والجالبة . والفصيلة . والوصيلة . والحام . والسابقة . واللاحقة . والرجج والجمازة . والمهذبة . والمذللة . والعالية . والناجية . والطلوب والغلوب والصبيحة . والمليحة . والدهنا . والهيفا . واللقاح . والرياج . والنجبة . والاصيلة . والضيلة . والسكرة والجوذرة . والمباركة . والسكينة . والسفينة والمكينة . والمسكينة

فهذه جملة اسماء النوق يا امرء القيس فقال صدقت ولكن اخبرنا عن اسماء الخمرة قال نعم فاول اسمائها

الخمرة . والمنذرة . والنذرة . والشمول . والقرقف . والخندريس . والرسيس . والرياح والوشاح . والقهوة . والنشوة . والمدام . والثام . والمتمعشع . والعقار . والخمار . والمنكر . والمعطر . والبكر . والسلاف . والاصفر . والاحمر . واللاثم . والمعطار . والعابق . والفايق والرايق . والاسفيط . والغبيط . والمعتقد . والمشرفة . والعروس . وبنت القسوس . وحياة النفوس . والصهبا . والجربال . والزلال . والوصال . والخرطوم . ومنفي الهموم . والسحابة . وام الليل . والشافية . والوافية . والعافية . والكافية . والمدسة . والمدنسة . والحليا . والخليا . والمعجونة . والحسنية . والسلسبيل . ومداوي العليل . وطعم العسل . والمعجون . وام الفنون . والكسرع . والنقيع . والنجيع . والقرطب . والسكر . والمشروب . ومجمعة كل محبوب

فهذه جملة اسماء الخمرة يا امرء القيس فقال صدقت يا عنترة وكلما ذكرته من الاسماء يقال ويذكر ولكن نريدك ان تبين لنا اسماء الحيات فقال نعم يا امرء القيس فاول اسمائها

الحية . والارقم . والشجاع . والاصم . والاسود . والاسد . والسيطر . والسندي .

والحنش . وصالح . والكندي . والافعوان . والردار . والشيطان . والحفان . والشذوان . واللعات . والثعبان . والابتر . وابو مكتوم . والاسمر والاعوج . والارقط . والوردي . والاسلط . والوسواس . والعربيد . والخناس . والركابي . والمقباس . والعنابي . والحسن . والدريابي . والاعلم . وغيلم . والعبقري . وابو النجم . والنعمان . والخنفش . والحراف والجنين والطرفين . واللعين . والمريش . والاصلد . والارقش . والهوجل . والانمش والجذاب . والاملس . والخشاش . والابرش . والحبلية . ورقبة الجمل . والناهش . والطيار . والاطرش والتلاخي . والعاجي . والخفاجي . والنشابي . والعاشق . والادهد . والفاسق . والواقب . والابلق . والرملي . والبلقع . والماي . والمطوط . والزلحف . والنام . والافعى . والقتال . والشبرى . والمطال . والضفدع . وابو كربال . والاخرس . والاطوز . وابو قرنين . والمنقش . والاضلع والعفريت . والصايل والمايل . والبهيم . والقاتل

فهذه جملة اسماء الحيات قال الراوي فعند ذلك تعجبت العرب من ذلك المقال واخذتهم الحيرة والاندهال وقالوا وحق ذمة العرب لقد كمل عنترة بالفصاحة والشجاعة والفروسية والبراعة ويستحق والله ان يعطى اعنة السمع والطاعة ولا يخالفة احد من هذه الجماعة . فلما سمع امرء القيس ذلك المقال الذي حير العرب والعجم قال له . لله درك يافارس عبس الادهم وليثها المعلم ثم انه نادى باعلى صوته ألا ياسادات العرب اشهدكم على ان الامير عنترة قد سبقنا في الحسب والنسب . وعلا علينا بالفصاحة والادب . وهو والله افصح منا لسانًا واثبت منا في حومة الميدان واقدر منا على لقاء الشجعان فعندذلك اقبل عبد المطلب على باقي اصحاب القصائد المعلقة وقال لهم ماذا تقولون ياسادات العرب في عنترة فقالوا نقول ماقاله امرء القيس وكلنا عتيق سيفه وامين خوفه وغرس نعمته وهو واحدمنا في الحسب والنسب والشجاعة والفصاحة والادب فعند ذلك قام عنترة اليهم وقبل روٴوسهم وبين عينيهم وخلع الخلع السنية عليهم ثم نادت عبيد عبد المطلب بترك الحرب والكفاح فانجلت الكروب وصفت القلوب واجتمعوا بعد الافتراق وصفا لهم الزمان وراق و بعد ذلك نادت بنو قحطان ومن حضر في ذلك المكان ياابن عبد مناف ونسل السادات الاشراف اسمعنا قصيدة عنتره بن شداد فارس عبس وعدنان وفزارة وذبيان حتى نرى ان كانت فصاحتة تشبه شجاعتة

فلما سمع عبد المطلب منهم ذلك الكلام قال لهم ان اردتم ان تسمعوا الشعر والنظام فارجعوا الى البيت الحرام حتى اسمعكم اياها وتفهموا لفظها ومعناها وتعرفوها بتحقيقها اقبل

رفعها وتعليقها ويتروا ما فيها من غرائب الكلام وحسن النظام فعند ذلك مالت جميع العرب الى البيت الحرام وازدحمت بين زمزم والمقام فامر عبد المطلب بنصب العرنوس الذي كان يخطب عليه في زمن الجاهلية وهو يسمى في زماننا هذا منبراً فعند ذلك نصب قدام الكعبة شرفها الله وعظمها وكان ذلك المنبر شاهقاً في الارتفاع لأن طوله ثلاثة وعشرون ذراع فلما نصب تقدم عنترة ومن له من الاولاد والابطال الذين يصفون له الوداد والسيوف في ايديهم مسلولة ولهم هيبة عظيمة وصولة فعند ذلك اقبل عبد المطلب على عنترة وقال يا ابا الفوارس اين القصيدة التي تريد ان تعلقها وتخبارها حتى يسمع هولاء العربان فصاحة اشعارها فقال عنترة هي يامولاي حاضرة ثم ان عنترة امر عروة باحضار القصيدة فلم تكن الا ساعة . حتى اتى بها ملفوفة في ثوب من الديباج . وهي مكتوبة بالفضة والذهب الوهاج فعند ذلك اخذها السيد عبد المطلب ونشرها بين يديه الكريمتين وكل من في ذلك المكان ناظر اليه باهتمام ثم نادى برجل من فصحاء مكة يقال له وايل بن العاص فقال له يا ابن العاص ارق هذا المنبر واسمع الناس واشرح لهم ما في هذه القصيدة التي لابي الفوارس عنتر واقرأها باعلى صوتك الجهير حتى يسمعها القاصي والداني لاننا بلغنا المنى وزال عنا التعب والعنا فلما سمع وايل بن العاص كلام السيد عبد المطلب قال السمع والطاعة ثم انه صعد في ساعة الحال وتطلع في يمين وشمال فابصر خلقاً بعدد الرمال لايحصيهم الا الله الملك المتعال فعند ذلك حمد الله واثنى عليه بالجود والافضال ثم رفع صوته الجهير وكان اندى من وابل المطر فسمعهُ كل من حضر من تلك الخلائق والبشر وقال الحمد لله الواحد القهار مدبر الليل والنهار رب مكة ومنى المستوجب الحمد والثنا المنزه عن البنات والابنا الذي جعل النهار معاشاً والليل سكناً وحكم على عباده بالموت والفنا فهو الله خالق العباد وهاديهم الى طريق الرشاد واذا حكم نفذ حكمهُ في سائر العباد وليس لقضائه من معاد . معاشر العرب الاجواد اسمعوا ما قالهُ فصيح بني عبس وعدنان الذي افتخر على ابناء جديس وسأد وقهر الابطال الشداد وبنى له في المعالي بيتاً رفيع العماد اسمعوا واطيعوا ترحموا ولاتخافوا تندموا فقالوا هات واسمعنا فانشد وقال

هل غادر الشعراء من متردمِ	ام هل عرفت الدار بعد توهمِ
اعياك رسم الدار لم يتكلمِ	حتى يكلمكَ الاصمُّ الاعجمِ
يادار عبلة بالجواء تكلمي	وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي
دارٌ لانسةٍ غضيضٍ طرفها	طوع العناق لذيذة المتبسمِ

فوقفت فيها ناقتي وكانها   فدنٌ لاقضي حاجة المتلوّمِ
وتحلُّ عبلة بالجواء واهلنا   بالحزن فالصمّان فالمتثلمِ
حييت من طللٍ تقادم عهدهُ   اقوى واقفر بعد امّ الهيثمِ
وتحل عبلة في الخدور تجرها   واظل في حلق الحديد المبهمِ
حلت بارض الزائرين فاصبحت   عسرًا عليّ طلابك ابنة مخرمِ
علقتها عرضًا واقتل قومها   زعمًا لعمر ابيك ليس بمزعمِ
ولقد نزلت فلا تظني غيرهُ   مني بمنزلة المحب المكرمِ
اني عداني ان ازورك فاعلمي   ما قد علمتِ وبعض ما لم تعلمي
حالت رماح بني بغيضٍ دونكم   وزرت حوافي الحرب كل ململمِ
ياعبلَ لو ابصرتني لرايتني   في الحرب اقدم كالهزبر الضيغمِ
كيف المزار وقد تربع اهلها   بعنيزتين واهلها بالغيلم
ان كنتِ ازمعت الفراق فانما   زمت ركابكم بليل مظلمِ
ما راعني الا حمولة اهلها   وسط الديار تسف حب الخمخمِ
فيها اثنتان واربعون حلوبةً   سودًا كخافية الغراب الاسحمِ
اذ تستبيك بذي غروب واضح   عذب مقبلهُ لذيذ المطعمِ
وكانّ فارة تاجر بقسيمة   سبقت عوارضها اليك من الفمِ
او روضة انفًا تضمن نبتها   غيثٌ قليل الدمن ليس بمعلمِ
نظرت اليك بمقلة مكحولة   نظر الملول بطرفهِ المتقسمِ
وبحاجب كالنون زين وجهها   وبناهد حسن وكشحٍ اهضمِ
ولقد امر بدار عبلة بعد ما   لعب الربيع بربعها المتوسمِ
جادت عليهِ كل بكر حرّة   فتركنَ كل قرارة كالدرهمِ
سحًا وتسكابًا فكل عشية   يجري عليها الماء لم يتصرمِ
وخلا الذباب بها فليس ببارح   غردًا كفعل الشارب المترنمِ
هزجًا يحك ذراعه بذراعهِ   قدح المكب على الزناد الاجذمِ
تمسي وتصبح فوق ظهر حشية   وابيت فوق سراة ادهم ملجمِ
وحشيتي سرجٌ على عبل الشوى   نهد مراكلهُ نبيل المحزمِ
هل تبلغني دارها شدنيةٌ   لعنت بمحروم الشراب مصرّمِ

الكتاب الثاني والثمانون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

خطارةٌ غبَّ السرى زيافة | تطس الاكام بذات خفٍّ ميثمِ
وكانما اقص الاكام عشيةً | بقريب بين المنسمين مصلمِ
تاوي لهُ قلص النعام كما اوت | حزقٌ يمانيةٌ لاعجم طمطم
يتبعن قلة راسهِ وكانهُ | حرج على نعش لهنَّ مخيمِ
صعل يعود بذي العشيرة بيضهُ | كالعبد ذي الفرو الطويل الاصلم
شربت بماء الدحرضين فاصبحت | زوراء تنفر عن حياض الديلم
وكانما تناى بجانب دفها الـ | ـوحشي من هزج العشي موءوم
هرٌّ جنيب كلما عطفت لهُ | غضبى اتقاها باليدين وبالفم
بركت على جنب الرداع كانما | بركت على قصب اجش مهضم
وكانَّ ربًّا او كحيلاً معقدًا | حش الوقود بهِ جوانب قمقم
بلت مغابنها بهِ فتوسعت | منهُ على سعن قصير مكرمِ
ابقى لها طول السفار مقرمدًا | سندًا ومثل دعائم المتخيم
ينباع من ذفرى غضوب جسرة | زيافة مثل الفنيق المكدم
ان تغدفي دون القناع فانني | طبٌّ باخذ الفارس المستلئم
اثني عليَّ بما علمت فانني | سهل مخالقتي اذا لم اظلم
فاذا ظلمت فان ظلمي باسلٌ | مرٌّ مذاقتهُ كطعم العلقم
ولقد شربتُ من المدامة بعد ما | ركد الهواجر بالمشوف المعلمِ
بزجاجة صفراء ذات اسرة | قرنت بازهر في الشمال مفدَّم
فاذا شربت فانني مستهلك | مالي وعرضي وافر لم يكلمِ
واذا صحوت فما اقصر عن ندًى | وكما علمت شمائلي وتكرمي
وحليل غانية تركت مجدلاً | تمكو فرائصهُ كشدق الاعلمِ
سبقت يداي لهُ بعاجل طعنة | ورشاش نافذة كلون العندم
هلا سالتِ الخيل يا ابنة مالك | ان كنت جاهلة بما لم تعلمي
اذ لا ازال على رحالة سابح | نهد تعاورهُ الكماة مكلم

طوراً يجرد للطعان وتارة   ياوي الى حصد القسي عرمرم
يخبرك من شهد الوقيعة انني   اغشى الوغى واعف عند المغنم
ومدجج كره الكماة نزاله   لاممعن هرباً ولا مستسلم
جادت يداي له بعاجل طعنة   بمثقف صدق الكعوب مقوم
برحيبة الفرغين يهدي جرسها   بالليل معتس السباع الضرم
فشككت بالرمح الطويل ثيابه   ليس الكريم على القنا بمحرم
وتركته جزر السباع ينشنه   ما بين قلة راسه والمعصم
ومسك سابغةٍ هتكت فروجها   بالسيف عن حامي الحقيقة معلم
ربذ يداهُ بالقداح اذا شتا   هتاك غايات التجار ملوَّم
لما راني قد نزلت اريدهُ   ابدى نواجذهُ لغير تبسم
فطعنته بالرمح ثم علوته   بمهند صافي الحديدة مخذم
عهدي به مد النهار كانما   خضب البنان وراسه بالعظلم
بطل كان ثيابه في سرحة   يحذى نعال السبت ليس بتوام
ياشاة ما قنص لمن حلت له   حرمت عليَّ وليتها لم تحرم
فبعثت جاريتي وقلت لها اذهبي   فتجسسي اخبارها لي واعلمي
قالت رايت من الاعادي غرةً   والشاة ممكنة لمن هو مرتم
وكانما التفتت بجيد جداية   رشإٍ من الغزلان حرٍ ارثم
نبيت عمراً غير شاكر نعمتي   والكفر مخبثة لنفس المنعم
ولقد حفظت وصاة عمي بالضحى   اذ تقلص الشفتان عن وضح الفم
في حومة الموت التي لاتشتكي   غمراتها الابطال غير تغمغم
اذ يتقون بي الاسنة لم اخم   عنها ولكني تضايق مقدمي
لما سمعت نداء مرة قد علا   وابني ربيعة في الغبار الاقتم
ومحلِّمٌ يسعون تحت لوائهم   والموت تحت لواء آل محلم
ايقنت ان سيكون عند لقائهم   ضرب يطير عن الفراخ الجثم
لما رايت القوم اقبل جمعهم   يتذامرون كررت غير مذمم
يدعون عنتر والرماح كانها   اشطان بئر في لبان الادهم
يدعون عنتر والسيوف كانها   لمع البوارق في سحاب مظلم

يدعون عنتر والحراب كانها ... طلق الجراد على مشارع حومر
يدعون عنتر والدروع كانها ... حدق الضفادع في غدير ديجم
ولقد تركت المهر يدمي نحرهُ ... حتى اتقتني الخيل ثاني جذعم
ما زلت ارميهم بغرة وجهه ... ولبانهِ حتى تسربل بالدم
فازورَّ من وقع القنا بلبانهِ ... وشكا الي بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ... ولكان لو علم الكلام مكلمي
ولقد شفى نفسي وابرأ سقمها ... قول الفوارس ويك عنتر اقدم
والخيل تقتحم الغبار عوابسًا ... ما بين شيظمة واجرد شيظم
ذلل ركابي حيث شئت مشايعي ... لبي واحفزه بامر مبرم
ولقد خشيت بان اموت ولم تكن ... للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشاتمي عرضي ولم اشتمهما ... والناذرين اذا لم القهما دمي
ان يفعلا فلقد تركت اباهما ... جزر السباع وكل نسر قشعم

قال مجد بن هشام ولما فرغ وائل بن العاص السهمي من قصيدة عنترة الميمية وقراءتها وسمعتها السادات طربوا وسجدوا لها بعد ان علقوها على البيت الحرام وصاروا يسجدون لها في كل عام حتى ظهر النبي عليهِ الصلوة والسلام وجاء بالقرآن وطهر البيت من الاصنام واعتنقت فصحاء العرب دين الملك الديان واتبعوا الحق لما سمعوا القرآن وذلت اهل الشرك والطغيان وكثرت اهل الايمان وبعد ان علق عنترة القصيد وبلغهُ الله كلما يريد وشهد بشجاعتهِ القريب والبعيد وعفروا وجوههم بين يديهِ على الصعيد عزمت العرب ان تعود الى الخيام وياخذوا اهبة الرحيل والاهتمام والرجوع من ذلك المقام بعد ان زاروا البيت الحرام وسجدوا لقصيدة عنترة بن شداد وكانت كتابتها سطرًا بالفضة وسطرًا بالذهب الاحمر وكان الكاتب لها عروة بن الورد

قال سعيد بن مالك فعند ذلك انفذ السيد عبد المطلب عبيده وامرهم ان يحضروا سبيع بن الحارث الملقب بذي الخمار فمضوا واحضروه فلما وقف بين يدي السيد عبد المطلب جد النبي المنتخب كان دريد بن الصمة جالسًا في حضرتهِ فقال لهُ عبد المطلب يا ابا النظر اسمع كلامي قدام من حضر هذا زوج ابنتك ونسبتهُ متعلقة بنسبتك وقد اتى بالعجم يعينونهُ على قتال العرب وكان يريد ان يهدم البيت الحرام ويترك الكعبة تعبد فيها النار ذات الاضطرام وقد اقدم على امر عنيد فافعل بهِ الان ما تريد فلما سمع دريد من عبد المطلب

ذلك الكلام قال له يا سيد زمزم والمقام ما العمل برجل قد ركب جواد البغي والجهل وابعد عن الاقارب والاهل وضيع عمره في الحسد وبذل الى الافات الروح والجسد فوالله ما اعتذرنا ابدا ولا اخترت الضلال على الهدى فافعل به الان ما يجب واقض عليه ما يقضيه شرع العرب ولا تسمع لوم من لام ولا عتب من عتب لانك انت حاكم العرب الكرام وسيد البيت الحرام

قال نجد بن هشام فلما سمع عبد المطلب هذا الكلام قال له يا ابا النظر لا يطهر هذا من ذنوبه الا تعذيبه وتحقيره بين الانام وبهذا يقضي مذهب العرب حتى يعتبر به كل احد ويتادب ولكن نحن لاجلك ناخذ منه بعض القصاص ونجز شعره ونطلقه ثم انه في ساعة الحال امر عشرة من العبيد ان يشدوا يديه ويركبوه على جمل معرّى ويوثقوه عليه ويطوفوا به على القبائل والحلل وهو من فوق ذلك الجمل وان ينادوا عليه هذا جزاء من اتى بجهله واراد ان يهدم البيت الحرام ويخرب زمزم والمقام ويمحو اثار ابرهيم عليه السلام ويترك عباد النار حول المشاعر العظام فعند ذلك فعلوا ما امر وتعجب من ذلك كل من حضر وكان الذي تلقاه هاني بن مسعود لاجل ما بينهما من الادغال والحقود وكان يخترق به المضارب والخيام والعبيد تضربه بالسياط من كل جانب فيذوق الالام وهم ينادون عليه بذلك الندا والصياح قد انقلب تلك البدا والخلائق دائرة من حواليه والنساء يصفقن عليه ومازالوا كذلك بذي الخمار الى ان قارب اخر النهار وعول الامير هاني على ان يعود به الى عبد المطلب بعد ان بلغ من عقابه ما اختار فبينما هو معول على تلك الامور واذا بخمسين فارسا اطبقت عليه مثل الصقور على خيول اخف من الطيور فرفعوا العبيد على اطراف الرماح وابهتوهم بالصياح وبذلوا فيهم البيض الرقاق واطلقوا ذا الخمار من الوثاق واركبوه على ظهر الجواد وسلموه الة الحرب والجلاد وقالوا له ويلك يا ابن العم خذ لنفسك بالثار واخرج من تحت الغبار ولا ترضَ بالذل والعار فان هذا الامر الذي حل بك لو حل ببعض الخدم لهان عليه الهلاك والعدم فلما سمع منهم هذا المقال عرف صحة الاقوال وقال والله يا بني عمي لقد صدقتم فيما قلتم ثم انه بعد ذلك الكلام هدر كما يهدر اسد الاجام وطلب هانيا وكان هاني لما نظر اولئك الفرسان قد خلصوا ذا الخمار من الذل والهوان علم المراد وحمل على تلك الخيل فانزل بركابها الذل والويل وما خلص ذو الخمار من الاعتقال حتى قتل منهم سبعة رجال هذا وسبيع حمل على هاني حملة الحنق وصاح فيه وزعق وضربه ضربة جبار فاذاقه طعم الذل والعار وحل عاتقه وقلبه عن الجواد

وساعده ربه المبادي فعند ذلك ارتفع عليه الصياح وركبت الفرسان اليه بقطع الرماح وشهروا في ايديهم الصفاح وقاتل ذو الخمار هو وباقي الفرسان الخمسين واشتد القتال والصدام وحموا انفسهم حتى انسدل الظلام وطلبوا عند ذلك النجاه وقد سترهم الظلام بدجاه هذا وذو الخمار قد ربح بالخلاص من اعداه وصار كلما ادركته الرجال عاد اليها ونفر وحمل عليها مثل الاسد اذا انذعر فعند ذلك وقع الضجيج في القبائل واحترز الفارس والراجل وكانت اكثر القبائل قد ارتحلت تطلب ديارها والمنازل ووصل خبر ذي الخمار الى الشيخ عبد المطلب اخر النهار وعلم بذلك فحار وقال نجا والله سيبين الهلاك وافسح الله له في الاجل وتخلص من الاشراك ولولا الليل واختلاط الظلام لكنت اتبعه ولو تعلق بالغمام ولكن اتباعه في هذا الوقت جهل وعنى ولا نبلغ منه منى واقول ان دريدًا انفذ اليه هذه الفرسان والخيل فخلصته من الاحتراق والويل ونجت به في ظلام الليل هذا وقد اتت بنو شيبان وشالوا هانئًا وهو على اخر نفس لان جرحه كان بليغًا وكان لما اصابه الجرح غاب عن حسه وانسه فحزنت عليه الفرسان وبكت عليه الشجعان ولما اصبح الصباح اخذت القبائل في اهبة الرحيل وكان عنترة عول ان يعمل دعوة للمقدمين والابطال يقدم لهم فيها كلما يقدر عليه من النوق والجمال والرجال والاموال فمنعه ما جرى لهاني فعند ذلك ارسل عنترة الى دريد يشاوره في هذه الامور ويخبره ان كان راضيًا بخلاص ذي الخمار وبما جرى على هاني من الاضرار فرد عليه دريد الجواب يقول والله يا ابا الفوارس ان الوليمة في هذا الوقت شماتة ومقت لان هذا الرجل قد صار صاحبنا واكل معنا الطعام ورمى نفسه بين ايدينا في الهلاك والحمام ونسوان بني شيبان حوله في غاية الانهتاك وهو مشرف من ضربة ذي الخمار على الهلاك واجتماعنا بعده جهل عند ارباب العقل غير اني وحق ذمة العرب لو وقع اليوم ذو الخمار بكفي لجزرته بيدي وانت الشاهد علي ان دمه لقاتله من قبلي مباح واني بريء منه في المساء والصباح فلما سمع عنترة حلفه علم انه اساء فيه الظن فصار يتردد هو وعمرو بن معدي ودريد بن الصمة وسائر الفرسان في كل صباح ومساء الى بني شيبان يتفقدون هانئًا ويعدونه باخذ ثاره من خصمه تمام العشرة الايام وبعد ذلك رحل دريد بقومه وبني الاعمام ورأوا نوبة هاني طويلة كبيرة وجراحاته خطرة فتسارعت لوداعه الفرسان ذلك النهار وودعوا بعضهم ثم ودع عنترة دريدًا وذلك بعد ان قبل يديه وشكره واثنى عليه ثم رجع الى الخيام وعلم انه بعد رحيله ما بقي له مقام وكان كل هذه المدة التي اقامها في البيت الحرام يقضي نهاره مع اولاده في الصيد والقنص الى الظلام

واول الليل يفضيه مع غمرة ويطيب قلبها و ياتي الى عبلة فيجدها على غير الاستواء فقال لها في اخر المدة وقد رأى انكسار قلبها وكثرة افتكارها وكربها ويلك يا ابنة العم مالك قد تغيرت واي خاطر خطر لك فقالت له والله ليس ببالي الا ندمي على قبيح فعالي وما صنعته بحالي لانك ما عرفت لي جميلاً وانا قد قدمتك على كل خاطب في زمن الصبا وخالفت الام والاب والاهل والاقربا واخيرًا ابليتني بكثرة الضرائر وحططت قدري عند الاماء والحرائر وصارت نساء الحي اذا اجتمعن يهزأن بي ويضحكن عليّ ويقلن لي ان عنترة قد سلاكِ وبدلك بسواكِ فانا والله ما بقيت اصبر على هذا فردني الى بيت ابي وافعل وحبيبتك ما تشتهي فقد مل قلبي مما اقاسي من الغيرة والضرائر الكثيرة ثم زاد بها البكاء والانتحاب ومزقت ما عليها من الثياب فقال لها شيبوب ما هذه الاحوال اما تستحين من هذه الفعال ارجعي الى عقلك واذهبي هذا الهم عن قلبك . فلما سمعت عبلة هذا الكلام من شيبوب زعقت عليه وخطفت العصا ووثبت اليه فخرج من بين يديها هاربًا فتنغص عيش عنترة وكان السبب في ذلك الايراد وما ظهر من عبلة من الخلف والعناد الربيع بن زياد لانه لما ابصر عنترة قد علق التصيد وبلغه الله كل ما يريد ذاب جسده وزاد حسده وقال والله لابد لي ان اسعى في تكدير عيش هذا العبد الاسود واحل به الهمّ والنكد .

فما كان منه بعد ذلك الا انه دعا بابنته المدللة زوجة الملك قيس بن زهير وقال لها يا مدللة أتقدرين ان تعاونيني على قتل عنترة فقد اعيتني فيه الحيل وحرت كيف افعل فاريد منكِ ان تدخلي على عبلة وتقولي لها كيف ترين حالك على كثرة الضرائر يا ابنة مالك لاني اعلم ان عنترة شبع عليكِ وسلاكِ وها هو قد ابدلك بسواكِ فقالت السمع والطاعة ثم انها نهضت الى عبلة على سبيل الزيارة والتهنئة بغصوب وبيل عنترة المرغوب فلما وصلت اليها سلمت عليها واستوحشت لها وسالتها عن حالها فقامت لها عبلة وقبلت يديها واخذتا تتحادثان فاعادت عليها المدللة ما علمها ابوها الربيع فلما سمعت عبلة ذلك الكلام احمرّ وجهها وعرق جبينها و واقعها الحياء والخجل ولم تعرف ما به تجيب بل قالت لها والله ياسيدتي لو ان عنترة ملك مائة امرأة لا يريد سواي وما هو عندي الا بمنزلة العبيد لا بمنزلة الرجال ولو انني شئت لرددته الى رعي النوق والجمال

قال الراوي فلما جرى لعبلة مع عنترة ما جرى قال لها والله ياعبلة ما خالفتك بشيء ولا ضيقت لكِ صدرا واما قولك كثرة الضرائر فانا والله يا بنت العم لا اختار امرأة عليكِ ولا نحن جواري الا اليكِ ولكن التجات الي غمرة ام غصوب وهو ولدي وقطعة من

كبدي وحامية بلاد شريف وامة وحدها تلقى في الميدان عشرة الاف عنان وتفرقهم عند معترك الجولان لانها اسرت ذا الخمار الذي يعد بسبعة الاف فارس اذا ارتفع الغبار واما غصوب فهو ولد نجيب وقد شاهدت قتاله بالعيان و به يشتد ظهري و يقوى امري ومن يكون مثلي اذا كان لي مثل هولاء الفرسان الذين يلقى كل واحد منهم قبيلة وهل ترين يا ابنة العم صوابًا ان اترك من يدي هذا الفارس الذي يقاس بالقبائل وهذه المرأة الحاوية هذه العزمة والهمة يلتجئان الى غيري حال كون خلق كثير يعيشون في نعمتي فهذا شيء لا افعله ابدا ولو سقيت كؤوس الردى ولا تعايرني بذلك فرسان العرب من بعد منها ومن اقترب وان كنت تخافين ان يكون بيني وبينها معاملة فحاشا ان اقربها بشيء من ذلك فارجعي الى الله يا ابنة مالك فوحق ذمة العرب العرباء وعزيز حياتك لا اريد سواك ولا حلا في عيني امرأة الاك فطيبي نفسًا وقري عينًا ثم طيب قلبها وقبل راسها ومازحها ولاعبها حتى ضحكت وطاب قلبها ولما كان الغد عند طلوع الشمس سار عنترة عند الملك قيس وقال له يا ابن العم ألا نعزم بنا على الرحيل الى بلادنا والاطلال فقد انقضت الاشغال و بلغنا الامال وما بقي الا الارتحال فقال له الملك قيس الذهاب هو غاية الصواب فخذ اهبة الرحيل واعلم بذلك بني عبس فخرج من عنده واتى الى زوجته غمرة وشاورها في الرحيل معه فقالت لا والله يا ابا الفوارس لا اقدر ان ارحل معك وقلبي مشغول برجالي واموالي التي اخذها ملك السودان فلا بد لي من الغارة عليهم لاجل اخذ ثاري وكشف عاري والا عيرتني سائر قبائل العرب ولا يمنعني عنك غير هذا السبب فلما سمع عنترة ذلك الكلام قال لها فاذا كان الامر على مثل ذلك اقيمي انت هنا مع اولادي ميسرة وغصوب وابي شداد ورجاله الاجواد حتى اسير انا بقومي الى الديار والاوطان واعود فارحل معك الى بلاد السودان ولما كان الغد رحلت بنو عبس وما فيهم من يصدق انه يرجع الى الاوطان واوصى عنترة اباه شدادًا واولاده بزوجته غمرة وافتقد الامير هانئًا وعاد هو الى قومه وجدوا في المسير وسرعة التشمير الى ان قاربوا الديار وكانت العبيد كلما تتولى خدمة عبلة عند الرحيل والنزول تزعق عليهم وتوبخهم ثم تصيح بعنترة وتقول له ويلك يا ابن شداد هل كبرت نفسك عن شيلي بيدك حتى تامر العبيد ان تشيل جملي وتبركه فوحق الملك الجليل لا يتولاني غيرك عند النزول والرحيل فقال لها عنترة السمع والطاعة يا ابنة مالك وهل لك حاجة غير ذلك فقالت لا ولم يزالوا سائرين وهم في سيرهم مجدون وقد تولى عنترة خدمة عبلة بـ ـدِه ولم يكن عنده تكبر كابناء جنسه وهو يقول لها يا بنت العم هل تعرض لك حاجة فاقضيها

فتقول ما بقي لي غير حاجة واحدة اريد منك قضاءها اذا وصلنا الى الديار وقرّ بنا القرار وهي ان تعمل لي ولبنات الحي وليمة ذات قدر وقيمة اجمع فيها عقائل بني عبس الغنية منهم والفقيرة فان خيراتك كثيرة حتى تعلم الاماء والحرائر انني لك محبوبة وانك تفعل لي كلما احب واختار فقال عنترة السمع والطاعة يا بنت الكرام فوالله لا بد لي ان ابلغك كلما تريدين من المرام فانني وحق الرب القديم لا انكر انني عبد هواكِ فانبذي عنك هذا الهم والغم لانك قرة العين وحبة الفؤاد

قال الراوي وما كان هذا من عبلة بغضاً في عنترة ولكنه من التدبير الذي دبره لها الربيع بن زياد واخوه عمارة الفؤاد وذلك من شدة الحسد الذي عمل في قلوبهما مما نالهُ عنترة بن شداد من المنزلة الرفيعة العماد

وما زال القوم سائرين حتى بقي بينهم وبين الديار ثلاثة ايام ونزلوا على بعض الغدران ونصبوا الخيام وعولوا على الراحة في ذلك المكان والمقام ونزلت عبلة من هودجها تتمشى على جانب الغدير كانها الغصن النضير وترفل في اثواب الحرير فبينما هي تتفرج في تلك الرمال نظرت بين يديها خيالاً فتقربت من ذلك الشبح واذا هي امراة ملقاة على الارض وعلى صدرها ولدان يرضعان من لبنها وقد اخذ كل واحد منها ثدياً في فمه فتعجبت عبلة ونظرت اليها وتعجبت من تلك القدرة الظاهرة فيها ونظرت الى ادرار ذلك اللبن الغزير وهو يدر الى ذينك الولدين باذن اللطيف الخبير فقعدت الى جانبها ساعة زمانية فلم تجد لها نفساً ولا حركة بالكلية فحركتها فوجدتها ميتة وهي على تلك الحالة في ذلك البر الاقفر فصاحت عند ذلك بعنترة واعلمته بالخبر فتقدم عنترة الى الولدين وابصرهما وهما يزحفان فتعجب من قدرة من يقول للشيء كن فكان وهو الله الذي لا اله الا هو خالق البشر ومصور الصور ومخرج الذكر من الانثى والانثى من الذكر فامر الاما فاخذنَ هذين الطفلين عن صدر تلك الامراة المائتة فعند ذلك نشف اللبن فتعجبوا من تلك القدرة الالهية وامر عنترة العبيد فحضروا وواروا المراة بالتراب واخذت عبلة الطفلين وقالت لابن عمها عنترة هذان الطفلان يبقيان عندي اتسلى بهما عن الاولاد فاخذتهما وسمتهما الواحد سابقاً والثاني لاحقاً ثم رحلوا وساروا الى الديار ونزلوا فيها وقربهم القرار فسلمت عبلة الولدين الى المولدات واقامت لهما مراضع ورتبت لهما جرايات وصارت تلبسهما ثياب الحرير الملونات وبعد ذلك طالبت عبلة عنترة بالدعوة التي وعدها بها فعند ذلك اهتم عنترة بها وانجز امرها وامر العبيد بذبح النياق والفصلان وتروبق المدام في الادنان وان يصنعوا الوانا

من الطعام ثم الخاص والعام وامر بضرب السرادقات من الاطلس الاحمر والقباب الملونات واطلقوا نوافح المسك الاذفر والعنبر فعند ذلك ارسلت عبلة خلف النساء المدعوات منهن المدللة زوجة قيس وبنتها الجمانة وسعدى بنت شباص بن ناشب واختها ريحانة ونساء بني قراد وارسلت تدعو بني زياد ونساء الفرسان الاجواد فاقبلن من اول النهار وهن مثل الحور بعد ما تقلدن بالاطواق في الصدور والقلائد في النحور وارخين على اكتافهن الشعور وراق لهن الزمان واعتدل ونثرن نرجس الحواجب والمقل على فتور بدائع الكحل وكان عنترة قد دعا ايضاً رجال النساء المدعوات ومد لهم السماط واكثر لهم من الخيرات واراد ان يقف لهم في الخدمة فما مكنه من ذلك الملك قيس بل اجلسه الى جانبه بين اهله واقاربه وترتبت الرجال والامراء في مراتبهم وجلس السادات في مجالسهم وبعد اكل الطعام دارت عليهم كاسات المدام ووقف العبيد في الخدمة والغلمان والخدام وكان يوم عظيم ما رأى احد مثله من الانام وكانت عبلة لابسة الثوب الذي البسها اياه ازدشير يوم الذي فعلت به ذلك الفعل النكير وعلى صدرها تلك المرسلة التي هي بالدر والجوهر مكللة وعليها القلائد والعقود وتزينت بذلك المال الممدود وكللت جبينها بعصائب الجوهر وقطع الياقوت الاحمر ومن فوق ذلك تاج الملك كسرى الذي ما ملك احد مثله فاشرق جبينها من انواره اللامعة وبهجته الساطعة

فلما فرغن من اكل الطعام وشرب المدام غنت المولدات ورقصت البنات واكثرن من الفرح والمسرات وكان ذلك طول النهار وتساوت عندهم العبيد والاحرار وكان الربيع بن زياد الغدار المكار قد رجع لمكره ودبر لعنترة هذا التدبير لانه لما نظره علق القصيدة وارتفع قدره سولده غصوب كاد جسده ان يذوب وكذلك اخوه عمارة احترق قلبه بالنار واقبل على اخيه الربيع وقال له اما ترى ما ظهر لهذا العبد اللئيم من الاسعاد والتوفيق والرشاد حتى كاد يبلغ السبع الشداد فاريد منك يا اخي ان تفعل لي فعلة وتدبر لي على هلاك عبلة ابنة مالك فلعلها تموت ويحل بها الارتباك واذا هلكت يهلك عنترة من اجلها ويقع في الاشراك فلما سمع الربيع كنه مقاله رق له ورثى لحاله وقال سوف افعل ذلك وادبر لك على هلاك عبلة ابنة مالك واسقيها هي وعنترة كاس المهالك فلما سمع عمارة من اخيه الربيع هذا الكلام قال له يا اخي عجل بهذا الفعل والمرام قبل ان تفرغ الدعوة ويبطل دوران الكاس ويتشتت شمل الناس فعند ذلك دعا الربيع بن زياد بابنته المدللة وقال لها يا ابنتي اريد منك اذا دعتك عبلة غداً الى الوليمة ان تاخذي معك

هذا الدواء الذي لا قيمة له وانا دار الكاس بينهن اجتهدي كل الاجتهاد ان تضعيه في الكاس
التي تشرب منها عبلة واجتهدي بان تسقيها اياه فلعلها تهلك بسببه وقد انتهى الامر الذي
تطلبة لاني اعلم انها اذا اهلكت هلك عنترة و يموت من ساعته ويخف عن كل واحد منا اوجاعه
فلما سمعت المدللة من ابيها ذلك المقال قالت له السمع والطاعة انا اقضي لك هذه الاشغال
في ساعة ثم اخذت . ذلك الدواء الذي يعدم صاحبه الحيل والقوى وعاد الربيع وقلبه طيب
بكلام ابنته المدللة وفي ثاني الايام دعت عبلة نساء الملك قيس الى الوليمة فاجبنها وحضرن
الى الدعوة واخذن في اللهو والطرب وايقنت المدللة بنت الربيع ببلوغ الارب ولم يات
عليهن اخر النهار حتى ثملن من شرب المدام وغنت البنات الابكار واختلطت الاماء بالاحرار
وكشفن الوجوه ورمين البراقع فظهرن كانهن الاقمار الطوالع وكان لهن يوم عجيب مما اخذهن
من الفرح والسرور توردت فيها الخدود من شرب الخمور وصفا العيش واعتدل وتوفرت اسباب
الجذل فقالت نساء الاكابر والبنات ما بقينا نشرب ولا نلذ ولا نطرب حتى ياتي ابن
عمنا عنتر ويحضر معنا في هذا المحضر وينشدنا شيئًا من شعره فنطرب على نظمه ونثره
فعند ذلك وجدت المدللة فرصة لما تريد ان تفعل وقالت لعبلة ابن وعدك لي من تذلل
عنترة بين يديك مثل العبيد فقالت لها عبلة سوف ابين لك ذلك ثم ان عبلة في عاجل
الحال انفذت جاريتها خميسة خلف الامير عنتر وقد علمت انها يتم لها ما تريد لاجل سكره
وما هو فيه من العيش الرغيد وكان عنترة قد عمل الوليمة كما وصفنا وهم على العلم السعدي
مشرفون والى الحلة ناظرون فعندها اتت الجارية خميسة من غير مهل وقالت لعنترة
يامولاي اجب عبلة فقال سمعًا وطاعة ثم نهض اليها من تلك الساعة وسار قاصدًا بنت عمه
حتى وقف على باب السرادق وقال لها ماذا تريدين يا ابنة العم هل انت في حاجة الى
شيء من الطعام او قل عندك المدام فقالت لا والله يا ابن زبيبة ما احتجنا شيئًا من هذه
الطلبة بل دعتك بنات عمك فادخل عندهن فما فيهن من تستتر منك لانهن كلهن لك
محبات فلما سمع عنترة كلام عبلة دخل من غير مهل وهو يقول لها والله يا بنت مالك لا اطاوعك
على ذلك فلما دخل قامت له جميع النسوان على الاقدام ووقفن اجلالاً لقدره وتعظيمًا
لشانه فعند ذلك مد عنترة نظره اليهن واطال النظر وتميزهن فراهن مثل البدور الطوالع
وقد هتكن ستر الاحتشام ورمين البراقع وتوردت الخدود و برزت النهود وغزلت العيون
السود واظهرن الطرب من العدم الى الوجود وكانت المدللة بنت الربيع لما نظرت
ذلك الصنيع ورات عنترة قد اتي الى ذلك المقام اخذت في يدها الكاس وهو ملآن

من ذلك المدام ووضعت فيه ذلك الدواء المليح وفعلت مثل ما قال ابوها الربيع ونهضت قائمة على الاقدام وبادرت عنترة بالسلام واكرمته غاية الاكرام وناولت الكاس الى عبلة وقالت لها قولي لابن عمك ان يمدح من في هذا المقام بالجملة وينشد ناشيئًا من اشعاره قبل شرب الكاس ويكون شعرًا مبتكرًا ما قاله احد من الناس ويزيد فرح هولاء النسوان فيشكرنه في كل شفة ولسان ثم يذكر ما نحن فيه من طيب عيشنا ويصفنا ويصفك معنا فالزمته عبلة بذلك واكثرت عليه اللجاج وذلك بعد ما قدمت له كرسيًا من العاج مصفحًا بالذهب الوهاج وكان طامحًا من السكر الذي هو فيه فجذب عبلة اليه وقبلها بين عينيها ثم نظر بعد ذلك الى المولدات وقال لهن ازعقن يابنات الخالات وحركن دفوفكن بهذه الاصوات ثم انه تناول من يد عبلة ذلك الكاس المشغول وجعل يتامل في كل واحدة وحدها من الحاضرات في ذلك المحضر ويميزهن وقد غاب عن الوجود من شدة الفرح وظن انه في منام ثم تحقق ان الحال في اليقظة فاستحد خاطره ونبه سرائره وانشد وقال

بادري بالكاس يابنت السراة ... وافرحي ثم اطربي واسقي وهات
خمرة تضحك في راووقها ... مثلما تضحك في ايدي السقات
وامزجيها من ثناياك انها ... بمجاني النحل والماء الفرات
وابذلي الاموال لا تدخري ... منها شيئًا لغدٍ فالرزق يات
واحفظي العهد كما احفظه ... واحذري ان تسمعي قول الوشاة
انت في حكم الهوى مالكتي ... فاحكمي فيَّ الى يوم الممات
لو سلا قلبي كما قال العدى ... كنت عندي مثل بعض الامرات
كيف اسلوك وفي مجرى دمي ... قد جرى حبك مع مجرى الحياة
فوحق البيت والركن ومن ... ظهرت قدرته في عرفات
ان تناديني من القبر ضحىً ... قمت امشي في العظام الباليات
ان يكن ياعبل لوني اسودًا ... فسواد الليل من بعض الصفات
وفخاري انني يوم اللقا ... يخضع الصبح لسيفي والقناة
سائلي كم فارس خلفته ... وشجاع تائهًا في الفلوات
واذا البر تسالي نقعة ... وشكا وقع الجياد الصافنات
غصت فيه بين غابات القنا ... بفواد كالجبال الراسيات
وتركت الخيل تعدو فرقًا ... خاليات شردًا في الفلوات

وفعالي قد عرفت بعضها ورايت يوم حربي طعنات
فاقنعي مني بما قد قلتهُ فعدوي لم يكن ساعي الثبات
واعلمي ان رحيلي قد دنا فاذكري ما بيننا في الخلوات
واحفظي العهد فما ندري غداً ما نلاقي من قضا قاضي القضاة

فلما سمعت البنات من عنترة هذه الابيات غابت عنهن الارض والسموات وقلن وحق من انبت النبات واحيى الاموات والعظام الرميات ما سمعنا احسن من هذه الابيات والمقالات ولا راينا احسن من هذه الاشارات والعبارات فلما نظرت عبلة الى طرب البنات لما انشد عنترة هذه الابيات التفتت اليهِ وقالت لهُ ويلك يا ابن زبيبة فقال لها لبيك يا من هي لي حبيبة فقالت لهُ اريد ان اسالك هل انت تحبني بحق الذي اوسع البيدا فقال لها عنترة اسيه وحق من يعلم ما ياتي غدا فقالت لهُ ان كنت تحبني كما تزعم فقبل قدمي ثم انها بعد ما تجرأت بهذا الكلام عليهِ قدمت رجلها اليهِ فلما نظر عنترة الى ذلك الجواب غاب عن الصواب ونسي الاهل والاصحاب وسكت عن المقال وما رد عليها جواباً ولا سوال فصاحت بهِ ويلك لِمَ لا ترد على مقالي ولا تبادر الى ما طلبت أكبرت نفسك لما علقت القصيد وصرت لا تبدي ولا تعيد فوحق ذمة العرب لاردك غداً الى رعي الجمال وحلب النوق في الغدو والاصال

قال جهينة البياني كل هذا يجري وشيبوب واقف يسمع ويرى ومن شدة ما جرى عليهِ قامت في ام راسهِ مقل عينيهِ وصرخ على اخيهِ صوتاً كانهُ الرعد في خلال الغمام وهجم عليهِ وزعق فيهِ وانتهره واخذ الكاس من يده واوما بهِ الى بعض الخدام والعجب ما في هذه السيرة ان عمارة بن زياد كان قد التف في بعض الاردية وتنكر ودخل يتفرج في ذلك الحضر وكان كلما ابصر الكاس في يد عبلة يتمنى ان يشرب منهُ الفضلة الى ان تم لعنترة ذلك الحال الذي كان من حسن حظهِ وسابق سعده فاخذ شيبوب الكاس من يد اخيهِ عنترة واراد ان يعطيه الى بعض المولدات فسبق اليهِ عمارة واخذه وصار ينهلهُ حتى تغيرت منهُ الاحوال وابصر امره على غير حال فصار الى ابياتهِ وهو في الضر والبلا واما شيبوب فقد زاد بهِ الحرد وقال لاخيهِ بعد ان اخذ الكاس من يده قم الان يا ابن الاما فقد امتلا وعاك وانهد ركن مجدك وعلاك اما تستحي ان تذل لربات القناع وقد ذلت لهيبتك السباع ثم رفعهُ واخرجه من السرادق واركبهُ على جواده الابجر وقد غاص في بحر من الهموم والفكر واراد شيبوب ان يقصد بهِ الى مضاربهِ والخيام لينام فيها ويبلغ المرام فابى عنترة وقال والله ما

بقي لي فيها مطمع فسر بنا نحو البيت الحرام وانت الشاهد عليّ ان هذه الديار علي حرام ثم انهما سارا يقطعان البر تحت غسق الدجى وقد قطع عنترة من عبلة الرجا وصار شيبوب يحدثه ومن خوفه ان يلحقه من يترضاه قطع به في عرض الفلاه وما زالا على مثل ذلك الى ان اصبح الصباح وطلع الفجر ولاح فاصبحا في ارض بعيدة فوقف عنتر وشكا لشيبوب كثرة الحر والتعب من السهر فعدل به الى بعض الغدران وانزله وربط له الجواد ونام عنترة واخذ شيبوب في طرد الوحش لانهما سارا بلا زاد فما تضاحى النهار الا وقد شبع عنترة من الرقاد وشيبوب رمى من الغزلان ستة وعاد واضرم النار وشوى ما كفاهما فاكلا وشربا وعزما على المسير وكان عنترة قد سلا وخف عن قلبه الكرب والبلا فتذكر ما جرى عليه وما فعلت معه عبلة فانشد وقال

سلا القلب عمن كان يهوى ويطلبُ واصبح لا يشكو ولا يتعذبُ
صحا بعد سكر وانثنى بعد ذلة وقلب الذي يهوي العلى يتقلبُ
الى كم اداري من تريد مذلتي وابذل مجهودي في هواها ونغلب
عبيلة ايام الجمال قليلة لها دولة معلومة ثم تذهبُ
فلا تحسبي اني على البعد نادمٌ ولا القلب في ضير الغرام يقلبُ
وقد قلت اني قد سلوت عن الهوى ومن كان مثلي لا يقول ويكذبُ
هجرتك فامضي حيث شيت وجربي من الناس غيري فاللبيب يجربُ
ايا قلب لا يلهيك عن طلب العلى ديار نات عنها الرباب وزينبُ
لقد خاب من امسى على ربع منزل ينوح على رسم الديار ويندبُ
وقد فار من بالحرب اصبح جائلاً يطاعن في ركض الغبار ويطلبُ
نديمي وقاك الله ان اسقني على رؤوس المنايا من دم ثم نشربُ
ولا تسقني كاس المدامة انها يضل بها عقل الشجاع ويذهبُ

قال الراوي وكان عنترة عنى بهذا البيت الاخير عن زيادة السكرة التي سكرها في الليلة المتقدم ذكرها وما تم عليه من عبلة ثم سارا حتى قاربا مكة شرفها الله وقد اصبحا في ارض كثيرة المياه فعولا على النزول فيها واذا لاح لهما هودج في عرض البر الاقفر وحوله جماعة من عشرة فرسان لابسة الدروع والزرد والسلاح والعدد فقال عنترة لاخيه شيبوب انظر هذه الخيل المقبلة لعل فرسانها تطمع فينا لوحدتنا وانفرادنا والصواب انا نسير اليهم قبل ان يسيروا الينا فقال له شيبوب دعهم يمضون في سبيلهم ولا تحملنا دماهم وعويلهم واشتغل بما

انت فيهِ ثم عدل بهِ عن الطريق وسار في جنب الربى بلا تعويق فلما راتها الفرسان قد حادا عن طريقها بعد ما كانا عزما على النزول طمعوا فيها وساروا نحوها وصاحوا عليها الى ابن تهربان بعد ما وقعت اعيننا عليكما فلا بد لنا ان نروي منكما الرماح ونسقي من دماءكما البيض الصفاح فقال عنترة لشيبوب وحق ذمة العرب هولاء قوم قد دنت اجالهم فاسمع غليظ مقالهم فلعن الله من يرعى لاحد ذمة او يرحم حرمة فكن انت من ورا ظهورهم وانا اطعن في صدورهم ثم عاد وقد امتلأ قلبهُ من الحنق فطلب شيبوب اخرهم كانهُ السملق اذا انطلق فكانت الفرسان تسعة وقد اقبلت عليهِ فتلقاهم بقلب اقوى من الجبال واهلك منهم خمسة فرسان بالنبال وطعن عنترة في مقاتل الرجال وفي دون ساعة قتل التسعة وبقي شيخ كبير عند الهودج ولما قضي الامر وانفصل الحال قال عنترة لشيبوب ويلك اقصد بنا الهودج عسى ان يكون فيهِ من يردني عن عبلة فما بقي لقلبي التفاتة اليها ثم قصدا الهودج وكانت العبيد والاما قد اقاموا على القتلى عويلاً وماتما وقد انفسحت في الفلاة طلبًا للنجاة وكان الفارس المقدم ذكره يندم حيث لا ينفعهُ الندم فتقدم شيبوب نحو الهودج فراى فيهِ جارية نائمة وهي احسن من البدر اذا ابدر او الصبح اذا اسفر جبينها وضاح كانهُ المصباح وقد خالط وجهها عرق واصفرار فلما راها شيبوب حار ووقع بعنترة الانبهار وقال ويلك يا شيبوب هذه الجارية ميتة ام نائمة فقال والله لا ادري يا ابن الام الا انها ابهرتني بجمالها وحسن معناها وكمالها وهي بالجملة احسن من عبلة فقال عنترة لا بد لي ان اسال قومها عن حالها وما الذي غير جمالها ثم نادى من بقي من النساء وامنهن فتقدمت اليهِ امراة قد خالط البياض شعرها وهي باكية العين تدق على صدرها وللنعمة عليها دلائل واثار وهي مشابهة لصاحبة الهودج بالمعاني والانوار فقالت لهُ ما الذي تريد فان ملكت فارحم لاننا على كل حال حرم وقد اهلكتما رجالنا وتركتمانا حيارى بين هذه الاكم ولكن البادي بالشر اظلم لان اصحابنا تعدوا عليكما بالقتال فرجع عليهم الوبال فقال لها شيبوب ابشري يا حرة العرب بالامان انت ومن معك من النسوان ودعينا من ذكر ما مضى وفات واخبرينا عن هذه الجارية التي هي في صفة الاموات ما الذي غير حالها ومحا رسوم جمالها لاننا نراها علاها الاصفرار وخفت منها الانوار فلما سمعت العجوز كلامهُ تناثرت دموعها وكثر بكاؤها وتفجعها وقالت يا مولاي هذه الجارية ابنتي وعليها كان اتكالي عند شدتي فرمتني بها سهام القدر وشوركت في عقلها وصار لها تابع لا يفارقها في يقظتها ولا في منامها بعد ما خطبها ملوك تهامة وضربت بحسنها الامثال في الشام واليمامة ولما رأينا احوالها تغيرت وصورتها

تبدلت اخذناها وسرنا بها نطلب البيت الحرام وعولنا على ان ندور بها حول الارباب
والاصنام فجرت علينا منكم هذه الاحكام وكان لنا في جملة الرجال الذين حملوا عليكم ثلاثة
اولاد كانهم الاقمار فقتلوا مع من قتل واقول لاشك ان ابنتي من حزنها على اخوتها تولى
عليها تابعها كالعادة ومسكها في هذه الساعة ثم دنت من هودجها وتفرست في وجهها
وصارت تصيح ياسروة اين ذلك العقل والسداد واي عين اصابتك من اعين الحساد
واخذت تبكي عليها بدموع غزار وتنوح وتكثر التعداد وتقول واذلنا بعد الاسعاد واشماتة
الاعداء والحساد ولم تزل كذلك حتى رق لها عنترة وندم على ماصنع وكادت اجفانه تدمع ثم كرر نظره
في الجارية فراى دلائل حسنها ظاهرة ونجوم جمالها زاهرة وسعودها وافرة ففتنت قلبه فتور
عينيها ووقع في قلبه سهم قسي حاجبيها وتوريد خديها وما بقي له صبر عنها وقال لها ياحرة
العرب من اي ناس انتم واين ارضكم فقالت له يامولاي نحن من بلاد السرو وقومنا بنو
الضحاك فقال عنترة اكرمت انت وقومك واقرباؤك واهلك فاعلمي ان الامر قد فرط سيف
رجالكن ولو كنا علمنا بحالكن لما كنا فجعناكن في الاولاد ولكن ابشري بالامان وخلاص هذه
الجارية من هذا الشيطان الذي تبعها الى هذا المكان فامض الى بعلك واعلميه انني قد امنته
على نفسه وكذلك من بقي معه من العبيد والاماء واتي به حتى يفرح بخلاص ابنته من هذا
البلا وان هو انعم لي بزواجها وتركها لي اهلا تركته يحكم على كل من سكن الفلا فلما سمعت
العجوز هذا المقال انطفات من قلبها نار الاشتعال وعادت الى بعلها واعلمته بماقال لها عنتر
هذا وشيبوب يسمع كلام اخيه ويتفكر ثم التفت اليه وقال له ويلك ماذا تريد ان تعمل
وكيف تقدر ان تخلص هذه الصبية من الوجل اتظن انك تقاتل الجن كما تقاتل الرجال واياك
ان تتعلق بما لا يبصرون وتتركهم في حلوقنا يعصرون فضحك عنترة وقال يااخي لاتجزع فوحق
من امر الماء فنبع لو ابصرت قبائل الجن في صور بني ادم لما كنت اترك منهم من يمشي على
قدم واما قولك ما افعل بهذه الجارية فاني لما رايت جمالها وابصرت حالها تذكرت الهيكل
الذي كان قد اعطاني اياه مفرج الوحش وقد عولت ان اعلقه وابصر ماذا يفعل فيها
وكيف يخلصها من الجان لانه باق في عضدي الى الان اما ابصرت كيف خلص عبلة من
سحر الساحرة عند ما كنا في بلاد اليمن ثم اخرج الكتاب واعطاه لشيبوب فتقدم الى الجارية
وامها وابوها ينظرانها وهي غائبة عن الدنيا وعلقه عليها ففتحت عينيها ورجع حسنها اليها
وسمع لتابعها صيحة عظيمة في الهوى وقعقعة ترتجف منها الاحشا وما كان ذلك الا كطرفة
الطارف حتى عاد لونها الى الاحمرار وتوقدت وجناتها وجبينها انار ورواق حسنها للابصار

وافتتن بها عنترة عند ما نظرها ونسي عبلة وكانه ما ابصرها وفي تلك الساعة عادت العجوز ومعها عبيدها واماها وبعلها وابصروا رجوع حسنها وجمالها وهي قاعدة مطرقة الى الارض خجلاً ففرح اهلها فرحاً شديداً وتقدمت امها اليها وسالتها عن حالها وما جرى لها فقالت لها والله يا اماه اقول اني لااري فيما بعد ما كان يصيبني من المضرة اذ لااثر لما كان يعتريني فقد زالت عني تلك الغمة فاخبريني ما الذي جرى لكم بعد قتل اخوتي لانني عند ما قتلوا اسودت الدنيا في عيني ونظري وغبت عن روحي وسمعي وبصري ولما افقت وجدت هذا الذي على صدري فيا اماه كان فيه اسما عظيمة وما اقول اني وجدت الراحة الالاجل بركاته العميمة وان كان الامر كذلك فلا يقدر بقيمة فحدثتها امها بما جرى لهم مع عنتر وكيف امنهم من القتل والسبي والضرر فتقدم ابوها الى عنترة واراد ان يقبل اقدامه فمنعه من ذلك وترجل له وقال له يا شيخ اشر ببلوغ المنى فوحق زمزم ومنى ومن جعل الليل سكنا لئن انت انعمت عليّ بابنتك لاجعلن اكثر القبائل تحت طاعتك وتخاف نقمتك فقال الشيخ وقد تبسم بعد البكا يامولاي اخبرني الى من تنتسب من العربان ومن يقال لك من الشجعان فقال له انا عنترة بن شداد حامية بني عبس يوم الجلاد الذي علقت قصيدتي في هذا العام على البيت الحرام بعد ما اسرت كل فارس في بلاد اليمن وكل جبار في تلك الاطلال والدمن وما اطلقت منهم احداً حتى سجدوا لشعري وصاروا كلهم تحت نهيي وامري فقال الشيخ بخ يامولاي انت والله زين الشمائل ومعدن الجمال وملح الخصائل وقائم بحقوق البيت الحرام وانت والله فارس لا يرام وقد وصلت اخبارك الى بلادنا وبلغنا عنك ما كان من فصاحتك وشجاعتك وسمعنا انك بعبلة من المتيمين وان هواك بها مكين فكيف تكون حالة ابنتي مع عبلة اذا علمت انها ضرتها فقال عنترة ياشيخ كلما بلغكم عني هو صحيح ولكن اعلم ان ان القلب قد انقلب والمقدم قد صار ذنب وكل شيء له سبب وقد جرى بيني و بينها امر يوجب الانفراد والصد والبعاد وقد حلفت يمينًا بمن في علم غيبه احتجب ان قلبي ما عاد يميل اليها ولو قطعني الهوى واشهد على نفسي رب هذه البنية الخضرا ان عبلة علي حرام ما دامت ابنتكم عندي تسمع وترى ثم ان عنترة اخبره بخبر سائر اللواتي في مكة واولاده وبالامر الذي جرى عليه وهو سائر اليه ووعده ان يسوق له كلما في بني عبس ويجعله مهر ابنته فلما سمع منه ذلك الشيخ هذا الكلام اجابه الى ما طلب وضرب لابنته مضربًا على بعض الغدران ثم انتظم امره واصلح شانه وما بات تلك الليلة الا وتلك الجارية له حليلـــة ولامره سامعة ومطيعة واصبح وهو شاكر لزمانه ساليًا عن اوطانه لاتخطر له عبلة على بال وقد زال

من قلبهِ البلابل وكذلك سروة مع جملة السودان ثم ان عنترة اقام في ذلك الموضع ثلاثة ايام ونسي نساءه واولاده وهو يظن من شدة سروره انهُ في منام و بعد ذلك قال لاخيهِ شيبوب اعلم يا اخي ان هولاء القوم قد صار لهم عليَّ تفضيل واولوني الجميل وقد سلموني ابنتهم بلا صداق ولا جمال ولا نياق وما كنت اشتهي الا ان يسيروا في صحبتي الى بلاد السودان لاني لا ادري ان كان يطيب لي المقام اولا ومن الصواب يا اخي انك تسير بهم عند اخي عامر بن الطفيل وتوصيه بهم وان تكرمهم وتعرفهُ بما جرى لي معهم في هذه النوبة وما تمَّ عليَّ من علة بعد طول تلك الصحبة وتقول لهُ ان يسير الى بني عبس و يسوق كلما لي هناك من الاموال والعبيد والنوق والجمال وكل من تعلق بهِ من بني قراد وبني زياد و يبذل فيهم السيوف الحداد ومن تعاصى عليهِ منهم يقتلهُ واذا عاد يسلم الجميع لهذه الجارية وابيها ويمتثل وصيتي ويحسن اليها الى ان اعود من سفرتي ثم قال للشيخ ابي الجارية يا وجه العرب هذا فعلتهُ حتى تقر منك العين و يطيب منك القلب فاني لو كنت في وطني واطلالي وعند نعمي واموالي كنت ترى ما افعل وكنت اعمل لابنتك وليمة تعجز عنها ملوك الزمان من آل قحطان ولكن لا يفوت هذا الامر اذا اتيت انا من بلاد السودان وقد ارسلت اخي معكم الى عامر بن الطفيل برسالتي واوصيتهُ بان ياخذ جميع اموالي من عند اهلي وبني عمي و يسوقهُ الى خدمتك ويكون ذلك مهر ابنتك فلما سمع الشيخ صحة مقالهِ شكره على فعالهِ وما خلا فيهِ اخوه شيبوب قال لهُ و يلك يا ابن الام أقسي قلبك على قومك الى هذا الحد فقال اي وحق من لهُ السر والجد ما بقيت اذكر بني عبس ابداً فقال شيبوب وكذلك انا اذ قد زاد حنقي عليهم والغضب وسوف يحل بهم من بعدنا العطب ولو رجعت انت اليهم ما رضيت انا عليهم وحق من اظلم الغيهب فلما سمع عنترة كلامهُ تعجب وقال لهُ و يلك يا شيبوب لا بد لقصدك من سبب لانهُ قد صار لي مع هولاء القوم علقة ونسب فقال شيبوب نعم يا ابن الام لاني قد ابصرت معهم هذه الامة الكحلا الذي اسمها سعدى وهي كالشامة السودا فعشقتها وعشقتني وقد مضت ثلاث ليال وهي نبات عندي ونحن متعانقان في هنا وافراح الى ان يصبح الله بالصباح وقد اورثتني عشقًا و بلبال و بليت منها بشي ما كان لي على بال فلما سمع عنترة هذا المقال زاد عجبهُ وتبسم وقال و يلك يا ابن الامة وهل فيك شيءٌ يعشق لانك سمج ليس لك رونق فلما سمع شيبوب كلام اخيهِ عنترة زاد بهِ الحنق وقال لهُ والله يا ابن زبيبة ما انت الا احمق وانا على كل حال احسن منك واليق واظرف منك وارشق ويحق لي ان اعشق وانت ما انت الا فحل جاموس او شيطان بعشرة روءوس واسنانك

مثل اسنان التيوس وما اراك الا تنظر الى نفسك وتتكبر على ابناء جنسك فلما سمع عنترة من الحيد تلك الالفاظ علم انه اغتاظ فضاحكه ولاعبه وقال له والله يا ابن الام ما كان لقاؤنا لهولاء القوم في هذا الطريق الا سعادة وتوفيق فلما سمع شيبوب مقالة صفا له بعد ما تغيرت احواله ثم ان عنترة التفت الى الجارية وابيها واعلمهما بما عزم عليه وكان اسم ابيها الضحاك فقال له يا ابا الفوارس افعل ما ترى فيه السداد لاننا قد سلمنا اليك اعنة القياد وما بقي لنا من بعد فقد الاولاد رجوع ولا عودة الى الاطلال والبلاد ثم انهم بعد ذلك شالوا رحالهم على جمالهم وشالوا ايضاً اسلاب القتلى وسار عنترة يطلب البيت الحرام وهو يتعجب من تصاريف الليالي والايام ولما خلا عنترة بنفسه في الفلا ورأى قلبه من محبة عبلة قد خلا رفع صوته متمثلاً وافتكر بما جرى عليه من عبلة وما حصل له في سفره فانشد وقال

ياعبلَ قلبي عن ديارك قد سلا ... واطاع فيكِ مع البعاد العذلاَ
فاذا المحب رأى الهوان بعينه ... ورأى الملال من الحبيب ترحلا
ياعبلَ قد فارقت منكِ مطية ... فعسى عمارة باسه قد أكملا
فلقد قنصت من الفيافي ظبية ... اصبى واحلى من لماك واجملا
حسناء ذابلة العيون عزيزة ... تشفي العليل اذا الصباح بها خلا
لو ان للبحر الاجاج تمازجاً ... من شهد ريقتها تمازجهُ حلا
ياقلب ما اسفي وفيض مدامعي ... الا على زمن تقضى اولا
ياقلب دع ذكر التصابي والصبا ... واسلك طريق الرشد في طلب العلا
واذا الحبيب جفا ومل لقاءه ... واجفه وزده من الملالة والقلى
ما ضاقت الدنيا عليَّ باسرها ... حتى اذل لمن تريد تذللا

قال الراوي وبعد انشاده ومقاله سار في حاله وجد في سيره وترحاله وهو يحدث نفسه بما جرى له حتى وصل الى مكة بعد ما قطع القفار والسباسب الا انه قبل ان يصل الى المضارب سمع اصوات النوادب والبكاء من كل جانب فقلق رقيق فواده وخاف على اولاده ونصت الى البكا والانين والاشتكا فسمع صوت غمرة في اعلى الباكيات وهي تقول يا ولدي يا غصوب صدعت لغيبتك القلوب وبك كنت تسليت عن الاهل والاوطان وطاب لي المقام في هذا المكان والان ياولدي قد زاد بي الكمد وقل صبري والجلد وانا غريبة ومالي احد وذاب قلبي والجسد وبقيت لا زوج ولا ولد فعرف عنترة كلامها وعلم انه قد خانه في ولده الزمان وطرقته طوارق الحدثان فزاد به الجوى ونسي الهوى واراد ان يقصد مضرب

غمرة واذا هو بمالحقة اخرى تولول وتقول لهفي عليك ياولدي فل بعدك جلدي وخاب لفقدك مقصدي ثم انها بكت وانت واشتكت وانشدت تقول

ياولديياميسره تركتني محسره
اقضي الدجى بمقلة عبراتها منحدره
وها انا بعد الاسا في عيشة مكدره
ونار وجدي في الحشا قد اصبحت مستعره
بالله ياريح الصبا لاتكتميني خبره
ان كان حيًا سالمًا كوني به مبشره
او كان امسى مائتًا بين البراري المقفره
فبلغي اخباره الى ابيه عنتره
وعرفيه ما جرى فيه فيقفو اثره

قال فلما سمع عنترة ذلك المقال زاد به الوجد والبلبال وتحدرت من عيونه العبرات من اجل النساء الباكيات ثم انه دخل بين الخيام فسمع نادبة اخرى قد اقلقت الانام وهي ترسل العبرات وتنشد هذه الابيات

ياولدي سبع اليمن قدذاب جسمي والبدن
وما بقي يسترني بعد الضنى غير الكفن
قد كنت لي ياولدي عونًا على صرف الزمن
وكنت انس وحدتي اذا دجى الليل سكن
واليوم مالي مسعد غير الانين والحزن

قال فلما سمع عنترة ذلك النداء اسودت الدنيا في عينيه وكاد ان يغشى عليه ونسي ما قد سمعه عن اولاده وتذكر مفرج الوحش وايامه فغاب عن رشده ودخل بين الخيام وهو ينادي يالك من صباح ما اقبح وجهك بالردى رد الله كيدك الى العدى فسمعت النسا صوته فاقبلن اليه وسلمن عليه وسال غمرة عما جرى لهم بعده فقالت له ياابا الفوارس ما قدم علينا عدو ولا ارادنا احد بسوء وانما ولداك غصوب وميسرة كانا كل يوم يخرجان الى الصيد والقنص وانتهاز اللهو والفرص وصارا بعد غيبتك بزمان يروحان

الكتاب الثالث والثلاثون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

ويعودان بالارانب والغزلان الى ان كان في بعض الايام انهما ذهبا وما عاد الينا منهما احد ولا اتانا منهما بشر ولا من يخبر بخبر فركبت انا وابوك وعروة واخوك مازن وتفرقنا في جنبات البراري والقفار الى اخر النهار فرجعنا وما راينا ديار ولا نافخ بنفخ بنار بل عند عودتنا راينا اثار معمعة ورجال مطروحين ورماح مكسرة وسيوف مبترة فطفنا بين القتلى فوجدنا ثلاثة رجال مطروحين في الفدفد ما عرفنا منهم احد فحرنا من هذه الاسباب وحسبنا الف حساب وسمعنا بين القتلى انين مجروح وفيه بعض الروح فكلمناه فلم يتكلم من شدة الالم فقال لنا ابوك شداد الراي عندي اننا نحمله معنا الى الخيام ونداويه لعله يقوى على رد الكلام ويخبرنا بالذي جرى على اولادنا في هذه البيدا ومن الذي اغتالهم من الاعدا فاستصوبنا رايه وحملنا ذلك الانسان واتينا به الى الاوطان ولما وصلنا به نشفناه من الدما وشددنا جراحه والبارحة عند المساء عقل علينا وحدثنا وقال لنا ان اولادنا اسرى مع سبيع بن الحارث وجبار بن صخر الاسرائيلي صاحب حصن خيبر وحدثنا بحديث غريب لا يخطر على قلب بشر فاغتاظ عنترة من هذا الكلام والاخبار وصار يقطر عرقه من حنقه على ذي الخمار وقال والله من هذا كنت خائفًا عليكم وانا مرعوب الفواد وقد تركت عندكم عروة وابي شداد واما هذا جبار بن صخر فاني سمعت باخباره مرات ولا ادري ما الذي اوصله الى هذه الديار وجمع بينه وبين ذي الخمار وهذا من ديار وذاك من ديار ولكن اجمعوا بيني وبين هذا المجروح حتى اسمع ما يقول لعله يدلني على هذا الامر المهول فقالت له غمرة ادخل الى الخبا واسمع منه كلامًا عجبا

قال الراوي وكان قد جرى لهولاء عجائب وامور ما جرى مثلها في الدهور لان سبيع بن الحارث لما خلصه بنو عمه من الانهتاك وسلم من الارتباك بعدما حكم عليه السيد عبد المطلب بالصلب ما زال يركض باصحابه تحت اذيال الدجى حتى انجلى غسق الظلام وكان مسيره على طريق الشام لانه قطع رجاه من الحياه وما بقي له في الحجاز ولا في العراق نجاه مما احدث من المصائب والافات والنوائب ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح كان قد قطع ارضًا بعيدة وجبالاً ووهادًا فنزل الى الراحة عندما سكن منه الفواد واخذ يشكر بني عمه وكان معهم شيء كثير من الزاد فاطعموه وارادوا ان يناموا فقال واحد منهم يا سبيع اين عولت ان

تسير بنا فقال اسير بكم الى الملك قيصر واحدثه بما جرى لي في ارض الحجاز وابين شجاعتي بين يديه في البراز واضمن له خراب بلاد كسرى واجعل ملك المدائن في يده واصير من جملة عساكره وجنده ولو كان الملك كسرى باقيًا في الحياة لما كنت سرت الا اليه لان منزلتي كانت قد علت عنده وقدمني على سائر عساكره وجنده وحكمني في مملكته واهل دولته وسلمني عساكره التي سرت بها الى مكة وكنت اشرفت على الملكة ونويت اني اهلك عنترة ومن معه من الفرسان والعرب وابلغ عالي الرتب فعاندني رب العلى وانزل عليّ ذلك البلا واما هذا الملك الذي على العجم مقدم اليوم فان عرب الحجاز هم الذين اجلسوه مكان ابيه وعاهدوه على ما طلب حتى بلغ منا ما يشتهيه فلو اني سرت اليه وعلموا بي انني عنده يطلبوني منه فيسلمني اليهم على كل حال واعود الى ما كنت فيه من الشد والاعتقال لاسيما ان كان هاني بن مسعود هلك من ضربتي وكانت منيته على راحتي لان فرسان العرب كلها تراعيه وتطالبني بثاره وتنتقيه فقال له اصحابه افعل ما تحب وتختار فاننا نبذل في خلاصك نفوسنا ولو طارت عن اجسادنا روءوسنا

ففرح ذو الخمار بذلك وعول على الرحيل وقطع المسالك واذا بخيل طلعت على اثارهم وهي تركض كانها تطلبهم وهم يزيدون عن عشرين بطلاً وكلهم مسربل وفي مقدمتهم بطل طويل كانه من اولاد هابيل وهو بالزرد المنضد وعلى راسه بيضاء عادية تتوقد وفي يده رمح مكعب وهو متقلد بسيف مشطب ويقاربه اصحابه باللباس ويماثلونه في شدة الباس فعند ذلك قال ذو الخمار لاصحابه هذه خيل قد اقبلت واظنهم من انذال العرب وقد طمعوا فينا لما رأوني هربت منهم واليوم لا ابقي على احد منهم حتى لا يظنوا ان نفسي قد صغرت وخافت فاركبوا انتم خيولكم واثبتوا مكانكم ولا تتبعوني حتى اطلب المعونة منكم هذا اذا انكشفت لي حقيقة الحال وعرفت من الانذال ثم اطلق لجوادهِ العنان وقوم السنان وطلب الفرسان وكانوا من بني اسرائيل والمقدم عليهم جبار بن صخر اليهودي فارس حصن خيبر وهو الذي وصفوه الى الامير عنتر وكان من الجبابرة الذين تخافه حوادث الدهور وكان هذا عم مرحب راس الكفار الذي قتله الامام علي الانزع الكرار رضي الله عنه بعد ما جرى له معه امور وعجائب وكان جبار قد قصد هذا الطريق طالبًا البيت الحرام يريد الفرجة على موسم العرب وما يجري بينهم من العجب ويبشر يهود الحجاز برجل متمنع يخرج من وراء نهر السبت يقال له يوشع ويقول لهم كانكم به قد ظهر في هذه السنة وهو راكب على حمار ابيض طويل القوائم عظيم الهيكل يجدد شريعة موسى عليه السلام ويعيدها كما كانت في سالف الاعوام

فاكثروا من السلاح وارفعوا السكين واعفوا عن الارواح وكلوا فطيركم جريرًا بلا ذفر وعظموا ايام الصوم الاكبر فلعلة يلقاكم على الطريق المستقيمة فان ايام ظهوره عظيمة وكان قد اخبرهم بهذا علماء اليهود والاحبار وانفذوا هذه الاخبار الى سائر الاقطار لان دينهم كان في ذلك الوقت مسعود وكان لهم حصون وفرسان وجنود وما خمدت نيران سعودهم الا بعد ان ظهرت شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يراعيهم الى ان اطعموه الذراع المسموم فلذلك قال عليه السلام ما زالت اليهود بي حتى قطعت ابهري . والابهر هو عرق في الظهر الى الصلب تجري منه منية الاولاد والمعنى انهم سموه حتى انقطع عرق منية ذريته فبدأ صلى الله عليه وسلم يحاربهم ويقاتلهم واوصى اصحابه بطردهم وابعادهم وقال اخرجوا اليهود من جزيرة العرب وحرضهم على ذلك السبب .هذا ما جرى من هولاء واما ما كان من فارس حصن خيبر جبار بن صخر فانه ارسل الى يهود مكة واوصاهم وتفرج على موسم العرب ونظر ما تم بينهم من القتال والحرب الشديد لما علق عنترة القصيد وشهروا ذا الخمار وخلصة الخمسون الفارس من بني حمير وتفرقت العرب الى منازلها والحلل ورحل ايضًا جبار بن صخر بمن معه طالبًا حصن خيبر ووقع بذي الخمار وهو هارب وراءه فركب الى لقاه وقد اوقف الصحابة وحمل فقال جبار لرفقاه يا بني عمي هذا الرجل انصفني من نفسه وانا اريد ان انصفه من نفسي فقفوا انتم قبالي وتفرجوا على قتاله وقتالي وما يتم لي معه من المعامع وكانت حملة ذي الخمار حملة فزعان خايف من العدى فالتقى بشجاع لا يخاف من اسباب الردى فجرى بينهما من الحرب والعجايب ما يستحق ان يورخه كل كاتب ولما تعبوا من الضراب والطعان اختلف بينهما طعنتان فاصلتان وكان السابق بالطعنة ذو الخمار فلطم جبار رمحه بدرقته فطار وصاح عليه فسل حسامه وعاد اليه فوجده في مكانه واقفًا وقابضًا عنان حصانه بعد ما كان عليه مصماً واستلب رمحه وهو قائم متبسم فتعجب ذو الخمار من فعاله وانكف عن قتاله فناداه جبار وقال له يا وجه العرب لا تبغ فتقع في العطب لاني لست لك عدوًا ولا اريد لك سوءًا بل علمت انك عند حملتك لا تقبل مني نصيحة ولا تسمع فقاتلتك حتى يزول عنك الطمع وعفوت عند المقدرة كما يعفو الشجاع عن الامراة وان كنت في شك من هذا والمقال فدونك الحرب والقتال هذا ولما علم ذو الخمار ان ذلك الفارس ما كان قاصدًا اليه ذهب عنه الفزع وتقدم الى بين يديه وقال لجبار يا فتى اعذرني ولا تلمني على ما مضى فاني رجل كثير العدى وهم منتظرون عوري في هذه البيدا وقد غدر بي الزمان وابعدني عن الاوطان واوقع بغضتي في قلوب الفرسان وكل ذلك من

حسدي لعنترة بن شداد لان قدره قد بلغ السبع الطباق بعد ما كان يرعى الجمال والنياق ثم انه حدثه بما جرى له مع عنترة فيما مضى في سالف الاعوام واعلمه انه اشرف منه على شرب كاس الحمام وقال له في اخر كلامه وها انا هارب منه الى مكان يحميني اذا قصدني بالاعداء اللئام وانت اخبرني من يقال لك والى اين انت سائر في هذا الطريق لعلي اتخذك لي صاحبًا وصديق فقال له ياوجه العرب انا رجل اسرائيلي يقال لي جبار بن صخر فارس حصن خيبر ما اتيت الى هذه البلاد الا مبشرًا لبني عمي برجل يظهر فينصر ملتنا على سائر الملل ويجعل دولتنا اشرف الدول ويكون معه عساكر وجنود اكثرهم راكبون الاسود لا ينزلون على بلد الا وتندك اسوارهُ ولا يقاتلون عسكرًا الا وتخضع لهم كبارهُ وصغارهُ فان اردت ان تبلغ الامان فكن من انصاره والاعوان فعند ذلك اصغى له ذو الخمار ودخل حديثه في اذنيه لان صفته صفة الغريق الذي يتعلق بما تقع يده عليه ومن شدة فرحه بذلك قال لجبار اعلم يافتى لم يبقَ الا عليك المعول ولا احلف الا بمن خاطب ربه على الجبل ولعلك تكون سمعت بقصتي لما تبعت كسرى بعبادة النار ثم انهما تعانقا وتحالفا على صفو الوداد وفرحت بذلك فرسان خيبر وبني حمير بعد ما قال لهم ذو الخمار في وسط تلك البيدا يابني عمي نحن اليوم كثيرو الاعداء وما بقي لنا مكان يحمينا من الردى الا القلاع والبلاد ولا يحمينا الا كثرة الاجناد وهذا الرجل قد حصل لنا بالاتفاق وهو احب الينا من ملك الشام والعراق ثم انهم نزلوا في عرض ذلك البر فسال ذو الخمار جبارًا عما جرى بعده لقبائل العرب ومن رحل منهم ومن بقي من اهل الرتب فقال يااخي اما قبائل العرب فكلها تفرقت الى اطلالها واما عرب الحجاز فانها مقيمة على حالها واكثر مقامهم من اجل هاني بن مسعود ولا اعلم هل هو حي ام مفقود فقال ذو الخمار ان كان قد هلك واندثر فلا يطالب بثاره الا عنتر واذا انا قتلت الاخر ملكت الدنيا واطاعني الاقصى والادنى ولكن ما زاد بي الهم والسقام الا عنترة من الشام بتعليق القصيدة على البيت الحرام فقال جبار ياوجه العرب والله ما حسدت الا ما يجب ان يحسد وما فينا احد له محب وقرين الا ويتمنى ان يكون له معين فقال ذو الخمار وانا لك في هذا الكلام موافق ولا ينكر الحق الا المنافق ولكن اشتهي من احسانك ان تنعم لي بالمقام هنا ثلاثة ايام حتى انفذ بعض اصحابي الى مكة ليكشف لي حقيقة اخباره ومتى يرحل الى دياره حتى اقتفي اثاره واتوقع له الهلاك فلعل اجله يكون قد حضر ببركة لقاك فقال له جبار افعل ما بدا لك فانني مساعد لك في جميع افعالك لان لي في ذلك فوائد كثيرة الاولى اذا قتل وخلت منه الاقطار تمهدت الارض لصاحبنا

الذي بشرت بهِ الاحبار الثانية اننا ناخذ لك منهُ بالثار ونكشف عنا العار ثم ان ذا الخمار انفذ بعض بني عمهِ ليكشف الخبر وقال لهُ لا تعد حتى تنظر عنترة ان كان رحل بقومهِ وترك الديار او كان لا يزال مقيماً في تلك الامصار فقال سمعاً وطاعة ثم جدَّ من تلك الساعة يقطع القفار وبعد قليل اختفى عن الابصار فوصل الى مكة وكمن حتى تفرقت جميع العربان ولم يبقَ الا بنو شيبان واهل ذي قار وابصر عنترة رحيل بني عبس وعدنان ثم ترك اولادهُ في مكة فعرف ما دبر وعاد الى ذي الخمار واطلعهُ على تلك الاخبار

فلما سمع ذو الخمار ذلك فرح وطرب وقال الان بلغت الارب ودنا اجل عدوي واقترب فقال جبار وما الذي عولت ان تفعل يا ذا الخمار فقال اتبع اثار عنتر حتى انفرد بهِ في البر الاقفر حيث تنهب جسدهُ على رؤوس السيوف الحداد ولشفي منهُ غليل الفواد فقال جبار ونحن بدلاً من ان نقضي ايامنا بالكمين نقعد هنا لهم كامنين لعلنا نظفر باولاد عنترة الاخيار وان لاحت لنا منهم فرصة كبسنا هذه الفرقة التي تركها لهُ في الانتظار وننزل بها الذل والبوار فقال لهُ ذو الخمار هذه الفرقة ليس لنا فيها مطمع لانهم جمع كثير وفيهم غمرة بنت فايز وولدها غصوب الخرير وميسرة وعروة ورجالة المغاوير وانا اعرفهم معرفة خبير فان وقعنا باحد منهم في هذا المكان اهلكناه لان الوحش قد جفل الى هاهنا لقلة الخاطر وباقي الطرقات قد كثر بها وطوء القدم والحافر فقال جبار دعنا نقيم هاهنا زمناً يسيراً ونركب كل صباح في طلب الفرجة ولا نرجع حتى تزول من قلوبنا الغصة فصاروا كل يوم يركبون عند طلوع الفجر ويركضون في اقطار البر وما زالوا على مثل ذلك حتى وقعوا بميسرة وغصوب وسبيع اليمن وخمسة فوارس اخر فامهلوهم حتى تعبت خيلهم ثم اطلقوا في طلبهم الاعنة وقوموا اليهم الاسنة فعرف اولاد عنترة انهم اعداء فعادوا الى قتالهم في الميداء وهم ينظرون اليهم بعين الاحتقار ولم يعلموا ان فيهم ذا الخمار وجبار وكانوا ذلك اليوم قد خرجوا على سبيل الانفراد لانهُ كان في غير ذلك اليوم يركب معهم عروة وشداد وكانوا قد اشتغلوا عنهم بشرب المدام فسار هولاء على طريق الشام وجالوا في طلب الصيد في تلك الربى والاكام حتى جرى لهم ما جرى وحملت عليهم الاعدا واختلف بينهم طعن العسال وسطا غصوب بشجاعتهِ على الابطال وقتل جماعة من الرجال وبعد ذلك حملت رفاق ذي الخمار ورجال صخر على غصوب وميسرة بعد ما جرحوا سبيع اليمن واخذوه اسيراً ودام القتال بينهم حتى لم يبقَ من النهار الا اليسير وقتلوا جواد ميسرة من تحتهِ فدافع عن نفسهِ بسيفهِ وترسهِ حتى قتل سبعة رجال فاخذوه اسيراً اخر النهار واما غصوب فانهُ فعل ذلك

اليوم فعال الابطال وما انحط حتى اقبل الليل بالانسدال بعد ما اثقنوه بالجراح وسال دمه وساح على اسنة الرماح وقبض عليه بالمكاثرة بعد ما استرخت اعضاه وايس من الحياه ولما اخذوهم اسرى باتوا يتشاورون فيما يفعلون فيهم فقال ذو الخمار الصواب ان نضرب رقابهم وناخذ بثار من قتل لنا من رجالنا منهم و بعد ذلك نرحل من تلك البيداء فلا نصبح الا في ارض بعيدة وتكون امورنا حميدة والا ان قعدنا هاهنا تجيئنا غمرة بفرسان الحرم ولا ندري على اي شيء نقدم فقال جبار اما مسيرنا فهو صواب واما قتل هولاء فعيب لان من لا ينظر في العواقب فليس له الدهر بصاحب وانت قد ذكرت لي ان اباهم عنترة قد رعليك جملة مرار وابقاك مراعاة لعمك دريد بن الصمة الفارس الكرار والراي عندي انك لاتحرك ساكنًا لانك ان فجعتة بالاولاد وقدر عليك شفى منك غليل الفواد ولا يعود يقبل فيك شفاعة ولا يبقي عليك ولا ساعة وانا ايضًا قد سار لي معه علقة واخاف من هذا لاني ما جربته في حرب ونزال ولكن رأيت منه في مكة الاهوال وهو يجندل الابطال و ياسر الاقيال ومن يكون بهذه الصفة يجب على الانسان ان يحذره حتى نرى لنا عليه فرصة فنجرعه من الموت غصة واي غصة فقال ذو الخمار رايك رشيد وقولك سديد وما لنا عنه محيد فافعل ما تشتهي وتريد لانني قد جعلت عليك اتكالي لعلي ابلغ بك امالي فقال جبار الصواب اننا نسير هولاء عند الصباح الى حصن خيبر ونكمن في انتظار عنتر وننظر ما يجرى لنا معه عند الملتقى وندبر شيئًا يكون لنا فيه البقا ثم انهم اتفقوا على ذلك الحال وساروا من اول الليل وشدوا الاسارى على ظهور الخيل وانتظرت غمرة ومهرية و بقية النساء اولادهنّ ان يعودوا عند المساء فما عاد اليهنّ منهم احد فلما يئسنَ منهم ركبنَ على ظهور الخيل من اول الليل وركب معهنّ جماعة من الابطال وتفرقوا في البراري والتلال الى طلوع الفجر واذ قد رأوا في عرض البر جماعة قتلى و بينهم واحد مجروح وهو في حالة العدم لا يعي ولا يتكلم فحملوه معهم لعله يفيق و يخبرهم بالخبر على التحقيق

قال وكانت هذه الطريق التي ساروا فيها هي الطريق التي سار فيها عنترة بن شداد لان شيبوبًا لما غضب عنترة على عبلة ساقه قدامه وسار به في عرض البر والبيداء وهذا كان سبب سلامتهما من الاعداء ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى مكة وسمع عويل غمرة واستعاد الحديث من اليهودي المجروح ثاني مرة فقال له يامولاي اعلم ان اولادك ان كانوا سالمين فهم في حصن خيبر ولكن انا امضي معك واضمن لك خلاصهم من بني عمي فيزول عنهم الضرر لاني رجل معظم عند ميشا صاحب حصن خيبر وان اهلك

قد فعلوا معي الجميل ومها فعلت معهم من المجازاة فهو قليل فقال له عنترة اما انت فقد سبق لك جميل اصحابي وسلمت فسر معي الى المكان الذي ذكرت فان رأيت انه قد فقد احد من اولادي اريك ما افعل بالاعادي ثم امر عروة باخذ الاهبة والسير بين يديه وعاد الى الشيخ عبد المطلب للسلام عليه ولما اجتمع به حدثه بفعال ذي الخمار فقال لعن الله طبعة الغدار فان ظفرت به اضربت رقبته واكف العرب اذيته والا فهو لا ينام عن اذيتك ودائمًا يسعى في اتلاف مهجتك فقال عنترة يا مولاي والله لولا جميل دريد معي لما كنت تركته يشم نسيم الهوا وما بقي له غير السيف دوا ثم انه عاد الى قومه ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح سار عنترة طالبًا حصن خيبر وسلك البر الاقفر ومعه جماعة من فرسان بني عبس وبني قضاعة وغمرة في اوائلهم تندب الاسارى لاسيما ولدها غصوب وكذلك مسيكة احرقت بتعديدها القلوب واما مهرية فانها بكت ولدها ميسرة وصارت دموعها منحدرة وجميع النساء تندب اولادها وقد تفتتت اكبادها واما غمرة فانها لما طال عليها الطريق تذكرت بعدها عن الاوطان وتشتيتها من بلاد السودان واسر ولدها غصوب بين الفرسان وما جرى عليها من نوايب الزمان فانشدت

الا ودموعي قد جرت من محاجري ونيران شوقي في رسيس ضمائري
وشوقي بعاد ثم حزن ولوعة وما قد لقي قلبي لفقد عشائري
لقد هدّني فقد الحبيب وبعده وقلقل احشائي واسهر ناظري
رمتني صروف الدهر بالبعد عنكم وقلبي سقيم يوم تبلى سرائري
ترى انت حي يا حبيبي فارتجي لقاك كما يرجى لقاء المسافر
ام الطير قد امسى عليك معرجًا ينوشك ما بين القنا والبواتر
اسائل عنك البرق في كل ليلة اذا التهبت نيرانه في ضمائري
وما هبت الارياح الا لقيتها بقلب عليل شائق غير صابر
اقول غصوب وهي تسعف في الفلا اوايلها لا تلتقي بالاواخر
وما الحزن الا عند من في فواده لهيب جوى يحكي سموم الهواجر
عدمت غراب البين كم قد لقيته ينوح على رسم الطلول الدواثر
دع النوح يا طير الاراك لاهله ولا تدعي حزني وتشغل خاطري
فلو كنت مثلي ما لبست ملونًا ولا طرت في اعلى الغصون النواضر
دعوت بان يخلو من الطير وكره ويضحي خضيب النحر دامي الاظافر

كما قد دهاني في حبيب الفتنة وراشقني بالحادثات الدوائر

قال فلما سمع عنترة شعر غمرة حل به الاحتراق وتمرمر منه المذاق وزاد في فؤاده اللهيب ونسي زوجته التي تزوجها من قريب وكان قد حدث اباه بما تم عليه وبما جرى له عند عودته اليه وكيف تزوج بالجارية سروة وكتم ذلك عن مهرية وغمرة لاجل ما في قلوبهما من الاحزان ولما قاربوا الحصن قال لهم ذلك اليهودي يامولاي اتاذن لي ان اتقدم بين ايديكم واسال بني عمي عن اولادكم ان كانوا عندهم ام لا واكشف لكم الاخبار عنهم وعن ذي الخمار فان رايت اولادكم هناك خلصتهم لكم وجئتكم بهم من غير مطال وكفيتكم شر المنازعة والحرب والقتال وجازيتكم على ما فعلتم معي من الجميل والقيت هيبتكم في قلوب بني اسرائيل وجعلتهم يلاقونكم بالاكرام والتجلة والاعظام فقال له عنترة اخاف ان تتغير عن مقالك وترجع الى قبيح فعالك فقال اعوذ برب موسى وهارون ان اكون ممن يؤمن فيخون لاسيما وانا من بني اسرائيل وقد اعدتم اليّ الروح بعد ان كنت قتيل ثم انه سار وعنترة قد عول على النزول والراحة وقعدوا ينتظرونه في تلك الساحة وجدّ ذلك اليهودي في المسير فرحًا بما لاقى من المقادير وخلاص نفسه من التدمير ولم يزل سائرًا حتى وصل الى الحصن ونظر سواده وكان ميشا ذلك اليوم قد ركب جواده وحوله خواصه واجناده لان حصن خيبر كان في ذلك الزمان من اعمال انطاكية وهو تحت يد الملك قيصر الحاكم على ملة الصلبان الا ان ابا سهل اليهودي لما فارق عنترة ونظر ميشا راكبًا طلب المواكب فعند ذلك ابصرته الفرسان فتراكضت اليه مثل العقبان فعرفوه وبالسلامة هنأوه وبشروه بالخير والكرامة وقالوا له يا ابا سهل نحن سمعنا بانك قتلت فكيف ذلك اخبرنا فتقدم الى ميشا وسلم عليه فترحب به وادناه وساله عما جرى عليه فقال له يامولاي قصتي عجيبة واموري غريبة فهل وصل اليكم جبار وسمعتم بما جرى له مع ذي الخمار فقال ميشا ما وصل الينا الا ثلاثة اسارى من فرسان العرب مع جماعة من فرساننا وقد ذكروا لنا انهم شجعان وامروني بحفظهم في هذا المكان وبشرونا بالهنا وبلوغ المنى وقالوا لنا ان فارسنا جبار صاحب فارسًا من فرسان الحجاز يقال له ذو الخمار وقد سار معه حتى يساعده على عدو يقال له عنترة بن شداد فقال ابو سهل اما خوف الانسان من العواقب فما به من باس ولا يذمه احد من الناس واما عنترة بن شداد فقد نجا من النوائب وها هو قد اتى اليكم طالبًا الاسارى لان الذين قد وصلوا اليكم هم اولاده ومهجة قلبه وفؤاده وقد انفذني اليكم محذرًا ومنذرًا واقسم بانه ان سال من احد منهم نقطة دم لا يترك من بني اسرائيل من يمشي على قدم

ثم انه حدثهم عن شجاعتو وما قد سمع وابصر من فروسيته وقال لميشا في اخر كلامه الراي عندي
ان نطلق هولاء الاسارى من الشد والوثاق قبل ان تبلى بما لا يطاق لانه فارس قوي المراس
ومعه ثلاثمائة فارس لا تقاس لانهم ابطال وشجعان وكلهم مثله في ثبات الجنان لا يبالون
بكل من في بلاد الشام بل يلتقون قبائل الانس والجان فقال ميشا وقد صعب عليه
الحال ويلك يا ابا سهل ما هذا المقال الذي لا تصغى اليه القلوب ولا تسعه الاضالع والجنوب
كانك قد ذللت لما اوشكت ان تذوق كاس الحمام وقد صرت لا تعقل على كلام فكيف
اكون في الفي فارس من بني اسرائيل وما فيهم الا كل فارس نبيل ولي مثل هذا القصر
المشيد واخاف من ثلثمائة فارس من سكان القفر والبيد على ان هولاء الاسارى عندي
وديعة وتسليمي على هذا الوجه خديعة و يستعجزني ابن عمي جبار وابقى عنده في عين
الاحتقار وعند صاحبه ذي الخمار ويقولان ان الذلة والمسكنة ضربت على اليهود وما
بقي لهم قايمة تعود فهذا شي لا افعله ابدا ولو سقيت كاس الردى فقال ابو سهل اذا خالفتني ياميشا
فعل بروحك ما تشا وان شئت فانا ادبر لك على هلاك الاعدا واقنصهم لك بالمكر والدها
في هذه البيدا ولا احوجك الى قتال ولا حرب ولا نزال فقال افعل يا ابا سهل ما بدا لك
من الامور فقد قطعت منا الظهور بوصفك هذا الفارس الجسور فقال له ابو سهل انا والله
ما وصفت لك الا شيطاناً مريداً وجباراً عنيداً وقد اشرت عليك براي سديد فان انت
قبلت مني بلغتك كما تريد وهو انك تفرق هذه الالف فارس التي معك في جنبات البر
وتخفي نفسك في الكمين ونطلق اولاد عنترة وترد عليهم خيلهم وعددهم واخذهم انا والتقي
عنترة عند اقبال النهار واقيم عذرك عنده كما احب واختار واحلف عليهم وانزلهم في ارضنا
فيصيرون لنا زواراً ونخرج اليهم العلوفات والشراب والطعام وندير عليهم كاسات
المدام الى وقت الغياب فاذا راينا السكرة قد غيبت منهم الصواب امرنا الكمناء ان تخرج
اليهم وتضع فيهم القناة والقواضب فمن قدرنا على اسره اسرناه ومن تعاصى علينا قتلناه

قال نجد بن هشام فلما سمع ميشا هذا الكلام استصوبه لما وقع في قلبه من الفزع من
عنترة ومن صحبة وكان عن يمينه شيخ يقال له فرناس بن هارون وكان ملعوناً ابن ملعون
وكان طبيباً حكيماً عالماً في مذهب بني اسرائيل عارفاً بجميع الحشايش والعقاقير فقال له
ميشا ماذا تقول في هذا الراي يا امانا فقال له ما رأيت اوفق من كلام ابي سهل وانا ايضاً
اساعدكم بحشايش من عندي وعقاقير واعطيكم ورقاً ينبت في بلاد الهند يقال له ورق
السبات اذا وضع منه وزن درهم في الماء الجاري يجمد واذا شمه الانسان يخمد واذا وضع

على النار بهيئة تؤان طريح منه في الخمر الذي لستوته لهم يصيرون مثل القتلى ولا يبقى فيهم من يقدر لمن يحرك يداً ولا رجلاً فقال هذا هو الرأي السديد والذي احب واريد حتى لا يعود جبار وصاحبه ذو الخمار الا وقد بلغنا الارب وهلكت اعداؤهما بلا تعب ولا نصب ثم انه فرق اصحابه شرقاً وغرباً وعادوا الى الحصن يهيئون الطعام والشراب ويدبرون هذه الاسباب وعند الصباح اخرجوا اولاد عنترة من القباب وردوا عليهم خيلهم وعددهم والاسلاب واعلموهم بان اباهم قد جاء في طلبهم بجماعة من الاصحاب وقالوا لهم لو كنا عرفنا من الاول انكم لنا من الاصحاب لما كانت جرت هذه الامور والاسباب والان قد علمنا ان امركم لا يهمل وان العذر عند ابيكم لا يقبل ونريد من اليوم ان نعيش تحت ذمامكم وننتصر على سائر اهل الحصون بحسامكم ثم انهم خلعوا عليهم وسلموهم الانعام ودار بهم الخاص والعام هذا وغصوب يقول لهم عادوا كل من في هذه البقاع ولا تفزعوا من احد لا ابيض ولا اسود وكل من عاداكم جعلت دياره بلقع ينعق فيها البوم والسعمع وسار قدامهم ابو سهل واهل حصن خيبر واذا بالخيل قد اقبلت وفي مقدمتها الامير عنتر وقد اقبل اسرع من القضا والقدر فقال ابو سهل يا ابا الفوارس ان الامر قد تيسر وارسل فاحضر كل من في الحصن من المشايخ والشباب وقد ضجوا بالبكاء والانتحاب وهم يتلون التوراة والتقوا عنترة كعادة اليهود ولما راهم عنترة تعجب من اصواتهم المختلفة فاوقف جواده ووقف تلك الوقفة والتقى اولاده وانسر بقدومهم فؤاده والتقى كل واحد باصحابه والحبيب باحبابه وتقدم ميشا وفرسان حصن خيبر واظهروا الذل لعنتر وكل منهم قبل يده وله اعتذر فقال لهم عنترة اما عذركم فانا اقبله وهذا الفعل لا اضيعه ولا اجهله بل تكونون في ذمامي حتى يدركني حمامي ما لم يظهر منكم في حقي امر يوجب لكم حربي وانتقامي ولكن اريد منكم ان تخبروني من هو الذي اوصل اولادي اليكم فقال له الرجال اسدهم ذو الخمار وجبار ونحن الذين اتينا باولادك الى هذه الديار بامرهما وهما قد سارا بالفرسان الى ديارك في طلبك ليعجلا هلاكك وعطبك والى الان لم يعد الينا منهم بشر ولا ظهر لهم خبر فقال عنترة انا اعلم انهم يطمعون في قومي اذا لم اكن عندهم من يومي ولا بد ان يكسبوا بعض اموالهم ولولا خوفي اننا نختلف في الطريق ونضل عنهم في الشعب والمضيق لكنت سرت من يومي اليهم وشفيت قلبي من الهجوم عليهم فقال ميشا يا حامية عبس انت قادر عليهم متى شئت ولكن نريدك الليلة ان تبات عندنا وتاكل من طعامنا وتشرب من مدامنا ثم انهم حلفوا عليه وانزلوه بمكان يليق به وكان مكاناً واسعاً فيه مياه ومنابع وفي دون ساعة ضربت لهم الخيام والمضارب واحضرت الماكل والمشارب

وخرج من الحصن خمسمائة راجل وراكب ودارت عليهم الاقداح متتابعة وصفت الاواني المفضية والمذهبة ونظر عنترة فعلهم فاعجبة وسمع من مشايخهم حديثًا اطربة ولما طلعت الخمرة الى روسهم اختلطوا وعلا ضجيجهم فعند ذلك امر ميشا ان يسقوهم من الخمرة التي خمروها بحشيشة السبات فداروا عليهم بالكاسات ولم يزالوا بهم حتى قلت منهم الحركات وتغيرت منهم الحالات وانعجمت السنتهم عن الكلام وتوهموا انهم في منام فانطرحوا على وجه الارض وبعضهم فوق بعض وكان عنترة قد افرط في شرب الخمرة وكذلك ميسرة وغصوب والرجال الذين طمع على قلوبهم المشروب وكان قد بقي مع غمرة خمسون فارسًا انجاب من عقلاء قومها والاصحاب ما حضروا وقت الشراب لانهم كانوا حاملين هم اولادهم ونسائهم الذين سباهم ملك السودان وابعدهم عن الاهل والاوطان وكانت غمرة مكمنة بهم في الوديان وكان عنترة قد اسرف في شرب الخمرة اكثر من كل الرجال فهمّ ان يقوم فوقع ونسقة راسة الى الارض وانصرع فلما كان اخر النهار ركبت غمرة في هولاء الفرسان المتخلفين وهمت ان تدنو من مكان الدعوة قبل الغلس وتسال عنترة اي طريق تحفظ وتستاذنة بالحرس واذا بالصياح قد علا من سائر الاقطار واقبلت الخيل التي كانت مكمنة سربًا من روس التلال فقالت غمرة يابني عمي هذه الامور لاتدل على خير وسرور وانا اقول ان هولاء اليهود خافوا من عنترة ان يرميهم بنائبة مكدرة لان اخباره قد ملات الارض طولاً وعرض فاخشى انهم يكونون قد عملوا بخلاص الاسارى حيلة دبروا بها على هلاك ابطالنا لما علموا انهم عاجزون عن قتالنا لانهم طائفة موصوفة بالغدر وقلة الوفا والمكر والدليل على ذلك ان هذه المواكب التي ظهرت تقصدنا من كل جانب وهذا يدل على انهم كانوا مكمنين وقد توارو عن اعين الناظرين وما ظهروا حتى عرفوا ان اصحابنا لا يقدرون على القيام من تناول اقداح المدام وما بقي فيهم من يقدر ان يجرد حسام . والصواب انكم تبادرون الى الحصن في اربعين فارسًا وتهجمون عليه لعلكم تملكونه ما دامت ابوابه مفتوحة وتدعوني انا وهذه العشرة الفوارس الاخر انظر ما جرى على ولدي غصوب وابيه عنتر واذا تغلبوا عليّ النجات اليكم وجعلت معولي عليكم والا فان سلمنا انفسنا او قاتلنا هذه الخلايق فنينا ونكون على انفسنا تعدينا لاننا قوم غرباء بين هذه الطوائف المختلفة وما فينا من له خبرة بهذه الارض ولا معرفة فقال لها اصحابها افعلي ما بدا لك ونجزي اشغالك ثم طلب الحصن منهم اربعون فارس من كل بطل مداعس وكان الليل قد اقبل والنهار ولى وارتحل فوجدوا الباب مفتوحًا على حاله فهجموا مثل الاسود وسلوا الصوارم واوقعوا في اليهود واما غمرة فانها ما

وصلت الى الموضع المقصود حتى أوثق عشرة وأولاده من اليهود وقتلوا جماعة من فرسانه وأجناده واقبلت غمرة فوجدت ميشا قائماً كأنه من اولاد قابيل وحوله جماعة كثيرة من بني اسرائيل وفي يد كل واحد حسام وهم يطوفون الاخبية و يشدون النيام والذي يجدونه مستيقظاً يطيرون منه الهام لان القوم ما بقي فيهم من يقدر ان يجرد في يده الحسام

قال سعيد بن مالك فلما رات غمرة ذلك ونظرت الى تلك الحال نادت والله يا بني الانذال قد اتخذ عنا لكم وتم علينا منكم هذا المحال ثم بذلت فيهم مضاربها وحرابها وزعقت فتفرقوا من حول اصحابها وارادت ان تشفي منهم غليل قلبها فرات الخيل قد دهمتها والصيحات من كل جانب اخذتها فاحتاطت بولدها وسالته على بعض خيل اصحابها وطلبت الحصن وقد اشتد مصابها وكان الباب قد ملك ووقف عنده عشرة من الرجال الذين دخلوه فدخلته غمرة وغلقت الابواب وانقضت الامور والاسباب ولما امنت على نفسها من الاعداء وقر قلبها على ولدها نهت قومها عن قتل اليهود وفرقت عليهم عشرين فارساً على روءوس الطرف وطلعت في الثلاثين الاخر على الاسوار واقامت تنتظر اقبال النهار هذا وولدها بين يديها كالقتيل وهي عليه قلقة الاحشاء كثيرة العويل والحصن يضج بصياح النسوان والبر يتزلزل من صياح اهل التوراة وعبدة الصلبان لان ميشا قد علم باخذ الحصن فعض يديه من شدة الالم وندم حيث لا ينفع الندم وصارت بنو اسرائيل تصيح وتقول اجرنا يا كريم وارحمنا يا رحيم بعد ما كنا زاجين تحكم في حصننا وحريمنا هولاء الشياطين ومازال ميشا على مثل ذلك حتى اجتمعت حوله فرسان اليهود الذين كانوا في الكمين وقالوا ايها السيد لا تحمل هماً فوحق من الفتة امه في اليم لا نترك الحصن مع هولاء الانذال فانهم نفر قليل فان خرجوا الى قتالنا اخذناهم على اسنة الرماح والحراب والا نقنا عليهم ودخلنا من الانقاب فقال ابو سهل يا بني عمي هذا تدبير يعود علينا وبالاً وتدمير والراي عندي انكم تصالحون القوم وتطلقون اسراهم وتخلصون بهم الحصن وان لم تفعلوا فسوف ترون اذا طلع الصباح من هذا العبد الاسود الذي خلصته امه تحت الغبار حرباً اذا راهُ المولود شاب وضرباً اذا راته الاسود خضعت وذلت منها الرقاب فقالت اليهود يا ابا سهل جعل الله صباحك ليلاً وزادك ذلاً و ويلاً نحن هنا اكثر من الفي فارس ومعنا رجال وعبيد مثلهم ضعفان فكيف يغلبنا عبد اسود سفيه فغداً ننظر كيف تكون فعالنا فيه و في قومه وذويه

قال سعيد بن مالك ثم باتوا يتشاورون وعلى خلاص الحصن يدبرون وقد وضعوا جميع الاسارى في مكان واحد فصحوا عند الصباح من سكرهم الزائد فراوا انفسهم في الكتاف

الشديد والقيود الحديد فعلموا ان الحيلة تمت عليهم فوافعهم الندم وايقنوا بالعدم وكان اخر من عقل على نفسه عنتر فتنغص وتمرمر ولما علم بما جرى عليه استعجز نفسه ورايه وقال لقومه الابطال اما ترون ما فعل بنا هولاء الانذال فوالله اثن خلصت لا اتركن يهوديا ثم سال عن ولديه وقد خاف عليهما فكلمة ميسرة وقال يا ابتاه انا سالم ولكن اخي غصوب لا اعلم ما كان منه فبينما هم كذلك اذ تقدم اليهم رجل من الذين كانوا موكلين عليهم ودنا منهم يطلب الاحسان واخبرهم ان غمرة اخذت غصوبا وملكت الحصن بخمسين فارسًا وان اصحابة عولوا على الصلح والفدا اذا لم يقدروا على خلاص الحصن منها فقال عنترة لله دركِ يا غمرة لقد فعلتِ الفعال التي تعجز عنها صناديد الرجال فقال عروة والله ما كنا لنصالح هولاء الاشرار ولا بد من ان نبذل فيهم الشفار فلعن الله اباهم والجدود كما تركونا هكذا في القيود على انني اعلم ان غصوبا يخلصنا ويبلغنا كلما نريد ولو ان حولنا عساكر خراسان واهل الصعيد ولما طلع الفجر وغابت الكواكب زحف الى الحصن كل راجل وراكب وارتفع الصياح وبرقت الصفاح وما قاربت الاعداء الاسوار حتى انفتح الحصن وخرجت غمرة وولدها غصوب كانهما اسود الغاب ومعها من رجالها ثلاثون فارسًا انجاب وتركت الباقي يحفظون الحصن من الخطر وكان غصوب قد صحا وقت السحر وعلى والدته عقل فسالها عن حالته وما به قد نزل فحدثته بما تم عليهم من الوبال وكيف اوقعهم اليهود في اشراك الاحتيال وكيف خلصته من بين الاعدا وكيف ملكت الحصن وقالت له والله يا ولدي انا متفكرة في غربتنا وكثرة اعدائنا ولا نريد شيئًا الا خلاص اصحابنا فلما سمع غصوب من والدته ذلك المقال عجب من حيل الرجال واخذه القلق وتمنى ذهاب الغسق حتى ينال مراده ويشفي فواده وما زال كذلك حتى طلع الصباح واضاء بنوره ولاح فقال لامه قومي بنا نخرج لهولاء الانذال ونشفي قلوبنا منهم بضرب النصال لعلنا نخلص ابي واخي ومن لنا من الابطال فقالت له افعل ما بدا لك وكان في الحصن خيول وعدد تكفي اهالي البلد فركبوا من الخيل اسرعها وغاصوا في الدروع ووكلت غمرة بالابواب عشرة من ابطالها الانجاب وعشرة على الاسوار وخرجت هي وولدها في ثلاثين فارسًا ريبال من الذين جربت افعالهم في القتال فزاد الصياح من كل جانب وقصدتهم الفرسان مثل السلاهب فلما قاربوا الحصن ونظر غصوب هذا الامر عدم الصبر واظهر الغضب واستصغر الجمع الذي اقبل عليه وحدثته نفسه ان الارواح كلها في قبضة يديه فحمل على خيل اليهود وزعق فيها زعقة الاسود وطلب بسنانه النحور وطعن بالصدور ونظرت امه فعاله فخافت عليه

من غائلة الحرب واهواله فامرت اصحابها انها تقفو اثره وتحمي ظهره ووقفت في وخمسة فوارس خلف ظهره تميل معهُ وكيفما رآتهُ يقاتل قاتلت دونهُ فكانت طائفة اليهود قد اوقفت العلم على راس مقدمها ميشا وهو علم اسود مثل الليل اذا اغشى فقصد غصوب العلم وزاد حنقهُ فما طعن ضلعًا الا دقهُ ولا ضرب راسًا الا شقهُ هذا والعدد عليهم يزداد وغصوب يسطو عليهم سطوة جبار ولله در الرجال التي حملت معهُ تلك الساعة وما اظهرت من الشدة والشجاعة لانها قاتلت قتال الموت وفعلت فعال من لا يخاف الفوت هذا وغمرة تحرسهم تحت الغبار وتنظر اليهم بعين الاختبار وما زالت كذلك حتى رات المواكب كلها قد مالت والاسنة قد قربت وتواصلت فعند ذلك زعقت وحملت وقد ذكرنا ما في غمرة من الفروسية والاقتدار وشرحنا ما جرى لها في بلاد شريف مع ذي الخمار فسبحان من يفعل بخلقهِ ما يشاء ويختار الا ان غمرة عند حملتها خرقت سرادق الغبار وطعنت صدور الابطال بطعنات تسبق لمح الابصار وكانت الرجال مثل الثعالب قدام سباع القفار وما زالت تطير الجماجم والهام وتفرق بين الارواح والاجسام حتى خف البلا عن ولدها غصوب ووقعت هيبتها في القلوب وظل الناظر من فعلها مقلوب واشتعلت نيران الحروب وظلت الخيل جايلة والاعناق مايلة والسيوف بارقة والاسنة خارقة والدماء دافقة والرجال زاعقة الى ان مالت الشمس في قبة الفلك تطلب الغروب وملت الخيل من الجولان والفرسان كلت من الحروب وفي تلك الساعة قتل الجواد من تحت غصوب وبقي راجلاً يدافع عن نفسهِ ويقاتل ويبري بحسامهِ الرماح الذوابل وعلمت امهُ بما جرى عليهِ فاحترق قلبها وجدت في قتالها وحربها وفرقت الابطال بطعنها وضربها وطلبتهُ كما تطلب اللبوة شبلها وقد غاب صوابها وعقلها ولما قاربتهُ صاحت في الرجال الذين داروا بهِ ففرقتهم وما زالت تقاتل عنهُ حتى ركب فرسًا من خيول المعمعة وعاد يكر على الفرسان بطعناتهِ المتتابعة وضرباتهِ القاطعة حتى انجلى الصباح وراى الزعقات من كل جانب عند الحصن والابراج وسمعت غمرة زعقات رجالها في الحصن من فوق الابراج فقالت لغصوب ياولدي الحصن قصده الاعدا من ورائنا وان نحن توانينا عنهُ ملكوه فقال لها غصوب ورجالهُ لا تخافي ثم حمل وحملت رجالهُ وبقيت لهم غمرة في التبع ترد عنهم اهل الجهل والطمع وما زالوا يشقون الصفوف شقًا ويبددون الاعداء غربًا وشرقًا وكان الذي وصل الى الحصن واراد ان يملكهُ ابو سهل اليهودي الذي قدمنا ذكره وان ميشا لما راى هولاء اختلطوا تحت القتام وغرقوا تحت الاعلام وطلبوهم كما يطلب الجارح الحمام قال لابي سهل ويلك يا ابن العم خذ معك مائتي فارس

وامض الى الحصن فلعلك تملكه وتخلص اهلنا من البلا ما دام هؤلاء الشياطين قد خلوه لاني قد رايت حربهم لا نصطلي وان لم يدركنا فارسنا جبار فلا ننال منهم ما نختار فقال ابو سهل وحق موسى الكليم لا نقدر ان نقاتل هؤلاء الشياطين ولو كان كل واحد منا راكباً حمار العزيز ثم سار الى الحصن ومعه طائفة من اليهود فتبعتهم جماعة من متنصرة الاعراب وتسابقوا الى الباب فقاتل اصحاب غمرة ساعة الى ان كثر عليهم العدد فخافوا على انفسهم فدخلوا الى الحصن واغلقوا الابواب وعلا بهم الصياح من فوق الاسوار ورموا على فرسان اليهود بالصخور والاحجار ودام الامر كذلك حتى عاد اليهم غصوب وترك الارض مفروشة بين يديه بالقتلى ونظره ابو سهل لما اقبل وهو مثل العقاب وامه مثل اللبوة اذا خرجت من الغاب فصاح في اصحابه وراح يطلب الاعلام والرايات وهو يتعوذ بالعشر الكلمات

قال الراوي وفتح لغمرة فدخلت هي ومن معها من الاصحاب وكان الليل قد اسبل حلل الاغساق واظلمت الاقطار واسودت الافاق وطلع هؤلاء على الاسوار وهم شاهرون السلاح وقد ازعجوا جنبات الحصن بالصياح لان اهله نادوا على اصحابهم وطلبوا اخراجهم واذا بهم فخرج غصوب ومعه جماعة وضربوا فيهم بالسيوف حتى عادوا الى دورهم وجمدوا بعد نفورهم وما زال غصوب ضيق الصدر لانه لم يخلص اباه واصحابه من الاسر وامه تسليه عما هو فيه وتقول له والله يا ولدي لولا خوفنا على هذا المكان الذي حصلنا عليه لما كنا رجعنا اليوم عن خلاص ابيك ومن معه على ان الخلق في اخر النهار زادوا علينا فغداً نقاتل قرب الباب ونطلب البراز من هؤلاء الكلاب فان بارزونا اسرنا منهم من نفدي بهم اباك واصحابه لانه لا يبرز الى الميدان الا الشجعان فاريك فعلي بالفرسان وان لم يفعل اليهود حملنا عليهم وبذلنا المجهود واذا عجزنا عن خلاص اصحابنا اطلعنا كل من في الحصن على الاسوار وتولينا ضربهم وعذابهم ونامرهم ان ينادوا اصحابهم ويطلبوا الفدا ونخلص قومنا ونرحل من بلاد الاعدا ثم باتوا يتشاورون في القتال واما ميشا فانه عتب على ابي سهل عند رجوعه من الحصن وخوفه من الردي وقال لك ويلك يا ابن العم ماذا جرى عليك حتى عدت من قدام هؤلاء الكلاب وما قدرت ان تمنعهم من الوصول الى الباب لان اكثرهم كانوا قد اثخنوا بالجراح والسالمون صاروا من التعب اشباحاً بلا ارواح فقال له ابو سهل يا ميشا لا تنفعل واستعد ما تخاف ومن ذا الذي لا يخاف الموت ولا يخشى الفوت فهنئنا بعودتنا سالمين من قدام هؤلاء الشياطين الذين كانوا في عودتهم اشد من الاسود واقوى من الحجر الجلمود

ولولا شغلهم بنا لكانوا افنوا النصارى واليهود والراي عندي انك تطلق هولاء الاسارى الذين في يديك وتخلص بهم حصنك ومن يعز عليك والا فاذا ضايقتهم يخربون الحصن ويهدمون بيتك و يسبون ابنتك واختك وزوجتك فلما سمع ميشا كلامه اشتد به الغضب وقال له ويلك ياابا سهل وحق التوراة ما بقي لك عقل كيف اطلق فارس الحجاز بعد ما وقع في يدي وظفرت به اسيرًا فوحق العشر الكلمات لابد لي ان اسير فيه الى انطاكية واسلمه للملك قيصر لاني اعلم ان في قلبه منه نارًا لا انطفى ولهيبًا لا يخفي وانا سمعته مرارًا يحلف بدين النصرانية ويقول وحق عيسى ومريم والصليب المعظم لولا فارس بني عبس الاسود لما حمل الى كسرى مال ولا اطعت من الملوك احد وانا اعلم ياابا سهل انني اذا حملته اليه يعطيني في مقابلة ذلك قلعة او بلد او يغضي عني الخراج و يتركني احكم على جماعة من البطارقة الاعلاج لاسيما اذا احضرت معه اولاده وفرسانه واجناده وهذه الامراة التي ارتنا الموت من قتالها وطعنها ونزالها فقال ابو سهل اذا كان قد خطر لك هذا الخاطر ورايته صوابًا افعله وخاطر به حتى يعلو قدرك عند الملك العظيم و ينفذ امرك عنده في جميع الاقاليم ولكن غدًا السبت تصبحون فيه مسبتين فهل يتركنا هولاء الشياطين فالصواب اننا ننفذ هولاء الاسارى الى بعض المضايق والشعاب ونتركهم فيها ونترك جابر بن اسد مقدم العرب المتنصرة لحفظهم ونقول له اجمع كل من في البر من الرجال لان الحصن انمسك علينا وقد ارسلنا اليه من يخرج العدى منه في عاجل الحال وان توانيت عن ذلك حملت هذه المراة غدًا هي وولدها غصوب يخلصان عنترة ولو كان داخل الحجب محجوب فقال ميشا لقد اشرت بالصواب والامر الذي لا يعاب

ثم انه دعا بجابر بن اسد مقدم العرب المتنصرة وقال له انت تعلم ان عنتر عدو الملك قيصر ومن الصواب ان تجتهد في حفظه بكلما تقدر عليه وفرق رجالك في اقطار الفلا ولا تدعهم ان يتركوا في هذا البر من يحمل عصا حتى ياتوا به الي ثم امر الخواص من رجاله ان يحملوا عنترة ومن معه الى شعب كان هناك يقال له شعب العروس وكان ذلك المكان في جبل بعيد شاهق البنيان هذا كله يجري وغصوب يشاهدهم من اعلى الحصن ويرى فقال لامه ماذا تقولين في هذا الامر فاني ارى الاعداء قد حملوا ابي واخي واصحابنا ودخلوا بهم الى حصن في البر فانا اخاف ان يبعدوا بهم الى حصن من الحصون ونبقى نحن غير قادرين على خلاصهم ولا ندري ما يكون و بقيت حائرًا في امري فاذا كان الامر على هذا الحال فلا اطيق الصبر ولا بد لي من ان اخاطر بروحي واحتال لان الرجل الشجاع اذا لم يكن محتال

قاتة الغرض والامال فقالت وما الذي تريد ان تفعل يا ابني من الاحتيال فقال انزل من الحصن واختلط بالاعداء وانظر ما دبروا وافك ابي واصحابة من الاعتقال ولو كانت الاعداء بعدد الرمال وان لم اتمكن من ذلك عدت اليك في الحال فقالت غمرة يا بني ان عندي من الهم ما كفى فبالله عليك لا تحملني من فقدك ما لا اطيقة فقال لها هذا شيء لا تخافي منة لاني اذا لم اجد لي فرصة فلا اتوانى عن نفسي وهذا الفكر الذي خطر لي فاما ان اخلص ابوابي من كتافو او يكون ذلك سبب اتلافي واتلافو فقالت غمرة انا احق بهذا منك واولى فقال لا وحق من على الطور تجلى لا اذن لك ان تروحي ولا اسمح بوالدتي وابخل بروحي فقالت لة يا ولدي افعل ما تريد فاني متيقنة اني اموت لفقدك بهذا البلد البعيد فعند ذلك تقلد غصوب بسيفو ودرقتو ونزل الى باب البلد وخرج تحت الظلام وكانت العرب المتنصرة قد اجتمعوا حول مقدمهم وساروا بالامير عنترة الى شعب العروس الذي قدمنا ذكرهُ واما اليهود فقد طلعوا على تل عالٍ في البر واخفوا فيو خيلهم كي لا يحاربوا يوم السبت لان الكلام في ذلك اليوم ذنب لا يغفر وعصيان لا يستر واذ عرفوا ان غمرة تقاتلهم في ذلك اليوم جعلوا العرب المتنصرة في وجوهم حتى اذا حاربتهم غمرة يحاربون عنهم وتركوا خيلهم بالقرب من ارضهم التي يسبتون فيها ثم نزل كبار دينهم ورسموا دائرة في تلك الساحة وفصلوا الارض المسبتة من غيرها واما غمرة فانها لما رأت ولدها غصوبًا قد خرج من باب الحصن صارت عينها ترمقة من بعيد وسالت دموعها على خدودها وما زالت كذلك حتى غاب عن النظر وتوغل في البر الاقفر فجرى على قلبها ما لم يجرِ على قلب بشرٍ فعند ذلك لطمت خدودها وبكت وانّت واشتكت وانشدت

دمعي تزايد قطرهُ لا يجمدُ ... ابدًا ونار صبابتي لا تخمد
دام البعادُ وكم اراكَ مكابدًا ... قلب يذوب وزفرةٌ تتصعدُ
دالا تبدّى في الفوادِ محكمًا ... اعيى الاساة وملَّ منة العوّدُ
دعني اموت ولا اشاهد منزلاً ... بصبابتي كم جهد ما اتجلـــدُ
دار الاحبةِ جاد مغناكِ الحيا ... فترابُ ارضكِ للنواظر اثمدُ
دون ازديارك خوض اعمار الردى ... والسمر تشرق والسيوف تجرّدُ
دمنٌ لنا بالجامعين تنكرت ... من بعدنا اعلامها والمعهدُ
افنى الزمان جديدها بيد البلا ... فالقلب يخفق والهوى يتجددُ
دارت على سكانها كاس الردى ... سكروا بها وغدا الزمان يعربدُ

بعثت النوب بفراقهم فتفرقوا   وقضى الزمان ببعدهم فتبددوا
دهمتهم نوبٌ شديدٌ امرها   نوبٌ على ايدي الزمان لها يدُ
دهرٌ ذميم الحالتين فما سوى   جود لعنترة يروق ويحمدُ
ان الدماء تثج من اسيافه   طوراً ويقطر من يديه العسجدُ
دبرت امر الاقربين وطوقوا   بنداك اطواق الحمام تغردُ
داعٍ اذا ما قام يوماً خاطباً   فالهام تركع والجماجم تسجدُ

قال محمد بن هشام فلما فرغت غمرة من انشادها جلست تنتظر الفرج ورجوع ولدها غضوب فلما ابصر من بعيد الدنيا خامدة بعد ذلك الركض الشديد اتبع اثر العرب وهم سائرون بابيه حتى وصلوا الى الشعب وحطوا الاسارى فيه ووكلوا عليهم جماعة من العبيد بايديهم القسي والنبال لا يخطر لهم الموت على بال فاقام ينتظر غفلة العبيد لينال من خلاص ابيه واخيه واصحابه ما يريد فما اصبح الصباح الا وحول الحصن عالم كثير من العبيد ولهم ضجيج قد ملأ البر والبيد لانهم كانوا قد وعدوا بنهب الاموال والسلب اما غمرة فلما ابصرت تلك المصائب وحلول النوائب ندمت على انها مكنت ولدها من الذهاب وصارت تحسب الف حساب الا انها شاورت اصحابها فيما تفعل فقالوا لها ما الذي بقي من العمل فكيف تدعين هولاء يطمعون فينا اخرجي بنا اليهم حتى نفنيهم بالسيوف الحداد والرماح المداد فقالت لهم يا بني عمي اخاف ان اليهود يكونون قد دبروا لنا مكيدة ويريدون ان يرمونا فيها لاني اعلم انهم اصحاب حيل وقد رايتم فعلهم معنا وما ارى احداً منهم اليوم ركب الى قتالنا واخاف ان يكونوا قد ساروا بالاسارى الى مكان يبعد عن هذا المكان ثم يرجعوا الى قتالنا ويضيقوا علينا بالفرسان فقال لها بعض اصحابها لا تخافي فان لليهود في كل شهر اربعة ايام يبطلون فيها جميع الاشغال ولا يتصرفون بحال من الاحوال الا ان غصبوا على امرهم فيقام فيه عذرهم وهذا اليوم من جملة الايام فاتركي عنكِ الملام وانزلي بنا للحرب والصدام فخرجت غمرة ورجالها للحرب وهم متقلدون بآلة الطعن والضرب وامسكوا باب الحصن فارتفع عليهم الصياح وطلبتهم فرسان العرب المتنصرة بالسيوف والرماح وكذلك العبيد واصحاب الطمع وقد علا الصراخ وارتفع وحملت غمرة والثلاثون الفارس الذين معها من كل جانب ونثروا الفرسان من ظهور الخيل ومزقوهم بالقنا والقواضب وحملت غمرة على العرب المتنصرة وقصدت مقدمهم جابر وقد قبضت منهم الارواح بالطعن المتواتر واشفت من الاعداء غليل صدرها وعادت الى اصحابها بعد ما فتكت وطعنت في نحور الابطال

وفرقتهم يميناً وشمال وما ولى النهار حتى قتلت حامل العلم فتل الجيش قدامها وانهزم وكانت اليهود في صلاتهم فخيل لهم ان الارض قد خسفت من تحتهم فحاروا من المنهزمين وخرجوا من خطة السبت وخافوا من الهلاك والشحت وعلم الحاخام بحالهم فصاح في رجالهم وقال لهم يا ويلكم لاتهربوا يابني اسرائيل فما اعداكم الا نفر قليل فاركبوا خيولكم واحملوا عليهم واغتصبوا على سبتكم فركب ميشا وفرسانه ونفضوا الثياب واستعاذوا بباريهم من عظم هذا المصاب وقبل ان يحملوا على غمرة ومن

الكتاب الرابع والثمانون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

معها من الاصحاب ثار من خلفهم غبار شغل الخواطر والاسرار وحير النواظر والابصار فرجع الهارب الجازع وقلت حركات التابع فعند ذلك رجعت غمرة وزعقت في بني عمها والاصحاب وقالت لهم ارجعوا يابني السادة الانجاب حتى نقرب من الحصن والاسوار ونبصر ما الذي تحت هذا الغبار فان كانوا اعدا نحفظ انفسنا في الحصن من الردى وان كان ولدي خلص اصحابنا وبني عمنا رجعنا الى اعدائنا وافنيناهم في هذه البيدا وتركناهم هشيماً حصيدا ثم انكشف الغبار عن صليب من الذهب الاحمر وعلم اصفر تحته خمسمائة فارس روم وافرنج وبطارقة كلهم بالسيوف والدرق وكان هولاء من انطاكية مع بطريق جليل القدر يقال له مرتوما بن فهر وقد ارسله الملك قيصر ليستوفي له الخراج والعداد من يهود تلك البلاد فلما رآهم ميشا عرفهم وفرح برؤيتهم وقال لاصحابه ها قد اتانا الامر كما نريد واليوم نفني هولاء العرب والعبيد ونخلص من ايديهم حصن خيبر ونسلمهم عنتر ونقول لنا يب الملك قيصران ياخذه ويسير به الى استاذه ثم انه تقدم هو وفرسانه الى لقاء مقدم ذلك العسكر وكذلك فعل جابر مقدم العرب المتنصرة وقد بادروا ليسلموا عليه فرد عليهم السلام وقال لهم في اخر الكلام مالي اراكم لابسين السلاح والزرد وقد اكثرتم من العدد هل طرقكم طارق ام ورد عليكم سلال او سارق فقال له ميشا انا فعلنا شيئاً وندمنا على اسبابه ثم قص عليه قصة عنترة واصحابه وزوجته واحبابه وكيف ملكت الحصن زوجته ومعها جماعة من رفقته ونحن معهم في قتال شديد وحرب يذوب لها الحديد وتنقطع الجلاميد وقد قتلوا منا جمعاً كثيراً من النصارى واليهود والابطال وشكوهم بالرماح الطوال وقص عليه القصة من اولها

الى اخرها فقال له مرتوما ياميشا أعنترة الان في قبضتك فقال اي وحق نعمتك فقال لـه ابشر من الملك بالعز والاكرام لان الملك كسرى ارسل الى قيصر في هذه الايام يقول له انفذ لي الخراج والعداد والانعام وانفذ لي المال على جاري العادة والاجمعت عليك العساكر من اقصى خراسان واحمل عليك بابطال الحجاز والحقك الى بلاد الشام وازيل ما انت فيه من الملك والانعام واسكن في ديارك الديالم والاعجام ولما سمع الملك قيصر ذلك الكلام احتار في رد الجواب وقال ان عساكر العجم والفرس والديلم لا يخطرون لي على بال ولا اخشى من احد من الابطال الا من ذلك العبد الاسود الذي خضعت له رقاب العباد عنترة بن شداد لانني اذا رايته احسب ان ملك الموت قدامي قد تصور ولولاه لما كنت وزنت الى كسرى ابيض ولا احمر ولا رتبت له المال ولا اطعته في حال من الاحوال والان فقد اخبرتني بخبر يزيل عن قلب الملك الكروب و يوفر عليه المال الذي يحمله لكسرى وهو عليه مغصوب لانه اذا وقع بيده عنترة واولاده يغزو كسرى ويخرب بلاده و يرفع الصليب على بيوت النيران ويحكم النصارى في المدن والبلدان واما انت فلا يضحي احد عنده اعز منك ولا انفذ من امرك وانا اضمن لك انه يقطع عنك الخراج والعداد ويحكمك في كل هذه الاقاليم والبلاد ففرح ميشا وقال يامولاي وانا لاجل ذلك هان عندي ترك حصني وسمحت بمالي واولادي وعيالي لان بني عمي كلهم اشاروا عليّ ان اطلق عنترة واخلص الجميع فقلت قضاء حاجة الملك احب اليّ من هذا العبد الوضيع فقال له مرتوما ان رايك حميد و به تنال كلما تشتهي وتريد ولكن كم عندك في الحصن من الاعداء فقال ما هم اكثر من خمسين فارسًا يخرج لنا منهم كل يوم ثلاثون فارسًا للقتال وعشرون يقيمون في الحصن لا يهابون الموت ولا يخافون الفوت ان حمل واحد منهم على فارس نكسه وان طعن بطلاً اقلبه واخمد نفسه ومع هذه المصايب والمحن معهم امراة من بلاد اليمن لو كان الجيش بعدد الرمل فرقته ولو كان الفارس على فيل قلبته كانها من مردة الجان او من عفاريت السيد سليمان . فضحك مرتوما من مقاله وزاد ابتسامه واستعجر ميشا لما سمع كلامه وقال له وحق المسيح لقد صدق من قال ان اليهود ضربت عليهم المسكنة والذلة فاين رأيت فارسًا يفعل تلك الفعال او يلقى كما تزعم الف فارس في المجال حتى تفعل ذلك امراة من ربات الحجال فهذا دليل على ان ليس عندك احد من الفرسان ولا رايت عمرك احدًا من الشجعان فانا لا اصدق هذا الكلام في انسان وانت ما قلت هذا الكلام الا خوفًا من ضرب الحسام وطعن السنان ولهذا لا تبرحون كلكم في الذل والهوان ولكن اليوم اريك ما تفعل فرسان المسيح الاجواد

في هولاء الذين وصفتهم عند الحرب والجلاد فقال ميشا يامولاي اما هلاك الاعداء فما بقي منة بدّ واليوم يتمددا كثرهم في الصحرا ولكن اخاف ان هم غلبوا وراوا واعين الهلاك يعملون السيف في اهل الحصن ويفجعونا في اولادنا وحريمنا وعيالنا واحبابنا وفرساننا فقال مرتوما ان كنت تخاف من هذه الاوصاف فابصر لنا في الحصن مكانًا رقيقًا تنقبونهُ او سردابًا تفتحونهُ وندخل اليهم فقال ميشا انا والله عندي دليل في كتاب ان لهذا الحصن سردابًا ولهُ باب من الحديد الصيني على مغارة واهلنا سدوهُ بالحجارة واذا فتح ينفذ من الكنيسة التي في الحصن فقال ياميشا بادر الى هذا الامر عن قريب حتى نذيقهم انواع التعذيب فاتوا الى المكان وحفروهُ ووصلوا الى الباب وكشفوهُ ونزلوا منهُ وكانت غمرة مما قاست قد قالت لاصحابها يابني عمي من الراي والصواب اننا ندخل الكنيسة ونعذب كبارهم حتى يفدوا انفسهم باصحابنا فراوا ذلك صوابًا فدخلوا الكنيسة فما كادوا يدخلون الا وصارت ارض الكنيسة تنبع عليهم رجالاً فسلوا السيوف ووقعوا فيهم هذا وغمرة واصحابها تضايقوا اشد الضيق فعادت الى الحصن وغلقت الابواب واطلت هي واصحابها من فوق الاسوار وقاتلت قتال الهلاك والبوار وكان مع الروم جماعة يرمون بالنبال فاوصلوا الى غمرة البلاء والعذاب وقلت من عندهم الحجارة والاطواب وما بقي في نساء الحصن الامن ايست من نفسها وولدها واطلقت النار في كبدها واما غمرة فانها قالت لاصحابها ما بقي لنا الى السلامة من سبيل الا ان كنا ننزل الى الحصن ونضرب رقبة كل من فيهِ بالسيف الصقيل حتى ناخذ منهم لانفسنا بالثار قبل الهلاك والبوار فعند ذلك عولوا على تلك الفعال واذا بالصيحات من داخل الحصن قد ارتفعت والرجال من الكنائس اليهم طلعت وهم في جمع كثير لان ميشا لما رأى غمرة واصحابها قد انكفوا عن القتال فتح لهم الباب الذي قدمنا ذكره وقال لهم ادخلوا الى اعداكم وابشروا ببلوغ مناكم فطلعوا مثل الاسود وثنا بعث النصارى واليهود ولما علمت غمرة بذلك عظم مصابها وعادت هي واصحابها وارتفع ضجيج نساء الحصن في البطاح وعظمت الماتم والصياح وجرى منهم ما يفطر المرائر ويعمي البصاير ولله في ذلك ارادة وعلى الباغي تدور الدواير واشتدت الحال على غمرة واصحابها لما رأت البلاء قد اتاها وصارت في قبضة الاعداء واذا بصاحب الفرج قد فرّج بعد ما كانت قد اشرفت على الهلاك والعطب ثم اذا بصيحة من ورائها وكانت هذه الصيحة تفتت القلوب والاكباد فالتفتت الروم حتى تكشف الخبر واذا بالشعب الذي كان محوسًا فيهِ عنتر يموج برجال مثل موج البحر اذا زخر . وهم حاملون اصول الشجر ولهم صياح يرجف القلوب والذين كانوا موكلين بهم انطلقوا هاربين

وبعاملين مثل الشوكي وفي اوائل القوم غصوب وعنترة وميسرة وعروة بن الورد فايقن عند ذلك عنتر بحلول الاجل والموت المعجل وقال قد قلت هولاء الشياطين من القيود واليوم يعنون النصارى واليهود وما تم مبشا خطابه حتى داسة عنتر واصحابه وهم حاملون الاخشاب وغاصوا في تلك المواكب والاحزاب فصاح مرتوما دونكم هولاء العبيد السود قبل ان ينجو عنترة ويفوتنا المقصود فعندها طلبتهم فرسان الروم بالقنطاريات والطوارق وما علموا ان بين ايديهم البلاء الطارق والموت الذي لا تنجو منه الخلائق فنصفوا قنطارياتهم بالاخشاب ومددوا اكثرهم على التراب وكان السبب في خلاص عنترة واصحابه من الكروب ولده غصوب وذلك انه لما اشرف عليهم جيش الروم الذي اتى من عند قيصر وراى العبيد الموكلين بهم ساروا للتسليم على مرتوما واشتغلوا برويته فاغتنم غصوب الفرصة ودخل الى الشعب فاول ما عمل انه فك اباهُ وكسر القيود من رجليه وفك الكتاف من زنديه وقال هيا فكوا بعضكم بعضاً ان كانت متعسرة ففعلوا ذلك ثم قال لغصوب انما نحن في حاجة الى عدد للقتال فقال هم هذه عدد العبيد بين ايديكم اخرجوا اليهم وخذوا عددهم وبها اهلكوهم فقال عروة هذا امر علينا يطول لانهم اذا راونا يهربون ولا نحظى بمامول ولكن الراي عندي ان ناخذ من اخشاب هذا الوادي ما يدفع عنا الموت وكيد الاعادي واذا وصلنا الى الحصن ناخذ لنا منه خيلاً وعدداً ولا نترك في هذه البلاد من اليهود احداً

وكان اول من تقدم عنترة الى شجرة اتكأ عليها فقلعها من شروشها فلما ابصر باقي اصحابه ما فعل فعلوا كفعله ومنهم من اخذ من الخشب الذي كان في جنبات الشعب وخرجوا هاجمين فولى العبيد هاربين وللنجاة طالبين فتبعهم عنترة وجماعته الذين كانوا ماسورين معه وما زالوا في حملتهم حتى وصلوا الى مكان المعمعة فراوا الدم يعمل والرجال تقتل وغمرة قد اشرفت على الهلاك وهي تخطف مهج الرجال وتمددهم على بساط الرمال فلما ابصر عنترة الى هذه الاعمال صاح وحمل وطلب الفرسان بقلب اقوى من الجبل ونزل على القوم كالقضاء المنزل وفعلت اولاده ورجاله مثلما فعل وما زالوا في اشد قتال وحرب ونزال حتى مالت الشمس للزوال فافترقوا عن بعضهم البعض والتقت غمرة بعنتر وهنأته بالسلامة من الخطر فشكرها على فعلها وكان قد قتل من اليهود جمع غفير وباتوا تلك الليلة وهم ينعون بالويل والثبور وعظائم الامور وقد ايقنوا بالهلاك والعدم واما عنترة فانه بعد ما نزل في خيامه اجتمعت حوله الفرسان واخذوا في المشورة فقال غصوب انا مرادي ان نكبسهم نصف الليل ونبليهم بالويل ولا ندع ان يصبح عليهم الصباح حتى نهب اجسادهم بعوامل

الرماح لانهم باتوا هــذه الليلة وقد اشرفوا على الهلاك من شدة التعب فقالت له امة مهرة ليس هذا بصواب بل الاولى ان نبيت هذه الليلة هنا لنستريح من العنا وعند طلوع النهار نبادرهم بالحرب والقتال فان قاتلونا افنيناهم وان ابوا حاصرناهم فقال لها غصوب اتريدين ان تتركينا عند الجدران حتى نبقى مثل النسوان فوالله لا كان ذلك ابداً اولا بد غداة غد ان اشفي قلبي من اهل هذه الفعال لانهم يستحقون عليها خراب الديار وضرب الرقاب ولا بد ان اخرب ديارهم وافجعهم في اولادهم واسبي حريمهم وعيالهم حتى ينظروا بعينهم عاقبة امرهم ثم انهم باتوا على باب الحصن حتى اصبح الصباح فقام عنترة في عاجل الحال وامر ولده غصوباً ان يمضي في جماعة من الرجال ويدخلوا الحصن ويخرجوا كل النسوان والبنات والاطفال الذين يصلحون للسبي ويستولوا على الاموال والجواهر الغاليات الاثمان وبعد ذلك يفرقون الاخشاب في كل باب ويلطخونهم بالزيت والزفت والقطران

قال نجد بن هشام فلما سمع ميسرة وغصوب من ابيهما ذلك المقال نهضا في ساعة الحال وتبعهما مازن ومن معه من الرجال ودخلوا الحصن وتفرقوا في جنباته واخرجوا النسوان والبنات وفرقوا الاخشاب كما امرهم ابوهم واطلقوا فيهم النيران فارتفع لها دخان الى العنان وتطاير لها الشرار في جميع الاقطار وعلا الصياح بما حل بهم من الدمار وعمل الحريق وسمع له زفير وشهيق واذ نظر ميشا وابو سهيل الى لهيب النار فمن شدة ما جرى لهما من الويل ترجلا عن ظهور الخيل وما منهم الا من قلع من رجله مداسه وضرب به راسه حتى تخلخلت اضراسه واول من فعل ذلك الخذان والجوقان وجميع اليهود الكبار والصغار وصاروا يدقون على صدورهم وقد حاروا في امورهم وصار ميشــــا يقول لابي سهيل وحق الشيم والعشر الكلمات ما جرت هذه النائبات الا منك . انت جلبت علينا تلك البليات فقال له ابو سهيل اسال الله ان يمحو اسمك من التوراة اما انتم الذين اوقعتموهم بالمحال وتركتموهم في القيود والاغلال حتى انهم فعلوا هذه الفعال واذاقوا اهلنا الحريق والوبال قال ميشا ويلك ما كنت احسب ان يتم علينا منهم هذا العذاب ثم جعل يرفع راسه الى السماء ويقول خطونا معطونا اي اجرنا من هذا الامر المهول ثم اقبل على القوم من بعد ما اكثر على ابي سهيل اللوم . وقال يا ويلكم قولوا للقرناص يرسل الخزائن الى هولاء الشياطين الذين كفروا بالكليم وليس لهم دين فقال لهم الخزان الكبير قد ارسلنا لهم عشرين واظن انهم الينا غير راجعين فقال مرتوما مقدم الروم ان هذا فعل مذموم وما هولاء القوم الا عصائب لا يخافون النوائب ومن الراي انكم تدورون من كل جانب وتمسكون عليهم الطرقات

والمذاهب حتى لا ينجو منهم هارب لانهم ما فعلوا هذه الفعال من حريق الحصن وما فيه من الاموال والعيال الا وقد عولوا على الهرب فامسكوا اقطار البر والسبسب ولا تتركوا لهم للنجاة سبب فسوف اقابلهم عند الصباح واجازيهم على هذه الفعال القباح واقود اسودهم عنترة اليكم قود الجمال فعند ذلك اقبل عليه بعض اصحابه وقال له اشير عليك براي مسدد ان قبلته مني فلا تنزع من احد لانك رايت قتالهم من غير لبس ولا عدد فكيف الساعة وهم معتدون بالزرد وقد ركبوا على صهوات الخيل واظن انهم يستريحون ويهجمون علينا في ظلام الليل وان افترقنا دهمونا وداوموا بالحرب والويل لان عنترة واصحابه اذا طلبوا منا شيئاً لابدَّ ان يفعلوه والصواب اننا نظل في هذا المكان مقيمين حتى اذا كان غداة غد قاتلناهم وبذلنا الجهد فان قتلناهم كان مرادنا والا رجعنا الى الطريق الذي اتينا منه من غير تعويق فلما سمع مرتوما هذا المقال اخذه الاندهال وقال له هذا هو الحساب الذي حسبته ما هو حساب عاقل وما انت الا جاهل اصبر الى الصباح وانا اريك ما افعل بهم من الحرب فبينما كان مرتوما في الكلام مع اصحابه واذا بصيحة اخذتهم من ورائهم في جنح الظلام وهم ينادون يا لعبس يا لعدنان وكان السبب في ذلك غصوب ومن معه حين جرى ما جرى واراد غصوب ان ياخذ اخاه ميسرة وسبع اليمن ويهجم بهم على اليهود في ظلام الليل فمنعه ابوه من ذلك وامه وقد خافا عليه من المهالك وحملا همه وهو لم يطعهما على ذلك بل فعل كما اشتهى لان عنترة اراد تاجيل القتال الى الصباح فقال غصوب لا يكون ذلك مباح واوفق ما يكون الحرب على اثر هذا الحريق فوحق المشاعر العظام والبيت المطهر لا تركت الفجر يطلع حتى امزقهم كل التمزيق واجعل كل حلف من الاعداء في طريق ثم انه طلب طائفة الروم فتبعه ابوهُ خوفاً عليه من الهموم وتبع عنترة بقية الفرسان والابطال والتقت الرجال بالرجال وخابت الظنون والامال وعملت السيوف الصقال وجرى الدم وسال وسكرت الرجال من ضرب النصال وامتد عليهم الحرب وطال وطارت الرؤوس وتقطعت الاوصال وطلب الجبان الانفلال هذا والسيف في الظلام يلمع والرؤوس تقطع والدم يهمع ومشايخ اليهود تصرخ وترفع ايديها الى السماء وما عاد احد يسمع وقد بذل عنترة المجهود في اليهود لانه من شدة غيظه عليهم اوقع فيهم الفناء وكان ولده ميسرة قد افناهم ورمى منهم خمسة وعشرة واما ولده غصوب وامه غمرة فقد سطوا على طائفة الروم وفعلا فيهم فعال النار بالحطب اذا اشتدت بها ريح الجنوب وما زالت السيوف تعمل وهي بوارق والخصم بخصمه عالق والدم من الاوداج دافق والجبان مفارق وقد مات في تلك الليلة خلائق وشابت من

اهوالها المفارق ولم يزالوا في تقطيع العلائق ووصل العوائق حتى لاح الصباح من المشارق الا ان اصحاب النخوة هم الذين بقوا في القتال وما طلع النهار حتى صرعتهم فرسان بني عبس الاخيار وكانت وقعة في ارض خيبر لم يزل لها ذكر يذكر اذ ما جرى مثلها بين عرب البر الاقفر وكان غصوب انزل بمرتوما البلاء والهموم لانه طعنه فقلبه على الارض ثم ان ميسرة طعن ميشا فخرق فواده والاحشا وما سلم منهم الا من طلب البر والقفار واما ابو سهيل فقد راوه قتيلاً فرجعوا الى مكان اليهود فوجدوا خيراً كثيراً وخياماً واموالاً فنزلوا هناك لاجل الراحة واحتووا على ما كان هناك من الاموال ولما استقر بهم المقام تشاوروا في الرجوع الى مكة والسير من هناك الى ديار غمرة وقضاء حاجتها في تلك البلدان وخلاص ديارها من السودان فقال عنترة هذا الامر لا يتم لنا ولا نبرح من هذه الديار حتى نكشف اخبار جار وذي الخمار ونبصر ما فعلا في ارضنا وتلك الامصار لانهم ان علموا بغيابنا طمعوا في قومنا ولكن اريد الان ان ابعث الى بني عبس في هذه الطريق من ياتينا باخبارهم عن حقيق فقالت غمرة والله يا ابا الفوارس لا يكشف الكروب الا اخوك شيبوب وانا متعجبة منك كيف ما اتيت به هذه النوبة فقال عنترة انا كرهت رفقته اذ نالني منه المضرة وصار يرد جواباً ويمنن عليّ المرة بعد المرة وفي هذه النوبة وقع بيني وبينه كلام ونحن على المدام فاقسمت اني لا ارافقه في هذه النوبة فتركته عند امه زبيبة وخرجت على حالة الانفراد

قال الراوي وما قال عنترة لغمرة هذا المقال الا لسترة حالة حتى لا تعلم باحواله واعماله فلحقها من ذلك حرد وعتب عليه كيف انه تزوج في السفر الا ان عنترة ما اتم هذا الكلام حتى اشرف عليهم راجل من ناحية البيت الحرام وهو يهيم في البر مثل ذكر النعام فلما نظره عنترة شخص اليه وتحير وعجب من انفراده في ذلك البر الاقفر واقبل على عروة وقال له يا ابن الكرام ايتنا بهذه الراجل المقبل من ناحية البيت الحرام لاني ارى حالة عجيباً واظنه عن هذه الديار غريباً فركب عروة وطلبه مثل ريح الهبوب حتى تقرب اليه واذا به شيبوب فتبسم عروة عند معرفته اياه وبالسلامة هناه وقال له الان كنا في حديثك يا ابا رياح فما الذي تم لك مع ذات الوشاح زوجتك وزوجة اخيك الجديدة هل خلصتها ام رميتها في مكيدة لان عنترة كان قد حدث عروة بما جرى له مع سروة فقال شيبوب ماذا اخبرك من الاخبار العنيدة والسفرة التي هي من الخيرات بعيدة لاني اعرف ان اخي لا ينفذني الا في كل نوبة شديدة وهذه النوبة ما خلصت بها من انياب السباع حتى صرت في النزاع ولولم يكن اجلي مديد لما كنت ابصرتكم في هذه البيد لانه سيرني مع زوجته فسرت في البر ولم اركب

الطريق بمثل هذا من فزعي عليها وخوفي من ان تصل الاذية اليها وقد كنت اعرف ان في الطريق مناهل شتى لا تنضب صيفاً وشتاء لقلة العابر عليها فرايتها ناشفة فندمت على سفرتي وايقنت بمن معي بالهلاك وسرنا يومين بلا ماء ونحن لا نعرف الارض من السماء فتركتها في جنبات الفلا وبقيتا مطروحتين مثل القتلى ثم اني اخذت على كتفي السقا وسرت بين التلال غرباً وشرقا فصرت اقصد المياه التي اعرفها فلم ارَ فيها قطراً من الماء فاعجبت وبقيت اطوف مثل المجنون على المناهل والعيون واذ لاح لي عشرة فوارس بين تلك الفلوات والبيد وهم لابسون الحديد وبين ايديهم جماعة من العبيد فطلبتهم حتى اسالهم عن الماء واذا في اوائلهم الداهية الجسيمة والمصيبة العظيمة السليك بن السلكا نار الحرب المهلكة الذي جرى له معك في نوبة عمرو ما جرى وهرب وانهزم في الصحرا فلما رايته طلبت الهرب فزعاً منه ومن معه من شياطين العرب فعند ذلك قال يا له من عجب والله هذا شيبوب اخو عنترة بن شداد الذي في قلبي منه نار واحقاد ثم انه لح في طلبي مع من معه من الخيل ولم يزل براقبني حتى اقبل الليل وكان العطش قد اهلكني فما قدرت على الفرار وعدمت الصبر ولحقني الانبهار فلما راى سليك ان الخيل قد تعبت قبل تعبي نزل عن جواده وجد في طلبي مثل الجواد العربي فعدلت عن الطريق وكنت بين الاحجار فسار يعسعس في القفار مثل الغزال بين كثبان الرمال فلما عدم مني الامل رجع وقد ندم على ما فعل فعدت اطلب الذين تركتهم في الفلا وقد حدثتني نفسي انني لا اقدر ان ادركهم بالماء وانهم يهلكون من العطش والظماء فدرت في ذلك البر ثلاثة ايام ليل نهار فما وقعت لهم على اخبار فلما يئست منهم طلبت البيت الحرام وقلت اذا علمت بخبركم الحقكم الى بلاد السودان فلما وصلت الى الكعبة وسمعت ما تمّ لاولادكم من ذي الخمار واخبرني بعض الناس انكم قصدتم حصن خيبر اتيت اتجسس اخباركم فعند ذلك قال عروة اما انت فقد سلمت من الموت المعهود واما نحن فاسرنا بحيلة تمت علينا من اليهود ثم حكى له كيف كان خلاصهم على يد غصوب فقال شيبوب بعد ان قضيتم الاشغال لمَ لا تعولون على الارتحال قال عروة اقامتنا لاجل ذي الخمار لان اخاك سمع انه رحل الى بني عبس وتلك الديار فاشتغل قلبه بالنار وهذه الساعة يريد ان تكشف له الاخبار فلما فرغوا من الكلام رجعوا عند عنترة فسلم شيبوب عليه وكانوا قد فرحوا بقدومه لما اقبل . وشكا لهم الجوع والملل فاحضروا له الزاد فاكل ثم انه قال لاخيه ماذا تريد ان تفعل اترحل من هذه الديار ام نقيم حتى يحضر جبار وذو الخمار قال عنترة لا ادري يا اخي ما افعل وانا متحير من هذا العمل لانني ان سرت مع عمرة الى

بلاد السودان يبقى قلبي على بني عبس وعدنان وان سرت خلفهم في الطلب تختلف منا الطريق ونتعب قال شيبوب ما قولكم في من يخفف عنكم هذه الكروب و يعلمكم بان ذا الخمار عندكم متى تضاحي النهار ثم انه التفت ينظر الى البر وضحك مثل المجنون فقال له عنترة ويلك يا شيبوب هل انت مثل السطيح تخبر عن الشيء قبل وقوعه فقال لا ولكن ارى فارسًا مقبلاً في هذا البر الاقفر واظن انه قاصد حصن خيبر فاحدق القوم نظرهم فرأوا فارسًا قد ظهر فارسلوا اليه مازنًا وغصوبًا يحضراه اما عنترة فاختلى في شيبوب وساله عن زوجته سروة وما فعلت فيها الايام وهل اوصلها الى بني عامر ام جرى عليها شيء من الاحكام فحدثه شيبوب بجميع ما جرى عليه من عدم السعود فغاب عنترة عن الوجود وقال ويلك يا شيبوب لمَ لم تتبع اثرها حتى نعلم خبرها فقال له والله يا ابن الام لقد جهدت نفسي على ذلك حتى ايقنت بالمهالك وكله لاجل المولدة الذي معها وكان اكثر تعبي لاجلها قال عنتر والله قد قطعت ظهري وحيرتني في امري ولم يزالوا على ذلك الحال حتى عاد مازن وغصوب والفارس معهم موثوق بالحبال فقال له عنترة اخبرني من ابن انت واين وارد والى ابن انت قاصد فقال لهم بحق ذمة العرب اخبروني انتم اية طارقة طرقت هذه الديار حتى صارت بعد اهلها قفار قال عروة ساء اهلها التدبير لانهم قوم مداعير فقلعنا اثارهم وخربنا ديارهم فحدثنا انت بحديثك وكن صادق والا نهبنا جسدك بالسيوف البوارق فقال لهم ان صاحبنا جبار انفذني هو ورفيقه ذو الخمار ابشر اهل الحصن بوصولهم ومعهم غنيمة قادمة عليهم لاننا طرقنا ارض بني عبس وقت السحر وذلك لاجل عنتر حتى تنزل به العبر لكنه سلم من النوائب فسقنا اموالهم وعدنا على الاثار وقد تبعنا الخيل من خيامهم والديار فقتل منهم جبار وذو الخمار جمعًا لا يقع عليه عيار واسروا المقدم عليهم وهو الذي يسمى قيس بن زهير واحلوا به البلا والضير وبعد ذلك رجعوا قاصدين هذه الديار ينتظرون ما كان من عنترة واولاده وما لهم من الاخبار فقال عنترة وهل ظفرتم باحد من النساء العبسيات او من البنات الخفيات قال له الرجل نعم ظفرنا بجارية عبسية جليلة المقدار يقال لها عبلة زوجة عنترة الفارس الكرار ولولا ان يعشقها صاحبنا جبار لكان قتلها ذو الخمار واورثها الدمار لما بينه وبين عنترة بن شداد من الضغائن والاحقاد فلما سمع عنترة ذلك الخبر زادت نيرانه والفكر لان العروس الجديدة ضاعت والقديمة في اسر يهود خيبر ثم انه امر اولاده بالركوب ومن معه من رجاله وجد في الطريق التي الى منها اليهودي واما غمرة فانها ضربت رقبته وقالت هذا من اليهود الذين احتالوا علينا وقد اورثونا الضرر واما عنتر فانه تذكر

حب عبلة فقال

رضعت هواكِ مع لبني فاحيا الروح في بدني
فصدي واهجري واصغي بلا خوفٍ ولا حزنِ
وقد اصبحتِ سيدتي ومالكتي بلا ثمنِ
فلست احول عن ودي وعهدي لم يكن خوني
فؤادي في هواكِ غدا وعهد الحب مرتهني
قديم وهو في كبدي واضحى مالك البدنِ
فلا اسلوك يا املي ولا انساك ياسكني
الى ان ابقى في قبري ويبلى العظم في الكفنِ

قال الراوي وقد لان قلب عنترة وتذكر ما جرى له مع عبلة في الايام الماضية وكان السبب في ذلك ان عبلة لما امرت عنترة ليلة الدعوة بتقبيل اقدامها خرج من عندها وهو غضبان وهي قد خجلت من معيرة النسوان لانهن انصرفن من عندها شامتات وقد ندمت على ما فات وصار يبلغها من كلام اعداها ما يقطع احشاها فقالت لابيها ارحل بنا من هذه الديار التي لا يقر لي فيها بعد ابن عمي قرار لان كلام الحساد جرحني واحرمني المنام واورثني السقام وكان ابوها ايضاً قد انحط قدره عند اهل الحلة وصار في قلبه الف دبلة فاحضره الملك قيس قدامه واخرق حرمته ومقامه واستطال عليه بالكلام وقال له يا قرنان لماذا لم تعلمني بان عنترة سار من بيتك غضبان حتى تبعناه واستعطفناه واسترضيناه ولكن سوف تندم على ذلك عندما تضيق دونك المسالك ثم لامه من في الحلة على فعاله ووبخه على قبيح اعماله فلزم بيته واستتر واحتجب عن كل بشر فطلبت عبلة البعد عن بني عبس فاجابها ورحل بها من الديار وطلب المسير الى بني عامر فوقع بهم جبار وذو الخمار فقتلوا من معهم من العبيد وسبوا عبلة وامها واباها واخاها فصارت عبلة تبكي وتتحسر على ما فعلت بحق عنتر وكان ذو الخمار يرافقها مرافقة الشامت ويقول لها يا لكاع اين هو اسودك الذي جراته على الاهوال فكانت تسمع ذلك المقال وتقول انا الذي فرّطت في اسودي وخربت بيتي بيدي ثم انها اخبرته انفسار الى مكة وهو غضبان ليرافق غمرة الى بلاد السودان فقال ذو الخمار من الراي الصواب ان نغير على اموال بني عبس الكلاب فقال جبار دبر ما تريد فانا عن امرك لا نحيد فحصننا رفيع وبنيانه منيع وفيه جملة يهود يلقون قوم عاد وثمود فقال ذو الخمار اعلم لو كان هناك الاسكندر وما عنده من الفرسان لخلص عنترة الحصن وافناهم بحد السيف والسنان لانه لا احد لسعادته

ولا فتور لعزيمته وانا ما تظاهرت في عداوته الا لابلغ بعض منزلته ولكن هذا الرجل له فيه الرب ارادة حتى بلغ كل هذه السعادة

قال نجد بن هشام ولما فرغوا من هذا الكلام قصدوا مراعي بني عبس وتلك الآكام وساقوا العبيد والاموال وساروا يطلبون حصن خيبر وتلك الاطلال الا انهم ما ابتعدوا حتى جد القوم خلفهم فعادوا اليهم وزعقوا عليهم وقتلوا منهم جمعًا غفيرًا وجيشًا كبيرًا وكان الملك قيس قد لحقهم وعلى راسه راية العقاب وحوله الف فارس انجاب فارسل ذو الخمار الغنيمة مع ثلاثين فارسًا وقال لجبار هذا ملك القوم قد ادركنا فاذا افنينا هولاء لا نرى احدًا بعدهم من الفرسان ثم انهم طلبوا صدور القوم وعطفوا عليهم من ذلك اليوم وكان هذان الفارسان يلتقي كل واحد الجمع وحده فاهلكوا اكثر الجيش واسروا الملك قيسًا واخاه الحارث بعد ما اثخنوهما في الجراح واخذوا معهم جماعة من الفرسان الوقاح وعادوا راجعين خلف الغنيمة فهرب من بقي من بني عبس وطلب الهزيمة هذا وذو الخمار يقول وحق الكعبة لاجهدن النفس في قلع بني عبس واطلب اسودهم ولو طلع الى موضع الشمس لان هولاء القوم لهم طرفان الواحد منهم عنترة والثاني هذا الملك قيس الذي ادخله في نسب العربان فمرادي اذا وصلنا الى الحصن ان اصلب الجميع ولا اترك منهم رفيعًا ولا وضيع واما عبلة فاعلقها في تديها يومًا كاملاً وان بقي فيها رمق امرت العبيد ان يضربوها بالجنادل فقال جبار ياسيع افعل ما تريد باسراك وهبني هذه الجارية لان قلبي احبها حبًا شديدًا وعولت على ان اتخذها حليلتي فقال ذو الخمار كيف يجوز لكم ان يتزوج الرجل منكم بامراة ليست من ملته ولا هي من عشيرته وكيف يحللها لك الجورقان فقال جبار هذا يجوز لنا ان نفعله وليس فيه علينا انكار فقال ذو الخمار انا اسمع كلامك ولا اخالفك في افعالك ثم انهم جدوا في المسير فصار جبار يكرم عبلة غاية الاكرام حتى اذا اقتربوا من الديار ارسل جبار ذلك الفارس حتى يخبر بالخبر فقتلته غمرة وسار عنترة قاصدًا خلاص الملك قيس وفي قلبه النار على عبلة وهو قد صفا لها وراق

وما تعالى النهار الا والغبار قد ثار فعلم عنترة انه غبار جبار وذي الخمار اما جبار فلما رأى غبار عنترة التفت الى ذي الخمار وقال له ها قد التفاك كل من في الحصن فلا تخش من عنترة وما اتم جبار هذا الكلام حتى انجلى القتام وبان من تحته غصوب وابوه عنترة بن شداد فنظرها ذو الخمار فلحقه الارتياب وانعجم لسانه عن الخطاب وقال لجبار اليوم ترى حربًا تهول اسود الغاب فاسمع مني ما اقول لك قبل ان تذهب ارواحنا ويحل بنا

العذاب وهاهنا تصطلي من هذه الخيول المسعرجة وتجد في الهرب قبل ان يسقينا كاس العطب فلما سمع جبار كلام ذي الخمار انكر عليه غاية الانكار وقال له ويلك يا ذا الخمار وانت بهذا القلب عاديت عنتر واردت ان يبقى لك ذكر بذكر وتطلب المنازل العالية اذ وحق النصر الاكبر ما بقي لي عن محبوبتي عبلة مصطبر فاما انال مقصدي او تفارق روحي جسدي فقال له ذو الخمار انت كانك مجنون لا تدري ما يكون وما تعرف من اقبل عليك اليوم يا جبار ولو كنت تعرف ذلك لكانت حلت بك المهالك وابصرت الخيل خالية من ركابها في الجبال يا ويلك هذا عنتر الذي لا يخاف من الموت اذا ابدر فان شئت اثبت او شئت فانقهقر ثم انه قال لاصحابه الان ثبت عندي ان صاحبكم مجنون ولا يدري ما يكون فاليوم يجندله هذا العبد ولو كان السيد هارون ماسكاً يده ثم انه اشار لرفقاه وطلب الهرب والنجاه ولما نظره الامير عنترة هارباً زعق على اخيه شيبوب وقال له ويلك يا ابا رياح ادرك هذا القرنان قبل ان يوسع في الفلاه فعندها اطلق شيبوب ساقيه للريح وتبعته غمرة وولدها غصوب وعنترة طلب الناحية التي فيها عبلة فاعترضه شداد ابوه واراد ان يلقى عنه هذه الدبلة فلما راى جبار ذلك الحال حار عقله ولحقه الانذهال فحمل عليه وناداه ودام بينهما الحرب والقتال فطعن شداداً فقلبه وحمل على الفرسان وقد علا الصياح من النسوان اللواتي كنّ مع جبار وكذلك قيس قد فرح واستبشر حين سمع صوت عنتر هذا والخيل قد انطبقت على بعضها البعض حتى ارتجت منهم الارض وفي ساعة الحال جرى الدم وسال وصارت الخيل تمشي خبباً وعاد نور الشمس محتجباً وقد جدت الاخصام واختلطت اليهود بالعرب وتعجبت غاية العجب كيف جعل الله خلاصها على يد عنترة فارس العرب ودام الحال الى ان تضاحى النهار وعلا وتدحرجت جماجم اليهود في الفلا وراى جبار ذلك الوقت ناراً لا نصطلي والتقى بحر زاخر لا يعرف له اول من اخر فانقطع حظه من عبلة ونزلت على قلبه الدبلة وندم كيف لم يطاوع ذا الخمار وهرب لانه قد وقع في التعب فصاح بعنترة وطلب منه الامان فقال له عنترة يا قرنان تقتل ابي سيد الفرسان وتطلب مني الامان ثم انه تاخر عنه بمقدار طول رمح وطعنه طعنة صادقة في لبته واتكأ عليه بغضب فاخرج نصف الرمح يلمع من نقرته فوقع في الارض يتخبط في دمه وحمل عنترة على باقي اليهود فتفرقوا بين يديه ثم انه عاد الى قيس ومن معه من الرجال وحلهم من الاعتقال فعندها تقدم قيس اليه وشكره واثنى عليه وشكا له ما فعل جبار وذو الخمار وحدثه عنتر كيف اسر وا اولاده حول البيت الحرام وكيف سار وخلصهم بالحسام والتدبير الذي دبره اليهود اللئام . والملك قيس تعجب

من تلك الاسباب وشكره وعزاه في ابيه شداد فعندها بكى عنترة بدموع غزار وانشد هذه الاشعار

هذه فعالي يوم كل كريهة ... وانا الهمام الفاتك المغوار
لما بغى جبار لاقى حتفه ... من فارس تروى له الاخبار
فسقيته كاس المنون بطعنة ... وتركته ملقى علاه غبار
خلصت قيس الراي بعد قياسه ... وعلى المنون ترى الكماة تدار
وانا الذي جندلت كل مدجج ... في موقف شخصت له الابصار
ويل لمن يبغي عنادي في الورى ... وانا الهزبر الضيغم الكرار
نجمي علا فوق الثريا صاعدًا ... في الافق كم شهدت عليه فخار
واذا ركبت تقطعت من همتي ... قلل الجبال ومالت الاقطار

قال الراوي فلما انشد عنترة هذه الابيات ترنحت لها السادات وبكوا على الامير شداد وتفتت منهم الاكباد واما عبلة فانها لما رات ابن عمها فعل هذه الفعال وخلصها والقبيلة من الشد والعقال رمت بنفسها من اعلى الهودج وهرولت اليه وقبلت في الركاب قدميه وبكت وشكت ما جرى لها وقالت يا ابن العم لما ذقت الاسر والهوان عرفت قدرك والشان ثم زاد بكاؤها وجرت الدموع من اجفانها فلما نظر عنترة الى ذلك الشان كاد يغشي عليه من شدة الاحزان ثم ترجل اليها في ساعة الحال عن ظهر الجواد وقد قبل جلده وضمها الى صدره وطيب قلبها وارجعها الى هودجها وعاد الى ظهر الجواد وطلب الناحية التي هرب فيها ذو الخمار حتى يبصر ما تم وسار بمن كان حوله من الابطال الا انه ما لوى راس جواده حتى اقبل اليه شيبوب ومن خلفه غمرة وغصوب ومعهم ذو الخمار وهو مشدود الاكتاف وموثوق السواعد والاطراف وكان السبب في ذلك ان ذا الخمار لما هرب وجد شيبوب له في الطلب وصار يرده من بين يديه ويطلق النبال عليه وما زال مع ذي الخمار في علاج وجدال حتى ادركته غمرة وغصوب بالرجال وكان قد هرب معه جماعة من الابطال فنهبوا منهم الارواح واثخنوهم بالجراح فلما اشرف منهم على التلف وقف وطلب منهم الانصاف فصاح فيه شيبوب ويلك يا نسل الحرام من انصفت من الناس حتى تطلب الانصاف . ثم رمى صدر جواده بنبلة فاصاب مقتله وسقط ذو الخمار على الارض فادركه شيبوب وقبض عليه قبل ان يقوم وانزل به الهموم ثم تعاونوا عليه وعارضوه على ظهر الجواد وساروا به حتى اوصلوه قدام عنترة بن شداد فلما صار بين يديه ونظر اليه اخذه الغيظ ونزل بالسوط على كتفيه وصار يضرب به على راسه وصدره ويديه ورجليه ويجود بالضرب عليه وكلما تذكر

قتل ابيه يوجفل الاذية اليوم ثم انهم ساروا حتى وصلوا الى مكان المعمعة والجلاد ورفعوا القتلى حتى وقعوا بالامير شداد ونزلت رجال بني عبس والنسا وقد اكثروا العويل والاسا وصاحت العبيد ولطمت الاما وقال الملك قيس هذا والله ركن بني عبس قد انهدم فلعن الله ذا الخمار ثم تقدم بعده الربيع بن زياد وقد اكثر المكر بالبكاء والتعداد وقال من بقي لبني عبس بعدك ياشداد لقد كنت كثير الخير والسداد وذهب بعدك الراي والرشاد ثم بعد ذلك بكى عنترة وتحسر وحلف وقال وحق الذي عز واقتدر لا ادفن ابي حتى اذبح كل يهودي في حصن خيبر واما شيبوب فشق ما عليه من لباسه ووضع التراب على راسه وكذلك الرجال والنسا واكثروا من الاحزان والاسا هذا وقد امر عنترة شيبوباً ان يصبر ابيه فصبره وحمله على بعض الجمال وعادوا طالبين الديار والاطلال وعنترة في المقدمة ودموعه على خديه منسجمة وهو يقول سبحان من له الدوام والبقاء وزادت به الاهوال فانشد وقال

ياعين سحي بدمعٍ منكِ مدرارِ لفقد شداد ذاك الضيغم الضاري
مروي الكماة ونار الحرب في شعلٍ مفني الاعادي بسيف منهُ بتارِ
من ذا يرد خيول القوم خاسرةً من بعد شداد ذاك الموقد النارِ
الفارس الاشوس المرهوب جانبهُ الماجد القيل حقاً كاشف العارِ
بكت لمصرعهِ عبسٌ وسائر من فوق البسيطة من عبدٍ واحرارِ
هذا المصابُ تخرُّ الراسيات لهُ حزناً لموت اميرٍ آخذ الثارِ
ان كنت تفدى باموال البسيطة قد فديتك اليوم ياسمعي وابصاري
ولو علمتَ بالاقاةُ بعدك من سيفي عدوك ذاك الكلب جبارِ
طعنتهُ طعنةً من كف اروع لا يخشى تدارك رمح منهُ خطار
تركتهُ رزق طير الافق تنهبهُ عرج الضباع بانيابٍ واظفارِ
فالنوم بعدك قد حرمتهُ ابداً كذاك سائر لذاتي واوطاري
ما زلت ابكيك ما ناحت مطوقةٌ فوق الغصون وما هبَّ الهوى الساري

قال الراوي فلما فرغ عنترة من شعره تقدم اليه شيبوب وقال اريد يا اخي ان تسمع مقالي وتبلغني امالي فمتى وصلت الى الديار ودفنت والدك وقرَّ بك القرار اذبح على قبره هذا اليهودي ذا الخمار فلما سمع ذو الخمار كلام شيبوب قال لعنك الله على هذا الراي الوخيم فلا ستر الله عليك ولا بارك فيك يا ويلك اتركه حتى يصل الى الديار ويدفن اباه

ويذهب عنه حزنه وبكاه فالتفت عنتر وقال والله ياسبيع لقد صدق شيبوب لانك تارةً تصير مجوسياً وتعبد النار وطوراً يهودياً تعبد الاسفار ومرة تعبد الاصنام والاحجار ولا تقعد على دين ولا يقر فيك قرار ياغدار يانسل الاشرار ثم جعل يضربه بالسوط على قفاه حتى كاد يعدمه الحياه ولمـــا وصلوا الى الديار خرج الى لقاهم الكبار والصغار فلما علم اهل الحلة بموت شداد عظم عليهم البكا وزاد ورميت مضارب بني زياد واما اخواهُ مالك وزخمة الجواد فكانا اعظم رجال الحلة بكاه فرميا مضاربهما وقلعا الاوتاد ونادى عنترة ابتاه ونادي شيبوب واسيداه وصاحت سمية خليلاه وصاحت زبيبة واحرباه ونادي مازن واوالداه ثم انهم شقوا ما كان عليهم من الثياب واكثروا من البكاء والانتحاب ولطمت الكواعب والاتراب ولم يزالوا في بكاه ونواح حتي تقرحت منهم المقل الصحاح فعند ذلك امر الملك قيس بحفر قبر مالك اخيه ودفن شداد فيه فتقدم شيبوب وجرير وفعلا ما امرهما الملك قيس وانزلاه في القبر واهالوا عليه التراب هذا وعنترة قد اسودت الدنيا في عينيه ووقع مغشياً عليه وغاب عن دنياه فقال عمارة لاخيه الربيع متى يلحق عنترة اباه وانال من عبلة ما اتمناه فوقعت كلمة عمارة في اذنيه ففتح عينيه وزاد به حزنه وجواه وعظم عليه كلام عمارة فكتم بلواه وما كان يطفيء ما بقلبه من لهيب النار الا نشيد الاشعار فانشد وقال

ياعين سحّي دمعك المذروفا	وابكِ على الشهم المبيد الوفا
ولقد بكيت لفقده متحيرًا	ولأهجرنَّ سروريَ المألوفا
ولاحرمنّ محاجري طيب الكرى	من بعد فقد الحاني كفوفا
من ذا يردّ الخيل بعدك في الورى	ويصير بالجد السني معروفا
غالتك كفّ الدهر تبًا من يدٍ	تركت فؤادي موجعًا ملهوفا
ها قد غدا الجبار بعدك في الفلا	ملقىً وقد تخذ التراب سفوفا
وتركت وحش البر ينهش لحمهُ	والطير فوق دمائه معكوفا
ياكعبة الجود التي ما مثلها	طرقت بنائبة وكنت عطوفا
ماكنت احسب ان هذا في الورى	غيري وغيرك من يرد الوفا
فسقاك رب العرش غيثًا وابلاً	جُوْدًا ولا زال السحاب الوفا
مني السلام عليك كل عشية	طول الزمان على الدوام وقوفا

قال الراوي فلما فرغ عنترة من هذه الابيات تناثرت من اجفانه العبرات ثم اقبلت سمية زوجة الامير شداد وهي كثيرة التعداد وزبيبة من خلفها وقد شقت الثياب ووقعت

حمية على القبر ووضعت التراب على راسها ولطمت وجهها حتى تغيرت حواسها ودارت النساء من حولها وهن يندبن على ذلك الحال حتى ضعفت منهن الاوصال ثم افاقت حمية واشارت تقول

جفاني الكرى وانا في الغسق   وساعدني الدمع لما اندفق
لفقد همام مضى وقضى   وقد زاد مني عليه القلق
فمن بعد شداد يحمي الحريم اذا الحرب ثارت وسال العرق
ومن يردع الخيل يوم الوغى   ومن يطعن الخصم وسط الحدق
ومن يكرم الضيف في ارضه   ومن للمنادي اذا ما زعق
لقد صرت من بعده في ضنىً   وقلبي لاجل الفراق احترق

قال الراوي ثم انها بعد ذلك النظام تقدمت الى عنتر وهو كثير الهم والفكر وقالت له بحق التربية سلمني فرسان خيبر حتى اذبحهم بيدي عسى تنطفي نيران كبدي فقال لها عنترة دونك وما تريدين وافعلي ما تشتهين ثم اعطاها سكيناً وامرها ان تحكم فيهم اجمعين فاخذتها بيدها وشمرت على زندها وصار شيبوب وجماعته يقدمون لها واحداً بعد واحد حتى ذبحت خمسين ثم تقدمت زبيبة وقالت ياولدي دعني انا ايضاً اشفي كبدي فقال لها دونك وما تريدين فشمرت زبيبة على زنودها وصار شيبوب يقدم لها حتى ذبحت تسعين وبعد ذلك تقدم مازن ونحر مائة وثمانين وذبح الباقي ميسرة وصارت جثث الجميع على الارض منتشرة

قال الراوي لقد اخبرني من اثق به ان اليهود كانوا سبعمائة وسبعين رجلاً فحل بهم البلا اما عنترة فتذكر افعال ابيه وبكى ثم امر باحضار السبي الذي من حصن خيبر فاحضروا اليه النساء والبنات فامرهنّ ان يدرن حول القبر سبع دورات ثم عتقهن من القتل والبليات وبعد ذلك جلس للعزاء وسمعت العرب بقتل الامير شداد فاتوا الى عنترة يعزونه من كل شعب وواد ولم يزالوا على ذلك الحال اربعين يوماً وهو لا يلتذ باكل ولا نوم ثم بعد ذلك دخل الملك قيس والربيع اليه وقبلا راسه وبين عينيه واخرجاه من بيت الاحزان وانسياه نوائب الزمان وما زالا عليه حتى سقياه المدام وبعد ذلك ارسل الملك قيس اليه فحضر وسلم عليه فاشار عليه بقتل ذي الخمار اللئيم الغدار وقال له اقتله واتق شرّه لعنه الله ما اكثر مكره وغدره فقال والله ياملك لايمنعني من قتله الا جميل دريد لانك قد رايت ما فعل بي في مكة وهذا زوج ابنته ثم ارسل عنترة الى دريد يخبره بما فعل معه ذو

الجار من الامر المهول ويقول وحق الكعبة لولا جميلك لاصبح مقتول ولكن لما اسرتة تركتة عندي في الاعتقال وها انا منتظر منك السوال وصار عنترة يقطع الاوقات بالسرور واللذات وشرب الخمور بالطاسات وهو يتذكر الجارية سروة وهو يتمنى ان يسمع خبرها و يعرف مقرها ثم انشد يقول

عذلُ العواذل في هواك مضيعُ ... لو انهم عذلوا فمن ذا يسمعُ
عذلوا ولوعدلوا بارباب الهوى ... ما حاولوا ما ليس فيهِ مطمعَ
علموا بانك هاجري فتوهموا ... اني لذلك بالامالة اروعُ
عذلوا صفاتك فانتفعت بلومهم ... واللوم فيهِ ما يضر وينفعُ
عبد ينـــاديهِ الهوى فيجيبهُ ... طوعًا فيدعوهُ الغرام فيسمعُ
عارٌ على عيني الكرى لكنهـــا ... الطيف في سنة الكرى نتوقعُ
عيني تنام اذا هجرت لعلهـــا ... بمرور طيفك في المنـــام تمتعُ
عد يا الجمال كما عهدت فانهُ ... لم يبقَ في روض التصبر مرتعُ

قال الراوي وكان عنترة ينشد هذه الابياتَ وفي حضرتهِ جماعة من السادات ممن كانوا يعرفون هذه الاشارات فعلموا ان ذلك من اجل الجارية فقالوا لهُ يا ابا الفوارس تأنَّ على نفسك واقلّ ما عندك من الاحزان ونحن نسال عن الاخبار ونقتفي منها الاثار

قال الراوي هذا ما كان من عنترة وقصتهِ واما ما كان من امر سودة زوجتهُ فانها لما تركها شيبوب في البر بلا ماء وقد اشرفت على الهلاك والفناء وانتظروه الى وقت المساء فما عاد وداموا على ذلك الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وبينما هم في همّ وحزن وغمّ في تلك المعاهد والدمن واذ قد اشرف عليهم خمسون فارسًا من بلاد اليمن و بين ايديهم ثلثمائة ناقة يحزونها باسنة الرماح وهم مجدون بها في تلك البطاح وقد خرجوا من ديارهم في طلب المكسب فوقعت طريقهم على ارض بني عامر فساقوا منها هذه النياق وساروا على غير طريق وقد وقعوا في سروة ومن معها فسقوهم الماء وشكروهم ثم قال لهم مقدم السرية انتم من اي العرب وما الذي القاكم في هذا السبسب فاخبرهم الشيخ بجميع قصته وكيف حال ابنته فاعطوه الذمام واركبوه هو وعياله واوصلوه الى دياره وادخلوه اطلاله ولما وصل الشيخ الى حلته تلقاه اهله ورجال عشيرتهِ وسالوه عن حالهِ

الكتاب الخامس والثمانون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

فقال لهم تركوني في مكة عند بعض العرب وخرجوا في طلب المعاش والمكسب و بلغني انهم هلكوا وحل بهم العطب وحين سمعت ذلك رجعت وهذه حالتي وقد خلصت ابنتي واتفق ان الجارية سروة حملت من عنتر وبان حبلها وظهر وحملت ايضاً جاريتها سعدى من شيبوب فاخفتا امرهما وقد وضعتا في ليلة واحدة فتولت العجوز امر ابنتها فوضعت ولداً اسود اعبس راسة كبير وانفة افطس كبير الاذان يفزع من روْيتهِ كل انسان بكفوف واعضاء مثل اعضاء الاسود وصفاتة غير صفات المولود لانة مدور الوجه واسع الصدر وصورتة تشبه صورة التوابع بوجنات سود ممتلية وعينين مثل السرج المضية واما سعدى زوجة شيبوب فولدها الطف صورة وخلقتة لطيفة مشهورة ممشوق القامة رقيق الساقين عريض المنكبين وقد اتفق بقدرة خالق الخلق والبشر ان حمل هذين الولدين كان سبعة اشهر فعالجت ام سروة الاثنين فوضعتا ذينك الولدين واخبرت زوجها بما جرى فقال لها اخبريني باي حجة نحتج بها عند الرجال وما الذي نقولة عنا ابطال عشيرتنا الاقيال اذا راوا هذين الولدين الاسودين قالت تلك العجوز اسمع ما ادبر من المقال وهو ينفي عنا القيل والقال وذلك انك تقول ان جاريتها سعدى قد رزقت الاثنين وندعها تباشرها وترضعها في النهار والليل فلما سمع الشيخ مقالها قال لها افعلي ما بدا لك فعند ذلك اجتهدت في كتمان الحال فلما انقضت ايام الولادة وتمت فيها المشيئة والارادة كتموا الامر. وعلم اهل الحلة في ولادة الولدين فسالوا الشيخ والعجوز عنهما فاخبراهم بما ذكرنا وقد تولت سعدى رضاع الاثنين وكان كل من يراها يظن انهما اخوان فصارت سروة ترضع ولدها في الخلوات وتحن عليهِ حنو الامهات وكانت اذا ضمتة الى صدرها وقت الرضاع تسمع لهُ همهمة مثل السباع وكان اذا ابطيء عليهِ بالرضاع يغضب فسمتة الغضبان وسعدى سمت ولدها الخذروف لاجل لطافة خلقتهِ وسرعة حركتهِ هذا ما كان من وصف ابن عنترة الغضبان والخذروف ابن شيبوب والان نرجع الى ما كنا فيهِ من الكلام في امر عنترة وولده غصوب وما جرى لهم من ذلك الامر المرهوب وامهِ غمرة ومن معها من الفرسان وسائر بني عبس وعدنان وذلك ان عنترة لما قتل جبار واسر ذا الخمار وجرى لهُ من حزن ابيهِ ما جرى واقام في الديار ينتظر

ما ياتيه من دريد في امر ذي الخمار اتاه الجواب يقول له يا ابا الفوارس اضرب رقبته ولو كان ولدي لانه فرح بفعله كبدي وعلمت ما فعل بحقك وهو لا يريد الا دماك لانك لو قتلته بغير علمي كان اربح لقلبي فلما بلغ عنترة ذلك الكلام ضاق فسيح صدره وبقي متحيرًا في امره وكان الملك قيس وعروة وبقية الاصحاب اشاروا في قتله فقال عنترة انا لا اقتله هذه المرة بل ابقيه حتى يرسل دريد يسالني فيه مرة اخرى لانه ارسل يقول وددت لو لم تعلمني به وهذا يدل على ان صدره ضاق بسببه

ثم ان عنترة بعد ذلك الكلام صار يترقب الاخبار فاصبح في بعض الايام مكروب لا يقدر على الركوب فاتى اليه عروة وولده ميسرة وغصوب يسالونه ما المانع عن الركوب فوجدوه يتحدث مع شيبوب فلما دخلوا عليه حيوه بالسلام فرفع راسه ورحب بهم وبادأهم بالكلام وقال لهم يا بني الاعمام قد رايت البارحة منامًا واظن انه يدل على شرب كاس الحمام وقد اصبحت قلق البال فقال عروة خيرًا ان شاء الله رايته او شرًّا تعديته فاخبرنا به واعلمنا بما رايته قال رايت قد خرج من صلبي شبل اسود ثم رايته صار قدامي وتمرغ في التراب وقام الجنّ في صورة عقاب وقد صار له كف ومخلب ثم طار في الهواء كانه شيطان حتى غاب عن الاعيان وعاد الى ابعد مكان وقد اتسع في الفضاء وانقض عليّ انقضاض القدر والقضاء وبادر نحوي موافي ومكن مخالبه من اكتافي وجذبني ورماني على ظهري وتمكن مني وركب على صدري واراد ان ينحرني فمددت يدي اليه وانا على غير الاستوا فطلب ان ياخذني ويطير بي في الهوا فاشرفت منه على التلف فهممت ان ارفعه وابعده عن صدري فانتبهت وانا مرعوب في امري وقد اذهلني ذلك المنام واقول اني ما بقيت اعيش اكثر من هذا العام فلما سمع شيبوب هذا الكلام قال له ان هذا اضغاث احلام لاني انا الاخر رايت منامًا كاني نائم في الصحرا وكأنّ طيرًا انقض على راسي على وجه الثرى فاستحال الطير الى غزال فتصارعت معه وضايقني غاية الضيق فاردت ان اجذبه فذرق من بين افخاذي فحرت في امري وانتبهت وانا مرعوب فقال عروة صدقت يا شيبوب ولكن منام اخيك مرهوب لان العقاب والطيور والجوارح حروب والصواب اننا نحذر عليه من هذا الحال ويتولى حرسه كل ليلة واحد من الرجال فقال عنترة لا فعلت ذلك ابدا ولا اشمت بهذه الفعلة العدى لاني اعلم ان الحذر لا يدفع القضاء والقدر والذي يريده رب السماء نافذ في البشر ثم قدم لهم الطعام واكرمهم غاية الاكرام وبعد ذلك بايام قلائل سلا ما كان اعتراه من المنام ودخلت عبلة اليه وتذللت بين يديه وبكت وانّت واشتكت فقال لها يا عبلة لماذا البكاء والانين والاشتكاء

فقالت ياحامية عبس وعدنان اطلب منك تمام الجميل والاحسان واريد ان نسير معي الى بلاد السودان حتى تاخذ لي بالثار وتكشف عني العار وان كنت يا ابا الفوارس تتعاق ببعض الاشغال فاريد ان تاذن لي بالارتحال و يكون ولدي في صحبتي لانهُ غدا بعد الاهل عدلي و بهِ تزول حسرتي وصارت تقبل قدميهِ فلما راى عنترة فعلها وتذكر ما كانت بهِ من العزّ استحي وعول ان يبلغها مناها و ينصرها على اعداها فاشار وقال

تاملت فعلي هل رايت نظيرهُ ... اذا جزعت نفس الجبان من الحرب
سلي القوم عني يوم مشتجر القنا ... ويوم بجود الرمح بالطعن والضرب
وعرضي نقيٌّ ابتغي ان اعفهُ ... عن المين والفحشاء والزور والكذب
واني اسير نحو قومك سرعةً ... واكشف عنك العار بالصارم العضب

فلما فرغ عنترة من هذه الابيات قال لها وحق من انبت النبات واحيى بقدرتهِ الاموات لا سار في اخذ ثارك الا انا فيمن معي من الفرسان وافني السودان واذبحهم بالصارم اليمان ثم انهُ في ساعة الحال زعق على شيبوب وقال لهُ ويلك يا ابن الام ايتني بعروة و بعض الرجال فلما اقبل عروة سلم عليهِ وقال لهُ ما حاجتك يا ابا الفوارس فقال خذ اهبتك للسفر ومعك رجالك الاجواد لنسير مع غمرة الى ارضها والبلاد وناخذ لها بثارها من السودان فلما علم عروة بهذا الشان قال ومتى يكون المسير ياحامية عبس وعدنان قال لهُ غدًا ان شاء مكون الاكوان فعند ذلك مضى عروة الى رجالهِ واخبرهم بما كان من عنترة واحوالهِ واما عنترة فانهُ مضى عند الملك قيس واعلمهُ بما كان منهُ وما بدا لهُ فقال لهُ يا ابا الفوارس كلنا نسير في صحبتك ونسعى في قضاء حاجتك ولا نقعد عن معونتك لانك سيفنا الصقيل و باعنا الطويل فلما سمع عنترة كلام قيس شكره واثنى عليه وخرج من بين يديهِ فارسل قيس الى اخوتهِ يعلمهم بذلك الكلام فركبوا خيولهم وصاروا ينتظرون خروج عنترة من الخيام على ان عنترة ما امهل القوم تلك المهلة الا ليودع ابنة عمهِ عبلة لانهُ كان قد دخل عليها وقبلها بين عينيها واخبرها بما كان من امره وشرط على نفسه انهُ لا يغيب الا القليل لانهُ ليس لهُ على فراقها سبيل فبكت لذلك عبلة وكثر همها على فراق ابن عمها فطيب عنترة قلبها وخفف لوعتها وكربها ثم قبلها وقبلتهُ و ودعها وودعتهُ . و بينما هم على ذلك واذا بشيبوب قد عاد اليها وقال لعنترة يا ابن السوداء ان الملك قيس واخوتهُ بانتظارك وانت متربصٌ هنا تقضي اوطارك فعند ذلك ودع عنترة عبلة وركب وسار الى ناحية الملك قيس بعد ما اوصى اخاهُ جريرًا بذي الخمار ان لا يغفل عنهُ ليل نهار واوصى بهِ عبلة واباها

واخاها ثم انهُ صار حتى وصل الى الملك قيس فقال قيس يا ابا الفوارس سر بنا في هذه الآكام لعلنا نبلغ المرام فقال عنترة لا موجب لذلك بل انك تتعب نفسك مع الفرسان والصواب انكم تقيمون ها هنا لحفظ الاموال والنسوان قال قيس يا ابا الفوارس ان كنت منعتني المسير في صحبتك فانا اسير اخوتي واهامي في خدمتك فاقسم عنترة وشدد الاقسام والايمان بان لا يسير معهُ من بني عبس وعدنان غير عروة ورجاله واخيه مازن واولاده ميسرة وغصوب وغمرة ومن معها من الفرسان ثم ان عنترة في ذلك الوقت ودعهم وصار يقطع البراري والقفار ولم يزالوا سائرين في ذلك اليوم حتى اقبل الظلام فنزلوا لياخذوا لانفسهم راحة و ياكلوا الطعام وعولوا على المسير والرواح فعند ذلك تقدم شيبوب الى اخيهِ عنترة وقال لهُ يا ابن الاعمام ان سفرتنا هذه لفي خطر والصواب انك تتبع راي شيخ العرب دريدٍ او تسالهُ في هذه المهمة وتاخذه هو وفرسانهُ لان بلاد السودان اكثر اهل الارض عدداً واقواها جلداً وفي طرقاتها مفاوز يقال لهُ ارض المخالفة وهي من هنا بعيدة المسافة وانا اعلم ان سيد تلك الديار يقال لهُ الملك غوار بن دينار وهو والله افة من الافات و بلية من البليات

قال مجد بن هشام فلما سمع عنترة من شيبوب ذلك الكلام اخذه الغيظ والانذهال وزعق في شيبوب وقال دع عنك الهذيان ولا تفزعني بكثرة عدد السودان وانا وحق الملك الديان الذي لا يشغلهُ شان عن شان لاريتك يا ابن السوداء حرباً وطعاناً تتعوذ منها الانس والجان فسر امامنا في هذه القيعان ولا تكن ذليلاً مهان

قال الراوي فلما سمعت غمرة كلام شيبوب قالت لهُ ويلك ومن اين لك معرفة بتلك الديار وملكها غوار حتى تصفهُ بهذه العلائم والاثار فقال لها والله يا اميرة لا احد يعرف تلك البلاد مثلي لانها بلادي واهلها اهلي وانا وامي واخي منها ولو لم يجرِ لنا في حال صغرنا ما جرى لما كان لنا عنها غنى اذ لما كان لي من العمر تسع سنين سبانا رجل من اعدائنا يقال لهُ مشير وسار بنا الى ارض الحجاز بعد ان قطع بنا كل هذه البراري والمفاز وكانت امي تحدثني اننا قطعنا ارض المخافة وتقول لي ان اهلنا جميعاً منها فلما سمعت غمرة كلام شيبوب تعجبت وتفكرت في تلك الامور فعند ذلك اقبل عنترة على شيبوب في ذلك المكان وقال لهُ يا اخي اذا وصلنا الى ديار غمرة وتلك البلدان فكم بقي بيننا و بين بلاد السودان فقال لهُ عشرة ايام للخيال واما المشاة والجمال فما يقطعونها الا في جملة ايام وليال

قال الراوي لهذا الخبر على ان شيبوباً لما قال هذا الكلام جدَّ في سيره وهو في اوائل الرجال وكان قد اشار عليهم ان يكثروا من النجب والمهاري لما بين ايديهم من المفازات

والبراري المقفرات فلما استعدوا للمسير اخذ بهم شيبوب على طريق يعرفها معرفة خبير فكانت اقرب الطرقات عليهم واسهل للمسير هذا وغمرة متعجبة من معرفة شيبوب بتلك الارض فقالت له يا شيبوب لقد شاب راسي في هذه الارض وسلكتها طولاً وعرضاً وانا لهذه الساعة لا اعلم اين انا ولا ابصرت عمري هذه الطريق الا هذا الوقت فقال لها ولاخيه عنترة سيرا خلفي بلا عنا وابشرا ببلوغ المنى لاننا اذا قمنا من هاهنا نصبح ارض الرياض والماء الغياض وتلك العيون والغدران والزهر والاقحوان بعدما اترك خلفي ارض السبروت التي ما فيها لا منهل ولا قوت فقال له عروة والله لقد قويت قلبي يا ابا رياح لاني اكرهها من نوبة مقري الوحش وكنت خائفاً من تلك البطاح فلا زلت يا شيبوب حليف الافراح ما دام عليك المساء والصباح

قال مجد بن هشام وما زال شيبوب سائراً بهم اكثر من ثلاثة ايام ثم بعد ذلك التفت اليهم و بشرهم بقرة العين لانه في ذلك اليوم اشرف بهم على ارض تحير فيها الاعين وتقصر على وصفها الالسن وذلك من كثرة رياضها وغدرانها وزهرها هذا وقد كان الربيع مروجه رائقة وقد ضرب على وجه الارض سرادقة وكسى الشجر اوراقة وفتح الزهر احداقة والماء يجري في غدرانه والطير قد سجع على اغصانه والنبات فيه قد ازهر وفاح بروائح كانها المسك والعنبر وقد تلون ما بين اصفر واحمر وازرق واخضر والماء على تلك الجداول يتفجر و يتحدر وقد بدا من مكنون خضرته ما اذهل البصر وحير الفكر والطيور تتناغى بغرائب الحانها وتنطق بفنون اصواتها وتسبح لديانها وهي خائفة من البواشق أن تخطفها من الهوى وتعدمها حيلها والقوى لان في تلك الارض بازات جوارح وسقوراً وشيئاً كثيراً من اصناف الطيور

قال الراوي فلما راوا تلك الارض سجدوا من له السنن والفرض لا اله الا هو اللطيف الخبير وتعجبوا غاية العجب وقد لحقهم الفرح والطرب ثم انهم نزلوا في ذلك المكان وقد استبشروا في سفرتهم بالخير والانعام فلما كان اليوم الرابع رحلوا من اول الليل وقد ركبوا على ظهور المهاري واراحوا الخيل وقد تزودوا من ذلك الماء الزلال وجدّوا في السير وقطع التلال الى ان تضاحى النهار وقد تركوا خلفهم المفاوز والاخطار ولم يزالوا يجدون في سيرهم ساعة بعد ساعة حتى قاربوا ارض بني قضاعة فقال لهم شيبوب خذوا اهبتكم من هنا يا رجال للقتال واستعدوا للحرب والنزال فلما سمعت غمرة هذا المقال قالت له ويلك يا شيبوب دع عنك هذا المحال فقال لها يا اميرة لا محال لاننا اذا اقمنا هنا الى وقت السحر وسرنا بلا ملال نصل اخر النهار الى ثنية الغزال فقالت له غمرة ويلك أاختل عقلك

ام تبدل ذهنك حتى تتكلم بهذا الكلام فقال والله يا اميرة ما قلت الا حقاً ولا غاب لي صواب الا انك قليلة الخبرة بهذه المضلب ولا تعرفين هذه الارض والشعاب . فقال لها عنترة دعانا من هذا الكلام الذي لا يفيد وحيشان المكان بعيد فما علينا الا ان نخفف لبس الحديد حتى نقطع هذه البيدا ونتقرب من ديار الاعدا فلما سمع شيبوب كلام اخيه صعب عليه عدم انقياده اليه وقال لهم اسمعوا مني وتنبهوا لانفسكم والا ظفر بكم عدوكم وتمكنت السودان منكم فقال غصوب لابيه عنترة ذمة العرب لقد نظر عمي شيبوب موضع النظر لان من امسى واصبح لا يامن الخطر ولا نوائب القضاء والقدر ثم انهم باتوا في ذلك المكان وفوضوا امرهم الى الرحمن وعولوا على ما قاله شيبوب لانه صحيح واشارته تغني عن التلميح

قال الاصمعي قد ذكرنا فيما تقدم ما وقع لغمرة مع غوار بن دينار ملك السودان وقلنا انه ملك بلادها ونهب اموالها وقتل رجالها وبعد ذلك ولى على تلك الاطلال والاكام ابن عمه صاعقة بن عندم وكان جباراً لا يعرف الحرام من الحلال وهو كثير الاحتيال لا يرهب الرجال ولا يخاف الابطال وكان تحت يده تسعة الاف من السودان والفان من بني قضاعة الذين تخلفوا في ذلك المكان لان صاعقة لما تملك ارضهم قتل من قتل ومن نجا من القتل هرب والتجأ الى قبائل العربان ولم يتخلف من بني قضاعة سوى الالفي فارس وكان صاعقة قد ضرب خيامه على ثنية الغزال وتلك الروابي والتلال ونزل على تلك المروج والغدران واتخذها منزلاً ومكان

قال الراوي فلما كان في بعض الايام وهو مقيم على تلك الروابي والاكام اذا بخيل بني عبس قد طلعت عليه وقد لمع برق رماحها في شعاع الشمس وهي غائصة في الزرد والسلاح تجر خلفها قطع الرماح وفي اوائلهم ليث الطراد ابو الفوارس عنترة بن شداد يتبعه عروة وغصوب وغمرة وابطال الحرب والطعن والضرب وشيبوب قدامهم كانه ذكر النعام وبقية القوم خلفه كانهم سباع الاجام ولما طلع الغبار وبان للنظار ولمعت اسنة رماحهم البارقة تبادرت اليهم خيول صاعقة وزعقت فيهم فارتج لها البر الاقفر وصاعقة في اوائلهم كانه الاسد اذا هدر قال وكان في مقدمة الجيش غصوب وهو كانه البلاء المصبوب ولما تقربوا منهم انفرد عشرة من السودان ونقدموا نحوهم فقال احدهم من اين اتيتم ايها الاوغاد وماذا تبتغون من هذه البلاد فلم يجاوبه غصوب ببنت شفة بل طعنه في صدره طلع السنان يلمع من ظهره فلما راى اصحابه ذلك حملوا على غصوب فتلقاهم كانه الليث الوثوب وفي الحال قتل منهم سبعة وانهزم البقية وعادوا ناكسين وعلى اعقابهم راجعين وهم

ينادون يا للسودان الجدونا على قتال الجان فقد حل بنا القلعان ثم الان باصاعقة الى قتال
هولاء الفرسان فقد برز الينا منهم شيطان في صورة انسان قتل مقدمنا وسبعة من الفرسان
قال الراوي فلما سمع صاعقة هذا الكلام صعب عليه وكبر لديه وقام وقعد وارغى
وازبد وقال والله لو عرفني القوم لما غرهم الطمع في حربي والنزال وان صدقني حذري ما
هذه القوم الا مع غمرة ابنت الانذال واظن انها قد استنجدت بقبائل العرب فسوف يحل
بها وبهم العطب وسوف اريهم ضرب الحسام واسقيهم كاس الحمام ثم انه ركب بابطاله
وفرسانه ورجاله ولما وقعت العين على العين صاحت ابطال الفريقين ووقع السيف بين
الطائفتين ونادت غمرة يالئام غير كرام اتظنون اني اترك لكم مالي واقعد عن ثار ما قتلتم
من رجالي فاليوم ابلغ منكم مآربي وآمالي فلما سمع صاعقة كلامها قال لها ويلك ياعاهرة
اتفزعين مثلي بهولاء الانذال وانا صاعقة مقدم الرجال والافيال ثم امر عسكره بالحملة
في الحال فحملت التسعة الاف على بني عبس وظنوا انهم يدوسونهم دوسًا ولم يعلموا انهم
ابطال وفرسان الا انهم ما اقتتلوا ساعة من النهار حتى وقع بالسودان الفناء والدمار وحل
بقلوبهم الفزع وزال من رؤوسهم الطمع لما راوا من بني عبس الوجل وقد خاب منهم الامل
فايقنوا بحلول الاجل ووقعت اسنة الرماح في المقل والارواح وجرى الدم وساح على تلك
الربى والبطاح وضرب بالقوم المثل وظهر الخطاء من الزلل وغلت الحرب كغليان القدر
وكان حطبها عوامل الرماح الذبل وخاض بنو عبس الغبار والقسطل وبروا الرقاب
وطعنوا الصدور بالاسل وقاتلوا قتال الجبابرة الاول فلله در غصوب وما فعل وميسرة
اخوه قد استقتل وسطا ابوهم سطوة البطل ولم يزل عنترة في حملته بين تلك الامم حتى
وصل الى المكان الذي فيه صاعقة بن عندم فرآه يهيج كما تهيج الجمال ويبغي من حوله من
الابطال فاقبل عليه ابو الفوارس عنترة وطعنه في صدره فخرج الرمح يلمع من ظهره

قال الراوي فلما نظرت السودان قتل اميرهم صاحوا على عنترة وطلبوه من كل مكان
فلما نظر الالفا فارس الذين تخلفوا من بني قضاعة فرحوا بسيدتهم غمرة فحملوا واسعروا نار
الحرب وجادوا الطعن والضرب وسالت بينهم الدما وعاد وجود القوم عدما وزادت نار
الحرب تضرما وصارت النعم نقما وملأ عنترة الارض جماجما واخلى السروج من ركابها
بعد ما كانت لها حمى وكحلت الاجفان بمراود العمى وثبتت الحبشة واجتهدت برد اعدائها
فما قدرت بل هالها ما رات وانحلت عزائمها وتفرقت ولم يزل السيف يعمل والدم يذل
والرجال تقتل ونار الحرب تشتعل الى ان امسى المسا وصارت السودان في لعل وعسى

وعلموا ان ليس لهم مفر من قتال الامير عنتر فولوا منهزمين تحت الظلام وتفرقوا بين الروابي والآكام وتمكنت فرسان بني عبس من الخيام و بعد ذلك التفتت بنو قضاعة بغمرة فاتوا اليها وقبلوا الارض بين يديها فشكرتهم على فعالهم وسالتهم عن احوالهم هذا وكان القوم يعرفون عنترة حين جاء اليهم قبلاً مع خفاف بن ندبة ودريد بن الصمة وقد تقدم ما جرى له معهم من تلك النائبة فعند ذلك تقدموا اليه وسلموا عليه وصار بعضهم يقول لبعض وحق من رفع السماء و بسط الارض ما دخل عنترة مع غمرة الى بلادنا وفي نيتو ان يبقي منا احداً ولا من اجنادنا

قال الراوي هذا ما كان من بني عبس وعدنان واما ما كان من السودان فانهم طلقوا في هزيمتهم يقطعون البراري والقفار وهم يقولون وحق الملك الجبار لم يكن في ظننا انه يوجد بالابطال من يقاوم صاعقة في القتال ولا ظننا اننا نلقى هذا الملتقى او نقاسي هذا البؤس والشقا و بعد هذا فقد علمنا ان غمرة لا يصطلى لها بنار ولا يقاومها جبار فقال بعضهم وحق ذمة العرب ما اهالنا قتال غمرة ولا خطرت لنا على بال وما فتك بنا واوبلانا بالاذلال غير فارس لا يبالي بكثرة الرجال وان صدق ظني فما ذلك الفارس الا عنترة بن شداد الذي سمعنا اخباره وانشدت فرسان العرب اشعاره ويتذاكرون في المحاضر باعماله واخباره فان كان الامر على هذا الشان فهذه مصيبة لا تردّ الا بكثرة الفرسان ومعاونة الاخوان والراي اننا ننفذ الى الملك غوار بن دينار ونعلمه بهذه الاخبار واما انتم فجدوا في قطع القفار والبيد حتى تصلوا الى سويد بن عويد وقولوا له ان يدبر امره و ياخذ حذره ويجمع ما عنده من الرجال قبل ان تصل اليه غمرة بمن معها من الاقيال لانكم تعلمون كيف دهمونا وفي المحن اوقعونا وقتلوا صاعقة وانزلوا بنا النقم واهلكوا تلك الامم

قال الراوي فلما سمعت بنو كندة هذا الكلام صار الضياء في اعينهم ظلام وماجوا في بعضهم البعض واختبطوا طولاً وعرض ثم رجعوا الى سيدهم سويد بن عويد واعلموه بذلك الامر والشان فصعب عليه ذلك واستعاد منهم الحديث على جليته ثم انه ركب من وقته وساعته والتقى بالسودان فوجدهم بالذل والهوان وسالهم كيف كان في الحرب والقتال فاخبروه بما جرى عليهم من الهم والنكال وما فعل بهم عنترة وغمرة وغصوب فقال لهم يا ويلكم كم يكون هولاء الابالس فقالوا والله ما رايناهم اكثر من مائة وخمسين فارس وكان المجاوب رجلاً يقال له قسورة بن جوهرة وكان الرجل محتالاً مكاراً فلما سمعوا كلامه قالوا له ياقسوره ما اهلك صاعقة الا انت ولا اتلفه غيرك لانه كان يسمع رايك ولا بد لنا ان ناخذك معنا الى

القتال وندعك تبرز الى الحرب والنزال فقال لهم ان اتكلتم عليّ يا بني الانذال يتمكن منكم الصنع في القتال * قال الراوي فلما سمعوا كلامه تضاحكوا كلهم فقال لهم ساريكم ما افعل في الميدان اذا رجعنا بالعساكر والفرسان و بعد قليل وصلوا الى المنهزمين لانهم تفرقوا في البرمين عشرة وعشرين فتبادرت اليهم بنو كندة لانهم كانوا اصحاب عزيمة وشدة وقالوا هلكت منا الابطال والفرسان وجرى ما جرى وحدثوا غوارًا بما طرا

قال الراوي فلما سمع منهم غوار ذلك الكلام شق اثوابة وطار من عينيه الشرر وكاد قلبة يتفطر وقال لهم ويلكم كم كنتم حتى جرى عليكم هذا الذل والهوان قالوا والله كنا تسعة الاف فارس من الابطال المعروفين بالحرب والقتال فقال لهم نحن سمعنا ان اعداءكم ثلاثمائة فارس فهذا العدد فعل بكم هذه الفعال مع ان صاعقة وحده يلقى الف فارس ريبال فقالوا وذمة العرب ان اول من قتل صاعقة فقال لهم ومن قتلة واحل به التعس قالوا عنترة فارس بني عبس فدع الان السوال وناد في رجالك والابطال وخذ اهبة الحرب والقتال والا ادركوك في الحال وفعلوا بك مثل ما فعلوا بنا من الفعال لان القوم خلفنا واصلون وعلى قلع اثارنا معولون

قال الراوي فقال لهم سويد بن عويد وحق ذمة العرب الكرام ومن اوسع البيد وانبع الماء من صم الجلاميد لا اتركتم تستجيرون باحد ولست تاركًا من بني عبس لا ابيض ولا اسود ولا انزل من على ظهر الجواد حتى القى هولاء الاوغاد وامكن سيفي من عنترة بن شداد لانة قد دخل قبل هذه النوبة الى هذه البلاد ولكن اهملت امرهُ حتى وصل الينا في هذه النوبة شرهُ . قال الراوي ثم انهم نادوا بفرسان القبيلة بان ياخذوا اهبتهم للرحيل ويعجلوا من غير تطويل فلما نظرت السودان هذا العمل قالوا لهُ تمهل على نفسك ودع عنك العجل واقم في ديارك ولا ترحل فكانك بالقوم وقد نزلوا عليك واخذوا روحك من بين جنبيك فاحم انت ديارك والا خرجت من بدك فقال ان كان لابد من ذلك وذمة العرب الاخيار لا اعود ما لم افنهم واوقعهم في شر المهالك فلما توافق معهم على ذلك الميعاد رحل في عشرة الاف فارس شداد معروفين بالحرب والجلاد ثم تقدم سويد امام الجيش وقد ضاقت منة النفس وهو لا يصدق ان تقع عينة على بني عبس وكان سويد اشد من ركب على ظهر الحصان واجلّ من لاقى الفرسان في حومة الميدان فتقدم في اوائل الجيش وكان يحق لة التقدم على من تحت يده من بني كندة و بني تميم وهو محروق القلب مما تقدم مقروح الفواد على صاعقة بن عندم فانشد وقال

الا ياسباع البر سيري بجانبي ... لكيما تري مني فنون العجائب
لاني اذا ما سرت اطلب عسكرًا ... ابيدُ جماعاتِ العدى بمضاربي
اتانا بن شدادٍ بجيش وعصبةٍ ... يريدُ قتالي كي يريد تجاربي
ايا مخبرًا عني لعنـــتر انني ... مجدٌ اليه قاطعًا للسباسب
بقومٍ يرون الموت اشهى اليهم ... من الوصل للغيد الحسان الكواعب
الا ياسباع البر سوف اضيفكم ... لحومهمُ والقومُ فوق الترائب
وآخذ من ابطالهم كل سيدٍ ... واسري الى اقيالهم بالكتائب
واسبي نساهم ثم انهب مالهم ... اشتتهم في شرقها والمغارب
واقتل ذاك النذل عنترة الذي ... تعدى علينا واستخف بجانبي

قال الراوي ولم يزل سويد سائرًا وهو يترنم بهذه الابيات ولا يعلم ما خبئ له في الكائنات من النائبات التي قدرها عليه رب السماوات الا انه ما سار اكثر من يوم وذلك الجيش يتبعه حتى التقى بعنترة ومن معه لان عنترة فرغ من الحرب والقتال وانهزمت من امامه الرجال واستراح من تعبه عند ثنية الغزال فلما وقعت العين على العين ونظرت الى بعضها بعض ابطال الطائفتين كان المساء قد قرب وجاء وقت النزول فامر عنترة غمرة واصحابها بالوقوف على ظهور الخيل وما زال الفريقان كذلك حتى انتشرت اجنحة الليل الحالك واقبلت قبائل بني تميم و بني كندة وهم على ظهور الخيل متسربلون بالحديد والعدد فنزل الجميع وضربوا لهم الخيام الا سويد بن عويد فانه لم ينزل لاكل الطعام بل شهر في يده الحسام وصار بهم كالاسد الضرغام لانه كان قد ادركه الظلام ولم يبلغ من الاعداء المرام

قال الراوي هذا ما كان من هولاء الاقوام واما ما كان من عنترة بن شداد ومن معه من الرجال الكرام فانه بات وهو يسال غمرة عن ذلك الشيطان فقالت يا ابا الفوارس ما هو الا فارس جبار ما يقع له احد على عيار كثير الشدة قوي الباس وكان ابي يخاف منه دون جميع الناس لانه كان كل عام يغزو بلادنا و ينهب اموالنا وكنت انا اغزوهُ في بعض الاوقات وقد جرى بيني و بينه وقعات فلما مات ابي وعلم بموته جدّ في طلبي واستنجد عليَّ بملك من ملوك السودان الاشرار يقال له غوار بن دينار فسطا عليَّ وقتل رجالي ونهب اموالي وانا والله خائفة من هذا الشيطان ان يجمع علينا كل من في بلاد السودان فلما سمع عنترة مقالها علم انها خائفة مما جرى لها ونالها فقال لها يا ام غصوب وحق من لا يدرك بالنظر وان يكن مع هذا الفارس امة ربيعة ومضر فاني انزل بهم العبر وافنيهم بالحسام الابتر واتركهم

مطرحين في هذا البر الاقفر لا يردون خبر

قال الراوي وعند الصباح لبست الرجال السلاح واعتدوا للحرب والكفاح وركبت الطائفتان وتقابل الفريقان فعند ذلك اشار عنترة الى اصحابهِ بالحملة على اعدائهم من غير مهلة فحملوا جميعاً وتلقوا من الاعداء بوادرهم وطعنوا جوانبهم وخواصرهم وكانوا قد ارادوا بذلك ان يزيلوا الطمع من رؤوسهم فالتقاهم سويد فيمن معهُ من الابطال وقد وطنوا انفسهم على القتال وكانت غمرة ومن معها من الفرسان قد وجهوا قصدهم الى ناحية السودان وكانت في ذلك اليوم قد لبست درعاً منيعة اعجوبة للناس فاشتد الباس وعظم المراس وزاد الامر عن حد القياس وعدمت الحواس وكثر القلق وزال النعاس هذا وعنترة قد حمل فيمن معهُ من السادات الذين لهم بمثل هذه الحروب عادات واظهر عنترة واولادهُ العجائب وعظمت في ذلك اليوم الاهوال والنوائب هذا والقتام يطالع والاسنة تلمع والابطال تصرع والرؤوس تقطع وتقع وسال الدم من ابدان القوم وهمع وحمل في ذلك اليوم الشجاع وذل الجبان وارتاع وكثرت الالام والاوجاع وقل العطاء والمنع وفاضت اعين الناس بالدمع والقلب انجزع والفؤاد انقطع والراس تدحرج وبرق الصارم ولمع وتقطعت الاكباد قطع وظلت الخيل تقوم وتقع هذا والقلوب قطعت والاسنة لمعت والواقعة وقعت وبينما عنترة في ذلك القتال الشديد واذا بهِ التقى بسويد بن عويد وهو قد اباد الفرسان واهلك الشجعان فمال عنترة اليهِ بالكلية والتقاه سويد بهمة علية وكان الاثنان من فرسان الجاهلية وعملت في رؤوسهما النخوة والحمية ولم يرد احد منهم ان يرجع عن خصمهِ بلا حاجة مقضية ولم يزالا في قتال وصدام ومعاركة ولزام حتى قال عنترة في نفسهِ وحق زمزم والمقام ما هذا الا فارس عظيم ولا شك انهُ حامية هذا الاقليم على انني ما سمعت غمرة تصف الا سويد بن عويد سيد بني تميم فان كان هو هذا فما هو الا جبار عظيم

قال الراوي ثم ان عنترة اخذ يقاتلهُ ويحاولهُ ويباعدهُ ويقاربهُ وهو في معرفتهِ بين الشك واليقين واما سويد فانهُ عرف عنترة بسواده وكبر جثتهِ وقتالهِ وجلاده وحسن ضرابهِ وخبرتهِ ولم يزالا في كرّ وفرّ وهزل وجد ومشابكة ومعاركة حتى حمي عليهما الحر وثقل الحديد على جسديهما وتعبا من الجلاد وملّ سويد من الطراد وتمنى الراحة والرجوع لكن راى ان ذلك منهُ ممنوع فصبر على المجال وقد رأى من عنترة كثير الاهوال ووقع بهِ التعب والملال . قال الراوي ولما رأى عنترة من خصمهِ التعب والملل قلب الرمح وجعل سنانهُ الى وراه وطعنهُ بعقبهِ ر.اه فادركهُ شيبوب وشد كتافهُ فلما راى قومهُ ما حل بهِ من

الذل والدمار ولوا الادبار وركنوا الى القرار وقد قتل منهم الفان وماثنا فارس كرار ثم تبعوهم الى ان ابعدوهم عن تلك الديار وبعد ذلك عادوا عنهم وقد نهبوا اموالهم وسبوا اولادهم وعيالهم ونزلت غمرة في ديارها وقد قر قرارها وتسامع بها بنو قضاعة وبلغهم ما جرى على السودان في تلك الساعة فتسارعوا اليها من كل جانب ومكان واجتمعت الاصحاب والخلان ولما استقر بها القرار ونزلوا في تلك الديار امر عنترة اخاه شيبوبًا ان يحضر سويد بن عويد اليه فلم تكن الا ساعة حتى صاريين يديه فقال له عنترة ويلك اخبرني قبل ان يحل بك العبر من امرك ان تسير الى الاميرة غمرة وتملك ديارها وتنهب اموالها

قال الراوي فلما سمع سويد من عنترة هذا المقال تغيرت منه الاحوال وقال له جرأني على ذلك قوة جناني وثباتي في ميداني وقهري لاقراني لاني قهرت الابطال في الضرب وصدت بكفي السباع من الغاب وبعز عليّ والله ياولد الزنا كيف ان مثلك وهو كلب من الكلاب يخاطبني بهذا الخطاب ولكن هيهات ان تعود انت وهذه العاهرة من هذه الديار وكانك بالعساكر وقد اتتك من كل جانب وسدت عليك الطرق والمذاهب ويهجم عليك وعليها اولاد حام فيفنونكم انت ومن معك من هولاء اللئام ويدوسونكم تحت الاقدام . قال الراوي فلما سمع عنترة منه ذلك الكلام ابدى الضحك والابتسام لكن من قلب الغيظ بعد ان صار الضياء في عينيه كالظلام وقال له ويلك ياقربان ياابن الالف قرنان ومن هم السودان او جميع العربان لان معي مائة وخمسين فارسًا القى بها طوائف الانس والجان ثم انه امر شيبوبًا ان ينقله الى داخل الخيام وهو في القيود والاغلال واذا بغصوب قد جرد الحسام وضربه على وريديه اطاح راسه من بين كتفيه وقال له ويلك يامذلول السبال مثلنا تهدد بالقتال فلما نظر عنترة الى ذلك الحال صعب عليه وكبر لديه وقال لولده لقد اخطات بهذه الفعلة فمن يكون هذا القربان حتى قتلته وكثير مثله من الرجال لايخطرون لابيك على بال فقال غصوب انا ما قتلته وانجزت امره الاحتى ارحتكم من شره فقال عنترة وحق من ارسى الجبال وهو يعلم عدد الحصى والرمال ان كل من في هذه الاطلال لم يخطر لي على بال ثم التفت الى غمرة وقال لها قد رايت من الراي الصواب ان نركب غدًا نحن ومن معنا من الفرسان الانجاب وندور على هذه الحلل التي للاعداء ونقتل كل من فيها قبل ان ياتوا الينا ويجتمعوا علينا لاني بعد دخولي الى هذه الديار ما عدت اخرج منها واخلي من الاعداء ديارًا ولا نافخ نار والا ما يقر لك قرار فقال شيبوب صدقت والله ياأخي في هذا المقال لان الخلاص من هذه الديار صعب شديد يشيب راس

الوليد فقال له ويلك ومن هم السودان الانذال حتى تقول عنهم هذا المقال

قال الراوي فعند ذلك اقبلت غمرة على عنتر وهو جالس في ذلك المحضر وقالت له ياابا الفوارس بقي رجل شديد الباس يقال له لون الظلام وهو سيف الملك غوار فان ظفرت به ملكنا هذه الديار جميعا وحكمناها بلا معارض ثم انهم بعد هذا الكلام اقاموا الى الصباح ورحلوا من تلك البراري والبطاح الى داخل اليمن وجل الحزام

قال الراوي وكانت غمرة قد سارت في اربعة الاف فارس من بني قضاعة وقد قويت شوكتهم واشتدت عزيمتهم وشيبوب في مقدمتهم وهو مثل النمر الحردان وعنترة وراءه في اوائل الخيل والعساكر وراءه مترادفة مثل السيل فجاءت في خاطره عبلة فانشد هذه الابيات

نأت دارٌ لعبلة عن امامي ... وامسى حبها خلف الذمام
وقفت وصاحبي ياعلَ فيها ... اسائلها فلم تسمع كلامي
فقلت تشولوا فالظعن فيها ... بسير معرجًا نحو الشآم
فقالت ويلكَ ياابن العم خيل ... يثور عجاجها تحت القتام
تسير بها فوارس من تميم ... ورائي تبتغي ورد الحِمام
عليها كل جبار عنيدٍ ... الى شرب الدما في الحتف ظامي
فقلت الا اقصروا ياقوم عني ... انا شرب الدما اقصى مرامي
ومهري كوكب يسري سريعًا ... الى حرب شديدٍ في الزحام
ورمحي في العجاج تخال فيه ... دماه نابعًا مثل الغمام
ويحمله فتىً من آل عبس ... اخوه وامه من نسل حام
عجوز من بني حام بن نوح ... كأنّ جبينها حجر المقام
وخيل تحمل الابطال شعثًا ... غداة الروع اناث النعام
عناجيج تحث على رباها ... تثير النقع بالموت الزؤام
فوارسها تنادي يالعبس ... رجال الحرب في رهج القتام
بايديهم مهندةٌ وسمرٌ ... كأنّ بريقها شعل الضرام
ويسكت كل صوت غير صوتي ... وصوت مهندي عند الزحام
وكم بطل تركت بها طريحًا ... باكناف الرمال وفي الاجام
وخلفت الطيور عليه تهوي ... كما تهوي البزاة على الحمام
تبيت نساؤهُ تبكي عليه ... بربعهن التفجع وهو دامي

قال الراوي فلما فرغ عنترة من شعره طربت غمرة ومن معها من الفرسان غاية الطرب وما زالوا في رحيل ومقام حتى وصلوا الى جبل الخزام فنظروا الى خيام واعلام ورجال قد ركبت خيولها وطلع لها قتام حتى صار مثل الظلام ثم انكشف وبان من تحته خيول اعوجية ورماح سمهرية وسيوف هندية في ايدي رجال تصادم المنية وعليهم الدروع الداودية وعلى رؤوسهم البيض العادية وهم قد اكثروا من الزعاق والارعاد والابراق . سود الوجوه حمر الاحداق كانهم الجواميس الطوال لا يبالون بالابطال ولا يفزعون من الرجال وفي اوائلهم الفارس الذي ذكرته غمرة لعنترة واعلمته بان اسمه لون الظلام . قال الراوي وكان راكبا على ظهر الحصان كانه شيطان في صورة انسان خلقته شبه خلقة الجان وهو طويل القامة كبير الهامة عريض الاكتاف لا يرهب الموت ولا يخشى التلاف

قال الراوي وكان السبب في جمع هولاء الانذال واخذهم الاهبة للحرب والنزال صادرا عن المنهزمين الذين انهزموا من بني تميم لما قتل ملكهم سويد بن عويد وهربوا وقطعوا تلك الفلوات على ظهور الخيل وهم سائرون النهار والليل الى ان وصلوا الى هذه الديار واعلموا من فيها بجميع الاخبار وسمع لون الظلام فاحضر اليه المنهزمين واستعاد منهم الكلام فنعوا اليه صاعقة وسويد بن عويد واعادوا اليه ذكر من قتل من الفرسان ومن هلك من الابطال فقال لهم ويلكم ومن فعل بكم هذه الفعال فقالوا له غمرة ست الاوغاد وهذا الفارس الحجازي الذي اسمه عنترة بن شداد فلما سمع لون الظلام ما اعادوه من الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام وصرخ صرخة ارعب بها من حوله من الابطال وقال يا لها من مصيبة نزلت علينا من هولاء الانذال ثم انه التفت الى من وصل اليه من الاجناد وقال لهم على الحقيقة انتم رايتم عنترة بن شداد وقد دخل هذه البلاد فقالوا له اي وحق من بسط المهاد وجعل الجبال اوتادا هو الذي قتل صاعقة الاصم وانزل سويد بن عويد البلاء والعدم فلما سمع لون الظلام منهم ذلك الكلام قال وحق الملك العلام لا بد لي من النهوض الى هولاء الانذال وان اسعى بهلاك غمرة ست الاوغاد وكذلك عنترة بن شداد لان في قلبي منه شيئا من النوبة الاولى لما دخل هذه البلاد وقد وصفوا لي شجاعته وبراعته وان فروسيته ما يقع عليها عيار وانه لا يوجد مثله في الاقطار وكان في نيتي هذا العام ان اطلع لبلاد الحجاز واقتل كل من فيها من العربان واقتل هذا الشيطان ولكن قد تيسر الامر وهان وقد بلغت الارب واسترحت من التعب بدخوله فيمن معه من الفرسان الى بلاد السودان

قال ثم انه بعد ذلك الكلام نادى في قومه باخذ الاهبة واستصرخ جميع قومه واجناده وارسل

الرسل الى وسائقو و بلاده وحلفاه فما مضى على ذلك الامر غير ثلاثة ايام حتى اتت اليو
جميع اولاد حام وصار في اربعين الف عنان كلهم سود الالوان وعليهم ثياب مصبغات حمر
وخضر وصفر على سائر الصفات وعلى روسهم طراطير من سائر الاجناس وهي ملآنة من
اذناب الثعالب والودع والاجراس وكانت هذه عادتهم اذا ساروا الى القتال وبذلك
يفتخرون عند الحرب والنزال فلما هموا بالمسير بعد هذا الاستعداد واذ اشرفت عليهم
عساكر عنترة بن شداد فارس الحرب والجلاد وحققت الحقائق ولمعت السيوف البوارق
فلما نظرت غمرة الى كثرة الفرسان وعاينت العساكر ملات الروابي والقيعان داخلها الفزع
والجزع واما ابو الفوارس عنترة فانه استقل الاعداء في عينيو وحمل على ذلك الجمع الذي اجتمع
وحملت عساكر لون الظلام من كل فج وما بقي للجبان حجة بها يحتج وامتدت الرماح مثل
الافاعي وكثرت الآلام والاوجاع وما بقي في الحيوة انتفاع وفر الجبان وثبت الشجاع وقسمت
الاجساد ثلاثًا وار باع وكان بين القوم وبين الموت باع او ذراع وما كنت ترى في ذلك
اليوم الا دمًا فائرًا وراسًا طائرًا وجوادًا من تحت راكبه غائرًا وقد تنطرت المرائر ودارت على
السودان الدوائر وبقي الجبان حائرًا والشجاع صابرًا وجرت عليهم احكام المالك القادر فصار
هذا مغلوبًا وهذا غالبًا وهذا مضروبًا وهذا ضاربًا وهذا منكوبًا وهذا ناكبًا وهذا سالمًا
وهذا عاطبًا وهذا منهوبًا وهذا ناهبًا وهذا طريحًا وهذا جريحًا وهذا يود لو انه يخرج من
المعمعة حتى يستريح وصاح الصائح وصارت القتلى مثل البطائح وبانت الفضائح وهم بين
كاتم وبائح ونادى الشجاع لا براح وظهرت الامور القباح وبكى الجبان وناح وتمنى لو كان
له جناح وكان الفساد اكثر من الصلاح وجرى الدم وساح وانعجمت الالسن الفصاح
وسمحت الابطال بالارواح وكبت الخيل من العرق اي وشاح وزاد فيهم الجراح وعملت في
صدورهم عوامل الرماح وروى عنترة بني عبس من دماهم البطاح وجاء الجد وذهب المزاح
وقفل باب النجاة وضاع المفتاح وتثلمت الصفاح وتغيرت الوجوه الصباح وعادت قباح
وجولت الفرسان المساء من الصباح وضاقت الاماكن الفساح وصاح عليهم غراب البين
وناح . قال الراوي وهو جهينة اليماني بن الوضاح ما سمعت ولا رأيت ولا حكيت باعجب
ما جرى لهم مع عنترة وكان عليهم يوم اغبر ولله در الابجر وما فعل ذلك اليوم من الفعل
المنكر لانه كان ينهش الفارس فيجعل دماره ويضرب برجليه فيقتل من خلفه حتى ضعفت
قواه واضمحل رسمه فترجل عنه عنترة وسلمه الى بني قضاعة وعمل العجائب في تلك الساعة
حتى صبغ الارض بالدماء وانزل بالسودان الذل والعمى وما زال يضرب بالحسام في

الهامات والطلا حتى اجري الدم في الفلا وجمد على سواعده وقل نصيره ومساعده فعند ذلك اغمد سيفه وهجم على السودان في المجال وهاج في الحرب كما تهيج الجمال فتطابقت عليه السودان لما رأوا منه تلك الفعال فعند ذلك هجم على بعض العبيد وقبض على ساقيه بقوة زنده والذراع وثبت قبضته على عرقوبه والكراع وصار يبرمه في يده مثل المقلاع . ولم يزل يدور به و ينسف به السودان و يرميهم في تلك القيعان حتى قتل به مائة وعشرة رجال انجاب وهو يضربهم على الصدور والاجناب وقد انزل بهم الذل والكروب حتى لم يبق في يده غير العرقوب فعند ذلك ضرب به صدر واحد خسفه فوقع قتيلاً وعمد الى غيره جندله وصار كلما قبض على واحد من عنقه خنقه

قال الراوي وقد بلغني عنه انه صار ذلك اليوم يقاتل بني ادم احسن ما كان يقاتل بالصوارم واللهاذم لانه كان يمسك الواحد و يضرب به الاخر فيموتان معاً ونحل بهما العبر واما شيبوب فلا تنسَ فضائله فانه كان في ذلك اليوم قد عمل عمائله وقد دار حول اخيه يضرب بالنبال فيصيب بها اعين الرجال والصدور ويمكنها في المقاتل والنحور ولما رأت السودان فعال عنترة بالرجال والابطال ترجلوا عن الخيول في الميدان وقصدوه من كل جانب ومكان وكان في ذلك الوقت غائباً لا يعقل على انسان لانه في ذلك اليوم سكر من غير مدام وكثرت الجنود وطرب في الحرب حتى غاب عن الوجود فلما نظر شيبوب الى اخيه وقد احاطت به الرجال صاح فيهم الحاين يا انذال ثم صاح في بني عبس وعروة ومن معه من الرجال وقال لهم ادركوا اخي عنترة قبل ان تعمل فيه النصول و يصير على التراب مجدولاً لانه مدد الفرسان عرضاً وطولاً

قال الراوي وكان شيبوب قبل ذلك عذله فلم يسمع وقال له خذ لنفسك راحة فلم يرجع فعند ذلك صار يحميه بالنبال حتى ادركه غصوب وعروة ومن معهم من الرجال وصار شيبوب يغني الرجال ويحثهم على الجلاد فاقبلت حمزة وغصوب وعروة وميسرة وسبيع اليمن وقد انزلوا بالسودان المحن وجعلوا يجيدون القتال ويخوضون الاهوال ولم يزالوا على ذلك الحال حتى امسى المسا فافترقوا وما فيهم من يعرف الاحسان من الاسا ورجع عنترة وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من ادمية الفرسان وكان ايضاً قد اصابته جروح كثيرة وقد عميت منه البصيرة مما دهمه من الفرسان الا انه شفى غليله من السودان وقتل منهم في ذلك اليوم الثاني مائتي فارس وكان لا يقصد الا الذين عليهم المعتمد وكانوا كلما اجتمعوا عليه يحمل على جمعهم فيتبدد

قال الراوي وعلى الحقيقة رجع السودان في حال العدم بما جرى عليهم في ذلك اليوم من الالم ثم انهم نزلوا في الخيام وجعلوا يداوون جراحهم ويتناولون الطعام واما عنترة فانه نزل وهو سكران مما قاسى في ذلك اليوم من الضرب والطعان ونزل السودان واقبلوا على ملكهم لون الظلام وهو ضيق الصدر كثير الآلام لانه مابلغ من الاعداء المرام . فقال له اصحابه لاتضيق صدرك لاجل هولاء القوم اللئام لانهم ما باتوا وفيهم من يقدر على رد الكلام وعند الصباح ما فيهم من يقدر ان يطعن برمح او يضرب بحسام وما فيهم من صدق ان يقبل الليل بالسواد لاسيما هذا الشيطان الذي يقال له عنترة بن شداد لانه قاسى اليوم في الحرب والقتال ما لم يقاسه احد من الرجال وقد تعبت منه الاوصال من ضربه الرجال بالرجال والصواب اننا غداً نصف فرساننا في البراز وناخذ هذا الشيطان فارس الحجاز ونقدمه الى بين يديك تفعل به ماتقربه مقل عينيك وبعد اخذه نفني الكل بالحسام ولو كانوا مثل قطع الغمام فلما سمع لون الظلام ما اشار به قومه من الكلام قال لهم ما تقولون في كبسهم في الظلام ما داموا تعبين وهم في خيامهم نيام فقالوا له هذا راي اخر ولكن اذا كان هذا ببالك قد خطر فيكون ذلك اذا قارب وقت السحر ويكون قد تمكن منهم النعاس والضجر فقال لهم قد اجبتكم الى هذا الراي واذا حملتم ما يحمل في اوائلكم الا اياي ثم انهم تفرقوا في المنام بعد ما أكلوا شيئاً من الطعام

قال مجد بن هشام ثم انهم بعد ذلك تفرقوا الى الخيام واما بنو عبس فانهم لما اظلم الظلام نزلوا الى الراحة واكل الطعام لتاخذ العين حظها من المنام ورتبوا لهم حرساً يدور في ذلك البر والاكام خوفاً من الاعداء ان تكبسهم في الظلام وقد تولى الحرس غصوب وغمرة وسبيع اليمن وميسرة لانهم خافوا على انفسهم من السودان لما نظروا عنترة وقد بات تعبان فتولوا الحرس بانفسهم حتى لا يتكلوا على احد غيرهم من الفرسان فبينما كان بنو عبس عند اواخر الليل وهم من كثرة التعب في ويل واذا بالقوم قد ركبوا على ظهور الخيل وهجموا عليهم كهجوم السيل فلما رأوهم وضعوا فيهم الحسام فعند ذلك ارتفع الصياح وثارت الرجال الى الحرب والكفاح وثارت بنو قضاعة والتقوا بالسودان في تلك الساعة فوقعوا في بحر عجاج وانحطت عليهم السودان افواجاً افواج فصولوا على الهرب والهجاج هذا كله يجري وعنترة نائم في الخيام مثل السكران وهو مما عمل في ذلك اليوم تعبان وكان شيبوب جالساً عنده وهو تارةً يكبس رجليه وتارة يدور حواليه فلما سمع صوت الاعداء وقد كبستهم في الظلام خرج من عند اخيه الى بني عبس الكرام وحرضهم غاية التحريض على القتال والصدام ولم تكن الا

ساعة حتى استوت بنو عبس الكرام على الخيل الجياد واعتقلوا بالرماح المداد وجردوا في ايديهم البيض الحداد وكان قد اشتغل الليل بالسواد فاشتكت الارض من شدة القراع ووقع الحديد على الحديد فصمت الاسماع وفي ذالك الوقت رجعت بنو قضاعة تطلب الهرب والاتساع فناداهم شيبوب ويلكم ما الذي دهاكم وحل بكم من الوبال حتى رجعتم الى وراكم على هذا الحال ومازال يخيهم بالكلام حتى ردهم الى الحرب والصدام فعند ذلك عاد الحرب بعد ما كان قد بطل ووقع الطعن واتصل وبان الخطأ والزلل وبطلت الاسباب والحيل وعملت غمرة وولدها غصوب اوفى عمل وعظم الفزع والوجل وخاب الرجاء والامل وايقن الجميع بقرب الاجل ووقعت الرمــاح في الاحداق والمقل وانهل العذاب عليهم ونزل وضرب بالقوم المثل وصارت الحرب تغلي كغليان المرجل وحطبها اطراف الرماح الذبل وقاتل غصوب وغمرة وعروة وميسرة وسبيع اليمن قتال الجبابرة الاول وصهلت جياد الخيل ودارت بهم مواكب الاعداء مثل السيل وثار القتام وزاد الحرب في الليل الطويل وجرت الدماء على السواعد سرايبل واشتد الويل والعويل فما كنت تسمع من الخيل الا الصهيل وقد عمل السيف الصقيل وندم الجبان كيف ماعوّل على الرحيل

قال الراوي ولما زاد على الناس الصدام وانتبه عنترة ذلك الوقت من المنام وكان تعبان من شدة ما قاسى من الالام وعينة في وجهه كانها العندم او قطع من الدم فعند ذلك بكى شيبوب عليه وعانقه وقبّل عارضيه فانتبه عنترة وقال له ما الذي يبكيك لاعاش من يشنيك فقال له ياخي وكيف لا ابكي وزوجتك غمرة وغصوب وولدك ميسرة وعروة وسبيع اليمن قد حلت بهم الكروب وهم في القتال الشديد والحرب الاكيد ثم انه حدثه بما تم وجرى وكيف كبسهم السودان وهم غارقون في الكرى فلما سمع عنترة مقالة وراى بكاه واذلاله قال له ويلك لمَ لم تعلمني من اول الليل حتى انزل بهم الذل والويل

ثم انهُ امره ان يقدم له الابجر فركبهُ وتقلد بالضامي الابتر وغرق في لأمته واستعداده واستوى على ظهر جواده وطلب الحرب والقتال وحمل على الاعداء من غير مطال وكان شيبوب قد ملأ كنانتهُ بالنبال وسار في عراض اخيه حتى وصل الى المحمة والقتال فصاح شيبوب وهو يعلن بالمقال ويلكم اطلبوا لانفسكم النجاة ودعوا القتال والا حل بكم الذل والنكال ها قد اتاكم عنترة بن شداد وفي ذلك الوقت تنظرون شيئًا مالكم عليه اعتماد وفي ذلك الوقت وصل عنترة الى اولاده وزوجته غمرة فوجدهم في اشد ما يكون من السكرة وقد بلوا من تلك العساكر بما ليس لهم عليه قدرة فعند ذلك حمل على الابطال وضرب

بسيفهِ الفصال

قال الراوي لهذا المقال ان غصوباً وعروة وميسرة وسبيع اليمن كانت قد عطبت خيلهم من كثرة القراع فطلبوا من بعضهم البعض الوداع وما بقي بينهم وبين الموت الا باع او ذراع فعند ذلك ادركهم عنترة وفرق عنهم الاعداء بالصارم الذكر ونثر روسهم مثل الاكر وضرب فيهم ضرباً لا يبقي ولا يذر وصاح فيهم عنترة ويلكم يا اوغاد غير امجاد اما تعلمون اني عنترة بن شداد ثم انهُ هجم وسط الصفوف فضرب في اعراضهم واوردهم كاسات الحتوف وشتت شمل الاحباب من احبابهم ومزق بالضرب ظهورهم واجنابهم واطال سيف الحرب عذابهم ومع ذلك كثر عليهِ الزحام والعدد فانحذف من على ظهر الجواد وقال لشيبوب دونك والحصان حتى اريك العجب في هولاء السودان فاخذ الحصان وقد انذهل وقال والله جاء العمل ورجع هذا الابن الملعونة الى المنهاج الاول ثم صاح بهِ ويلك يا ابن الام لا تعجل وتانَّ على نفسك وتمهَّل

قال الراوي وكان عنترة لما زاد عليهِ الحرب والكفاح وسكر ما لا يسكره شارب الراح رمى روحه من على ظهر الجواد وفعل فعل الفراعنة الشداد لانهُ راى بني عبس قد علا منهم الصياح وهي تنادي لا براح وبقوا اشباحاً بلا ارواح وايقنوا بالهلاك والعدم مما نزل عليهم من العدو الذي هجم فعند ذلك غاب عن الدنيا وبذل نفسهُ لاطراف القنا ولم يزل على ذلك حتى اجرى الدما وابدل وجود القوم عدما وقد ازدادت نيران الحرب تضرُّما وحجب الغبار بين الارض والسما وصارت النعم نقما وملا الاقطار عنترة العبسي جماجما واخلى السروج من ضرباتهِ وتكحلت الاجفان بمراود العمى وصار يضرب في السودان وهي تتنافر من قدامهِ لما ذاقوا قتالهُ وعرفوا في اليوم الماضي ضربهُ وطعانهُ

قال الراوي ولم يزل في حملتهِ حتى وصل الى ولده غصوب ورفقتهِ وقال لهم ابشروا بالسلامة فقد ازال الله عنكم الندامة وتانوا على انفسكم ولا يخاف احد منكم من عطبهِ ومن قدر على جواد خالٍ في المعمعة فليركبهُ

قال الراوي على انهُ لم يبق تحت احد منهم جواد غير غمرة وولدها غصوب والباقي هلكت خيلهم في ساحة المجال بما رشقتهم السودان بالنبال ثم انهم لما راوا صورة عنترة عاشت ارواحهم وبدا صلاحهم ونقدم عروة اليهِ وقبلهُ بين عينيهِ وقال لله درك يا فارس العرب فوالله لقد اتيتنا في اضيق الاوقات واحييتنا بعد الممات ثم ان عنترة ترك الجمع خلف ظهره واستقبل الاعداء بصدره وقاتل عن اولاده واصحابهِ وبنفسهِ فداهم حتى اخذوا لهم راحة

ورجعت اليهم قوامهم واتاهم شيبوب بخيل من المعمعة واركبهم اياها هذا والاعداء قد تفرقت من قدام عنترة بعد ما كانت مجتمعة واجتمعت بنو عبس و بنو قضاعة لقدوم عنترة في تلك الساعة ولما صارت الرجال فرساناً حملوا حملة واحدة على السودان وقاتلوا قتال من ذاق الذل والهوان واما غصوب فانهُ لما راى اباهُ قد فتك في السودان والعرب فرح بذلك واخذه الطرب واظهر في الحرب العجب ما طعن وضرب وفاض الدم وانسكب وما زال السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل من ثلث الليل الاول الى ان طلع الصباح وابتهل فلما اضاء الضو ولاح حملت السودان تريد الحرب والكفاح فهنالك التقاهم عنترة و بنو عبس بوجوه وقاح ومدت الى صدورهم الرماح وجرى الدم وساح وارتجت بهم الارض والبطاح وحام الغراب على القتلى وناح ولمعت شفار الصفاح واسنة الرماح وامتدت امتداد الافاعي لقبض الارواح وصاحت فرسان بني عبس اشد صياح وتمنى الجبان الرواح وان يكون لهُ جناح ليطلب الهرب والرواح ونزلت على السودان الا تراح وتكردست اجسامهم في تلك البطاح وعدموا ايام السماح وهبت عليهم سموم الاسنة وهطلت سحائب الموت بالغدو والرواح وشربت كاس المنية غبوقاً واصطباح وزمجر رعد مضارب السيوف على تلك الارواح وتساوى الجمعان في المساء والصباح و باعوا النفوس بيع السماح بعدما كانوا شحاح

قال نجد بن هشام ولم يزالوا على ذلك العمل الى اخر النهار فلما اقبل الظلام واسبلت اجنحة القتام انفصلت الطائفتان عن الصدام ونزلت كل طائفة في مقام وهم مما قاسوا سكارى من غير مدام و بات بنو عبس يشكرون عنترة و يثنون عليهِ بما فعل ذلك اليوم في الحرب واما السودان فانهم باتوا وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور

فلما اصبح الصباح ركبت الطائفتان وتقابل العسكران وارادت السودان ان تحمل من كل جانب ومكان وشرعت الرماح والقواضب فمنعهم من ذلك لون الظلام وردهم عما عزموا عليهِ من المرام وقال قد عولت ان ابرز الى الميدان اذ فيهِ تبان الابطال والاقران فاذا برزت الى ساحة الميدان طلبت عنترة الى المجال والنزال فان خرج الى مقام الاخطار تركتهُ ملقى تحت الغبار واخذت بالثار وكشفت العار ثم انهُ خرج الى ساحة الميدان وهو راكب على حصان كانهُ المرجان طلوب مثل الريح الهبوب او الماء اذا اندفق من ضيق الاسلوب اصفر اللون مليح الكون كما قال فيهِ الشاعر

اصفرُ في اللون لهُ رونقٌ ... يحكي صفات التبر في الالتماحْ
تخالــهُ ينفضُ في جريهِ ... كشبــه نار مسرعًا للرواحْ

يسابق الريح اذا ما جرى ... ويسبق البرق اذا البرق لاح
لو سار للغرب وفي اثره ... ريح الصبا فات هبوب الرياح
وان طلبت الشرق عند المسا ... ادرك عين الشمس عند الصباح

قال الراوي وكان عليه زردية كثيرة العدد كانها عيون الجرد لا يعمل فيها الصارم المهند

الكتاب السادس والثمانون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

ولا الرمح الكعوب المسدد ولبس من فوقها درعاً يمانية ظريفة الوصف والمعاني وعلى راسه بيضة عادية ململمة محلية قديمة فهلوية لا تعمل فيها السيوف الهندية وفي يده قناة افرنجية فلما صار في الميدان ساق حتى سكن الحصان وتقلب ظهره كالثعبان وبعد ذلك وقف وقد رمقه الفريقان واشار بيده الى ناحية بني عبس وعدنان وصاح يا بني عبس من عرفني فقد اكتفى شري ومن لم يعرفني فانا اعرفه بنفسي انا لون الظلام ابن المقدام وانا ملك السودان خرجت اطلب البراز فلا يخرج لي الا فارس الحجاز المسمى بعنترة بن شداد حتى اريه كيف الحرب والجلاد

قال الراوي فلم يتم كلامه حتى صار عنترة قدامه راكباً ظهر الابجر وبيده رمحه الكعوب الاسمر وهو في سرجه كانه الاسد القسور فلما صار في الميدان ساق الحصان ثم انشد وقال

استسلموا تدعوا العذاب يفوتكم ... او لا فدونكم لقاء صفاحي
فانا الذي لا انثني عن فارس ... بطل ولا عن سيد جحجاح
وانا همام لا امل من اللقا ... سأريكم في الحرب حر كفاحي
فاستيقظوا ان المنية قد دنت ... تستبدل الافراح بالاتراح
يا آل حام ابرزوا وتيقنوا ... اني مبيدكم بطعن رماحي

قال الراوي فلما فرغ عنترة من شعره اطبق على خصمه لون الظلام انطباق الغمام وحمل كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعناته ومضاربه واخذا في الكر والطراد والهزل والجد والقرب والبعاد والمحاربة والجلاد حتى حارت فيهما الافكار وغابا عن الابصار فعند ذلك غدرت السودان واقبلت فرد عنان وطلبت عنترة بالسيف والسنان فعند ذلك صاح غصوب في بني عبس الاجواد فحملوا من كل شعب وواد بالقنطاريات المداد والسيوف

الحداد واشتد بينهم القتال وعظم النزال وبطل القيل والقال وصدمت بعضها بعض الابطال وجرى الدم وسال وقصرت الاعمار الطوال و بان الصدق من المحال وطال المطال وقل الاحتمال وكثرت الاهوال والضجر والملال ونقدم الشجاع ومال وتاخر الجبان وشكى الخبال وايقن السودان بالذل والوبال ووطنوا انسهم على الحرب والقتال وجرت في ذلك اليوم بين الطائفتين عجائب واهوال وجرى الدم وسال وقويت شوكة بني عبس في القتال وعملت بينهم الصوارم في المناكب والاوصال وزادت نيران الحرب اشتعال وكان وقيدها الرماح ودخانها انفاس الرجال وكان للقوم يوم من الايام الطوال وما اجاد تلك الليلة القتال واجرى الدم كالغيث الهطال الا عنترة فارس بني عبس وعدنان وحاميها وموقد نارها ومصطليها لانهُ افنى الرجال واجرى دماهم كالغيث الدافق وهدّ الاكتاف والعواتق وخرق اللباس والطوارق وترك الجماجم نعالاً للخيل السوابق ونكس الاعلام والسناجق ثم انهُ بعد ذلك الشان عاد الى خصمهِ لون الظلام وهو يجول على الفرسان و يضرب في بني قضاعة بالعرض والطول ولهُ وجه مثل وجه الغول فعند ذلك صاح فيهِ عنترة بصوت مهول وقلب سنان الرمح الى ورائهِ وطعنهُ في صدره بعقبهِ رماه في الفلاه وما صار على وجه الارض مقلوباً حتى انقض عليهِ شيبوب وادار كتافهُ بعمامتهِ بعد ان عافره وكاد يعدمهُ مهجته

قال الراوي فلما نظر السودان ملكهم اسيرًا حملوا على عنترة من كل مكان وازدحمت عليهِ المواكب وهزوا في وجههِ القنا والقواضب فتلقاهم غصوب وعروة وميسرة وسبيع اليمن وغمرة وطعنوا في وجوههم مثل النار المسعرة فردوا السودان بالطعن رغماً وهدموا رتائم هدما وكانوا بين ايديهم مثل الصخرة الصما هذا وشيبوب يزعق و يقول ياويلكم عمن تقاتلون وملككم قد صار في حبال الذل والهوان مرهون ولم يزالوا على ذلك الحال حتى عول النهار على الارتحال واقبل بالانسدال فعندها عولت الطائفتان على الانفصال وافترقوا عن الحرب والقتال ورجعت كل طائفة الى خيامها

قال الراوي ولما نزل بنو عبس واستقروا في الخيام دخلت غمرة الى عنترة وسلمت عليهِ وعلى من عنده من الرجال الكرام وهو يحدثهم بما جرى لهُ مع لون الظلام وهم متعجبون بما فعل ذلك اليوم من اعمالهِ وهم يقولون والله يا ابا الفوارس لو لم تدركنا لكان كل واحد منا لروحهِ آيس ولكان عجل علينا هذا القرنان لانهُ في قتالهِ شيطان وهو آفة من افات الزمان وقالت غمرة والله يا ابا الفوارس قد خشيت عليك من هذا الفارس الهمام وهو لون الظلام الا انك رجل مسعود وكل من عاندك منكود مكمود فلا اعدمنا رب السماء خيالك ولا

عدمك اصحابك ورجالك فلما سمع مقالها تبسم وشكرها على فعالها ثم انهم بعد ما دار بينهم الخطاب قال لمن حوله من الاحباب اشيروا عليّ في امر هذا الشيطان الذي اباد اليوم الفرسان واهلك الشجعان فقال بعضهم يا ابا الفوارس اقتله واقطع راسه وارم به الى اهله وناسه لانهم اذا عاينوا ما حل به من البوار ربما ولوا الادبار فنتبعهم ونضرب فيهم بالصارم البتار الى ان نخلي منهم الديار

قال الراوي فلما سمع منهم عنترة هذا الخطاب قال هذا هو الصواب ثم انهم تفرقوا للنام بعد ما اقاموا لهم الحرس بين الخيام فلما كان نصف الليل وعنترة جالس والنار توقد بين يديه واذا بعبرة قد دخلت عليه فلما نظر عودتها في عاجل الحال انكرها وابدى لها السوال وقال لها ما الذي اتى بك في هذا الظلام أكبسكم احد في الخيام فقالت له لا والله يا ابا الفوارس بل انيتك في شيء يذهب عنك الوساوس فقال لها وما هو الامر الذي جئت فيه يا اميره لا زلت في سعد وخيره فقالت له اعلم انني لما خرجت من عندك ودخلت الى مضربي وخلوت بنفسي ساعة واردت ان استريح من التعب الذي حل بي واذ قد سمعت لون الظلام يبكي ويتاوه ويشكو لنفسه بنفسه فقمت اليه ونقربت منه حتى صرت حذاه وسالته عن سبب بكاه وما قد حل به من مصابه ولمته على ذلك وقلت انت قد علمت عملك وتحزن اذا حلت بك المهالك فقال لي لا والله يا اميرة انما بكاي لسبب عجيب وامر غريب وذلك اني اريد من احسانك وفضلك وامتنانك ان تسعي بخلاصي من يد قناصي حتى انني وحق مكون الاكوان اكون لك ما عشت من الاعوان فقلت له نعم افعل ذلك ولكن اخبرني عما دهاك واعتراك فقال اعلمي يا اميرة والله العظيم ما عندي اليوم اعزّ من ولدي صفوان الملقب بدر التمام وهو يعشق جارية اسمها اعجوبة الانام وهي بنت الملك همام صاحب ارض ذات الاعلام حتى ان ولدي صار من ذلك لا ينام فلما نظرت الى نحوله وبكاه سالته عن حاله وما اعتراه فاخبرني بما هو فيه من عشقه وبلاه وقال لي يا ابتاه انا اخبرك بالحق وانبئك بالصدق والله انني عاشق وفي بحار الهوى غارق فقلت له من هي التي هام بها قلبك حتى احترمت من اجلها لذيذ المنام فقال لي قد تولعت باعجوبة الانام بنت الملك همام فوالله يا اميرة لما سمعت ذلك الكلام احرقني قلبي عليه ووددت ان اوصل العافية اليه فطيبت قلبه وهدأت رعبه وكنت قد عولت ان اخطبها له فجرى لي معكم ما جرى من هذه الحروب التي ما شاهد احد مثلها في الورى وانا اعلم ان ولدي يموت بحسرتها ولا ينال غرضه من صحبتها وانا اشتهي من كمال معروفك ان تاخذي لي من ابي ولدك الذمام حتى اصير له من

جملة الخدام واكون لهُ من الاعوان والغلمان وكذلك جميع من تحت حكمي من السودان ولكن اريده ان يساعدني على الملك همام من اجل بنتهِ اعجوبة الانام اذ وحق الملك العلام ما جرت هذه الامور والاحكام الا بسعادة عنترة البطل الهمام ومن معهُ من الفرسان الكرام لانك انت عارفة بهذه البلاد وما فيها من السودان وكانك بالملك غوار قد انفذ اليكم عساكر تملأُ الاوعار والقفار وربما يكاثركم في الحرب ويضعفكم ويكسر عساكركم لاجل قتلكم السودان واذا سرت بعساكري معكم قويت شوكتكم وانني والله يا ابا الفوارس لما سمعت هذا الخطاب رايتهُ غاية الصواب وهو في قولهِ صادق غير كذاب

قال الراوي فلما سمع من غمرة هذا المقال قال لها احضريهِ اليَّ حتى اجد د معهُ السؤال فقالت السمع والطاعة ومضت الى الملك لون الظلام وابدت اليهِ السلام فنهض اليها قائمًا على الاقدام ففي عاجل الحال حلت الكتاف من يديهِ وفكت القيود من رجليهِ واتت بهِ الى بين يدي عنترة فسلم عليهِ وخدم وبكى من شدة الالم وقال يافارس عدنان اريد منك الذمام حتى اكون لك من جملة الخدام فقال لهُ عنترة لا اعطي لك الذمام لانك رجل منافق وفي كلامك غير صادق وما انت ممن يتخلى عن غوار وانا اعلم انني اذا خرجت من هذه البلاد غدرتم بغمرة ورجعتم الى بلادها وعاونتموه على اذيتها والاضرار بها ثم تنكرون عليها غاية الانكار ولو عرفت انهُ لا يصدر منكم هذا الكلام لكنت اطلقتك واعطيتك الذمام وحق الواحد الخالق مالك الممالك فقال يامولاي ان الامر بخلاف ذلك ولا اعود كما خطر ببالك وانا وحق مكون الاكوان لا اكون لغمرة الا من جملة الخدام والاعوان واقل الغلمان واحميها من جميع السودان فقال عنترة كاني بعد دخولي الى هذه البلاد اخلي فوق كلمتها انسان او اترك احدًا من السودان بل اقتل كل من فيها من الفرسان ولا ادع احدًا من اليوم يحكم الا البيضان

قال الراوي فقال لهُ لون الظلام وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لقد علمت بهذه الامور وندمت على ذلك الا انهُ كان مقدورًا وكل هذا لاجل ولدي وحشاشة كبدي صفوان الملقب ببدر التمام لانهُ تولع باعجوبة الانام بنت الملك همام وكنت يا ابا الفوارس قد ارسلت اخطبها لولدي فقتل رسولي واخرق بي غاية الاخراق لانهُ جبار عنيد وشيطان مريد وكنت قد عولت على المسير اليهِ والقدوم عليهِ ببني عمي وانصاري وكل من في دياري اهلكه وآخذ ابنته وانهب امواله فجرى لي معكم ما جرى مما قدرهُ رب الورى وانا ما طلبت منكم الذمام الا لاكون لك خادمًا وغلامًا بل حتى تنصرني على من يعاندني من الانام

قال الراوي فلما سمع عنترة مقاله ونظر ذلة وشوّاله رق له قلبه ورثى لحاله وقال اذا كان الامر على ما ذكرت والحال على ما وصفت فطيب قلبك واشرح خاطرك ولبك فاني اخذ لك منه بالثار واخذ لك الجارية بعد ما اترك ديار ابيها خالية فعند ذلك نهض لون الظلام وقبّل من عنترة الاقدام وقال له لا عدمتك ايها الفارس الهمام فضمه الى صدره وقبل راسه ونحره واجلسه الى جانبه واخذ يحادثه ويطايبه هذا ما كان من هولاء وما جرى بينهم من الكلام واما ما كان من صفوان الملقب ببدر التمام بن لون الظلام فانه لما أسر ابوه وجرت عليه هذه الاحكام وافترقوا من القتال والصدام ونزلوا في الخيام جمع ارباب دولته واكابر مملكته وقال لهم كيف ترون هذه النقمة التي بلينا بها فقد هلكت رجالنا وخربت ديارنا واطلالنا واني قد صرت في حالة العدم لا ادري على ماذا اقدم وانتم تعلمون ان ابي قد اسروه وربما يكونون قتلوه وانا قد طال فكري وحرت في امري ولا ادري كيف يكون على هذه الامور صبري فقام من بينهم انسان وكان فارسًا من الفرسان يسمى علوان بن معدان وقال له ما في الامر الا ان نحمل عليهم عند الصباح ونبذل فيهم السيوف والرماح لعلنا نأسر هذا الشيطان وقد خلصنا من الذل والهوان

قال الراوي فلما سمع صفوان هذا الكلام قال هذا والله تدبير يسوق الينا الوبال فلتتلافَ قصتنا مع هولاء الانذال والا طال بنا المطال وابلونا من حربهم بالذل والنكال لانني اعرف شياطين الحجاز وقد رايت فعالهم بنا وقت البراز وما في الامر الا انني اسير اليهم بنفسي في زي رسول واطلب منهم الذمام والا فلا ابلغ الماَمول واخلص ابي ومن معه من الاسارى الذين امسوا في هذه الليلة حيارى ومن الحروب سكارى وبعد ذلك اطرح روحي على هذا الذي يقال له عنتر لانه بالخير يذكر لعله يساعدني على بلاءي ويرحم ذلي وعناءي

قال الراوي فلما سمع قومه اطاعوه واجابوه الى سواله وقالوا افعل ما تريد فنحن لك ولابيك عبيد فلما كان عند الصباح وقد ركبت الفرسان على الجرد القداح ركب الملك لون الظلام واراد ان يذهب الى اصحابه ورجاله ويعلمهم بما جرى له واذا بولده قد اقبل اليه في ارباب دولته ومن يعزّ عليه ولم يزالوا سائرين في العسكر حتى صاروا قدام ابي الفوارس عنتر ولما وصل صفوان الى ذلك المقام نظر واذا ابوه واقف مع جملة القيام فتقدم اليه وساله عن حاله فحكى له جميع ما جرى له وكذلك الاخر اعاد عليه ما دبره من مقاله فلما سمع لون الظلام من ولده ذلك الكلام قال يا ولدي طيب قلبك واشرح خاطرك ولبك فقد وعدني ابو الفوارس عنتر ان ياخذ لك محبوبتك ولو انها في حجر ملك الروم قيصر

او خلف سد الاسكندر وهو والله ياولدي قادر على ما يقول لانهُ رجل مسعود وايما توجه بلغ غاية المقصود . قال سعيد بن مالك فعند ذلك زال عن صفوان الهم والترح وترجل عن جواده ومشى على التراب وتقدم وقبل رجل عنترة في الركاب وبكى وزاد بهِ الانتحاب وانشد يمدح عنترة بهذه الابيات

ياخيرَ من سمحَ الدهرُ المصون بهِ · نفســاً واعظم من تعلو بهِ الرتبُ
لازلتَ أكرمَ من لاذَ الانامُ بهِ · وخيرَ من يرتجيهِ العجمُ والعربُ
لولاكَ ما كانَ لامجدٌ ولا شرفٌ · ولا مقــامٌ ولا معنى ولا حسبُ
مولايَ عنتر يامن لانظيرلــهُ · لحلمك الجود والاحسان ينتسبُ
يامن توقد من علمٍ ومعرفــةٍ · كما توقد في ظلمائهــا الشهبُ
أجر لصفوان من جور الغرام لقد · ضاقَ الزمانُ وقد شدّت بهِ الكربُ
لازلتَ في العز والاقبال مرتفعاً · ما ناح طيرٌ على الاغصان ينتحبُ

قال الراوي فلما سمع عنترة من صفوان الملقب ببدر التمام هذا الشعر والنظام رقَّ لهُ قلبهُ وتعجب من فصاحة لسانهِ ووعدهُ بجمع شملهِ بمن يشتهي ويريد ثم ان عنترة سال لون الظلام من يكون ذلك الغلام فقال ياابا الفوارس هذا مملوكك ولدي وحشاشة كبدي وهو الذي ذكرت لك هواهُ وعشقهُ وجواه وها هو كما تراه قد انحلهُ الغرام ومن كثرة المحبة زاد بهِ السقام فلما علم عنترة بحالهِ فرح بهِ وقربهُ اليهِ وفي عاجل الحال اتوا اليهِ بخلعة فخلعها عليهِ وخلع على كل من معهُ من الرجال الكرام وبعد ذلك رجعوا طالبين الخيام وفي اوائلهم لون الظلام وولــده بدر التمام وعنترة الفارس الهمام وغصوب وميسرة وغمرة وبنو عبس فرسان المنايا والموت الزؤام

قال الراوي وكانت قد سبقت الفرسان واعلمتهم باصلاح الشان ففرحوا كلهم بذلك الخبر واستقبلوا ملكهم وصحبتــه ابو الفوارس عنترة وترجلوا جميعهم وسلموا على عنترة وهنأ وا بعضهم البعض بالسلامة ولم تكن الا ساعة حتى ضربت لهم الخيام ونزلوا فيها للمقام وذهبت عنهم الاتراح وزادت بهم المسرة والافراح وواظبوا على اكل الطعام وشرب المدام في المساء والصباح ولم يزالوا على ذلك الحال مقدار يومين او ثلاثة ولما كان اليوم الرابع انتقلوا من ذلك المكان الى روضة تسمى الجنان لانها حوت من كل فاكهة زوجان وفيها الرياض والنوار والنرجس والبهار ومن جميع الاشجار مياهها متدافقة والاغصان متعانقة والسماء قد غشيهــا غاشية من الغمام الصامت فاصبحت كانها اجنحة الرخت وقد عملت الخمرة في رؤوس القوم

و باح المحب لمحبوبهِ بالسر المكتوم

قال مجد بن هشام هذا وصفوان قد فعل بهِ المدام واشتد بهِ الوجد والهيام فتذكر محبوبتهُ اعجوبة الانام بنت الملك هام صاحب ارض ذات الاعلام فانشد يقول

حضرت بالراح فاحذران تمّ بها ... ستعمل الراح ما فاقت بهِ الغنبا
فاستوحشت وبكت في الكاس قائلةً ... يا امُّ و يلكِ اخشى النار واللهبا
فقلتُ لا ترهبيهِ عندنا ابداً ... قالت بدا الكرب قلت الضيق قد ذهبا
قالت فما خاطبي باذا فقلت انا ... قالت فبعلي قلت استغفلي الرقبا
قالت اذا جئت ما تجري فقلت لها ... اجلو مداماً لكِ قالت ارى العجبا
وصفُ اقداح راحٍ في معاهدها ... لنجتنيها وقد هيجت لي الطربا
قالت فلا تدع العربيد يشربني ... ولا المجوس ولكن اسقني العربا
ولا اليهود لان الهجر دابهمُ ... بل اسقني اليوم من لايختشي النصبا
ما بين وردٍ ونسرين يغازلهُ ... بنفسجٌ وبهارٌ يجلب الطربا
وسوسنٌ وشقيقٌ ثمَّ يصحبهُ ... بنوفر ثم ازهارٌ تزين ربي
والاقحوانُ برد الطلِّ متشحٌ ... والنرجس الغضُّ بالاغصان قد لعبا
والجوُّ يبكي وسحب الدمع هاملةٌ ... والطير ناشدةٌ والغصن قد طربا
هناك فتّلْ حمياً ومزّجها ... وعاطني الكاسَ واسقِ السادة النجبا
من آل عبس رجالٌ عزَّ جانبهم ... حازوا الفخار وجازوا المجد والنسبا
قومٌ اذا انتُدبوا في كل نائبةٍ ... تراهم في الورى ناراً ولا حطبا
مولاي عنتر ياتاج الفخار ويا ... أجلَّ من حلَّ في بيدائها طنبا
ها عبد جودك يشكو جور جاريةٍ ... لاجلها دمعة في خده انسكبا
جدْ لي بوعدك يامولاي عنترة ... فانت اكرم من اعطى ومن وهبا
لا زلت في نعمٍ تبقى مجدّدةً ... ما حنَّ الفٌ الى طيب اللقا وصبا

قال الراوي فلما سمع عنترة شعر صفوان وكيف مدحهُ بتلك الابيات الحسان قال لهُ ربح الله سرك ياغلام فوحق الرب القديم الهِ موسى وابرهيم الذي هو بما في الصدور عليم ان الجارية لك ولو كان المتعرض لها كسرى انو شروان او قيصر ملك الروم ولم يزالوا على ما هم عليهِ من السرور والافراح وتناول اقداح الراح في المساء والصباح مدة ايام وليال واذا هم بغبار قد ثار وسد الاقطار واظلمت منهُ الربى والبطاح وانقلب البر بالصياح فعند ذلك وثب عنترة

كانهُ الاسد الغضنفر وامتطى الابجر وكذلك ركب لون الظلام ومن معهُ من الفرسان وانحدرت الابطال من بين الخيام وقد ناداهم يا ويلكم البسوا العدد والسلاح واسعدوا للحرب والكفاح وكانت تجريدتهم عشرين الف فارس ما بين مدرع ولابس وقد اجتمع مع غمرة ثلثة الاف فارس والمائة والخمسون فارساً الذين من بني عبس الاشاوس

قال الراوي وكان عدد هذا العسكر الذي اقبل وسدّ السهل والوعر والجبل تسعين الف فارس كانهم الاسود العوابس وهم فرسان شجعان من جبابرة السودان وكان السبب في وصول هذه العساكر المستكثرة فارس منهم يسمى قسوره بن جوهرة وذلك انهُ لما قتل عنترة صاعقة بن عندم وانهزمت اصحابهُ كان قسوره في اوائل المنهزمين وهم متفرقون من عشرة ومن عشرين وان قسورة لم يزل يجد السير في الليل والنهار حتى وصل الى ارض الخافقة وتلك الديار وهي ديار الملك غوار بن دينار ففي عاجل الحال تقدم اليهِ واخبره بما جرى عليهِ وعلى صاعقة بن عندم وكيف هلك وحلت بهِ النقم وكذلك سويد بن عويد اضحى قتيلاً على الثرى والبيد وعساكره تشتت في السهل والوعر

فلما سمع الملك غوار ذلك المقال صعب عليهِ ذلك الحال فقال لهُ من فعل بكم هذا الفعال قال فعلت بنا غمرة بنت الانذال والاوغاد ومعها فارس من ارض الحجاز يقال لهُ عنترة بن شداد فلما سمع غوار ذلك الخبر شخر ونخر وهدر وزمجر وطار من عينيهِ الشرر وتغيرت منهُ الاحوال وقال لقسورة وفي كم يكون هولاء الانذال فقال لهُ وحياة راسك في عساكر بعدد الحصى والرمال فلما سمع ذلك حار في امره وضاق ما حل بهِ صدره وتغير منهُ الحواس واطرق للارض براسهِ وقد تصاعدت انفاسه ونظر الى من حولهُ من ارباب دولتهِ وجلاسهِ وقال لهم اشيروا عليّ بماذا افعل وكيف يكون العمل فقال لهُ وزيره الذي هو مدبره ومشيره الخطاء يا ملك كان منك في الاول لانك ما اتممت العمل وقد ابقيت على تلك العاهرة غمرة ولحقتك عنها الغفلة والفترة حتى انها ذهبت الى ديار بني عبس وعدنان واستنجدت بهذه القبائل والعربان الذين كانهم جن سليمان والان فهذا شيءٌ مضى وفات وما بقي الا انك تجمع العساكر من قريب وبعيد وتلقاهم بجيش شديد والا فلا تبلغ ما تريد اذ ربما تجمع عليك هذه العاهرة كل من في الصحراء وتسمع بني قضاعة انها عادت الى هذه الديار فترجع اليها من سائر الاقطار فتقوى بهم شوكتها وتشتد همتها وتخرب البلاد والقرى وتهلك بفعلها جميع الورى . قال الراوي فلما سمع الملك من وزيره هذا الكلام خاف على ملكهِ من الانصرام واقبل على وزيره وقال لهُ اذا كان هذا حسابك فانا اسير بنفسي هذه المرة ولا

اعود الى ان اجعل ديارها خراباً حتى لا يبقى لي من دولتي معاند وافني العدو والحاسد واقبض على غمرة ومن معها من الفرسان واقتل الكل في هذا المكان ولا ادع منهم انسان فلما سمع وزيره هذا الكلام قال له ايها الملك هذا ليس بصواب فمن هم هولاء الكلاب حتى تسير اليهم بنفسك وتخرق حشمتك وناموسك والراي الاحسن انك ترسل اليهم فارس دولتك الذي لا يخاف من شرب كاس المنون وهو راس الغول ابن ابي القرون

قال الناقل لهذا الكلام ان هذا الفارس الذي ذكرهُ الوزير بهذه الصفات هو الذي كسر عساكر غمرة لما فقدت ابوها ومات وهو الذي نهب ديارها وابلاها بالشتات وفعل فيها ما فعل من السيئات ثم انهزمت منه الى بلاد الحجاز وتلك الوهاد وشكت حالها الى ابي الفوارس عنترة بن شداد وجرى من القصة ما جرى فلما سمع غوار ما اشار بهِ وزيره استدعى بهذا الشيطان المفتون راس الغول بن ابي القرون وحكى لهُ ما جرى عليهِ من الغبون واطلعهُ على ما فعلت غمرة هي ومن معها من الرجال ثم قال له وقد استدعيتك لهذا الحال فقال له راس الغول وحق القمر اذا انار والليل اذا اتى بالظلام والاعتكار ان انت الى هولاء القوم ارسلتني ولقتالهم انفذتني لاتيك بهم مربطين بالحبال والاصفاد ومن جملتهم هذا الفارس الذي يقال له عنترة بن شداد والراي ايها الملك انك لا تخرق ناموسك مع هولاء القوم ولك فرسان تزيل عنك ضرّك وبوسك فلما سمع الملك غوار من راس الغول ذلك المقال قال له انا ما استدعيتك الا لعلمي بانك بطل من الابطال وقيل من الاقيال ثم انه في ساعة الحال فرق الخيل على جميع الرجال ومامضي على ذلك الا ايام قلايل حتى امتلات الارض بالفارس والراحل فغمرهم غوار بالنعم وخلع على كل من كان منهم مقدم

قال الراوي فلما تكامل جمعهم عولوا على المسير الى عدوهم فقال الملك غوار لوزيره تولّ انت امرهم وسيّرهم للاعداء حتى يكفونا شرهم فانتخب الوزير ثلثين الف فارس ما فيهم الاّ كل مدرع ولابس وقال بهولاء المنع المقصود من الاعداء ولو انهم عاد وثمود ولا سيما ان كان لون الظلام قد جمع العساكر من اولاد حام يبدأ بهم وقت الحرب والصدام فعند ذلك رحل راس الغول بالعساكر وسار بذلك الجيش الذي مثل السيل السيّال اذا انسكب وغبارهم على الاقطار قد طنّب الا انهم ما ساروا غير سبعة ايام حتى لاقاهم خلق كثير من اولاد حام وهم عائدون من الوقعة التي كانت بين عنترة ولون الظلام لانهم لما اصطلحوا انهزم جماعة من الذي كانوا مع ولده بدر التمام وقالوا لبعضهم البعض امضوا بنا الى الملك غوار نعلمهُ بهذه الاخبار لعلهُ ياتى وياخذ لنا بالثار فلما نظروا الى ذلك الجيش

مالوا اليه وجعلوا طريقهم عليه فسالوهم عن حالهم وما تم عليهم ونالهم فاخبروهم بجميع ما جرى لهم فقال لهم وجه الغول هل قتل لون الظلام فقالوا لا وحياتك ايها الملك الهمام ما قتل ولكنه صار لعنترة من جملة الاعوان فلما سمع وجه الغول منهم ذلك الكلام صعب عليه واصابته الاوهام وقال كيف كان هذا الحال الذي حل بكم فقالوا اعلم ايها السيد اننا قاتلناهم ثلاثة ايام فافنوا منا خلقاً كثيراً بالحسام وكنا قد عولنا على الهرب والانهزام فسار بنا ولده بدر التمام عندهم لينظر ما كان من امر ابيه لون الظلام فوجده قد صالح عمرة وعنترة وهم في غاية الاكرام فانزلوهم عندنا في الخيام واطعموهم الطعام وادارو عليهم كؤوس المدام وبعد ذلك احتكم بينهم الذمام فلما نظرنا نحن الى هذا النقض والابرام قلنا نحن نسير ونعلم الملك غوار بهذه الاخبار وهذا ما تم وجرى من الاحكام ونحن ماجئنا اليكم الا هاربين والى نحو الملك الكبير طالبين فلما سمع وجه الغول منهم ذلك الكلام رجع بهم معه وخلطهم بعساكره ورفاقه ثم رحل وسار مثل المجنون وهو يحدث نفسه بشيء يكون وشيء لا يكون وهو يقطع البراري والقفار منشداً هذه الابيات

انا الفارس الكرّارُ في حومة الوغى اجندل اعدائي ببيض بوارقِ
اجرّعهم كاسَ المنونِ بصارمٍ وافنيهمُ في حربها المتطابقِ
انا الاسد المعروف من نسل ماجدٍ جريءٌ على الاقرانِ يومَ الحقائقِ
وكم رامَ حربي فارسٌ متغشرمٌ فخرّ خضيباً في دمٍ منهُ دافقِ
وانيَ وجهُ الغول من خير معشرٍ اقطع هاماتِ الجيوش الفيالقِ
وان عيروني بالسوادِ فادروا بان فضلت بدرَ السماء مشارقي
وان سوادي لا يعاب وانما ارى العيب مفطوراً بوعدِ منافقِ
الا يا بني عبسٍ اتاكم غضنفرٌ فهل فيكمُ قرنٌ كريمٌ موافقي
ساتركهُ في الارضِ ملقى معفراً يقلبهُ المنقارُ من كل ناعقِ

قال الراوي ولما فرغ راس الغول من شعره اخذ يجد السير هو وعساكره ويقطعون البراري والقفار والسهول والاوعار حتى كادت الارض تميد بهم الى ان اشرفوا على بني عبس وهم في اكلهم وشربهم فلما نظروا الى تلك العساكر وقد اقبلت كانها البحور الزواخر تركوا ما كانوا فيه من المدام وركبت الفرسان واستعدت للحرب والطعان وخرجوا لاستقبال ذلك العسكر وفي اوائلهم ابو الفوارس عنتر وهو نشوان من خمر الدنان وقد خلع عنه ثياب الزرد ولبس ثوباً حريرياً اسود فلما نظر شيبوب اليه وقد فعل تلك الفعال خاف عليه

من الوبال وقال له ويلك يا اخي ما هذه الفعال التي لا يفعلها الا الجهال الذين لم يخطر الموت لهم على بال ويلك اما ترى هذه العساكر التي كانها البحار الزواخر.

قال سعيد بن مالك فعند ذلك صاح عليه عنتر بصوت يصدع الحجر فوقع على ظهره وانحدر وقال له عني يا ابن اللئام تقول هذا الكلام ومني تخشى صناديد الرجال وتخافني اسد الدحال ومن هم هولاء الانذال حتى تخافهم بحال من الاحوال ثم انه صاح في عروة ورجاله وامر بني عبس ان تفعل كفعاله وقال لهم يا بني عمي اذا لقيتم الاعداء فارموا من ايديكم عوامل الرماح واستعملوا الضرب بالصفاح لان الرماح لا تصلح الا اذا اقترب الكفاح وتفرقوا في عرصات البيدا ولا تصطفوا بل كونوا ستائر لسهام العدى على ان السهام لا تخطئ وتصيب الا بامر الرب المجيب الذي يعلم الاجل بعيداً كان او قريب وبادروا اعداءكم بالحملة في حومة الميدان وامتزجوا معهم امتزاج الماء في خمر الدنان

قال الراوي ثم اخذ يحرض الرجال على القتال و يرتبهم يمينًا وشمال ولم يزل على مثل هذه الحال الى ان اشرفت العساكر كالغيث الهطال وتتابعت مثل الغمام السيار وامتدت في الارض يمينًا ويسار وحملت من سائر الاقطار فلقيها بنو عبس السادة الاخيار وحملت معهم عساكر لون الظلام وحملت غمرة ومن معها من بني قضاعة الكرام وزاد الكرب على الفرسان وصبرت الشجعان وكلت الابدان وتبادرت الاقران وطلعت الغبائر الى العنان وقد انعقدت مثل الدخان وحارت النواظر والاذهان واصطدم الجيشان واتصل بينهما الضرب والطعان وقد صارت الاراضي من القتلى كحلة ارجوان وكان يومًا من ايام الزمان بيعت فيه النفوس بيع الهوان وضجت تلك الارض والسكان من ركض الخيل وزعقات الفرسان وودعت الارواح الابدان وعلا الغبار واظلمت منه الافاق وكثر الصياح والزعاق ونزل على الجميع القضاء والقدر من الواحد الخلاق وقامت الحرب على قدم وساق وكثر في السودان المحاق فلله درّ عنترة كم قطع من الاعناق وقاتل قتالاً تعجز عن وصفه السنة الحذاق لانه ما حمل على موكب الا وتكبكب وقد سطا على السودان والعرب وخطف الارواح ونهب وفرّق المواكب في كل قفر وسبسب

قال الراوي هذا وقد نظر راس الغول فعاله فهالته اعماله وخاف منه على رجاله فحمل من تحت الاعلام يطلب الحرب والصدام واشتدت الاهوال وهلكت الرجال وجاء الحق وذهب المحال ونظرت السودان الى احوال ما كانت لهم على بال ولم يزالوا على ذلك المرام وهم في صدام ولزام يشيب راس الغلام قبل الفطام الى ان اظلم الظلام وافترقوا وهم سكارى

من غير مدام وعادوا الى المضارب والخيام وقد ربحت بنو عبس الاخيار واستظهروا غاية الاستظهار ولولا خوف السودان من الملك غوار لطلبت الفرار وانما لهذا السبب صبرت على الهلاك والدمار فزعًا من الذل والعار وكان السودان الذين مع لون الظلام قد نهبوا بعض المضارب والخيام لبني حام لما اشتغلوا مع بني عبس و بني قضاعة في الحرب والصدام ورجعوا وهم فرحون بالنصر والظفر وما منهم الا من يثني على ابي الفوارس عنتر واما راس الغول فانهٔ رجع الى خيامهِ وهو لا يعرف ما وراءه ولا قدامهُ واجتمع بوزير الملك غوار وسالهُ ما يفعل من الافعال فقال لهُ الوزير ايها البطل انني اخاف على العسكر من الانكسار و بعد الديار والتشتت في البراري والقفار وان يحل بهِ الهلاك والدمار

قال مجد بن هشام فلما سمع راس الغول هذا الكلام صار الضياء في عينيهِ كالظلام وقال لهُ ما هذا القول الوخيم وانا في غداة غد اريك العجب لانى اريد ان اتولى الحرب بنفسي فتنظر ما افعل بهولاء من الهلاك وانزل بهم النكال وآخذ عنترة فارسهم اسيرًا فعند ذلك طاب قلب الوزير بما ابداه من ذلك التدبير واقاموا طول ليلتهم ينتظرون ما يتجدد ورتبوا لهم حرسًا في ذلك الظلام الاسود فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من بني عبس وعساكر لون الظلام فانهم لما استقرَّ بهم المقام اراد عنترة ان يرتب رجالهُ لحرس السودان فما مكنهُ صفوان بل قال لهُ ياصاحب الهيبة والحرمة انا انوب عنك في هذه الخدمة واطوف انا ورجالي من حول الخيام لانك انت المولى وانا الغلام فلما سمع عنترة مقالهُ شكره واثنى عليهِ ودعا لهُ ثم ان صفوان اخذ من قومهِ ثلاثمائة فارس و بات للعساكر حافظًا وحارس وتذكر محبوبة قلبهِ فجالت بهِ الوساوس و بقي يتطلع نحو ديار محبوبة الانام وكلما طال عليهِ الليل قلق وهام و بكى من شدة الغرام ولم يزل على تلك الحال حتى اصبح الصباح فعند ذلك تقدمت الرجال وركبت الابطال يطلبون الحرب والقتال الا ان السودان ايقنوا ببلوغ الامال وطمعوا في ذلك الوعد الذي وعدهم بهِ راس الغول وتسابقوا على الخيول وشهروا الصوارم طالبين الاستعجال على كسب الاموال والذخاير فتلقاهم ميسرة وغصوب وعروة وسبيع اليمن حتى نظروا حربًا تشيب الحدق وطعن ياخذ الانسان منهُ القلق فزالت الاطماع من قلوبهم ورجعوا وقد انكسرت نفوسهم وكان قتالهم قصيرًا لان غصوبًا وميسرة وعروة ومن معهم من الرجال اوقعوا الهيبة في قلوب الابطال وطرحوا السودان في جنبات القيعان ولم يزالوا على ذلك الامر المهول حتى ردهم بعد ساعة راس الغول لانهُ اعجبهُ قتال بني عبس عند ما التقى الجمعان فاشتاق قلبهُ الى الجال معهم في الميدان لانهُ كان فارسًا شجاعًا وقرمًا

في الحرب والقراع ونفسه على كل حال نفس ملك مطاع فعول ان يترك مكانه ويخرج الى القراع فعند ذلك تقدم اليه فارس من الفرسان الهواش يقال له الرهاش بن الرعاش وقبل الارض بين يديه وقال له ايها السيد تمهل بحق اللات والعزى ولا تعجل حتى ابرز انا الى الميدان واريك ما افعل مع هولاء الفرسان فلما سمع راس الغول مقالة اجابه الى سواله وقال عجل الى ما تريد وتوملة واذا ظفرت بعنترة لاتقتله بل ايتني به اسيرًا حتى اسير به الى الملك الكبير فقال السمع والطاعة ها انا خارج اليه في هذه الساعة ثم خرج على جواد اصفر عالٍ مضمر يسبق الريح في المسير ومعه سيف مرهف ماضٍ كانهُ الموت الاحمر على النفوس قاضٍ يشرب الحتوف ثم انهُ ساق في الميدان حتى لين عريكة الحصان وانشد يقول

ابرزوا نحوي فقد طال حرابي　　واقلوا اللوم في طول الخطابِ
قد اطاع السيف كفي وبه　　الفت يوم الوغى ضرب الرقاب
فاتركوني وبني عبس فذا　　يومنا يوم طعانٍ وضراب
يابني عبس افيقوا واسمعوا　　قول راسه ومشيرٍ بالصواب
ان هذا اليوم يوم منكرٌ　　طاب فيه الموت ايّ مستطاب
لاتركت اليوم منكر فارسًا　　غير منهوشٍ طعامًا للذئاب

قال الراوي فلما اتم الفارس كلامهُ وما نطق به من شعره ونظامه حمل عليه غصوب وصار قدامه وهو راكب على جواد اجرد اذا جرى لاتلحق الخيل له مدد وعلى صدره زردية من اضيق الزرد مضاعفة العدد لايقطع فيها الصارم المهند ولا يخرقها الرمح المسدد وعلى راسه ترك كسروي قد صُنع من الفولاذ القوي وفي يده سيف ماحق كانهُ البلاء الطارق ثم انهُ انطبق عليه انطباق الاسد وزعق فيه زعقة الليث اذا حرد وطعنهُ في فواده نكسهُ عن ظهر جواده فانقلب الى الارض يخبط في دمه ويضطرب في عندمه ونادى بافصح كلام ويلك تهددنا بالكلام ياابن اللئام ونحن ابطال بني عبس الكرام المدعوين بين الانام بالموت الزوّام فلما راوا من غصوب هذه الفعال هابتهُ الابطال ولم يبرز اليه احد لا ابيض ولا اسود فعندها حمل على الفرسان واجاد فيهم الضرب والطعان فالتقتهُ الشجعان وتكردست عليه الاقران وطاب لهُ الطعن في الصدور والابدان وظهر منهُ ما حارت منهُ الفريقان وكان يومًا من ايام الزمان لانهُ ما عبر عليه نصف النهار حتى قتل مائة فارس كرار فعند ذلك ابعدوا عنهُ الفرسان وهابتهُ الشجعان فرجع الى قومه وغير الحصان ورجع بعد ذلك الى الميدان ثم انهُ صال وجال وترنح على ظهر الحصان وانشد هذه الابيات

انا ناهبُ الارواح في حومة الوغى — وان كريمُ القوم يعطي وينهبُ
فلم أكُ في خطب الحياة مسالمًا — ارى الموت في يوم الكريهة يعذبُ
ودعني انال الحظ والطعن والعلى — فان الفتى بالطعن يعلو وينسبُ
كانك لم تدرك من الدهر ساعة — اذا لم تكن تدري لما انت تطلبُ

قال الراوي ثم انهُ بعد ذلك نادى يا بني الزواني ابرزوا الى هذا الفارس العدناني واطلبوا الانجاز قبل ذهاب النهار . هذا كلهُ يجرى وراس الغول واقف يسمع ويرى وهو من ذلك الحال قد زاد بلبالهُ وتغيرت احوالهُ وصارت عيناه مثل الجمر عند اشتعالهِ فلما زادت بهِ الاوهام خرج من تحت الاعلام وهو يهدر كانهُ سبع من سباع الآجام وطلب غصوبًا مثل الجارح اذا طلب الحمام فلما ساواه في ميدانهِ صال وجال وانشد مجاوبًا لهُ على شعره وقال

الا ابرزوا يا بني الانذال واتخبوا — طاب الطعانُ ونار الحرب تلتهبُ
لفارس ما لهُ في عصرهِ شبهٌ — تفاخر العجمَ في افعالهِ العربُ
اليوم اقضي ديوني منكمُ رغمًا — بابيض رجفت من هولهِ الركبُ
وأترك الخصم ملقىً ليس يعرفهُ — سوى وحوش الفلا للحم تنتهبُ
افني بني عبس بالصمصام كلهم — اذ لا يصانُ لهم راس ولا ذنبُ
لانهم قد اساءوا الخلق واجترموا — وهم على العرب كالنيران تلتهبُ
فدونكم يا بني عبس لقا رجل — اذا انتضى سيفهُ لا ينفع الهربُ

قال الراوي ولما فرغ من شعره والنظام سل في يده الحسام الهندي وكان افة من الافات وبلية من البليات يقاتل بسائر السلاح ولا يضجر في الحرب والكفاح ولا يقف قدامهُ رجال اذا صاح وكان عليهِ يومئذ كازغند مدفون بزرد صغار العيون وعلى راسهِ ترك فولاذ لا تعمل فيهِ السيوف الحداد ولا تخرقهُ الرماح المداد

قال الراوي فلما نظرت غمرة اليهِ خافت على ولدها منهُ وارادت ان تخرج اليهِ وتردهُ عنهُ فعند ذلك تقدمت الى عنتر واعلمتهُ بجلية الخبر وقالت لهُ انا خائفة من هذا الفارس على ولدي واخاف ان يحرق عليهِ كبدي وانا اريد ان اخرج اليهِ واردهُ ولدي من قدامهِ واحمل عليهِ

قال الراوي فلما سمع عنترة مقالها ردها عن فعالها وقال لها قفي مكانك . انا ابلغك امالك لان هذا الشيطان مصادم وما لهُ في الحرب غيري مقاوم ثم انهُ ساق الى ان وصل الى ولده وقال لهُ ارجع ياولدي عن هذا الشيطان فقد كفاك ما لقيت اليوم من الفرسان فلما سمع غصوب كلام ابيهِ علم ان هذا شفقة منه عليهِ فعند ذلك رجع الى امهِ فضمته الى صدرها وقبلته

بين عينيه وشكرته واثنت عليه الا ان راس الغول لما رأى ذلك صعب عليه كيف رد خصمه من بين يديه

ثم انه اقبل على عنترة بقوة واقتدار وقال له ويلك يا نسل الاوغاد من تكون انت حتى رددت خصمي عني وعقتني عن اخذ الثار فقال له يا نسل القرود واخس هذه البلاد انا عنترة بن شداد اعظم العرب همة واشدها عزمة . على ان اللسان عن وصفي قصير والذاكر لمكارمي اعمى غير بصير لانني معدن الكرم والفخار واوحد هذا الدهر والعصر ونيلي مبذول وعدوي مخذول وخصمي مقتول ودمه مهطول اضرب بالصفاح الحداد واطعن بالرماح المداد . اقدح العرب زنادًا واطيبها ميلادًا واثبتها جلادًا احية بطن الواد ابو الفوارس عنترة بن شداد ومع هذا اني ما دخلت هذه البلاد الا لآخذ لغمرة بالثار واقلع منكم الاثار واخرب هذه الديار ولا ابقي فيها نافخًا ينفخ بنار

قال الاصمعي فلما سمع راس الغول من عنترة ذلك الكلام صار الضياء في وجهه كالظلام ثم قال وافرحاه اليوم اعرفكم من هو الفارس الصدام ومن هو الذي يقوم بهذا الكلام ثم انه حمل على عنترة كانه الاسد الضرغام فتلقاه عنترة بنية فاترة . وطلعت على الاثنين الغبرة وكان لهم وقعة عسرة اذهلت من الشجاع بصره وابصرت الارض ضيقة مختصرة ونزلت عليهم الاقدار المقدرة فسبحان من سبب للارواح اسباب الفناء والشقاء وتفرد بالدوام والعزة والبقاء هذا والفارسان قد اظهرا عجبًا حتى شكت الخيل من تحتها ومشت بعد ان سارت الهوينا خببًا وصارت الارواح علقًا وسالت الاجسام عرقًا . وجاع الاثنان وخيلها وعطشا وحارا من بعضهما واندهشا ومضى اكثر النهار مندرجًا وبان البر ضيقًا حرجا . وذل راس الغول قدام عنترة وطلب فرجا فلما رأى عنترة منه ذلك حاذاه حتى ساواه وطعنه برمحه العسال في جانبه الشمال واذا به عن سرجه مال كانه جبل من الجبال ثم انه زعق يا لعبس يا لعدنان انا عنترة ابو الفوارس ثم رأى السودان راس الغول وهو على وجه الارض معفر فعند ذلك حملوا على عنترة مثل الليل البهيم وهم ينادون نداء عظيماً يالك من فارس شديد وبطل صنديد قصف الله عمرك وكفى العالم شرك . لقد قتلت فارس البيداء

ولما نظر عنترة الى السودان قد حملت ولاعنة خيلها ارسلت اشار بكفه وزعق في بني عبس فحملت من خلفه واجابت نداه والقت الصوت بقلوب اعداه وقد حلا لها الموت وقام الحرب بينهم على ساق وقدم وهاج بحر المنايا والتطم وانقد جمر الموت واضطرم وانقطع حبل المنايا وانصرم وتثلمت السيوف من وقعها على القمم وقطرت اسنة الدم مثل

القطر اذا انجهم واسودّ الافق واظلم وعلى الدنيا طنب وخيم والتطمت المواكب والامم وطارت الجماجم عن الابدان ولم يبق منهم الا الرمم وشابت المفارق واللمم وكان السيف في ذلك اليوم اوفى حكم وجار في حكمه وظلم وضاق المكان على الجميع وازدحم ونادى بعضهم بعضاً فلم يسمع المنادي من كثرة الامم وامطرت السماء من المصائب عليهم قطرات من الدم ورمرعليهم سبع الحمام ونهم وعاد الوجود كالعدم هذا والشجاع همهم والجبان دمدم والبطل تقدم والنذل انهزم واللسان الفصيح انعجم وصارت الرجال تهدر مثل سباع الاجم وتتكلم بكلام لايفهم والسودان قد هلك منها كل من كان مقدم وقد اشرفوا على الهلاك والعدم وفعل ذلك اليوم لون الظلام وابنة فعالاً حارت منها جميع الامم وما منهم الا من اظهر شدته وعزمه وكذلك سودانة وبنو عمهواما غمرة وولدها غصوب واخوه ميسرة فانهم كانوا مثل النار المسعرة اذا عملت في يابس الحطب واظهروا في ذلك اليوم العجب . وحارت من قتالهم الاوهام والفكر ونثروا الابطال بالصارم الذكر

قال الراوي ولم تكن الاساعة على هذا الخبر حتى فرق عنترة الجنائب الاخر وطوائف السودان والعرب وزالت عن عساكره الهموم والكروب لانهُ ماحمل على موكب الا وطلب الهرب وماذهب النهار واقبل الغيهب حتى ولت عساكر السودان وقد تفرقت في كل قطر وسبسب وعادت بنو قضاعة وعساكر لون الظلام وهم يثنون على عنترة البطل الهام ويدعون لهُ بطول العمر والمقاالاجل ما قاسى في ذلك اليوم وما التقى لانهُ عاد من الحرب والطعان وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من ادمية الفرسان وهو سائر قدام الرجال وقد ترنح في سرجه ومال لما رأى نفسهُ قد طال واستطال فانشد وقال

سل البان عمن بان او سل شذا الرندِ ... اذا ماوصلتَ مرتعَ العلم السعدي
وسل اهلها هلا رايتم عبلــةً ... مرجرجة الارداف وردية الخدِ
ويابرق التي من سحابك غدوةً ... على ساحةٍ ذرت عليها ذكا السعدِ
وخل الندى ينهلّ كل عشيةٍ ... على زهرها المخضلّ باللظى وجدي
لتذكرني يابرق في كل ساعةٍ ... وتعلم اني لست انقض من عهدي
وان سالت يابرق عني فقل لهـــا ... باني تركت الليث يضرب بالهندي
وانّ حسامي ياعبلة قاطعٌ ... يقد طلا الاعداء بل هامة الاسدِ
فلو مثل الموت الزؤام لقيتهُ ... بقلبٍ شديد الباس كالحجر الصلدِ

قال الراوي فلما فرغ من شعره قال لهُ لون الظلام ربحّ الله سرك وشرح صدرك فلقد

المنيت القطاع بكسر هذا العسكر الثقيل الذي ليس بقليل
قال الراوي ولم يزالوا على هذا الكلام حتى وصلوا الى الخيام ونزلوا فيها وهم فرحون بنيل المرام هذا وعساكر السودان يقولون لبعضهم وحق الملك العلام ما قصّر لون الظلام بصاحبة هذا الفارس الهمام الذي ما له في هذا الزمان من مثال ولا يقاومه احد من الرجال ثم انهم باتوا وهم في غاية الآمال فلما اصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح استشاروا في المقام والرواح وطلب عنترة ان يسير بمن معه من السودان كافة ويتبع السودان الى بلاد الخافقة فقال له لون الظلام ايها الفارس الهمام لا بد لنا من الراحة هنا ثلاثة ايام فقال له عنتر ربما انهم يجتمعون و يعودون الينا في هذا المقام ويجرد علينا الملك غوار كل من في هذه البلاد والديار . قال الراوي فلما سمع لون الظلام من عنترة ذلك الكلام قال لهُ افعل ما بدا لك من الاحكام فعند ذلك رحلوا في اثني عشر الف فارس من كل مدرع ولابس وعنترة في المقدمة ومن حوله فرسانه واصدقائهُ وغروة ومخصوب وميسرة وصفوان الى جانبه وكذلك فرسان بني قراد وهم يقطعون تلك البراري والمهاد وصاروا كلما رأوا حلة نهبوها واموالاً اخذوها ولم يزالوا على ذلك الشان الى ان اشرفوا على ارض كثيرة المياه والغدران يقال لها صفرات الجنان خضرات المروج والغدران . الغزلان في جنباتها تمرح بربوات مدبجة واماكن منفرجة كثيرة النبات والربيع وهي تزهو بمنظرها البديع فلما نظروا الى تلك الارض وهي اعجب من كل عجيب نزلوا فيها وكان قد اضرّ بهم التعب فاقبلت عليه عمرة وقالت لهُ يا ابا الفوارس انزل بنا في هذا المرج الاخضر حتى نريح الخيول من التعب وافرّجك على ما في هذه الارض من العجب لاني اعرف فيها شجرة ازلية قدر القرية المبنية وعليها طيور كثيرة من سائر الاجناس حتى انها من كثرتها لا يحصي لها احد قياس وفي هذه الشجرة يا ابا الفوارس سرٌّ لا يعلمهُ الا الله

الكتاب السابع والثمانون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

قال الراوي فلما سمع عنترة كلامها في وصف الشجرة قال لها وما هو السر الذي قد اودعه الله هذه الشجرة فقالت اعلم يا ابا الفوارس ان التجار اذا اتوا هذه الارض ووصلوا الى هذه الشجرة يحط كل واحد منهم تجارتهُ على حدٍ من الارض حتى لا يختلط بعضها ببعض ثم

يعودون الى منازلهم ويتركون تحت الشجرة تجارتهم فاذا اصبح الصباح قصدوا تلك الشجرة من سائر النواحي فيجد كل واحد منهم تجارة الى جانب تجارته تصلح لاقليمه واهل بلدته وتتبدل التجارات ببعضها فان رضي بالعوض اخذهُ وترك بضاعته التي وضعها وان لم يرضَ ياخذ تجارته

قال الراوي فلما سمع عنترة من غمرة ذلك المقال اخذته الحيرة والاندهال وقال لها والبضاعة التي تترك تحت الشجرة ماذا يجرى بها فقالت يا ابا الفوارس لا احد يعلم ما يحل بها ويصيبها ولا من هو الذي ياخذها ولا من يردها فتعجب عنترة وكل من حضر ثم اقبل على غمرة وقال اريد ان انظر هذه الشجرة وابصر كيف تكون هذه الحال فعندها نهضت غمرة وعنتر وجماعة من حضر واخذوا معهم قماشًا واشياء من التي كانت معهم مذخرة ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى الشجرة فوجدها من الاشجار العظيمة التي لم يكونوا قد راوا مثلها في سائر الاقطار تظلل خمسمائة فارس فتعجبوا من ذلك ووضعوا القماش الذي معهم تحتها ثم رجعوا عن تلك الشجرة ونزلوا بعيدًا عنها بمقدار نصف فرسخ بحيث يرونها وكان عنترة قد صدق الخبر لكن خطر في بالهِ وتفكر وقال ربما يكون لهذه الشجرة شان او اقوام ساكنون في هذا المكان يفعلون هذه الفعال وياخذون هذه الاموال

قال الراوي ثم باتوا في تلك البطاح الى ان اصبح الصباح فعند ذلك ركبوا وساروا ولو كان لهم اجنحة لطاروا فلما وصلوا الى تلك الشجرة زاد عجبهم واندهاشهم لانهم نظروا الى امتعة بجانب قماشهم فتعجبوا من ذلك غاية العجب ولم يعلموا لذلك سبب ثم انهم اخذوا القماش الذي وجدوه وخلوا القماش الذي تركوه وعادوا راجعين وفي ذلك الامر متفكرين ولم يزالوا سائرين يومهم الى ان وصلوا عند قومهم ونزلوا في خيامهم وقد جعلوا ذلك المرج مقامهم فهذا ما كان من هولاء وحديثهم واما ما كان من الملك غوار بن دينار فانهُ كان لراس الغول ومن معه في الانتظار حتى ياتيهِ بغمرة وعنترة في ذلة الاسر ولم يحسب عواقب الدهر وما زال هو ومن عنده مترقبين الاخبار حتى وصل اليهم المنهزمون وهم في البراري منقطعون من عشرة ومن عشرين واخبروه بقتلة راس الغول وما جرى عليهم من ذلك الامر المهول ثم بكوا لعظم ما حل بهم من الذل والهوان وقالوا لهُ لقد قتل منا في هذه النوبة فرسان تبقى نسوانهم واولادهم لابسين السواد عليهم الدهر والزمان ثم انهم اخبروه بجلية الخبر وما لاقوا من الذل والعبر وما قاسوا من هذا الفارس الذي يقال له عنتر وكم قتل منهم وكم اسر

قال الراوي فلما سمع غوار ذلك المقال وقع بهِ الذل والاندهال ورجفت مما حل به

اعضاه واحسن ببلاه وايقن بزوال ملكه وفناه ثم اقبل على من بقي من العسكر وقال والله يا بني عمي أما قلت انكم تلقون من هولاء القوم هذا الملتقى وانه يحل بكم هذا الذل والشقا . على اني انا الذي فرطت في امري بقعودي عن المسير والا لو كنت انا معكم لكان العسير يسير ولكنت ارحتكم من هذا العبد الحقير وما في الراي الا انني اسير بروحي في كل من في الاحياء والا شمت بنا الاعداء لان هولاء القوم ان كانت صفتهم هذه الصفة فلا يغلبون الا بالمكاثرة وقلة النصفة فعند ذلك قال له قسورة وحق من له العزة والقدرة ما الداهية الدهيا والمصيبة العظمى الا من هذا الذي يقال له عنتر لان سيفه في الحرب لا يبقي ولا يذر وانه هو الذي يعسنهم ويقويهم على هذا الفعل المنكر وهو الذي قتل الرجال واباد الاقيال وان لم يقع له فارس يقهره والا اهلك كل من رام قتاله ودمره

قال الاصمعي فلما سمع غوار من قسورة هذا الكلام قال له من قتل راس الغول قال له قتله من لا يخاف الاساد وهو ابو الفوارس عنترة بن شداد الذي خافته فرسان الطراد وذلت له ملوك البلاد وقد صحبة لون الظلام وولده بدر التمام وجميع من معهما من العسكر من اولاد حام ومعهم عربان الحجاز وبنو قضاعة وخلق كثير وفرسان ليس لهم في الحرب نظير ولما قتل عنترة راس الغول وتركه مجندلاً في الفلاه عدنا ونحن لا اصدق بالنجاه وعنترة خلفنا في الاثر وهو يضرب فينا بسيفه الذي لا يبقي ولا يذر ويصيح علينا ويقول عودوا الى ملككم غوار واعلموه بهذه الاخبار وانني لابد ان اتي اليه وابيد رجاله وازيل ملكه واطلاله واسبي حريمه وعياله لانه لا يحفظ الجميل ولا يرعى حق خليل اما كان لغمرة عليه حق الجوار فيكف شره عنها ويبقيها ويرعى لها ما كان من حقها على حياة ابيها فدعه ياخذ مني حذره ويجمع جموعه وعسكره فلا بد لي من المضي اليه وقطع راسه من بين كتفيه .

قال الناقل فلما سمع غوار من قسورة هذه الاخبار قامت قيامته وتغيرت حالته وقال ما بقي لي صبر عن عنترة وحماقته ولا بد لي ان اقطع شافته وابيد جماعته واقتل غمرة وكل من معها واعرفه بانها مشؤومة على كل من تبعها ثم انه في ساعة الحال امر ان يحضر المقدمون والابطال فلم تكن الا ساعة حتى حضروا على قدر طبقاتهم من الاكابر ومن يجرى مجراهم وفي اوائلهم عكاش بن رياش وواقد بن الرعاش وسادات بني حام وابطال العرب من اولاد سام فلما اجتمعوا في ذلك المكان قال الملك اعلموا ياسادات العرب والسودان ان الامر صعب بعد ما كان قد هان هذا الفارس الذي هو عنترة بن شداد قد نما بغية وزاد باطاعته عساكر لون الظلام وبنو قضاعة مع غمرة بنت اللثام وصاروا يداً واحدة ولهذا

السبب يغلبون كل العساكر الواردة وان سمع الملك همام بما جرى علينا من الذل والهوان واني قد عجزت عن هذا الهجين ومن معهُ من العربان اضعنا عنده كل حرمة ومكرمة وقلت قيمتنا بعد ما كانت معظمة فلما سمع امراء السودان من الملك غوار ذلك الكلام كثرت الاقاويل واختلفت الناس في قال وقيل فعند ذلك وثب من بينهم رجل يقال لهُ قرة العين ابن عفيف الوالدين وكان هو الوزير والقيل المشير وقال ايها الملك الراي ان ترسل اليهِ رسولاً يكون ذا عقل وفصاحة اذا تكلم يعرف ما يقول فيرده عن هذه الامور قبل ان يقع في المحذور واذا عاد الرسول من عنده بالجواب عملنا على قدر ما نسمع من الخطاب فقال لهُ الملك اذا كان الامر على ذلك الشان فكن انت الرسول واجتهد فيما تقول وحذره ممن اجتمع عندنا من الابطال ولعلك تطفىء هذه النار التي قد زادت في الاشتعال وترده عن هذه الحال ونحن نرد على غمرة ما اخذناهُ لها من الاموال ولا نترك لها عقالاً لكن على شرط انها اذا استقرت في البلاد ترسل لنا الخراج والعداد

قال الراوي فلما سمع الوزير ذلك اجاب بالسمع والطاعة وقال ها انا اكتب الكتاب من هذه الساعة واغلظ في المقال والخطاب ولما فرغ من كتابتهِ قرأهُ على الملك واذا فيهِ باسمك اللهمَّ هذا كتاب الى عنتر الذي طغى وتجبر اما بعد ايها الطاغي فقد كثر نفاقك انت ومن معك من رفاقك وقد اغضبت الملك بشقاقك فان دمت على ذلك سوف يعجل لك محاقك ولا تحسب الناس كلهم سوآء فما يكون لك عندي الا القتل دوآء اذ ايُّ رجال اشد في الحرب من اسد الدحال وبعد ذلك عرفت اننا ما تعرضنا لغمرة بحال من الاحوال الا بعد ما خربت على عهد ابيها ديارنا والاطلال وقتلت رجالنا والابطال وقد رأيت من الراي ان ترجع انت الى ديارك بمن معك من الرجال ونحن نردُّ على غمرة جميع ما اخذنا لها من الاموال ولكن على شرط انها تحمل لنا الخراج والعداد وتطأ بساط الملك على ما تجدد حتى يزول ما بقلبنا عليها من الغيظ والحرد وقد دعي ملوك العرب والسودان ان ياتوا فيمن عندهم من الفرسان وقد كتبنا ايضاً للملك همام صاحب ارض ذات الاعلام نطلب منهُ فارس نجدته وسيف نقمته فاقبل مني هذا الراي الرشيد والا هلاكك قريب غير بعيد وبعد ذلك فالسلام من الليالي المظلمة على من اطاع ووافق ولعنتها على من عصي وشاقق فلما سمع الملك غوار من وزيره ذلك التدبير فرح كثيرًا وجهزه للسير واخرجه خروج الملوك ومشت قدامهُ السادات ونشرت على راسهِ الاعلام والرايات وبين يديهِ الطبول والكوسات والزمور والبوقات وسار الوزير من يومهِ فيمن صحبه من قومهِ

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من امر ابي الفوارس عنترة والملك لون الظلام فانهما كانا قد وصلا الى تلك الارض المقدم ذكرها والاخبار قد فاحت في تلك الارض بعطرها وكان قد تحصل معهما من اموال العرب ما لا تاكله النيران فلما استقر بهما النزول في المروج والطلول انفذ عنترة الى تلك الحلل القراب واشترى ثلاثمائة حمل شراب وجعل له ديادبة على رؤوس الروابي والهضاب وجلس ياكل ويشرب هو وملوك الاعراب ولم يزالوا على ذلك الحال حتى وصل الوزير ومن معه من الرجال وقاربوا تلك الديار والاطلال ونظرت الديادبة الغبار وقد ظهر فاتوا الى عنترة واعلموه بالخبر فقال لهم عودوا الى ما كنتم عليه من النظر فاذا قرب منكم وعرفتم ما تحته عودوا اليَّ واعلموني بالخبر فعند ذلك عادت الديادبة الى رؤوس الجبال وجعلوا يتاملون ما يقبل عليهم من بين تلك الجبال فلم تكن الا ساعة حتى انكشف الغبار وبان ما تحته للنظار فنظروا الى الخيل قلايل ما لها محصول فعلموا ان المقبل عليهم رسول فصبروا عليه حتى وصل اليهم وسلم هو ومن معه عليهم فسالوه عن حاله وما هو سائر اليه مع رجاله فاخبرهم انه رسول الى ابي الفوارس عنتر فقالوا قد وصلت وها هو نازل في هذا المرج الاخضر ولكن اقف حتى نشاور عليك وتبقى اذا دخلت تعرف ما بين يديك ثم ان الديادبة تركوه وعادوا الى عنترة واعلموه ان ذلك رسول من عبد الملك غوار وهو وزيره الذي يدبره في سائر اموره

قال الراوي فلما سمع عنترة منهم ذلك المقال امر باحضاره هو ومن معه من الرجال فلما سمعت غمرة من عنترة مقالة قالت يا ابا الفوارس لِمَ لا تركب اليه وتستقبله وتسأله عن حاله فقال لها والله ما منا احد يركب حتى يقع به وبمن معه الذل والرعب فعادت الديادبة الى الوزير وامروه بالدخول الى عنتر فسار وهو يتامل في ذلك المحضر فتلقت الوزير الخدم وانزلوه وهو مبجل مكرم وادخلوه على عنترة فحيا وسلم فنهض له عنترة واخذه الى جانبه واجلسه بين اهله واقاربه فعلم الوزير انه عنترة فسلم اليه الكتاب فاخذه ودفعه الى عروة فقراه عليه فلما سمع عنترة ما فيه من التهديد والوعد والوعيد ضحك حتى استلقى على قفاه ثم قال واعجباه يحق لكم ايها الوزيران تقولوا هذا المقال لانكم ما شاهدتم فعالي بالابطال في حومة الحروب والمجال فوحق من خلق الانسان من صلصال وسقى المنازل بالغيث الهطال لاخربن منازلكم والاطلال ثم قام عنترة من مجلسه على ركبتيه وانتزع الكتاب من يده ومزقه ورماه في وجهه فلما سمع الوزير كلامه ونظر الى الكتاب وقد مزقه داخله الخوف والفزع وقال له يا ابا الفوارس نحن نرد على غمرة ما اخذنا لها من البلاد والاموال على شرط ان تدفع لنا الخراج والعداد

وأرح نفسك من اللجاج والعناد فقال عنترة ارجع انت ايها الوزير اليه وانصح له ان يحمل هو الى غمرة الخراج والعداد و يرد لها ما اخذ من البلاد والا هو المتمني غوار وانا عنترة بن شداد وها انا في اثرك راجع اليه وراحل والى بلادكم واصل فقال له الوزير يا ابا الفوارس وزين الفتيان و ياشجاع العصر والاوان ويا خير من احسن واساء قد علمت ان هذه النوبة لا تنفصل الا بقتل الرجال وملاقاة الاهوال وما كنت لاود ان اجيء اليك بهذه الرسالة لكن الملك غصبني على السفر والدخول عليك وقال لي ما لهذا الامر الا انت ولا يخمد هذه النار الثائرة احد سواك والآن لا يمكنني المقام بعد سماع هذا الكلام ثم نهض الوزير قائماً يطلب جواده وقد انذهل عقله ورشاده فركب وسار في من معه من الرجال حتى وصل الى دياره والاطلال فجلس له الملك وقد احضر ملوك السودان ولما دخل الوزير وثب الكل قياماً

قال الراوي فلما استقر به القرار قال له الملك غوار ايها الوزير اعلمنا بما كشفت من الاخبار فقال له يا ملك والله ما رايت قط اقوى من عنترة بناناً ولا اثبت منه جناناً لانه رجل لا كالرجال وبطل لا كالابطال وما قصده سوى ملكك والديار فلما سمع الملك غوار ذلك الكلام صعب عليه وعلى من حوله من اولاد حام فتكلم من بينهم عكاش بن رياش وقال من هذا العبد ابن اللئام حتى يقول في حقك هذا الكلام والله ان هذه فضيحة وعار علينا ان ندعهُ ياتي الى هذه الديار ولكن ارسلني ايها الملك الى لقاه وقد كفاك الله شره وشر من معهُ من رفاقه فقال له الملك الراي ان تسير اليه في خمسين الف فارس من كل بطل مداعس تصرم عمره وتكفينا شره وتدفع عنا امره لانه على هذا الوصف ما له الا انت من الرجال ولا يقاومهُ غيرك من الابطال فقال له اي وابيك لانه دخل الى هذه البلاد مع دريد وقتل لي اخاً وابن عم

قال الراوي فلما سمع غوار كلامهُ امر بتجهيزه في ساعة الحال بخمسين الف فارس همام من كل ليث ضرغام معتدين بالسيوف الحداد والرماح المداد وفوق روؤسهم الاعلام والبنود وهم في كثرة من العساكر والجنود وعكاش بين ايديهم غائص في لباس الزرد والحديد المنضد وعليه درع اسود لا يعمل فيه الصارم المهند ولا السنان المسدد متقلد بسيف ثقيل معتقل برمح طويل وتحتهُ جواد نبيل وقد اخرج يده من جلباب درعه المعقود وهو سائر قدام العساكر والجنود والرايات والبنود مشتبكة والخيل من حوله محتبكة والفرسان متداركة وهو يود لو كان ذلك الوقت في المعاركة و ينشد و يقول

الا هل مخبر لهجين عبس ... فعالي في الملمات الثقال
واني فارس الهيجا قديمًا ... ابيد القرن في وسط المجال
وجربت الحروب وجربتني ... كاني كنت في الامم الخوالي
اشق الهام بالعضب اليماني ... على خيل تكردس للرجال
بنو حام لنا شرف ومجد ... وافعال تزيد على المقال
لئن عطف الزمان عليَّ يومًا ... اخذت هجين عبس في المجال

قال محمد بن هشام فلما فرغ من ذلك الشعر والنظام ساروا طالبين عنترة ومن معهُ وكان عنترة بعد مضي الوزير من عنده امر شيبوبًا ان يسير في اثره وحده ويدخل معهم الى اوطانهم والديار ويبصر ما يجرى على الملك غوار فاجاب مقالهُ وسار متنكرًا مع ذلك القوم في البر الاقفر فلم يكن الا ايام قلائل حتى عاد شيبوب وهو اشعث اغبر فترحب بهِ عنتر وقال لهُ يا ابن الام اعلمنا بما جئت بهِ من الخبر فقال خذوا لانفسكم الحذر فان الملك غوارًا قد جرد اليكم مع فارس يقال لهُ عكاش خمسين الف فارس من كل مدرع ولابس وبطل مداعس وسمعت انهُ سيفهُ القاطع ودرعه المانع وهو والله يا ابن الام رجل جبار وبطل مغوار ومعهُ عسكر جرار فانظر لنفسك فانهُ قد ضمن للملك قتلك فلا تغفل

فقال عنترة ساء فالهُ وخابت امالهُ وسوف ترى يا ابن السودا من اخيك عنترة ما يجرى ثم انهُ بعد ما بلغهُ اخوه ذلك الكلام دعا بصفوان وابيه لون الظلام وقال لها اعلما انني ما دخلت هذه الديار وعولت ان اترك فيها ديارًا وكلما وصل الينا عسكر قتلنا حماتهُ واسرنا كماتهُ فاذا هابتني العساكر سرت الى غوار وقلعت منهُ الاثار واني في هذا اليوم قد وصل اليَّ الخبر بانهُ ارسل الينا عسكرًا مع فارس يسمى عكاش بن رياش في خمسين الف فارس واكثر فاشيروا عليَّ بما ترون من الصواب واخبروني بما تعرفون من رد الجواب فقالوا الراي اننا نسير اليهِ ونخطف روحهُ من بين جنبيهِ ونلقى كل من معهُ من العسكر ولو كانوا بعدد الرمل وقطر المطر فقال عنتر والله ما ادعكم تفعلون هذه الفعال ولا تتعبون من معكم من الرجال ولا تفارقون دياركم والاطلال وانا وحق الملك الجليل لا اسير اليهِ الا في نفر قليل وادع الناس يتحدثون بما يجرى لنا معهُ جيلاً بعد جيل فقالت عبلة والله يا ابا الفوارس لا نسير الا معك واينما توجهت نتبعك لان عكاشًا هذا ما سار اليك الا وهو ناظر بنفسهِ ومتكبر على ابناء جنسهِ وتعلم انني لا اقدر ان افارق ولدي وحشاشة كبدي وان كان لابد لك من المسير في نفر يسير فلا بد لنا ان نسير معك ونعتمد على اللطيف الخبير

قال الراوي فعندها تجرد عنترة في ثلاثة الاف فارس من كل مدرع ولابس غائصين في الحديد متقلدين بالزرد النضيد لا يبان منهم غير الحدق او تداوير الاماق وفي اوائلهم عنتر راكب على جواده الابجر متقلد بسيفه الضامي الابتر معتقل برمحه الاسمر وهو سائر في المقدمة كانه الاسد القسور ولما تمادى به السير في تلك البراري والقفار جاشت في خاطره الاشعار فانشد يقول

ياسباع البر سيري وكلي لحماً طريا
من لحوم الخلق جمعًا واشربي الدمَ جريا
واصحبيني كي تريني في اللقا قرمًا وفيا
قد علا سعدي ونجمي فوق افلاك الثريا
عنترٌ اسمي ودابي اقرن السعد اليّا
فاطمانوا لاتخافوا واقهروا الخصم العتيا
عبلَ يابنت الموالي اعطفي اليوم عليا
لاتقولي انا عبدٌ قد غدا فخري مضيا
قد خلقنا للمنايا نشرب الكاس الهنيا
وحسامي في يميني يهزم الليل الدجيا

قال الراوي فطربت الفرسان والابطال لذلك الشعر والنظام هذا وعنترة في المقدمة كانه الاسد الضرغام . واما عكاش بن رياش فانه سار هو ورجالة وابطالة وهو يقول لهم انتم تعلمون انه كان بحضرة الملك جميع السودان وامرائها وساداتها الكبار فما وجد من يصلح لهذا الامر غيرنا لقوة باسنا وشدة مراسنا فلا تنكسوا عمائمكم ولا ترددوا وقت اللقاء صوارمكم وان ظفرتم بعنتر كان هو الحظ الاوفر لانكم بعد ان تاخذوه لا يقيم بعده من العرب احد وتبقون تذكرون بها الى الابد وجعل يقوي قلوبهم بذلك المقال ويحثهم على الحرب والقتال

قال الراوي وبقي يسير على تلك الحال واذا بغبار من بين ايديهم قد ثار حتى سد منافس الاقطار ولمعت من تحته الاسنة وعلت من الفرسان الضجة والرنة ولمع الحديد وبرق الزرد النضيد وتقدمت الفرسان الصناديد وعنترة في اوائلهم كانه الاسد الشديد فعند ذلك تقاربت الغبائر من بعضها بعض وقد ملأت بكثرتها تلك الارض وعكاش في اوائل عسكره يجر الرمح من خلف ظهره وقد فرح قلبه فعل عنتر وما سمع عنه من الخبر وتمنى لو وقع به حتى يسقيه الموت الاحمر وهو يزعق و يقول يامذلولين يامخذولين اتظنون انكم

ترجعون من هالاندال ساملين

قال الراوي فلما نظر عنترة الى الخيل قد تبادرت والابطال قد اشتهرت التفت الى عروة والى جماعتهِ من بني عبس ممن يعلم ان قد طابت الى لقاء الاعداء منهم النفس وقال لهم خلّيكم اليوم خلف ظهري وانظروا مع هولاء الانذال كري وفري ثم انهُ زعق في الخيل المقبلة عليهم فاوقفها وخبل الفرسان وارجفها وقال ياأوغاد غير امجاد اما تعلمون انني عنترة بن شداد حية بطن الواد ومعلم الابطال الطراد ثم طبق عليهم فالتقتهُ السودان وايقنوا بالذل والهوان وقالوا ما هذا انسان وما هو الا من ملوك الجان وكثر بينهم الضرب والطعان من كل جانب ومكان ولمعت اسنة الرماح وبرقت شفار الصفاح وعظمت المصائب وعزت المطالب واندكت الارض والسباسب وانكر النسيب النسائب وجرت الخيل ركضاً وخببا وفاض الدم منسكبا وصار الشجاع متعجبا ودمدمت سباع البر غضبا وقطعت الرقاب مضارب الظبي وكانوا لقبض النفوس سببا وعلا على رؤوس الطائفتين الغبار حتى صار النهار مثل الليل عند الاعتكار وحكم السيف البتار حتى كثر الانبهار هذا وعنترة قد اظهر شجاعته . وكثر الصواب والخطا وانكشف الستر والغطا وقبض ملك الموت الارواح وما اخطا ولم يزل السيف يعمل وبنو عبس على السودان تحمل حتى تنصف النهار واعتدل وحمي الحر والهوجل وزاد بالناس العطش وقد افترقت الناس من شدة ما حل بهم من الدهش وانبهر عكاش مما راى من عنتر وعلم انهُ مقدم العسكر وما صدق ان زال الحر حتى خرج اليهِ من شدة ما لحقهُ من همهِ وغمهِ واراد ان ياخذ بثار اخيهِ وابن عمهِ ونادى باعلى صوتهِ والعساكر مصطفة والابطال محتفة وقال يامعاشر العرب انا عكاش بن رباش وقد ندبني الملك غواز لقتال عنترة بن شداد وانا احب الشجاعة واهلها واعف عن الفرسان من اجلها ولو اردت قتلهُ بالمكاثرة لكاثرتهُ واطبقت عليهِ بهذه العساكر واخذتهُ والراي عندي ان يسلم نفسهُ اليَّ قبل ان يشرب كاس الحمام حتى اخذ لهُ من الملك غواز الذمام

قال الراوي فما اتم كلامهُ حتى صار عنترة امامه وقال لهُ اخرس فما انا ممن يبالون بشقشقة اللسان وان كانت قد اعجبتك عساكرك المجتمعة فما هم عندي الا مثل البهائم الراتعة فلما سمع عكاش ذلك الكلام استشاط غضباً واضطرم فوادهُ لهباً وحمل على عنترة حملة منكرة فالتقاه عنترة بهمة قوية وفي يد كل واحد منهما سيف صاعقة واعين الطائفتين لها رامقة وصارا في لزام وتجرعا الموت الزؤام ثم ان عنترة لاصقهُ وسد عليهِ طرائقهُ وقبض على مجمع راسهِ من عنقهِ بيده وقبض باليد الاخرى على اكتافهِ وشدَّ عليهِ فاخرج روحهُ من بين عينيهِ

قال مجد بن هشام ونظرت السودان ما هالها وإذهلها من قتال عنترة ثم حملت عساكر صفوان بن لون الظلام وعملوا عمل الشجعان الكرام فلم ترَ عساكر عكاش لقتال بني عبس ومن معهم طاقة ولا لهم استطاقة فاعتمدوا على الهرب بعد ما ابتلوا بالعطب . واما ما كان من الملك غوار وباقي العساكر التي كانت مقيمة عنده في الديار فانهم كانوا كلما سمعوا بذكر عنترة بن شداد يندمون على تخلفهم عن المسير اليه لينالوا الذكر الجميل وكانوا جاهلين اعماله وحربه وقتاله

قال الراوي فبينما هم في بعض الايام وإذ قد وصل اليهم المنهزمون يتعثرون باذيال المهالك وهم حفاة عراة فهرول الناس اليهم فراوهم عبرة لمن يراهم فسالوهم عما جرى لهم فاخبروهم بما نالهم واقبلوا على الملك وهو جالس على اسرته وحوله اصحابه واكابر دولته واخذوا ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور وصار كل واحد منهم يحكي له قصته فكادت تنفطر مرارته مما حل به من الغيظ والحرد ثم انه احضر المنهزمين جميعاً واستخبرهم عن مقدمهم عكاش بن رياش فحكوا ما جرى له وكيف كانت منيته وكيف اقتلع عنترة رقبته وانزل بهم الهم والتنكيل وما حل بهم من البلاء الطويل فقال لهم الملك غوار وما فعل لون الظلام لما راى من ذلك الامر ما اهمه اما قدر ان يرد عنترة عن قتل ابن عمه فقالوا له اعلم ايها الملك ان لون الظلام ما قدم علينا ولا مكنه عنترة من المجيء الينا وما التقانا عنترة الا في ثلاثة الاف فارس وبعد قتل مقدمنا لم يكن لنا الا الهزيمة وكانت سلامة انفسنا اوفى غنيمة لان سلامة النفس ما لها قيمة وهذه جملة الحال وخلاصة المقال . فلما سمع الملك غوار ذلك القول لطم على راسه ونتف لحيته وقال يا ويلكم من هو عنترة فقالوا له يا ملك هو اسد لا كالاساد ولا يلتقيه احد في هذه البلاد الا ان يكون واقد بن الرهاش لان عنترة بطل شروس . قال الراوي وكان في حضرة الملك غوار بطل لا كالابطال وهو يعد في الحرب بالف من الرجال وكان يدّخره الملك للامور الثقال يقاتل بسائر السلاح وهو خبير بضرب السيف وطعن الرماح يقال له واقد بن الرهاش فلما راى ما حلّ بالملك غوار في ذلك اليوم وهو جالس مطأطىء الراس كثير الفكر قال له يا ملك لا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك بل خفف عن نفسك ما انت فيه اذا كان عنترة على هذا الوصف فانا اسير اليه واخطف روحه وراسه من بين كتفيه فلما سمع غوار من واقد ذلك الكلام قال لا كان ذلك ابدًا ولا تفعل هذا الامر ولا تشمت بنا العدى ومن هو هذا الوغد حتى تسير انت اليه وتتعب نفسك في القدوم عليه وانت ما ندخرك الا في المهمات الكبار وكشف غير هذه النائبات الصغار ولكن لا ترسل له في هذه النوبة الا

عندم بن بسام . قال الاصمعي ولقد بلغني عن عندم انه كان طوله خمس اذرع بالما شمي على التمام وزيادة وكان عظيم الهيكل هائل المنظر قد خاض الاهوال ولاقى الابطال وافترس الاسد من الدحال . يهز الرمح الاصم بيده فيقصفه وهو سيف الملك في الشدائد وعمدته في الاوابد فدعا به اليه فلما صار بين يديه اقبل بوجهه عليه وقال له ياعندم انت تعلم انك حاجبي ومربي دولتي وصاحب سيف نقمتي وتعرف ان الملك يحب الناموس ونحن ان ضيعناه ضاع وطمعت في مملكتنا اللئام الجياع ولا سيما الملك همام صاحب ذات الاعلام فاننا نخاف ان يبلغه ما جرى لنا فيزداد طمعه فينا ولا سيما هذه الفاجرة غمرة وهذا الرجل الاخر الذي يسمى بعنترة فاريد ان تسير اليه وتنزل البلية عليه ويكون معك ستون الف فارس من كل مدرع ولابس وبطل مداعس واجتهد ان يكون الذكر والفتح على يدك حتى تاخذ الطبقة على سائر بني حام

قال الراوي فلما سمع عندم كلام غوار نفخ ابليس في معاطسه وقال ياملك انت اعلم الخلق بي وبشدة مراسي وما كنت اظن ان هذا من رجالي لانه لا يُعَدُّ من اشكالي ولكن طاعتك فرض عليَّ انا ومن معي من رجالي وهذا اهون الاشياء عليَّ وسوف اتيك به وببني عبس وهم منقادون في الحبال فلما سمع الملك غوار كلامه فرح به وافاض عليه من انعامه وفي عاجل الحال جرد معه خمسين الف فارس ابطال اشاوس وسيَّره سير الملوك الثقال خلاف ما سير عكاش بن رياش لانه جملة بالسرادقات المختلفة والخيام الملونة والبوقات والاعلام والرايات وعقد على راسه بازات الذهب وقاد بين يديه الجنائب العربية بجلات الحرير الابريسمية وسلم اليه خزائن السلاح واكثر له من آلة الحرب والكفاح وسارت العساكر على متون الضوامر وسار معهم الملك غوار قدر فرسخين على البلد يوصيه دون كل احد وهو يقول له ابصر كيف تكون واحرص ان تعود خاسرًا مغبون لانك سيف نقمتي وعدَّة مملكتي فقال له ايها الملك طب نفسًا وقرَّ عينًا ثم انه سافر في اوائل العسكر واوسع في البر الاقفر وجعل يحث الجيش على المسير والجدّ والتشمير وهو كانه البرج المشيد راكبًا على فرس شديد وهو ينشد ويقول

الخيل تعلم اني من فوارسها ... ما كنت عند اختلاف الطعن منحرفا
من عادتي في الوغى والسمر شاجرة ... خطف النفوس وطعن الرمح مختلفا
انا الهمام الذي ان سل صارمه ... سل النفوس من الاجساد وانعطفا

والعجم والعرب في الهيجاء تعرفني   بانني عندمٌ فقت الملا شرفـــا
اجود بالمال لا ابغي لهُ عوضًا   حسبي الفخار وحسبي ان يقال كفى

قال الناقل هذا ما كان من هذا الفارس ومسيره وما انشده من الشعر والنظام واما ما كان من عنترة فانهُ بعد قتل عكاش وكسر عساكره ترك ديادبه على روُّوس الجبال واخذ يأكل ويشرب هو ومن معهُ من الرجال لا يخطر بباله حربٌ ولا قتال الا ان الديادبة بينما هم على تلك الحال نظروا غبارًا ثائرًا على روُّوس الجبال فهرع جماعة منهم الى عنتر واعلموه بالخبر وقالوا لهُ يا ابا الفوارس رأينا غبارًا ثائرًا ونظن ان الملك غوار قد سار الينا في عسكر جرار فصاح عنترة فيهم وقال لهم ما هذا الكلام فوحق من ميّز النهار من الظلام لا ارحل من هذه الديار وفيها احد من بني حام فانني لو لم اكن كفوءًا لكل من في هذه الديار لما دخلت الى هنا ولا طرقت هذه الامصار

قال الراوي ثم انهُ احضر لون الظلام وولده صفوان ومن معهم واخبرهم بسير العساكر اليهم وقدومها عليهم فقال لهُ لون الظلام ايها البطل الهمام نحن ننوب عنك في هذه المرة لانك أتعبت نفسك في تلك الكرة فقال عنترة لا وحق من يغير الدول لا سار اليه احد الا انا في خمسة الاف فارس ثم انهُ في ساعة الحال امر اولاده وعروة بن الورد ورجالهُ ان يتاهبوا للحرب والطعن والضرب وساروا وهو في اوائلهم بعدما ودع لون الظلام وشيبوب بين يديهِ في ذلك البر والآكام وهو يقول لهُ يا ابا الفوارس ما الذي حملك ان تلقي روحك بين هذا العسكر الجرار وهم السودان الذين لا يصطلي لهم بنار فانا وحق ذمة العرب الاخيار عرفت هذه الديار انها ديارنا التي كنا فيها صغار وامي كانت تحدثني بما يجري لنا من الاخبار فبالله يا اخي لا نقتل احدًا منهم بل خذهم اسارى واعطهم الذمام حتى نبصر ما يجري لنا من الاخبار والخصام ونبصر من هم اهل هذه الديار على ان قلبي قد حن عليهم واراك قد كبرت ومضت عليك الايام والليالي فلما سمع عنترة من شيبوب هذا المقال صاح فيهِ وقال لهُ ما هذا الفضول سر امامي وانظر ما افعل ثم جاش الشعر في خاطره وباح بخفايا ضمايره وانشد يقول

كبرت ورعني الحروب واظهرت   مشيبًا علا فوق المفارق عاكفا
واني لذو عزمين عزم لعبلـــةٍ   يديمُ لها ودي واخر خالفا
وما العيب في شيبي اذا خضت قسطلًا   تلوح المنايا حول جسمي ملاحفا
ونمت حياتي بين كاسي وصارمي   فامسيت سكرانًا واصبحت زاحفا
وتنظرني عند العطا متكرمًا   وتبصرني عند اللقاء مناصفا

خليليّ ما الانسان الا ابن يومهِ　وبالفضل يعلو كل من كان عارفا
واني لاعطي السمر في الحرب حقها　اذا عاد من يخشى المنية واجفا
واقحم مهري في غبار عجاجهــا　فتنظرهُ برقًا تألّق خاطفا
انا عنتر العبسي غير مقصر　ملكتُ من العليا تليدًا وطارقًا

قال الراوي فلما فرغ عنترة من شعره قال لهُ صفوان يا ابا الفوارس لاقصر الله لك لسان ولا اوهى لك جنان يا فارس عبس وعدنان فشكرهُ عنترة على ذلك المقال ولم يزالوا سائرين حتى امسى المساء ونزلوا للراحة على غدير يقال لهُ ماء الخزيين فعند ذلك قال عنترة لشيبوب اريد لك ان تسير وتكشف لنا خبر العساكر القادمة علينا فقال شيبوب السمع والطاعة وسار من تلك الساعة وغاب عن الابصار ولم يزل عنترة له في الانتظار حتى عاد وهو اشعث اغبر فقال له عنترة ما معك من الاخبار فقال ما هم الاعسكر جرار ومعهم فارس كرار فاحذر منه يا ابن الاخيار فلما سمع عنترة ما ابداه من الاخبار التفت الى عروة وقال لهُ يا ابا الابيض لقد اقبلت علينا العساكر ومعهم هذا الفارس الجبار والبطل المغوار ونحن لا نريد تطويل الامر في قضاء الاشغال وان ننزل بالاعداء الذل والخبال فاننا كما تعلم في خمسة الاف فارس والاعدا المقبلة علينا في خمسين الف بطل مداعس ولقد رايت من الراي الكريم الذي يريده كل فارس عظيم ان تاخذ انت الف فارس من الابطال وتسير ويكون شيبوب معك يساعدك على هذا التدبير وتكمن عن يمين الاعدا وتختفي انت ومن معك في البيدا حتى اذا كان وقت الملتقى انفذ ولدي غصوبًا ومعهُ الف فارس من بني قضاعة يكمن عن يسار القوم في تلك الساعة و نعده انفذ اخي مازنًا وابن اخي مفري الوحش سبع اليمن في الفي فارس فيكونوا من وراء القوم والتقي انا العسكر في الف فارس واكون قد اخفيت عنهم روحي في ذلك اليوم واقدم صفوان علينا فانهم اذا رأونا على هذا الترتيب يظنونا طليعة لقومنا واتركهم حتى يعبروا في وسط الكمناء ويبعدوا عن منازلهم فاشتهر في ذلك الوقت انا واعرفهم بنفسي ونعود على عساكرهم ونبذل السيف فيهم ونسقيهم كاس حتفهم ونقاتلهم فتخرج انت من خلفهم فتملك خيامهم وتضرب بالسيف في اعناقهم واعقابهم وتخرج الكمناء من الميامن والمياسر وهنالك اطلب مقدم القوم واقطع راسهُ فاذا رات الاعداء تلك الحال طلبوا الهرب والانفلال وقد انجز الامر وانقضت الاشغال

قال الراوي فلما سمع عروة من عنترة ذلك الاحتيال قال والله لا اظن ان لك في هذا الزمان مثال وقد تعجب من حسن خبرته بالحرب وجسارته على ذلك الامر الصعب وفعل

ما امرهُ به في ساعة الحال وانتخب الرجال وهم الف فارس مع رجاله الابطال وساروا وغصوب بين ايديهم وقد عدل عن الطريق واخذ في عرض البر من غير راحة ولا تعويق ثم دعا بولده غصوب وضم اليه الف فارس وامرهم بالمسير وان يكمنوا عن يسار العسكر حتى ينفذ اليهم بقية الكمناء ويفعل من الامور ما قد دبر فساروا وغصوب بين ايديهم راكب على جواد عتيق مندرع بدرع صفيق متقلد بسيف رقيق

قال الناقل ثم ان عنترة دعا باخيه مازن وصحبته سبع اليمن بن مقري الوحش وضمّ اليهم الفي فارس وامرهم بالمسير وان يكونوا من خلف العساكر القادمة حتى اذا وقع الحرب وخرج الكمناء يكونون عليهم عصبة متلازمة وسار عنترة في الالف فارس التي بقيت معهُ وصفوان بن لون الظلام يتبعهُ حتى مضى الليل واقبل النهار وعلم ان الكمناء غابت عن الابصار هنالك نزل للراحة قليلاً حتى استقر بالناس القرار وبعدها رحل بالقوم وسار الى ان تعالت الشمس وتضاحى النهار واذ قد بان من بين ايديهم غبار وعلا حتى سد الاقطار ونعرت من تحته بوقات السودان وقرون الاجناس وقد اقبلت تلك العساكر من تحت الغبار وفي مقدمها ذلك الجبار الذي قدمنا ذكره وهو عندم بن بسام فمد عينهُ فنظر الى عساكر عنترة في الف فارس فالتفت الى قومهِ وقال يابني حام اين ما ذكرتموه عن هولاء الاقوام اللئام وقد ذكرتم انهم في خلق كثير وجمع غفير فوحق الظلام اذا اظلم والليل اذا اعتم لو علمت انهم في هذه العصابة اليسيرة لما كنت اتيت اليهم ابدًا ولا تعبت هذا التعب وخرقت ناموسي بين العرب وهذه محنة عظيمة وقد جعلنا للشرزمة اليسيرة قيمة وهذا عار عظيم وشنار جسيم

قال الراوي ثم انهُ دعا بفارس من بني عمهِ يقال لهُ الرهاش بن الرعاش وكان فارسًا شديدًا وقال لهُ ويلك انطلق الى هولاء القوم الذين اتوا لحاربتي فان كان عنترة بينهم مخوّفة من سطوتي وارجعهُ من نقمتي وقل لهُ ياعنترة ما بلغك من ذلنا حتى دخلت الى ارضنا فدع عنك اللجاجة لانهُ ليس لك فيها حاجة أتحسبنا مثل غيرنا من البيضان الذين الفوا الحمامات والرقات من الحضريات الحسان فاستدرك امرك قبل الفوات وادخل على مقدمنا عندم بن بسام البطل الهمام وهو خلاف من لاقيت من الفرسان فادخل عليهِ حتى يعطيك الذمام وتفوز منهُ بالسلامة قبل ان تندم ولا تنفعك الندامة . قال الراوي فسار الرهاش وارخى عنانهُ وقوّم سنانهُ حتى صار مع عسكر عنترة وقد اعلن كلامهُ بقلة اكتراث فصادف وقوفهُ قدام عنترة ونادى يابني عبس اين عنتر الراعي حتى يسمع ما اقول ويكون لهُ واعي

فما اتم كلامهُ حتى اعترضهُ عنترة وصار قدامهُ وطعنهُ في صدره اطلع السنان يلمع من ظهره فلما نظر عندم ابن عمهِ قتيلاً غاب عن الصواب وكاد يمزق ما عليهِ من الثياب وصاح في قومهِ ائتوني في هذه العصابة اليسيرة الحقيرة حتى ابرد قلبي بضرب رقابهم واحرصوا ان تاتوني باكابرهم اسرى حتى اطيل عذابهم فما اتم كلامهُ الا وقفز من عساكره عشرة الاف وحملوا على بني عبس حملة واحدة بلا خلاف ثم انهم زعقوا يامذلولين لقد جلبتم لانفسكم البلاء الطويل بقتلكم هذا الفارس النبيل وقد اضرمتم على انفسكم نارًا بلغ عنان السماء دخانها وسيحل بكم لاجل ما فعلتم هوانها فلما نظر عنترة اليهم وقد حملوا امر اصحابهُ بالحملة وقد فعل مثلما فعلوا وانطبقوا على بعضهم البعض حتى جرت الدماء على وجه الارض هذا وعنترة في اطراف العسكر لم يتكلم بل ينثر الجماجم والقمم ويبيد الفرسان بعد وجودها من العدم ويعطي الطعن حقهُ والضرب صدقهُ ويقابل كل احد بما يستحقهُ ويطعم الوحوش من لحوم القتلى رزقهُ فما كانت الا ساعة منكرة وقد علت على الطائفتين الغبرة فنظر عندم بن بسام الى طائفتهِ وقد انكسرت وعصابة بني عبس انتصرت وعنترة لم يسمع لهُ حس ولا خبر فحل ذلك بهِ محلاً عظيمًا منكرًا ونادى في العساكر كلها فحملت حملة واحدة وكان عندم في اوائلهم والاعلام على راسهِ مشتبكة وبين يديهِ الفرسان معتكرة وبقية الخيام من ورائهم خالية بلا حماية وثبت عنترة ثبات الكرام واخذ يجرهم الى الامام عن الخيام ويطاولهم في القتال والنزال . قال الراوي هذا ما كان من هولاء من الاخبار واما ما كان من الملك غوار ومن معهُ من السودان فانهم ندموا كيف لم يسيروا الى عنترة حتى يفوزوا بالذكر الجميل وهم يقولون لقد انفذ الملك في هذه النوبة سيفهُ القاطع ودرعهُ المانع وكانكم بعندم وقد عاد بالبوقات والطبول ومعهُ عنترة اما اسير واما مقتول وقسورة بن جوهر يقول هكذا يكون وما تنظرون منهُ الا ما تقر بهِ العيون ثم اردف كلامهُ بقولهِ الى من كان جالسًا امامهُ أما تستحون ان تقولوا هذا الكلام وحق ذمة العرب الكرام لابد لعنترة ان يقتل عندمًا بن بسام وياخذ كل ما معهُ من الانعام ولكن ماذا تقولون في رزق ساقهُ الله لهذا العبسي فقال الملك غوار ويلك يامشؤوم لاتبرح تتشاءم علينا بهذه التشاؤمات الردية وتبشرنا ببشارات غير ودية وحق الليل وظلامهِ والصبح وابتسامهِ لارجع عندم الا بعنترة واولاده واصحابهِ ولا بد ان اقتلهُ شر قتلة وافعل بك انت كذلك وانزل بك الذل والمهالك ويلك اتحسب عندمًا مثل غيره من البيض اللئام ولكن لا يكون لي معك كلام حتى يعود واريك ما افعل بهِ بين الانام فقال لهُ وزيره قرة العين ايها الملك لاتدخلْ على قلبك من كلام هذا ضررًا

ولا شين لانهُ صار رجلاً كبيرًا ولا يدري ما يقول

قال نجد بن هشام فبينما هم في الكلام الا وصيحة وقعت وضجة ارتفعت في اولاد حام وقد وصل اليهم المنهزمون والكل حفاة عراة مشاة مجرحون وهم مشتتون من عشرة وعشرين ومئة ومائتين ومنهم من اهلك نفسهُ او نزل وصار يسوق فرسهُ وهو يكاد يقطع نفسهُ فعند ذلك تبادرت اليهم الرجال وسالوهم عن الحال وما نزل بهم من الذل والنكال فقالوا عنترة ابادنا وافنانا وقتل اقصانا وادنانا وانزل بنا الضر والبؤس وحلت بنا من ملاقاتهِ النحوس واحضروا منهم جماعة قدام الملك غوار وجعل يسالهم ما تم عليهم لما قاتلوا عنترة وما جرى لهم من الاخبار

قال الاصمعي وكان السبب في كسر هذه العساكر وما حل بهم من النقم ما ياتي: كما ذكرنا انهم حملوا على عنتره ومن معهُ من الرجال الكرام ولم يزالوا يطاولونهم ويجرونهم عن الخيام حتى جازوا الكمناء وصاروا من وراهم واذا بعنترة قد رجع اليهم و بنفسهِ ساواهم وعروة طلع عليهم بالالف فارس التي معهُ وشيبوب بين يديهِ والفوارس تتبعهُ وكذلك غصوب طلع بمن معهُ من اليسار وطلع بعده مازن وسبيع اليمن وعساكرهم من وراهم واطبقوا عليهم وداروا بهم كما تدور الاسوار بالمعصم فانذهلت عقولهم وخابت امالهم وخيل لهم ان البيداء امتلات من الرجال والعسكر وظهر عنترة ذلك الوقت واشتهر واعمل فيهم الصارم الذكر وصار يضرب فيهم الضرب المنكر وقد طعن طعنًا لا يبقي ولا يذر وكثر بينهم الصدام وقرت اللئام وثبتت الكرام وذلت الاقدام والتقى ذلك الوقت عنترة بعندم بن بسام في وسط المجال والزحام

الكتاب الثامن والثمانون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

فحمل عليهِ ومال بكليتهِ اليهِ وانطبق عليهِ انطباق الغمام وضربهُ على صدره بالحسام فشقهُ الى بين الافخاذ وشق الجواد فنزلا الى الارض اربع قطعات هذا وغصوب وميسرة وسبيع اليمن قد اظهروا العجائب وفرقوا الكتائب وعروة ومن معهُ اطبقوا من خلفهم على المواكب ونظر السودان الى مقدمهم قتيلاً وعلى وجه الارض جديلاً فعزموا على الرحيل لما راوا ما حل

بهم من الهم والويل فولوا منهزمين وللنجاة طالبين ولم يزالوا في هزيمتهم والانكسار حتى وصلوا الى الملك غوار كما ذكرنا وسالهم عما جرى كما قدمنا ثم قال لهم واين عندم بن بسام فقالوا له قتل وشرب كاس الحمام فعند ذلك ارتج الحي لتلك الحال وقالوا ان الذي فعل بنا هذه الفعال لا نامن منه ان يدهمنا برجاله والابطال ونحن على غفلة في ديارنا فيقلع اصولنا ويمحو اثارنا ثم ان الوزير قال ايها الملك ان قسورة لا يلام فيما قال من الكلام وما قال قوله الا حق وصدق

قال الراوي فلما راى الملك غوار ما حل بعساكره من الغم والعنا قال ما لهذا الامر غيري انا ثم نادى بالعساكر وامرها ان تاخذ الاهبة بعد ثلاثة ايام وان تجتمع عنده جميع اولاد حام حتى يسير الى ابن شداد ويبلغ منه المراد ويشفي غليل الفواد

قال الراوي هذا ما كان من هولاء وما دار بينهم من الكلام واما ما كان من ابي الفوارس عنترة بن شداد فانه بعد قتل عندم بن بسام وكسر عساكره في البر والاكام جمع الاسلاب والغنائم والاموال حتى يفرقها على الرجال فبينما هم على ذلك الحال واذا بلون الظلام قد اقبل بمن معه من الرجال واجتمعوا ببعضهم البعض وقد استبشروا ببلوغ الامال وفرحوا بذلك المال واخذوا يدبرون ما ياتي من الاحوال وقد نصبوا المضارب والخيام واقاموا هنالك ثلاثة ايام فبينما كان عنترة جالساً هو واولاده والى جانبه لون الظلام وحوله خواص اجناده واذا بابنه صفوان قد بكى وزاد في الانين والاشتكا واقبل على عنترة وقال له ايها الفارس الجواد دعنا من المسير الى ديار غوار وسر بنا القضاء ماهو اهم من ذلك فقال له عنترة اعلمني بما تريد من المرام فقال له صفوان لا تلمني ايها البطل الهمام فان العشق كما تعلم يزيل الاحتشام وهو كما قيل

العشق كالموت ياتي لا مردّ له ... ما فيه للعاشق المسكين تدبيرُ
كم ذل فيه عزيزٌ كان مقتدرًا ... وكم تهتك وجهٌ وهوَ مستورُ

والراي يا ابا الفوارس ان نسير من هنا الى ارض ذات الاعلام وهي ارض الملك همام لعلك تظفر لي بمحبوبتي اعجوبة الانام فانني قد هلكت من الوجد والغرام

قال الراوي فلما سمع عنترة كلامه طيب قلبه ووعده بنيل مرامه والمسير الى ارض ذات الاعلام وبان ياخذ له محبوبة قلبه ولو انها على الغمام فوثبت غمرة الى ابي الفوارس عنترة وقالت له يا ابا الفوارس انك لا تقدر على ما قلته من الكلام فقال لها لمَ ذلك التخشين عليّ من المهالك فقالت ان هناك مانعًا يمنعك عن المسير الى تلك الديار فقال عنترة وقد غاظه ذلك الكلام يا اميرة ومن الذي يمنعني عن نيل المرام وانا قادر على طعن الرمح وضرب

الحسام فقالت له غمرة يا ابا الفوارس وحق ذمة العرب الكرام ما قلت لك يمنعك كثرة العساكر وانما انا وغيري نعلم ان بلاد الملك هام ليس الى بلوغها سبيل لاحد من الانام فقال لها عنترة ومن الذي يمنع الناس من الدخول اليها فقالت اعلم يا ابا الفوارس ان بلاد الملك غوار بينها وبين قلعة ذات الاعلام شجرة عظيمة يقال لها ذات الانوار وهي قديمة ازلية تظلل الفارس والمائة اغصانها شاهقة كانها بعنان السماء متلاصقة ولها في كل سنة موسم فيه تزار ويقيمون في زيارتها ثلاثة ايام في شهر اذار عند اعتدال الليل والنهار ويأتي اليها اهل تلك الديار الكبار منهم والصغار والعبيد والاحرار ويقربون لها قربانًا على نية المزار ويذبحون لها النياق والفصلان ويحنون على الضعفاء والارامل والايتام ويبلونهم ما يليق بهم من الكسوة والطعام وبعد ذلك يبخرونها بالبخورات الطيبة الرائحة من العود والعنبر والند ويرشونها بالمسك والكافور وماء الورد وقد صنعوا لتلك الشجرة حوضًا طويلاً من الرخام ولا يبقى احد من تلك الارض الا ويقصد ذلك المقام ولا يقدم عليها غني ولا صعلوك ولا مالك ولا مملوك الا ومعهم من الطيب الفاخر وماء الورد والعنبر والمسك الاذفر كل واحد منهم على قدر استطاعته ويكون ذلك من خالص ماله ويقلبون ما يأتون به كله في الحوض الرخام المذكور . ويلطخون الشجرة ويبخرونها به وهذه عادتهم على طول السنين والاعوام فلما سمع عنترة من غمرة هذا الكلام قال لها وهل تضرب هذه الشجرة بالحسام حتى لا يقدر احد ان يجوز هذا المقام فقالت لا يا ابا الفوارس لكن اذا قصدهم احد يريد ان يحاربهم او دخل بعض الاعداء اليهم وخافوا من ذلك العدو الخوف فيقربون لهذه الشجرة القربان والبخور الموصوف فيقع باعدائهم السبات وتظلم عليهم الارض والسماوات ويأخذهم الخوف وتحل بهم الافات وتظلم الدنيا وتظهر البروق من سائر الجهات وتخفق الرعود وتهطل الامطار المندفقة وتنزل عليهم الصواعق المهلكة ويدوم عليهم ذلك العذاب مدة ثلاثة ايام بحيث لا يبقى منهم شيخ ولا غلام فان الصواعق تميتهم هم ودوابهم فيأتي صاحب تلك الارض ومن معه من الاجناد وجميع اهل البلد ويسجدون للشجرة فتئن تلك الشجرة انينًا عظيماً بصوت كالرعد الهدار ويطلع من جوفها نحو السماء عمود من نار يأخذ نوره بالابصار ويذهل الخواطر والافكار فاذا ارتفع عمود النار والنور يأخذهم الفرح والسرور ويضجون بالبشارة ويقولون لها قد قبلت قرباننا ورضيت عن اعمالنا وزال عنا غضبها وشرها وامنا مكرها ثم بعد ذلك يأخذون عظام اعدائهم الموتى التي احترقت ويبخرون بها الكبار والصغار ويفرقونها على الاماكن والديار ويعتقدون ان ذلك من بركة تلك الشجرة وانها هي التي احرقت اعداءهم وردت عنهم مكرهم ودهاهم ويتهادون بتلك

العظام المحروقة ويحملونها الى سائر الامصار

قال الراوي فسألها عنترة وهو متحير من حديثها الا يعبر هذه الطريق عابر فقالت غمرة يا ابا الفوارس لا يعبرها الا من اعتادها من التجار واذا قربوا من شجرة الانوار يلبس كل منهم ثوباً ازرق ويكحل عينه اليسرى واذا جازوا تلك الشجرة نهاراً ودخلوا الديار يصومون ثلاثة ايام واذا ارادوا الرجوع الى اهلهم يلبسون الثياب الزرق ويفعلون حسب العادة ويعبرون الى اسفل الوادي ثم يخلعون ثيابهم ويسير كل منهم الى ارضه وبلاده

قال الراوي وكان السبب في تسمية هذه الشجرة بذات الانوار هو ان هذه الديار والامصار من سهل وجبل واكام هي من عهد حام بن نوح وهو الذي خرج السودان من نسله وهذا قول ليس فيه خلاف ولا كلام وقد رزق حام ولداً سماه النسار كاتم الاسرار ولقب بمشبع الاطيار لانه كان قد رتب رواتب حنطة وشعير لكل طير في تلك القفار وذبح من النوق كل يوم خمسة وكان يفرقها على رؤوس الجبال وعوالي الاشجار فياكل كل طير له مخالب واظفار فلاجل ذلك سموه بمشبع الاطيار ولما مات كاتم الاسرار خلف بنتاً عظيمة الخلقة كانها الباشقة فسماها ذات الانوار وبعد موته تولت الملك والبلاد واطاعتها العساكر والاجناد وحكمت على سائر العباد وكانت فارسة خيل خواضة ليل وقد سمت نفسها بالملكة ذات الانوار وكانت تعبد النار من دون الملك الجبار الا انها قالت لخواص دولتها ورؤساء مملكتها يوماً من الايام اني اريد ان تصنعوا شيئاً اذكر به على ممر الايام والدهور والاعوام فاشار اليها الوزير وكان شيخاً من مشائخ المجوس وخادم بيت النار وقال لها اني ارى من الراي الذي عرض في فكري ان تغرسي لك شجرة عند مفرق الطرق وتسميها باسمك ذات الانوار ثم تجعلي لها عيداً وموسماً كل سنة مدة ثلاثة ايام ويكون ذلك في شهر اذار اذا تساوى الليل والنهار ويبقى الناس يقصدونها الخاص منهم والعام وتصير سنّة مرعية في هذه البلاد فاستصوبت الملكة هذا القول ورتبت جميع ما به اشار وقالت للوزير بعد تاكيد هذه الاخبار يا ابي قد خطر لي ان ابني حصناً عظيم المقدار اذكر به واجعل لي في ذلك اثار فقال لها يا ملكة الراي ان تعمري السن النابت وسط مرج الجلنار على ساحل البحر وقد نبت في وسطه سن جبل طالع من الارض الى عنان السماء في ذلك الاتساع مقدار الف ذراع وهو حجر املس من السن مشرف على البحر وتلك البقاع

قال الاصمعي فعلمت الملكة ان قوله صواب فشرعت في بناء حصن على راس الجبل وسمته حصن العقاب وكان الساكن فيه يشرف على تلك البراري والهضاب . قال الراوي

و بعد ذلك مضت الايام وتوالت الشهور والاعوام وتغيرت الملوك والحكام وكبرت الشجرة ذات الانوار وكان اهل تلك الديار منعكفين على عبادة النار دون الملك الجبار الى زمان سيدنا سليمان بن داود فلما قضى سليمان نحبهُ والحق بربهِ نفرت الجن من اقطار الارض والقفار وسكن بتلك الشجرة ذات الانوار عفريت عظيم من ملوك الجن الكبار فصار يطلع منها شرر النار فدام اهل تلك البلاد على عبادة النار لانهم وقعوا بكتب قديمة في دين المجوس تدلهم على عبادة النار وكان ذلك الشيطان يظهر النار المتزايدة وكان يفعل ذلك بعد و هذه الديار و يقصد الشجرة وذلك المكان فعندها قال عنترة وحق خالق العباد لقد شغلت قلبي وسري بهذا الحديث والايراد وانا اقسمت بحق خالق الانام لابد ان املك قلعة ذات الاعلام واملك ابنة الملك هام ولو انها متعلقة بالغمام فقال لون الظلام يا ابا الفوارس وحق البيت الحرام ان جميع ما ذكرتهُ الاميرة صحيح لا ريب فيهِ فقال لايكون الا ما يريده العلام ثم تفرق مجلس القوم وقد استقر رايهم ان يرحلوا عند اقبال النهار الى ديار الملك غوار بن دينار وقام صفوان وقد تكدر خاطره من حديث غمرة لانهُ محب لاعجوبة الانام ودخل سرادقهُ وقد كاد الغيظ يخنقهُ ولما طلع النهار رحلوا وساروا يقطعون البراري والقفار وفي اوائلهم عنترة واولاده وذووه وهم كانهم زهر البستان يمشون في الاعياد فلما جدوا في المسير جاش الشعر في خاطر عنترة فباح بما انطوت عليهِ ضمائره فانشد يقول

احب اعتدال السمهري المقوّم واهوى اختضاب البيض والسمر بالدم
واصبوا الى نيل المعالي بهمتي اذا زال مالي بين واشٍ مكرم
ولا ارتوي حتى اروّي من العدى سناني ولم اخضب من الدم مخذمي
وكل كعوب سمهري مثقفٍ ليشفي غليل الصدر من كل مجرم
وحصني حصاني ثم عزم كتائبي وسيفي ورمحي واحترامي وادهمي
وان سالوا الهيجاء عني فقل لهم بحربي وطعني سدت او بتهجمي

قال الراوي ولم يزالوا سائرين ذلك اليوم وتلك الليلة واليوم الثاني الى ان تنصف النهار فاشرفوا على ديار الملك غوار فابصروا ديارًا عامرة وخيرات وافرة وعيونًا نابعة وجموعًا جامعة وخيولاً وجنائب وخيامًا ومضارب وقنًا وقواضب وقباب ديباج وسرادقات اطلس مزدانة بالذهب الوهاج وكانوا كما ذكرنا قد اخذوا الاهبة للقتال والحرب والنزال وكان الملك قد عزم على المسير بنفسهِ ومن يعز عليهِ من ابناء جنسهِ فلما تحقق الملك ان العساكر طالبة صرخ في عساكره فتبادرت الى خدمتهِ وتسارعت الى معاونتهِ وصارت على

ظهور الخيل لما ولّوا ذلك الغبار وغوار في اوائلهم مثل الاسد الهدار وهو ينادي الثار الثار البدار البدار وما فرغ من كلامه حتى قاربهم عساكر لون الظلام يقدمهم الليث الهمام ابو الفوارس عنترة وظهرت الرايات والاعلام واقبلت المواكب وجردت القواضب وهم على ظهور الخيل من كل جانب هذا والملك غوار واقف تحت الرايات والاعلام ينتظر ما ياتي من الحرب والصدام وقد دقت من خلفه الطبول والكوسات ونعرت البوقات فعند ذلك امر عنترة بالحملة على عساكر غوار فحملوا وتقابلت الفرسان وتجارت الاقران وتسابقت الى الميدان وقاتلت الفرسان الكرام وولت اللئام وعقد عليهم الغبار والقتام وتجالدوا بالحسام وفلق الهام وارتجت الارض من حوافر الاقدام

قال الراوي ولم يزالوا في حرب وصدام حتى اقبل الظلام وافترقت في ذلك الوقت الطائفتان عن ضرب الحسام وعادوا الى مضاربهم والخيام ونزل الملك غوار وعقله قد حار مما راى في ذلك النهار لان عنترة قد اعطى السيف حقه والرمح صدقه ونكل بالفرسان وجندل الاقران وبدد الشجعان وصبغ بادميتهم الميدان وما عاد الا وهو كشقيقة الارجوان مما سال عليه من ادمية الفرسان ولما نزلوا في الخيام عولوا على المنام بعد ان اقاموا لهم حرسًا مائتي فارس من الرجال الكرام هذا ما جرى لهولاء واما ما كان من الملك غوار فانه لما عاد الى الخيام واكل الطعام اراد ان ياخذ الراحة فما غفل ولا نام بل كثر خوفه والوجل وبات على فراشه يتململ ولما ادبر الليل ركبت الرجال على ظهور الخيل وحمل الفريقان على بعضهم البعض ولم ياخذوا مصطبرًا وطار من حوافر الخيل الشرر ونادى الشجاع واشتهر وتمنى الجبان انه في ذلك الوقت لا يذكر وقطعت غصون عوالي الشجر بالصارم العضب الذكر وتصادمت امواج بحار العسكر وزاد الغبار واعتكر ولعبت ارجل الخيل بجماجم الرجال كالاكر وتصادمت الرجال بالصدور وبان صبر الصبور وقطعت الصوارم وكتبت بالدماء سطور وعظمت الجرائر وتنطرت المرائر واسودت الاقطار وذل الجبان بالفرار وخاف النبيل من العار وباحت القلوب بالاسرار وعدم الاصطبار وهانت الروح على الاحرار

قال الاصمعي وقد اخبرني من اثق به فقال يا اصمعي كنت معهم حاضرًا في الوقعة وحكيت بعض ما رايت في ذلك اليوم اهوالاً عجيبة وحروبًا هائلة وما قاست الاقران في حومة الميدان وبالجملة انه عظمت فيه البليات كما قال فيه بعضهم هذه الابيات

غبـارٌ يثورُ ودمٌ يفورُ وطعن النحور براس السنانِ

وقطع الكفوف وجدع الانوف وصدع الصفوف وقطع البنان
وبري العلاصم وجز المعاصم ونثر الجماجم بسيف يمان
وطال الصدام وقل الكلام ودام الحمام وزاد التداني
وضاء الزرد وفاض العدد وقل المدد بموت الجبان
ورن الخشوت وضرب اللتوت ودام السكوت نعم في هوان
وخفق البنود وجمع الجنود وقطع القدود وجور الزمان
ووخز الحراب وحل المصاب وصب العذاب كماء القنان
وهتك الستور وسبي البكور وطعن الصدور وقطع اللسان
وشاب الغلام وجار الحمام وزاد الظلام وخوف الجبان

قال الراوي ودام السيف يعمل والدم يبذل الى ان مضى النهار وانفصل واقبل الليل بظلامه وانسدل فعند ذلك افترقت الطائفتان من ضرب اليمان وطعن السنان وما جندل في ذلك اليوم الابطال وافنى الاقيال واجرى الدماء مثل الغيث الهطال الافارس عبس الاسود فلله دره من اسد اسود ضارب بالحسام المهند لانه كان في ذلك اليوم سيفها القاطع فامطرها دمًا ونثرها جماجمًا وكان لبني عبس من الاعداء حمى وما رجع من الميدان الا وهو مثل شقيقة الارجوان قد جمد الدم على سواعده من كثرة المضارب وعاد قومه وهم سكارى من طعن القنا والقواضب ولما استقر بهم المقام اقبل لون الظلام على عنترة وهناه بالنصر على اعداه وبلوغ مناه ثم اجلسه بين اولاده واقاربه الى جانبه وامر باحضار الطعام فاكلوا حتى اكتفوا ثم عولوا على الراحة والمنام بعد ما اقاموا لهم حرسًا في حندس الظلام هذا ما كان لهولاء واما ما كان من الملك غوار وما قاسى هو وعساكره في ذلك النهار فانهم رجعوا وما فيهم احد يعي على احد والوالد لم يلتفت الى الولد وما فيهم من يقدر ان يرفع يده من عدم الصبر والجلد ومن شدة ما قاسوا من التعب وما قد اعتراهم من النصب لانه قتل جم عظيم والجرحى منهم بقوا على الارض كهشيم الرميم وافتقد الملك غوار اصحابه المقتولين فكانوا في العدد اليقين خمسة وعشرين الفًا وبقي مائة وخمسة وعشرون الفًا سالمين فقال الملك غوار لاصحابه يامعشر الاخيار ما بيننا وبين الاعداء الا تفاوت عظيم المقدار وان دام علينا هذا الحال يومًا اخر لا يبقى منا من يخبر بخبر وان لم تصل الينا نجدة من عند الملك همام والا افنونا بحد الحسام

قال الراوي هذا ما جرى لهولاء واما كان من ابي الفوارس عنترة بن شداد ولون

الظلام لانهما رتبا لهم حرساً وعزما على المنام فلما اصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح ركبا الجرد القداح وتوائبا الى الحرب والكفاح فافتقد لون الظلام ولده صفوانًا فلم يجد له خبر ولا جلية اثر فحلت به العبر فسال عنه فلم يعطو احد خبر فلما اعياه الامر تقدم الى عنترة وسالة عنه فقال بالامس رايته في الحرب ومقام الطعن والضرب

قال الراوي فاشتعل قلب عنترة لما سمع من ابيو ذلك الكلام وضاق لذلك صدره وخشي على ابيه لما راه محتارًا في امره وفي ساعة الحال دعا باخيه شيبوب فلما حضر قال له نحن لا نقصدك الا في المهات الكبار فقال والله مالي به علم وحق الرب الكبير المتعال الا اني بالامس رايته في ساحة المجال وهو يهدر مثل الاسد الريبال فقال ابوه صدقت والليلة عندي نام ولكن رايته طول ليلته في بكاء واحزان ولا ادري بعدها ما كان ولما انتبهت من المنام ما وجدته ولا علمت له خبر ولا وقعت له على اثر وظننت انه عندك يا ابا الفوارس وقد ركب الى خدمتك فقال عنترة والله ما ابصرته الا من امس وعهدي به عند غروب الشمس ولعله قد سار الى بعض المواضع وكانك به وقد عاد راجع وانني والله قد اشتغل خاطري لفقده وما بقي لي قلب يقاتل اليوم بعد بعده حتى اكشف حقيقة خبره وعسى ان نقع على اثره

قال الراوي ثم انه دعا بعروة وقال له يا ابن العم ومزيل الهم والغم تول انت واولادي القتال لعلكم تقصون الاشغال ثم انه اطلعه على ذلك الامر والشان وكيف فقدوا الغلام صفوان بن لون الظلام فصعب عليه وكبر لديه واوجعه قلبه على الغلام ثم انه رجع عروة هو واصحابه ووقف تحت الاعلام هو والملك لون الظلام واصطف العسكران وتقابلت الطائفتان فعندها حمل غصوب وميسرة وحمل مازن وسبيع اليمن وتبعتهم العساكر وحمل الملك غوار واوقد للحرب نار وما كانت الا ساعة حتى طلع الغبار وماجت العساكر وزاد بينهما الهياج وشربت السيوف من دم الفرسان والابطال وقدحت حوافر الخيل الشرر واجاد بالطعن والضرب واقتحم الشجاع الحرب وعدمت الناس المهج واخذ الجبان في التعلل والاحتجاج وطلب الهرب فلم يجد له الى ذلك اضيق مخرج ولما راى الملك غوار غياب عنترة قاتل قتال من لا يعرف الهزيمة ولا الفرار فعند ذلك نظر عنترة الى اصحابه وقد قصرت وما خفي عليه لما راى نار الحرب قد فترت فعند ذلك حمل ليعين اصحابه وتبعه شيبوب في ركابه وجعل يشق المواكب والصفوف وصاح على اولاده ومن معهم وقال لهم من لا ينصح هذا الوقت في القتال فما هو ولد حلال احملوا على هولاء اللئام وها انا قد اتيت الى معونتكم وابذل مهجتي دونكم فلما سمع غصوب مقالة قويت روحه وزادت اهواله ثم ان عنترة حمل

وغاص تحت الغبار وكشف عن ولده غصوب الاعداء وجعلهُ على غاية الاستظهار ثم انهُ
عاد بعد ذلك الى لون الظلام فوجده قد حمل على تلك المواكب التي اجتمعت حولهُ
وكان لون الظلام فارساً مذكوراً فحمى جانبه الى ان عاد تحت الاعلام وقاتل ايضاً غصوب
وعروة وغمرة واصحابهم الى ان هجد الظلام

قال الراوي هذا ما كان من هولاء وما جرى لهم من الاخبار واما ما كان من الملك
غوار بن دينار ومن معهُ فانهم باتوا وهم يتواصفون ما لقوا ذلك اليوم من الاضرار ويقولون
ما جلبت لنا هذا الاذى الا الفاجرة غمرة لانها هي التي اتت بهولاء القوم ولولا ان تكون
هذه الفعال فعالهم لما كانوا قد اتوا الى هذه الديار في هذا النفر القليل من العباد وعلى هذا
الحال لا يبقى منا احد لا ابيض ولا اسود اما بنو عبس فلما نزلوا في الخيام ودار بينهم الكلام
في صفوان بن لون الظلام صار ابوهُ يبكي وينثر الدموع من عينيهِ ويقول اما ان يكون
قتل او استاسر وما كنت اريد الا ان اعلم ما جرى لهُ من الخبر فعندها وثب شيبوب وقال
يامولاي دع البكاء والصياح ثم نهض بعد ما اوصى اخاه عنترة بالاحتراز وان يكونوا على
يقظة هو وفرسانه الاخيار ثم انهُ سار طالباً ابيات الملك غوار

قال الراوي لهذا الخبر اما السبب في غيبة صفوان فكلام عجيب وذلك ان شيبوباً
كان قد قتل جواد غوار وملك هو وصفوان قياده ثم خلصهُ منها اصحابه وعاد كل منهم
الى اهلهِ واجناده وانفصلت بينهم الحرب فجمع غوار قومه وبني الاعمام ومن يعز عليهِ من
الرجال الكرام وقال لهم لقد لقينا من هولاء القوم الاهوال لانهم قتلوا منا خلقاً كثيراً وما
سلمت انا الا وقد حل بي الوبال اذ عارضني صفوان ومعه رجل اخف من الغزال فرمى
جوادي وملك هو واياه قيادي ولولا اصحابي لكان انزل بي الذل والهوان واراد صفوان
ان يملكني فلم يخلّ اصحابي عني وما كنت اشتهي من الرب القديم الا ان يوقعهُ في يدي
وكان حاضراً ذلك الوقت قسورة بن جوهرة فقال لهُ ياملك انا اتيك بهِ وابلغك منهُ ما
تريد من الضرب والعقوبة والعذاب الشديد فقال لهُ غوار وكيف تقدر عليهِ وفرسانهُ
دائرة من حواليهِ فقال اني اعهده عاشقاً لاعجوبة الايام بنت الملك هام وهو بها مستهام وانا
اقدر ان اسوقهُ بذلك اليك واحضره بين يديك فقال لهُ عجل ان كنت قادراً على هذا
الحال فقال حباً وكرامة ثم انهُ خرج من عنده يطلب خيام بني عبس فما كانت الا ساعة
حتى صار فيها ولم يزل يتدرج الى ان وصل الى خيمة صفوان وقدم عليهِ وكان قد عول
على قتلهِ لو قدر عليهِ ثم كمن على بعد من المضرب فسمع صفوان يحرق ويتنهد ويذكر

المحبوبة الانام في الهجره فتقدم قسورة الى باب الخيمة ونادى يا غلام انت صفوان الملقب ببدر التمام فقال نعم فقال اخرج اليّ حتى اعهد عليك ما حملت اليك من المحبوبة الانام

قال الراوي فلما سمع صفوان بذكر محبوبته خفق فواده وما صدق انه يسمع الكلام حتى تبع قسورة وكان قسورة آفةً من الآفات وعنده طرفٌ عظيم من الاحتيال فاخذ يقول له اعلم ان محبوبتك قد ارسلت معي كلاماً تقربه عينك فقال ما هو يا مولاي قال اعلم ان الجارية مات ابوها من عشرين يوماً لكثرة ما حل في قلبه من الهم من دخول بني عبس الى هذه الديار وكيف اهلكوا اهلها وسمعت انك انت وابوك قد صرتم من خواص عنترة بن شداد ولما مات ابوها استدعت بي اليها وقالت لي اعلم ان ابي مات وقد طمع بي قومي وانا في قلبي محبة صفوان من ايام الصبا وابيت ان امكن من نفسي احداً غيره من الرجال واريدك ان تسير اليه وتعلمه بالحال فهذا ما قالت فان كان في قلبك شيء من الهوى والمحبة فسر معي في هذا الوقت ولا تعلم احداً مما نحن فيه

قال الراوي فلما سمع صفوان ما اعاده من الكلام قال السمع والطاعة انني اكثر رغبة فيها من جميع الانام فارفق عليّ حتى اركب جوادي فقال له قسورة افعل ما بدالك فعند ذلك ركب جواده وسار قسورة خلفه حتى تبطنا القفار واشرفا على مضارب غوار فقال له قسوره اكمن هاهنا حتى ادخل الى هذا العسكر وارسل لي منه جواداً اركبه ثم انه تركه هناك وسار حتى دخل على الملك غوار وقال له اني جلبت لك صفوان بالاحتيال فارسل اليه الرجال ليقبضوا عليه في عاجل الحال فاني تركته على جانب الغدير هناك ثم اخبره بجميع ما فعل فما صدق الملك غوار ذلك حتى ركب في الف فارس من خواصه وقصد صفوان يريد اقتناصه وكان صفوان بعد ما مضى قسورة من عنده ترجل عن جواده ونزل في ذلك البر والاكام وهو غارق في بحر الفكر وقد انذهل منه السمع والبصر فما احس الا والخيل قد احاطت به من كل جانب وقبضوا عليه واحضروه بين يدي غوار وهو غارق في بحر الافتكار لا يعرف الليل من النهار فلما نظر اليه قال له اتعرفني ثم طرحه وضربه حتى اجرى دمه ثم اشار على قومه بقتله فقال لا اقتله حتى اقبض على هذا الشيطان عنترة واقتلها في يوم واحد وانزل بهما الشدائد ثم سلمه الى عبيده وكانوا عشرة شداداً ثم التفت الى قسورة وخلع عليه خلعة مجوهرة

قال الراوي هذا ما كان من سبب اسر صفوان ومجيئه الى هذا المكان واما ما كان من عنترة بن شداد فانه عند الصباح ركب يطلب الحرب والكفاح وبين يديه عروة بن الورد

وميسرة ومن يصحبهما من الرجال الوقاح وقد اخذوا ايضًا معهم لون الظلام ليقوى عزمة وجلده على فقد ولده ولم يعلم احد ما كان منهُ وكان السودان قد ركبوا وفي اوائلهم الملك غوار وقد ذكرنا ان شيبوبًا كان قد خرج يكشف خبر صفوان وصارت النار تستعر في قلب اخيهِ عنترة وقال لاصحابهِ انهُ قد وعدني انهُ يعود عند الصباح فما عاد وقد غير الوقت والميعاد وشغل قلبي بذلك الانكاد فبينما هم على ذلك الحال اذ خرج من عسكره فارس لا كالفرسان وبطل لا كالابطال وساق جواده حتى توسط الميدان ولعب على ظهرهِ حتى حار الفريقان وكان ذلك الجواد ادهم اغر معلم اذا صهل يكاد يتكلم وعلى ذلك الفارس صدرية زرد مضاعفة العدد كانها عيون الجرد وفي يدهِ سيف مهند معتقل برمح مسدد وقد جال وصال وقال انا غصوب ثم نادى يا بني حام اسمعوا ما اقول من الكلام وذلك انكم جنيتم علينا واوصلتم الاذية الينا ونهبتم اموالنا وملكتم ديارنا لما علمتم غيابنا والان قد عدنا وعاد الحق الى اصحابهِ والسيف الى قرابهِ فان كنتم تعرفون الانصاف فعودوا الى دياركم من غير خلاف وان ابيتم فابرزوا فاني بقتالكم فارس مكين وان شئتم القنا والفين فاني بقتالكم قرير العين والا فاحملوا كلكم وانشد

انا الهمامُ اذا ما ضاء بارقــهُ يوم الكفاح على الابدان والقممِ
ابيدكم بحســام ما لهُ فللٌ يبري الجماجم من عربٍ ومن عجمِ
انا الشجاع الذي شاعت مناقبهُ وفاق كل الورى بالجود والكرمِ
كم قد رميتُ على الغبراء من رجل وكم هجمتُ على الاشبال في الاجمِ
وكم غمار قتامٍ اسودٍ حالكٍ قحمتهُ وهو مثل الليل في الظلمِ
هذا وكم حي قوم قد احطت بهم وعدت عنهم وقد حلت بهم نقمي
وكم همامٍ هزبرٍ ضيغمٍ بطلٍ جندلتهُ والدما تجري على القدمِ
انا غصوب الذي شاعت فضائلهُ ومجدهُ قد علا في سائر الامم
لأتركنَّ دماكم وهي جاريةٌ كمثل غيثٍ على البيداء منسجمِ
فيحضر الوحش اسرابًا تقدمها غيلان قد ظهرت في حالك الظلمِ
واترك النسر والاطيار حائمةً مثل الذباب وقد حامت على وخمِ

قال الراوي الا انهُ ما تم شعره والنظام حتى خرجت اليهِ الفرسان من اطراف القبائل وقصدتهُ باسنة الرماح الذوابل وكان اسبقهم اليهِ فارس كانهُ من الابالس الا انهُ ما جال قدام غصوب غير ساعة حتى طعنهُ في صدره اطلع السنان يلمع من ظهره فتعجبت الفرسان من سرعة كره

وفره ثم خرج اليه فارس ثان وصاح فيه وقاربه وجال معهُ وحاربه فرآه غصوب محترزًا من الطعن والضرب ولهُ خبرة بمعاناة الحرب فاوهمهُ انهُ يطعنهُ في فواده وحلق الرمح الى ورائهِ ثم لكمهُ على صدغيه فاخرج مقل عينيهِ على خديهِ ونثر اضراسهُ من فكيهِ فتعجبت السودان وقالوا هذا الفارس اعجوبة الزمان لانهُ لا يحتاج الى عدة يقاتل بها الفرسان

قال الراوي فتكاثروا عليه من عشرة وعشرين فحمل عليهم كانهُ اسد العرين وصار يقبض ارواحهم ويرمي الى الارض عددهم وسلاحهم فلما عاين ذلك منهُ ابوه عنتر فرح بهِ وصار يدعو لهُ بالنصر والظفر وقد ذكرنا قبل هذا الكلام ما في غصوب من الفروسية وما جرى لهُ مع ابيهِ في بيت الله الحرام اما غمرة فلما رات قلة انصافهم خافت على ولدها وحشاشة كبدها فحملت وصاح عنترة في ابطالهِ فحملوا وحمل عروة في رجالهِ وكذلك لون الظلام في اشبالهِ وجعلت فرسان بني عبس تتقاطر كتتابع الغمام فقطعت الرقاب وبان برق المصائب طائح وكثرت في الابدان الجراح ولاح للموت عليهم لائح

قال مجد بن هشام ودام بينهم طعن الرمح وضرب الحسام الصمصام ورشق السهام حتى انقضى باقي النهار واظلم الليل المتراكم بالاعتكار وافترقوا عن ضرب البتار وما عادوا حتى مددت القتلى على الارض كومًا وعاد بنو عبس ومعهم من السودان الف اسير وكانوا على قلتهم قد عادوا رابحين على ذلك الجيش الكثير ولما عادوا الى خيامهم شدوا السودان في الحبال ووكلوا بهم جماعة من الرجال واما شيبوب فلما سار من عندهم في ظلام الاعتكار وطلب عساكر الملك غوار بن دينار لم يزل سائرًا حتى اختلط بهم وقد علق يده في رقبته كانها مكسورة فصار كل من يبصره يحن عليهِ ويقول يا مسكين من فعل بك هذه الفعال فيقول بنو عبس والله ياخذ حقي منهم وانا من اصحاب سويد بن عويد ولما قتلوه نهبوا ما كان عنده من الاموال فلقيني من بني عبس رجل اسود وبيده عكاز وضربني فكسر يدي وهشم جلدي ولو لم تفرق بيني وبينهُ العساكر لكان اهلكني وما اقوى بني عبس في الضرب والطعان فكانهم جن سليمان فقالوا لهُ والذي ضربك ما عرفتهُ قال لا اعرفهُ لكن علمت ان اسمهُ شيبوب واكثر ما جرى علينا من الاحكام كلهُ من لون الظلام وابنه بدر التمام فقالوا لهُ ابشر بما يسرك من اسر صفوان فقد جرى عليهِ الذل والهوان فقال شيبوب يا ترى كيف كان امره فقال اسرهُ بجيلة عملها عليهِ قسورة بن جوهرة ثم اعادوا عليهِ ما جرى فقال شيبوب لله دره على ذلك الفعل والله لقد اشتفى قلبي منهُ ثم ولى عنهم وسار حتى وصل الى الابيات وكان بينها وبين الخيام فرسخ على التمام فلما وصل الى قرب البيوت كمن في مغارة

هناك ولم يزل الى الليل وكان قد جاع فخرج الى البر واصطاد غزالاً وذبحه وعراه من جلده واضرم النار واخذ يشوي ويأكل على باب الغار

قال الراوي وكان بالاتفاق المقدر ان قدم غوار في تلك الساعة الى البيوت فابصر النار على باب الغار فوقف وكان شيبوب قد احس به وهو بعيد عنه فطمر النار وحفر في الرمل حفرة بعيدة عن باب الغار واندفع فيها الى اسفل وغطى نفسه بالرمل حتى لم تبن الا قمته وعيناه ولم تكن الا ساعة حتى اقبلت الخيل وفي اوائلها غوار ولم يزل سائرًا حتى وقف موضع النار وقال هاهنا كانت النار وانا خائف ان يكون سلال او احد اخر قاصدًا الينا باضرار فقالوا له ايها الملك لم يرَ احد في هذا المكان حتى نعرف حقيقة الاخبار فقال لهم هاهنا كانت النار فقالوا له ايها الملك اننا لا نظن الا انه قد تخيل لك تلك الاثار فلما سمع كلام اصحابه سار من ذلك المكان وقال لهم اتبعوني وانظروا كيف اظهر لكم من اوقد النار وانما قصدي بذلك اذا قلت شيئًا ان لا تكابروني فيه ابدًا هذا وشيبوب يسمع كلامهم وهو بالبعد منهم في الرمال وما ابعد واعنه حتى ظهر من تحت الرمال كانه الاسد الرئبال وعدا الى نحو المضارب ودخل اليهم مع جملة من دخل ولم ينكر عليه احد ولم يزل ينظر ويتفرس حتى نظر الى صفوان مقيدًا على باب مضرب الملك غوار وحوله جماعة من العبيد وهم نيام فمشى على يديه ورجليه حتى وصل اليه وكان المضرب الذي هو فيه مرتفعًا كثير العماد والاطناب فربض في جانبه ساعة واذا بعبد قد اقبل ودخل الى ذلك المضرب وقائلة تقول من ذلك المضرب ياميمون ابن مولاك غوار فقال لها انه قد راى على باب الغار نارًا فاخذ عشرة فوارس من قومه وقصد هاليتين منها الانار فتكلم شيبوب في سره وقال يا ترى من هو الذي يتكلم . ثم تاملها فاذا هي لا مثيل لها وليس لها في تلك الحالة عديل في الكمال والبها . وتامل العبد فاذا به اسود كبير الشفتين بعينين حمراوين يطير منها الشرر فلاعبها العبد وضاحكها وكانت تلك الجارية تعشقه ويعشقها فاكثرت معه من المزاح والملاعبة وشيبوب يعاين تلك الفعال وهو متربص بين الاعدال فقال وحق ذمة العرب انني اردت قتل الاثنين ولكني خفت ان ينكشف الحال ويفوتني خلاص صفوان وربما انهم كانوا يقتلونه وانجوا انا بين تلك التلال والجبال ثم بعد ذلك قال العبد ماذا عندك من الماكول فقد ادى بي الجوع الى الهلاك فقالت ما عندي الا قلتان من اللبن كنت قد ابقيتها لمولاك فكل واحدة وخلّ الاخرى ثم انها قدمت له اللبن وقطعة ترموس فاكل الحان اكتفى ثم رفع يده فرفعت السفرة وانصرف العبد فقال شيبوب هممت ان اقتل الجارية لما بدا منها

ذلك النعل المنكر واذا بالملك غوار قد حضر وترجل على باب الخبا و بسط له بساط فجلس عليه وقال للجارية ما عندك من الزاد فاتته بشيء من اللبن وقدمته له فما اكل منه الا اليسير حتى قال ما اقذر هذا اللبن وكاني بعبيدي عبثت فيه فقالت لم تزل هكذا كما كنت بهم وهم فما بال هذا اللبن يا ابن العم واراك تنكر صحبتي حتى تقتلني اخوتي فتطالب انت بدمي اما تخجل من هذا المقال وتتهمني بهذه الفعال ثم قالت له كيف كرهتني وكانك قبل هذا اليوم ما عرفتني فقال ما كرهتك ولكن افعالك لم تخف عليّ ثم اتكأ على فراشه ونام قال شيبوب فتاملت فلم اجد هناك لا شيخًا ولا غلام ولا علا غطيطه خرجت من بين الاعدال وتخطيته واتيت الى صفوان وقطعت له الكتاف وخلصته بعد ان كان قد ايقن بالتلف وقلت له لا باس عليك انا شيبوب اخو عنتر فسر معي الى البر الاقفر فتبعه صفوان حتى اخرجه من تلك الارض واذا بفارس يجري وقد ثار عليه الغبار فتامله صفوان فاذا به قسورة بن جوهرة الذي احتال عليه ذلك الاحتيال وفعل في حقه تلك الفعال فقال صفوان لشيبوب اثبت مكانك ولا تقرب اليّ فهذا غريمي الذي احتال بالامس عليّ . والليلة اشفي فوادي منه واقتله ولو كان يمكني اخذه حيًا عند اخيك لكنت احمله فقال له شيبوب اصبر مكانك فانا اقضي حاجتك ثم انه استقبله وهو يقول له من انت يا وجه العرب هل من مجدّ في طلبك ولم يزل حتى قرب منه وضربه بالخنجر في فواده نكسه عن جواده واخذ جواده وسلبه والى صفوان اركبه وطلبوا ناحية بني عبس وقد اطمانت بقتله قسورة النفس

قال الراوي وكان لمجيء هذا الشيطان في ذلك الوقت كلام عجيب وامر مطرب غريب وذلك ان عنترة لما راى من ذلك العسكر ما يذهل البصر دعا بغمرة واولاده غصوب وميسرة وعروة ولون الظلام وقال لهم لقد طال بنا في هذه الديار المقام واخاف ان يكون الاعداء قد عرفوا اخي شيبوبًا وقبضوا عليه واوصلوا اذيتهم اليه وقد خطر لي في هذه الليلة خاطر وهو اننا نباغت الاعداء في هذه الليلة ونفنيهم بحد الحسام الباتر فاستجود رايه كل من كان في ذلك المكان حاضر ثم انهم قاموا بعد اكل الطعام واعتدوا بالة الحرب والصدام وكبسوا الاعداء في الظلام وانزلوا بهم الانتقام واجروا دماهم في ذلك البر والاكام ولما راى قسورة تلك الاخطار سار ليعلم بذلك الملك غوار ويستنجده على قتال اعدائه اللئام فلقيه شيبوب في الطريق وسقاه كاس الحمام واخذ جواده واركبه لصفوان والسنة اسنة ولحقوا بني عبس وهم في شدة الطعان ولما راى شيبوب ذلك الامر المنكر قصد هو وصفوان ناحية عنتر وصار يشق الصفوف وينادي انا شيبوب المعروف فوقع صوته في اذن عنتر فايقن بالنصر

والظفر وعلم انهُ قد عاد سالم وخلص صفوان من تلك الديار والمعالم فاطمان خاطره وسطا بشجاعتهِ على الاعداء سطوة الابطال فابلاهم بالذل والاهوال وكان كل من طلع من تحت الغبار يرى الاعلام قد مالت والادمية قد سالت و يرى شيبوب يقول اطلبوا الفرار والهرب ولا تسالوا عن السبب والا حل بكم الويل والعطب

قال الاصمعي قيل انهُ كان للقوم ليلة تعد بايام وكانت من الليالي التي تؤرخ وتكتب لما جرى بين الطائفتين من العجب الا ان الليل ما رحل في سواد الغيهب حتى ولت السودان تطلب الهرب واجتمعت طائفة بني عبس بصفوان وترحبوا بهِ بكل شفة ولسان وكذلك شيبوب اخو عنتر وما منهم الا من ودَّ ان يفديه بالسمع والبصر وسالوه عن خلاص صفوان فحكى لهم جميع ما جرى وكان فاعتنق لون الظلام ولده صفوان وفرح بسلامتهِ و بعد ذلك امره عنترة بالرحيل في اثر السودان من ليلتهِ بعد ما جمعوا الاموال والاسلاب وحملوها على الجمال وقد ساروا الى ناحية ديار الملك غوار

قال الراوي هذا ما كان من هولاء وما تم من احوالهم واما ما كان من السودان المنكسرين وما جرى لهم فانهم لم يزالوا منهزمين حتى وصلوا الى الملك غوار واخبروه بما فعل بهم عنتر وكيف كبسهم في الليل بن معة وشتتهم في البر الاقفر وانزل بهم العبر فلما سمع ذلك خاف على ملكهِ و بلاده بعد كسر عساكره واجناده فارسل يعلم الملك همام صاحب ارض ذات الاعلام بما جرى عليهِ من الاحكام ولما كان الصباح طلب صفوان فما وجده فضرب اعناق العبيد الذين كان قد وكلهم بهِ وحزن على خلاصهِ الحزن الشديد

قال الراوي وكان الملك الهمام رجلاً شديد الباس صعب المراس يغزو القبائل ويسبي الحلائل و يقاتل الفارس والراجل وكان له مدينة مبنية بالحجر الابيض ومثلها في تلك الارض لا يوجد و يقال ان الجن بنوها لسيدنا سليمان وكان بقرب تلك المدينة تلٌ مثل الهرم وكان كلهُ مزروعًا شجرًا من كل شيء فاخر وفي وسط ذلك التل سيف قائم وهو لم يبرح عليهِ الطير حائم ولم يكن يقدر على القدوم الى ذلك التل الا من كانت اثوابهُ بيضاء واذا عبر عليهِ من اثوابهُ مصبوغة عصفت عليهِ الرياح من سائر الاقطار واتى عليهِ سيل حتى تكاد القرى التي حواليهِ تنهدم من شدة الامطار

قال الراوي وكان الملك همام قد ترك في ذلك المكان من يحفظهُ من طوارق الزمان وكان في لحف الجبل بيت اذا مات احد يكسرون عظامهُ و ينزعون ما فيها من النخاع و يودعون العظام اكياسًا على قدر حال الميت اما الاكابر فكانت اكياسهم من الديباج الرومي

والفقراء من القطن والخام ويكتبون عليها اسماء اصحابها ويلقونها في ذلك البيت واما اللحم فانهم كانوا يخرجونه الى ظاهر المدينة ويلقونه للغربان السود فتا كله ولا يدعون غيرها تا كل منه وكان كل من في المدينة صناعتهم عمل الدروع والجواشن والبيض والسيوف والرماح وكل نوع من الات الحرب والكفاح وكانوا لا يعطون للملك هام خراجا ولا عداد ولا يقدر احد من الملوك ان ياخذ لهم شيئا من البلاد .

قال الراوي اما الملك غوار فلما جرى له مع عنترة ما جرى ارسل يستنجد بهم ويقول لهم قد ملكت البلاد وقتل صاعقة الاصم وحلت به النقم والشدة وكذلك سويد سيد بني كندة وقد شد معهم لون الظلام وولده صفوان وانك يا ملك ان غفلت عنا هلكنا وربما ساروا بعد ذلك اليك فيفنوا من حواليك ثم انه بعد ارسال الرسول اخذ اهبة الحرب واعتد للطعن والضرب حتى وصلت اليهم بنو عبس وكانوا قد ساروا في عشرين الفا لان غالب السودان اجتمعوا مع كبارهم واتوا الى لون الظلام واطلعوه على جلية الخبر وصاروا يقاتلون مع العسكر وكان لون الظلام قد اخذ لهم من عنترة الذمام

قال الراوي ان عنترة وعساكره لما اشرفوا على عساكر غوار والتقوا بهم في تلك البراري والقفار ونادوا في العسكر احملوا عليهم واوصلوا الاذية اليهم تلقاهم بنو حام وعمل بينهم الحسام وقل الكلام وجرت الدماء من الاجسام وسكرت الابطال من شرب كاس الحمام واشتد بينهم الصدام وخيل لهم انهم في منام ونشر ملك الموت على رؤوسهم الاعلام ولعبت المشرفيات في العظام وبريت النفوس بري الاقلام وعجزت الالسن عما جرى تلك الساعة من الطعان بالرماح الخطيات والضرب بالمشرفيات فرات بنو عبس حرب ذلك اليوم خلاف الوقائع الماضيات لان سودان الملك غوار قاتلوا عن الحريم لقربهم من الديار وكانت قد غلظت اكبادها وزادت احقادها لولا لم يردها ابو الفوارس عنتر فانه وقف على راس المضيق وقفة الاسد الغضنفر والتقى السودان بقلب ليس للفزع عليه طريق وكانت طعناته امر من نار الحريق وضرباته مثل حجر المجنيق وسارت الفرسان خلفه وبين يديه وابصرت حربه فلم نقدم عليه

قال نجد بن هشام وكان غوار ذلك الوقت تحت الاعلام فحمل حين ابصر عودة ابطاله وعشيرته لما عادوا من قدام عنترة وجماعته وكان للقوم يوم من ايام الاخرة وعند المساء التقى عنترة بغوار وارتفع عليهما الغبار وتكافحا مكافحة الاسود الضواري حتى ضاقت عليهما تلك الصحراوات والبراري وكان بينهما ضرب دائم وصيحات تتعوذ منها الرجال الاكارم وما امسى

المسا حتى جرت سواقي الدما مثل الغمام وعادت الرجال الى الخيام وما فيهم من يستطيع القيام ولا في خيلهم من يقدر ان يحمل اللجام مما لقوا في ذلك اليوم من الصدام وخرج صفوان من المعمعة وفيه جراحات بالغة لم يشعر بها لانه عاشق غريق في بحر الهوى لم يجد للعشق من دوا وقلب محبوبته عليه قد قسا وهو يعلل نفسهُ بلعل وعسى فلما نظر عنترة ما حل بهِ من الكرب شجعهُ وقوى قلبهُ فقال يا مولاي وحياة ما في وجهك من حسن النظر ما عندي من هذه الجراحات خبر وما رميت بروحي وفعلت هذه الفعال الا طمعاً بكسر هولاء الانذال ومكافاة الملك همام بالقتل والاعدام لانهُ ردني خائباً عن ابنتهِ اعجوبة الانام وفرق بيني وبينها وحرمنا الالتئام

قال سعيد بن مالك ثم ان عنترة بعد ذلك قال ياصفوان اني لاعجب من عشقك لهذه الجارية على بعد المسافة فان بينك وبينها بادية فقال يامولاي احدثك بالصحيح واخبرك بما كان بيننا من التلويح وذلك انهُ كان بين ابي وبين همام صداقة قديمة من مدة اعوام وكان ابي يزوره ويهدي اليهِ الهدايا والتحف ويقيم عنده الشهر والشهرين وفي كل اموره يستشيره وكنت انا منذ صغري امضي معهُ واذا ما اخذني اخذ جماعة من خواصنا واتبعهُ وكنت يامولاي ارى تلك الجارية اعجوبة الانام التي تحاكي القمر في الظلام وكنت العب انا واياها مدة قيامنا عند ابيها فاحتكمت المحبة بيني وبينها فهمت بها ولما زاد بي الامر اطلعت ابي على حالي فانفذ الى ابيها وخطبها منهُ اكراماً لي فرد رسولنا خائباً وقال لهُ وحق ما يطلع في السماء من الكواكب لولا المحبة التي بيننا لكنت ارسلت اليهِ من يقلع شافته ويقتل ولده ويفتت كبده ويلك ما الذي جعلهُ يتجاسر على هذه الامور . لا وقاه الله من كل محذور . فوالله ياابا الفوارس ويامن ليس لهُ في هذا الزمان مقايس حين سمع ابي ذلك المقال صعب عليهِ وكبر لديهِ وانقطع عن زيارتهِ ولما علمت انا بهذه الحال زاد شجني ويئست من الحياة وايقنت انهُ اذا دام الحال على هذا المنوال تدنو مني الاجال فاضطر ابي اذ ذاك ان يكاتب السودان ويجمع من سائر البلدان حتى اننا نسير اليهِ ونقتلهُ واملك ابنتهُ واتولى مملكتهُ فجرى لنا معك ما جرى وهذا ياابا الفوارس ما تم لي وطرا وانني الى الان انقلى ولم يحصل لي شيء بهِ اتسلى فقال لهُ عنترة طب نفساً وقر عيناً فانا اخذ لك الجارية ولو كان بينك وبينها جبال راسية

قال الراوي هذا ما جرى لهولاء من الاحكام وما دار بينهم من الكلام واما ما كان من عساكر الملك غوار وبني حام فانهم نزلوا وما لهم حديث الا عنتر ومن قتل منهم سيف

ذلك اليوم الاخير فقال لهم الملك غوار والله يا بني عمي ما هو الا فارس خبير بالحرب ومواقع الطعن والضرب لا يخرج له فارس الا صرعه في حومة الميدان ولكنني لما وقعت به اخر النهار وانعقد علينا الغبار كنت قتلته لو لم يدركنا المساء وعند الصباح اخرج اليه وادعوه الى البراز فان خرج اليّ فرجنكم عليه لانني لا اريد ان ياتي الملك هام الى هذه الديار الا وقد قضينا الاشغال ولم تزل الطائفتان على تلك الحال حتى اصبح الله الصباح وتبادرت الرجال تطلب الحرب والكفاح فطلبوا صفوان وعنتر ليخرجا الى الحرب فلم يجدوا لهما اثر وقد فقدوهما من دون العسكر فسالوا شيبوبا فقال وحق الرب القديم لا اعلم عنهما خبرًا فخافت عليهما بنو عبس من الهلاك وخشي عروة وغمرة على العسكر من الارتباك وعلم غصوب وميسرة بفقد ابيهما عنتر فكادت مرائرهما تنفطر وقال لون الظلام ما هذا الا امر صعب ايفقد حاميتنا ونحن في هذا الكرب فقال غصوب ياقوم اكتموا سركم في هذه الساعة والا ان علمت الاعداء بفقد حامينا طمعوا فينا واكثر ظني انه لما راى شكوى صفوان وما حلّ به من الهوان اخذه وسار به الى ديار اعجوبة الانام لياخذها له من ابيها الملك هام فقال له شيبوب والله يا غصوب لقد خاب حذرك وطاش فهمك وحق الرب العظيم

الكتاب التاسع والثمانون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

ان اخي وصفوان قد جرى عليهما حيلة تمت عليهما والا اخي لا يخاطر وحده ولو كان الامر كذلك لكان اخذني معه لاجل التدبير والمشورة ولكن احترزوا على ارواحكم حتى اسير على اثرهما واكشف خبرهما وكانت الصفوف قد تقابلت وعلى الحرب عولت واذا بالملك غوار قد خرج الى الميدان وطلب الحرب والطعان ثم نادى وقال ابرزوا يا اوغاد واطلبوا الجلاد ولا يبرز الا عنترة بن شداد اذ قد اعجبني امس قتاله لما رايت حربه ونزاله

قال الراوي فلما سمعت بنو عبس كلام الملك غوار علموا ان لا علم له بفقد عنترة البطل الكرار فاراد غصوب ان يخرج اليه فسبقه فارس من اصحاب لون الظلام واطبق عليه من غير كلام وفاجاه واراد ان يطعنه فضرب غوار رمحه فبراه وضربه بالسيف اطاح راسه ثم جال وصال وقال يا بني عبس ليس عادتكم التقصير عند البراز وانتم تزعمون انكم فرسان الحجاز اتدعون غيركم يقاتل عنكم ابن اسودكم لِمَ لم يبرز اليّ حتى اريه كيف القتال فاننا قوم نحب الانصاف

ونكره الاسراف فلما سمع غصوب منهُ ذلك المقال قال لاخيهِ واصحابهِ اننا على عجل من امرنا وقد طال بنا المطال ونحن نريد الانجاز ونبطل في الحرب البراز هذا والصفوف قد تقابلت وعلى الحرب عولت وقد زادت الاحقاد وشهروا السيوف الحداد ومدوا الرماح المداد

واراد غصوب ان يحمل بذلك العسكر فسبقهُ ابن عم الملك لون الظلام وكان فارسًا هامًا وملكًا ضرغامًا وكان راكبًا على جواد صلب القوائم قوي الشكائم فصال وجال وطلب الحرب والقتال فنظره الملك غوار فعرفهُ من تحت الغبار فقال لهُ ويلك اراك قد خرجت الى قتالي يا بكار وانكرت القرابة غاية الانكار اما تستحي على نفسك بان تعرف قدرك بين ابناء جنسكَ اما كان لي عليك وعلى ابن عمك لون الظلام الاكرام والانعام حتى التجائم الى هولاء القوم اللئام ولكن ان ظفرت بك اليوم جازيتك اخس الجزا واقرب بدمك الى اللات والعزى لاني قد نذرت على نفسي للاصنام ان اعلق راس لون الظلام على عمد البيت شهرًا بالتمام واجعلهُ موعظة للانام لانهُ يقابل الاحسان بالانتقام

قال الراوي فلما سمع بكار منهُ ذلك الكلام قال لهُ والله يا ابن اللئام ان ما حدثتك بهِ نفسك ما هو الا اضغاث احلام ثم حمل عليهِ ومدَّ سنان رمحهِ اليهِ فتلقاه الملك غوار واحتق عليهِ في القتال والطعان بالرماح العوال والضرب بالسيوف الصقال وما كان الا ساعة من الزمان حتى طعن الملك غوار بكارًا في صدره اطلع السنان يلمع من ظهره فصعب ذلك على بني حام وصاروا يخرجون اليهِ من كل جانب ومكان ويحملون عليهِ في حومة الميدان الى ان قتل عشرين واسر ثلاثين فنظرت غمرة الى ذلك الحال فصعب عليها تلك الفعال فعندها خرجت على جواد من الخيل الجياد وصاحت فيهِ فخرج من تحتها كانهُ البرق الخاطف او السيل الواكف وتبعها من بني عبس الابطال وصار الاتصال بعد الانفصال ولمعت تحت الغبار بوارق النصال وحمل عروة برجالهِ الاقيال وحمل ميسرة وغصوب الفارس الريبال وحمل الملك لون الظلام وكثرت الاهوال وايقنت النفوس بحضور الاجال وكان لهم يوم تشيب منهُ الاطفال ولولا المساء لكان حل ببني عبس الوبال وقد اشغلهم عن الحرب والقتال شيء لم يكن لاحد على بال وهو انهُ ثار من خلف عساكر الملك غوار غبار حتى سد منافس الاقطار فوقف العسكران ينتظران ما يكون من الاخبار وبعد ساعة انكشف للنظار وبان من تحتهِ فرسان مثل الظلام كلهم سودان من اولاد حام قد طبقوا تلك الارض والاكام وهم ينادون قائلين يا غوار هولاء اللئام فنحن اصحاب الملك هام صاحب ارض ذات الاعلام وكانوا اكثر من خمسين الف فارس

للدروع لوابس ما بين رامح وتارس ولم يزالوا سائرين يقطعون البراري والقفار الى ان اشرفوا عليهم في ذلك النهار فجارت نحوهم الفرسان واسرعت اليهم الشجعان واعلنوا الافراح وانقلبت بصياحهم تلك النواحي والبطاح وتقدم المبشر الى غوار وقبل الارض بين يديه واخبره ان الملك هماماً ارسل نجدة اليه عددها خمسون الف بطل من الفرسان الشجعان والمقدم عليهم صفوان بن معدان ولما وصلوا انطبقوا على بني عبس وحملوا وكذلك الملك غوار وقد طار عقله من الفرح والاستبشار وزال عنه الهم والاكدار

قال الراوي وكان السبب في وصول هذه النجدة من عند همام هو انه لما وصلت عساكر غوار اليه مهزومة من قدام عنتر صعب عليه وحلت به العبر فارسل الى همام يعلمه بهذه الاخبار فلما وصل الرسول اليه واخبره بالخبر هدر وزمجر وقال وحق الليل اذا اعتكر والقمر اذا انار وابدر لابد لي ان اخرج الى ارض الحجاز واقطع ما بيني وبينها من المفاز والتقط فرسانها في البراز واقتل الابطال وانهب سائر ما عندهم من الاموال ثم ان هماماً جهز ذلك العسكر الجرار وارسله الى الملك غوار بن دينار بعد ان كتب الكتب الى بلاده وسيّرهم الى عسكره واجناده وقد امرهم باخذ الاهبة الى نصرة الملك غوار ولما وصلوا الى بني عبس كما ذكرنا التقوهم وفي اوائلهم غصوب وميسرة ومازن وسبيع اليمن الفارس القسور ونادى الملك لون الظلام باصحابه الكرام دونكم يابني الاعمام احملوا على اعداكم ولا تتركوا الذكر لسواكم ثم انه حمل في اوائلهم وجدّ في القتال فضاق على بني عبس المجال وساءت منهم الاحوال وتوهم القوم ان الارض اعتراها الزلزال وقاتل غصوب قتال اشد الابطال فرد الخيل بحملته وتراجعت الفرسان من عظم زعقته وولّت قدامه من هيبته واما غمرة والدتة فانها همهمت ودمدمت وبذلت نفسها دون بني عبس واستقتلت وانصبت المصائب ونزلت وكثرت المواكب على بني عبس وتكردست وتصادمت المواكب واختلطت وسالت الدما وانهرقت والقلوب رجفت والعيون دمعت وثبتت بنو عبس اشد الثبات وعلى الهلاك صبرت ولم يزالوا على ذلك الحال الى ان ولى النهار واقبل الليل بالانسدال وهم على اشد حرب وقتال وقد زادت بينهم الاهوال حتى شابت منها الاطفال وكانت ليلة عظيمة مدلهمة جسيمة جرت فيها كل مائبة اليمة وفنيت بها رجال لهم قدر وقيمة هذا وما اتى الليل والظلام وفي القوم من يعرف عدوه او صديقه وسد في وجه الجبان مسلكه وطريقه وما زالوا على تلك الحال الى ان اذن الليل بالرواح وبدت غرة الصباح وفي ذلك الوقت عظم على بني عبس الامر ولم يعد يعي زيدٌ على عمرو واكثرهم

السودان الجياع وما بقي بينهم وبين الموت سوى باع بل ذراع ولم يستطيعوا للعدو الدفاع وكان نظرهم يغني عن السماع لكن لله در غضوب عروس الميدان فلقد حماهم بسيفه والسنان وكذلك ميسرة فانه كردس الفرسان واما بقية الاصحاب فكان لهم يوم وليلة تحير من وصفها اولو الالباب وما زال القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى ان صار اخر النهار فرجعوا عن ضرب البتار وقد بني عليهم سرادق الغبار اما بنو عبس فهما دهاهم استظهروا في اليوم الثاني على اعداهم لانهم كانوا قد ايقنوا بموتهم وفناهم فصبروا صبر كرام الرجال على ما يه الله ابلاهم وكان بالاتفاق العجيب والامر الغريب ان قد اتاهم من ديار غمرة سبعة الاف فارس كرار لما سمعوا بتلك الاخبار فلما اتوا اشفوا القلوب وازالوا الكروب وبعدها افترقت الطائفتان وما فيهم من يعرف اين يضع اقدامه ونزلوا على وجه الارض وجلست بنو عبس الى المشورة والتدبير مع بعضها البعض ودار بينهم الكلام فقال عروة بن الورد انا اعلم ان السبب في اتيان هولاء السودان الينا وزيادة طمعهم فينا غياب حامينا فان كان قد قتل فياشماتة الاعداء فينا هذا وشيبوب الاخر لم يعد ولا ندري ما كان منه وقد فات الميعاد فقالت غمرة ونحن لا نسلم ارواحنا الى الاعداء وفينا قلب يخفق ولسان ينطق ثم انهم اكلوا شيئاً من الزاد بعد ان فرغوا من الكلام وما زالوا الى ان اصبح الله بالصباح فركبوا وقد عزموا على البراز وركبت ايضاً طوائف السودان ولما انعدلت الكتائب خرج من بني عبس فارس بالحديد غاطس وطلب البراز وكان ذلك الفارس سبيع اليمن بن مقري الوحش ولما صار في الميدان انشد وقال

مسيكة في ذا اليوم قلّ المساعدُ ... ودمعي على الخدين مني شاهدُ
فيا ام مالي بالتباعد طاقة ... فها جلدي من بعدك اليوم فاقدُ
وعندي جوًى يا امُّ حرٌّ وفيده ... يذوب له صم الحصى والجلامدُ
ويا برق ابلغها تحية صادقٍ ... وقصّ لها ان التشوقَ زائدُ
احاطت بنا السودان من كل جانب ... وقد طمعت فينا وقل المساعدُ
وقد غاب عنا فارس الجيش كله ... فحفت بنا من بعد ذاك الشدائدُ
اياعنترًا لو كنت قدام جيشنا ... دفعت البلا عنا وذلّ المعاندُ

قال الراوي فما اتم كلامه حتى برز اليه فارس اسود وصار معه في الميدان وصاح عليه وقال له ويلك اين تهربون وقد احاط بكم ريب المنون ولِمَ لم يخرج اسودكم الى المجال فقال له سبيع اليمن ويلكُ ومن انتم من الامم حتى يخرج اليكم ذلك الفارس الغشمشم

وما انا اقل غلمانهِ وقد خرجت اليكم انوب عنهُ فدونكم البراز في المجال ثم ان سبيع اليمن جرد الحسام وطلبهُ كما يطلب الجارح الحمام وتلقف رمحهُ وبراهُ وثنى عليهِ بضربة على راسهِ فنزل السيف يهوي الى اضراسهِ فعند ذلك صاحت بنو عبس فرحاً وقد تعجبوا من ضربتهِ هذا والملك غوار لما راى ما حل بصاحبهِ قال وحق اللات والعزى ما لفرسان هولاء القوم مثال ويحق لهم ان يسموا بين العرب فرسان المنايا والموت الزؤام ولما قتل سبيع اليمن ذلك الفارس خرج اليهِ اخوهُ وكان لهُ مقايس فصاح وحمل على سبيع اليمن بقلب قدّ من حجر وتجاولا وتضاربا ساعة من النهار وعلا عليهم الغبار . وعمرة وعروة ينظران من جملة النظار وطال بينهما الامر الى ان انجلي الغبار واذا بسبيع قد جال على خصمهِ واتعبهُ واكربهُ حتى حك ركابهُ بركابهِ وقبضهُ من جلباب درعه وجذبهُ من سرجه فاخذه اسيرًا فتبادرت فرسان بني عبس وشدوهُ الكتاف و بعد ذلك غدرت السودان وصاروا يحملون عليهِ من عشرين وثلاثين واربعين عنان وهو يتلقاهم و يبيد اقصاهم وادناهم وما زال حتى مضى نصف النهار فقتل ستين واسر ثلاثين فعند ذلك حملت السودان من كل جانب ومكان وكذلك بنو عبس وعدنان وعساكر لون الظلام ووقع بينهم القتال والصدام حتى اقبل الظلام فافترق الفريقان و باتوا تلك الليلة وعند الصباح ركبت الطائفتان وكان اول من برز الى الميدان الملك غوار بن دبنار لانه بات وفي قلبهِ من سبيع اليمن النار وصال وجال وقال لا يبرز لي الا غريمنا بالامس وانشد يقول هذا المقال

ها قد اتاك مبيد الهام والقممِ	وقاتلُ الاسد بالمهندبةِ الخذمِ
لا ينثني عن لقا قرن ينازلهُ	حتى يصيرلهُ ثوبٌ من العدمِ
اني انا الفارس المشهور صارمهُ	عالي النجاد كريمُ الاصل والشيمِ

قال وما ختم غوار كلامهُ حتى صار الامير ميسرة قدامهُ فقال لهُ غوار ويلك اين ذلك الغلام الذي نزل بالامس الى الميدان قال ميسرة انا عنهُ الفداء ثم انهُ حمل عليهِ حملة الابطال واقتتلا قتال من لا يهاب الاجال وكل منهما طال على خصمهِ واستطال فبينما هما على ذلك الحال واذ كبا بميسرة الحصان وهو في اشد ما يكون من الجولان ووقع الى الارض فكادت عظامهُ ان ترتض فانقض عليهِ غوار واخذه اسيرًا وقاده ذليلاً حقيرًا فلما نظرت بنو عبس الى ذلك انقطعت ظهورها وحارت في امورها واما غصوب فاراد ان يبرز اليهِ فاعترضتهُ امهُ عمرة من شفقتها عليهِ واذا بعروة بن الورد برز اليهِ وحمل عليهِ وكانت ساعة تشيب منهـــا الاطفال من عظم ما قد وقع بينهما من القتال والحرب والنزال وكان

الملك غوار بطلاً جبارًا ثقيل العيار لا يصطلى له بنار وقد نظر الى ثبات عروة بين يديه فهجم عليه ومسكه من خناقه وجذبه من رجليه عن جواده فاوثقه كتافًا فعند ذلك حملت رجال عزوة لتطلب خلاصه وقد اطلقت نحوه الاعنة وقومت الاسنة وابصرت غمرة هذا الحال فحملت واظهرت الاهوال وحملت من خلفها السودان اولاد حام وكذلك حمل الملك لون الظلام ووثبوا جميعًا مثل الاسود وخاضت الخيل بالدماء هذا وغمرة قد طلبت غوار حتى وصلت اليه وحملت عليه فتلقاها بقلب اشد من صلد الاحجار لكنه وجدها عليه ثقيلة العيار تزيد الدرهم قنطار كانها الاسد الهدار ورفعت يدها وطعنته بالسنان فدخل بين الحديد والزرد فلم يصب بادنى مضرة ولكنه تقهقر من جرى ذلك الى الوراء ساقطًا على وجه الارض والفلاه وكاد يعدم الحياه لولا ان عبيده وسودانه ادركوه وقاتلوا عنه حتى اركبوه ومن المعمعة اخرجوه ودام بينهم القتال حتى المسا وحينئذٍ افترقوا عن بعضهم البعض وباتوا الى الصباح ولم يزالوا في حرب وقتال اربعة ايام وخمس ليال وفي اليوم الخامس وصلت اليهم نجدة من بني قضاعة وورد الى لون الظلام نجدة من عساكره السودان ففرحت بنو عبس الكرام وصعب ذلك الامر على غوار وفزع غاية الفزع واما غمرة فانها الفت بني عمها والتقتهم احسن ملتقى وقصت عليهم ما لاقت من الشقا وكيف فقد من بينهم حاميهم عنترة واعلمتهم بمن قتل منهم وما زالوا ينتظرون الصباح رغبة في الحرب والكفاح وحينئذٍ ركبت الطائفتان وتقدمت الى الميدان وتاهت القبائل للمات واعتدلت من سائر الجنبات وكذلك فعلت السودان وانتشرت حتى ملات القيعان وركب الملك غوار ومن حوله خواصه الكبار وامر النقباء ان تعلم المقدمين من السودان انهم اذا توسطوا الميدان لا يعود كلٌّ منهم الا باسير او علامة قتيل فلما سمعت الطوائف ذلك سمحت بارواحها وحلفت انها تفني بني قضاعة وقت كفاحها فنعرت الابواق وضجت الطبول وهزت فرسان بني عبس رماحها ووطنت على الموت ارواحها وكان غصوب في اوائلهم ومازن وسبيع اليمن يحامي عنهم وفي دون ساعة حملت الشجعان وتقدمت الطائفتان وكان اول من حمل الامير غصوب الذي هانت نفسه عنده بعد فقد ابيه الفارس المحبوب فحمل وحملت من بعده غمرة في بني قضاعة وحمل لون الظلام بعساكره في تلك الساعة وكذلك الملك غوار وقد حمل في مائة الف من السودان فاهتزت الاطلال وتزلزلت الجبال وكثرت الاهوال وعظمت المصائب والمحن وفارق الراس البدن وكان يوم لو حضرته الاطفال لشابت عند رضاع اللبن ونهارٌ يعدُّ من ايام الزمان . بيعت فيه الانفس بيع الهوان

قال الراوي ولقد رايت السماء اعتمت والجوانب اظلمت والرجال تصادمت والغبائر غيمت والجماجم انتثرت والبطون تفجرت والرماح تحطمت والسيوف تثلمت والدماء انسكبت والانذال ولت وانهزمت فلله در غمرة وولدهـا غصوب لانهما شفيا بافعالها القلوب وفرجا الكروب وما مضى ذلك اليوم واتى الغلس حتى ضاق منهم النفس ونظر ملك الموت فيهم وعبس فافترقوا عن القتال وعادت كل طائفة الى مكانها وهي تشكو ما لاقمت ذلك اليوم من احزانها ورجع غصوب وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من دماء الفرسان وعاد الملك غوار وهو خائف ان تخرج من يده تلك الديار من شدة ما قاسى في يومهِ من الاخطار ولكن عند رجوعهِ وصل اليهِ رسول من عند الملك هام وتقدم اليهِ وقبل الارض بين يديهِ وخدم وترجم ودعا وسلم وقال ابشر يامولاي بالنصر والظفر وبلوغ الوطر فان الملك هام صاحب ارض ذات الاعلام قد ارسلني ابشرك باسر صفوان بن الملك لون الظلام وعنترة بن شداد وقد عزم ان يصلبهما في تلك البلاد ويريح منهما العباد فلما سمع غوار تلك الاخبار كاد يطير من الفرح واتسع صدره وانشرح وخلع على الرسول وقال لهُ وحق الرب القديم لقد فرجت عنا الهموم باسر هذا الشيطان الرجيم فابقى الله الملك هامًا واحياه ولا حرمني طلعة محياه ثم ان غوارًا امر في تلك الساعة بالبوقات فزعقت والكوسات فدقت والبشائر في العشائر انتشرت وقد قال للرسول يا اخا اولاد حام كيف وقع في اسر الملك هام صفوان وعنترة القرنان وما الذي اوصلهما اليهِ واقدمهما عليهِ فقال الرسول اعلم يامولاي ان الذي اوصلهما الى الملك ابنتهُ اعجوبة الانام لانها من كثرة خداعها عملت عليهما حيلة واوقعتهما فيها فقال الملك غوار والله انها فعلت فعل الرجال الاخيار ولكن اريد منك ان تحدثني بحديثهما في هذه الساعة فقال لهُ الرسول السمع والطاعة اعلم ايها الملك انك لما انفذت الى الملك هام تشكو اليهِ ما لاقيت من هولاء اللئام وانهم ملكوا ارض السودان وانزلوا باهلها الذل والهوان صعب ذلك عليهِ وكبر لديهِ وخاف على العباد والبلاد وارسل من تلك الساعة العساكر والاجناد وقد بقي متفكرًا كيف يفعل وحلت بهِ الوساوس واندهل فلما رات ابنتهُ ما اعتراه من الخلل وعلمت ما على قلبهِ قد نزل قالت لهُ يا ابتاه هون عليك هذا الامر وفرغ قلبك من هذا المرام فانا اقود عنترة اليك وهو في حبال الذل والارغام في اقل ما يكون من الايام ان انت اذنت لي في ذلك المرام

فلما سمع ابوها مقالها قال لها اعملي ما بدالك وعجلي فيما قلت من اعمالك ان كنت تقدرين على شيء من ذلك فوثبت من بين يديهِ في الحال ولبست لبس الرجال وتعممت

وتلثمت وقد عزمت على الاحتيال واخذت معها عشرين فارساً ابطال وخرجت في اثر ذلك العسكر الجرار الذي كان ارسله ابوها في اثر غوار وقد سارت خلفه في ذلك البر الاقفر والمهمه الاغبر وما زالت سائرة حتى وصلت الى عساكر عنتر وطلت خيام الملك لون الظلام . ولامر ارادهُ الله تعالى لانفاذ الاحكام انهُ بينما هي تدور بين الخيام واذ قد سمعت صوت صفوان الملقب ببدر التمام وهو يتنهد ويتحسر ويتاوه ويتضجر

فلما سمعتهُ العجوبة الانام تقدمت اليهِ وسلمت عليهِ فرد عليها السلام وقال لها ما حاجتك ايها البطل الهمام قالت يا ملك انا محبوبتك العجوبة الانام ثم انها كشفت عن وجهها اللثام فلما عرفها وثب قائمًا على الاقدام وقال لها ما اقدمك الى هذا المكان يا نور العين قالت اعلم يا صفوان ان سبب مجيئي الى هذا المقام انت لان اباك من يوم ارسل فخطبني من ابي وما انعم بي وقعت محبتك في قلبي وحرمت المنام واكل الطعام ومن شدة ما جرى عليَّ من العشق والغرام اتيت الى هذه الخيام ومرادي ان اعمل لك على قتل ابي واملكك قلعة ذات الاعلام واجعلك ملكًا تحكم على الخاص والعام فقم واتبعني لان ابي سار للصيد ولا يرجع الا بعد عشرين يومًا تمام فقال صفوان ان كان الامر كذلك فاصبري حتى اخبر صديقي عنترة بن شداد لانهُ اذا كان معنا يبلغنا المراد من كل من في تلك الارض والمهاد قالت لهُ افعل ما بدا لك ولكن لا تعلم غير عنترة فاجابها الى ذلك ثم انهُ تركها في سرادقهِ وسار طالبًا عنتر فوجده لاجل القضاء والقدر منفردًا لا احد لديهِ فدخل عليهِ وقبل يديهِ واخبره بقدوم محبوبته العجوبة الانام وبما قالت لهُ من الكلام فوثب عنترة على الاقدام لانهُ كان يرحم العشاق ويعلم ما يقاسون من الاشواق والم الفراق ولبس عدتهُ حتى بقي قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل وسار الى ان وصل عند العجوبة الانام فلما نظر حسنها عذر صفوان في محبتهِ لها واما العجوبة الانام فلما نظرت عنترة اندهلت من كبر جثتهِ وهول خلقتهِ وانزعاج عينيهِ وغلظ ساعديهِ فوثبت اليهِ وقبلت يديهِ فسالها فحكت لهُ مثلما حكت الى صفوان فقال لها عنترة وانت هل اتيت وحدك قالت لا يا ابا الفوارس بل معي عشرون فارسًا من بني عمي قال وهذه الشجرة التي بين بلادكم وبين هذه الارض والبلاد كيف سلمت منها قالت اتيت يا ابا الفوارس برصدها فلما سمع عنترة كلامها ركن اليها وركب هو وصفوان والعجوبة الانام وخرجوا من الخيام ولحقهم العشرون الفارس الذين اتوا معها وسار الجميع يقطعون البراري والقيعان والاودية والقفار حتى قربوا من شجرة ذات الانوار فالبستهم جلبابًا ازرق وكحلت اعينهم اليسرى فجازوا الشجرة وما زالوا سائرين وعنترة محترز على روحهِ

حتى اقتربوا الى قلعة ذات الاعلام فالتقاهم العشرون الفارس الذين اوقفهم لها الملك همام فلما راوها تبادروا اليها وسالوها عن عنترة وصفوان فقالت هولاء رسل اتون عند ابي قبل رجع من الصيد قالوا لها يامليكة انتِ تعليمن ان اباكِ اذا ركب للصيد لا يعود الا بعد عشرين يوماً فلما سمع عنترة هذا المقال من اولئك الابطال امن الى الاعجوبة الامام لانهُ كان في الاول متحذرًا من حيلة اومكيدة لكنهُ لما سمع ذلك المقال امن قلبهُ وسار حتى وصل الى قلعة ذات الاعلام فترجل وفعل صفوان مثل ما فعل فلم يعترضهم احد وكان الملك همام قد اوقف لها اربعة الاف فارس الفين عن اليمين والفين عن الشمال فانطبقوا عليهما وقبضوا على الاثنين وشدوهما كتاف وقووا منهما السواعد والاطراف فعلم عنترة ذلك الوقت انها حيلة تمت عليهِ فندم حيث لا ينفعهُ الندم وانما سلم نفسهُ للقضا والقدر الذي ليس للعبد منهُ مهرب ولا مفر ثم قدموهُ الى قدام الملك همام فلما راى خلقة عنتر اندهل وتحير من كبر جثتهِ وهول خلقتهِ وقال لهُ ويلك يا ابن الحرام ونسل اللئام كيف تجرات على الدخول الى بلادنا وقتل عساكرنا واجنادنا . فقال عنترة جرأني على ذلك قوة جناني ومضارب حسامي الضامي ويلك ياقرنان هل اخذتنا بشجاعتك اسارى من حومة الميدان حتى تفرح بهذا الشان فوحق الرحيم الرحمن خالق الانس والجان ان ضمني انا وعسكرك الميدان لا اترك منهم انسان ولو كانوا بعدد رمل كنعان ولو لم تقدنا هذه الامة الى هذه الارض والاطلال بالمكر والاحتيال لكان بعيداً عليك ان ترانا اسارى بين يديك لان وراءنا عساكر مثل البحار الزواخر ومثل غصوب وميسرة وغمرة وشجعان بني عبس وعدنان الذين لا يبالون بالموت والهوان فقال الملك همام وذمة العرب الكرام ما بقيت اقتلكما حتى اضيف اليكما رفاقكما واقتلكما جميعاً في يوم واحد ثم رمى عنترة وصفوان سعض الحجر وارسل يبشر غوارًا باسر صفوان وعنتر فلما سمع غوار بذلك الحال امر بدق الكوسات ونعر البوقات فسمعت بنو عبس ذلك الامر فقال غصوب لامهِ غمرة يا اماه ما بال اعداءنا هذه الليلة فرحون قالت اما ان تكون قد وصلت اليهم نجدة او خبر عن ابيك عنترة قال غصوب اذا كان الامر كذلك فانا وحق مالك الممالك غداة غد لا بد ان اخذ الملك غوار ولو كان على ظهر الغمام السيار وبعد ذلك قعدوا يتحارسون الى ان اصبح الله بالصباح فركب الفريقان واصطف العسكران وصاح غصوب في امهِ غمرة وابطال بني عبس وقال لهم احموا ظهري وتفرجوا اليوم على كري وفري ثم انهُ حمل على عساكر الملك غوار كانهُ الاسد الهدار وعن يمينهِ امهُ غمرة وعن يسارهِ سبيع اليمن الاسد الغضنفر ووقع بينهم القتال والطعن والنزال هذا وغصوب كانهُ البلا

المصبوب وقد هجم تحت اعلام الملك غوار وصاح فيه صيحة الاسد الهدار وانقض عليه فاخذه اسيرًا وقاده ذليلاً حقيرًا وصاح بالعبس يالعدنان انا ابن عنترة الفرسان واما السودان فلما رات ذلك الحال انطبقت على غصوب من كل جانب يطلبون خلاص ملكهم من يديه فالتقتهم غمرة وسبيع اليمن والابطال المقدم ذكرهم وما زالوا يقاتلونهم حتى هزموهم شرّ هزيمة واخذوا الملك غوارًا وعادوا الى الخيام وهم كاسود الاجام واكلوا الطعام وامر غصوب بتقديم الملك غوار الى بين يديه مصفدًا بالحديد والاغلال فلما احضروه وثب اليه وجرد حسامه وعول على ضرب رقبته فقال غوار لا تفعل ايها البطل الهمام هذه الفعال بل ابقني لعلك تفدي بي اباك عنترة الريبال . قال الراوي فلما سمع غصوب كلام غوار فرح واستبشر وقال له يا ويلك ان كان ابي عندك اطلقتك الساعة من الاعتقال قال غوار لا وحق الملك العلام وحكى له ما دبرت العجوبة الانام من الحيلة عليه وعلى صفوان وكيف اوقعتهما بالاسر والهوان فلما سمع غصوب كلام غوار فرح واستبشر بسلامة ابيه عنتر ثم القى غوارًا في بعض الخيام ووكل عليه جماعة من الابطال الكرام وارسل خلف الملك لون الظلام واخبره بسلامة ابنه صفوان ففرح وزالت عنه الاحزان وبات تلك الليلة وهو فرحان ولما اصبح الصباح برز غصوب الى ساحة الميدان وصال وجال ونادى ابرزوا يا ابطال السودان الى الحرب والقتال فاني لا اخلي منكم احدًا الا ابيض ولا اسود فلما سمعت السودان كلامه اخذت تبرز اليه فارسًا بعد فارس وهو يخمد منهم المنافس فما امسى المساء الا وقتل منهم خلقًا لا يحصى ثم عاد فالتقته الفرسان وهنأوه بالسلامة والظفر وبلوغ الوطر وباتوا الى الصباح فركب العسكران واصطف الفريقان فبرز غصوب الى الميدان ولم يزل حاميه مدة عشرة ايام بعد اسر غوار وفي اليوم الحادي عشر ركبت الابطال وترتبوا في حومة المجال واراد غصوب ان يبرز الى الميدان واذا بغبرة طلعت وعجاجة بانت وانقشعت وظهر من تحتها عشرة فرسان على خيول اخف من الغزلان وفي اوائلهم فارس كانه العلم عليه ثوب ديباج معلم بالذهب الوهاج وعلى راسه عمامة اطرافها تلتهب من كثرة الذهب ومن خلفه غلام من الترك بوجه نشوش كانه الدينار المنقوش وعليه قباء وطربوش وفي يده علم مجوهر يدهش النظر فبهتت الفرسان اليه ولم يزل يخترق الصفوف ويفرق المئات والالوف الى ان وصل الى عساكر الملك هام وتقدم الى وزيره وساررهُ بالكلام وفي ساعة الحال وكل الوزير بطلاً من ابطاله على عسكره ورجاله واخذ مقدار مائة بطل هام وسار مع ذلك الرسول هذا وقد تعجب غصوب وبنو عبس وجميع العساكر من ذلك الحاجب كيف كلم وزير الملك هام فاجاب

كلامة وسار معة وانذهلت جميع العساكر والابطال ولم يعلموا السبب في ذلك الحال ثم نزل غصوب الى الميدان وما زال يقاتل الى المساء فقتل مائة فارس همام وعاد طالبًا الخيام وباتوا يتحارسون الى ان اصبح الصباح وارادوا ان يشرعوا بالحرب والكفاح واذا بذلك الحاجب قد اقبل بذلك الزي والمنظر وما زال سائرًا حتى وصل الى الحاجب الذي وكلة وزير همام وكلمة سرًّا فاجابة بالسمع والطاعة واخذ مئتي فارس غضنفر وسار مع ذلك الرسول يقطع البر الاقفر فانذهلت الابطال واخذهم العجب ولم يعلموا السبب فالتفت غصوب الى امه وقال لها يا اماه وحق علام الغيوب اقول ان هذا الحاجب عمي شيبوب قالت غمرة يا ولدي ما هذا الكلام من اين يصل عمك شيبوب الى هذه الارض او الى هذا الامر ولكن انا خائفة على ارضنا وبلادنا ان الملك همامًا يرسل هذه العساكر اليها ويملكونها من خلفنا ويتعبونا ثاني مرة في خلاصها وانا مرادي ان ارسل جاسوسًا يكشف لنا الاخبار فاجابها غصوب الى ذلك الامر وارسلوا جاسوسًا وبرز غصوب الى الميدان وقاتل للمساء فقتل مائة فارس همام ورجع الى الخيام وباتوا وهم متعجبون من امر ذلك الرسول وما زالوا على ذلك الى الصباح فركبت الابطال واراد غصوب ان يبرز الى الميدان واذا بذاك الحاجب قد اقبل وما زال سائرًا حتى وصل عند الموكل على العسكر وكلمة في اذنهِ فاجابة واخذ الف فارس همام وسار يقطع الروابي والاكام فقال غصوب لغمرة وحق علام الغيوب ما هذا الرسول الا عمي شيبوب قالت غمرة يا ولدي من اين لعمك شيبوب الوصول عند الملك همام وكيف يطاع في هذه الاحكام فما لنا الا ان نصبر حتى نقدم الجواسيس ونرى ما يكون فنزل غصوب للميدان وقضى ذلك اليوم بالبراز الى المساء ثم عاد الى الخيام الى ثاني الايام واذا بالرسول قد اقبل حتى وصل للموكل على عساكر همام واسرَّه في اذنهِ فاخذ الفي فارس وسار طالبًا قلعة ذات الاعلام

قال الراوي وما زال الرسول على ذلك الحال كل يوم ياتي وياخذ من عساكر همام حتى لم يترك منهم احد لا ابيض ولا اسود ثم اتت بعد ذلك الجواسيس الذين انفذتهم غمرة الى بلادها واعلموها انهم ما لقوا احدًا لا ابيض ولا اسود فطاب قلبها وفرحت فعند ذلك اقبل غصوب على امهِ وقال لها لقد عولت ان اكبس هذه العساكر تحت الليل العاكر وافرقهم في البراري والاكام واسير الى قلعة ذات الاعلام واخلص ابي ولو كان على ظهر الغمام فقالت له هذا هو الصواب والراي الذي لا يعاب ثم انهم نبهوا على العساكر باخذ الاهبة الى قتال السودان فاجابوهم الى ذلك الشان وباتوا يفتقدون عددهم الى وقت السحر ثم ركبوا خيلهم

وتقلدوا بالسيوف الحداد واعتقلوا بالرماح المداد ففرقهم غصوب اربع فرق وهجم على عساكر غوار في ظلام الغسق وابلاهم بالويل والحرق فوثبت عساكر السودان من المنام واكثرهم خال من السلاح وقد اندهلوا وتحيروا وجردوا سيوفهم ووقعوا في بعضهم البعض حتى انقرضوا انقراضاً واي انقراض وما زال القتال يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل والرجال تقتل حتى اصبح الصباح والليل ارتحل فقتل من عساكر غوار امم لايحصيها الا الملك القهار والذين سلموا طلبوا عرض البر والقفار وركنوا الى الهزيمة والفرار وما زال غصوب وراهم وغمرة وميسرة وعروة حتى ابلوهم بالويل والدمار ثم بعد ذلك عادوا الى خيلهم الشاردة وعددهم المبددة وكسبوا اموالاً لاتعد ولا تحصى واقاموا في تلك الارض ذلك اليوم وتلك الليلة وفي ثاني الايام امر غصوب العساكر بالرحيل الى قلعة ذات الاعلام فاجابوه الى ما طلب وركبت العساكر واخذوا الملك غواراً وساروا يقطعون القفار الى ان قربوا من شجرة ذات الانوار واذا بالغبار من قدامهم علا وثار حتى سد منافس الاقطار وانكشف عن مائة فارس كرار وقدامهم ذلك الحاجب الذي كان ياتي وياخذ عسكر الملك همام كاشفاً عن وجهه اللثام وما زال حتى قرب منهم فتبينوه فاذا هو كاشف الكروب والبلاء المصبوب والاسد السلوب صاحب الحيل شيبوب فلما رأوه صاحوا صياح الافراح وتراكضوا اليه وسلموا عليه وقال غصوب بشر ياعم بما جرى لابي عنتر فهل تخلص من الهلاك والضرر فقال شيبوب اعلم ياغصوب ان اباك اليوم اصبح كانه كسرى انوشروان وكل ملوك الحبشة ظهروا لنا اقارب واخوالاً وبني اعمام فلما سمع غصوب ومن معه ذلك المقال نزلوا في تلك الاطلال وقال لعمه شيبوب انزل ياعم واحك لنا ما جرى لابي وكيف كان خلاصه من الاسر والاعتقال فنزل شيبوب واخذ يحكي لهم السبب القريب في ذلك الامر العجيب

قال الاصمعي. وكان السبب بذلك ان اعجوبة الانام لما اخذت عنترة وصفوان كما ذكرنا وتركها ابوها في تلك المطمورة والحجرة وصار كل يوم ياتيهما في المساء والصباح ويهددها بالقتل والافتضاح وما زال على تلك الحال عشرة ايام وفي الليلة الحادية عشرة قال عنترة الى صفوان ويلك ياصفوان الى متى ونحن مع هذا القرنان نهدد صباحاً ومساء بالهلاك والدمار كل هذا رغبة في الحياة وطول الاعمار فقم بنا اليه حتى نقبض عليه ونملك قلعة ذات الاعلام من يديه قال صفوان ياابا الفوارس وما نفعل بهذه الاغلال التي قطعت منا الاوصال فلما سمع عنترة ضحك وقال له ويلك ياصفوان وحق الملك المعبود الذي هو في كل مكان موجود ان اهون ما عندي تقطيع الاغلال والقيود ثم انه تمطى في الكتاف الذي

في يديه فقطعه وبعد يده الى القيد الذي في رجليه فكسره وانقض على صفوان فاطلقه من الحديد والاغلال فدخل عليهما الملك همام كما جرت له العادة فوثب عليه عنتر وثبة الاسد الغضنفر وتناوله ورفعه على يديه حتى بان سواد ابطيه وجلد به الارض كاد ان يرض عظامه رضاً واي رض ثم شده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وقال له ويلك يا ابن الانذال وحق ذمة العرب الكرام ان فتحت فمك اسقيك كاس الحمام قال الملك ايها الهمام بحيات راسك اعطني الذمام قال عنترة اعطيتك الذمام وحيات عيون عبلة البدر التمام وهو عندي اعز الاقسام ان اطعت كلامي واجبتني الى مرامي قال همام قل ما بدا لك قال عنترة اريد ان تاتيني بكل من في هذه القلعة جماعة بعد جماعة فاجابه الملك همام بالسمع والطاعة ثم انه من ساعته بعث يستحضر حاجب الحجاب بعد ما خرج عنترة الى ديوان همام هو وصفوان بن لون الظلام واخذا العدد الكاملة في ذلك المقام فاتى حاجب الحجاب ودخل ذلك المكان فرأى عنترة جالساً في صدر الديوان وهو كانه الاسد الحردان والضامي مجرد بين يديه والمنية تلوح من بين عينيه وراى همام بيدي الهيبة والاحتشام فلما راى الحاجب ذلك انقطع صلب ظهره وحار في امره فالتفت اليه همام وقال له اطع مولاي عنترة الهمام في جميع ما يامرك به من الاحكام فعندها تقدم الحاجب الى عنترة وقال مرني بما تريد ايها البطل الضرغام فقال له عنترة ائتني بكل ابطال الملك همام الى هذا المقام جماعة بعد جماعة فاجابه بالسمع والطاعة وسار حاجب الحجاب وشرع ياتيه بهم جماعة بعد جماعة وعنترة يكبلهم بالقيود والاغلال والباشات الثقال وما اصبح الصباح الا واسر جميع من في القلعة من الرجال وامرهم ان ينزلوا الى البلد و ياتوه باهلها عشرة بعد عشرة فاجابوه في الحال وانفذوا الامر والمقال

قال الراوي وفي ذلك اليوم وصل شيبوب الى البلد حتى يكشف خبر اخيه فعلم بالخبر ثم طلع مع جملة الرجال ولما نظر اخاه فرح واستبشر وساله كيف كان سبب اطلاقه فاخبره بجميع ما جرى له الى وقت فكاكه ثم ان عنترة ساله عن اولاده فاعلمه بالخبر و بشره بالنصر والظفر ثم قال له اريد ان اخذ معي عشرة ابطال واتنكر بزي حاجب الملك همام وافرق العساكر جماعة بعد جماعة واجيء بهم الى هذا المكان فاجابه عنترة واعطاه ختم همام فسار شيبوب واخذ ياتيه كل يوم بجماعة حتى اتى بالجميع الى ذلك المكان ولما فرغ من امرهم قال له عنترة يا شيبوب اذهب واتني باعجوبة الانام حتى اجازيها على ما فعلت معنا من الفعال فاجابه شيبوب الى ما امر ودخل الى مقصورة الحريم حتى ياتيه باعجوبة الانام فنهاربت النسوان من بين يديه يميناً وشمالاً وما وقفت في وجهه سوى عجوز مليحة الوجه والقامة فنظرت في وجهه وقالت

و يلك يافتى اما انت شيبوب بن شمامة فلما سمع شيبوب كلامها انذهل من مقالها وقال لها اما اسمي فشيبوب واما اسم امي فما سمعته الا منك لان اسمها زبيبة فلما سمعت ذلك الكلام صرخت صوتاً كانه الرعد القاصف وقالت وحق ذمة العرب ما انت الا شيبوب ابن اختي شمامة بنت الملك النجاشي الملك معدان زوجة الملك الضرغام ثم ركضت اليه وقالت انا لي فيك علامة وهي شامة بيضاء في كتفك اليمين بها شعرات سوداء ثم انها كشفت عن كتفه فلقيت تلك الشامة فبكت بكاء شديداً وقالت لو علمت يا شيبوب ما جرى على ابيكم الضرغام لما سمع بسبيكم انت وامك واخوك جرير على يد الملك رياش وارسل ابطاله الى سائر الاقطار تاتيه منكم بالاخبار وما زال كذلك حتى ادركه الحمام وتمت الامور والاحكام

قال الراوي وكان هذا الملك الرياشي دائماً يغير على جميع بلاد السودان وفي هذه المرة وقع بزبيبة ومعها اولادها فسباها وسار طالباً ارضه والديار فخرجت عليه ابطال الحجاز وقتلوه واخذوهم منه واتصلوا الى بني جديلة واغار عليهم شداد وجرى ما جرى فلما سمع شيبوب هذا الكلام صار كانه في منام وقال لها وحق الملك العلام اني عرفت هذه الديار لما دخلنا الى هذه الامصار ثم حكى لها سبب دخولهم الى تلك الارض فقالت الحمد لله الذي ما فرطتم في ابن خالكم قال ومن هو ابن خالنا قالت الملك هام أنسيت لما وقعت انت واياه في الغدير ولولا ان يدرككما الرعيان والعبيد لاصبحتما من الموتى بلا تفنيد

قال مجد بن هشام فلما سمع شيبوب منها ذلك الكلام تحقق عنده الحال وقال لها وانت من تكونين قالت خالتك سعيدة اخت امك شمامة واختنا الثالثة دهامة ام غوار قال فلما سمع كلامها خرج من عندها ودموعه نازلة على خديه سجاماً فقال له عنترة ما الذي ابكاك واي شي دهاك فحكى له شيبوب ما جرى من الاول الى الاخر فلما سمع عنترة ذلك المقال انقض على الملك هام واطلقه من الاعتقال فوثب هام اليه وقبله بين عينيه وفرح بمعرفته بهم وشاع الخبر في قلعة ذات الاعلام ان عنترة ظهر انه ابن خالة الملك هام فدقت الكوسات ونعرت البوقات وزادت الافراح والمسرات ثم ان عنترة قال لشيبوب ويلك يا ابن الام سر الى غصوب واعلمه بما جرى لنا في هذه الديار قبل ان يقتل غوار فاجابه شيبوب بالسمع والطاعة وركب هو والمائة الفارس من تلك الساعة وسار حتى التقى بغصوب كما ذكرنا وسأله عن سبب خلاص ابيه فحكى له القصة على التمام وبعد ذلك امر باحضار الملك غوار وقال له هل تعرفني من انا فاطال غوار النظر في وجه شيبوب وقال اما على الحقيقة فلا اعرفك واما على وجه التشبيه فانه كان لي ابن خالة يشبهك اسمه

شيبوب وله اخ اكبر منه اسمه جرير فقال شيبوب ومتى فارقاك قال منذ اربعين عاماً وازيد لما اغار علينا رياش وسباها مع امها شمامة قال شيبوب طب نفساً وقر عيناً انا شيبوب ابن خالتك ثم اطلقه من الاغلال والقيود فوثب الملك غوار اليه واعتنقه وسلم عليه وفرح جميع الابطال بما جرى وصاروا واطلقوا رجال غوار الذين كانوا عندهم اسارى وساروا طالبين قلعة الملك همام واما لون الظلام فانذهل وحار من هذا الكلام وفرح بهذا الاتفاق الذي يجب ان يسطر بالاوراق ولم يزالوا سائرين حتى قاربوا قلعة ذات الاعلام فخرج الى ملتقاهم عنترة والملك همام وصفوان بن لون الظلام والتقوا في بعضهم البعض وترجلوا جميعهم على وجه الارض وسلمت بنو عبس على عنترة وهنأوه باخواله وبمعرفته بهم وبعدها تقدم غوار وقبل يدي عنترة وبين عينيه وبكى من شدة الفرح الذي جرى عليه وقال يا ليتنا تعارفنا قبلما جرت هذه الاحوال وقتلت الرجال فقال عنتر والله يعز عليّ ماجرى على رجالك والابطال ولكن هذا مقدر من الملك المتعال ثم انهم عادوا الى قلعة ذات الاعلام وعملوا الولائم سبعة ايام وزفوا اعجوبة الانام الى صفوان بن لون الظلام واقاموا بعدها بالسرور والافراح الى انه في احد الايام دخل عنترة على همام فرأى الاموال بين يديه وهو يختار منها نفيس الجواهر والمعادن التي تدهش البصر وتحير الفكر ويضعها في الصناديق ويجهزها للسفر وركوب الطريق فلما نظر الى هذا الحال قال له الى ابن عولت ان ترسل هذه الاموال فقال همام الى الملك الدهار صاحب قلعة الدينار لان كل الملوك التي عندنا ترسل له الاموال لانه جبار لا يصطلى له بنار قال عنترة لا وحق الاله الجبار الذي فصل الليل من النهار لا ادعك ترسل له هذه الاموال ولا بد ان اسقيه كاس الوبال فكيف اكون انا عنترة بن شداد ويحمل ابن خالتي خراجاً او عداد ثم التفت الى رسول الملك الدهار وقال له ويلك يا ابن الاشرار سر الى من ارسلك وقل له ان يرسل الى الملك همام جميع ما اخذه من الاموال والعداد والا سرت اليه واخذت روحه من بين جنبيه

قال مجد بن هشام فلما سمع الرسول كلام عنتر انذهل وتحير وقال له ويلك يا ابن الاوغاد من انت حتى تتكلم بمثل هذا الكلام يا ولد الحرام فلما سمع عنترة ذلك الكلام اغتاظ واختنق وامتلأ قلبه من الحنق وجرد حسامه وضرب الرسول على وريديه اطاح راسه من بين كتفيه وامر رفاقه ان ياخذوه ويرجعوه الى ملكهم ويخبروه فلما راى الملك همام هذا الشان قال لا باحامية عبس وعدنان ما الذي فعلت معنا وما قد درت في حقنا لانه لا يسمع الملك الدهار بهذه الاخبار الا وياتينا بنفسه في عساكره وجنده ويقصدنا في جيش

عظيم لانهُ جبار عنيد وشيطان مريد فقال عنترة طب نفساً ايها الملك القهار انا لا ابرح من هذه الديار حتى اترك الملك الدهار ملقى على الصعيد وافني سادات قومهِ والعبيد ثم ان عنترة قام بعد ذلك الكلام وشد الرسول على جواده وامر اصحابه ان ياخذوه الى صاحبهم وقال لهم ويلكم قولوا لهُ ان يفعل جهده ويبلغ احهض ما عنده فسار رسل الملك الدهار وقد حاروا من فعال عنترة واخذهم الانبهار ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا عند ملكهم واحضروا الى قدامهِ الرسول وهو على جواده مقتول واخبروه بما جرى من فارس عبس وما عمل وكيف قتلهُ وانزل بهِ الخبل فما فرغوا من حديثهم الا وصرخ صرخة عظيمة من صميم فؤاده وامر باحضار اجناده وقد كاد ان يقضي عليهِ الغيظ الذي وصل اليهِ وكان هذا الملك سفاكاً للدماء وكان لهُ ولد يسمى قاصم الاعمار وراكب الاخطار وكان دائماً ينكر على ابيهِ ما يفعل وفي هذه النوبة عذلهُ فما انعذل ونصحهُ فما ارتد عما يريد من هذا العمل بل التفت في الحال الى من حولهُ من الحجاب والاقيال وامرهم ان يامروا النقباء ان تنادي بالعساكر باخذ الاهبة للحرب والطعن والضرب فعندها نادى المنادون في تلك الاقطار فاجتمعت الابطال والرجال والفرسان والاقيال هذا والملك قد امر ان تفتح خزائن السلاح والمال واعطى ووهب وفرق الفضة والذهب وبعدها ركب في ذلك العسكر الجرار الذي كانهُ البحر الزخار وارتفعت على راسهِ الاعلام والرايات ودقت الطبول والكوسات ونعرت البوقات ورحل في سبعين الف فارس للحديد لوابس ما بين رامح وتارس وقصد ديار الملك همام وسار يقطع البراري والآكام حتى قارب الديار وقلعة ذات الاعلام واذا قد ثار عليهم غبار حتى غشى ضوء النهار

قال الراوي وكان عنترة كل يوم يركب وياخذ معهُ اولاده وفي صحبتهِ رجال شجعان هو والملك همام وصفوان بن لون الظلام وصفوان بن معدان ويطلعون ويتنشقون الاخبار في البراري والقفار لانهم علموا بمجيء الملك الدهار الى انهُ في اليوم الذي ذكرناه بان لهم الغبار وكانوا اقرب من البلاد فتبادر عنترة في ساعة الحال واخذوا اهبتهم للضرب بالبتار وعرفوا انهُ الملك الدهار لان المسافة كانت قريبة بين البلدين فلما تلاقى الجميع في تلك التلال والتقت الابطال بالابطال وبانوا لبعضهم مثل السيل اذا سال او الظل اذا مال ورفعت الاعلام والبيارق وانعقد لهم الغبار حتى سد المغارب والمشارق واندهلت الانصار من ذلك العسكر الجرار حملت جيوش الدهار على الملك همام فتلقاها عنترة الاسد الضرغام فكثرت عند ذلك الاوهام وقد خيل لهم انهم في منام فتراشقوا بالسهام ودام القتال والزحام واظلم الغبار والقتام حتى ولى ذلك النهار بالابتسام واقبل الليل بجيوش الظلام ورجعت

الطائفتان الى المضارب والخيام ونزلوا للراحة واكل الطعام ورقدوا بعد ما اقاموا لهم حرس حتى بدا الصبح يتنفس فظهر العسكران اسرع من تردد النفس وحمل كل شجاع اشوس وبطل عرندس وشهروا السيوف الصقال والرماح الطوال وكثر القيل والقال وجاء الجد وذهب المحال واشتد النزال وعظمت الاهوال الى وقت الزوال والغروب فانفصل الجيشان من الحروب ورجعوا الى مضاربهم والخيام للراحة والمنام حتى انجلى غيهب الظلام وبدا الصبح بالابتسام فتواثبوا الى ضرب الحسام وطعن الرماح وارتفع من الفريقين الصياح وحملوا يطلبون الحرب والكفاح وتلاطموا بالصفاح وطلب الجبان الهرب والرواح ونادى الشجاع لا براح ونهلوا من كؤوس المنية اقداح وما زال الحرب يعمل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والسوال لم يقبل الى ان التقى عنترة بالملك الدهار في وسط المعمعة فحمل عليه حملة مفزعة وكان لها ساعة عسرة اذهلت من الشجاع بصره فسطا عليه عنترة سطوة صاحب المقدرة وانطبق عليه انطباق جمار لاقى الاهوال وانزل به النكال وتعلق باطواق درعه وجذبه فاقتلعه من بحر سرجه واخذه اسيرًا وقاده ذليلاً حقيرًا وسلمهُ الى شيبوب فشده كتاف وقوى منهُ السواعد والاطراف وظهر من بعده ولده غصوب وعلى زنده فارس عليهِ للفروسية علائم واثار وكان هذا الفارس قاصم الاعمار ابن الملك الدهار وما في بني عبس الا من عاد ومعهُ اسير وقد افنوا منهم خلقًا كثير وما امسى المساء حتى رجعوا الى الوراء ونزلوا في المضارب والخيام بعد ما شاهدوا العجائب والاوهام ثم تناولوا الطعام وشربوا المدام ونادى عنترة ائتوني بالاسارى حتى نضرب رقابهم ونريح ارواحنا من صداعهم فاحضرهم شيبوب وفي اوائلهم الملك الدهار وولده قاصم الاعمار الى بين يدي الامير عنترة الفارس الكرار فامر ولده غصوبًا بان يضرب رقابهم فقبل امره بالسمع والطاعة وقام من وقته والساعة وجرد حسامهُ من غمده وخطا الى نحو الدهار وتقرب منهُ فتوسم الدهار طويل قامته وقد ايقن بصرعته فراى في حمائل سيف غصوب حرزًا جديدًا صينيًا مكفنًا بالذهب وعليهِ صورة اسد فقال له يا غصوب بحق علام الغيوب اخبرني قبل ان تقتلني من اين وصل اليك هذا الحرز الذي في حمائل سيفك فقال لهُ غصوب والله ياملك قد اعطتني اياه امي

قال الراوي وكان عنترة يسمع جميع ما جرى فقال لهُ الدهار وامك معكم في هذا العسكر فقال غصوب نعم فقال بحق ذمة العرب احضرها عندي وكانت غمرة سامعة كلامهُ فامرها عنترة ان تكلمهُ فقامت اليهِ وقالت لهُ ما الذي تريد بسوالك قال لها هل انتِ غمرة قالت اي وحق صاحب القدرة قال وهذا غصوب ابنك او تربيتك كما سمعنا فقالت لا وحق

الخالق الجواد ما هو الا ولدي من عنترة بن شداد قال لها انت اوصلت اليه هذا الحرز قالت نعم قال ومن اوصله اليك قالت والدتي واوصتني فيه وقالت لي احرصي عليه فانه يعرفك باخوالك فوضعته في كتفي ووجدت فيه البركة والمنفعة حتى رزقت هذا الولد فوضعته في حمايل سيفه وهذا الذي جرى ولم تخج في هذا السوال أمن خوفك من الهلاك والوبال فلما سمع الدهمار ذلك فرح واستبشر ونسي ما هو فيه من المهالك وقال لها ياغمره اعلمي انني عرفت هذين الحرزين الواحد باسمي والثاني باسم اختي وقد ارسلها ملك الحبشة الى والدي في جملة هدية وكان والدي يقال له الملك سيار وكان يحب اختي ثم ان ملك الحبشة كتب اسمي واسم اختي ووضع الكتابة في جوف الحرزين وهما مركبان ذكر في انثي وانثى في ذكر ووضع الواحد في كتفي والاخر في كتف اختي ووصل الملك التي فطلبت اختي الحج الى بيت الله الحرام فجهزتها وسيرتها مع مائة فارس من السودان واخذت في صحبتها نذور للاصنام والاوثان فاخذها العرب في بر الحجاز والى الان ما سمعت لها خبرًا فقال عنترة وقد لحقه الانبهار وانت تعرف اسمها فقال نعم اسم امي بدور واختي خدور واما كان اسمي سيار على اسم والدي ولقبي الدهمار فلما سمعت غمرة ذلك الكلام قالت وحق الملك الخلاق هكذا حكت لي امي انها كانت طالبة البيت الحرام واخذها العرب واشتراها ابي فاتز بجملة من النوق والجمال وقد صح ان هذا خالي وحق ذمة العرب فقام عنترة وقد تعجب من هذه الاسباب ونادى بغصوب وفك الملك الدهمار وسلمه الى الملك همام وفك الحرز الذي مع الملك الدهمار وقرأ الاثنين فوجدها باسم الملك سيار واخته خدور فعندها صحت الاخبار وسعى غصوب واطلقه هو وابنه وجماعته وعانقوا بعضهم البعض وكذلك غمرة عانقته وبكت فرحًا بالاجتماع وعلت الافراح بالبشائر ودقت الكوسات في العشائر وتعجبت جميع بني عبس وعدنان وكذلك جميع السودان من هذا الاتفاق الذي يحق ان يكتب في الاوراق ثم انهم قدموا الطعام وشربوا المدام وباتوا الى الصباح فركب الدهمار في خواص عساكره واكابر عشيرته وارباب دولته وساروا عند همام لاجل السلام فدخل عليه وقبل راسه وبين عينيه وجلسوا واستقر قرارهم وهم يبدون الى بعضهم اخبارهم حتى قدموا لهم الطعام على رؤوس الغلمان والخدام

الكتاب التسعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

فتركوا الحديث والكلام وتناولوا الطعام ولما اكتفوا اخذوا في شرب المدام فقال الملك الدهمار يا ابا الفوارس اريد من انعامك وتمام احسانك ان تسير معي الى دياري وتشرفها بوطيء اقدامك لابل شوقي من بنت اخي وولدها وتنطفيء نار لوعتي فاجابه عنترة الى ذلك وركبت العساكر وركب الملك الدهمار وهو افرح الخلق بذلك حتى وصلوا الى قلعة الدينار فنزلت الملوك والسادات ورفعت الاعلام والرايات ونحرت الاغنام السمان والنياق والفصلان وتناولوا الطعام واقداح المدام على حظ وانعام . قال الراوي ولم يزالوا كذلك تمام العشرة الايام وفي اليوم الحادي عشر تاهبوا للسفر وعزم عنترة على الرحيل وسرعة الكر والتحويل فدعا الملك هاما والملك غوارًا والملك لون الظلام وصفوان وسائر مقدمي السودان واخذ عليهم العهود والمواثيق ان يكونوا يدًا واحدة في جميع امورهم وشدد عليهم في الايمان فقال الملك الدهمار والله يا ابا الفوارس ان لم نكن كما ذكرت ونحفظ الايمان كما رسمت والا وقعنا في الخسران وخربت ديارنا والاوطان فقال عنترة وقد احمرت اماق عينيه ورقصت شعرات شاربيه من يفعل بكم هذه الفعال ويخرب دياركم والاطلال فقال الملك الدهمار اعلم يافارس الاقطار انا كلنا نواب من قبل النوبة والزنج والحبشة لان غوارًا يستخلص المال من لون الظلام ويرسله الى هام وهام يرسله الي وانا ارسله الى الملك النجاشي الكبير وهو ملك عظيم وعنده جيوش مثل السيل السيال واعلم اني قبل ان اركب عليك ارسلت له خبرًا ولا بد ان تكون عساكره واصلة وجيوشه قابلة وان وصل مع العساكر البطل الشرير العبد زنجير لا يبقى من ابطالنا كبيرًا ولا صغيرًا فما اتم الملك الدهمار ذلك الخبر حتى صارت عينا عنترة مثل الجمر الاحمر وقال ايها الملك وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا رحلت من هذه القلعة حتى التقي بجيش النجاشي الملك الاكبر وافرقه في المهمه الاغبر واترك لي وله حديثًا يذكر ما دامت الشمس والقمر فسكن روعك وامن خوفك وها انا مقيم عندك حتى اشفيك من ضدك واحكمك مكانه واملكك ماله وسلطانه

قال الراوي وكان هذا النجاشي الذي ذكرناه ملكًا عظيماً وسلطانًا جسيماً قوي القلب صاحب اقاليم وجميع تلك البلدان وما فيها من السودان يحملون اليه الجزية والخراج وكان الملك غوار بن دينار وهام والدهمار والنجاشي اولاد عم وهم اجداد زبيبة ام عنترة لان ابا

هذا الملك النجاشي زوج ام زبيبة الى الملك بسام وهو ابو الملك همام وهم ينتهون الى حام بن نوح عليهِ السلام وانما حكم على زبيبة الزمان فارسلها القضاء والقدر والاحكام الى ديار بني عبس وعدنان الكرام حتى رزقت عنترة بن شداد وكان من الامور ما كان وكل هذه الاشياء بامر الملك المنان واما هذا الملك الذي نحن في حديثهِ فاسمهُ منكلا ولكن لما تولى ملك ابيهِ سمي النجاشي وان منكلا هو الذي آمن بسيدنا محمد صلى الله عليهِ وسلم وبعث اليهِ الهدايا وفي جملتها راية العقاب التي لا تقدر بقيمة ولا مقدار وهذه قاعدة ملوك الاقطار ان كل من ملك بلاد الحبشة يسمى بالنجاشي وكل من ملك الفرس يسمى كسرى انوشروان وكل من ملك الروم يسمى قيصر وكل من ملك اليمن يسمى التبع وكل من ملك مصر يسمى العزيز وما شرحنا هذا الكلام الا ليعرف السامع ان النجاشي ما كان في ايام عنترة بل انهُ كان في زمن النبي صلى الله عليهِ وسلم فبينا شرح الملوك وكذلك القابهم . قال الراوي ولما اقسم عنترة بذلك القسم العظيم انهُ يفرق جيوش النجاشي اطمان قلب الدهمار وفرح بذلك الفرح الزائد واستبشر غاية الاستبشار وامر بعض رجالهِ ان يسير ويستقصي لهُ الاخبار ورجعوا الى ما كانوا عليهِ من اكل الطعام وشرب المدام الى انهُ كان يوم من الايام وقد اصبح عليهم الصباح وطلعت الشمس على رؤوس الربى والبطاح فاتى الفارس الذي ارسلهُ الملك الدهمار يستقصي لهم الاخبار واخبرهم بركوب النجاشي في عسكر جرار كانهُ البحر الزخار . قال الناقل وكان السبب في ذلك الرسول الذي كان ارسلهُ الدهمار وقتلهُ عنترة فلما وصلت لهُ الاخبار بما فعل عنترة باهل تلك الديار اظهر النجاشي عظم بلبالهِ وصرخ على رجالهِ وابطالهِ وسار في مائة وسبعين الف فارس كانهم الاسود العوابس معتقلين بالسيوف الصقال والرماح الطوال والحراب الحبشية وراكبين على الخيول العربية وعليهم الدروع الداوودية والخوذ العادية وهم اليكم واردون وعليكم قادمون وقد بلغهُ ما فعلت وما عليهِ مع عنترة اتفقت فزاد بهِ الغضب والغيظ والحرد واقسم انهُ لا يبقي منكم على احد وجد المسير يقطع البر والفدفد وفي مقدمة جيشهِ العبد زنجير وهو يحلف انهُ لا يبقي صغيرًا ولا كبير فلما سمع عنترة ذلك الكلام صار الضياء في وجههِ كالظلام وقال وحق الملك العلام وزمزم والمقام وحرمة شهر رجب الحرام والرب الذي اذا طلب كل العباد غلب لابد لي ان اقابلهُ على ما قالهُ واقطع بهذا السيف اوصالهُ وقد ذكر الاصمعي انهُ ما كان في جميع بلاد السودان من الزنج والتكرور والحبشان ولا قبائل العربان افرس من هذا العبد زنجير ولا اهول منهُ صورة ولا اجهر منهُ صوتًا لانهُ كان اذا صرخ يخيل للانسان ان الرعد قد دمدم وكان من نسل العمالقة وقد ذكرت رواة

السيرة العجيبة وتواريخ العربان انه لم يكن في ذلك الزمان اكبر من جثة عنترة ولا اصلب من اكتافه ولكن جثة هذا العبد كانت قدر جثة عنترة مرتين وكان لامره سبب عجيب ولاطاعته النجاشي امر غريب

قال الاصمعي وذلك ان ابا هذا العبد زنجير اسمه العبد براق وكان شيطانًا عاصيًا في بعض الجزائر واتخذ جارية طوله وعرضه فاتاه منها هذا العبد واما العبد براق فانه طغا وقطع الطرقات والسبيل فارسل له ملك الحبشة عسكرًا فكسره وثاني عسكر دمره وهمّ ان ياخذ مدينة الملك وسار بنفسه وسيفه وترسه فعاقبه على شر فعله الملك الديان والقاه في بغيه والطغيان وكان هذا العبد براق لا يرقد الا في جزيرة في وسط البحر من خوفه على نفسه من عسكر الحبشة ان يفاجئه ولما عزم على ان يسير وحده ويملك المدينة طلعت عليه دابة من دواب البحر فابتلعته وقد نفذ حكم الله فيه ولما اصبح الصباح اتى ابنه اليه وهو هذا العبد زنجير الذي ذكرناه فلم يره فطاف الجزيرة من اولها الى اخرها فما وجده فعلم ان دابة من دواب البحر ابتلعته فاقام مكانه وصارت ملوك السودان تخافه لانه نشا افرس من ابيه براق واشرّ منه وسمع ان للملك النجاشي بنت يقال لها منار احسن من القمر اذا انار وتخجل الشمس في الانوار فهام قلبه بها وارسل الى ابيها يخطبها فارتبك النجاشي في امره وبقي لا يدري كيف يرد الجواب فاحضر ارباب دولته واهل مملكته وقص عليهم قصة ابنته فاشاروا عليه ان يزوجها بالعبد زنجير ويجعله سيف نقمته والمقدم على عسكر الحبشة فلما سمع النجاشي منهم ذلك رآه عين الصواب فانعم على الرسول بالجواب وفي تلك الايام زفت الجارية اليه وصار حامية بلاده وامن من شره وانكاده وقد رزق هذا العبد ولدًا فسماه هبارًا وقتله امير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه وقاتله مقاتلة الحريم وستنا فاطمة في الهودج وقيل انه امره بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر رواة هذه السيرة العجيبة والامور المطربة الغريبة ان هذا العبد هبار بن زنجير كان له جثة بقدر جثة ابيه مرتين وكان يلقى عشرة الاف بصدره ولا يهتم في امره . ورجعنا الى كلامنا الاول فانه لما اقسم عنترة انه يكسر عساكر النجاشي امر الملك الدهمار برحيل العساكر واتخذ الاهبة للقتال والطعان والنزال فرحلوا في خمسين الف عنان وعنترة في المقدمة والى جانبيه غصوب وميسرة وسبيع اليمن وعروة بن الورد هذا وعنترة طال عليه المطال في تلك الديار والاطلال ولم يزالوا سائرين حتى امسى المساء فنزلوا الى المبيت على ماء زايد الغدران واراد الامير عنترة ان يكون حارسهم فما مكنه من ذلك الدهمار بل زعق على ولده قاصم الاعمار وامره ان

بحرسهم حتى يطلع الصباح فامتثل ذلك وتولى الحرس الى الصباح وتبادروا الى ظهور الجرد القداح واعتقلوا بالرماح وهموا بالرحيل وسرعة التحويل

واذا هم بغبار قد علا وثار حتى سد منافس الاقطار واقبل كانه موجات البحار لاننا قد ذكرنا ان عدة هذا الجيش مائة وسبعون الفا فقال عنترة وحق ذمة العرب وشهر رجب ان هذا جيش السودان وعساكر الحبشان واليوم يبان الشجاع من الجبان ثم انه اعتز بالجام الحصان ووقف يستنجح الاخبار واذا هو بالرايات والاعلام والازدهارات وجيش الحبشان واتضح الحق وبان البرهان ولما نظرت عساكر الحبشة الى عساكر الدهمار وعنترة طمعت فيها واحتقرتها لقلتها وحملت من غير ترتيب وتصايحت الابطال من بعيد وقريب وبان الجبان من النجيب وظهر الحق من الباطل وتناثرت الجماجم نثر الحناظل ووقعت الرجال من على ظهور الصواهل وسالت الدماء على الصدور ومناهل وتقصفت الرماح الذوابل وتخرقت الدروع الفواصل وبطل قول القائل فلله در عنترة بن شداد وما فعل من الفعائل في تلك العساكر والقبائل هذا وقد تقدمت الحبشان وحملت العربان فكانت وقعة شاب لها الغلام وما زالوا كذلك حتى انسدل الظلام وانفصلت الطوائف وآمن قلب كل خائف ورجع الامير عنتر في اوائل العسكر يطلب الخيام ومن خلفه بنو عبس الكرام وهو كانه الاسد الريبال فانشد وقال

لقد ملت النفس طول المقام ... وقد صاح صايحنا والسلام
وغنت طيور فراغ الاجل ... على شجر العمر بعد الكلام
فهذا جريح وهــذا طريح ... وهذا ذبيح بحد الحسام
وهذا حزين لفقد البنين ... وهذا يئن لعظم الصدام
وزلزلت الارض زلزالها ... وصار الضياء كلون الظلام
وولى الامير وقل النصير ... وذل الكبير وشاب الغلام
فهذا جديل وهذا كليل ... وهذا قتيل برشق السهام
وهمهمت الخيل من عظم ما ... تصادم فرسانها في القتام
وصوت الصياح وعظم الجراح ... بروس الرماح وحد الحســام
وخوض العجاج وعظم الهجاج ... وطول الهياج وبئس المقــام
حلالي نزالي بطعن العوالي ... وقتل الرجال من اولاد حام

قال الراوي فلما فرغ عنترة من هذه الابيات طربت لها السادات وتمايلوا على ظهور الصافنات

ثم انهم بعد ذلك نزلوا في المضارب والخيام و باتوا الى ان اصبح الصباح فعندها غاصت الرجال في العدد والسلاح وبعد ذلك برز عنترة الى بين الصفين واشتهر بين الفريقين وصال وجال وطلب القتال فحملت عليه الحبشة بجميع مواكبها وعلا صياحها من سائر جوانبها

قال الراوي فلما نظر الملك الدهار الى تلك الاخطار صرخ في عساكره وحمل فعندها اهتز السهل والجبل واتهل العذاب ونزل فهنالك حقت الحقائق وبان الكاذب من الصادق وخرس اللسان الناطق وزاد القتال وعظمت الاهوال ولما نظر عنترة الى هذه الفعال صاح وصدم الرجال وترك الدم يجري كالغيث الهطال واما العبد زنجير فانه حير العقول واباد الفحول وصار يضرب بسيفه عرضًا وطول وهو بزعق في جيوش الحبشة فترمي ارواحها على البلا وتركض في اقطار تلك الفلا هذا والصياح من سائر الجهات قد علا وما زالوا على مثل ذلك حتى مالت الشمس الى الغروب واقبل الليل بامر علام الغيوب فافترقت الطائفتان عن بعضهم البعض وقد امتلات بالقتلى جنبات الارض ونزلت العساكر في ذلك المكان وقد انكسرت شوكة الحبشان ومافيهم الا من يصف عنترة بكل لسان فعندها اغتاظ العبد زنجير من وصفهم عنترة بين يدي النجاشي فقال له ايها الملك وحق نعمتك لقد خضت اليوم الصفوف صفًا صفًا ولقيتها بصدري القًا القًا في طلب عنترة فما وقعت عيني عليه وانا غداة غد آكون اول من يفتح باب الحرب وادعوه الى الطعن والضرب فان برز اليّ انفصل الحال و بلغنا الامال وكنت اليوم قد عولت على برازه لما برز في اول النهار ولكن حالت بيني و بينه كثرة المواكب والفرسان وضاع مني بين الحبشة والسودان فصدقه النجاشي في مقاله لما يعرفه من فعاله وهذا ما جرى لهولاء واما عنترة بن شداد و بنو عبس الاجواد فانهم لما نزلوا في الخيام دار بينهم الحديث والكلام فيما لاقوا اليوم الماضي من الحرب والقتال وما عاينوا من العبد زنجير في المجال فقال عنترة والله لقد اجتهدت اليوم في طلبه فما وقعت عيني عليه ولا دلني احد اليه ولكن وحق ذمة العرب الاقيال لابد لي ان اتركه مطروحًا على الرمال تبكي عليه النساء والعيال والنفي من بعده هذه العساكر بضرب يفلك الحديد و يذيب الجلاميد وافرقهم بين الربى والاكام واحمل بعد ذلك على ملكهم فآخذه من تحت الاعلام ففرحت بكلامه السودان وكان اشدهم فرحًا الملك الدهار لانه كان شديد الخوف من الملك النجاشي والعبد زنجير ثم انهم باتوا يتحارسون الى ان اصبح الصباح فتواثبوا للحرب والكفاح وركب النجاشي وقد نشرت على راسه الرايات والاعلام وامر النقباء بترتيب العساكر ميامن ومياسر ووقف هو في القلب والعبد زنجير بين يديه فلما نظر عنترة

الى ترتيب العساكر والجنود علم منهم المقصود وانهم يريدون البراز فاخذه الفرح وزال عنه الهم والترح ونقدم بنفسهِ وصار يصف الفرسان والابطال ويرتب الشجعان والاقيال ولكن ما ترتبت الجيوش الا وقد تمخض جيش النجاشي وخرج من القلب فارس لحديد لابس مرغم المنافس رامح وتارس ما رات العيون ولا شاهدت الظنون اعظم من خلقتهِ ولا اهول من صورتهِ كانهُ النخلة السحوق او الجذع المحروق وعليهِ درع مغموسة بالذهب الاحمر وسيفي صدره مرآة من الجوهر ياخذ شعاعها بالبصر وعلى راسهِ بيضة عادية كانها القبة المبلية وفي كفهِ قناة خطية وهو متقلد بصفيحة هندية تقطع الدروع الداوودية وهي كما قال فيها الشاعر

وماضية كالبرق يلمع غمدها فلو ضربت راس الجبال لقدت

ولو وقعت يوماً على الصخر طيرت من الصخر اعلاه نعم ما استفرت

قال الراوي وقد ركب على حصان كافوري ابيض كانهُ البرق اذا ابرق وهو كما قال فيهِ بعض واصفيهِ

حصان كالصباح اذا تبدى مليحُ القد وضاح المحيا

اذا ما كان صاحبهُ عليهِ يقول انا على فلك الثريا

قال وما زال حتى توسط الميدان ونظرتهُ الفرسان ولما علم ان العيون قد رمقتهُ والرجال قد نظرتهُ اراد ان يبين للرجال قوتهُ و يظهر للملك النجاشي شجاعتهُ وشدتهُ فدفع الجواد الى الميدان فخرج من تحتهِ كانهُ البرق في اللمعان فبينما كان الجواد في قوة جريانهِ ضم فخذيهِ عليهِ بعد ما صرخ صرخة ازعج بها الفريقين فوقع من تحتهِ مفصوماً ظهره نصفين وقد حان عليهِ الحين . فلما نظرت بنو عبس والسودان الى تلك الفعال انقطعت ظهورها وحارت في امورها الا ان العبد زنجير زعق في العبيد وقال لهم هاتوا لي جملاً هائجاً فقدموا لهُ جملاً من الجمال الكبار واناخوهُ قدامهُ في ساحة الميدان فتقدم اليهِ ووضع يده عليهِ ثم انهُ امر العبيد ان يلذعوهُ بالاسنة ففعلوا ذلك فاراد الجمل ان يثور و يطلب النهوض فلم يقدر ولم يستطع القيام ولما راى العبد زنجير ان الفرسان قد هابوهُ امر بشد رجلي الجمل و يديهِ فلما فعلوا ذلك صاح فيهم ان ابعدوا عنهُ وتقدم وقبض على رقبتهِ قبضة الاسد وبعد ذلك صرخ صرخة عظيمة ورفس البعير في صدره وجذب رقبتهُ خلصها من بين كتفيهِ ثم انهُ عدا يطلب عساكر عنترة على قدميهِ الى ان قرب منها وحذف رقبة البعير من يده فخرجت مثل الصاعقة المحرقة ووقعت على فارسين بالعرض فقتلتهما ورمتهما الى الارض

قال الراوي فلما عاين الفرسان فعال هذا الشيطان ارتعدت اجساد السودان هذا

وعنترة واقف من جملة الفرسان وهو ينظر الى ذلك الشان قال فحانت منهُ التفاتة فرأى اخاهُ شيبوب يبكي بدمع مسكوب فنادى الامير عنترة و يلك ياابا رياح مالك كثير البكاء والنواح فقال لهُ شيبوب يااباالفوارس هذا اخر الوعد بيني و بينك ولكن ادنُ مني حتى اودعك لانني اقول ان هذا الفارس هو قاتلك وصار شيبوب يقول لاخيهِ وقد اصفر لونهُ وارتعد يا ابن الام انا اقول ان هذا الشيطان ليس من البشر وانا خائف منهُ عليك اني وحق الركن والحجر فقال لهُ عنترة وقد ضحك وتبسم وناداه و يلك ما هذا الكلام ياشيبوب فوحق علام الغيوب العالم بما في الاسرار والقلوب الكاشف الشدة عن كل مكروب ان هذا الشيطان ما فعل هذه الفعال الا خوفًا من اخيك عنترة ولا بدلي ان اطير راسهُ بهذا الحسام واجعل هذا اليوم عليهِ اشام الايام هذا والعبد زنجير قد نادى في عبيده يا و يلكم ائتوني بجوادي الرعد فاتت اليهِ العبيد بجواد نبيل في قدر الفيل قد قلب البر بالصهيل وهو من خيول الجراصيل اصفر اللون فلما صار الجواد بين يديهِ دق الارض بكعبهِ ونهض الى ظهره اسرع من البرق او طرفة العين ثم انهُ تناول رمحًا اسمر وقفز الى حومة المدان وصال وجال بين الصفين ونقلب على ظهر الجواد حتى حير كل عين و بين في المدان انواعًا حسانًا وبعدها جمع العنان واركز السنان واشار برمحهِ نحو عنترة الفرسان

انا الموصوف في كل الانامِ ... بطعن الرمح مع ضرب الحسامِ
انا مردي الفوارس بالعوالي ... اذا اشتبك القنا تحت القتامِ
وكم لي وقعة في يوم حربٍ ... يشيب هولها راس الغلامِ
شربت دما العداة وكنتُ طفلاً ... يغذوني بهِ بعد الفطامِ
وفي ذا اليوم اصدق في مقالي ... اذا جرت الدماء على الآكامِ
اعود وعنترٌ في النقع ملقىً ... طريحًا لا يعن على كـــلامي
ويصبح جسمهُ للطير رزقًا ... لطير البر والوحش الهوامي
وتصبح دارهُ منهُ خرابـــًا ... وعنتر وجههُ بالترب دامِ

قال الراوي فلما فرغ العبد زنجير من شعره زعق في الجواد فخرج من تحتهِ كالبرق الخاطف او السيل الواكف ثم انهُ نادى بصوت كالرعد الذي يزعزع الجبال وقال هيا يامعشر الانذال ابرزوا فارسًا لفارس او احملوا عليَّ بجمعكم فانا كفوءٌ لكم كلكم هذا مقام الفرسان وان كانت قد عجزت عني فرسانكم الاوغاد فليبرز الي حاميكم لاني قد اقسمت بزحل الكبير اني سأتركهُ قتيلاً عفير فما اتم زنجير كلامهُ الا وصار واحد من السودان قدامهُ وكان يقال لهُ

سلهب بن محبوب وكان يعد بالف فارس ولما حمل على العبد صوب اليه سنانه فصبر العبد عليه حتى قاربه واخرج رجله من الركاب ورفسه في جنبه كسر له اربعة اضلاع ورماه في الميدان ابعد من اثني عشر ذراع ثم انه ضحك وتبسم تبسم المستهزىء بالرجال والمحتقر للابطال ثم طلب النزال فهمّ عنترة ان يبرز له فسبقه فارس مغوار وبطل كرار يقال له الامير سالم قد اكل في حسامه غارات تلك الديار ورفس جواده وحمل على العبد زنجير حملة العطب فتركه الى ان قاربه وضربه بالسيف على عاتقه فاهلكه ثم برز اليه ثالث فارس فقتله ورابع جندله وخامس وسادس وسابع الى ان قتل خمسين فارسًا فهمّ عنترة بالخروج اليه فسبقه ولداه غصوب وميسرة ولكن كان السابق اليه ميسرة فصاح وحمل عليه وضربه بالسيف ضربة مشبعة فالتقاها العبد زنجير على ظهر الطارقة وعطف على ميسرة وصاح فيه كانه الاسد الشرير ومد الى نحره زندًا كانه رقبة البعير وقبض على اطواقه وجذبه اليه فاخذه اسيرًا

قال فلما نظر غصوب الى اخيه ميسرة في يد العبد انقض عليه كانه الاسد الجوعان وطعنه بالسنان وقد ظن ان الطعنة تصل اليه فنقل العبد زنجير ميسرة من اليمين الى الشمال ولطم بيده رمح غصوب فرماهُ وصبر عليه حتى حاذاه وخطفه من بحر سرجه فاخذه اسيرًا على زنده ورجع وهو بهم ويدمدم فجارت العبيد اليه واخذوا منه ميسرة وغصوبًا هذا وعنترة قد اسودت الدنيا في عينيه وما بقي ينظر ما بين يديه وقال للملك الدهار ان برزت انا لهذا الشيطان وانتصرت عليه اخاف ان يقول انا كنت تعبان فقال له الملك الدهار الامر اليك يافارس عدنان وقد ظن الدهار ان عنترة خاف من العبد فصبر عنترة وفي فواده لهيب النار وكان الوقت قد امسى فعادت الفرسان الى المضارب والخيام وباتوا على مثل هذا الحال وفي عنترة على اولاده نارٌ تزيد اشتعال وعند الصباح ركبت الفرسان واعتد الفريقان واذا بالعبد زنجير قد برز الى حومة الميدان واشتهر بين الفرسان وهو ينادي اين حامية عبس وعدنان فان لم يبرز الى حومة الميدان قصدته وهجمت على هذه الصفوف والتقيت بصدري هذه المئات والالوف

فلما سمع الامير عنترة كلامه قفز اليه على جواده الابجر وهو معتقل برمحه الاسمر متقلد بسيفه الضامي الابتر وصرخ فيه صوتًا سمعته جميع الفرسان وناداه ويلك ياقرمان انا وحق الملك الديان ما تركت قتالك الا احتقارًا بك وبامثالك لانك انت والف مثالك لايخطرون على بالي ولولا امك قتلت رجالي واسرت ابطالي واشبالي لما كنت خرجت اليك ثم ان عنترة هزّ رمحه الخطار وترنم بهذه الاشعار فقال

احن الى ضرب السيوف القواضب … واصبو الى طعن الرماح اللواعب
واشتاق كاسات المنون اذا صفت … ودارت على راسي سهام المصائب
ويطربني والخيل تعثر بالقنا … حداة المنايا وارتهاج المواكب
وضربٌ وطعنٌ تحت ظل عجاجة … كجنح الدجى من وقع ايدي السلاهب
لطير رؤوس القوم تحت ظلامها … وتنقض فيها كالنجوم الثواقب
وتلمع فيها البيض من كل جانب … كلمع بروق في ظلام الغياهب
لعمرك ان المجد والفخر والعلا … ونيل الاماني وارتفاع المراتب
لمن يلتقي الهيجاء منه بهمة … وبالصدر يلقى طعنها في المناكب
ويقدم في ابطالها وسراتها … بقلب صبور عند وقع المضارب
يجرّد عضبًا باترًا ومثقفًا … بعزم جريء دافع للنوائب
ويبني بحد السيف مجدًا مشيدًا … على فلك العلياء بين الكواكب
ومن لا يروي رمحهُ من دم العدى … اذا اشتبكت سمر القنا بالقواضب
يعيش كما عاش الذليل بذلةٍ … وان مات لا تبكيه عين النوادب
انا البطل المعروف في حومة الوغى … وفارسها المقدام بين الاعارب
انا الاسد الهجام والضيغم الذي … يكشر عن انيابه والمخالب
مبيد الاسود الضاريات اذا سطت … ومفترس الاشبال وسط السباسب
انا عنترُ العبسي وابن زبيبةٍ … انا الاسد الموصوف بين الكتائب
ستعلم من يبقى وان كنت ناكرًا … ويصدق ظني فيك يا نسل كاذب
واقسم بالمبعوث من نسل هاشم … وفارسهُ الموهوب من آل طالب
نبيٌّ حماه الله بالصدق والوفا … وايده بالمرتضى ليث غالب
وحبي لهم في خاطري وضمائري … وقد فاز من والاهمُ بالرغائب
فدونك يا زنجيرُ ليثًا سميذعًا … لهُ شرفٌ في شرقها والمغارب
محبٌّ لآل المصطفى دائم الوفا … مقيمٌ على حسن الولا غير كاذب

قال الراوي فلما فرغ عنترة من شعره وسمع العبد زنجير نظمهُ ونثره اغتاظ غيظًا شديدًا واجابهُ على شعره يقول

دنا الثار منكم يا لشام فاسرعوا … الينا بعزم صادق غير كاذب
وجدوا لاخذ الثار بالبيض والقنا … لنترككم صرعى بحد القواضب

نحن سراة الناس شرقاً ومغرباً سما مجدنا فوق العلى والكواكب
نسير لكشف العار عنا بجمعنا ونغزو الاعادي فوق جرد سلاهب
بكل همام قسوري صميدع يجود بضرب السيف بين المناكب
يكرون في الهيجاء بالبيض والقنا على كل عنجوج من الخيل شاهب
نغير على الاعداء بعزمة صادق نذيقهم طعناً كمثل المشاهب
ونحن ملوك الارض من عهد حامنا فهل نستوي امد الفلا بالثعالب
ولا بد ان اسقيك كاس منية وارديك مطروحاً خلال السباسب
فتندبك العربان نوحاً وحسرة اذا صرت فوق البيد طعم السلاهب
انا العبد زنجير وحامي عشيرتي وافرسهم في يوم حشد الكتائب

قال الراوي فلما فرغ العبد زنجير من هذا الكلام صار الضياء في عيني عنترة كالظلام وصرخ فيه صوتاً زلزل البراري والاكام وحمل على العبد زنجير وحمل الاخر عليه والتطق الاثنان فصرت الخيل اذانها وارتعدت من الشجعان ابدانها وتضاربا وتباعدا وتقاربا وتغالبا ودخلا في الاخطار واخذا في الاعتراض والالتفات حتى ضاق بهما فسيح تلك الارض والجنبات

قال الراوي ولم يزالا في القتال من طلوع الشمس الى الزوال فعندها قال العبد زنجير لعنترة ويلك لا تعول بنا على الرواح فنستريح الى الصباح ونعود غداً الى ما كنا عليه من الحرب والكفاح فقال عنترة لا وحق منشي الرياح ما بقي بيننا انفصال الا باخذ الارواح وان كان لا بد لك من الراحة فهي لك مباحة فانزل عن جوادك وانزل انا الاخر عن جوادي ويأتينا اصحابنا بما نأكل وما نشرب حتى اذا اصبح الصباح نعود الى الحرب والكفاح وانا في الحرب منصف وفي الكرب مسعف فقال العبد زنجير لقد انصفت وحق ذمة العرب وشهر رجب ثم انهما ترجلا عن ظهر الجوادين واركزا الرمحين ثم برك كل واحد منهما على ركبتيه وهو يعض من الغيظ كفيه فلما علمت الطوائف بحالهما اتوهما بما كل ومشرب وما زالا على تلك الاخطار حتى طلع ضوء النهار فعادا لما كانا عليه ولما ركبا الخيول انشد عنترة يقول

اليوم يوم به الهيجاء تضطرم برهفات بها الاعمار تنصرم
يوم تروع قلوب الشاهدين له فيه الرماح وبيض الهند تحتطم
اذا الكماة تساقت كاس متلفها وخر من سرجه القمقام يبتسم
من غير ضحك ولا لهو ولا لعب ابدى نواجذه والنقع مرتكم

فاهن السدان حشاه وانثني جزعاً	من شدة الهول قد زلت به القدمُ
هناك حقاً تراني في معامعهـــا	ابري الرؤوس على ما يبتري القلم
يهاب سطوتنا من كان يعرفنـــا	نحنُ الكماةُ لنا فخرٌ لنا عظمُ
نحمي الحريم بيوم النقع عن ثقةٍ	اذا الرماحُ بعظم الصدر تنحطمُ
والسيفُ والضيفُ والاقراء عادتنا	فهل جرى في قراكم للضيوف دمُ
انا الهزبرُ الذي شاعت مناقبهُ	وفاق كل الورى حتى له خدموا
انا الهمامُ اذا ما البيض قد لمعت	يوم المعارك واهتزت لها القممُ
ابيدكم بحسامٍ ما به فللٌ	يفري الجماجم لم يبرأ له سقمُ
وكم غمام قتام اسود حلكٍ	قحمتهُ وهو مثل الليل معتتمُ
وكم رميتُ على الرمضاء من بطل	وكم هجمت على الاشبال فانصرموا
وكم هام هزبرٍ ضيغم بطل	جندلتهُ والدما كالموج تلتطمُ
هذا وكم حي قوم قد احطت به	وعدت عنه وقد حلت به النقمُ

قال الراوي فلما سمع العبد زنجير شعر الامير عنترة نمرمر وما بقي يعي على بشر وقال ويلك اسمع جواب شعرك يااسود وانظر اينا افصح مقال واجود ثم اشار بقول

لنا الشجاعة والاقدام في كرم	فقنا البرية من عرب ومن عجمِ
نحنُ بني حام من يسطيع هزمتنا	في يوم طعن القنا والضرب للقممِ
نحن السباع و يوم الحرب قد شهدت	لنا السيوف ونلقى كل ذي همم
وانتمُ معشر العربان كلكمُ	نسوقكم في مجال الحرب كالغنمِ
وسوف اسقيك كاس الموت متدرًا	وانما علةٌ تبقي من الخدمِ

قال فلما ختم العبد زنجير كلامهُ وسمع عنترة نظامهُ احترق بالغضب وعبس وقطب فانطبقا على بعضهما انطباق الغمام وعلا على رؤوسهم الغبار والقتام حتى عاد النهار كالظلام ولم يزالا في كرٍّ وفرٍّ و بعد وستر وهزل وجد واخذ ورد الى ان اقبل عليهما الظلام فنزلا عن ظهور الخيل و بات الى الصباح وعادا الى ما كانا عليهِ من الحرب والكفاح ولم يزالا على هذه الحالة في الصدام مدة سبعة ايام ولما كانت الليلة الثامنة قال عنترة في نفسهِ انا غدًا اطلب الاقالة لانهُ راى منهُ في الحرب ما هالهُ

واما العبد زنجير فاخذهُ على عنترة الغيظ والحقد وقال وحياتي غدًا لابذلنَّ معهُ المجهود ولما كان الصباح عادا الى الحرب والكفاح وعلا عليهما الغبار وغابا عن الابصار

وكان في عنترة سر خفي لا يعلمهُ الا الذي ركبهُ فيهِ وذلك من بعض مساعيهِ وهو انهُ كان اذا قاتل خصمهُ حتى ياخذه التعب والبوار وفارقهُ اقل من ساعة من النهار يعود اليهِ نشاطهُ وقواه كما كان باذن مكون الاكوان الا انهما لما حملا على بعضهما البعض صرخ كل واحد منهما بصاحبهِ واخذ يطاعنهُ ويضاربهُ وما بقي في الطائفتين الا من يئس من صاحبهِ والغبار على راسيهما قد خيم والنهار اعتم الى ان مالت الشمس الى الغروب فعندها زاد بعنترة نشاطهُ وقوي انبساطهُ وجاد في حربهِ والتهب كما تلتهب النار في الحطب وقد اخذه الغيظ والغضب فدخل على خصمهِ وضايقهُ ومال اليهِ ولاصقهُ وسطا عليهِ سطوة الاسد او الحجر الجلمد وجرد في يده السيف المهند وانقض عليهِ مثل الملهب الذي لا يخاف الموت والعطب وصاح فيهِ وناداه خذها ويلك من يد اسد همام يراعي قدر البيت الحرام وزمزم والمقام ثم انهُ قام في ركابهِ وصاح فيهِ صوتًا ارعب قلبهُ وضربهُ ضربة قوية على هامهِ وقع راسهُ على الارض يدور مثل حجر الرحى صارخًا صرخة انصمت منها الاسماع وارتجف كل من سمعها وارتاع ولحق الراس بعنقهِ ثابتة في تلك البقاع فعضها من شدة البلاء فطحنها باسنانهِ هذا كلهُ يجري والجثة عن ظهر الحصان ما وقعت بل انها تضرب بالسيف ذات اليمين وذات الشمال مقدار هنيهة من الزمان هذا وعنترة قد تحير وظن ان ضربتهُ ما قطعت فصار يحقق اليها بالنظر واذا بها انقلبت عن ظهر الجواد مثل النخلة السحوق او طود من الاطواد

قال الراوي وكان عنترة قد غشي عليهِ من التعب والغبار من فوقهِ قد تسردق ونصب وكانت الطائفتان كلما سمعوا اصوات الفارسين يحدقون بهما النظر ولم يزالوا في انتظار العبد زنجير وعنتر الى ان انكشف الغبار وبان للنظار فعندها صحت لهم الاخبار بقتل العبد زنجير وهو ممدود في القفار وراسهُ عن جسده قد طار فلما حققوا ذلك بالعيان تجارت الى عنترة جميع الفرسان وداروا بهِ من كل جانب ومكان وهناوه بالنصر والظفر لما نظروا العبد زنجير ملقى معفرًا ثم انهم رجعوا الى الخيام وعنترة بين ايديهم كالاسد الضرغام هذا والحبشة والسودان قد هموا بالحملة على عنتر وكان الظلام قد اعتكر فردهم الملك النجاشي من خوفهِ منهُ واقبل على ملوك السودان وقال لهم ما بعد الزيادة الا النقصان لان قتالنا في هذا الليل ليس بصواب واذا كان غداة غد يبان الفارس الكرار من الجبان الفرار فعندها نزلت الطوائف في الخيام وما فيهم الا من يصف عنترة الهمام وكيف قتل الاسد الغضنفر الذي كان قد طغى وتجبر

قال الاصمعي ولقد قال لي عنترة لما عاد من السفر انني شاهدت من قتال العبد زنجير ما هالني واذهلني ولما نظرت جثته وهي على ظهر الجواد قبل ان تقع الى الارض اخذتني الحيرة والاندهال وايقنت بالوبال لانني كنت قد عدمت القوى ولم يبق في كفي غير تلك الضربة من كثرة ما لقيت من التعب والملال لان العبد زنجير ما كان له في الدنيا مثال ولولا سعدي والاقبال واستنجادي بذلك النبي الذي تواترت بذكره الاخبار والاقوال الذي يظهر في اخر الزمان واسمه محمد سيد ولد عدنان لما كنت قدرت عليه ولا وصلت اليه ولكن كان ذلك بقدرة الرب سبحانه وتعالى الذي اذا اراد اسعد عبده واذا اراد اشقاه وحرمه كل ما يتمناه الا ان الامير عنترة رجع الى الخيام ومن حوله ملوك السودان وهو يحكي لهم ما جرى له مع العبد زنجير وما قاساه منه من الهول الكثير ثم بعدها قدموا له الزاد فما تهنا بالاكل ولا بالرقاد لاجل اسر اولاده والنار تضرم في فواده وهو يقول في غداة غد ان شاء الله الملك المتعال تكون وقعة الانفصال لاني لا احمل الا على الملك النجاشي واجعله قصدي واذا اخذته اجعله فداء اولادي وجندي فلما سمع عروة مقالة قال له يا ابا الفوارس لا تشغل قلبك بهذا السبب لان النجاشي لا يفرط باحد من اولادك لاسيما وقد عاين حربك وجلادك فبينما هم في تلك المشورة اذ دخلت عليهم غمرة وقالت يا ابا الفوارس الليلة لا يقر لي قرار وقلبي من جهة الاولاد يشتعل بنار وقد بت وانا انتظر الصباح حتى اخرج الى الحرب والكفاح واشفي ما بقلبي من الجراح اما بضرب السيوف او بطعن الرماح فقال عنترة لغمرة وحق خالق البشر ومصور الصور غداة غد ان شاء الله اخلص اولادي ولو كانوا خلف سد الاسكندر قال هذا ما جرى لهولاء من الخبر واما الملك النجاشي فنزل في الخيام وهو من اجل قتل العبد زنجير في هيام فالتفت الى ارباب دولته ممن حضر وقال لهم ويلكم ائتوني باولاد عنتر حتى اضرب رقابهم وانزل بهم العبر فقالوا له ايها الملك ما هذا راي صائب ولا هو منك واجب لان خلفهم مثل ابيهم عنترة الاسد الغضنفر الذي كانه نار سقر لا تبقي ولا تذر مفرق الكتائب الذي اذا ضرب بالقواضب لا يبقي على راجل ولا راكب وقد راينا من الراي الصائب ان تمهل عليهم حتى اننا نبصر ما يجري لنا مع عنترة ابيهم فان انتصرنا عليه كان قتل الكل في يدك وان اسر احداً منا يكونون له فدا

قال مجد بن هشام فلما سمع الملك من اكابر دولته ذلك الكلام امتثل رايهم ثم انهم باتوا الى الصباح فركبت الفرسان على الجرد القداح وتقلدوا بالصفاح واعتقلوا بالرماح وحملوا على بعضهم البعض وقد انقلبت من ركض خيلهم تلك الارض واما عنترة فانه

صاح وانطلق الى وسط الميدان فحملت عليهِ عساكر السودان وبادروا اليهِ من كل جانب ومكان وزعقوا باصوات مختلفة ادوت لها تلك الفلوات ودقت الطبول ونعرت البوقات وهربت الوحوش من الغابات ولمعت السيوف المشرفيات وصهلت الخيول العربيات وتشوقت قلوب السادات حتى هان عليها شرب كاس المات وما فيهم الا من على خصمهِ وقع ولاح لهُ فيهِ الطمع واشتدت الصرخات وايقنت النفوس بالمات ولم تزل الحرب قائمة على قدم وساق وقد راجت سوق المشاق فلله در الامير عنتر وما فعل في ذلك اليوم الاغبر فانهُ اصطلى نار الحرب بنفسهِ ولم يتكل على احد من ابناء جنسهِ وهو يخرق الصفوف ورجالهُ من حواليهِ والفرسان تتنافر من بين يديهِ واما اخوهُ شيبوب فانهُ كان يدور حواليهِ وهو يضرب بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال وما زال الامير عنترة الهمام يصيح ويضرب بالحسام حتى وصل الى حامل العلم وزعق عليهِ وضربهُ بالسيف على وريديــه اطاح راسهُ من بين كتفيه ثم انهُ صاح في ذلك الجمع فتفرق وانهزم ذلك الجيش وتمزق فاقتحم عنترة كانهُ الاسد الغضبان وضرب بالسيف اليمان حتى ابعد عن النجاشي جميع الفرسان وتهاربوا من وسط الميدان فعندها انطبق عنترة على النجاشي مثل الاسد الهدار او الجارح اذا اطبق على اضعف الاطيار ومد اليهِ يدهُ دون المهند وقبض على اطواق درعهِ والزرد وخطفهُ من بحر سرجهِ فاقبل عليهِ شيبوب وشدهُ كتاف وقوى منهُ السواعد والاطراف فايقن النجاشي بالتلاف ثم انهُ ساقهُ قدامهُ سوق الجمال وعنترة يرد عنهُ الابطال حتى خرج بهِ من حومة الميدان وهو يكرُّ على الابطال وقد اظهر عظم قوتهِ وجلادهِ وايقن بخلاص اولادهِ وفتك بسيفهِ وسنانهِ والى عساكر الحبشان بالذل والهوان ولما نظر السودان ان ملكهم قد اسر وبعد العزم قد قهر قل قوامهم وجلدهم وتفرق بعد ذلك عددهم وطلبوا منازلهم والاطلال وقد تبعهم عنترة واصحابهُ الافيال الى وقت الزوال وبعد ذلك رجع قدام الرجال وقد لبس من الدماء سربال هذا والفوارس راجعة بين يديه وهي تشكره وتثني عليهِ وما زالوا يقطعون الربى والاكام حتى وصلوا الى الخيام فنزلوا واخذوا الراحة وتناولوا شيئًا من الطعام وبعد ذلك نادى عنترة اخاهُ شيبوبًا وقال لهُ ويلك يابن السوداء هات لنا ملك الحبشة النجاشي حتى نطالبهُ بالفداء والا ضربت عنقهُ غدا وقصدت بلاده وسبيت نساءهُ وجميع اولاده وقتلت باقي عسكره واجناده وخلصت اولادي بشدة حربي وجلادي فلما سمع شيبوب من اخيهِ عنترة ذلك المقال سار حتى ياتي بالملك النجاشي وهو في الاسر والاذلال ومن حولهِ العبيد والموالي فلما وصل اليهِ قال لهُ قم يا ملك كلم اخي الامير عنترة فقال لهُ الملك وما الذي

يريد مني فقال له شيبوب حتى يفدي بك اولاده وعلى فعلك يكافيك والا ياخذ راسك من بين كتفيك فلما سمع نهض معة من تلك الساعة وهو يقول لشيبوب بالحق بحق ذمة العرب من تكون منهُ فقال له شيبوب انا اخوه فقال له النجاشي من امهِ وابيهِ فقال بل من امهِ فقال الملك انشدك بالملك الجبار ما الذي اتى بكم الى هذه الديار وانتم من اهل الحجاز فعندها قصّ عليه القصة التي جرت وزواج عنترة بعبلة وكيف زفت منهُ غصوبًا وكيف انهم تعارفوا بالملك همام وان هذا خال عنترة الهمام فقال له الملك النجاشي وكيف ان همامًا هو خال عنترة فقص عليه القصة والخبر فقال له النجاشي لما كشف له شيبوب الستار عن جميع الاسرار يافتى انت امك شمامة اخت سعدى امّ همام فقال له نعم ياملك الزمان فقال له النجاشي ان سعدى وشمامة هما عمتيّ وانتم والله اولاد عمي وهذا امر لا يعلمهُ الا الله تعالى رب الارباب

قال مجد بن هشام فلما سمع شيبوب هذا الكلام صار كانهُ غارقٌ في منام ووثب على الاقدام وضم النجاشي اليهِ وقبلهُ بين عينيه وسار بهِ الى عنتر وقص عليهِ الخبر ففرح كل من حضر ثم ان عنترة احضر الملك همام وحكى له ما سمع من اخيهِ من الكلام فقال همام صدق وحق البيت الحرام ثم انهُ افتكر في تقلبات الايام وتحركت جوارحه ونهض على الاقدام واحتضنوا بعضهم البعض حتى كادت ارواحهم تزول من شدة سرورهم باللقاء هذا والارض تضج من سائر الاقطار ولما صحت عندهم تلك الاخبار اطلقوا ميسرة وغصوبًا من الاسر والاعتقال وقال النجاشي لعنترة وحق مكون الاكوان وخالق الانس والجان لابد من مسيرك معي الى الاوطان لاحظى منك بالاجتماع برهة من الزمان فاجابهُ عنترة الى ما طلب ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركب عنترة وركبت من خلفهِ الفرسان من سائر الاقطار هذا والملك النجاشي الى جانبهِ وهم يتحادثون وبجمع الشمل فرحون حتى وصلوا الى الديار ونزلت العساكر من سائر الاقطار هذا والملك النجاشي افرح الخلق بعنترة بن شداد وكذلك فرسانهُ والاجناد وما زالوا في عزّ واكرام واكل طعام وشرب مدام مدة عشرين يومًا على التمام وفي اليوم الحادي والعشرين عزم عنترة على الرحيل فاجابهُ النجاشي الى ذلك وقد اهدى له هدية لها قدر وقيمة وسار لوداعهِ مسافة يومين فعندها وقف عنترة وجمع بين الملوك واخذ عليهم العهود انهم يكونون يدًا واحدة وقلوبهم متحدة فاجابوه الى ذلك وارادوا الانصراف واذ قد اقبل على الملك النجاشي فارس وقال له لك البشارة ياملك الانام يهنيك الله بالغلام فقال له الملك من هذا الغلام فقال ولدتهُ بنتك منار وهو ابن العبد زنجير

ففرح به وسماه هبار وهو العبد الذي التقاه الامام علي رضي الله عنه وعن اصحابه اجمعين ولم يكن هذا العبد في ايام عنترة وانما كان مولده كما ذكرنا بعد قتله أبيه العبد زنجيبر حتى لا يشك السامع في ذلك الكلام فاقاموا في ذلك المكان لاجل البشارة والفرح ثلاثة ايام ثم انفصلوا بعد ذلك وكل منهم طلب الديار والاوطان فعند ذلك تقدم الملك صفوان بن معدان الى الامير عنترة بن شداد وقال له ياحامية عبس وعدنان اشتهي ان اسير في ركابك واكون من جملة احبابك فتبسم عنترة لما سمع هذا الكلام وقال ابقِ ذلك الى غير هذه الايام فلما سمع شيبوب من اخيه ذلك المقال قال لا وحق الاله المتعال لا بد ان يسير معنا الملك صفوان الى منازلنا وتلك الاوطان حتى تعلم سائر بني عبس وعدنان وفزارة وغطفان ومرة وذبيان اننا من اعظم اولاد ملوك السودان فلما سمع عنترة من اخيه شيبوب ذلك الخطاب رآه عين الصواب ثم انهم ساروا في تلك البراري والقيعان وهم مشتوقون الى الاهل والخلان وفي اوائلهم الامير عنتر وهو كانه النسر المعمر وقد تذكر ما لاقى من الاهوال في مواقع القتال فانشد وقال

الكتاب الحادي والتسعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

جفاني الكرى مذ ودعتني خرايدي   وزاد غرامي واشتفى قلب حاسدي
وعبلة معهن كشمس منيرة   وادمعها قد ارسلت للقلائد
لها بهجة تسبي المحب اذا رنت   وان اقبلت زادت عليَّ شدائدي
فكيف اطيق الصبر عنها تجلدًا   ونار غرامي في الجوارح واقدسي
فلو ابصرت عيناكِ ياعبلَ ما جرى   وما فعلت ايدي الرجال الاجاود
فصاعقة عممت بالسيف راسهٔ   وغادرتهٔ ملقى بغير وسائد
وطاعنتُ جيش القوم حتى تفرقوا   قتلت سويدًا في الوغى مع عابد
وسقت على اثارهم في فوارس   يرون المنايا من اجلّ الفوائد
وصلت عليهم يوم مشتجر القنا   وجندلت في الهيجاء كل معاند
وفي جيشهم من كل ليث غضنفر   صبور جسور في الحروب مكايد
لقيت به سيفي غصوبًا على العدى   معيني على هول الامور الشدائد

ومهمة لبدء شجاع يسرني بو في لظاء الحرب عند الاوابد
وناوت عزي عند مختلف القنا يجاول في الميدان كل مطارد
وعروة ابن الورد ما زال مسندي على كل خطب فهو زندي وساعدي
مجيد بن مال سيد الناس كلهم لهُ شرفٌ يعلو بهِ في المحاشد
وغمرة في يوم اللقاء شديدة معودة خوض الوغى في الفدافد
ضمنت لها قولاً واتبعت فعلة سقيت عداها من سموم الاساود
انا عنتر الكرار في حومة الوغى مبيد العدى في الحرب ليثُ المجالد
كررت على جيش العدى بهند على حدِّه قد خُطَّ نيلُ المقاصد
وعدت ومهري في الدماء مخضبٌ وفي قبضتي لون الظلام بن ماجد
واما ابن مناع تركت مجندلا يعض اديم الارض عضة فاقد
ومارست وجه الغول في حومة الوغى فاضحى قتيلاً في قفار الفدافد
وقاتلت للعكاش والنقع ثائرٌ وخلفتهُ في البر بادي النواجد
ومزقت ابطال ابن دينار في الفلا وسعدي على هذي الفعال مساعدي
اذ استاسرتني بنت همام خدعة ومكرًا لان المكر طبع الخوايد
تمطيت في قيدي قطعت شدادهُ وقمت وربي سيف الظلام مشاهدي
قبضت امير القوم وهو مهرولٌ واوثقتهُ شدًا ونلت مقاصدي
وجدت لهُ بالعفو مني تكرمًا وهذي فعالي دايمًا وعوائدي
ولما اتى جيش النجاشي لقيتهُ بصدر قوي لالتقاء الشدائد
وصلت على ابطالهم بهند صقيل ورمحي من رماح البوايد
برزت انا للعبد زنجير سبعة فانصرتهُ ليثًا قويًّ التجالد
وخاف الهُ العرب والفرس والعلى وما فيهم من صالح ثم زاهد
باني ما لاقيت في الحرب مثلهُ ولا شكلهُ والله ربي شاهدي
فحاربتهُ يومين من بعد خمسة وعاجلتهُ بالسيف مفري الوراثد
فخرَّ صريعًا يكدم الارض ثاويًا على وجههِ ملقى بغير وسايد
وعدت ومهري في الدماء مخضبٌ على صدره والدم مثل القلايد
وعرَّضت مهري في صفوف جيوشهم وقدت النجاشي عنوةً في الوقايد
اسرتُ ملوكَ الارض يا عبلَ قوةً وقد جندل الفرسان رمحي وساعدي

واصطحت بين القوم لمــا عرفتهم وحزت العــلا لما بلغت مقاصدي
رجعت وقد صار الجميع نســائبي وقد خر لي من هيبتي كل ماجد
وهذي فعــالي بالعدى مذ تركتهم وان جحدوا قابلتهم بالعوايـد
واطلقت حد السيف فيهم مع القنــا وخلفتهم رزقـــًا لوحش الفدافد

قال الراوي فلما سمع ملوك السودان هذه الابيات وما حوت من المعاني البليغات قالوا لله درك من فارس امجد و بطل مسدد وحسام مهند فلا فض فوك ولا كان من يشنوك يافارس عبس وعدنان وشجاع العصر والاوان ثم انهم جدوا المسير حتى وصلوا الى بلاد الملك الدهمار فاقاموا فيها ثلاثة ايام وهم ياكلون الطعام ويشربون المدام و بعد ذلك قدم الملك الدهمار الى عنترة خمسين من السيوف القواضب وخمسين راسًا من الخيول الجنائب وعليها سروج مذهبة وخمسين من العبيد وخمسين من الاماء ومائة قناة والف راس من الجمال وخمسين من البغال وعلى كل بغل صندوقان من المال وشيء من التبر الخاص واثواب الديباج ومائة فارس لاجل الشيل والارتحال وساقوا تلك النوق والجمال وساروا الى ان وصلوا الي ديار الملك همام صاحب ارض ذات الاعلام ووقعت البشائر والتقتهم الاماء والحرائر بالدفوف والمزاهر وعملوا الولائم والدعوات واغتنموا الاوقات سبعة ايام وامر عنترة اصحابه بالسفر فدق طبل الارتحال وحملوا النوق والجمال وساروا يطلبون ديار غوار بن دينار الى ان وصلوا ونزل عنترة عنده ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع طلب عنترة المسير فاعطاه غوار شيئًا كثيرًا وتوجه طالبًا السفر وغوار يزيد في نواله من المال والجمال والخلع الغوال وودعهم ورجع الى الديار وساروا حتى وصلوا الى ديار الملك لون الظلام ففرح واستبشر بوصولهم سالمين غانمين ثم اقاموا عنده ثلاثة ايام في اكل طعام وشرب مدام و بعد ذلك طلب عنترة الرحيل فاجابه لون الظلام الى ذلك وقدم له شيئًا كثيرًا من النوق والجمال والاموال والخيل الغوال والجنائب والقنا والقواضب وطلع ذلك اليوم لوداعهم وعاد بعد ذلك الى الديار والاوطان وساروا طالبين الديار وهي ديار شريف وارض بني قضاعة فنزلوا في ذلك المكان وضربت لهم المضارب والخيام واخذوا في اغتنام اللهو والطرب واللذات مدة عشرة ايام وميمون بن رحمون يزيد لهم في الاكرام وفي اليوم الحادي عشر عولوا على الرحيل واذا بغمرة قد اصبحت مريضة فصعب على الامير عنترة مرضها وامتنعت من شرب الماء واكل الزاد وفي اليوم السادس عشر قضت نحبها فعند ذلك علا منهم البكاء والنحيب وقد لطمت النساء والبنات الاتراب وشققن ما كان عليهنّ من

الشباب وجرى على الامير عنترة من الحزن ما لم يجرِ على قلب بشر واحس غصوب ان قلبه قد انفطر ثم انهم واروها التراب واجتمعت عليها الشيوخ والشباب ونحر الامير عنترة على قبرها خمسمائة ناقة وجمل وفرقها على الارامل والايتام واقام على بساط العزاء عشرة ايام هذا وغصوب لا يسلو امه غمرة وبعد العشرة ايام دخل عليهم ميمون بن رحمون واخرجهم من بيوت الاحزان وقال له يا ابا الفوارس هذا كله مقدر بامر الملك الديان ذي العزة والبقا والشان فسبحان من لا يشغله شان عن شان وكذلك قال له الملك صفوان بن معدان والامير عروة ومن معه من الفرسان وما زالوا بعنترة وغصوب حتى سقوهما المدام وسلوهما بالكلام وانسوهما حوادث الليالي والايام ولم يزالوا على ذلك الحال حتى عبر عليهم شهر كامل من الزمان وبعد ذلك اشتاقوا الى الديار والاوطان ومن فيها من الخلان فعند ذلك دقت طبول الارتحال وشالوا الاحمال على النوق والجمال بعد ان اخذوا ما كان لغمرة من الاموال وسلموا الاطلال والديار الى الملك ميمون بن رحمون وحكموه على كل من فيها من السودان وكتبوا له بذلك كتاباً بانه ملك وحاكم على تلك البلدان من تحت يد عنترة وغصوب وان يرسل لهم الاموال في كل عام الى الاوطان وساروا يطلبون ديارهم وعنترة الى جانب صفوان بن معدان وهو في مقدمة السودان وقد تذكر عبلة ودياره والاوطان وانشد يقول

من مبلغ عني لعبلة انني	فرقت اعداءي بطعن قناتي
يابنت مالك هل لكِ ان تبعثي	طيف الخيال فتنقضي حسراتي
قسماً بحبك ياعبيلة انه	قسم يعيد الروح للاموات
ياعبلَ قد لاقيت كل غضنفر	من نسل حام سيد السادات
وكتائباً مزقتها فتفرقت	في سائر الارضين والفلوات
ودخلت للسودان عند مليكهم	لون الظلام الطاعن اللبات
واتيت غواراً سقيت جيوشه	من حد سيفي شربة الافات
فرجالهم ياعبلَ قد القيتهم	كاخوتي وبناتهم اخواتي
والليث هامٌ رأيت رجاله	اولاد خالي والنسا خالاتي
ولقيت عبداً ما له من مشبهٍ	يدعى بزنجير الكمي العاتي
جندلته وتركته وسط الفلا	ملقىً بعدُ بجملة الاموات
ولقيت للملك النجاشي بعده	واسرته بالسعد والعزمات

ظهر الجميع ملوكهم انسابنا فتبدل الاتراح بالفرحاتِ
ياعبلَ ها انا قادم في جحفل منهم كليل حالك الظلماتِ
دهمٌ على دهمٍ جيادٌ ضمرٌ ملأوا رحيب الارض والفلوات
سودٌ ايا ابنة مالك وقلوبهم بيض كمثل الشمس لما تاتي
ياعبلَ اني كلما هب الصبا اصبو الى ذكراك في الخلواتِ
ياعبلَ هل بعد الفراق ارى اللقا زاد الغرام وكاد يفني حياتي

قال الراوي ولما فرغ عنترة من شعره شكره صفوان ومن معهُ من الفرسان ولم يزالوا يجدون المسير الى ان قاربوا ارض الشربة والعلم السعدي فقال عنترة لاخيهِ شيبوب ويلك ياشيبوب اسبق الى ديارنا واخبر اهلنا بقدومنا حتى ياتوا الى لقانا وتفرح اصدقانا وتنفطر قلوب اعدانا من اجل ما اتينا بهِ الاموال وما قد صحبنا من الرجال فعند ذلك انطلق شيبوب مثل الريح المهبوب فما كانت غير ساعة من النهار حتى اشرف على الديار وخبر بتلك الاخبار فوقع الفرح والاستبشار وفرحت الاما والاحرار وسال الملك قيس عن الخبر فقالوا لهُ ياملك الزمان وصل ابو الفوارس عنتر ففرح واستبشر فبينما هو كذلك واذا بشيبوب قد وصل اليهِ وقص الحديث عليهِ واخبره بما وصل مع اخيهِ من الاموال والخيل والبغال والنوق والجمال وما جرى لهم في بلاد السودان وكيف ظهر اخواله وكيف اتى معهم الملك صفوان بن معدان فلما سمع الملك قيس بذلك الخبر اخذه الفرح واتسع صدره وانشرح وركب جواده وركبت معهُ اخوتهُ واجناده ووصل الخبر الى بني زياد بقدوم الامير عنترة بن شداد وما وصل معهُ من المال والنوق والجمال فذابت اجسادهم والابدان الا انهم اخفوا الكمد واظهروا الصبر والجلد وركبوا موافقة الى الملك قيس وبني عمهِ ونشروا على رؤوسهم الرايات والاعلام الا انهم ما ابعدوا عن الابيات وقدامهم العبيد يلعبون بالسيوف والاما يضربن بالدفوف حتى اقبل عنترة ومن معهُ من السودان وهم كانهم زهر البستان بالاقبية الملونات والعمائم المذهبات وخلفهم الجنائب المرصعات فاخذتهم الحيرة والانبهات حتى وقعت العين على العين فعند ذلك علت الاصوات وترجلت السادات وترجل عنترة لما وقعت عينهُ على الملك قيس وسعى اليهِ فتلقاه الملك قيس وضمهُ الى صدره وقبلهُ بين عينيهِ وبعد ذلك تقدمت اليهِ بنو عبس وما فيهم الا من ضمهُ الى صدره وكذلك فعلوا في حق اولاده واخوالهِ السودان وسلموا على الملك صفوان وعلى من معهُ من الفرسان وتقدم الربيع بن زياد الى عنترة بن شداد وقال لهُ لا كان يوم لا اراك فيهِ ولا زمان مع غيرك نقضيهِ ولا زالت ايام سعودك في مزيد

والنقص في عمر اعداك قريب غير بعيد فشكره عنترة على مقاله وسلم عليه وعلى رجاله وبينما هو على ذلك الحال اذ قد اقبلت البغال وعليها صناديق الاموال فنزلوا ما عليها من الاحمال والجوار الحبشيات وثياب الديباج الملونات فقال الربيع بن زياد لمن حوله من الاجناد والله لقد زاد قدر هذا العبد الزنيم ثم انه قال للملك قيس والله ياملك لا اظن ان عنترة ترك في بلاد السودان اموالاً ولا بغالاً ولا نوقاً ولا جمالاً الا وساقها الى هذه الديار والاطلال هذا وقد قدم عنترة للملك قيس عشر جنائب بمراكبها واجلالها وخمسة بغال بصناديقها واموالها ومائة ناقة وجمل وقبل الارض بين يديه وسالة قبولها فقبلها الملك قيس وقدم الى اخوته ايضاً مثله والى الربيع بن زياد واخوته وفرسانهم وما فيهم الا من انفطرت مرارته وعمارة يقول لاخيه الربيع يهون عليّ ان اموت ولا انظر عنترة ومعهُ هذه الاموال لاسيا وقد صار خلفة مثل هذه الابطال هذا وعنترة قد فتح صناديق الاموال واطلع الثياب وخلع على عبيد بني عبس والاماء وكذلك على الارامل والايتام وزاد لهم في الاكرام وعاد بعد ذلك الى المضارب والخيام ونزل الملك صفوان ومن معهُ من السودان هذا وقد ذابت من بني زياد الاكباد واما عنترة فانهُ نقل الى اخواله جميع ما يحتاجون اليه من الاواني الكسر وبات وضرب لهم القباب العاليات الروميات وانفذ اليهم قدور الطعام وبواطي المدام وامر العبيد والغلمان بذبح النوق والفصلان وسار بعده الى عبلة فلما راتهُ قامت اليه وعانقتهُ ووقعت على صدره وقبلتهُ فعند ذلك اعتنقها عنتر وقبل ورد خدها الاحمر وامر العبيد ان تقدم جميع ما وصل من الاموال وادخلوها الى ابيات الاميرة عبلة ففرحت بذلك الفرح الشديد الذي ما عليهِ من مزيد واستقاموا في هناء وانعام ولما كان بعد ثلاثة ايام قدمت عليهم بنو غطفان ومعهم النوق والجمال وفي مقدمتهم الامير الهطال فاستقبلهم عنترة احسن استقبال وسلم على جميع الرجال واعتنق ابن اخته الهطال وقد زادت عدهم الافراح وكثر الانشراح ودارت عليهم كووس الراح وداموا على ذلك الشان مدة شهر من الزمان وعنترة كل يوم يركب مع صفوان وجميع السودان ويسير بهم نحو المناهل والغدران حتى تنشرح صدورهم الى ان كان بعض الايام بينما كانوا على غدير ذات الاصاد يشربون المدام اذا بنجاب قدم عليهم من بين تلك الهضاب فتاملوه واذا به من بلاد الحبشة والسودان فلما وصل اليهم سلم عليهم وقبل يد الامير عنترة ويد صفوان فقال لهُ صفوان ويلك ما الخبر قل واوجز المقال فقال ياسيدي ان الملك هام يهديك السلام ويقول لك ان لم تسرع بالمسير اليهِ يفارق الدنيا قبل وصولك اليهِ لانهُ مريض مرض الموت ويخاف ان يشرب كاس الحمام فيخرج الملك من

يده والسلام فلما سمع صفوان ذلك الكلام كره التطويل والمقام واستاذن عنترة بالرحيل الى بلاد السودان فصعب على عنترة ذلك الشان وقال له والله يعز عليّ فراقك ولكن لا اريد ان اعوقك ثم ان الامير عنترة خلع عليهم الخلع الاطائب وقاد بين ايديهم الخيل والجنائب وارسل معهم هدايا من سائر الالوان الى سائر ملوك السودان واكثرهم من فصلان النوق العصافير وايضاً نوق جبل الدخان ثم انهم ركبوا وطلبوا المسير وركب لوداعهم الامير عنترة وقيس بن زهير وكذلك سادات بني عبس الكبير منهم والصغير وما زالوا مع صفوان حتى صار نصف النهار فعندها ترجل صفوان وحلف عليهم ان يرجعوا الى ارضهم وعنترة قد صعب عليه فراقهم . قال الراوي ثم ان الامير عنترة لما عاد الى الديار استقام على اكل طعام وشرب مدام هذا وقد تسامعت العربان بقدوم عنترة سالمًا من بلاد السودان فجعلت تاتي اليه من كل جانب ومكان ومعهم الهدايا الحسان من سائر الالوان

قال الراوي ومن الذين اتوا اليه في ذلك الاوان دريد بن الصمة سيد العربان ومعهُ خفاف بن ندبة ودنار بن روق والعباس بن مرداس وجماعة من مشائخ بني هوازن وجشم فلما وصل خبر قدومهم الى عنترة خرج الى ملتقاهم واعتنقهم وحياهم وانزلهم عنده في الخيام ونحر لهم النوق والاغنام وروق المدام واكرمهم غاية الاكرام وبعدها قدم عليهم عمرو بن معدي كرب سيد بني زبيد الشجاع الصنديد وفي صحبته لعنترة هدية وقطعة من الخيل العربية والنوق الحجازية فالتقاهم الامير عنترة وسلم عليهم واكرم عمرًا ومن معهُ من قومه بني زبيد وانزلهم عند شيخ العرب دريد الصنديد

قال نجد بن هشام فلما استقر بهم المقام قدمت لهم العبيد الطعام وبعده رائق المدام واكرمهم غاية الاكرام واخبرهم عنترة بما جرى له في سفرته من الاحكام وكيف تعارف بملوك السودان وظهر انهم من اقاربه وملكهم النجاشي من حاشيته وكيف قتل العبد زنجير وما قاساه معهُ من الامر النكير

قال الراوي فتعجب القوم من عظم سعده وعلو مجده فعندها التفت دريد الى عمرو بن معدي كرب وقال سرًّا اشفع لنا في ذي الخمار عند الامير عنترة المغوار اذ صار لهُ عنده سبع سنين ونصف وهو في الاسر والخفا ويمنعني ان اساله فيه لاني اعلم بما قدم ذو الخمار لعنترة من مصايبه ودواهيه وهو كان السبب في قتل شداد ابيه فاجابهُ عمرو الى ذلك ثم انهُ صبر الى ثاني الايام وهم جالسون يتعاطون المدام فالتفت عمرو الى الامير عنتر الهمام وقال له يا ابا الفوارس اما كنت سمعت انك اسرت ذا الخمار فهل عدت اطلقتهُ ام قتلتهُ فقال اي والله

يا عمرو انا اسرته ولولا خاطر السيد دريد لكنت قتلته لكن لما سرت الى بلاد السودان تركته هنا في الاسر والهوان وقلت للملك قيس ان ارسل مولاي دريد يسالكم في ذي الخمار فاطلقوه من الاسر والاضرار وللان لا اعلم ماذا كان منه وما صار فقال دريد حاشا وكلا يا ابا الفوارس ان اطلقه وانت غائب وانا والله لا اشتهي خلاص هذا اللئيم العائب لكن اخاف من معيرة الاعارب ان يقولوا ترك صهره في يد عنترة يقاسي النوائب والا لو كنت قتلته من غير علمي لكان احب اليَّ فقال عمرو يا ابا الفوارس مثلك من قدر وعفا وانت من اهل الكرم والجود والوفا فقبل عنترة شفاعته ثم انه التفت الى اخيه جرير وقال ماذا وقع لذي الخمار الذي تركته عندكم في الاسر والاعتقال فقال له جرير ها هو في المرعى بالقيود والاغلال يرعى مع العبيد النوق والجمال وفي الليل يطحن الحنطة والشعير ويسوس الحمير فقال عنترة احضروه فمضى العبيد واحضروه الى بين يديه وهو يخطر في القيود والاغلال وقد اضحى كالخلال مما قاسى من العذاب والنكال فقال عنترة كيف رايت حالك يا ذا الخمار لكن والله لولا جميل سبق من عمك دريد لكنت قطعت عمرك فقال له ذو الخمار العفو يا ابا الفوارس وزين المجالس فامر عنترة العبيد ان ياخذوه ويفكوا قيوده ويعطوه عدته وجواده ويخلعوا عليه وياتوه به فلما اطلقوه ركب ظهر الجواد وطلب عرض البر والمهاد

قال الراوي فرجعت العبيد واخبروا عنترة وعمراً ودريداً بافعال ذي الخمار الناكث الغدار فقال عنترة وقد احترق قلبه والتهب الم يضع بذي الخمار حسن الصنيع يا ابن معدي كرب فقال دريد دعه يمضي الى حيث لا يرجع ولا يبصر ولا يسمع ثم انهم عادوا الى ما كانوا عليه من اكل الطعام وشرب المدام مدة سبعة ايام وبعدها طلب دريد من عنترة الاذن في العودة الى الاوطان وكذلك عمرو بن معدي كرب سيد الفرسان فاجابهما عنترة الى ذلك الشان وقدم لهما الهدايا الحسان مما اتى به من بلاد السودان ورحلا من عنده وهم له شاكران ولا نعامه وخيره ذاكران فطلع عنترة لوداعهم مسير يومين وبعدها حلفا عليه ان يرجع فرجع عنترة الى الاوطان . هذا ما جرى لعنترة الفارس المنتخب واما عمرو بن معدي كرب فانه سار مع دريد الى مفرق الطرق فودع دريداً وقصد بقومه ارض بني زبيد ولما تمادى بهم المسير قال الامير عمرو لاصحابه يا بني عمي كيف نعود الى ارضنا والاوطان دون ان يكون معنا مال نستعين به على قرى الضيفان فقالوا له افعل ما شئت واقصد ما هويت فاخذهم عمرو وسار وكانوا خمسين فارساً كرار ولم يزالوا سائرين الليل والنهار حتى وصلوا الى ارض بني كنانة اهل الوفاء والامانة فالتفت فرقة منهم وهم نازلون في ارض

واسعة مياهها نابعة وبها اموال كثيرة رائعة فلما نظر عمرو تلك الحال قال لقومه اقصدوا المراعي وسوقوا ما فيها من المال وانا اردعنكم الرجال وقد نلنا المنى وبلغنا الامال ثم انهم تفرقوا حول الخيام والقباب فلم يسمعوا فيها صوت حي فعلموا ان اصحابها غياب فبينا هم كذلك واذا بعبد قد اقبل عليهم فزعق فيه عمرو وقال له يااخا العرب اين فرسان هذه الديار فقال له العبد البعض منهم مضى الى الصيد والقنص و بعضهم مضى الى زيارة اهله وما في الحي الا نفر قليل ثم قال له اظنك ياوجه العرب غريباً فما حاجتك وما الذي تريد فعند ذلك زعق فيه عمرو وقال و يلك ياأخس العبيد انا عمرو بن معدي سيد بني زبيد وقد اتيت لاسوق هذه الاموال واقتل من يحامي عنها من الرجال وان كنت ايها العبد لقولي واعي فسر مع اصحابي الى المراعي ودلهم على الخيل والنعم حتى افضلك عندي على سائر العبيد والخدم فلما سمع العبد من عمرو ذلك المقال طلع فوق رابية عالية وقال والله ياابن معدي لقد حدثتك نفسك بالمحال وخابت منك الامال اذ والله ياعمرو دون هذه الاموال نار لا تطفأ وسيوف لاتثلم ولا تنبو وان انت امتثلتني على دمي هديتك الى الصلاح وكنت لك من جملة النصاح والا بقيت رزقاً للطيور في هذه البطاح تخطف لحمك في الغدو وفي الرواح . قال نجد بن هشام فلما سمع عمرو من العبد ذلك الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام وقال له و يلك يانسل الحرام انزل الى هنا واجلُ لي معنى هذا الكلام ولك مني الذمام ودمك عليّ حرام لانك عبد وابن امة وليس في قتلك فخر ولا مكرمة فقال العبد صدقت ياابن معدي في هذا المقال انا عبد .لكن والله ما اشرت عليك الا بالصواب .والراي عندي انك تقطع من هذه الديار المطامع وتعود بمن معك راجع قبل ان يصل مولاي و يطلع على هذا الخبر فيقلع منكم الاثر ولا يدع لكم ذكراً يذكر .وترون والله فارساً قد كمل بالفضائل و بطلاً ما جاد الدهر بمثله في سائر القبائل ان زعق فصل المفاصل وان حمل فرّق الجحافل على ان عبيدنا قد نظروكم ومضوا اليه يعلمونه بكم وان صح ذلك واتاكم فهو بعجل فناكم والصواب عندي ان تطلبوا النجاة وتوسعوا في الفلاة قبل ان تبصروا عظم شمائله وتحل بكم الاهوال من فعائله لانه فارس لا كالفرسان و بطل تبطل عند لقاه شجاعة الشجعان وقرن ما نشأ مثله في قبائل العربان ثم ان العبد اشار الى عمرو يقول

عدْ سليماً من فارسٍ لا يبالي ... بحضور الاجال يومَ المجالِ
خلِّ عنك الاطماع ياعمرو واغدُ ... واقبلنَّ نصيحتي ومقالي
ياابن معدي ها ان للحي ليثاً ... لا يبالي في طارقاتِ الليالي

فارسٌ طعنهُ اشد من الرعد اذا اشتد في اعالي الجبالِ
ولهُ صارم اذا فارق الغمد تدين لهُ رؤُوس الرجالِ
فارتحل واترك المطال فاني ناصح مشفق جميلُ الخصالِ

قال الراوي ولما سمع من العبد ذلك المقال زادت نيرانهُ في الاشتعال وصاح بالعبد ويلك يانسل الانذال أمثلي يهدد بالرجال وانا صاحب الغارات المشهورة والحروب المذكورة ثم ان عمرًا اشار الى العبد يقول

يابني العاهرات والانذالِ ليس مثلي بجازعٍ في المجالِ
وانا صاحبُ الوقائع حقـــًا وانا الفارس القليل المثالِ
اين هذا الذي وصفت معانيهِ وفضلتــهُ على الابطالِ
هاته مع بني كنانة جمعـــًا وانظر اليوم فعلهُ من فعالي
فوحق البيت ومن طاف فيهِ واقتسامي الى الكرام العوالِ
لا اولي حتى اسوق معي المال وجميع الخيول ثم الجمالِ
واخلي الرجال في حومة الحربِ نيامًا على بساط الرمالِ
وجميع النساء يندبنَ حزنًا لاطمات الخدود في الاطلالِ
وانا عمروٌ الذي شاع ذكري لست اخشى من كثرة الاهوالِ

قال الراوي فلما فرغ عمرو بن معدي كرب من هذا الكلام وسمع العبد المقال قال ياعمرو لا تفعل فوحق البيت الحرام والركن وزمزم والمقام ان الفتى الذي وصفتهُ لك هو طارقة من الطوارق وانا ما قلت لك الا قول صادق وان انت اقمت بعد هذا المقال تكون جلبت لنفسك الوبال وان تكن معدودًا من جملة الفرسان المذكورين في هذا الزمان الا انك لا تقاس بقطرة من سحابهِ ولا بشرارة من نار التهابهِ والراي عندي انك ترجع من هذه الاطلال ولا تلقي بنفسك في الاهوال ثم ان العبد اشار الى عمرو يقول

ليث اذا ولى في الحروب تهابهُ فالضرب منهُ يسبق الآجالا
بمهندٍ صافي الحديدة قاطعٍ لاتستطيع لهُ الكماة نزالا
واذا تناسبت القبائل كلها وافت كنانة قبلهم اجلالا

قال فلما سمع عمرو من العبد هذا النظام صار الضياء في عينيهِ كالظلام وقد اشتد بهِ الغضب والسخط وقال لهُ ويلك لقد اطنبت في مدح هذا الفارس ومدح قومك فانا لي مع قومك وقعات وغارات يشهد بها السادات وقد علمت سائر القبائل ان بني زبيد قومي افرس

من بني كنانة واكرم منهم ثم ان عمرًا اشار الى العبد يقول

اسكت كذبت فكل وصفك باطل . واعلم باني اقهرُ الابطالا
من عصبة من ال مذحج بالوغى كالنار شب ضرامها اشعالا
فلقد نطقت بقول زور باطل واتيت فيما قد وصفت محالا
ابن الهمام فتى كنانة هاتـــه ليرى هماما ماجدًا مفضالا
فلسوف يلقى في الفلاة مجندلاً تبدي عليهِ نساوءهُ اعوالا

فلما سمع العبد ذلك الكلام قال يا عمرو اقبل نصيحتي ولا تتعرض للاموال فاني اخاف عليك اليوم ان تشرب كاس الوبال وتندم اذا حضرت المجال ثم ان العبد اومأ اليهِ وانشد وقال

يا عمرو اني بالرجال خبيرُ وعلى الفوارس بالصواب مشيرُ
دع ما ذكرت من الشجاعة فالذي قد قلتهُ عن وصف نفسك زورُ
ما انت من فرسان ليث كنانةٍ لو سار خلفك جحفلٌ مذكورُ
ابن الاسود من الثعالب يافتى فالفرق بينهما لديَّ كبيرُ
وكذاك ما بين الثريا والثرى فرقٌ لمن هو بالامور خبيرُ
فاذهب بخيلك يافتى من قبل ان ياني اليك الفارس المشهورُ
وترى شجاعًا في مضارب سيفهِ اجلٌ على مهج الرجال يجورُ
فوحق رب منى وزمزم والذي نومي اليهِ بالعلى ونشيرُ
ان لم تعد يا عمرو عنا راجعًا ويصدُّك التخويف والتحذيرُ
امسيت في وسط الفلاة مجندلاً تهوي اليك قشاعمٌ ونسورُ

قال الاصمعي ولما فرغ العبد من هذه الابيات اشتد بعمرو الغضب واضطرمت في قلبهِ نار اللهب وعزم على فسخ الذمام وان يضرب العبد بالحسام لكنهُ عاد الى عقلهِ ورجع عن فعلهِ واقبل على العبد وقال لهُ اذهب من امامي يا ابن اللئام الى كم تصف قومك بهذا الكلام . اذهب والا وحق ذمة العرب فسخت الذمام وسقيتك كاس الحمام فقال لهُ العبد ها انا ذاهب الى قضاء اشغالي وسوف تنظر صدق مقالي وراح العبد عنهُ وخلاه فعندها التفت عمرو الى بني عمهِ وقال يا بني عمي دونكم وكسب المال و بلوغ الامال ثم انفذ معهم النوق والجمال وهجم على الخيام فقتل من رآه من الابطال ومدَّ نظره فرأى مضربًا منفردًا عن المضارب وحولهُ من العبيد جماعة فقال اظن ان هذه خيمة المقدم عليهم الذي خوفنا العبد منهُ وفيها لاشكَّ زوجتهُ او اختهُ او امهُ ولابد لي ان اسبي الجميع وآخذ الرفيع منهم والوضيع حتى ارى

هذا الفارس ما يصنع واترك ديارهم بلقع ويعلم العبد ان كلامة لاينفع ثم انة تقدم بالجواد الى باب المضرب ورفع السجاف بالرمح ونظر الى داخلها فراى جارية كانها سراج تتوقد في ليل داج ولها عيون احسن من عيون الغزلان والى جانبها عجوز قد عبر عليها الكثير من الاعوام وخالط البياض شعرها وهي عريضة الاكتاف واسعة الوجه اما الجا ية فكانت تبكي من شدة الخوف والعجوز تنهاها وتقول لها لاتفزعي ما دام اخوك حيًا في هذه الديار لاترى بوسًا ولا اضرار ثم انها التفتت الى عمرو واذا به قد رفع سجاف الخيمة بالرمح فقالت له من انت ومن هم قومك الذين يفعلون هذه الفعال ويهتكون النساء والبنات ربات الجمال فقال لها اخرجي من الخباء انت وابنتك والا طعنتك في فوادك بهذا السنان فانا عمرو بن معدي كرب الزبيدي فقالت العجوز والله ياعمرو ان بارزت ولدي لاترجع الى اهلك هذا وقد بلّت الارض بدموعها ثم قامت بنتها مرسلة على اكتافها شعرها الطويل تخنص به ظلام الليل فوضعها الفرسان في الهوادج على ظهور الجمال وعاد القوم طالبين الجبال والتلال وهم فرحون بهذه الغنيمة هذا وقد هام قلب عمرو بحب الجارية فسلبته فواده ومنعت عنة رقاده وتمنى ان يصل بلاده حتى يفوز منها بالوصال لما بها من الحسن والجمال فعند ذلك جاش الشعر في خاطره فباح بما اكتم في ضمايره وانشد

انا عمروٌ فارسُ الفرسا ن وقتَ النائبات
واقتناص الاسدِ في ال غابات من بعض صفاتي
ولقد خضتُ المنايـــا في رجالي وسراتي
آمنوا من نوب الدهر واجلوا النائبـــات
جنهم والطير يدعو الفة في الرابيـــات
وسبينا كل عذرا من بناتٍ فاتنات
وانا عمرو بن معدي لم ينلْ قرمٌ صفاتي

قال الراوي ولم يزل عمرو يقطع البر والفدفد وقلبة على الجارية يتوقد وهي تزيد في بكاها وقد عظم انتحابها و بلاها فقالت ياماه اجعلي نظرك الى ناحية الديار وتبيني هذه القفار لعلك ترين احدًا يلحقنا او يتبع منا الاثار فقالت لها امها يا ابنتي اصبري ولا تعرضي الى ما يريدهُ الحميد المجيد فان الله اذ اراد دفع عنك جميع الخلق القريب منهم والبعيد ثم ان العجوز التفتت الى ورائها واذا بفارس قد اقبل وهو بالحديد مسر بل كانة النضاه المنزل يخبُّ بالجواد و يقول اين تنجون من بحر المنايا يا اوغاد فتفرست فيه العجوز وقالت لابنتها

قد لحقنا فارس الا انني ماحققته لكبري وضعف بصري فعند ذلك تبينته الجارية واذا بو رجل قد احناه الكبر وتحته جواد اشقر من جياد الخيل مضمر فقالت لها يااماه هذا سابق بن معمر هذا وعمرو قد سمع الكلام ونظر الى فارس كانه قطعة غمام فقال لقومه سوقوا انتم الاموال حتى استقبل هذا الفارس واسقيه كاس الوبال فقال له بعض بني عمه ياعمرو لم لم تاخذ معك واحداً امنا فربما يكون هذا الفارس المقدم ذكره الذي وصفه لنا العبد فخذ حذرك من شجاعته ومن شره وسطوته فقال عمرو هذا لا اخشاه ولا اخاف منه لانه لو كان شجاعاً لكان اتى وحال بيننا وبين الظعن ثم ان عمراً اراد ان يسال الفارس عن حاله واذا به ينادي يا ويلكم من اي العرب انتم يا انذال ومن اتى بكم الى هذه الديار فقد قدمتم على الهلاك والدمار فلما سمع عمرو ذلك الكلام قال له ما اجهلك بين العربان أمثلي يقال هذا المقال وانا عمرو بن معدي كرب سيد الابطال فقال له الفارس الكناني لقد ذكرت احسن مذكورٍ وشرحت عن قوم ما برحت عنهم الذلة مساء وبكور والصواب انك تخلي ما ملكته وتعود سالم والا فتبغي على نفسك وتاكلك الوحوش والنسور القشاعم لان بني كنانة لا ينساق من عندهم مال ولا يوخذ لهم حريم ولا عيال فقال عمرو اما المال فهو مع بني عمي وقد سار في هذه الآكام والوهاد وان دون رده اليك خرط القتاد ثم انه اشار اليه ينشد له هذين البيتين

دع عنك اسباب المحال والخدعْ فما بداخل ابن معديٍّ فزعْ
فالمال قد سار وفي البر اندفع ولم يعد فيه لمخلوقٍ طمع

قال فلما سمع الفارس الكناني معنى كلامه اجابه على نظامه

ياعمرو غرَّك المحالُ والخدعْ واصغر الطير اذا علّى وقع
اليوم اسقيك من الموت جرعْ بصارم لو مسَّ صخراً لقطع

ثم ان الفارس بعد ذلك صال وجال ودام بينهما الطعن والنزال ولم تكن الا ساعة حتى طعن عمرو الكنانيَّ في صدره اطلع الرمح من ظهره وبعد ذلك نزل عن الجواد واخذ درعه وسلبه وعاد الى رفقاه والجارية قد يئست من الخلاص والحياه فقالت لامها ما لعمرو فارس يلقاه الا اخي ثم ان الجارية ارسلت نظرها الى نحو الديار فرأت فارساً مقبلاً وهو اشعث اغبر فقالت لامها هذا فارس مقبل لعله اخي فقالت لها امها لا اظنه اخاك فاولاً ان هذا الفرس ليس فرسه وثانياً لو كان هذا اخاك لكان اتى من قدام القوم والتقى صدورهم وطعن في لباتهم ونحورهم اما عمرو فسلم سلب الفارس الاول الى اصحابه وعاد الى الفارس الثاني فسمعه يقول ترى من تعدى علينا واخذ اموالنا وسبى حريمنا وعيالنا فقال له عمرو هو من

لايخاف من جموعكم فدع عنك الفضول والا بقيت مثل صاحبك مقتول فقال له يا ويلك دع المقال وردّ النوق والجمال والا فقدت شبابك وحزنت عليك اصحابك لان خلفي رجالاً وابطال تقد بسيوفها الجبال لاسيا فارسنا الذي نشا في هذا الاوان وقد بلغ من الفروسية ما لا يبلغهُ احد في هذا الزمان فلما سمع عمرو هذا الكلام اخذتهُ الرعدة وقال والله يا انذل بني كنانة لا قلعنّ اثاركم من هذه الديار واتركنّ لي ولكم حديثًا يذكر على مدى الزمان اذا ولجنا الميدان ثم انهُ حمل على الفارس واشار اليهِ يقول

وصفكمُ للفارس الكناني ... قد زادني حزنًا على احزاني

فان تقارعنا على الميدانِ ... تعاينوا شؤونهُ من شاني

ثم انهما حملا على بعضهما البعض وجالا طولاً وعرض حتى تعبت الخيل وملاّ كل المِلل ثم انهما اخذا في الصراع وقوة الزند والذراع حتى فزع عمرو من المطاولة وخاف من لحوق الابطال فاجهد نفسهُ واقتلعهُ من الارض ورماه وبرك على صدره فاعدمهُ الحياة وعاد عمرو الى جواده واذا بفارس اتى من خلفهِ وهو يقول واخياه ثم وقف على مصرعهِ وجعل يقول واسفاه كيف تركب الفرسان بعدك الخيل وبعد ذلك اشار يقول

سقتك المنايا يااخيّ وليتني ... شربتُ من الكاس الذي انت شاربهْ

ففارقتني عمدًا وقد كنت عدتي ... على زمنٍ قد اعجزتني نوائبهْ

ساسقي الذي ارداك كاس منيةٍ ... بسيف ثقيل لا تفلُّ مضاربهْ

وافني بطعن الرمح سادات قومهِ ... اذا ما غبار الحرب هاجت جوانبهْ

وان خانني صرف الزمان فما انا ... باولّ من عزّتْ عليهِ مطالبهْ

قال الراوي ثم ان الفارس الكناني مال على عمرو وسالهُ عن عربهِ وحسبهِ ونسبهِ فما اجابهُ بجواب لانهُ راى الغبار من خلفهِ قد ثار واقبلت الخيل متتابعة فحمل عليهِ حملة جبار لايخاف من الجبابرة وطعنهُ فخرق درعه وفؤاده واقلبهُ من على ظهر جواده والتقى من بعده صدور الخيل ونزل عليها نزول السيل في هدو الليل وافرغ عليهم البلا والويل وما زال الطعن يعمل في صدور الرجال واجنابها حتى عادت على اعقابها وهي تطلب النجاة مما حل بها من عذابها فعزم عمرو على اتباعها واذا باصحابهِ عادوا اليهِ راجعين وهم يصيحون والى ورائهم يلتفتون فسالهم عمرو عن احوالهم وما الذي تمّ لهم وما نالهم فقالوا لهُ الحقنا ودع عنك السوال فقد هلكت منا الرجال ودنت الاجال واخذ منا الطعن والاموال لاننا بيما كنا بين يديك سائرين والى ورائنا من اجلك متلفتين اذ قد عارضنا خمسة فوارس وقدامهم ذلك العبد

الذي جرى لك معهُ ما جرى وهو يركض في الصحرا و ينادي يا عمرو ها قد اتيتك بالفارس الذي وعدتك بهِ واليوم يدني اجلك ويجازيك على عملك ثم مال الى الظعن منهم اربعة فوارس وحمل علينا احدهم وهو يصيح علينا يا بني الزواني انتم تسبون حريم البطل الكناني ابشروا الان بشؤم اسفاركم وخراب دياركم ثم انقض علينا انقضاض الباز وطلب في قتالنا الانجاز فاطلقنا نحوهُ الاعنة وعزمنا على ان نشيلهُ على رؤس الاسنة فرايناه شيطانًا في صورة انسان لا نقدر ان ندبر لهُ عنان وما زلنا نعلل النفس بلعل وعسى حتى قتل منا عشرين فارسًا وصاح العبيد الذين كانوا مع السبي علينا ونظرنا البلا العظيم فاتينا اليك هاربين

قال نجد بن هشام فلما سمع عمرو ذلك الكلام قامت عليهِ القيامة وقرع اسنانهُ ندامة وقال والله لقد شمت بنا ذلك العبد السوء لاني لما رايتهُ على راس الرابية يزعق علمت ان عاقبة امرنا لاتكون خيرًا والان قد انخرق ناموسنا ولم يبقَ لنا قدرة على الخلاص من هذه الارض ان لم نخاطر بنفوسنا فعودوا معي حتى اخلص لكم المال وانجز هذه الاحوال فقالوا لهُ يا عمرو اكفنا انت مؤنة هذا البطل الجبار ونحن نلتقي بقية الفرسان الاخيار

قال الاصمعي وكان السبب في قدوم هولاء الفرسان العبد المقدم الذكر الذي نصح لعمرو في اول الامر كما ذكرنا فانهُ مضى فاخبر مولاه فقال لهُ اطلب بنا مقدمة القوم لئلا تنهب اموالنا نهبًا وحريمنا نسبى ولا نلحقهم الا بعد التعب الشديد لان المدى بيننا و بينهم بعيد فقال لهُ العبد يا مولاي اتبعني ثم انهُ قطع بهم عرض البر حتى اشرفوا على الظعن فامر الفرسان الذين معهم ان يردوهُ ومال على فرسان بني زبيد فابلاهم بالبلاء والتنكيد ورجع الفرسان الذين هربوا من القتل واخبروا بما ذكرنا فرجع عمرو كما وصفنا وما سار غير قليل حتى اشرف على المال وهو عائد والغلام قدام الهوادج يعاتب اختهُ على بكاها و يقول لها اتبكين واخوك على ظهر الحصان فاليوم اريك كيف احل بهم الذل والخسران وانشد لها هذه الابيات

اقلي يا اخية من بكاكِ ولا يحزنكِ ما فعلت عداك
فقد لاقيتهم وقتلت منهم رجالاً طالما هتكوا سواكِ
وقد اعددتُ للباقين سيفًا اجرعهمُ بهِ كاسَ الهلاك
وان لاقيت ليثهمُ المسمى اباثورٍ شفيت بهِ جواكِ
وخليت النساء عليهِ تبكي اذا جن الظلام مع البواكي
الا يا عمرو من اغراك حتى قصدت الغور من وادي الاراكِ
لقد ساقتكَ حادثة الليالي الى من لا يرق لديهِ شاكِ

هذا وقد اقبلت فرسان بني زيد وهي تخب في جنبات القفر والبيد وابصرتهم ام الغلام من داخل الهودج فقالت لولدها ها قد اتاك ابو ثور فخذ حذرك منه يا ولدي مع اني والله قد شفقت عليه لانه يشبه اباك المكدم في خلقه وعرض كتفيه وكلما رأيته تجري دموعي عليه . قال الناقل ولقد سالت بعض بني عمو لما سموه بهذا الاسم فقال اعلم ان المكدم بعد ما لقي زوجته وولده ربيعة كان يطلع الى الصيد والقنص وياخذ ولده معه وكان يقتنص السباع من غاباتها وكان ولده جسورًا عليها حتى اذا كان يوم من الايام اقتحم غابةً فيها اسد مسن كبير الجثة فهجم عليه الاسد ورماه تحته فنظر ربيعة الى ابيه وهو تحت الاسد فزعق زعقة عظيمة فارتاع لها الاسد ثم ان الاسد ترك المكدم وهجم على ربيعة هجمة عظيمة فضربه ربيعة بالسيف على جبهته طلع يلمع من نقرته وخلص اباه من الاسد بعد ما كدمه في مواضع كثيرة واخذ قطعة من اعضاه حتى انه يئس من الحياة فعند ذلك حمله ولده الى الحمى وجاءت مشايخ العرب فعصبوا جراحه حتى برئ منها فلاجل ذلك سمته العرب المكدم ولا بد ان نذكر خبره اذ مثل هذا الفارس المسمى ربيعة لا يهمل امره لان الامير عنترة بن شداد ما بارز فارسًا مثله لا قبله ولا بعده فكان فارس عصره ونخبة دهره ولما التقى بعنترة كان عمره ثمانية عشر عامًا ومات وعمره اربعة وعشرون عامًا واما ما كان من امر ولادته فان اباه زيدًا اقام عمره كله لم يرزق ولدًا وهو ملهوف على ذلك ولم يطلع على ما في قلبه احدًا ولما زاد به الامر عزم على زيارة البيت الحرام ونزل عند زمزم والمقام وكان المكدم يدعو ويتوسل ويبتهل الى الله عزّ وجل حتى ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وبات تلك الليلة في الحرم فرأى في منامه ولذيذ احلامه هاتفًا يقول اذهب يا وجه العرب من يومك واخلُ باهلك بين قومك فقد سمع الله تعالى دعاءك فلما سمع ذلك انتبه من رقدته واستبشر ببلوغ امنيته وعلم انه قد قضيت حاجته وبلغ المنى ونال ما كان يتمنى فلما انقضى الموسم وتفرقت العرب وتلك الامم وقد نالوا القصد وزالت عنهم المحن ركب زيد المكدم على ظهر ناقته وسار طالبًا ديار اهله وعشيرته وانشد وقال

سالتُ ربَّ البيت ذا الجلال　　يرزقني شبلاً من الاشبالِ
فجاءني الهاتف في الليالي　　أن ارجع حالاً من الاطلالِ
واخلُ بمن تحبُّ في الحلالِ　　ياتيك ليثٌ صادق المقالِ

قال ولم يزل سائرًا يقطع القفار ويصل سير الليل بسير النهار الى ان وصل الى الديار ففرح به كل اهله وعشيرته وهناوه بحجه وزيارته ثم انه بات تلك الليلة وخلا بزوجته فحملت

منه بقدرة الله تعالى ولما تمت ايام حملها وضعت غلامًا ذكرًا كانه البدر اذا ابدر في ليلة اربعة عشر ففرح به ابوه فرحًا شديدًا ما عليه مزيد ونحر النوق وصنع الولائم وظهرت في وجوه القوم للافراح علائم وانتشرت البشائر ودقوا بالدفوف والمزاهر وسماه ابوه ربيعة وهو فرحان بطلعته البديعة وسلمه للمراضع فترعرع ونشا حتى كبر ومشى وصار له من العمر ثلاث سنين وابوه افرح الخلق به دون العالمين فلما اتى اوان الحج الى البيت الحرام ودخل شهر رجب الذي كانت تعظمه جاهلية العرب فكر ابوه بالنذر الذي عليه فاخذ اهبة الرحيل من غير تطويل وشد لزوجته هودجًا على بعير باذل ثم انه رفعها فيه ومعها ولدها ربيعة واخذ من قومه عشرة فوارس لاتخاف الحمام وسارت وهو معها على هذا الحال حتى دخل البيت الحرام وفعل ما تفعله العرب الكرام من الزيارة والالتزام والتقرب للاصنام فتقدم الى الهبل الاعلى والبسه من الحرير ثلاث حلل وهي موشاة بالذهب من احسن ما يكون من العمل ولما انقضت ايام الزيارة عادت كل قبيلة الى ديارها تطلب منازلها وامصارها وعاد زيد المكدم يطلب دياره ولم يزل يقطع الاكام حتى انه وصل الى ارض يقال لها شعاب النعام ومن هناك تفرقت العرب وسلكت البر والسبسب وكذلك زيد المكدم سار طالبًا الاهل والديار الا انه ما سار الا القليل حتى طلع عليه مائة فارس مثل السيل الذي يسيل وهم غارقون في الحديد منسربلون في الزرد النضيد متقلدون بالسيوف والدرق وهم عرب بني المصطلق والمقدم عليهم فارس فتاك يقال له وائل بن الضحاك وكان افةً من الافات كثير الغزو والغارات ولما نظر الى زيد المكدم وما معه غير عشرة فوارس طمع فيهم واطبق عليهم بتلك الفوارس ونادى به ويلك خلِّ عن الظعينة والمغانم وانجُ بنفسك سالم والا تركتك مطروحًا نائم تحوم عليك الطيور والقشاعم فلما سمع زيد المكدم مقالة التفت الى رجاله وقال لهم يابني عمي في مثل هذا اليوم يبطل العتب واللوم ثم انه حمل كانه الاسد الغضبان وحملت اقتداء به جميع الفرسان فعند ذلك حمل وائل واطبق وحملت من خلفه بنو المصطلق فعملت بينهم السيوف الحداد والرماح المداد واشتد الحرب وزادو قاتلت بنو كنانة واجادت وارتفعت منازلها وسادت على ان الجميع عليهم كثر والمدد غزر فما كانت الا ساعة حتى ضاقت المنافس وقتل من بني كنانة سبعة فوارس بعد ان قتلوا من اعدائهم اكثر من عشرين فارسًا وطعن وائل زيدًا المكدم طعنة العطب فجاءت الطعنة في فخذه فوقع عن الجواد وقد عدم الرشاد فعند ذلك انهزم الرجال الذين بقوا مع زيد المكدم مع رفقته وكل منهم لايصدق بسلامة مهجته

قال الراوي وقد احتاطت الاعداء بالهوادج والرجال ونهبوا ما كان معهم من المال والنوال وطلبوا ديارهم والاطلال وساروا يقطعون البر والآكام وقد ايقنوا ان زيدًا المكدم قد سقي كاس الحمام الا انهم ما ابعدوا عن المعمعة حتى عاد المنهزمون الذين بقوا من جماعة زيد الهام لينظروا من كان منهم سالمًا وجعلوا يتفقدون القتلى وهم مطروحون في جنبات الفلا فوجدوا زيدًا المكدم مطروحًا وهو يئن من الم الجراح فنزلوا اليه واقعدوه واتوه بقليل من الماء وسقوه فلما افاق على روحه وراى ذلك الحال حمد الكريم المتعال ثم انهم اركبوه على بعض الخيل وساروا يقطعون التلال حتى وصلوا الى الاطلال فقامت عند ذلك المآتم على من قتل من الرجال هذا وزيد المكدم قد نزل ابياته وكثرت احزانه وعلاته وتصاعدت على والده وزوجته زفراته وكانت له بنت صغيرة السن وكان يحبها فصار يتسلى بها وبعد ذلك ارسل العبيد يطوفون الحلل والقبائل يسالون عن ربيعة وامه . وزيد المكدم قد طال حزنه وزاد همه فهذا ما كان منه واما ما كان من القوم الذين اخذوا ربيعة وامه وهم بنو المصطلق فانهم لما اقتسموا الغنيمة وقع ربيعة وامه في قسم وائل بن الضحاك وكانت ابياته على غير تلك المناهل فلما اخذ قسمه وسار وهو للغنيمة حائز التقى برجل يقال له معن بن فائز وكان هذا الرجل من عرب يقال لهم بنو النظر وهو فارس جبار لايطاق وعلقم مر المذاق فلما نظر اليه ومعه ام ربيعة راها بالحسن والجمال بديعة فاقبل على وائل وقال له ويلك خل عن الظعينة وانج بنفسك والا سكنت رمسك فلما سمع وائل كلامه ابدى ضحكة وابتسامة وقال له ويلك يا ابن الاوغاد هل عمرك رايت احدًا يسلم روحه من غير حرب ولا جلاد فدونك الحرب والنزال حتى اشبعك طعنًا وقتال فلما سمع ابن فائز ذلك الكلام قال له وحق ذمة العرب لقد انصفت يا ابن الكرام وما بقي عليك ملام فدونك وما تريد حتى اتركك ملقى على الصعيد ثم انه بعد ذلك الكلام قمز الى وائل بالطعان وقوم نحوه السنان وقال له خذ لنفسك الاهبة للصدام والا حل بك الانتقام فالتقاه وائل بقلب اقوى من الصخر وجنان اجرى من تيار البحر واصطدما والتحما وعلى هلاك النفوس عزما ودام بينهما الحرب واشتد الطعن والضرب هذا ومعن قد اكرب وائلاً واضجره والهمه وحيره وضربه على عاتقه اخرج السيف يلمع من علائقه فاخذ جواده والمال وربيعة وامه وسار بهم يقطع البر الاقفر والمهمه الاغبر وهو طالب قبيلة بني النظر هذا وام ربيعة لاتنشف لها دمعة ولا تبرد لها لوعة فلما وصل بها معن بن فائز ارضه ودياره اقام هناك وقر قراره وافرد لام ربيعة خيمة واعزها واكرمها وبعد ذلك اتاها عند المساء وطلب منها الوصال فابت

وو بخنة على تلك الفعال

قال نجد بن هشام فلما سمع منها ذلك الكلام ضربها على راسها وتوعدها بالقتل والاهانة وشتمها وشتم كل بني كنانة اما هي فاخذت في البكاء والنواح فاتى بعض النساء اللواتي سمعن الصياح واذ عرفن منه ذلك ورأينه قد سلك مع ام ربيعة اقبح المسالك قالت له واحدة منهن يا امير ان كنت ترغب منها في ذلك فاهمل امرها واذلّ قدرها وحط عن قلبك هواها واتركها عنك واسلُها فاذا رات في نفسها الهوان تجيبك الى ما تريد لان في الناس من يابى الاكرام والاحسان ولا يرضى الا بالذل والهوان ومنهم من يذكر الاحسان كما قال الشاعر

لاتكرمنّ رديّ الاصل نظلمة ... واغلظ عليه يجيء طوعاً واذعانا

ان الحديد تزيل النار قوته ... ولو سكبت عليه البحر ما لانا

قال فلما سمع معن بن فائز من النسوان ذلك المقال صدقهن في هذه الحال ونزع عن ام ربيعة الاثواب الحريرية والبسها ثياب الخام وامرها برعي النوق والاغنام هذا وام ربيعة قد فرحت بذلك الحال املَ انها تستريح من القيل والقال وقد انست بالانفراد والوحدة في تلك الوهاد وجعلت تتسلى بالنوح والتعداد هذا وابنها ربيعة معها وقد اشتدت منه الاوصال وكان يتقوى على ممر الايام والليال وقد مضى عليه وعلى امه شهور واعوام وليال وايام والشجاعة تلوح بين عينيه والبراعة تدل على عطفيه هذا وكانت امه ترى منه الاهوال عند انفراده في الصحاري والاكام يعافر الوحوش العظام ويهجم على السباع في الاجام

قال الراوي واعجب ما وقع في هذه الامور الغريبة ان هذا الغلام كان في بعض الايام مع امه في بعض الاكام وهما يرعيان النوق والاغنام واذ قد عارض ام ربيعة عبد من العبيد اللئام وكان ذلك العبد اسمه الهجام وهو افة من الافات وبلية من البليات وكان يقتنص الاسود من الغابات وذلك العبد لسيد تلك القبيلة الامير المقدام الا ان العبد لما نظر الى ام ربيعة وحسنها وقع في قلبه حبها وتولع بها وصار مستهاماً وقد اعتراه العشق والغرام ولما رآها منفردة بنفسها مال اليها ووقف بين يديها وقال لها يا مولدة العرب من هو مولاك ولمن هذا السرح الذي معك فقالت له يا ويلك ولِمَ تسال عما لا يعنيك اذهب الى شانك وغض طرفك وكف لسانك فلما سمع منها ذلك الكلام استشاط غضباً وقال لها ويلك وهل بلغ من قدرك الى ان تخاطبيني بهذا الخطاب وانا الهجام على الاسود في الاجام عبد الامير المقدام مقدم هذه القبيلة وسيد العشيرة

قال نجد بن هشام ثم انه بعد هذا الكلام لطم ام ربيعة على وجهها حتى كاد يطير مثل عينيها وصرعها على وجه الارض فغشي عليها وكادت اعضاؤها ترتفض فقالت له شلت انامك يا نسل اللئام فما ذنبي اليك حتى تفعل بي هذه الفعال هذا وربيعة لما نظر الى امه وهي ملقاة على الارض والرمال طار الشرر من عينيه وغاب عن الوجود وصار في صفة مفقود ثم انه صاح في ذلك العبد وهجم عليه وقبض بيديه على حقويه وكان ذلك العبد قد احتقره لما نظر اليه ولم يعن عليه وقد جهل كونه فارس الزمان ومبيد الاقران والشجعان فلم يشعر العبد على نفسه الا وربيعة رفعه بساعده عن الارض والقاه فرض عظامه اي رض فلما نظر العبيد الذين هناك قيام فعل ربيعة بالهجام وكيف سقاه كاس الحمام ذهب بعضهم الى سيده الامير المقدام واخبره بما جرى على عبده الهجام من الامور والاحكام فلما سمع ذلك الكلام صعب عليه وكبر لديه لان ذلك كان عنده اعز من روحه التي بين جنبيه وكان يدخرهُ للملمات الثقال ويلتقي به النائبات ويقابل به الابطال والسادات فيرد عنه الامور الهائلات . قال الراوي ثم ان المقدم اقبل على ذلك العبد الذي اخبره بذلك الخبر وقال له ويلك ومن هو الذي فعل به هذه الفعال وسقاه كاس الخبال فقال له ايها الكريم المفضال والسيد المقدام والله ما هو الا غلام لم يبلغ اثني عشر من الاعوام ولقد رفعه على يديه وجلد به الارض فرضّ اضلاعه اي رض وسقاه كاس الحمام

قال نجد بن هشام فلما سمع المقدام ذلك الكلام زاد به الغيظ والغرام وامتطى متن جواده واعتد بعدة جلاده وسار وهو على تلك الحال الى ان وصل الى مصرع الهجام فوجد ربيعة واقفًا على مصرعه كانه الاسد اذا خرج من الاجام وحوله جماعة من العبيد والرجال فلما نظر المقدام الى ذلك الحال انبهر والتفت الى ربيعة ونظر اليه فرآه من الحسن على جانب عظيم وتفرس فيه فذهل من قده واعتداله وتأكد ما سمع عن السنة الناس من اعماله وفعاله فتعجب غاية العجب وقال لمن حوله من العبيد والخدام أحقًا ما تقولون عن هذا الغلام وانه هو الذي قتل الهجام وسقاه كاس الحمام فقالوا اي وحق من خلق الانام وارسى الجبال كالاعلام فلما سمع المقدام هذا الكلام قال وحق الملك العلام ليكونن لهذا الغلام شان واي شان وليرتفعن قدره على سائر الابطال ويسود على الجبابرة العظام ثم ان المقدام التفت الى ام ربيعة وقال لها ويلك من هو مولاكِ ومن اي العرب انت واي ارض ارضك واوطانك فقالت له ياسيدي اما انا فغريبة من عرب كرام وموطني الحجاز وتلك المفاز وقد اخذنا من قرب مكة ولكن وقعنا عند من لا يعرف لنا قيمة ولا مقدار واما مولاي

الذي مالك ناصيتي وناصية ولدي فهو معن بن فائز ثم انها حكت لهُ الحكاية من اولها الى اخرها على الكمال والتمام فقال لها وهذا الغلام هو مولودك ام ابن امير من امراء العرب الكرام فقالت هذا الغلام ابوه يقال لهُ زيد المكدم سيد بني كنانة اهل الوفاء والامانة فلما سمع منها المقدام ذلك الكلام قامت في امّ راسهِ مقل عينيهِ حتى صارت كانها كاسات الحجام

قال الراوي ومن اعجب الاتفاق ان زيد المكدم كان قاتلاً لهذا المقدام اخاً في بعض الغارات وكان المقدم عازماً على المسير الى بني كنانة لياخذ ثارهُ ويكشف عارهُ فلما سمع من ام ربيعة ذلك الكلام اخذه الفرح والاستبشار واضمر على قتل ربيعة وامهِ في تلك الديار لانهُ حسب حساباً لمولاها في تلك الساعة لان معن بن فائز كان حامية تلك الديار وهو على جانب عظيم من الشجاعة ولهُ عصبة وجماعة فمن اجل هذا لم يجرأ على قتل الغلام وامهِ في الحال بل انهُ اخذ يداريها اياماً وليالي وهو مضمرٌ لها سوء المآل هذا ما كان من هولاء واما ما كان من امر زيد المكدم فانهُ اقام في دياره عدة ايام يداوي الجرح الذي في فخذه الى ان قوي واشتد منهُ الحيل وهو لفقد زوجتهِ وولده ربيعة في الضر والويل وصار كلما افتكر بهما تجري دموعه مثل السيل وهو في قلق واضطراب جسيم . لا يعلم ما عنده الا السميع العليم وما زال على مثل ذلك الحال اياماً وليال وهو على مقالي النار ولم يقطع عن زوجتهِ وولده الاستخبار فلم يرَ لها اثار واقام على ذلك الحال لا يلتذ بطعام ولا يشبع جفونهُ من المنام مدة بضعة اعوام فلما ضاقت بهِ الحيل وحار فيما يفعل عزم على المسير والاهتمام الى بيت الله الحرام لعلهُ يسمع

الكتاب الثاني والتسعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

لزوجتهِ وولده خبراً ينال بهِ المرام فلما خطر لهُ ذلك الخاطر هم على السفر الى مكة وتجهز في الحال وقد صحبهُ من قومهِ جماعة من اشاوس الفرسان وهم مقدار ثلاثمائة فارس من كل بطل قسور واسد غضنفر وكانوا كلهم من بني عمهِ واقاربهِ ثم انهم ساروا في تلك البقاع والاكام طالبين زمزم والمقام ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى ارض مكة والحرم وذلك المكان المحترم ونزلوا حول الصفا وزمزم وكان زيد المكدم كلما طاف حول البيت يدخل للصنم الاكبر المسمى بالهبل فيقول لهُ يا هبل انا كسوتك اثواباً من الحرير وحللاً فرد عليَّ زوجتي وولدي والا اخذت منك جميع ما اعطيتك ولا احد يلومني على هذا العمل واني اتكلت

في ردها عليك وان كنت لا تردها اوصلت الاذية اليك قال هذا وابطال قومه والرجال يسمعون كلامه ويلومونه على كفره وذلك المقال فلما زادوا عليه في ملامهم قال لهم دعوني يا بني عمي من ملامكم واتركوني لانه ان لم يرد عليّ زوجتي وولدي والا لعنت امه واباه

قال الراوي فلما تمّ الموسم تفرقت العرب الى ارضها وامصارها فسار زيد المكدم هو وبنو عمه طالبين ديارهم واطلالهم وهي ارض بني كنانة اهل التقى والامانة فقال له بعض بني عمه يا زيد اطلب بنا بعض احياء العرب لعلنا ناخذ منها غنيمة نتقوى بها ونعود الى امصارنا واهلنا وديارنا فقال زيد صواباً نطقت فانني طالما تمنيت هذا الامر وبه افتكرت لعلني اقف لزوجتي على خبر او سبب من بعض احياء العرب ثم انهم ساروا على تلك الحال واقتحموا طرقات اليمن بين الجبال يكمنون النهار ويسيرون في الليل الاعكر الى ان رمتهم المقادير على الحلة التي فيها ربيعة وامه وهي حلة بني النظر اصحاب الشجاعة والقوة والشدة وهم بطن من بطون بني طي وكندة وكانت حلة عامرة خيراتها وافرة . فلما رأى بنو كنانة تلك القبيلة غاروا عليها ومالوا بكليتهم اليها واخذوا النوق والخيول والجمال وكان في الجملة ربيعة وامه مع الخيول والانعام وساقوهم في البر والفلاة وكان زيد المكدم قد قدمهم بالغنيمة الى الامام وتاخر هو الى الوراء في مائتي فارس من الابطال الاشاوس حتى يلتقي بهم من ياتيه من الحي والخيام فاخذوا الغنيمة وساروا بها قليلاً حتى اخذتهم الصيحات والزعقات وترعرعت الفلوات . قال سعيد بن مالك وكان السبب في ذلك ان القوم لما وصل اليهم الخبر ركبوا في خمسمائة فارس في طلب اموالهم ورد نوقهم وجمالهم وتصايحوا في ابطال بني كنانة فتلقاهم رجال زيد المكدم وحملت من ورائه المائتا البطل من كل فارس قشعم وصاح في القوم وهجم واطبق عليهم انطباق اسد الاكم وعمل فيهم عمل النار في الحطب او الذئب في الغنم وكذلك بنو عمه اعانوه على فعله وعلا الغبار وعمل الصارم البتار وطال النهار وسطا زيد المكدم على الابطال وجندل الاقيال واباد هم ذات اليمين وذات الشمال هذا وقد انهزمت الابطال وسطت بنو كنانة على بني النظر وسقوهم من الموت كؤوس القضاء والقدر ولما نظروا الى البر وقد امتلا من قتلاهم وجرت في الميدان جداول من دمائهم ضاقت بهم الاسباب وعادوا على الاعقاب وعمل فيهم الصارم القرضاب وافناهم البتار وطلبوا الهزيمة والفرار واوسعوا في البر والقفار هذا وقد رجعت عنهم ابطال بني كنانة ومنعهم زيد المكدم عن اتباعهم وخاف من البغي والخيانة وعاد هو ومن معه طالبين اصحابهم فوجدهم فرحين مستبشرين فقال لهم زيد واصحابه ما الخبر يا رجال فقالوا له يا زيد بشارة عظيمة فقال لهم ما تكون هذه

البشارة قالوا له قد وجدنا زوجتك وولدك في الغنيمة وهما يسوقان النياق والاغنام فلما سمع زيد المكدم ذلك الكلام فرح فرحاً عظيماً وسر واستبشر لما سمع ذلك الخبر وفي ساعة الحال احضر زوجته وولده واعتنقها وقبل ولده بين عينيه وسلم على زوجته وكاد ان يغشى عليه وغاب عن الصواب ساعة من الزمان ثم استفاق بعد ذلك واعاد عليهم السلام مرة ثانية وشكت له زوجته ما لاقت في تلك الايام الماضية فقال لها زيد يا بنت العم هذه احوال تتعجب منها سائر الابطال وتضرب بها الامثال في سائر البلدان و يندهل منها كل انسان ثم ان زيداً انظر الى ولده ربيعة فرآه قد اشتدت اوصاله وقوي باعه واشتدت ذراعه فلما راى ذلك التفت وقال لمن معه يا بني عمي كل ما يخصني من هذه الغنيمة هو لكم . وازيدكم من عندي اوفى من ذلك لاني نلت مقصدي واجتمعت بزوجتي وولدي فقالوا كلهم لا وحق ذمة العرب وشهر رجب ان هذه الغنيمة كلها هي هبة منا الى ولدك وامه لانهما قاسيا الشدائد في هذه الاطلال فلما سمع منهم ذلك الكلام شكرهم على قولهم واستجاد فعلهم وما زالوا سائرين على تلك الحال طالبين حيهم وربيعة الى جانب ابيه وهو فرحان بهذا الاتفاق الى ان وصلوا الى اهلهم والتقى المقيمون بالقادمين وهنأوا زيد المكدم ببلوغ قصده واجتماعه بزوجته وولده فاثنى عليهم وشكر الله تعالى على ما انعم به عليه وقرّت بذلك مقل عينيه ثم انه ضرب خيامه وعلّى مضاربه وقد فرح به اهله واقاربه فصار كل يوم يركب و يقوي ولده و ياخذه معه الى الميدان و يعلمه ابواب الحرب والطعان الى ان علا مكانه وارتفع شانه وصار يعلمه الكر والفر والهزل والجد والاخذ والرد وخدائع الحرب ومواقع الطعن والضرب حتى انه فاق على الاقران واربى على الشجعان وهابته سائر الفرسان ونشا ناراً محرقة وصاعقة مبرقة ثم توفي المكدم قال ولقد سالت بني عمه لماذا سمي المكدم فقالوا لي ايها السيد المحتشم ما سمته العربان بهذا الاسم الا لامر عجيب وحال غريب وذلك ان زيد المكدم جرى له سابقاً مع الاسد ما ذكرنا اما ربيعة فقد انتشى واشتد وصار يصطاد السباع من غاباتها وبشتتها في فلواتها حتى شاع ذكره في قبائل العرب وهابه من بعد منها ومن اقترب

قال الراوي ولم يزل على ذلك الامر الى ان جرى له مع الامير عمرو بن معدي كرب رضي الله عنه ما ذكرنا وشرحنا الا ان عمراً نظر الى ربيعة هذا وربيعة اعتدل على جواده وانشد يقول

نحن قومٌ الذٌّ ما عندنا الموتُ اذا لاح في صدور الرماح
ولباسُ الحرير عارٌ وذلٌ عندنا يوم حربنا والكفاح

ان علا الشيب مفرق الشيخ منا نطرحه بالحمى اي انطراح
والشجاع الذي يموت صبيــــاً بين سمر القنــــا وبيض الصفاح
ويعيش ابنـــه يتيماً ويربي مستهاســـاً بصيد اسد البطاح
يا ابا ثور خلّ ما انت فيــــه واستمع نصح عبدنا مفتاح

قال فلما فرغ ربيعة من كلامهِ قال عمرو وذمة العرب ما رايت عمري كلهُ اعجب من هذا الغلام ولا اظن الا ان اجلهُ قد حان ومن شدة غيظهِ مال اليهِ وحمل عليهِ وهجم وما نظم ولا نثر بل هدر وزمجر فتلقاه ربيعة كالاسد القسور بقلب اقوى من الحجر وصاحا صيحتين ترجفان القلوب وتردان البصر الصحيح وهو مقلوب وما كانت الا ساعة من الزمان حتى اختلف بينهما طعنتان ومن شدة خبرتهما بالطعان ابطل كل واحد منهما طعنة الآخر ولم يصب احدهما بضرر ثم رد ربيعة راس الجواد وقلب الرمح في يده وطعن عمرًا بعقبهِ بين كتفيه رماه من على ظهر الجواد وكاد يعدمهُ الرشاد فانقض عليهِ العبد مفتاح كانهُ هبوب الرياح وشده كتاف وقوى منهُ السواعد والاطراف فلما راى ربيعة العبد وقد شده كتافًا زعق عليهِ وقال ويلك حل شداده ورد عليهِ عدته وجواده ثم ان ربيعة اقبل على عمرو وقال لهُ قم ياسيد بني زبيد ارجع الى اهلك فما لي غرض في قتلك واعلم اني ما ابقيت عليك الا لوجهين الاول انك تشبه ابي زيد المكدم والثاني انك رجل مشهور بالكرم وانت فارس الحجاز واليمن ولولا قول القائل ان عمرو بن معدي كرب ساق اموال بني كنانة وعاد وهو سالم لما كنت تبعتك وخلصت منك هذه الغنائم ولم يلجئني بالاكثر الى ان اجد في اتباعك الا سبيك للحريم وهذا هو العار العظيم فارجع الآن انت ورفقاك واشكر الرب القديم على سلامتك وبقاك فقال لهُ عمرو وحق ذمة العرب يافتى ان الموت كان عندي اهون من هذه الامور وحاشا وكلا ان ارجع مغلوبًا ومقهور فلما سمع ربيعة كلامهُ صعب عليهِ وكبر لديهِ فعندها اعطاه عدته واركبهُ جواده وحمل عليهِ وطعنهُ بعقب الرمح في فواده نكسهُ عن ظهر جواده ثم انهُ وقف على راسهِ وقال لهُ ياعمرو ماذا افعل فيك هذه الساعة لكن الكريم اذا قدر عفا واذا قال وفى فقم واركب جوادك وعد الى قومك واجنادك فركب عمرو جواده وقد تفطر بالغيظ فواده وقال لربيعة والله ياغلام كاني معك مسحور . لا اعلم ماطن هذه الامور لانك لست من رجالي ولا تعد من اشكالي فلما سمع ربيعة هذا المقال زادت ناره بالاشتعال ولم يعد يعرف اليمين من الشمال وقال لهُ ياعمرو اريد ان تخلع درعك وعدة حربك وجلادك وتترجل عن ظهر جوادك وتعود سالمًا انت واصحابك والا وضعت هذا

السنان في فوادك فقال عمرو معاذ الله ان اسلم لاحد عدني ولو تلفت مهجتي فلما سمع ربيعة كلامه انزعجت سائر حواسه وقامت عيناه في ام راسه وقال له وذمة العرب وشهر رجب ان لم تفعل ماذكرت لك وتلحق باقوامك لاسقينك كاس حمامك ثم مد يده الى ساق خفه واخرج منه سنانا ازرق له لمعان وورنق وارسله بالهواء فنزل على راس رمحه وقال لعمرو ويلك دونك القتال ودع عنك المحال فقال عمرو وفي نفسه والله اني على خطر عظيم من هذا الكلام وان بارزته يجعلني للوحش طعام فالاجدر بي ان اسلم نفسي اليه ثم انه خلع درعه وسلمها اليه وكانت عزيزة لديه ثم انه لحق اصحابه ورفقاه وساروا يقطعون الفلاه الا انهم ما ابعدوا في تلك الفدفد حتى عاد اليهم ربيعة كانه الاسد وعيناه كالجمر تتوقد وعبده مفتاح بين يديه باقي العبيد تدور حواليه فادركهم في تلك الفلوات وهو ينشد هذه الابيات

انى لاعجب منك حين لقيتني | خليت درعك واحتسبت ذهابها
واخذتها من فتية عربية | وفضحت ويلك كعبها وكلابها
وظللت تجزع للمنية هاربا | تعلو الجبال حزونها وشعابها
اذهب فانت نعامة مذعورة | ودع الحروب ترى لها اربابها
اني ربيعة في الحروب مجرب | وانا المذلل للامور صعابها
اردي الفوارس يوم معترك القنا | واحوز في يوم اللقا اسلابها
كم قد ابدت من الفوارس في الوغى | وقطعت من شوس الملوك رقابها

فلما فرغ ربيعة من كلامه وكان سمع عمرو رقيق شعره ونظامه قال له يافتى هل بقي لك علينا مطالبة فقال ربيعة لا والله ياعمرو ومالي معك حاجة ولا قضية بل جئت اوصيك وصية وهي انك اذا ظفرت بفارس في الحرب ابق عليه كما ابقيت انا عليك واحسن اليه كما احسنت اليك واذكر موقفك الساعة بين يدي بالذل والهوان ولا تحتقر احدا من الفرسان ولو كان صبيا من الصبيان واذا غرت على القوم لا تنسب الحريم والنسوان ثم انه اشار اليه يقول

سل اليوم عني غداة اللقا | يخبرك عمرو بن معدي كرب
باني سلبت الذي قد حوى | وكم من شجاع كمي سلب
واخلعته الدرع عن جسمه | ولو شئت ذاق الردى والعطب
واعرضت عن قتله عفة | لاني عفيف كريم النسب
تركت لامي دماء الاسير | وابدلت بالحلم ذاك الغضب

قال فلما سمع عمرو مقالة قال والله ياغلام لقد حزت الشجاعة والفصاحة والاقدام وجمعت فيك كل الخصال الحسنة لان افعالك على افعال غيرك مقدمة وحزت الفتوة والكرم والمروّة وحسن الشيم ولكنني اريد ان اسالك عن شيء واحد ايها البطل الغشمشم ارجوك ان تخبرني بالصحيح ياصاحب الوجه المليح انت من يقال لك من ابطال بني كنانة اصحاب الوفاء والامانة ومن ابوك من العرب اصحاب الحسب والنسب وكان قصد عمرو بذلك المقال ان يتخلص من ربيعة بالمكر والاحتيال لانه عجز عنه في الحرب والقتال ووقع منه في قلبه هيبة واجلال الا ان ربيعة لما سمع من عمرو ذلك الكلام الذي تقدم قال ياعمرو اما انا فاسمي ربيعة بن زيد المكدم فلما سمع عمرو هذا الكلام قال ياللعرب الكرام ياربيعة ان اباك كان صديقي وفي الشدائد رفيقي وانا حملتك على كتفي عدة مرار وانت ولد صغير فلما كبرت فعلت بي هذه الفعال ونكلت بي هذا النكال وابوك كان اصدق الناس اليّ واعزهم لديّ ثم ان عمرًا اعتنقه فاستحى ربيعة منه ورد عليه درعه واصطلحا صلحًا شافيًا وتعاهدا ليوم اللقا والحساب وعاد كل واحد منهما طالبًا ارضه فسار عمرو بين قومه وهو يمدح ربيعة ويقول

خليليّ ان الصدق اليق بالفتى ... وانك ملزومٌ به حين تسالُ
وقد يطمع الانسان في الامر جاهلاً ... ورسلُ منايا العزم عنه تبطلُ
فان نال ما يرجوه من كل حالةٍ ... فعما قليلٍ فهو لاشك يرحلُ
وجود الفتى بين البرايا يزينه ... وخبرته بالدهر ان كان يعقلُ
فخذ خبري ينبيك حالي ولا تكن ... الى المن ميالاً فذو المن يخذلُ
خرجت بقومي من زبيد جحاجح ... بجوالة تطوي الفلاة وترقلُ
فسقنا السبايا والجمال جميعهم ... على حد ما كنا عليه نعولُ
وفيهم فتاة لم ترَ العين مثلها ... لها ناظرٌ يسبي الرجال ويقتلُ
وسرنا ونحن الغانمون بفرحةٍ ... وللدهر افعال تسوء وتجملُ
اذا فارسٌ يطوي الفلاة مبادرًا ... ينادي بنا ياايها المتحملُ
قفوا واتركوا ما قد حويتم فانني ... ابيدكم ان لم تخلوا وترحلوا
فبادرته مني بطعنة فيصلٍ ... فخرّ بعضٌ الارض وهو مجندلُ
فسرنا فوافانا اخوه مبادرًا ... فجندلته بالطعن والصدق اعدلُ
فوافى غلامٌ امردٌ فحقرته ... ولكنه كالبدر بل هو اجملُ

فكنت به غرا فاوقعني الردى | الى بطل معهُ الشجاعة تبطلُ
هزبر ابو شبلين ليثٌ غشمشمٌ | جريءٌ على طعن الرجال مصلصلُ
اذا ما اراد الشرَّ كان وان يقل | انا فاعلٌ مــا قد يشاء فيفعلُ
فنكسني عن ظهر مهري مجندلاً | ولو شاء قتلي كان ذو الباس يقتلُ
وقال انتهض ياعمر وفالحرُّ من عفا | وليس على جهل الجهول معولُ
وقمت ووجهي بالتراب معفرٌ | ودمعي على الخدين مني يهطلُ
فقلت لنفسي وهي مني ذليلةٌ | الا ان موت الحرّ بالعز اجملُ
وغادرتهُ طعنًا فثنى باختهـــا | فنكسني والقول بالحق اعدلُ
وقال فهذه اثنتان فثم اذًا | واما ايمت القول لاشك نقتلُ
فدع ما اخذت اليوم وانجُ مسلمًا | لنفسك اما كنت في الحرب تعدلُ
فقلت اقتحام الموت افضل بالقنا | من الذل ان الذل للمرء يهذلُ
فازورَّ منهُ الناظران وقال لي | ستنظر من منا هو الان يفضلُ
فحقق قلبي انهُ اليوم قاتلي | وحققت منه ان موتي مقبلُ
فسلمت ما قد كنت منهُ اخذتهُ | على الرغم مني والفواد مبلبلُ
ومال الينا شبه ليثٍ غضنفر | بوجه يحاكي البدر بل هو اكملُ
وقال انتزع ياعمرو درعك سرعة | والا وحق البيت قتلك اعجلُ
فاعطيتهُ درعي بذلٍ وخيبة | مخافة ان يسطو وما قال يفعلُ
فقـال يكون الدرع للبطل الذي | يفك الثنايا فهو بالعز يجملُ
ولا ينقل الخطيَّ الا سميدعٌ | لهُ في جباه الاسد ضربٌ يفللُ
وعاد الينا قادمًا شبه نادمٍ | على ما مضى والشر في المرء اعجلُ
فداخلني منهُ مخـــافة عودةٍ | فقلت لهُ ماذا تريد فافعلُ
ابوك صديقي في الزمان الذي مضى | وانت صغير كنت بالكف تحملُ
فلما تعارفنا اعاد تكرمًا | لدرعي وآخاني وما قلت يفعل
فلم ترَ عيني فارسًا كربيعةٍ | كريم شجاعٌ ماجدٌ متفضلُ
فهذا غلام ان يعش سوف تحتوي | يداه على كل البلاد وتحصلُ

قال الاصمعي وعاد عمر و وهو مذلول مقهور وربيعة منصور هذا وقد سار عمرو مع بني عمه وهم يتذاكرون في امر ربيعة وشجاعته وقوته وبراعته وعمرو يقول لهم ياقوم وحق من

يعلم ما تكنّ الصدور كأني مع هذا الغلام مسحور لانني ما كنت اضربه ضربة تصيب ولا طعنته طعنة الا وتخيب وانا اقول ان امه تعرف شيئًا من السحر حتى رفعت عنه حملاتي وقوة طعناتي فقال له بعض قومه يا عمرو انت تقول ان امه سحرتك ونحن من سحرنا حين اهلك نصفنا فكفى يا عمرو والله ما هو الا اوحد زمانه وشيطان في ميدانه وما نصره علينا الرب القديم الا لما سبينا الحريم وهذا هو الذنب العظيم

قال الراوي وكان حسابهم صحيحًا لانهم سبوا النساء الاحرار وكان فيهن امراة كبيرة فقيرة لها ثلاث بنات ابكار ربتهنّ في اليتم والاضرار وكانت تقية تقصد في كل عام بيت الله الحرام ماشية على الاقدام وتطلب من العرب ما تتقوت به هي وبناتها وتقضي به باقي اوقاتها وكانت تسمع من مشايخ مكة صفات سيدنا المكرم المعظم سيد العرب والعجم محمد صلى الله عليه وسلم وانه يكون عند ربه مصطفى ويكون ظهوره من بين زمزم والصفا وما زالت تلك العجوز تسمع بذكر النبي المختار صاحب الانوار وهي تكرره على مسامعها اناء الليل واطراف النهار حتى صار في قلبها من حبه اثار. فلما سبيت هذه العجوز وبناتها رفعت راسها الى السماء ونادت يا عالم السر والنجوى ويا كاشف الضر والبلوى اسالك بحق النبي الذي ذكره مشايخ مكة وسادات العرب وزعموا ان ظهوره قد اقترب سلط على من سبانا غلبات الرجال ولا تبلغهم الامال وكان دعاؤها بانكسار فاستجاب الله دعاءها سريعًا واستجاب لها البصير السميع بجاه حبيبه الشفيع وسار عمرو مع اصحابه بذلك الذل والاهانة ثم انه وقف وقال لاصحابه عدلت عن ان اسير معكم ولا يطاوعني قلبي على المسير وانا اشتهي منكم ان تساعدوني على ما اريد والا هججت على وجهي في القفار والبيد ونفيت حالي منكم ومن بني زبيد فقالوا له قل لنا ماذا تريد فقال لهم اني عولت ان اكمن بين الربى والبطاح ولا نبرح حتى يصبح الصباح وتسرح الاموال والارزاق فناخذها ونعود من هذه الافاق وان لحقنا ربيعة قاتلته وسقيته كاس المحاق او اخذه اسيرًا في هذه القفار وانتصر عليه واكشف عني العار فقال له رجل من قومه يقال له ملاعب بعد ما اكثر من لومه والله يا ابن معدي ما انت الا كثير التعدي ولا تزال بهذا اللجاج حتى تجعل لحومنا رزقًا لوحوش الفجاج ولقد غزونا معك مرارًا فما راينا اشأم من هذه السفرة ولولم تكن نشبه ابناء المكدم لكنا وقعنا في العدم فقال عمرو والله يا بني عمي ان القتل كان ايسر عليّ من اسري مع هذا الصبي وانا لابد ان اخاطر معه بروحي واريد منكم ان قتلت او اسرت وسلم منكم احد ان يوصل خبري الى صديقي عنترة بن شداد ويخبره بما جرى عليّ في هذه البلاد ثم ان عمرًا

كمن هو ورجالهٔ الى الصباح واذا بالاموال قد خرجت والمواشي قد سرحت فعندها خرج عمرو هو ومن معهٔ من الرفاق وساقوا الاموال التي تنساق الا انهم ما ابعدوا عن الديار وقد تنصف النهار حتى اقتفي ربيعة من ورائهم الاثار وبين يديهِ عبده مفتاح يغلي كقدور النار وهو ينادي الى اين تذهبون باموالنا يا اولاد الفجار فقال عمرو يابني عمي هذا العبد الفاجر كان سبب نحسنا في الاول والاخر وانما بعد ان يبعد ربيعة عن امهِ وديارهِ نعمل على قلع اثاره فلما نظر ربيعة الى عمرو وعرفهٔ قال لهٔ ويلك يا عمرو غدرت وتعرضت لاموالنا اين العهود التي اوثقناها امس بيننا ولكن لابد لي من قتلك لان الجميل ضايع مع مثلك ثم ان ربيعة حمل عليهِ مثل النار فاستقبلهٔ عمرو استقبال الاسد المغوار الذي يطلب اخذ الثار وكشف العار ولم تكن الا ساعة من النهار حتى طعنهٔ ربيعة بعقب السنان نكسهٔ من على ظهر الحصان واسر جماعة من الفرسان وانهزم الباقون في البراري والقيعان وما سلم منهم الا ملاعب وفارس اخر واقبل بعد ذلك ربيعة على عمرو وقال لهٔ ويلك ما حفظت المعروف وهكذا يغدر اللئيم بعد ضيافة الضيوف ثم رجع بنو كنانة باموالهم ونوقهم وجمالهم وكلهم يثنون على ربيعة وصار عندهم في منزلة رفيعة ولما وصل الى اخيهِ حلف انهٔ لا يطلق عمرًا الا ان يحمل لهٔ في كل عام المال والنوق والجمال فقال عمرو انا لا افعل هذه الفعال ولا اعيش تحت العار والاذلال ولي من ياخذ ثاري ويكشف عاري وهو البطل الجواد الطويل النجاد وحامية عبس يوم الجلاد الامير عنترة بن شداد فقال لهٔ ربيعة ويلك سوف ترى عيانًا اذا ضمني واياه الميدان ثم انهٔ تركهٔ عنده في القيود مدة من الزمان وقد هابتهٔ جميع الفرسان الى ان كان يوم من بعض الايام طلع ربيعة وهو زعلان وقصد المسير الى البيوت والخيام فنظر جماعة من الفرسان وهم يلعبون على حلق الرهان وبينهم رجل يقال لهٔ غالب بن جهير وكان صاحب حسد شديد فقصدهم ربيعة وهو معجب بنفسهِ على كل ابناء جنسهِ وقد غلب جهلهٔ على عقلهِ فالتفت اليهِ غالب وقال لهٔ مالك يا ربيعة معجب بنفسك متكبر على ابناء جنسك فلو كنت مالك زمام ناقة هند بنت الملك قيس سيد بني شيبان لكان يصلح لك هذا الشان فقال ربيعة ويلك يا ابن جهير انزع ما في قلبك من الحسد والضير فوحق ذمة العرب لو كنت اشتهي ما ذكرتهٔ لكان ذلك عليَّ اهون سبب ثم ان ربيعة عاد طالبًا ابياته وهو غضبان فتلقاه رجل من اعز اصدقائهِ يقال لهٔ زائد فلما راه وهو حردان قال لهٔ ما لي اراك يا ربيعة في هذا الشان فقال لهٔ يا عم اقسم عليك بذمة الكرام ما معنى هذا الكلام وقول غالب لي بين الانام اني لو ملكت هند ابنة سيد بني شيبان لكان يحق لي ان افتخر

على كل الفرسان ·

قال الراوي فلما سمع زائد هذا الكلام قال اعلم يا ولدي انك قد داخلك الحسد واراد في الكلام ان يوثر فيك واعلم ان هذه هي هند بنت الملك قيس بن مسعود سيد بني شيبان من المبدعات في الحسن في هذا العصر والاوان وقد فاقت بالحسن على جميع نساء العربان وحازت مع الشجاعة والفصاحة والقوة والسماحة وحسن الصناعة في ملاقاة الابطال وقد اسرت الفرسان وقهرت الشجعان واعلم يا ولدي انه قد خطبها ابطال بني عدنان وشجعان بني قحطان واسرت الجميع وقطعت نواصيهم في حومة الميدان وموقع الحرب والطعان وحلف ابوها ان لا يزوجها الا بمن يقهرها في الميدان فعجزت عنها الفرسان والابطال وقهرت الشجعان والاقيال ومن جملة من اسرت الفرسان المعدودون اولهم دريد بن الصمة والعباس بن مرداس وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنة ونبشة بن حبيب وغيرهم من الفرسان المشهورين والشجعان الموصوفين واعلم ان اباها علمها الحرب والشجاعة والقوة والبراعة وحسن الخط في القلم وعرفت من كل شيء احسنه وهذا يا ربيعة حديث هند بنت قيس سيد بني شيبان الملقب بذو الجدين وقد لقب بذلك لانه ليس في القبائل من يضاهيه في الحسب ولا يقاربه في النسب

قال الراوي فلما سمع ربيعة ذلك الكلام التفت الى زائد وقال له اعلم يا عم وحق ذمة العرب الكرام وبيت الله الحرام اني لا اشرب خمرًا ولا مدام ولا ادخل المضارب ولا الخيام ولا اجلس بين قوم كرام ما لم املك هند ابنة الملك قيس دون الانام ولو حال دونها كل من نقل رمحًا او اعتقل بحسام ثم انه وثب من وقته وساعته ودخل على والدته وقال لها يا اماه اخبريني واصدقي في الكلام هل في عشيرتي وقومي عيب او في حسبي ونسبي ريب فقالت امه يا ولدي ما هذا الكلام والله نسبك كريم وحسبك عظيم وانت في قومك عالي المنصب من ام واب وان كنت ترغب في الزواج ببنت احد ملوك العرب فهو اليك ارغب واخطب من سائر ملوك العربان الا هند بنت قيس سيد بني شيبان فانها تذهلك في الملعوب وترميك في البلاء المصبوب فقال ربيعة يا اماه والله انها بغيتي ولو اتلفت مهجتي ثم وثب من وقته كانه النمر الحردان ونادى عبده مفتاحًا فاتاه بالحصان فلبس درعه وقفز على ظهر الجواد ودعا عمه الامير قراد بن مالك اخا زيد المكدم وطلع من الخيام على هذا الشان طالبًا ارض بني شيبان وما زالوا سائرين يقطعون البراري والقيعان حتى وصلوا الى بني شيبان فدخلوا بين اطناب الخيام وانتهوا الى صيوان الملك قيس ابي بسطام فلقوه جالسًا

وحولهُ امراء بني شيبان فوقف ربيعة وهو مضيق اللثام وقد ميل عمامتهُ على جبهتهِ وعيناه تلوح من تحت النقاب كانهما عينا اسد خارج من الغاب وسلم بافصح سلام وتكلم باحسن كلام ونادى يا وجوه بني شيبان ايكم قيس الملقب بذي الجد بن فاجابهُ الملك قيس بنفسهِ وقال انا طلبتك بين كل الانام تكلم يا غلام واطلب حاجتك فعسى ان يبلغك ارادتك فقال لهُ ربيعة ايها الملك اتيتك خاطبًا واليك طالبًا وفي ابنتك هند راغبًا فقال الملك قيس اخطات يا غلام فلو شاورتني قبل هذا الكلام لكنت اشرت عليك قبل هتك سترك بان تكتم امرك اهكذا تكون خطبة البنات الابكار واولاد الملوك الكبار فقال ربيعة نعم يا ملك الزمان وما تكلمت هذا الكلام الا وقد علمت انهُ قد سبقني اليهِ الامم فيما مضى وتقدم فقال الملك قيس يا فتى اسفر لنا عن وجهك اللثام حتى نعرفك وبيّن لنا حسبك ونسبك وقبيلتك وعربك فلما سمع ربيعة ذلك الكلام اسفر عن وجههِ اللثام فبان من تحتهِ وجه جميل وطرف كحيل وخد اسيل فانذهل الملك قيس لما نظر الى ربيعة وجمالـه وقوة قلبه وحدة كلامه وراى اشارات الشجاعة لائحة بين عينيهِ تشهد لهُ لا عليهِ فعلم انهُ فارس ضرغام واسد لا يرام فقام اليهِ الملك قيس على الاقدام وحلف عليهِ ان ينزل فنزل واجلسهُ الى جانبهِ وحادثهُ في الكلام وقال لهُ ايها الهمام والليث الضرغام من تكون من العربان فقال ربيعة اعلم ايها الملك المعظم انني انا ربيعة بن زيد المكدم

قال الراوي فلما سمع قيس ذلك قال لهُ حياك الله يا ربيعة فقد اجبتك الى ما تريد لان اباك كان لي صديقًا صدوق واعز لدي من كل مخلوق وقد وصل اليّ خبر عن شجاعتك وقوتك وبراعتك وكنت في غاية الشوق اليك ولكن الحمد لله جمعتني المقادير بك واعلم يا ولدي ان بنتي هند حلفت اني لا ازوجها الا بمن تريده من الفرسان اذ لي ابن اخت يقال لهُ هاني بن مسعود صاحب وقعة ذي قار وكان في نيتي ان ازوجه بها دون كل انسان ولكن قد حلف وعظم الايمان انهُ لا يتزوج الا على دين النبي الذي يظهر من آل عدنان والان قد اقبلت انت عليها واشتقت اليها ولا بد يا ولدي من معاونتك عليها ثم انهُ استدعى بجارية من جواري ابنتهِ وقال لها امضي الى مولاتك وقولي لها يا سيدتي ها قد انقضت حاجتك وجاء اليك رجل خاطب وفي الاتصال بك راغب وهو كريم الحسب والنسب رفيع القدر بين العرب ولما كان ابوك لا يقضي امرًا دون رايك فوض ذلك اليك فمضت الجارية وعادت في الحال وقالت له يا سيدي تقول لك هند ان فصاحة المرء تحت طي لسانهِ لا تحت طيلسانهِ ومن احتقر بالناس احتقروه فاذن لهُ يا ابتِ بالدخول حتى نسمع منهُ ما يقول

الثال قم يا ربيعة واجعل حليها وانزل بوجهك اليها حتى تسمع خطابك فنهض ربيعة ودخل عليها فحضر مجلوسها وحياها بالسلام فردت عليه باطيب كلام وامرته بالجلوس بازائها حتى تستدل على حاله لانها كانت من ذكائها وشرف همتها اذا جاءها خاطب تبسط المضرب فرشاً اعلى من فرش ومرتبة اعلى من مرتبة وتجعل مرتبتها اعلى من الجميع حتى تنظر الخاطب الذي ياتي على اي مرتبة يجلس ان كانت رفيعة او وضيعة فتعرف ثبات جنانه وعلو شانه ولما قدم ربيعة وامرته بالجلوس فتامل ربيعة فلم ينظر ارفع من مرتبة هند فتخطى جميع المجالس وصعد وجلس الى جانبها وقال لها . نعمت صباحاً ولقيت نجاحاً فقالت وانت صبحت بالانعام ما الذي تريد ايها الغلام فقال التوصل والوصل والزواج والتمتع بجمالك والابتهاج فضحكت وقالت اني اشم رائحة اللبن في فيك فقال لها والله ليس بمثلي عيب يعاب فقالت نعم اظهر لي قلة عقلك جلوسك على مرتبتي وهي لا تصلح لمثلك فقال لها انكرين جلوسي فوق هذا الموضع وهل الذي جئت اطلبه اعلى من هذا وارفع فقالت له وقد اغتاظت من اين لك هذا الكلام وانت قريب العهد من الفطام فقال لها هذا تعلمته من بيتك لما جلست على مرتبتك واما قولك اني غلام فذلك مدحة في شبابي اذ تهابني الاقران وتتقيني الشجعان واعانق في الليل سيفي بعد ما اشبع ضيفي وانا كما ترين ظريف الملاحة بالغ الفصاحة فلما سمعت هند كلامه تعجبت ثم قالت يا فتى بين لنا حسبك ونسبك لعلنا نعرف قومك وعربك فعند ذلك قال لها انا ابن الافضلين اذا انتسبوا والقوم الاكرمين اذا دعوا وانتدبوا فقالت هذه صفة قومي الانجاد وعربي الاجواد فقال لها ربيعة والله لو لم تكوني من بني شيبان بمنزلة الروح في الابدان لما رفع لهم راس ولا ذكروا بين الناس فقالت هند حياك الله على هذا الكلام فمن انت من القوم السادات فقال لها انا من فرسان الخيل خواضي الليل قالت من بني ذهيل فقال هم ارذل العرب كثير والعيوب قليلو الادب قالت من اين انت قرب الله دارك وادنى مزارك فقال انا من مقربي الضيوف الضاربين بالسيوف واعلاها منازل وافخرها افتخاراً فقالت من بني ذبيان قال اخطات لانهم قوم لا يزالون عراة الابدان وهم مدى عمرهم بالذل والهوان اذا نزل عليهم نازل لا يعود منهم بطائل فقالت له قد اطلت وصف عربك فبين لنا عن حسبك ونسبك فقال لها ربيعة انا من قوم هم ليوث الحرب الضاربون بحد النصول والمسددون كل قرن اكول فقالت هم بني عبس الذئاب الطلس قال لها هم معيوبون بين اصحاب الانساب وان كانوا اسود الغاب لانهم الحقوا اولاد الاموات منهم بالاحساب فقالت له هند صدقت فمن اي عرب انت اخبرني واقتصر في

الالفاظ فقال لها من اشرف العرب واجل من ضرب في الميدان وقدّا وطعن فقالت هند من بني عامر اهل الثناء والمفاخر فقال لها انهم قوم قليلو المال دنيئو الحال وليس لهم مقابل ولا فعال فقالت هند اتركنا من قومك وعربك واخبرنا عن اسمك قال لها انا اسمي بين الرسوم والمعالم ابن السادات الاكارم وبين اصحاب الوشم والملائم المليح التام وبين السادات الاكارم البطل المصادم والليث المقدّم والقيل المكرّم ربيعة بن زيد المكدم صاحب العز والنصر والشجاعة والفخر . فقالت هند تعني انك فارس قبيلتك وسيد سادات عشيرتك فوحياة عينيك يا وجه العرب انك الى املك للزواج مني اقرب فقال ربيعة وحق ربي الكريم الجليل اني لم اكن في الحرب ذليل واني لشجاع نبيل ولكن هذا كلام من في عمياء صماء . لا تبصر النور من الظلماء فلما سمعت هند كلامه بهتت وارادت ان تدفع عنها ملامة فهتكت الحجاب بينها وبينه وازالت الستر الذي هي دونه فنظر ربيعة الى وجه قمري زهري كانه كوكب دري وشعر سابل على اكتافها كانه اذناب الخيل وسواده يحاكي سواد الليل كما قال فيها بعض واصفيها

ولو انها للمشركين تعرضت لكانوا دعوها دون اصنامهم ربا
ولو أنها في الغرب تبدو لراهب لخلى سبيل الشرق واتبع الغربا
ولو تفلت في البحر والبحر مالح لاصبح ماء البحر من ريقها عذبا
ولو واصلت شيخًا يدب على عصا لاصبح ذاك الشيخ من وصلها شبا

قال الناقل ونظر ربيعة الى حسنها وجمالها وقدها واعتدالها ولما نظرت هي اليه قالت له يا ربيعة اما عمياء او بصيره فقال لها ربيعة سبحان من صورك احسن صورة فوجهك صبيح وعقلك رجيح وعناقك والله مليح فعندها ردت الحجاب بينها وبينه وقالت له يا هذا عول على الذهاب وعز نفسك واطلب شكلك وابناء جنسك فلست لي كفوءا ولا انت ذو حسب كريم فعليك يا غلام ببنات عمك اذ فيهم يزول همك وغمك وهم فيك ارغب وانت لهن اوجب فغضب ربيعة وقال لها الظلم شعارك والقول القبيح دثارك والا لما كنت فضحت رجال العرب ورددتهم بغير سبب فوحق الكعبة الغرا وابي قبيس وحرا لا املكك الا بالسيف قهرًا فضحكت هند وقالت له يا ربيعة خطبتك وحدك ليس لها فائدة ولا برهان فلمَ لم تصاحب من هو اعلا منك قدرًا وشان من شجعان قومك الاعيان حتى اذا قهرني منهم انسان كنت له جارية يحكم بما يكون وما كان فقال لها ربيعة ما في قومي اثبت مني ولا اقوى في الحرب والطعان ولا اعلى حسبًا ولا اكرم امًا وابًا فقالت له ما انت الا معجب بنفسك

وهذا يدل على جهلك لاني اراك تجافي الكلام ولا اظنك تثبت عند الصدام واما جهل المصابة حملك على هذا الكلام فقال لها ان كنتُ صغيرَ السن في نفلي فقد ظهر بين العرب فعلي وكرمي وفضلي فقالت له يا غلام اني قهرت كثيرًا مثلك من الفرسان في حومة الميدان وجززت نواصيهم واستوليت على اموالهم فقال ربيعة يا الذل الرجال الذين تقهرهم ربات الحجال ولو كنت ممن يريدان يبارز مثلك لكنت ترين مقدار كلمتك فاسمعي مني واطلبي ما شئت من المال ودعي عنك المبارزة والقتال لاني اخاف من معيرة العرب اذا شاع عني اني بارزت بنات اللعب فقالت له انصرف ودع اللجاجة اذا لم يكن لك في البراز حاجة فقال ربيعة ولا بد لك من المبارزة في الميدان فقالت نعم وان قهرتني افعل بي ما شئت فوثب ربيعة وخرج عنها مغضبًا وقد صاحت عليه الجواري فلم يلتفت اليهن ولا عنّ عليهنّ بل انه عاد من وقته وساعته طالبًا الديار وقد اوقدت في قلبه النار فاشار يقول

لحا الله من قد يرتضي بذلةٍ ومن يكُ يومًا عن اعاديه يضعفُ
اذا لم يكن يوم الكريهة ماجدًا اذا ما دعاه القرن لا يتخوفُ
يجود طعانًا بالرماح وتارةً يضارب بالهنديّ والروح يخطفُ
الا بلغا هندًا مقالة صادق ستعلم من منا يهان ويصدفُ
ومن يحرس الاغنام او من يسوقها الى بقعة فيها الرجال تُشرفُ
لاصطلين الحرب فيها على العدى واضرب بالسيف الرؤوس واقطفُ
اذا لم تكن يومًا عزيزًا فلا تكن ذليلاً فان الذل فيه تخوفُ

قال الراوي ثم انه سار في ذلك البر والآكام حتى اشرف على الديار ودخل على امه واخبرها بما تمّ له في سفرته واعلمها ان النار في مهجته فقالت له امه الا ما نصحتك وقلت لك لا تمضي اليها لانك لا تقدر عليها فقال لها يا اماه كيف اصنع فانه ما بقي لي عنها مدفع واني من العاذل لا اسمع فقالت له اذا كان الامر كذلك فاجعل الصبر شعارك والعز دثارك واذكر مفاخر ابيك وجدك واياك يا ولدي والعجب فانه مصرع الرجال وامض اليهم في جماعة من رجالك والابطال واجعل حربك للقوم انصافًا وقد تمت لك الامور واعلم يا ولدي ان كل باغٍ مقهور وقد اخبرتك بقول اهل الفضل وما يفعله اهل العقل فعند ذلك قبل ربيعة راس امه وانتخب من اهل عشيرته اربعين رجلاً من صناديد قومه وكلهم اقيال وركب جواده وسار ومعه عبده مفتاح وجماعة من الخدم يقطعون البراري والقيعان حتى اشرفوا على بني شيبان فوجدوا القوم راحلين من دار الى دار فصبروا حتى ضربوا الخيام وركزوا الرايات والاعلام

فعند ذلك اشرف ربيعة هو ومن معه من القرائب وساروا حتى قاربوا المضارب فلما عاين العبيد ربيعة انكروه غاية الانكار فصاح فيهم صيحة الاسد الهدار وقال يا ويلكم اعلموا سيدكم بقدومي ومعي سادات قومي وقولوا له ربيعة بن زيد المكدم قد اشرف عليكم فعند ذلك تجارت العبيد واعلموه بالخبر وان ربيعة قد قدم ومعه بنو عمه وقومه فقال لهم يا ويلكم كيف رايتم قدومه فقالوا له هو غريق في لامته كانه البرج المشيد فاسرع الملك قيس وركب من وقته والعبيد حوله حتى اشرف على ربيعة وترجل له وسلم عليه فانكب ربيعة على الملك قيس وقبل يديه فقال له ابو هند مرحبًا بك يا ربيعة واهلاً وسهلاً جئتني زائرًا او مسامرًا عابرًا فقال ربيعة لا وابيك بل اتيتك خاطبًا وفي بنتك راغبًا فان رمت الصلاح كان اقرب الى النجاح وان رمت الحرب والكفاح فستعاين مني ليث البطاح فقال الملك قيس يا للعرب ما رايت احدًا يخطب البنات الكواعب وهو على ظهر الجواد راكب فعد يا ربيعة معي واني امرك اليها وقص قصتك عليها وعرّفها في مجيئك وما اتيت به من زيك فاسرع معه الى مضربها وانفذ ابوها البهامن يخبرها بقدوم ربيعة فقالت لا اخاف من التهديد ولا من الوعد والوعيد ثم انها امرت باحضاره فقال قيس يا ربيعة امضِ عندها فنزع ربيعة البيضة عن راسه واسبل ذوائبه على اكتافه ودخل على هند باهتمام وسلم احسن سلام فردت عليه سلامه وقالت في اي شيء اتيت يا ربيعة فان عودتك الينا كانت سريعة الم اقلْ لك لا حاجة لنا فيك وان ابديت امرًا فعليه نكافيك فقال لها ربيعة انني عدت اطلب النجاح والقرب منك يا سيدة الملاح فقالت له ليس لي عن الحرب مقيل ولا لي الى غيرها سبيل وما اريد الا الطعن في الميدان والمبارزة بين الفرسان فاذا اردت ذلك اشهدت عليك ابي الملك قيس واكابر قومي والاعيان فقال لها قد اجبت الى ذلك فدونك والميدان فمن قهر صاحبه اخذه اسيرًا وهو يحكم فيه بما يريد فقالت له هند غدًا يكون هذا الشان يشهد بيني وبينك الفرسان بما كان فان اسرتك وقهرتك في الحين طحنتك الشعير اربع سنين وجززت ناصيتك وعنقتك فقال ربيعة رضيت ثم وقع بينهما الرضى على ذلك والاتفاق فوثب ربيعة قائمًا على قدميه فتاملته هند ونظرت اليه والى ذوائبه وقد اتصلت الى اسافل رجليه ولم تكن قد راتها عند ما نظرته اول مرة لانها كانت تحت عمامته وهو مضيق اللثام يحاكي بمشيته بدر التمام فقالت له يا ربيعة من يربي ذوائب النساء ربات الحجال كيف يلقى الرجال والابطال فقال لها يا هند نحن قوم اشراف ننتسب الى عبد مناف وبهذا نعرّف بين السادات والملوك والقضاة فقالت هند هيهات ها انا غدًا املكها ونفسك اهلكها فقال لها

ربيعة ياحبيبتي [illegible] الابطال فكيف يكون ذلك من زمانها الخالي بعد ان تحظى من
ذلك هذه السباق يا كريمة الاخلاق ثم انه طلع من عندها وقد بهرها بجماله وحيرها ما
سمعته من اقواله وقالت لجوارها والله ماهو الا طلق اللسان جري الجنان يتفوق على الاقران
وبالله انه فارس الفرسان ولا بد ان يجري لي معه في الحرب عجائب وغرائب تتعجب منها
الولدان وتتذكر عنها الى اخر الزمان واما ربيعة فعاد الى المضارب والخيام والطرح ونام
وبات من معه من فرسان البطاح يتفاكرون بما يكون بينهما عند الصباح

وكان ربيعة بعد خروجه من عندها اخبر اباها قيساً بالكلام الذي قالته فقال له
يا ابني انا ما قلت لك هذا الشان وانها آلت على نفسها ان لا تقترن الا بمن يقهرها في الميدان
ومقام الطعان وقد فعلت ذلك بكثير من الفرسان وجزت نواصيهم عياناً امام الاقران
لان من جملة خاطبيها دريد بن الصمة وخفاف بن ندبة والعباس بني مرداس وعامر بن
الطفيل فمنهم من تاسره ومنهم من يعف نفسه عن الطعان ولو شرحت ذكر من اسرته من الابطال
لطال الحال واتسع المقال وانت لا يكون عليك عار ولا عتاب اذا قهرتك في الطعان
والضراب فلما سمع ربيعة من ابيها هذا المقال قال خيب الله رجالاً تقهرهم ربات الحجال
وسوف تعلم ابنتك من يكون فارس عصره ونتيجة دهره ولا بد من اخذها وسوقها سوق
النعم والخدم حيث تندم غاية الندم هذا ما كان من هولاء واما ما كان من هند فانها دخلت على
ابيها وهي في حالة الغضب واخبرته بما سمعها ربيعة من الكلام ثم قالت يا اباه ان قهرني احد
من الانام فما يكون الا هذا الغلام فلله دره ما ابدعه وما اطلق لسانه وابرعه فقالت لها امها
وابوها ويلك هذا ربيعة بن زيد المكدم وقد حضر حرب البسوس وظهر له فيها امور عجيبة
واحوال غريبة وقد طلع هذا الغلام لابيه واعطي شجاعته ومعانيه فقهر الفرسان وعجزت عنه
الاقران وبالامس اسر عمرو بن معدي كرب والتقى انس بن مدركة ونهب اموال ملاعب
الاسنة وعامر بن الطفيل ودابه شن الغارات واخذ اموال السادات فاسمعي مني وانعمي له
بالزواج ودعي عنك الاحتجاج فقالت هند لا يكون ذلك الا في الميدان فقالوا لها انت
وشانك اخبر حتى ترى البرهان . قال الراوي ثم انها باتت حتى اصبح الصباح ونادت في
بني شيبان بالركوب الى الميدان فتبادرت من كل جانب ومكان وركبت الابطال المشهورة
والفرسان المذكورة وركب الملك قيس سيد بني شيبان وامر ربيعة بالخروج الى ساحة
الميدان فركب ربيعة وهو مغتربما أُعطي من القوة والبراعة وعليه بردة بيضاء في رقة الشعر
وعلى راسه عمامة ريحانية وبدنه ظاهر من تحت البردة كانه الفضة النقية

قال الراوي فلما نظرت بنو شيبان الى ربيعة وهو عريان قالوا كانه ماض الى وليمة بعض الاخوان حتى انه فعل ذلك الامر والشان ولبس هذا اللبس الذي لا يصلح الا للنسوان ثم تقدم اليه بعض الفرسان وقال له احترس على نفسك فانها ان وخزتك بسنانها وضربتك بحسامها أما تبقى على وجه الارض طريح وتكون انت الفاعل بنفسك هذا الفعل القبيح فتبسم وقال نعم ان كانت لا توخزني بسنانها ولا تضربني بحسامها فلا شك اني ابقى على وجه الارض صريعًا امامها ولكن دونها ودون ذلك الاهوال . قال الراوي فلما سمع الفارس هذا المقال قال له احترس على نفسك على كل حال لاني اراك اهوج بين الرجال وكانا عن القوم معزولين وهما الى ناحية الفرسان واقفان فحمل ذلك الفارس على ربيعة على سبيل التجربة والاختبار وبادره بطعنة وجميع الابطال محدقون بهما بالابصار فلما اقترب السنان من صدر ربيعة صار في اسرع حال حزامًا للجواد وذهبت الطعنة خائبة بعد ما كانت صائبة ثم عاد ربيعة الى سرجه وعطف عليه ومد سنانه اليه فخطف عمامته من راسه واكثر من همه ووسواسه فلما نظرت العرب الى ذلك الحال اخذهم العجب والاندهال واما الفارس فانهزم وهو منكس الراس وهو ينادي يا الشيبان ملكت هند ورب الناس فلما نظر الملك قيس الى ذلك الشان قال فليخرج له اخر من الشجعان فبرز اليه بسطام حامية بني شيبان وصار قدام ربيعة وهو برمقه بالعيان فقال له ربيعة احم جوادك واحمل عليّ وان اردت ان تطيعني فاسترح من دمي فلما سمع بسطام هذا الكلام حمل عليه من غير شعر ولا نظام ثم انه جرد حسامه من غمده وعلقه بحمالة حرير في زنده وقبض على رمحه بيده وارخى عنان حصانه وحماه في ميدانه هذا وربيعة ثابت على ظهر الجواد ووقف نظره لحركات خصمه وهند قد احدقت

الكتاب الثالث والتسعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

اليهما بالنظر وخافت على اخيها من هذا الغضنفر فرات بسطام وقد عاجل ربيعة بالطعنة فبهتت اليه وظنت ان الرمح طلع من بين كتفيه فوثب ربيعة من سرجه الى الارض كانه عقاب اذا انقض وذهبت الطعنة خائبة بعد ما كانت صائبة ثم عاد ربيعة الى سرجه كانه الريح الهبوب بعد ما تملص من الذابل الكعوب وعطف على بسطام واخذ معه في الصدام وانقض عليه فاخذه من سرجه على زنده واعاده الى ظهر جواده فلما رأت العرب

ذلك انتهلت وتعجبت مما رأت ثم ان بسطاما عاد الى ابيه وقد تحير من همه وشجاعته وقال يا ابتاه زوجة ابنتك فانه بطل همام وما لها غيره والسلام فعند ذلك تقدم الملك قيس الى ابنه وقال لها اسمعي مني وارجعي الى خدرك هو ارفع الى قدرك فقالت لا وحياتك يا ابتاه لابد من قتاله حتى ترى كيف اكون معه في نزاله وهذا وربيعة قد صال وجال وانشد وقال

مثلي اذا ما قال قولاً قد فعلْ   وتم حتى يلحق القول العملْ
لو لم يكن قولي كفعلي لا وجلْ   لاينفع الفخر اذا جاء الاجلْ

قال الناقل ثم انه صاح يا لشيبان هل من مبارز هل من مناجز هذا يوم لا ينفع فيه الكسلان او العاجز الجبان وكان للملك قيس عبد طويل القامة ضخم الهامة كانه النخلة الباسقة او من اولاد العمالقة وكان يصيد الوحوش على قدميه ويقبض الاسد بيديه فلما كان ذلك اليوم اقبل مولاه عليه وقال له ياسعد اريدك ان تبرز الى هذا الفارس فانه بطل ممارس فلما سمع العبد كلام مولاه اعتد بعدته وركب جواداً اشقر عاليًا من الخيل مضمر وقصد الميدان وانطبق على ربيعة فالتقاه بهمة سريعة وقد مدت اليهما العرب بالاعناق وشخصت اليهما بالاحداق لينظروا ما يجري من الاثنين ومن يقهر صاحبه بين الفريقين فبينما هم على ذلك الحال واذا بربيعة زعق على العبد زعقة ارتجت لها الجبال وقاربه وجاراه وادار سنان رمحه الى وراه وطعنه بعقبه في صدره رماه وعلى الارض ودحاه فعند ذلك اسرع مفتاح ليشده كتاف ويقوي منه الاطراف فقال له ربيعة دعه كفاه ما لاقاه ثم انه صال وجال وهو يقول انا الاسد المهول واشار يقول

انا ربيعة اسدُ الحربُ تخشاني   وتتقي صولتي في الحرب اقراني
وصارمي يفلق الهامات مضربه   يبري الرؤوس ولايخشى من الجاني
ولا افارق هنداً دون ان تقع   مسبية من بني ذهل وشيبانِ

قال الراوي ولما فرغ ربيعة من شعره ومقاله ورأت هند شديد قتاله وعظم اهواله امرت عبيدها ان ياتوها بجوادها ففي ساعة الحال احضروه بين يديها وقدموه اليها وكان من الخيول السوابق اذا جرى لاتلحقه اللواحق ولبست درعاً قصير الاكمام لا يقطع فيه الحسام ووضعت على راسها خوذة عادية وتقلدت بسيف مصقول ليس لمضاربه فلول واعتقلت برمح كعوب ذي اربعة وعشرين انبوب وخرجت بهذه العدة وهي الى الحرب مستعدة وجالت بين الصفين واشتهرت بين الفريقين حتى لينت عريكة الجواد و بلغت مقام الحرب والطراد واشارت الى ربيعة تقول

يا للرجال انا كريمٌ معلمٌ ... يحمي الكريهة في الغبار المظلم
يبغي الذي اعيا الفوارس في الوغى ... ويروم شهدًا من لسان الارقم
ابشر بضربة صارم ذي رونق ... من كف من تذري بليث ضيغم
خضعت لها الفرسان عند مجالها ... مع كل قرم في الحروب غشمشم

قال الناقل فلما سمع ربيعة ذلك النظام ابدى الضحك والابتسام واجابها يقول

ياهند قولي ما عليك ملامة ... ما صارمي يوم الوغى بمثلم
رمت الفخار وكل فخر باطلٌ ... ما لم يبن حال الشجاع المعلم
اني انا البطل المجرّب في اللقا ... يعطي غناء السيف عند المغنم
يكفيك ذلاً ان فخرك زائلٌ ... في حضرة الليث الشجاع المقدم
ان كنت لاتدرين اني مالكٌ ... لجمالك ياهند حقًا فاعلمي
اني انا ليث الحروب مجرّبٌ ... مردي الكماة ربيعة بن مكدم

قال الراوي فلما فرغ ربيعة من ذلك الشعر والنظام عاد يزجرها بالكلام ويقول لها ياهند الم اقل لك اني لا املكنك الا بالسيف المخذم وانا ربيعة بن زيد المكدم المعروف بين العرب بالكناني واليوم ترين ضربي وطعاني ثم انهما بعد ذلك حملا على بعضهما البعض واتسعا في جنبات الارض واعتركا مليا وطعنا طعنًا وفيا حتى انبهرت منهما اعين النظار وسبحا في بحر من العرق وزاد بهما القلق ورأيا من جواديهما التقصير وكان ربيعة قد عرف ان جواد هند قصر بها فقالت له يافارس كنانة اهل التقى والامانة قد عرفت ان جوادي انهكه التعب فهل لك ان تصبر عليّ ساعةً ياخير العرب فقال لها ربيعة الامر لك في كل ما تريدينه من السوال فعند ذلك نادت ببعض عبيدها وقالت له هات جحرتي الدهماء فاتى بها فامتطتها واسرعت نحو ربيعة الى ان اقتربت منه ونادته ايها الفارس النفيس والبطل الرئيس دع طريق الجهل واسلك طريق اهل الفضل وانظر مني طعنًا يذهل الفرسان ويحير الاقران واشارت تقول

يافارس الهيجاء ياذا النجب ... دع اللقا فهو شبيه اللعب
واستعمل الجد وخذ في الحرب ... حتى ترى طعني وشدة ضربي

قال الراوي فلما سمع ربيعة شعرها وما ابدت من الكلام قال لها ياهند هذا شعر غير مستقيم فمتى رايت في الحرب لعبًا ومزاحًا وهو مقام اتلاف الارواح ثم انه مد رمحه اليها وهو بلا سنان وحمل عليها حملة السودان فتلقته هند ومدت اليه سنان رمحها وقد تمرمر مذاقها عند سماع

كلامهِ وقلبها حتى صارت قدامهُ قطاولتسة وقد طلع عليهما الغبار وحجبهما عن الابصار وصار ربيعة ينتهرالى ورائهِ ويجرها ويبعد الطعن عن صدرها فلما علم ربيعة انها ابعدت عن اهلها وقد تمكن منها صرخ عليها صرخة عظيمة استيقظت فيها لنفسها وطعنته طعنة مستقيمة فابطلها عنهُ فعلمت ان الطعنة لم تمكن منهُ فعادت اليهِ وقد اطلقت لحجرتها العنان وقومت بين اذانها السنان وطعنته طعنة ثانية وقالت في نفسها انها تكون القاضية فابطلها بحسن خبرتهِ وصبر لها حتى طعنته الثالثة فانقلب والتوى حتى صار لجواده لبب فلما علم ان الطعنة جازتهُ انقلب على ظهر جوادهِ كعادتهِ ثم انهُ بعد الثلاث طعنات حمل عليها حملة صادقة وعاد اليها اسرع من النار المحرقة وقرع راسها بالقنطارية فاندهلت منهُ وقد تحيرت فصبر عليها حتى سكن روعها وعقلت على نفسها فمدَّ يدهُ الى ساقهِ بخفة واخرج منهُ سنانًا ازرق لهُ لمعان ورونق ورماه الهوى وتلقاه براس الرمح فنزل مستويًا ودقَّ بعقبهِ الارض فالتحم بعضهُ ببعض وزاغت في راسهِ مقل عينيهِ ومات في جلده من نظر اليهِ وقال لها ياهند وحق البيت العتيق المطهر ومن حج اليهِ واعتمر ان لم تنزلي عن ظهر حجرتك وتقودي بشكيمتها الى بين يدي ابيك والا وضعت هذا السنان في نحرك ولو كنت احسن اهل عصرك وافني بعدك قبيلتك وعشيرتك ثم انقلبت عيناه في ام راسهِ وصار مثل الاسد اذا عدم شبلهُ او غاب عنهُ اكلهُ فانزعجت هند واخذها الارتعاد وانصرتهُ وهو على غاية الحملة عليها وقد صوب السنان اليها فنادت على رسلك ياسيد بني كنانة وصاحب العهد والامانة فها انا مسلمة فخذني اليك اخذ الامة فمنع الرمح عنها وقال لها ترجلي عن حجرتك وانهضي الى اهلك وعشيرتك فقالت لهُ اشهد عليَّ انني رضيت بك ان تكون لي بعلاً واكون لك اهلاً فعد بنا الى الحي قدام الرجال حتى انعم لك بالزواج الحلال فقال لها ربيعة لا وحق الكعبة الغرا وجبل ابي قبيس وحرا لابد ان تنزلي عن ظهر حجرتك وتمشي بين يدي على اقدامك الى قبيلتك والا عجلت رحلتك ثم مد رمحهُ الى صدرها وعول ان عصتهُ على طعنها بالقناة ليعدمها الحياة فلما رات ذلك رمت بنفسها من حجرتها الى الارض فساقها قدامهُ اسيرة ويدها في شكيمة الحجرة وقد لحقتها البهتة والحيرة فلما عاينت العرب تلك الحال عظم في اعينهم ربيعة الاسد الريبال وحلقوا عمائمهم من على رؤوسهم واطمانت نفوسهم وطلبت هند مضربها وربيعة يردها بالرمح حتى اوقفها بين يدي ابيها وقال ياهند تكلمي ان كان لك كلام ثم قال للملك قيس اعلم اني جئتك خاطبًا وفي كريمتك راغبًا فقال قيس وقد تحير من مقالهِ وانبهر من فعالهِ انا ما رايت من يخطب البنات وهو على ظهر الحصان الا هذا الفتى الشجاع فما تقولين

ياهند فقالت هو الرضى وفوق الرضى ثم بعد ذلك قصدت مضربها ونزل ربيعة عن جواده وجلس واستقر به القرار وقال ياسيد بني شيبان ها نحن بمحضر من الفرسان والاكابر والاعيان فاطلب ماتشاء من المهر والصداق ولا نطلب الا ما تعجز عنه عرب الافاق فقال قيس وحق الملك الخلاق لا اطلب منك مهراً ولا صداق ومهما شئت افعل فان القول منك ممتثل فقال ربيعة لا وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لابد ان اقدم لك من المهر ما يحير الانام وما تمت هذه الاشارات حتى تفرقت الابطال والسادات الى مضاربها والخيام وهم يتعجبون من هذا البطل الهام . واكرم الملك قيس ربيعة غاية الاكرام هو وجماعته الكرام الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فقام ربيعة وحوله رجاله وابطاله ودخل على الملك قيس وهو جالس بين اقياله فسلم عليهم بحسن ادابه واطلق لسانه وثبت جنانه وجعل يثني على مكارم قيس بن مسعود فلما سمعه قيس يصف كرمه ونسبه وافتخاره على سائر العرب اتم خطبته وزوجه بابنته بين اهله وعشيرته وارتفعت الاصوات بالافراح بين العبيد والسادات فضربت تلك الليلة قبة الزفاف وتم الامر بلا خلاف ونحروا النحور وسكبوا الخمور وزاد بهم الفرح والسرور وزينت الخيام ونصبت الاعلام وما زالوا على تلك الحال سبعة ايام وفي الليلة الثامنة زفت هند الى ربيعة وبدت كانها القمر المنير والغصن من قدها والورد من خدها وهي كما قال فيها الشاعر

بدوية لعبَ الجمالُ بطرفها وبعطفها فاهتزَّ لينُ قوامها
نادت محاسنها على عشاقها لاتجهلوا وتعلقوا بذمامها

قال الراوي فخلا بها ربيعة في الحال وبلغ منها الامال وبقي عندها في المضرب عشرة ايام لا ينظر شيخاً ولا غلام فلما كانت الليلة الحادية عشرة نهض ولبس آلة حربه وجلاده وخرج من المضرب طالباً ناحية بلاده

فلما اصبح الصباح دخلت ام هند على ابنتها فوجدتها جالسة على السرير بوحدتها فسالتها عن بعلها فقالت ما عندي عنه خبر بل انه قام وقت السحر ولبس آلة حربه وركب جواده واخذ جماعته واجناده واظنه طلب بلاده فعادت امها الى ابيها واعلمته بذلك الامر فقال لعله مضى لقضاء بعض الاشغال ثم انه قام من وقته وساعته ودخل على ابنته وسالها ان كانت كلمته بما صعب عليه فقالت له معاذ الله ان افعل ذلك فانني لم اكن الا كالامة بين يديه فقال قيس ربما يكون قد طلب الصيد والقنص ثم انه ارسل خلفه رجالاً في البر الاقفر فلم يقفوا له على خبر وسمع بذلك فرسان بني شيبان فتكلموا في ذلك بالهذيان وقالوا لقد قضى

منها ربيعة الوطر ومضى عنها بلا خبر ثم انهم اخذوا يتكلمون في شان ربيعة بالزور والبهتان فبلغ ذلك قيس سيد بني شيبان فسكت ولم يبد ملامًا هذا ما كان من هولاء واما ربيعة البطل الهمام فانهُ سار من ديار بني شيبان وهو لا يدري ما يكون لهُ من الشان فقال للفرسان الذين معهُ اقصدوا انتم بني كنانة واخبروا امي بما بلغت من المراد فاجابوه الى ذلك وودعوه وساروا واما ربيعة فانهُ عرج عن الطريق وعزم على نهب اموال العربان لكنهُ لم يعلم اي قبيلة يقصد لاجل هذا الشان فاشار يقول

فان تسالا عني فاني فتى العلى كنانة قومي من اعالي المراتبِ
وليس بنا عيبٌ سوى ان جودنا نجود بهِ للناس من كل جانبِ
ابونا ابٌ لو كان للناس كلهم ابٌ مثلهُ اغناهم للعواقبِ

قال الناقل وبعد انشاده هذا النظام سار يقطع الروابي والآكام لانهُ لم تطاوعهُ مروّتهُ ان يطلب زوجتهُ ويروح بها الى اهلهِ وعشيرتهِ بغير صداق محدود ولا مهر ممدود وخاف ان يقال عنهُ بين العرب الاخيار ان الفتى ربيعة اخذ زوجتهُ بلا صداق مقدم وهذا عار عظيم يعير بهِ عند العرب والعجم فخرج من الحلة يطلب لزوجتهِ الصداق من الشام واليمن والعراق وهو يقول هذا البيت المفرد

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدمِ

ولم يزل سائرًا ومعهُ عبده مفتاح وهما يقطعان الروابي والبطاح فقال لهُ عبده اين نقصد يا مولاي فقال اقصد بنا بلاد الملوك الكبار اصحاب المدن والامصار فقال العبد اي المدن يا مولاي نقصد ان اردت مكانًا تاخذ منهُ الاموال الكثيرة فعليك بمدينة الحيرة او اقصد ارض الشام او ارض اليمن يا مهاب فان فيها اموالاً مثل التراب فقال ربيعة يا عبد الخير ايهم اقرب من البلاد فقال العبد يا مولاي ارض اليمن اقرب من غيرها واكثر اموالاً فقال لهُ اقصد بنا مدينة عدن فاجاب العبد وسار بين يديهِ وربيعة مجدٌ من خلفه المسير وهو طالب حلة ينهبها او قافلة يقطع عليها الطريق وما زالا يقطعان البراري والآكام حتى مضى عليهما عشرة ايام فاشرفوا على مدينة عدن وكانت من المدن الكبار وفيها اناس كثير من التجار الكبار واليها ترد القوافل والسفار . فقال العبد يا مولاي ان ملكت هذه المدينة اخذت منها من الاموال ما تختار ولكن الوقت صار اخر النهار فاصبر حتى يصبح الصباح فيسرح المال ويبقى لك مباح فاما ان تسوقهُ وتكتفي بهِ او تسوق غيره من القوافل ان لم ترض بهِ فبينما هما في هذا الحديث والكلام اذا بقافلة مقبلة وفيها اموال كثيرة وانعام وهي

الى المدينة واصلة فقال ربيعة لعبده امض وهات لنا اخبار هذه القافلة لعلنا نكتفي بها وتكون هي الساعدة الكاملة فسار العبد الى ان وصل اليهم وتقدم الى بعض رجال القافلة وسلم عليهم فقال له احدهم من تكون ياغلام فقال له مفتاح انا عبد صاحب عدن المقدام فمن انتم وما معكم من الاموال والانعام فقال له معنا اموال كثيرة وانعام غزيرة ومعنا اسير يقال له الملك همام طلع يقطع علينا الطريق والاكام فاسره مقدم القافلة واعدمه التوفيق والعافية ومعنا من الاموال شيء كثير وخز وبز وحرير فقال مفتاح وابن صاحب القافلة وهذا المتاع فقال له وراءنا يقطع البقاع خوفًا من الطماع فلما سمع العبد الخبر الاكيد فرح الفرح الشديد وعاد الى مولاه وقال له ها قد بلغنا ما نريد

قال الراوي فلما سمع ربيعة ذلك وثب الى ظهر جواده وغاص في عدة جلاده وحمل عليهم وصاح فيهم الى اين تذهبون يامذلولون اتركوا هذا المال قبل ان يحل بكم الويل والوبال ثم انه هجر على واحد منهم فقتله والثاني جندله والثالث ارداه والرابع اهواه والخامس اعدمه الحياة فوصل الخبر الى مقدم القافلة بما جرى لهم وقالوا له الحق قومك واموالك فانها قد سلبت ونهبت فلما سمع ذلك سار حتى وصل الى ربيعة وحمل عليه بقلب من الحنق ملان واظهرا ما حير الاعيان واختلف بينهما طعنتان فاما طعنة صاحب القافلة فانها ذهبت باطلة واما طعنة ربيعة فانها كانت لخصمه القاضية ولما راى رجالة تلك الحال لم يتعرض منهم احد الى قتال بل ولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وساروا نحو اهلهم طالبين و بسلامة انفسهم فرحين وتركوا المال والغنائم وكل منهم لا يصدق انه سالم واستولى ربيعة على الاموال والجمال وما عليها من الاحمال وكانت سبعين حمل خز وبز من شغل مصر ودمياط والاسكندرية ومن كل تجارة غالية نقية فاستولى ربيعة على الجميع وعاد راجعًا من تلك الارض وقد قرن الجمال ببعضها البعض واطلق الاسير وهو الملك همام سيد بني قحطان واعطاه جواده وعدة جلاده فسار طالبًا بلاده وسار ربيعة طالبًا بني شيبان وهو بتلك الحال فرحان وما زال يقطع البراري والاكام ومفتاح يسوق الجمال والانعام واذا هما بغبار قد ثار. وانعقد ساعة من النهار و بعد ذلك انكشف عن الفي فارس كرار وهم ينادون الى اين تذهبون يامذلولون ونحن لكم طالبون فقد اتتكم المنية ومنيتم بالعواقب الردية فلما راى ربيعة اولئك الفرسان وهم على خيولهم مقبلون لم يهتم بهم ولا بقدومهم عليه بل انه جرد حسامه وزعق في وجوههم قائلاً ياويلكم انا فارس الافاق المقدم والبطل المعظم ربيعة بن زيد المكدم . قال الناقل وكان المقدم على هذه الخيل صاحب مدينة عدن لانه لما وصلت

اخبار القافلة اليه وخرج عند فتوح الباب ملتقاها واذا بالمنهزمين يعدون والى حماه يقتربون فلما وصلوا اليه حكوا له ما تم عليهم فاغتاظ غيظاً شديداً ما عليه من مزيد وتجرد في الفي فارس كرار وسار حتى وصل الى المعمعة ورأى القتلى مطروحة فلحق ربيعة على عجل فلما رأى ربيعة تلك الحال عاد يطلب الحرب والقتال فلما نظر المقدم ان ربيعة وحده وليس معه الا عبده ضحك وقال لقومه وحق رب الناس لقد افتضحنا عند كل فارس دعاس لاننا خرجنا في هذا الجمع الكبير الى فارس لا غير وهو طفل صغير ولو كنت انفذت اليه بعض اصحابي لكان اتاني به اسيراً وتركه على الارض عفيراً ثم زعق يا آل قحطان دونكم هذا الشيطان اسقوه كاس الحمام واجعلوا عليه هذا اليوم اشام الايام فعند ذلك هجم بعضهم عليه فما تركه ربيعة ان يصل اليه بل طعنه في صدره اطلع السنان يلمع من ظهره فلما نظر القوم تلك الحال اخذهم الانذهال وقد تعجبوا من تلك الفعال وذهلوا من شجاعة ربيعة وحقدوا عليه وتبادروا اليه فصار ربيعة كلما حمل عليه فارس قتله وعجل مرتحلة حتى اباد ساداتهم واهلك حماتهم فتوقفت عنه الابطال فنادى وقال ياسادات الرجال اخرجوا الى القتال فاني من امري على استعجال فلما سمع القوم كلامه حملوا عليه فتلقاهم ربيعة بقلب قوي وجنان جري وبدد شملهم وفرق جمعهم فلما ذاقوا منه الوبال تاخروا عن الحرب والقتال وقالوا هذا ليس بانسان وانما هو مارد من مردة الجان فلما سمع المقدم عليهم هذا المقال ونظر الى تقصيرهم في القتال قال لهم قد تاكد عندي معرفة هذا الغلام الذي شاع ذكره في هذه الايام يا ويلكم هذا ربيعة بن زيد المكدم القيل المعظم فارس بني كنانة اهل الصدق والامانة وقد بلغني انه لم يبلغ من العمر عشرين سنة فان نحن هربنا منه لحقنا العار وان قاتلناه قصر منا الاعمار ولكن انا له لاني اعلم انكم لستم من رجاله فانا اقطع لكم راسه واخمد انفاسه ثم انه اخذ بفرسه يصول وحمل عليه حملة الاسد الاكول واشار يقول

انا فارس ندب همام غضنفر ... مبيد الاعادي في القتال باسمر

واضرب بالسيف الصقيل بعزمة ... يقصر عن ادراكها كل مخبر

قال الراوي فتلقاه ربيعة بقلب لا يخاف الاهوال وهمة قد تعودت ملاقاة الابطال فزعق عليه المقدام ويلك يا نسل الحرام سلم نفسك قبل ان اعدمك حسك فقال ربيعة انت صاحب عدن ومالك هذه الاطلال والدمن فقال نعم انا الذي فاحت نفحات سيرته فما الذي تريد يا انذل عشيرته ولئيم قبيلته فقال ربيعة اشير عليك ان ترجع بالسلامة قبل ان تقرع اسنانك ندامة وان ابيت اسرتك والى الملك قيس بن مسعود اوصلتك لياخذ مهر

ابنتو منك فلما سمع المقدام من ربيعة هذا الكلام قال ويلك ما وجدت من تاخذ منه مهر هند الا انا دون الانام ابشر الان بقرب الاجل والموت المعجل ثم انه قصد ربيعة وحمل عليه وطعنه طعنة بليغة قصد ان يسقيه كاس الحمام فجاءت خالية لانه التوى حتى صار لجواده حزام فلما جازت الطعنة حمل على المقدام فنظر المقدام سنان ربيعة قد فاجاه وكاد يعدمه الحياه فسبح الطعنة على الدرقة بحسن صناعته فعند ذلك جازته وسلم منها ثم انهما تطاعنا ساعة حتى علا عليهما الغبار وغابا عن الابصار فعند ذلك زعق ربيعة على خصمه فادهشه وانطبق عليه فارعشه وطعنه في جانبه فرماه وعلى وجه الارض القاه ثم صرخ على عبده مفتاح فاقبل عليه مثل هبوب الرياح وفي الحال شده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف فحملت عليه بنو قحطان من كل جانب ومكان يتقدمهم فارس بهلول وبطل اكول يقال له راس الغول وهو يقول يا ابن الاراذل اتاك الليث الحلاحل ثم انه فاجاه بطعنة سريعة فحاد عنها ربيعة وعطف عليه بضربة كانها صاعقة فتلقاها بالدرقة قطعها نصفين والقاها على الارض شطرين ونزلت على هامه اردته صريعًا يعج علقمًا ونجيعًا فلما نظرت الرجال الى راس الغول عفيرًا والى المقدام اسيرًا ركنوا الى الفرار وكان ربيعة قد اسر منهم مائة فارس كرار واستولى على الاموال والاحمال وشد الاسارى على ظهور الخيول فقال المقدام يا ربيعة ما غرضك بشدنا على هذه الجنائب واخذنا معك في هذا البر والسباسب فقال له اريد الفداء والمال الذي جرت به عادات الرجال اذا وقعوا في الاعتقال فقال المقدام اطلق بعض قومي ياتك بالفدا فقال ربيعة انا من امري على استعجال ولكن حينما اصل الى مكاني ابيعك نفسك فلا تخف وطيب قلبك وخاطرك فما انت من اهل الجهل فلك الامان من القتل ثم ان ربيعة سار وهو فرحان بما نال من الافتخار وانشد هذه الاشعار

منازل هند بين ذي قار فالعلى ... الى علم الدهناء من ذات سربال
الى الربوة العليا بارض مرابض ... بها منبتي هند تميس باذيال
اذا ما مشت بين العذارى عشية ... ترى البدر منها سار يخطو بادلال
الا استخبروا بنيكم شرح قصتي ... فلست بكذاب وحق العلي العالي
وقالوا تعديت الفخار ربيعة ... دع العجب لا تخطر بمشية مختال
فهل ملكت كفاك هندًا جليلة ... لها شرف بالفخر والجود والمال
كريمة قيس لابن مسعود تنتمي ... ابوها من السادات اكرم مفضال
فاقسمت بالبيت العتيق محققًا ... ساخذ هندًا اخذ ضيغم رئبال

فخوفني منها زياد بن معبد ... فلم تلهني عنها مقالة عذالِ
فسرت بعزم صادق وبهمة ... اروم التي في وصفها زاد بلبالي
فلما وصلتُ الحي ناديت معلنًا ... الا ابن قيس قال حالك ما حالي
فقلت لهُ اني اتيتك خاطبًا ... فكن راغبًا يا صاح في نيل امالي
فانزلني بعد انتسابي وجاء بي ... الى ظبية خود رداح ومكسال
فقالت من القيل الذي جاء خاطبًا فقلت لها ذا صاحب الهمة العالي
فقالت اذا رمت البنات واخذها ... فدونك والميدان خذني باذلال
ولما حضرت الحرب قومت لهذمي وركبتهُ في راس اسمر عسالِ
وحاربتها لما رات ذل عزها ... اطاعتني عنفًا مخافة اهوالي
وجئت بها قهرًا وقد حار قومها ... ومن بعد ذا زفت الي باجلالِ
وفارقتها قهرًا لآتي بمهرها ... الى ان قطعت الارض قطعة ابطال
الى عدن قد جئت في الليل غائرًا ... فشمت بها ركبًا وضجة اقفالِ
وفيهم ملوك الهند معهم تجارة ... تباع وتشرى في البلاد باموالِ
فبادرتهم مني بزعقة ضيغم ... واردبت مولاهم بطعنة عسالِ
وسقت السبايا للتي رمت وصلها ... فادركني الفا كميٍّ ورئبالِ
اسرت انا المقدامَ رغمًا وسقتهُ ... الى بلدي سوق الغنيمة والمال
وعدت باسراهم وخيل اقودها ... ضوامر جرد في الوغى غير جهالِ
فهذا وما وافيت عشرين حجة ... وان زدتها خمسًا فتعظم اهوالي

قال الراوي فلما فرغ ربيعة من ذلك الشعر والنظام سار في تلك البراري والاكام مدة ليال وايام حتى اشرف على ديار بني شيبان ولاحت لهُ تلك الديار والكثبان فاقبل على عبده مفتاح وقال لهُ سر وبشر القوم بما فتح عليَّ الملك الفتاح فعند ذلك طلب العبد البر الفسيح واطلق رجليهِ للريح حتى اشرف على ديار القوم وراى المعالم والرسوم وفي عاجل الحال قصد الملك قيس بن مسعود وبشره بقدوم مولاه ربيعة وما اتى بهِ من المال وكان الملك قيس قد يئس منهُ وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم وسمعت هند بقدومهِ فنادت باعلى صوتها على اخت ربيعة وامهِ ها قد قدم ربيعة بهمتهِ البديعة وقد اتى وهو سالم ومعهُ الاموال والغنائم

قال الراوي وكانت ام ربيعة لما قدمت عليها الفرسان من عند ابنها الذي ارسلهم لها لما عزم على غزو بلاد اليمن قامت واخذت بنتها وطلبت منازل بني شيبان ووادي ذي قار

ففرحت بها هند واكرمتها غاية الاكرام واقامت بينهما في العز والانعام حتى قدم ربيعة ولاقته الفرسان وركب الملك قيس بن مسعود وجميع ابطاله والجنود وكان لهم يوم مشهود وقد عاينوا ما الى معه من المال وراى الملك قيس تلك الحال فترجل اليه واعتنقه وسلم عليه وحياه وضج القوم بقدومه وانفرج قلب قيس من همومه وغمومه واقبل الامير بسطام وسلم على صهره وادخله الى المضارب والخيام فوجد فيها اخته وامه فزادت بذلك فرحته ومسرته وزال همه فقامتا اليه وقبلتاه في نحره وعارضيه وانزلت العبيد الاحمال عن ظهور الجمال ورأوا ما فيها من خز وبز وخيرات غوال ففرح بذلك جميع الحيين والاصحاب وقال ربيعة للملك قيس هل تكفيك هذه الاموال مهر ابنتك ام اتيك باكثر منها فقال الملك قيس والله يا ولدي لولم تاتني بشيء لما كنت طلبت منك شيئًا وما هذا المال الذي جئت به الا خير كثير ونوال غزير ولما استقر بهم الحال والمقام امر ربيعة باحضار الملك المقدام وجماعته واقطع عليهم المال الغزير فعندها ارسل المقدام جماعة الى مدينة عدن واتوه بالمال الذي اشترى نفسه به هو وجماعته من ربيعة فعندها خلع عليهم الخلع الخاصة واعطاهم خيولهم والةحربهم ونصولهم فودعوه وودعوا الملك قيسًا وجميع الفرسان وساروا الى منازلهم والاوطان واما الملك قيس سيد بني شيبان فانه من فرحه بذلك البطل الجواد امر بنحر النحور وترويق الخمور وغنت المولدات ورقصت البنات العربيات وداموا على ذلك مدة ايام وهم في اكل طعام وشرب مدام الى يوم من الايام واذا هم بخيل قد صبحتهم عند طلوع الفجر وفي ايديهم الصفاح وسمر الرماح وهم معتدون للحرب والكفاح فعند ذلك ركبت بنو شيبان وهم مثل الاسود والعقبان لينظروا من دهاهم من الفرسان واذا بها رايات واعلام فحصنت بنو شيبان الحريم وتقدمت للطعان وفي اوائلهم الامير بسطام سيد بني شيبان هذا والخيل قد احاطت بهم من كل جانب ومكان فبينما هم كذلك اذا بفارس قد اقبل عليهم وهو ينادي انا رسول فامره الملك قيس بالدخول فدخل وسلم وقبل الارض ودعا وخدم فسالوه عن الكلام الذي جاء فيه فقال لهم اعلموا يا سادات بني شيبان ان هذا الملك القادم عليكم هو الرئيس الاشوس والفارس العرندس فياض بن علقمة الكلبي ملك زاوية من زوايا الهند وقد بلغه ان الملك قيس بن مسعود له بنت يقال لها هند احسن اهل زمانها ولم يكن مثلها في عصرها واوانها فهام بها قلبه واشتغل خاطره ولبه واقسم ان لا بد له منها فسار اليكم بهذا الجيش العرمرم فان خالفتموه افناكم وان زوجتموه بها اغناكم والا ياخذها رغمًا عنكم بالسيف الصقيل والرمح الطويل . فلما سمع الملك قيس هذا الكلام المهول امر بنتف سبال الرسول

واخرق به غاية الاحراق وارجعه الى صاحبه على تلك الحال وقد اشرف على الهلاك والو بال فلما نظره فياض اخذه الحنق وكاد من الغيظ ان يختنق وقام وقعد وارغى وازبد وفي دون ساعة نادى المنادي باخذ الاهبة للقتال وملاقاة الابطال وعزم على اهلاك من احرق برسوله فعندها اصطفت الصفوف واشهرت السيوف وكان فياض هذا بطلاً شديداً وقرناً عنيداً لم يكن في تلك البلاد فارس يضاهيه ولا قرن يدانيه فبرز بين الصفين واشتهر بين الفريقين وكان تحته جواد مطهم وفي يده رمح لهذم فطلب البراز وسال الانجاز فبرز اليه بسطام بن الملك قيس فارس بني شيبان وصال معه في الميدان وعقد عليهما الغبار وغابا عن الابصار وتطاولت اليهما الاحداق ومالت الاعناق واذا بالملك فياض اخذه الغيظ والحنق ولاصقه وحك الركاب بالركاب وقبض على بسطام وجذبه واخذه اسيرًا وقاده ذليلاً حقيرًا فعندها حملت بنو شيبان وطلبوا خلاص ابن ملكهم من يد ذلك الشيطان وحملت عساكر فياض وتقابلت الابطال وزادت الاهوال ولم يزالوا على ذلك الحال حتى اقبل الليل بالانسدال وافترقت الطائفتان عن القتال ونزلوا في الخيام واستقربهم المقام فعندها امر فياض باحضار بسطام بين يديه وتهدده بالقتل ان لم يزوجه باخته هند ويزفها اليه فخاف بسطام وقال انا ليس لي عليها ولاء ما دامت في حجر ابيها فشاوره في هذا الامر واطلبها منه فعند ذلك ارسل فياض الى الملك قيس يقول له اذا لم تفدِ ولدك بابنتك والا قتلته واحرقت قلبك عليه ومهجتك واحل بقومك الارغام واسقيكم كاس الحمام فقال الملك قيس للرسول عد اليه وقل ان هذا شيء لا نقدر عليه وان قتلت ولدي فقد قتلت سيدًا كريمًا واما ابنتي التي جئت في طلبها فان لها بعلاً عظيماً وهو يذب عنا بسيفه وسنانه ويحميها بشجاعته في ميدانه وهو الفتى ربيعة بن زيد المكدم وانه غير عاجز عن لقائك فدونك والحرب معه عسى ان تنال مناك فعاد الرسول الى الملك فياض واعلمه بما قال الملك قيس من الكلام فسكن قلبه عن قتل بسطام وصبر حتى اصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح فتبادرت الفرسان الى الميدان تروم الحرب والطعان وقد جردت السيوف وتعدلت الصفوف وكان الملك قيس قد قال لربيعة ما ذكرناه من الكلام فلم يرتع لذلك ولم يلحقه اهتمام بل انه لما بدا الصباح بالابتسام قفز الى بين الصفين واشتهر بين الفريقين وصال وجال بين الرجال وانشد وقال

فان تسالا عني فاني فتى العلى كنانة قومي من اعالي المراتب
وان لنا في الجود باعاً طويلة نجود بها للناس من كل جانب

قال الراوي فلما فرغ ربيعة من ذلك الكلام طلب البراز وسال الانجاز وصاح يافياض تحول لك ولا يصعب عليك ان كنت تروم عناق الملاح تجرد للحرب والكفاح والطعن بالرماح فلم يتم ربيعة كلامهُ حتى صار فياض قدامهُ وهو راكب على جواد من الخيول الجياد ومتقلد بسيف من السيوف الحداد وعليهِ درع طويلة الاكام مليحة المندام فلما صار في الميدان وبلغ مقام الحرب والطعان صال وجال وطلب من ربيعة الحرب والقتال فحمل كل واحد على صاحبهِ وتلقى طعنهُ وشديد مضاربهِ وتطاعنا طعنًا وافيًا وتضاربا ضربًا شافيًا حتى طلع عليهما الغبار وغابا عن الابصار ساعة من النهار ثم ان ربيعة انطبق على فياض وتكافحا اشد الكفاح حتى اذهلا المقل الصحاح واختلف بينهما الطعان والصدام وكان فياض عرق لا يلين فلانَ وابصر فارسًا ليس مثلهُ في الفرسان فاظهر الصبر والجلد وداما على ذلك الحال حتى تقصفت بايديهما الرماح فتقاتلا بالصفاح التي هي اقرب واعجل الى قبض الارواح وما زالا كذلك حتى استوت الشمس في قبة الفلك وتعب كل منهما وهلك وكان اكثرهم تعبًا فياض لان مفاصلهُ كانت قد تفصلت وسهام المنايا اليهِ قد ارسلت فخاف ان تحط منزلتهُ عند قبائل العرب ويقال عنهُ انهُ اسره فتى قريب العهد من الرضاع فقال لربيعة اعلم ياحامية بني كنانة ان مثلي لا تضيع عنده الامانة . والصدق عند العاقل من اجل المطالب وانا وحق ذمة العرب قد قل مني الحيل والقوى واستدَّت في عيني منافس الهوا ورايت منك الان ما لم ارهُ من احد من الفرسان الا من عنترة بن شداد الذي شاع ذكره في سائر البلاد واريد منك اليوم ان تستر حالي وتخفيه ولا تظهر لاحد منا ما نحن فيهِ حتى لا تنقص منزلتي عند قبائل العرب وتخالف الفرسان امري وانت من اهل العقل والفطنة ولا يخفى عليك حلول الفتنة فافعل ما اقول واجعلني لك عدة عند كل ضيق وشدة وسترى ما افعل معك من الفعال التي يفعلها الصديق مع الصديق وبعد ذلك تصل اليك الهدايا والمال ان انت قبلت مني هذا السوال لانهُ لا تكمل في الشجاع الشجاعة حتى تكمل فيهِ المروءة والقناعة فقاتلني ساعة وعدْ عني واظهر انك طلبت الاقالة مني واعود انا كذلك فلا يكون واحد منا هالك واعود بالخذلان في زي الرابح الجزلان وترى ما اقول عنك في محافل القوم وان كنت لا تثق بما عرضت من الكلام عليك فها انا اسلم روحي اليك حتى يبعث الله من يخلصني من يديك اما بالمال او بالحرب والقتال وتفوتك صداقة مثلي وتندم حيث لم تسمع قولي فلما سمع ربيعة من فياض هذا الكلام اخذه الانذهال وصار من الحياء كانهُ الجم بلجام ورغب في مصادقة ذلك البطل الهمام واراد ان يكتسب لهُ في ذلك مجدًا وينال شكرًا وحمدًا فقال ربيعة ياهذا

اقيل ما بدا الملك وان كنت طلبت الاقالة فان الله قد اقالك لانني لو اردت قتلك من بادىء بدء لفعلت قال فياض انا ما احوجتك الى هذا الكلام وها انا ذاهب لاطلق لك بسطام وارحل عنكم بسلام فاعجبت ربيعة عزة نفس فياض وعفا عنه فرجع فياض واطلق بسطامًا وخلع عليهِ خلعة سنية وارسله الى ابيهِ بهدية ففرح بذلك الملك قيس واولم وليمة عظيمة ذات قدر وقيمة واحضر فياض وعربهُ واحضروا المدام وحضرت جميع بني شيبان ودار بينهم الكلام وقضوا نهارًا من الاعمار وبعد ذلك خلع الملك قيس على اكابر بني كلب الخلع الملاح ورحلوا في انبساط وانشراح وركب لوداعهم بنو شيبان ساعة من الزمان وودعوهم ورجعوا الى الاوطان وربيعة بين ايديهم ينشد ويقول

هلا سالتِ الخيل عند مجالها　　في الحرب يومًا والرجال بمشهدِ
والطاعنون من الكماة عليهم　　حلق الحديدِ وكل اجرد امرد
اي الفوارس كان اشجع في الوغى　　لما تجاولنا بجدٍّ مهندِ
وقد التقيتُ بقرنها فجعلته　　في الترملقى وهو يومئ باليد
هذا مقامي والخيول زواحف　　يوم المياج وليس لي من مسعدِ

قال الراوي ثم انهم نزلوا وقضوا يومهم بالافراح وشرب الراح وقد فرحت امُّ ربيعة واختهِ بما راوا من عظم منزلتهِ ولما اصبح الصباح اجتمعت الفرسان بحضرة الملك قيس بن مسعود سيد بني شيبان ومدحوا ربيعة بما اعطي من فصاحة اللسان والفروسية وعلو الشان فوثب ربيعة قائمًا على قدميهِ ونقدم الى الملك قيس وقبل يديهِ ثم ان ربيعة قال لهُ ايها الملك اني عزمت على الارتحال الى اهلي وقبيلتي لان لي اشغالاً وقد طالت عليهم غيبتي فاذن لهُ الملك في المسير وانعم عليهِ بالخير الكثير وحمل جهاز ابنته تسعين ناقة وجملاً واضاف شيئًا من الخيام والانعام والاموال ورفعت الاعدال على ظهور الجمال ونقدم خمسون عبدًا شداد بايديهم السيوف الصقال ونقرت الاماء الدفوف وركبت بنو شيبان صفوفًا والوف وركب الملك وولده بسطام وفعلوا في حق ربيعة ما يجب من الاكرام وركبت هند في هودجها محفوفة بالاماء والجواري وتبطنوا في تلك البراري ثم ان قيسًا بعد ذلك انفرد بابنتهِ بعيدًا عن اهلهِ وشرع يوصيها بما يكون فيهِ الصلاح وان تحسن لبعلها وتبدي لهُ الانشراح وقال لها اعلمي انك عما قليل عائدة الينا فان بعلك لا يسلم من العربان لان نفسهُ لا تذل لاحد من الفرسان فاذا وصل اليك نعيهُ فلا تبكي عليهِ بل عودي الى اهلك واحمي نفسك وجميع مالك فاذا وصلتِ الى حلتك فانديني كما تريدين

وافعلي ما تشتهين واوصيك ان تحسني معهُ صحبتك افهمي وصيتي ولا تخالفي كلمتي فقالت هند سمعاً وطاعة ثم ان امها تقدمت اليها وقالت لها اني اوصيك كوصية ابيك واظهري لهُ الاشفاق كالبسطام اخيك فقبلت هند ذلك جميعهُ ووضعتهُ في سرها ولم تضيعهُ وساروا بعد ذلك يطلبون بني كنانة وهند شغفت بربيعة اكثر مما شغف بها وقد سار بها وحده لاننا ذكرنا انهُ ارسل قومهُ مسيرة ليانوه بمهر هند وسار والعبيد قدامهُ تسوق الاموال والنوق والجمال وهو يحادث هنداً وتحادثهُ حتى وصلوا الى وادٍ كثير الغدران والزهر والنبات في تلك البراري المقفرات واذا هم بالفرسان قد طلعت عليهم بين تلك الروابي والكثبان وهم على خيول كانها العقبان وعلى اكتافهم عوالي الاشطان وفي مقدمتهم فارس كانهُ النسر المعمر في نقاطيع الاسود والخيل الذي تتبعهُ من بني هوازن والمقدم عليهم صاحب العزيمة والهمة الشيخ دريد بن الصمة المعروف بين العرب برحى الحرب ومفرّج كل امر صعب . قال الراوي فلما وصل عرفتهُ هند وقالت والهفي عليك يا ربيعة وعلى نفسي ايضاً هذا دريد قد وقف لنا في الطريق وسيعدمنا التوفيق وكان قبل اليوم قد خطبني ومنعت روحي منهُ والجلتهُ وعايرتهُ بكبره ورددتهُ خائباً ما كان لهُ طالباً فان قلبهُ ملآن عليّ من الغضب وانا خائفة منهُ ان يفضحنا بين العرب لانهُ ان ظفر بك قتلك وقتلني وشفى قلبهُ مني ثم انها بكت بكاء شديداً

قال نجد بن هشام فلما سمع ربيعة منها ذلك الكلام ونظر الى جريان دموعها وازدياد غرامها ضحك حتى استلقى على قفاه وقال لها طيبي نفساً وقري عيناً فسوف تنظرين كيف اقوده الى بين يديك اسيراً واتركهُ ذليلاً حقيراً وافرق هذا الجيش الذي معهُ في القفار ولو انهُ بعدد رمل البحار فسوف ترين مني اليوم ضرباً يشيب الاطفال وطعناً يفرق الابطال فقالت يا ربيعة اريد قبل حملتك عليهم وقصدك اليهم ان تقضيني حاجة قد عرضت لي وبها تكون منفضلاً عليّ فقال لها ما هي يا عزيزتي ومنيتي وحبيبتي فقالت اعطني هذا الخنجر الذي معك فان ظفرت بهم طابت نفسي والا عجلت قتلي وسكنت رمسي فلما سمع ربيعة كلامها اعطاها ما طلبتهُ وتاهب لملتقى الرجال كانهُ الاسد الرئبال هذا والخيل قد طلعت وانكشفت الغبرة عن روسهم وانقشعت وقد نظروا الى الهودج وهو مبرقع بالذهب سائراً في البر والسبسب وخلفهُ هودجان اخران واحد لاختهِ وواحد لامهِ وليس معهم غير فارس واحد ولكن للشجاعه عليهِ علائم وشواهد بين يديه . فلما رأى دريد تلك الاموال المنساقة اراد ان يعرفها لانهُ انفت نفسهُ ان يحمل على امرأة في هودجها دون ان يعرفها ولما لم يرَ معها احداً غير فارس واحد وهو سائر بها في تلك القفار اراد ان يخوفهم ويرسل الانذار

فزعق على واحد من بني عمه وقال له اخرج الى هذه العصابة اليسيرة التي انفردت بانفسها في هذه القيعان ومرهم ان يتركوا ما معهم من الاموال و يسلموا الهوادج بما فيها من المال والجمال و ينجوا بانفسهم قبل الهلاك والوبال فان اطاع الفارس وفات الغنيمة كان والا لهات راس هذا الشيطان فلم يشعر ربيعة الا والفارس قد اتاه ودنا منه وفاجاه وصاح باعلى صوته خل يا غلام ما معك من الغنيمة وانجُ بنفسك قبل ان تسكن رمسك لان هذه فرسان هوازن المشهورة وشجعانها المذكورة والمقدم عليهم دريد بن الصمة فلما سمع ربيعة كلامه زعق عليه ارجع ايها المغرور بنفسه العادم عقله بين ابناء جنسه يا ويلك انا الفارس المذكور والبطل الجسور فقال له الفارس وقد وقعت هيبة ربيعة في قلبه من تكون انت يا فتى العرب ومن هي صاحبة هذا الهودج المكلل بالذهب فقال له هذه هند بنت قيس الشيباني واما انا فاني الاسد الضيغم والبطل القشعم ربيعة بن زيد المكدم

فلما سمع الفارس تلك الصفة عرفها جيد المعرفة ومال على سرجه فرحًا واهتز مرحًا وعاد يخب بالجواد حتى وصل الى دريد واخبره بذلك فكاد قلبه ينشق من الفرح وقال له عد اليه وقل له خلها وانجُ بنفسك سالمًا قبل ان تصبح صاغرًا نادمًا وان عصاك فأتني براسه واخمد انفاسه فعاد الفارس الى ربيعة مثل البرق الخاطف واخبره بما قال دريد فلما سمع ربيعة كلامه اسودت الدنيا في عينيه ولم يعد يعرف ما بين يديه مما جرى عليه وانشد وقال

دع عنك ذكر الحرة المنيعه انك تلقى دونها ربيعه
في كفه خطيةٌ رفيعه تنظرها في طعنها مريعه

قال الراوي ثم انه حمل على الفارس وطلبه فلزم الفارس المدافعة عن نفسه فتلاحما وتصادما وارتفع غبارهما بين الارض والسما وصرخ عليه ربيعة صرخة ابهره وطعنه في صدره اخرج السنان يلمع من ظهره فمال جديلاً وانقطع نفسه واخذ ربيعة سلبه وفرسه وصال وجال وقال هل من مبارز هل من مناجز فبرز اليه فارس ثانٍ غائص في الحديد والزرد النضيد وقال له خل الظعن وانجُ بنفسك سالمًا وانت بريء من دم ابن عمنا المقتول فاشار ربيعة يقول

كيف اخلي الدرّة المخدرة فسوف تلقى دونها غضنفرة
في كفه مصقولة مشهرة تفلق الهام وتبري المغفرة

قال الراوي ثم حمل عليه وضايقه ولاصقه وطعنه اقلبه وصرخ على عبده فاخذ سلبه و وقف ربيعة ينظر من يطلع اليه وهو ينادي يا هند ابشري بفنا هولاء الابطال وما يجري عليهم من الوبال ولما راى دريد تلك الفعال اراد ان يخرج اليه فسبقه فارس ثالث حتى صار قدام ربيعة

الكتاب الرابع والتسعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

وقال اعلم ياغلام انني لك ناصح فعد وانت رابح فلم يدعه ربيعة يتم كلامه حتى طعنه الحقة باصحابه ونادى هلموا الى قرب اجالكم فتعجب دريد منه وقال يابني عمي اما فيكم من يبرز اليه ويأسره فانحدر اليه فارس وكان ابن عم دريد عارف بانواع الحرب والقراع يقال له همام بن دفاع فناداه دريد لاتتق عليه فتلقاه ربيعة وحمل عليه وغابا تحت القتام واحتجبا عن عيون الانام وسكرا من غير مدام واختلف بينهما طعنتان سابقتان فكان السابق بالطعنة ربيعة فجاءت بين ثدييه طلعت من بين كتفيه ثم خرج اليه فارس خامس فقتله والسادس جندله حتى قتل عشرة فرسان فلما نظر دريد الى تلك الحال داخلته الحمية والنخوة الجاهلية ولم يجد له بدًّا من الخروج فهمز الحصان وصاح بين اذنيه ودقّ باكعاب جنبيه وكان جواد ابرش لايلم به رعش ولا يلحقه دهش فخرج كالبرق اذا ابرق او السهام اذا مرق وقد طلب ربيعة وصال وجال وانشد وقال

سل الابطال عني في قراعي ... وكم ارديتُ من بطل شجاعِ
وكم قرن تركت دماه تجري ... وكم ليث به كرب النزاعِ
وكم برّ قطعت الليل فيه ... وغابات هجمت على السباعِ
وكم جيش صدمت بصدر مهري ... وسيفي فيه يلمع كالشعاعِ
ورمحي في اعاليهِ سنان ... يفوق بطعنهِ لدغ الافاعي
وهذي عادتي في يوم حرب ... فماعك يوم حربك دون باعي
فخلّ هند وانج قبل حربي ... فانك لم تطق عنها دفاعي
وان لم تنج سوف تذوق ضربًا ... يشيبُ الطفل في زمن الرضاعِ

قال الراوي فلما سمع ربيعة شعره ورآه قد بدر اليهِ وعول بالحملة عليهِ استقبله برمح مديد وعزم شديد وقلب اقوى من الحديد وادناه وفاجاه واجابه على شعره يقول

بكت هند وقد ابدت دموعًا ... تذيب القلب من خوف القراع
فقلت لها وقد كفكفت عنها ... نواصي الخيل ويلك لاتراعي
فسيفي قاطع فيه دواء ... يداوي الراس من الم الصداعِ
ورمحي في اعاليهِ سنان ... يفوق بطعنهِ لدغ الافاعي

فكم قرن ملات حشاه طعناً ... وضرباً مثل نار في بقاع
وما مثلي يروع يوم حرب ... ولست مقصراً ان لاح داعي
فكم جيش تفرق يوم طعني ... وقد ذاق المذلة في المساعي

قال الراوي فلما فرغ ربيعة من شعره صدم دريد بن الصمة بصدره وجرى بينهما ما يكل الواصف عن ذكره وخاطر كل واحد منهما براسه واجتهد في الحرب حتى ضاقت انفاسه فعند ذلك كلّ دريد وملّ وقد استطال عليه ربيعة عند ما راه من الحرب قد ملّ فقلب سنان الرمح الى وراه وطعنه بصدره رماه فانقض عليه وشده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف ثم هجم على بقية اصحابه والهبهم بطعانه وضرابه وكان ذلك الوقت قد صار اخر النهار واقبل الليل بالاعتكار فنزل ربيعة لاجل الراحة واكل الطعام في تلك الساحة ثم انه قدم دريد بين يديه وقد اذله الاسر الذي وصل اليه فقام اليه ربيعة وحل كتافه وقال له يا ابا النظر لا يدخل على قلبك مني كدر فانتم الذين ابليتموني بحربكم وقتالكم فدافعت عن نفسي حتى ظفرت بكم ولكن اخشى ان يحط قدرك بين العرب فاطلقك لاجل هذا السبب فشكره دريد واثنى عليه وقال له نحن الذين تعدينا عليك واوصلنا اذيتنا اليك فعاد بغينا علينا وكان ذلك لاجل اقوامنا الذين كانت قد تدانت اجالهم وكفاهم ما حل بهم من وبالهم والمثل يقول الخير بالخير والبادي اكرم والشر بالشر والبادي اظلم ثم ان ربيعة قدم له جواداً من الخيل الجياد وامره بالركوب والعودة الى اصحابه قبل ان يصلوا الى اصحابهم ويخبروا بما اصابهم فعند ذلك ركب دريد ولحق بقومه وكانوا قد وقفوا حتى ينظروا ما يجري له فلما اطلقه ربيعة سار حتى وصل الى قومه واخبرهم بما فعل معه ربيعة من الاكرام هذا ما كان من دريد ورفقته واما ما كان من ربيعة فانه لما سار دريد من عنده امر العبيد بسوق الجمال وسار وهو فرحان ببلوغ الامال وانشد وقال

ارى هنداً وخيل الحرب تجري ... وقد عقدت سنابكها غبارا
فقلت لها أهند اليوم قري ... فاني سوف اتركهم حيارى
وجردت الحسام وقلت اني ... انا حامي الحريم مع العذارى
اسرت فوارساً من آل بكر ... مع الجشمي من حاز الفخارا
ولكني عتقتهمُ فولوا ... وهم من عظم اهوالي سكارى

قال الراوي فلما فرغ ربيعة من ذلك الشعر والنظام سار يقطع البراري والقفار وينادم زوجته وامه واخته وهم سائرون في تلك القفار حتى هوجر الدر وعظم الحر فعول على

النزول واذا بغبرة قد ظهرت والى عنان السماء ارتفعت و بعدها تقاربت وانكشفت عن ستين فارس كانهم ليوث عوابس ومامنهم الا كل مدرع ولابس فلما راى ربيعة تلك الحال امر عبده مفتاحًا بضم الاموال ثم قال له ائتنا بخبر القوم فسار العبد حتى قرب منهم ونادى يامعشر العرب الواردين من اين انتم مقبلون والى اين سائرون ومن يقال لكم من العرب اصحاب الحسب والنسب فبادر اليهِ منهم فارس همام ونادى ياابن اللئام نحن من بني عبس الكرام فرسان المنايا والموت الزوام فقال له مفتاح ومن هو المقدم عليكم والحاكم فيكم فقال له ياويلك مقدمنا الفارس الجواد الثابت يوم الجلاد الطاعن بالرماح المداد الامير عنترة بن شداد فاخبرني من انتم من العرب الاجواد فقال مفتاح نحن من بني كنانة اهل الوفا والامانة ومقدمنا النبيل المقدم والبطل المعظم ربيعة بن زيد المكدم فقال له العبسي ارجع اليهِ ياابن الانذال وقل له ان يتخلى عن هذه الاموال وينجو بنفسهِ والا يصبح قتيلاً وعلى وجه الارض جديلاً فقال مفتاح حبًا وكرامة فها انا عائد اليهِ اعلمهُ ليختار لنفسهِ السلامة ثم عاد العبد الى ربيعة وقال له يامولاي هولاء الاقوام هم الذين نسميهم العرب فرسان المنايا والموت الزوام الذين ذلت لهم العرب والفرس بنو عبس الذئاب الطلس واليوم يحل بنا الوبال ونقع في الهلاك والخبال لان معهم عنترة فارس الاقران الذى قهر جميع الفرسان ومن جملة ذلك اسر اباك المكدم وجز ناصيتهُ واطلقهُ فقال ربيعة وكيف اسر ابي. اطلعني على ذلك فقال له العبد اعلم يامولاي ان في بني عبس فرقة تسمى بني زياد وهم اعداء عنترة بن شداد وفي بعض الايام وقع بينهم فتنة فرحل عنترة الى جبال الردم في سائر بني قراد فجمع عليهِ النعمان قبائل العربان فسطا عليهم وكسرهم واخذ اباك المكدم اسيرًا ولما وقع الصلح جز ناصيتهُ واطلقهُ من قبضتهِ فقال ربيعة يامفتاح ان كان عنترة قد قطع شعر ابي وجزَّ ناصيتهُ فانا اليوم ارمي رقبتهُ وابيد اهلهُ وعشيرتهُ ثم ان ربيعة في ساعة الحال لبس كل عدتهِ واشتمل بلامتهِ وتفز الى الميدان وجال على ظهر الجواد فبرز اليهِ فارس من بني عبس العوابس فلما نظر ربيعة اليهِ ساق بجواده وحمل عليهِ فلم يدعهُ يجول بين يديهِ حتى طعنهُ فى صدره اخرج الرمح من ظهره

قال الناقل وكان المقدم على القوم في ذلك اليوم غصوب بن عنترة فلما نظر غصوب فعال ربيعة وعرف منهُ تلك الهمة السريعة امر فارسًا اخر بالخروج اليهِ والهجوم عليهِ فلما قرب من ربيعة ما امهلهُ ان يجول بين يديهِ حتى ادار الرمح في يده وطعنهُ في صدره القاه على ظهره فانقض عبده مفتاح عليهِ وشده كتافًا وساقهُ بين يديهِ فبرز اليهِ ثانٍ فقتلهُ

وثالث جدلة ولم يزل يخرج اليه فارس بعد فارس حتى قتل واسر خمسة عشر من بني عبس الاشاوس فهنا لك برز اليه غصوب وهو كانه البلاء المصبوب او الريح الهبوب والتقى ربيعة وحمل عليه فتلقاه ربيعة في حومة الميدان بجراة وثبات جنان وجرت بينهما حرب شديد وقتال ما عليه من مزيد وتطاعنا بالرماح حتى تقصفت وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت وتصادما صدمات الاسود اذا تصادمت واختلطا اختلاط البحار اذا تلاطمت ولم يزالا في صدام والتزام وتجريع الموت الزوام حتى انعقد عليهما الغبار والقتام بعد ما انجحر ربيعة غصوبا واذهله وانحط عليه انحطاط السيل ولم يمهله حتى قبض عليه وجذبه فاخذه اسيرا وقاده ذليلا حقيرا فاقبل عليه عبده مفتاح مثل هبوب الرياح وشده كتاف وقوى منه الاطراف وساقه بين يديه فلما نظر ميسرة الى ذلك الحال حل به الوبال ولحقه الانذهال وحمل على ربيعة مثل ريح الهبوب طمعا في خلاص اخيه غصوب فالتقاه ربيعة كانه الليث الوثوب وتطاعنا طعنا احر من الجمر وثقل عليهما الحر وانقلب البصر وازورّ وبعد ذلك انقشعت الغبرة وبان الفشل من ميسرة فانطرد له ربيعة حتى جد في طلبه وعطف عليه وادار الرمح من وراه وطعنه في جانبه دق ضلعه وعاد ميسرة حتى لحق بقومه وعزوته فالتقوه في امر عظيم فقال له مازن ما الذي رايت فقال رايت الموت من سنانه والمنية من بنانه ولو انه اراد قتلي لكان طعني براس السنان والحقني باهل المقابر من زمان فقال مازن والله ما هو الا غلام شديد وبطل صنديد فقال ميسرة وعزيز حياتك انه اصلب من الحديد فلله دره من فارس عنيد وقرن صنديد ثم انهم شدوا له ضلعه وادخلوه المضرب واما ربيعة فبعد ان هرب ميسرة عاد الى مقامه ونادى يابني عبس هل من مبارز هل من مناجز فقال مازن اما فيكم من يبرز اليه ويطاوله حتى يدركنا اخي عنترة فبرز اليه منهم فارس فلم يمهله ربيعة دون ان اخذه اسيرا وقاده ذليلا حقيرا فاخذه عبد ربيعة واضافه الى غصوب وعاد ربيعة الى زوجته فقالت له ياابن العم ما لاقيت من هولاء القوم فقال لها والله يابنت العم اسود البيداء ولكني هدمت ركنهم ولولا قدوم الليل لاخذت الغنائم منهم وكان لربيعة عبد يقال له لبيب فقال له يامولاي انهم ينتظرون الفارس الهجام والبطل الضرغام وهو ابو الاسير الذي عندك وكانك به وقد اشرف عليك وهو فارس ما قهره فارس وهو الذي قهر عمرو بن معدي وذا الخمار وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنة والعباس بن مرداس وشهدت له العرب بالشجاعة والقوة والبراعة وهو ليث قسور فكن منه على حذر فقال له ربيعة سوف ترى من مولاك ما تقربه عيناك ثم انه عاد الى زوجته فالتقته وقبلته بين عينيه

وقالت له مثلك لم تلد الحرائر وبك تفتخر على العشائر هذا ما جرى لمولاه واما ما كان من بني عبس فانهم باتوا على وجل وهم خائفون من سطوته وجزعون من صولته فقال مازن وربّ الكعبة يا بني عمي ان لم يدركنا اخي عنترة والا سلمنا اليه الغنيمة وانصرفنا ثم انه اقبل على جرير وقال له الحق باخيك واستحثه لعله يلحقنا فعند ذلك عاد جرير بطلب اخاهُ عنترة

قال الراوي وكان السبب في لقائهم لربيعة هو الفارس الذي سلم من اصحاب عمرو بن معدي كرب لانه سار الى ديار بني عبس ودخل على عنترة وحدثه بما جرى لعمرو ومع ربيعة بن زيد المكدم وكيف اوصاهم قبل ان يوسران يوصلوا خبره الى عنتر فقال له وها انا قد اتيت اليك وقصصت خبره عليك فلما سمع عنترة هذا المقال ركب في ساعة الحال وسار طالبًا ديار بني كنانة ومعهُ جماعة من فرسانه واولاده واخوه مازن وعروة فكانت طريقهم على بني يشكر فغاروا عليهم وساقوا اموالهم وسلبها عنترة الى اصحابه وسيرهم قدامهُ ووقف هو وعروة حامية لهم ولما ساروا عنهُ نفرت الخيل وفي مقدمتها جياش بن طالب اليشكري وكان شيطانًا من شياطين العرب وقد حضر حرب البسوس ولما لحق عنترة صاح به يا ابن اللئام الانذال اليوم اجندلك بالقفار وامحو اسمك من بين العرب الاخيار ثم انهُ كب راسهُ في قربوس سرجه وطعنهُ براس السنان فسبحها عنترة على درقته حتى جازتهُ وجرد الحسام في يده وضربهُ على هاديه طير راسهُ عن كتفيه وحمل هو وعروة على اصحابه فقتلوا منهم خمسين فارسًا وولى الباقون منهزمين وعاد عنترة من ورائهم وجمعوا الاسلاب والانهاب وباتوا ليلتهم الى الصباح وقد عولوا على الرواح واذا بجرير قد التقاهم فسالوه عما لديه من الاخبار فقص لهم ما جرى على اولاده وبني عمه فركض عنترة بالابجر وجرير بين يديه يقتفي منهُ الاثر هذا ما كان لمولاه واما ما كان من ربيعة فانهُ لم يزل يبارز بني عبس حتى اسر منهم خمسة عشر فارسًا وكان اخر من برز اليه الهطال وقد لحقهُ من ربيعة التعب ومل وضعف عزمهُ وانحل فهجم عليه ربيعة وهمّ ان يرجلهُ عن ظهر الجواد واذا بزعقة كانها الرعد القاصف او الريح العاصف ارتاعت منها القوى وقل الحيل فالتفت نحوها الفرسان واحدقت بها الاعيان واذا بالصائح ينادي انا الاسد الاسود والبطل الامجد والصارم المهند حية نطارن الواد الرفيع العماد ابو الفوارس عنترة بن شداد فتبادرت اليه بنو عبس وشالوا عمايهم فرحًا به هذا وربيعة مشتغل بخصمه ولم يهب قدوم عنترة بل انقض على الهطال واخذه اسيرًا وقاده ذليلاً حقيرًا واوثقهُ الكتاف وقوى منهُ السواعد والاطراف وقال لعبده لبيب ابصر من اتى اليهم لاني اراهم قد علا صياحهم وكثرت افراحهم فغاب العبد ساعة وعاد وقال يامولاي قد وصل اليهم

عنترة بن شداد فخذ لنفسك الحذر وانظر كيف يكون قتالك فقال لم قدم لي جوادي الاصفر فقدمه اليه مسرجًا ملجمًا وناوله درقته وكانت من الفولاذ الشديد واطلع له رمحًا من الحديد على راسه سنان يخطف البصر ولبس درعين وجعل فوقها درعًا ثالثة سليمانية ووضع على راسه بيضة عادية واما عنترة فانه لما وصل الى قومه فرحوا به الفرح الشديد وحدثهم بما فعل بهم ربيعة فعظم ذلك عليهم وكبر لديه فلبس درعه وخوذته وتقلد بالضامي الابتر وركب جواده الابجر وبرز اليه واشار يقول

يا ايها الجاني علينا سافكا حتفك ذا اليومَ الينا قادكا

تعال والقَ ضيغمًا مشابكا قد خاض في هيجائها المعاركا

قال الراوي فلما سمع ربيعة شعر عنتر في ذلك المحضر اجابه على كلامه يقول

ها انا قد جئتك لا ابالكا بطعنةٍ تبقى لديها هالكا

فاستسلمن من قبل ان تداركا اولا فيروي دمك المسالكا

قال الراوي ثم انه حمل عليه فتلقاه الاخر وقد اطلقا الاعنة وقوما الاسنة والتقيا في حومة الميدان وفتحا في الحرب ابوابًا حسان وتطاردا الى ان علا عليهما الغبار وغابا عن الابصار وقد حل عليهما الخطب وعلاها البلا والكرب وتطاعنا بالرماح وتضاربا ببيض الصفاح واخذا في الكر والفر واشتغلا في الضرب والطعان حتى ضاق بهما الميدان وكلما فتح احدهما بابًا سد له الاخر سترًا وحجابًا لانهما كانا فارسي الدهر وشجاعين امرّ من الصبر ولم يزالا كذلك حتى تنصف النهار وافترقا على سلام ولم يبلغ احد من صاحبه مرام فاخذا الراحة قليل وعادا الى الحرب والتنكيل حتى دنت الشمس للغروب وما نال احد من خصمه مطلوب فقال ربيعة ويلك يا اسود الجلد اعلم ان الخيل قد كلت من الجولان والانطلاق في الميدان وقد عجزت زنودنا فهل لك من الراحة حتى يرتاح البدن ويزول التعب ويبقى النصب ولما يصبح الصباح نعود لما كنا عليه من الكفاح فمن انتصر على صاحبه نال جميع ماربه فعندها عاد عنترة وكانت السلامة مبتغاه لانه لاقي من ربيعة شيئًا ما رآه فالتقاه بنو عمه واقرباه وهنأوه بالسلامة وسالوه عن خصمه فقال لهم لم ارَ مثله على صغر سنه في الحرب والقتال واما ربيعة فانه قدم على اهله وعبده فقالوا له ما كان من خصمك فقال هو فارس العصر ونتيجة الدهر فلله درّ والدته فلقد رزقت فارسًا واي فارس ولقيت منه شجاعًا عظيمًا وفارسًا كريمًا وكان لي معه اليوم في الحرب ابواب طاشت لها الالباب ولا بد لي معه من الطراد قدام العرب الامجاد واما عنترة فلما رجع واستقر في قومه جعل يحدثهم بما

جرى له مع ربيعة في يومه وقال والله انه فارس همام وجوال في القتام ولقد طالبني بالطراد والالتزام فقال شيبوب ياابا الفوارس وزين المجالس لاتطارده لانك لو قمت عمرك تطعنه لما قدرت عليه ولا وصلت اليه الا ان كنت تناله بيد القضاء والقدر او يرزقك عليه النصر رب البشر فقال عنترة كيف هذا ياشيبوب فقال له انه اذا اتته الطعنة يصير لجواده حزام وتارة يشب الى وجه الارض مثل الحمام وتارة يصير لجواده لبب وتبصر الناس منه العجب فقال عنترة اذا فعل ذلك فعلنا مثله ولا ندعه يفتخر علينا بفعله ثم باتوا حتى اصبح الصباح فركبوا على الجرد القداح وتجردوا للكفاح وقبض الارواح وجردوا البيض الصفاح وحمل ربيعة على عنترة حملة منكرة وكانت لها ساعة عسرة اذهلت من الشجاع بصره وانعقد عليهما الغبار ساعة من الزمان وافترقا عن الطعان فقال ربيعة لعنترة احم جوادك واطعني ثلاث طعنات متجالدة فان سلمت منها طعنتك طعنة واحدة فقال عنترة قف مكانك ثم انه افتقد جواده وعدة جلاده وحرك حصانه وقوم سنانه حتى قرب صدر ربيعة فالتوى فصار لجواده حزام ورجع الى السرج وطلب عنترة المقدام فلما احس به عنتر فتل العنان وابطل السنان وافترقا على سلامة الابدان فقال ربيعة الثانية يافارس العرب ووقف في سرجه وانتصب فنبه عنترة جواده وحمل على ربيعة وانسكب فلما راى ربيعة الطعنة واصلة اليه صار الى جواده لببا ومرت الطعنة خائبة وعاد الى سرجه مثل البرق اذا ابرق واخذ الرمح وطلب عنترة بالطعنة فخيبها عنترة وقد تناوشا ساعة زمانية وافترقا على سلامة فقال ربيعة الثالثة يا اسود فاجابه الى ذلك وحمل عليه ابو غصوب وقد كاد من الغيظ ان يذوب وكان ربيعة قد ثبت في بحر سرجه ووقف من فوق الجواد نصب عينه واذا بالامير عنترة اقبل عليه وهو على الابجر كانه البرق الخاطف او السحاب الواكف وله ابراق وارعاد كانه شعلة نار والرمح بين يديه سيار وطعنة الطعنة الاخيرة وصاح عليه خذها من يد اسد الغاب فعند ذلك خلص ربيعة قدميه من الركاب وقفز على وجه التراب وركض على وجه الارض بهرجه ومرجه ثم دق بكعبه وقفز الى بحر سرجه واختطف السنان وانطبق على عنترة فارس عدنان فتناوشا ساعة في الميدان وافترقا على سلامة فاغتاظ عنترة وامتلا حنقا قال وبعد ذلك قال ربيعة لعنتر يافارس عدنان ويامن يدعي انه حاوي قصب الرهان قف مكانك والزم عنانك وثبت جنانك ثم ان ربيعة اخرج من ساق خفه حربة بيضاء واطلع منها سنانا ازرق له لمعان ورونق كانه الفضا او الحسام اذا انتضى وركبه على راس السنان ودحاه الى الارض حتى التحم في بعضه البعض ومد الرمح الى صدر عنترة وناداه احذر على نفسك ايها

الاسد القسور هذا وبنو عبس تموج منها الفرسان وقد كثر بينهم الكلام لاجل هذا الشان وقالوا ان قتل عنترة اطلبوا بنا الهرب والنجاة من قبل ان ياتينا من هذا الفارس موت الفجاة فقال لهم شيبوب انا مرادي ان اتقدم اليهما وانظر ما يجرى بينهما فقالوا افعل ما بدا لك وفق الله اعمالك

قال الراوي فسار شيبوب كانه الريح الهبوب ولما وصل اليهما وقف ينظر ما يجري عليهما فقال له عنترة الى اين انت قاصد يا ابن الام فقال له شيبوب اليك يا ابا الفوارس قاصد وعليك وارد ولكن اخبرني ماذا عولت ان تفعل ايها البطل المداعس و يا حامية عبس من كل عدو مجالس فقال له عنترة يا شيبوب اريد ان انصفه من نفسي كما انصفني من نفسه ولا ابغي عليه ولا اختلسه فقال شيبوب ويلك أتثبت له حتى يطعنك فقال له نعم اطيعه ولا اعصاه في كل ما يريده ويتمناه ولكن يا شيبوب اذا قتلت فحاموا انتم عن انفسكم وارواحكم وانصفوه وانا اعلم انكم لا تثبتون بين يديه في الحرب والطعان لانه والله عروس الميدان و بطل شجاع وقرن مناع لا يلتقي في الحرب والقراع فهم عروة ان يتكلم واذا بربيعة مقبل عليه ينادي دونك ايها الفارس البطل فقال له عنتر رويداً ايها البطل المداعس فقال له ربيعة ولماذا يا ابا الفوارس قال له عنترة حتى استوي في سرجي واحترس على نفسي في دخولي في ملتقاك وخروجي فقال له ربيعة لك ذلك فاخرج عنترة من الركاب رجليه وانتصب قائماً ووضع في وسط السرج قدميه ووقف كانه الاسد الفتوك وهو متبسم ضحوك فقال له ربيعة اتروم ان تفعل كفعلي ايها الفارس النحرير وهوا لك اذا وافتك الطعنة تقفز الى الارض فما انت على ذلك قدير ولا بهذا الفعل خبير فقال له عنترة يا ربيعة معاذ الله ان انزل عن ظهر جوادي كرهاً قال له ربيعة واي شيء تريد بهذه الفعال يا زين الابطال فقال الامير عنتر انا اعلم ان طعنتك صادقة غير خايبة وهي الى صدري صايبة فاذا جاءتني وانا متمكن من سرجي تنفذ من ظهري فاذا كنت هكذا وطعنتني قلعتني من سرجي من غير ان تؤذيني ولا تخالط جسدي وها انا قد عرفتك فافعل الان ما بدا لك اني لا اخالف اقوالك وانا مطيع لك في جميع اعمالك فقال له ربيعة الاسد الخطير ما انت والله الا فارس نحرير و بامور الحرب خبير ولله درك من اسد مسدد . ما اخبرك بالامور ايها الصارم المهند قال الراوي ثم ان ربيعة تاخر الى ورائه وركض في تلك الارض والمهاد وحمل وانطلق على الامير عنترة بن شداد وقوم السنان واطلق لجواده العنان وناداه احترز على نفسك يا فارس عدنان ثم صوّب سنان رمحه الاسمر الى صدر الامير عنتر فلما قرب من صدره اخرج

رجليهِ من الركاب وتمكن من الركوب بظهر الجواد والصق صدره في القربوس وراسهُ على رقبة الجواد فسبح السنان على الخونة والبطانة والرفادة وعبر الى اكتافهِ بين الدروع والثياب فهمّ ربيعة ان يقلع الرمح فمد عنترة يده وامسك بحد السنان وجذبهُ فانفك الانثى من الذكر فبقي نصف الرمح بيد ربيعة والنصف الثاني مع عنتر فعند ذلك جلس الامير عنترة واستوى في بحر سرجهِ كانهُ اسد الغاب واستلب رمحهُ من التراب ولوى رجلهُ الى الركاب وصاح في ربيعة وفاجاه بالطعنة فالتوى ربيعة وامتشق الحسام وضرب رمح عنترة فبراه بري الاقلام فرماه عنترة ومد يده الى سيفهِ الضامي الابتر وساواهُ في الحرب والضرب بالصارم الصمصام وقد تقاتلا بالاسياف وتساويا في العدل والانصاف حتى خرس اللسان وذهل الجنان وحارت من قتالهما الفرسان وضجرت الشجعان في ساحة الميدان

قال الراوي ولم يزالا على هذه الاخطار الى اخر النهار فافترقا على سلامة الحال ولم ينل احدهما من صاحبهِ منال

قال الراوي وعاد ربيعة الى قومـــه فترحبوا بهِ وهنأُوه بالسلامـــة وقالوا لهُ كيف رايت خصمك ايها الجبل الراسي فقال لهم والله لقد شاب راسي من فعالهِ وخمدت انفاسي من حربهِ وقتالهِ وقد تجرعت في هذه النوبة كاس المنية وايقنت بحلول الرزية لانهُ بطل تبطل عند لقائهِ الحيل وفارس لا يلتقى ولا نظير له يوم الحرب واللقا ويحق لهُ والله ان تتحدث فيهِ الفرسان وتروي عنهُ الشجعان لانهُ هو الجبل الشاهق والطود الماحق ولم يبقَ لي الا باب واحد من ابواب الحرب ومواقع الطعن والضرب فان انا ظفرت فيهِ في هذا الوقت والحين كان والا فانتم من الهالكين فقالت لهُ زوجتهُ هند يا فارس الاعراب بحياتي عليك ما يكون هذا الباب حتى انعقلهُ وانظر في تلك الاسباب فقال لها يا هند هو ان اقاتلهُ بالسيف والطارقة وانكشف لهُ حتى يدخل عليَّ بما يتفق من التدبير والملتقى فاذا ضربني ناولتهُ قبة الدرقة بهمتي وتمكيني وهي من الحديد الصيني فينكسر سيفهُ فاخذه اسيرًا واقوده ذليلاً حقيرًا فقالت لهُ هند يا مولاي هذا باب صحيح والذي دبرته هو الفعل المليح

قال نجد بن هشام هذا ما كان من هولاء الاقوام واما ما كان من ابي الفوارس الامير عنترة الهمام فانهُ لما عاد الى اقوامهِ فرحوا بهِ وتلقوهُ وبالسلامة هنأُوهُ وقالوا له ما الذي لقيت يا ابا الفوارس من هذا البطل القوي الشهامة فقال لهم عنترة لعن الله الكذاب ومن هو في قوله مرتاب وكل نمام ومغتاب فوالله ما هو الا فارس كرار وبطل مغوار لا يجود الزمان بمثلهِ وما رايت عمري اخف منهُ ولا كشكلهِ ولقد افنيت معهُ جملة ابواب من الحرب وبطلت

عليه مضارب كثيرة من الطعن والضرب وما بقي لي غير باب واحد فان ظفرت به فهو الذي ارجوهُ من المقاصد وان فاتني ذلك فاعلموا اني لا عما له ما لك فقال له عروة بن الورد اخبرنا بالباب الذي تقول عليه يا ابا الفوارس فقال له اذا تلاقيت انا واياه انكشف له وايدن روحي اليوحق يدخل عليّ ويضربني ضربة بطل نحرير فاصدمه بقبة الدرقة فينكسر سيفهُ فاخذهُ اسير فقال له شيبوب وان لم يتمّ لك هذا الباب ايها الاسد المهاب فقال عنترة اطلبوا لانفسكم النجاة بكل الاسباب

قال الاصمعي ثم انهم اقاموا جميعًا على ذلك الى ان اصبح الصباح فعاد البطلان الى الحرب والكفاح وتقاتلا الى ان زهقت منهما الارواح ودام بينهما الطراد واشتعلت نار الحرب وزادت انقاد وظهرت الاحقاد وانعقد عليهما الغبار وقدحت سنابك الخيل شرر النار ولم يزالا في الحرب والقتال والطعن والنزال والكر والفر والهزل والجد والصد والرد والقرب والبعد الى ان صار وقت العصر ولم ترَ الفرسان منهما الا بريق سيفيهما وهدير جواديهما وحربًا واهوالًا تشيب رؤوس الاطفال ووثبات مهولة حتى صارت الخيل من تحتهما مذهولة ولم يبلغ احدهما من الاخر مامولاً وقد اوسعا في الميدان عرضًا وطولاً وبعد ذلك وقف كل واحد منهما ينظر الى صاحبه شذرا ويرمقهُ حذرا

قال الاصمعي فلما كان منهما ما كان قال ربيعة يا فارس عدنان انا اعلم ان الخيل تحتنا قد كلت ومن المجال تعبت وملت فهل لك ان تنزل بنا الى وجه الارض نتضارب عليها رجالة طولاً وعرض لعل احدنا يبلغ الامل من الاخر ويزول عنا ما في قلوبنا من الهم والضرر فقال له عنترة اي وابيك ما كنت في الحرب الا منصفًا وفي السلم الا مسعفًا ثم ان عنترة ثنى رجلهُ من الركاب ونزل وفعل ربيعة ايضًا مثل مافعل وتخطى عنترة الى نحو ربيعة وهو يقول هذين البيتين

قــــد علمت حقًا سراة عبسي اني غداة الحرب ليثٌ منسي

احمي لقومي واعزُّ نفسي بصارمي مثل شعاع الشمس

فلما سمع ربيعة شعر الامير عنترة الهمام تخطى نحوهُ بعزيمة واهتمام واجابهُ يقول

خذ ضربةً تعلوكَ فوق الراس اقسمها بسيفيَ المقباس

انا ربيعــة كريم الناس وصارمي يلمع كالنبراس

قال الراوي ثم صاحَ الاثنان وحملا وهمهما ودمدما وافترقا والتحما ولعبا بالرماح وهزا الطارقتين وتقلبا تحت العدتين وتزاورا بالعينين وتضاربا بالبيض الصقال حتى تقطعت منهما الاوصال

فعند ذلك وثب ربيعة على عنتر وصاح عليه صياحاً منكراً وقال له خذ لنفسك الحذر ايها البطل الغضنفر وحمل عليه حملة منكرة وضربه ضربة بقوة ومقدرة فانكشف له عنترة ومد يده وتلقى ضربته بالدرقة فرنّ السيف وانكسر وكان قد احدث من طرف الدرقة بعض الاثر فايقن ربيعة بالهلاك وسوء الارتباك وصار منتظراً البلا وحلول القضا بين ذلك الملا

قال الراوي فلما رأى عنترة سيفه قد انكسر ورآه قد تحير واخذته الفكر ناداه يا ربيعة لا تخف ولا ياخذك على روحك الاسف فانا والله لا ابغي عليك ولا اوصل الاذية اليك لان علامة الشجاع الانصاف وقلة الجور والاسراف فخذ سيفي وعد الى الحرب والقتال والضرب والنزال ولا ياخذك في ذلك توان ولا امهال ثم ناوله الضامي وقال كن به يا ربيعة عن نفسك محامي واخذ سيف الركاب ووقف ينتظر من ربيعة الجواب فعند ذلك تخلى ربيعة في الجواد نحو الامير عنترة بن شداد واخذ السيف من يده وهزه حتى برق ولمع وظهر الموت من افرنده وسطع وقد تعجب من كرم عنترة وانصافه وقلة جوره واسرافه وفي الحال تقدم اليه وسار بين يديه وقبل السيف ووضعه على راسه واومأ به اليه وقال له حرام عليَّ قتالك بسلاحك يا فارس عدنان واوحد العصر والاوان وجوهرة هذا الزمان ثم انه في الحال سعى اليه وقبل صدره ويديه وشكره واثنى عليه وقال له لله درك يا فارس الفرسان فانك والله شمس العربان وانسان عين هذا الزمان وغاية الشرف ومنتهى الفخر اذا الانسان انصف فسنان رمحك يسبق السهم وحدّ حسامك له في الارواح وهم وفهمك يعرفه كل من له فهم . قال الراوي . فلما سمع الامير عنترة من ربيعة ذلك الكلام صار كانه الجم بلجام وانعقد لسانه عن الكلام وسعى اليه وقبل صدره وبين عينيه وبعد ذلك تعانقا اعتناق الاحباب وتصافيا بالوداد وكان لهم يوم مثل ايام الاعياد ثم ان عنترة قال يا ربيعة امضِ عند امك واختك وزوجتك فانا اعلم ان قلوبهن بك متعلقة لاجل غيبتك وهذا سيفي هبة مني اليك ليكون عندك وتقرّ به مقل عينيك فاخذ ربيعة سيف الامير عنترة بن شداد وخطا بقدامه وعاد قاصداً امه واخته وزوجته وهو لا يصدق بسلامته وخلاص مهجته قال وكانت امه قد بسطت كفيها الى السما وهي تدعو من علم ادم الاسماء وتطلب لولدها النصر والظفر واذ اقبل عليها ربيعة واعلمها بما جرى له مع الامير عنتر وكيف سيفه قد انكسر وان عنترة لم يبغِ عليه ولا اوصل الاذية اليه بل اعطاه سيف الركاب ثم اراهم اياه فشهدوا ان ليس على وجه الارض اكرم من عنتر ولا اشجع منه ولا افخر وقد فرحت ام ربيعة بعد ذلك بنجاة ابنها من المهالك وقالت يا بني مثل هذا الرجل يجب ان تخدمه وتتخذه صديق فانه ينفع عند كل شدّة وضيق

فبينما هم على مثل ذلك الكلام وما يليه واذا بشيبوب قد الى ربيعة وتقدم اليه وقبل يديه وقال له بسم الله ياامير ربيعة كلم اخي عنتر الاسد الغضنفر وكان السبب في ارسال شيبوب وراءه على الاثر اننا قد ذكرنا فيما تقدم ما جرى لدريد بن الصمة مع ربيعة بن زيد المكدم وما وقع بينهما من الحرب والعناد وكيف تصافيا ووقع بينهما الوداد وكيف افترقا وسار كل منهما في تلك البراري والوهاد وبعد افتراقهما التقى ربيعة بعنترة بن شداد وجرى بينهما ما جرى من تلك الامور الشداد وكان من جملة ما جرى من الاتفاق الذي يحسبان يسطر في الاوراق ان رجلاً من اصحاب دريد كان قد اعاق فتاخر هنالك حتى اراح نفسه فشاهد تلك الاحوال وما جرى من الاهوال فلحق دريداً واخبره بما شاهد وحكى له ما رأى من الخطرين ربيعة الاسد القسور والامير عنتر فقال له دريد بن الصمة صار من الواجب ان نعود اليهما ونسلم عليهما ثم انه عاد على اثره لينظر ما جرى من الوقائع وكانت عودته من ناحية الامير عنتر فهناه بالنصر والظفر وقد ذكرنا ما كان بين دريد وعنترة من المحبة والوداد وكان عنترة عند دريد اعز من الاهل والاولاد فلما اجتمع دريد بعنترة الى شيبوب ربيعة يعلمه بالخبر وقال له كما ذكرنا بسم الله كلم اخي عنتر فقام ربيعة وسار بغير سلاح واتى عنترة الفارس الكرار واعتذر اليه عن الفعال القباح وكذلك سلم على دريد وانشرحوا بمصاحبة بعضهم غاية الانشراح ثم ان ربيعة حلف عليهم وامرهم بالاقامة في ذلك المكان مدة ثلاثة ايام فقال له عنترة يا اخي نحن نزلنا وعولنا على المقام ثم ان ربيعة أمر العبيد والاماء ان يذبحوا لهم الذبائح ويروجوا الطعام ويروقوا المدام وكان الخمر لا يزال على الجمال في جملة ما معهم من الاحمال فضربوا للحريم المضارب والخيام وقد راج الطعام فاتت به العبيد والخدام هذا وربيعة قـــد الى مثل الاسد القسور ووقف في خدمة الامير عنتر فوثب عنترة اليه وحلف عليه واجلسه بينه وبين دريد وفرح بذلك اليوم كل من حضر ولم يزالوا في أكل طعام وشرب مدام مدة ثلاثة ايام ثم تآخى عنترة وربيعة في ذلك المقام بحضور دريد شيخ العرب الكرام واصطلحا غاية الاصلاح وهكذا فعل شيبوب وعبد ربيعة مفتاح وشربوا مع بعضهم الراح الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وداموا على ذلك الحال مدة اربعة ايام وفي اليوم الرابع قام ربيعة وقبل الارض قدام الامير عنتر وكان ذلك بحضور دريد الاسد الغضنفر وجميع من في ذلك المكان قد حضر وقال له يا ابا الفوارس انا قد اخترتك لاختي بعلاً وهي تكون لك زوجة واهلاً وذلك ليتصل بيننا النسب فاستحي عنترة من ذلك واحتجب وكلله العرق مما تكلم به ربيعة ونطق واجابه الى ما طلب فقال له دريد من الواجب يا ابا

الفوارس ان ترغب فيمن فيك رغب قال فعند ذلك ذبحوا الذبائح ونحروا النحور وروقوا الخمور وذهبت عنهم النحوس وزفت الى الامير عنترة العروس وهي بالفخر زينة واجمل ملبوس فدخل عليها في ذلك المقام وراى منها وجهاً كالبدر التمام وقداً كانه الغصن في القوام واقاموا في ذلك المكان سبعة ايام وقد تمتع عنترة بتلك المليحة البديعة سيدة الملاح وكوكب الصباح ثم بعد ذلك وثب الامير عنترة على قدميه وقبل راس ربيعة وبين عينيه فقام اليه ربيعة وقبل صدره ويديه وشكره واثنى عليه

قال الراوي ثم انهم زادوا في مدح بعضهم البعض وقد اخذت الحضار من اجل عبلة في الابرام والنقض هذا وقد زادت المودة بين ربيعة وعنتر واخذ كل منهما يثني على الاخر فقال له عنترة يا ربيعة لقد وصفتني وانت اولى بهذه الصفات لانه لا يقال عني الا عبد وانت سيد من السادات بل انت اوفى العرب في النسب واعلاها في الشجاعة والحسب وليس لك في العرب مقاوم ولا يقدر احد ان يصادمك ولا يقابلك برمح ولا بصارم فتعجب دريد بن الصمة من طيب اخلاق عنترة الاسد المصادم وما بث في حق ربيعة من المدح والثناء وما وصفه به من الرفعة والمكارم ثم ان الامير عنترة اشار يمدح ربيعة ويقول

اني لقيتُ الاسدَ في غاباتها ... فهزمتها في الحال اسوأ مهزمِ
وطعنتُ بالخطيّ كلّ متوّجٍ ... من فارسٍ بطلٍ وليثٍ قشعمِ
وضربت بالهندي كلّ غضنفرٍ ... ورميت مهري وسط كل عرمرمِ
وفلقتُ هامات الملوك بصارمي ... وتركتهم طعم النسور الحوّمِ
وقتلتُ من قحطان كل مسكّدٍ ... وهزمت شيباناً وتبعةَ ملجمِ
ما ردّ قصدي عن بلوغ مآربي ... الا الفتيُّ ربيعةُ بن مكدمِ
ولقد ظننت ربيعة بن مكدمٍ ... نهباً لقسم فوارسي والمغنمِ
وطلبت اخذ حريمه فوجدته ... دون الحريم معوّداً اسفكَ الدمِ
ورأيته في البراز سميدعاً ... ورأيته في ضربه كالليهذمِ
لله درّ ربيعة بن مكدمٍ ... من ليث غابٍ في الحروب غشمشمِ
ضرباته في الحرب موتٌ عاجلٌ ... وطعانه في الجسم سمُّ الارقمِ

قال الراوي فلما نظر دريد الى فعالهما تعجب من اعمالهما وانبهر من مدحهما واقوالهما فعند ذلك قام وخطا نحو ربيعة ومشى اليه وضمه الى صدره وقبله بين عينيه وقال له يا ربيعة وحق منى والبيت الحرام وذمة العرب الكرام والمشاعر العظام اني قد عركت الحروب وعركتني

وعرفتها وعرفتني اربعمائة وخمسين عام فما رأيت من يزيد عليك في الصدام الا هذا البطل الهمام والليث الضرغام والاسد القمقام الامير عنترة قاهر الملوك العظام فلله درّ قبيلة انجبتك ولم حملتك ومرضعة ربتك والان اريد ايها البطل الهمام والفارس الجواد انتما دمتما في حضرة هذا الاسد الامير عنترة بن شداد ان اصافي بينك وبين قومي الوداد واحمل لهم دية من قتلت من اهلهم لكن بشرط قد خطر في بالي وعزمت عليه وهو ان تسير معي انت وابو الفوارس الى حيي وحلتي فاجتمع بكما عند اهلي وعشيرتي وتجبران بخاطري وتقضيان شهوتي وحق ضيافتي فاجاباهُ الى ما طلب وفرح دريد بهذا السبب ثم نواثبوا قائمين على الاقدام من ذلك المقام وقلعوا المضارب والخيام وركب الجميع الرفيع منهم والوضيع هذا ودريد سائر بين اهله ورفقته الى ان وصل الى حلته فطلع الى لقائه فرسان عشيرته وتلقاهم المقيمون من بقايا قبيلته وكانت قد وصلت لهم الاخبار بما جرى له مع ربيعة فارس الاقطار فلما راوهُ فرحوا بسلامته وخرجت اليهم الابطال واستقبلوهم احسن استقبال وكذلك النساء خرجت مع الرجال ونقرت بالدفوف المولدات ورقصت العبيد والاموات وكان لهم يوم مثل ايام الاعياد لانهم عرفوا ما بين دريد بن الصمة والامير عنترة بن شداد ثم فدخلوا الى الخيام وضربت لهم القباب وروجوا الطعام وصافي المدام وداموا على ذلك المرام ثلثة ايام ودريد يزيد لهم في الاكرام ثم قدم لهم الخيل الحسان واهدى لكل واحد منهم عبدين وجاريتين حسان وجرى بينهم من المودة ما لا يوصف بشفة ولا لسان ولما انقضت تلك الافراح استاذنوا دريدًا بالمسير والرواح

قال الراوي فعانق دريد بن الصمة عنترة بن شداد وكذلك فعل مع ربيعة الجواد وسال عنترة الامير ربيعة اطلاق عمرو بن معدي كرب بدون فدى من الاعتقال فاجابهُ الى ذلك في الحال ووعد انهُ ساعة وصولهِ الى حلته يطلقهُ ويزيد في انعامه وكرامته فشكره عنترة واثنى عليهِ وقبلهُ في صدره وبين عينيهِ فاشار الشيخ دريد الى ربيعة يمدحهُ ويقول

هذا ربيعة ما سمعت بمثلهِ حامي العشيرة فارسٌ لم يغفلِ
يحمي ظعائنهُ ويسحب رمحـــهُ متوجهًا بحماهُ نحو المنزل
متهللاً تبدو اسرة وجهـــهِ مثل الحسام جلاهُ كف الصيقل

قال الراوي فلما سمع ربيعة شعر دريد تقدم اليهِ وشكرهُ واثنى عليهِ وقال دريد لهند ياهند نعم البعل بعلك لا تفقد وافق طيبة مولدهِ المكدم واهلك وهو حامي الحقيقة ومحمود الطريقة اما الامير عنترة فانهُ ترك اخت ربيعة عند اخيها خوفًا من علة ان يتعكر صفوها معهُ

ثم ان ربيعة ودعهم وسار يقطع البراري والقفار طالبًا ارضه والديار وطلع بعد ذلك دريد بن الصمة الجواد الى وداع الامير عنترة بن شداد وقد تذاكروا في احوال ذي الخمار وما هو فيه من القيد والشداد وكان السبب في ذلك انه لما سال الامير عنترة البطل المنتخب ربيعة الهمام الانجب في اطلاق الامير عمرو بن معدي كرب قال دريد يا ابا الفوارس ما اظن ذا الخمار الا عندك باقيًا في الشد والاعتقال فقال عنتر لا وذمة العرب لم يرد لي عنه خبر من يوم اطلقته على يدك وهرب لما اتيتُ من بلاد السودان فقال دريد لعنتر وانا الى الان ليس عندي عنه خبر

قال الراوي وبعد ذلك ودعهُ دريد وسار عنترة ومن معهُ يقطعون الفيافي والقفار ودريد رجع الى دياره والامصار . هذا ما كان من هولاء واما ما كان من ربيعة فانهُ لما فارق عنترة وسار هو وزوجته هند في الطريق اخذ يحدثها بما جرى لهُ مع الامير عنترة بن شداد ثم انهُ اشار يمدحه ويقول

الا هل مبلغ عني اموري ... واخباري الى الملكِ الخطيرِ
هوَ قيس بن مسعود المكنى ... بفيض البحر من كفٍ غزيرِ
باني سرت عنهُ وفي فوادي ... لاجل فراقهِ نار السعيرِ
هجرت الارض والاطيار جمعًا ... بلا خوفٍ هناك ولا نكيرِ
وقد جرت الحداة ونحن نسري ... واني لست اخشى من مغيرِ
نظرت الى الفلاة اذا بخيلٍ ... تلوحَ لنا . كامثال الصقورِ
بوادي الاخرمي افنيت جمعًا ... الينــا الخيل تدعو بالشرورِ
وفيهم كلُّ مناعٍ شجاعٍ ... يقدمهم دريـدٌ كالبعيرِ
فانفذ خلفنــا رجلاً نذيرًا ... يخوّفنــا ملاقاة الخطيرِ
يقول دعوا الظعاين ثم انجوا ... بانفسكم من القيل الاثيرِ
فلم اسمع لهُ قولاً ولكن ... حملت عليه كالاسد الهصورِ
ودرت بهِ بضربٍ ذاق مني ... مرارةَ صــارم عضب قهورِ
وما زالوا يوافوني والقي ... اوائلهم بكاسات الخمورِ
فهاج دريد من فعلي ووافى ... كما يوفي الى الكلب العقورِ
وجال عليَّ جولاً في حفاظٍ ... يهزُّ الرمحَ شبــه المستجيرِ
فعطلت القناةَ بصدر مهري ... وليس الفرُّ يومًا كالخبيرِ

وصلت عليهِ في رمحي وسيفي ... فبات اسير صمصامي البتير
واني بعد ذاك عفوتُ عنهُ ... وجدتُ عليهِ من كرمي وخيري
وسرنا سالمين فعارضونا ... بنو عبس كامثال الصقور
وراموا اخذنا فرأوا غلامًا ... يحامي دون ربات الخدور
اسرتُ فتاهمُ المدعو غصوبًا ... وميسرةً ولم يكُ من نصير
ووافى بعد اسرهم هزبرٌ ... ثبوتٌ في ملمات الامور
فذاك ابو الفوارس ليس يخفى ... علينا فتك اسمره القهور
شجاعٌ ما له في الحرب حقًّا ... اذا عدوا الفوارس من نظير
فطاردني وجاولني مليًّا ... وعوقني ثلاثًا عن مسيري
وجاد بسينو نحوسيه ووافى ... اتمّ الضرب بالسيف البتور
فقبلت الحسام وقلت كلا ... لقد حرم الفجور على الفجور
فانت اخي ومولاي وخلي ... تعزّ على الاقارب والعشير
وقمنا في نعيم واغتباط ... وفي فرح وفي اهنا سرور

قال محمد بن هشام فلما سمعت هند من ربيعة ذلك الشعر والنظام حكمت للامير عنترة بالفروسية والصدام على كل من ضرب بالحسام الصمصام وطعن بالرمح اللهذم وفرحت بما وقع بينهما من الصداقة والاكرام وسار الفتى ربيعة وهو سالم غانم يطلب ديار قومه والمعالم

قال الراوي هذا ما كان من امر ربيعة وانشاده ذلك الشعر عند رجعتهِ واما ما كان من الامير عنترة وما جرى له في عودتهِ فانهُ سار طالبًا ارض الشربة وذلك المعلم وهو يمدح ربيعة بن المكدم ويتذكر ما جرى لهُ من الامر المهول في تلك الارض والطلول وهو ينشد ويقول

خذي خبري يا عبل بعدُ لك شاني ... وتدرين حقًّا ما جرى ببيان
واني صدوقٌ في الحديث ولم اكن ... اعودُ بالكذب القبيح لساني
سلي عن فعالي اهل بكر ووائل ... وكلّ فتى كالليث يوم رهان
ولما اتانا بالنفير مبادرًا ... هجمت عليهم مسرعًا بحصاني
وقاتلتهم حتى تركت جموعهم ... كاعجاز نخل في اغر مكان
فكم من فتى ارديتهُ في مهندي ... وكم فارس جندلتهُ بسناني
الى ان تولوا هاربين بذلةٍ ... وضربي فيهم عامل بيمان
وعدنا وعاد المال يسعى امامنا ... بجنب الفيافي في هنا وامان

تأخرت اخي المال من خوف لاحقٍ ... ينادي سريعًا للحروب يداني
رايت جريرًا قد اشارَ بسيفهِ ... اليَّ بدمع زائد الهميانِ
فقلت لهُ ماذا وراك فقال لي ... غصوبٌ اسيرٌ في اخس مكانِ
ومعهُ رجالٌ من بني عبس جملة ... وان فلانًا مقرنٌ بفلانِ
وميسرةٌ قد دق بعض ضلوعهِ ... ولم يكُ في يوم الوغى بجبانِ
فاسرعت كالليث الفقيد لشبلهِ ... وقد ساءني ماساءهُ وشجاني
فوافيت اصحابي واهلي مبادرًا ... وجئت اليهم مسرع السيرانِ
فقلت لهم ماذا دهاكم تكلموا ... فقالوا فتى يسمو على الفتيانِ
ربيعة من نسل المكدَّم فارسٌ ... فلا ينثني من ضربةٍ وطعانِ
واذ نحن في هذا الكلام اتانا بهِ ... مشيرٌ بروم الحرب حين رآني
فبادرتهُ بالطعن ابغي قتالهُ ... فابصرتهُ ليثًا بوقت طعانِ
بصيرٌ بابواب الحروب مجرّبٌ ... بقوة قلبٍ في الوغى وجنانِ
وابصرتهُ لا يلمس الرمح جسمهُ ... وقد كل من حرب بجدٍ يمانِ
وعاين مني ليث حرب مجرّبٍ ... وليس بمرتاعٍ ولا بجبانِ
فما لاقت الفرسان مثل ربيعة ... ولا ابصرت عيني مديد زماني
فصيرتهُ لما رايتُ فعالهُ ... اخي وخليلي دون كل مدانِ
فهذا ولم يبلغ لعشرين حجة ... ولكنَّ عشرًا بعدهنَّ ثمانِ
عليك سلام الله يا ابن مكدمٍ ... سلام خليلٍ بالمودة عانِ
فيكفيك يا نجل المكدم مدحتي ... وشكري مدى دهري وطول زماني

قال الراوي ثم ان الامير عنترة سار يقطع البوادي والقفار بعد انشاده تلك الاشعار وكان قد اوصى ربيعة باخته لان ربيعة قد اختار مقامها عنده حتى لا ينقطع عنترة عنهُ وكان قد فرح بمصاهرتهِ وقربه منهُ وكان عنترة قد اشتاق الى المنازل والديار واخذه بذكر عبلة الافتكار فصار يتسلى بنشيد الاشعار وكلما عبر على حلة ساق اموالها وقتل رجالها واباد ابطالها لان عرب الجاهلية كانت كما ذكرنا من الكلام لا تفرق بين الحلال والحرام ولم يزل هو ومن معهُ على ذلك الحال الى ان وصلوا الى ديار بني عبس وتلك الاطلال ونزل الامير عنترة في دياره واستقر بهِ القرار فتلقتهُ عبلة بالفرح والاستبشار وسال عن الملك قيس فقيل لهُ في الصيد والقنص وانتهاز اللهو والفرص

قال الراوي . فبينما هو معهم في الكلام واذا بالملك قيس قد اقبل من تلك البراري والآكام فتلقاه الامير عنترة بالتحية والاكرام والفرح والابتسام وسلموا على بعضهم البعض ومدّ لهم العبيد البسط وجلسوا في تلك الارض وسأله الملك قيس عن سفرته فحدثه الامير عنترة بما جرى له في غيبته واخبره عن ربيعة وشجاعته فقال له قيس لله درك من بطل نجيب فوالله لقد حدثتني عن امر عجيب فقال له عنترة وتربة مولاي الملك زهير ما حدثتك عنه الا ببعض ما رايت منه من الفروسية والكمال فاني لقيت الابطال وحاربت الرجال فما رأت عيني اثبت من ربيعة في المجال فلله دره لانه والله نتيجة عصره وفريد دهره

قال الاصمعي . وبعد ذلك احضر الامير عنترة بين يديه الغنائم واعطى الملك قيس ما يصلح له وسأله قبولها فقبلها من يديه وشكره واثنى عليه ثم ان الملك قيسًا سار الى ابياته وهو فرحان بما رأى من عنترة واعتدال حالاته واما عنترة فانه قسم باقي الغنيمة على رجاله وساوى بين الكبير والصغير من ابطاله بعد ما اخرج منها القسم الوافر لعبلة وساواها برجاله وقد استقر بالقرار وانست به ويمن معه الديار هذا ما كان من الامير عنترة الفارس الكرار واما ما كان من ربيعة ابن الاخيار فانه سار يقطع البر الاقفر ولسانه لا يكل من الشكر للامير عنتر وصار يصف كرمه وكثرة احسانه وعلو منزلته وعظيم شانه وما زال كذلك يثني على عنترة بن الاخيار حتى قرب من اهله والديار فانفذ عبده يبشر بقدومه فخرج اليه جميع اهله وقومه وبدرت اليه الموالي والسادات ولاقوه الى ابعد الطرقات وقد دارت بسلامته كؤوس الافراح والمسرات وهنأوه بزواجه بهند ابنة الملك قيس بن مسعود الكريم الاباء والجدود وحكى لهم ما جرى له مع الامير عنترة فهنأوه بخلاصه من الخطر وكان المقدم على بني كنانة رجل يسمى قتادة فركب الى لقاء ربيعة وهناه بما وصل اليه من الانعام والخيرات وفرح بزواجه بهند اخت بسطام وبما بلغ من المرام ولما دخل الى حيه والديار وقر به القرار صنع له عرسًا ثانيًا فرحت به الابطال وبسمت له الاطلال ورقصت الاماء والمولدات وغنت الاموات وقضت بنو كنانة اياما كانها منام او اضغاث احلام وامن ربيعة في الديار وقرّ به القرار وعلا شانه وارتفع مكانه وهابته جميع الرجال وضربت فيه الامثال وخافته الابطال لا سيما من يوم اتصلت نسبته بالامير عنترة الاسد الرئبال وكان عند وصوله الى الديار اطلق عمرو بن معدي كرب وخلع عليه خلعة سنية وعممه بعمامة خز كوفية اطرافها من ذهب . واخبره بما جرى له مع الامير عنترة المنتخب وكيف آخاه واعطاه اخته ففرح عمرو بن معدي ومكث عنده مدة ايام على اكل طعام وشرب مدام فاعطاه ربيعة هدية سنية وودعه وسار

طالبًا ديارهُ وتلك الامصار

قال مجد بن هشام واتفق لربيعة في بعض الايام انهُ قال لامهِ يا اماه قد اشتقت لزيارة اخي وصهري الامير عنترة الفارس الهمام فقالت لهُ ياولدي ما بهذا الامر من باس لان زيارة الاخوان مشكورة بين الناس فعند ذلك فرح ربيعة وانتخب للامير عنترة هدية حسنة من الاموال والجواهر الثمنة والعبيد والاموات والذخائر المفتخرات ثم انهُ عزم على المسير والجد والتشمير فقالت لهُ زوجتهُ هند يامولاي خذني معك في الجملة حتى انفرج على محاسن عبلة والعرف بنسوان الحلة في هذا الاوان اذ ليس لي على فراقك صبر ولا يطيب قلبي ببعدك عن الاوطان . قال الراوي فعند ذلك امر ربيعة بعض العبيد ان يشدوا الهوادج على الجمال ويجللوها بثياب الديباج والحرير الملون والحلل الغوالي واخذ امهُ واختهُ وزوجتهُ وبعض رجال عشيرتهِ وركب وتقدم امام القوم وسار يقطع القفار والسهول والاوعار الى ان اشرف على العلم السعدي وتلك الديار فارسل عبده مفتاحًا يعلم بقدومهِ الامير عنترة الفارس الكرار فخرج اليهِ في جملة فرسان من آل قراد والتقوهِ احسن ملتقى على بعد من الديار وانزلوه في اعزّ موضع في تلك الامصار وقد تهللوا بالفرح والاستبشار وفي ساعة الحال امر الامير عنترة بذبح الاغنام وترويج الطعام وان يروقوا بواطي المدام وفي ذلك الوقت حضر الملك قيس واخوته واعمامه وسادات عشيرته ولما اكتفوا من الطعام دارت عليهم كاسات المدام وطابت لهم الاوقات واغتنموا اللذات وغنت لهم الغواني والمولدات وكان لهم يوم مثل ايام الاعياد وقد بلغوا فيهِ شيئًا لم يكن لهم في ميعاد وكان ربيعة جالسًا بين الملك قيس وعنتر وقد فرح كل من في ذلك المقام قد حضر فلما راى ربيعة ذلك الاكرام والانعام وثب قائمًا على الاقدام واشار الى الامير عنترة يمدحه بهذه الابيات

اقول وحادي العيس بالركب قد حدا ... ربى العلم السعدي ابلغ بنا غدا

وعرّج على ارض الشربة وانشد ... انخ لي بها وابرز ولو ساعة المدى

ولولا ابن شداد لما شيد البنا ... ولا بني العز الرفيع مويدا

هو السيد المولى الذي قد بنى لهُ ... من المجد قصرًا في المعالي مشيدا

بهِ شرفت عبس وباتت امينة ... ولولا حماه ما استقرت من العدى

اليك اتينا يا ابن شداد نرتجي ... ذمامك فانقذنا من الباس والردى

فانت الذي ترجى لكل ملمة ... وانت الذي تردي الظلوم اذا اعتدى

فان قلت سيف كنت اقوى عزيمة ... وان قلت بحرٌ كنتُ اطمى وازبدا

[illegible]

[illegible] لم انت متكبر · بدستنشيا مدو لنا الرشد [illegible]

[illegible] عجب الاشيا هدية درة · لبحر محيط حيار درا [illegible]

قال الراوي فلما فرغ ربيعة من هذه الابيات طربت بنو عبس السادات وما فيهم الا من شكره على مقاله واحسن عظيم فعاله فعند ذلك وثب اليه الامير عنترة وضمه الى صدره وقبله في عارضه ونحره وقال له والله يا ربيعة قد حويت كل فن مليح وتكلمت بلسان فصيح ومدحتنا وانت اولى بالمديح ثم انه اشار اليه مجيبا يقول

اهلاً وسهلاً بشجاعٍ قد اتى · ما زلت بالود اليه فايقا
اخبارهُ سارت لنا مغارباً · وجوده مسيرهُ مشارقا
ما امسكت بنانه معروفه · الا واضحت كفه طوالقا
ما ان راينا قبله ولا برسه · من بعده وعد الاماني صادقا
مكارمٌ في كفه كدوحةٍ · قد غرس الشكر بها حدايقا
من عاش كان ناطقًا بمدحه · ووصفه حاز المعالي صادقا
جدد في برج المعالي طرقا · وحاز في طرق الندى طرائقا
لولاك ما كان الحسام قاطعًا · يوم الوغى ولا السنان خارقا
لو كان في يمينه محاجر · ارسلها يوم الوغى صواعقا
لا يقتني الا حسامًا باترًا · ولا يعيد الضرب الا ماحقا
فان جهلت يافتى فعاله · فاستخبر الضلوع والعواتقا
لا حطت الايام منك رتبة · ولا اتاك الدهر الا سابقا
يدوم ما دام الزمان آمرًا · وناهيًا وفاتقا وراتقا
ما ان غدت شمس [illegible] لا [illegible] · اشرقت نورها المشارقا

